صور ومواقف من حياة الربانيين

من أعلام الطريقة النقشبندية

في بلاد الشام المباركة

(ترجمة مفصّلة لخلفاء مولانا خالد الحضرة الحمصيين:
الشيخ أحمد الطوزقلي، والشيخ سليم الخلف، والشيخ محمد أبو النصر،
وتلاميذهم من علماء الشام الأعلام)

وهو ذيل أول لكتاب: الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية

أعدّه وجمعه

محمد زكريا المسعود

قدّم له

الشيخ إسماعيل عبد الخالق أبو النصر الحمصيّ النقشبنديّ

الجزء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

اسم الكتاب: من أعلام الطريقة النقشبندية في بلاد الشام المباركة.

المؤلف: محمد زكريا المسعود.

قدَّم له: إسماعيل عبد الخالق أبو النصر الحمصي النقشبندي.

راجعه: عبد الله مسعود.

النشر: الطبعة الأولى، ربيع الأول ١٤٣٠ هـ/ آذار ٢٠٠٩ م. مجلدان.

موافقة وزارة الإعلام: رقم ٩٧٩٦٩، تاريخ ٢٠٠٨/٢/٢٥.

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

تنفيذ الأعمال الطباعية: فُصّلت للدراسات والترجمة والنشر.

سورية. حلب. أقيول. أمام المطبوعات المدرسية. هاتف: ٠٠٩٦٣٢١ ٤٤٦٠٢٩٨ فاكس: ٠٠٩٦٣٢١ ٢١١٢٩٨٩

جوال: ٠٠٩٦٣٩٤٤ ٩٥٢٦٠٩ ص.ب: ٨٢٦٠ البريد الالكتروني: fusselat@akkam.org

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وآله وصحبه ومن والاه.

وبعد:

فهذا الجزء الثاني من كتاب (**أعلام النقشبندية في بلاد الشام المباركة**)، جعلناه لأعلام العلماء من الذين تشرفوا بصحبة شيخنا المربِّي محمد أبي النصر رحمه الله ونوَّر ضريحه، ويشتمل على ما يلي:

١- الأعلام من أهل الحرمين الشريفين والمجاورين فيهما من مريدي الشيخ محمد أبي النصر قدّس سره.

٢- الأعلام من أهل مدينة حلب الشهباء.

٣- الأعلام من أهل مدينة حماة المحمية.

٤- الأعلام من علماء مدينة إدلب والمعرة وأريحا.

٥- الأعلام من علماء الباب وتاذف وما حولهما.

٦- الأعلام من علماء مدينة إعزاز وريفها.

المبحث الأول

تراجم العلماء الكرام من أهل الحرمين الشريفين والمجاورين فيهما، من مريدي الشيخ أبي النصر

١- السيد علوي بن عباس بن عبد العزيز المالكي الحسني المكي.

٢- الدكتور الشيخ محمد بن علوي المالكي الحسني المكي.

٣- الشيخ حسن جسومة البابي، المتوفى في مكة المكرمة.

٤- الشيخ محمد علي الحلبي، المتوفى في المدينة المنورة.

٥- الشيخ أحمد القلاش، المتوفى في المدينة المنورة.

٦- الشيخ محمد الحجار، المتوفى في المدينة المنورة.

٧- الشيخ معروف الدواليبي، المتوفى في مكة المكرمة.

٨- الشيخ عمر ملاحفجي، نزيل المدينة المنورة.

الحسيب النسيب، والشريف الفاضل، واللوذعي الكامل

السيد علوي بن عباس بن عبد العزيز المالكي الحسني المكي

(١٣٢٨-١٣٩١ هـ) (١٩١٠-١٩٧١ م)

نسبه الشريف: هو العالم الجليل، والفاضل النبيل، السيد العلامة علوي بن العلامة السيد عباس بن العلامة السيد عبد العزيز بن العلامة السيد عباس بن العلامة السيد عبد العزيز بن السيد محمد المالكي المكي الحسني الإدريسي.

سـيِّدٌ عـالم أبي ثم جدي هكذا إلى المختار

ينتهي نسبه إلى سيدنا إدريس الأزهر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن سيدنا علي بن أبي طالب وسيدتنا فاطمة الزهراء بنت سيدنا رسول الله ﷺ.

وبيت السيد علوي المالكي بمكة المكرمة، بيت سيادة وشرف وعلم وفضل منذ مئات السنين، فالسيد عباس وأبوه وجده وأبو جده وأبوه ومنْ فوقه كل منهم عالم فاضل حافظ لكتاب الله، ومنهم المدرس والإمام والخطيب بالمسجد الحرام، نالوا الفضل والتكريم بالعلم والعمل، والنسب النبوي الشريف، فالحمد لله على فضله وإحسانه).

وقد فصَّل السيد محمد بن السيد علوي المالكي نسب أسرتهم وتراجم أجداده في كتابه نور النبراس في التعريف بأسانيد ومرويات الجد عباس [1].

ولادته ونشأته: ولد السيد علوي بن عباس المالكي في بيت المالكي المعروف بمكة

---

[1] وهذا الكتاب من منشورات دار القلم العربي بحلب، ط أولى ١٤١٦/١٩٩٥، وذكر فيه ثبت جده المحدث العلامة السيد عباس بن عبد العزيز المالكي المولود ١٢٨٥ بمكة والمتوفى ١٣٥٣ بمكة، ومروياته وأسانيده التي تلقاها عن مشايخه في مختلف العلوم الإسلامية.

المكرمة بباب السلام ١٣٢٨هـ فبدأ بحفظ القرآن الكريم فأتمّه وهو في العاشرة من عمره وصلى به التراويح إماماً بالمسجد الحرام كعادة أهل مكة في ذلك.

ثم التحق بمدرسة الفلاح، وكان أساتذتها آنذاك من أجلة علماء المسجد الحرام، وانخرط منتظماً في سلك الطلبة ولازم شيوخ المدرسة، وبرع واستحق أن يقوم بالتدريس في نفس المدرسة قبل التخرج، فكان هو وجملة من الطلاب المهرة الأذكياء يقومون بالتدريس للفصول الأولى مع تلقي العلم في الفصول العالية، فكان تلميذاً ومدرساً في آن واحد،وذلك كله مع الانخراط في سلك الطلاب بالمسجد الحرام، فشاركهم في حلقاتهم، وزاحمهم ودخل معهم وأخذ العلم من المنهلين العظيمين المدرسة والمسجد.

شيوخه: وقد أخذ عن جملة من العلماء الكرام؛ فمنهم والده السيد عباس الذي رباه وأدبه وعلمه وأخذ عنه أكثر علومه، وقرأ عليه في الحرم المكي والبيت وتخرج عليه.

وأخذ عن محدث الحرمين بلا نزاع الشيخ عمر حمدان (المحرسي التونسي)، والشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي، والشيخ محمد علي بن حسين المالكي، والشيخ جمال المالكي، وشيخ القراء الشيخ أحمد العجمي، والشيخ أحمد عبد الله حمدوه والشيخ حسن السيد السناري، والشيخ محمد أمين سويد الدمشقي، والشيخ محمود العطار الدمشقي..)، وغيرهم من أكابر علماء الحرمين وممن كانوا يقدمون إلى الحرمين الشريفين بحج أو عمرة أو زيارة.

وفصّل هذا في ترجمته التي كتبها ولده العلامة الداعية الكبير شيخنا الدكتور محمد بن علوي المالكي في مقدمة كتاب والده الذي طبعه ونشره، وهو عبارة عن محاضرات ودروس كان يلقيها والده في الإذاعة السعودية، سماه (نفحات الإسلام من البلد الحرام) وتفضل بإهدائه للمؤلف بموسم حج عام ١٤١٢هـ.

ومن مشايخ والده الذين يروي عنهم قال:

(ويروي سيدي الوالد عن جملة من كبار علماء المسلمين: الإمام المحدث محمد عبد الحي الكتاني، والشريف عبد الحفيظ الفاسي، والشيخ محمد زاهد الكوثري (آخر وكيل

لمشيخة الإسلام العثمانية المهاجر إلى مصر والمتوفى فيها)، والسيد يوسف بن إسماعيل النبهاني (المتوفى في بيروت بعام ١٣٥٠هـ)، والشيخ محمد بخيت المطيعي (مفتي الديار المصرية)، والشيخ سلامة العزامي (المصري المريد الأول للشيخ محمد أمين الكردي النقشبندي المتوفى بمصر)، والشريف أحمد المأمون البلغيثي، والسيد محمد المكي بن محمد بن جعفر الكتاني (الدمشقي المتوفى فيها بعام ١٩٧٤)، والشيخ محمد إلياس الكاندهلوي الهندي، والشيخ المؤرخ اليمني محمد زبارة صاحب كتاب "نيل الوطر"، والإمام المسند المحدث عبد القادر الشبلي، والإمام المحدّث المسند الشيخ محمد عبد الباقي الأنصاري الأيوبي. والشيخ أبو الخير الميداني الدمشقي).

ومن شيوخ الطريق: (والشيخ المرشد محمد أبو النصر خلف الحمصي النقشبندي المتوفى بحمص ١٣٦٩هـ ١٩٤٩م، والإمام المرشد الشريف أحمد السنوسي المجاهد شيخ الطريقة السنوسية).

قال: وقد ذكرنا مشايخه وترجمنا لهم في مصنف خاص، وكذلك ذكرنا أسانيده وتراجم شيوخه وأسانيدهم في جزء خاص يسر الله إتمامه.

أقول: تمّ وطبع بحلب وقد أشرنا إليه في الحاشية السابقة وهو (نور النبراس).

آثاره ومؤلفاته: قال: (ولسيدي الوالد شعر بديع رائع ومساجلات شعرية، وقصائد دينية وغزلية، وعلمية وأدبية، وكلها قد جمعتها بفضل الله وسأنشرها في المصنف الخاص بأخباره... ولسيدي الوالد بحوث علمية في مسائل خاصة مهمة أضفناها إلى مجموع الفتاوى... ولسيدي الوالد شرح على بلوغ المرام (من أدلة الأحكام لابن حجر) وهو إبانة الأحكام، وشرح على عمدة الأحكام وهو نيل المرام، وكتاب في أحوال التفسير هو فيض الخبير، وكتاب فتح القريب المجيب على تهذيب الترغيب والترهيب).

أقول: ودروسه ومحاضراته التي نقلنا من مقدمتها هذه الترجمة مطبوعة بعنوان (نفحات الإسلام من البلد الحرام)، وكذلك (مجموع فتاوى ورسائل الإمام السيد علوي المالكي)، وقد قدم لها بترجمة عن والده أيضاً.

وظائفه العلمية ونشاطه الاجتماعي: كان يدرس في مدرسة الفلاح قبل تخرجه منها بعام ١٣٤٦هـ، فيها ثم درس بعد التخرج فيها بعام ١٣٤٧، وأجيز له بالتدريس في المسجد الحرام سنتها، وصرف نفيس عمره للتدريس بالحرم الشريف، وكان له فيها خلوة (غرفة صغيرة) في باب السلام، وأخرى في رباط السليمانية الكائن بباب المحكمة سابقاً في الحرم الشريف، وكان يقضي أوقاته الخاصة بين هاتين الخلوتين لتعليم الطلاب المجاورين، وكان معهم جملة من شباب مكة (هم الآن وزراء وكتاب وشعراء وأفاضل) يطلق عليهم أهل الخلوة؛ لازموه وأخذوا عنه واستفادوا من علومه وتخرجوا به.

وكان رحمه الله مشتغلاً بالتعليم والتدريس ليله ونهاره، وقد أحصى بعض طلاب العلم دروسه في آخر حياته فإذا بها أكثر من ثلاثين درساً ما بين درس خاص وعام، مع مواظبته الحضور إلى مدرسة الفلاح، وإلقاء الدروس العلمية والإشراف على التربية الدينية والأخلاقية فيها.

أما دروسه العامة فكان يجتمع فيها مئات الطلاب والمستفيدين من العامة والخاصة والمحبين. وله درس عظيم سنوي في رمضان، بدأه سنة ١٣٧٠هـ، وكان قبل ذلك يذهب إلى المدينة المنورة كل سنة في رمضان، فلما طلب منه أهل مكة أن يقرر لهم درساً في رمضان ترك السفر إلى المدينة، وعقد لهم درساً يومياً بعد العصر من سنة ١٣٧٠ إلى وفاته عام ١٣٩١هـ.

وهذا كله كان يقوم به رحمه الله مع قيامه بأعمال جليلة ومهام ثقيلة بكل همة وقوة وإخلاص، وصدق ومحبة للخير، فقد كان عضواً في اللجنة العليا لتوسعة المسجد الحرام التي كان يرأسها الملك سعود رحمه الله، فكان يحضر ويناقش، وكان عضواً في لجنة تحديد أعلام الحرم، ولجنة الإشراف والاختبار للمطوفين بالحرم، ولجنة الإصلاح بين الناس التي كان يرئسها أمير مكة ذلك الوقت، وكان له حديثان أسبوعيان في الإذاعة السعودية، وصوت الإسلام، ومحاضرة سنوية في ندوة المحاضرات بالرابطة الإسلامية؛ وكان رحمه الله: نشاطاً دائماً، وعملاً دائباً في خدمة المسلمين خاصتهم وعامتهم.

أقول: وقد ترجم له سيدي الوالد في ثبته الذي ذكر فيه أشياخه ورفاقه في العلم والطريق ترجمة وافية مسهبة، وكان في كل موسم حج يزوره في مكة المكرمة، إذ كان بيته موئلاً وملاذاً لكافة العلماء والمحبين من العالم الإسلامي، يلتقي فيه أهل العلم والصلاح، وتقام فيه مجالس العلم والذكر، والحب في الله؛ كما فصل ذلك سيدي الوالد الشيخ محمد علي المسعود فيما كتبه.

وقد ذكر لي الأستاذ السيد محمد ولده أن والده أخذ الطريق النقشبندي عن سيدي أبي النصر (وقد دون هذا في ترجمته أعلاه)، ولذلك كان تلامذة سيدي أبي النصر من العلماء والعامة يقصدون منـــزله في مكة، ويعتبرون من تمام زيارتهم وحبهم زيارة بيت السيد علوي المالكي، وكذلك مدّاحو الحبيب الأعظم ﷺ، وقد ورث ولداه السيد محمد والسيد عباس هذا عن والدهما، ولا زال بيتهما مقصداً وموئلاً للمحبين أدام الله عزهما وبارك فيهما.

وفاته: وقد انتقل إلى رحمة الله تعالى منتصف ليلة الأربعاء ٢٥ صفر ١٣٩١هـــ، ١٩٧١م، ودفن عصر يوم الأربعاء، وقد شيّعه الألوف من أهل مكة والمقيمين والقادمين من الأطراف، وحضر جنازته كبار علماء مكة المكرمة ووقفوا لتقبل العزاء فيه. وكانت جنازته مشهودة بحيث امتلأ الشارع من باب المسجد الحرام إلى مقبرة المعلا.

قال شيخنا حسن المشاط: إنه لم يشهد في حياته جنازة مثلها.

وقال شيخنا محمد نور يوسف: إن الإمام أحمد بن حنبل يقول: إن أهل السُّنة والجماعة يعرفون بجنائزهم فهي محضورة ومشهودة. قال: وهكذا جنازة السيد علوي كانت مشهودة ومحضورة، وما رأينا جمعاً كما رأينا في جنازته. اهـــ.

وقد خلّف من الذكور ولدين هما محمد وعباس نفع الله بهما. اهـــ [1].

---

[1] مما كتبه ولده السيد محمد علوي المالكي حفظه الله وأدام نفعه، في مقدمة كتاب (مجموع فتاوى ورسائل السيد علوي المالكي). وله ترجمة وافية ضافية في كتاب (رجال من مكة المكرمة) تأليف زهير محمد جميل كتبي، المطبوع في جدة ١٤١١ هـــ.

وقد تفضل السيد محمد وأهداني الكتاب الذي جمعه أخوه السيد عباس في ترجمة والده وذلك في موسم حج عام ١٤٢٤هـ، بعنوان: (صفحات مشرقة من حياة الإمام السيد علوي المالكي)، وفيه فصل خاص بما كتبه سيدي الوالد الشيخ محمد علي المسعود – رحمه الله تعالى – عنه. اهـ.

العلامة الداعية، والفاضل الكامل

الدكتور الشيخ محمد بن علوي بن عباس المالكي الحسني المكي

(١٣٦٩-١٤٢٥ هـ) (١٩٤٧-٢٠٠٥ م)

نسبه الشريف: هو الحسيب النسيب، والشريف اللبيب، العالم ابن العالم ابن العالم، أبوه وجده ومن فوقهما علماء أعلام، وأشراف كرام من سلالة بيت النبوة ينتسبون إلى سيدنا الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهم أجمعون.

وقد ترجم نفسه في مقدمة كتاب: (الطالع السعيد المنتخب من المسلسلات والأسانيد)، المطبوع بمكة عام ١٤١٢هـ، والذي تفضل وأهدانيه مع الإجازة العامة بمروياته وأثباته وأسانيده وكتبه، وقال حفظه الله وأدام نفعه: (وأنا محمد الحسن بن علوي بن عباس بن عبد العزيز بن عباس بن عبد العزيز المالكي مذهباً الحسني الإدريسي نسباً، وقد ولدت بمكة المكرمة ونشأت بها وتعلمت فيها في حلقات العلم بالمسجد الحرام، وفي مدرسة الفلاح ومدرسة تحفيظ القرآن الكريم، ورحلت في طلب العلم إلى المغرب ومصر والهند والباكستان، واستفدت كثيراً في هذه الرحلات من جمع المخطوطات، ولقاء الرجال، ومعرفة الآثار وزيارة المساجد، وكتابة الفوائد، فالحمد لله على فضله.

وقد بدأت التدريس بفضل الله وأنا دون البلوغ بأمر والدي المرحوم السيد علوي المالكي، الذي كان يأمرني بتدريس كل كتاب أتممت قراءته في ذلك الوقت، فكان يأمر الطلاب الذي يقرؤون عنده بالحضور عندي، وقد تعينت مدرساً رسمياً في كلية الشريعة سنة ١٣٩٠هـ/١٩٧٠، وبعد وفاة الوالد بثلاثة أيام، اجتمع علماء مكة في دارنا وكلفوني بالتدريس في مقام الوالد في المسجد الحرام؛ ثم قدمت الاستقالة من الجامعة وذلك للتفرغ للتأليف والدعوة إلى الله احتساباً لوجه الله تعالى في مكة المكرمة وخارجها، ولا أزال

مستمراً بفضل الله وعونه، أسأل الله سبحانه دوام توفيقه وتأييده، والحمد لله رب العالمين.

وقد شاركت في عدة مؤتمرات إسلامية عالمية، وقدمت فيها بحوثاً طبع أكثرها بفضل الله تعالى، كما قمت برحلات متعددة شخصية ورسمية زرت فيها كثيراً من بلاد المسلمين، وألقيت فيها جملة من الدروس والمحاضرات، نسأل الله تعالى أن يجعل ذلك خالصاً لوجهه الكريم آمين.

مؤلفاته وآثاره: وقد شاركت بالتأليف في بعض المسائل، فمنها: دراسات حول الموطأ - وفضل الموطأ وعناية الأمة الإسلامية به - دراسة مقارنة عن روايات موطأ الإمام مالك - شبهات حول الموطأ وردها - إمام دار الهجرة مالك بن أنس. وألفت في مصطلح الحديث كتباً متعددة، وفي أسماء الرجال، والتصوف وعلم الأسانيد والأثبات.

وقمت بالتحقيق والتعليق عل المرفوع من رواية ابن القاسم للموطأ، وكتبت عن آثار مكة المكرمة وما حولها كتاباً خاصاً بعنوان (في رحاب البيت الحرام)، وصنفت في الشمائل المحمدية كتاباً بعنوان (الإنسان الكامل)، وعلقت على المولد النبوي للحافظ ابن الديبع، وعلقت على المولد النبوي للحافظ منلا علي القاري ونشرته لأول مرة، وغير ذلك من المؤلفات التي تبلغ فوق الخمسين، منها الذي ظهر ومنها مالم يظهر، أسأل الله تعالى أن ينفع بها ويجعلها خالصة لوجهه الكريم آمين). اهـ منه.

أقول: ومن أعظم كتبه التي وضح فيها الحق وجاء فيه بالقول الفصل في المسائل المختلف فيها بين أهل السنة والجماعة وغيرهم كتابه (مفاهيم يجب أن تصحح)، الذي طبع أكثر من عشر مرات، وكتابه (منهج السلف في فهم النصوص بين النظرية والتطبيق)، الذي أزال فيه كثيراً من الشبهات والإشكالات التي يثيرها بعض أدعياء العلم.

كما إنه أخرج في سلسلة توضيح المفاهيم الشرعية الصحيحة كتباً منها: (الزيارة النبوية بين الشرعية والبدعية)، و (المديح النبوي)، و (حول الاحتفال بالمولد النبوي وأدلته)، و (تحقيق الآمال فيما ينفع الميت من الأعمال)، و (ماذا في شعبان ؟)، وغيرها، ولا زال نفعه جارياً وعطاؤه مستمراً والحمد لله.

شيوخه: وقد ذكر حفظه الله بعضاً من شيوخه الذي قرأ عليهم وأخذ عنهم واستفاد منهم وأجازوه في مقدمة الطبعة الثانية من كتابه (الطالع السعيد) الذي أشرنا إليه آنفاً، فقال: (وهذا كتاب اختصرت فيه جملة من أسانيدي إلى بعض كتب السنة المطهرة، وذكرت فيه بعض الأحاديث المسلسلة، وذلك كما تلقيته عن العلماء الأعلام والأئمة الكرام، أخص بالذكر منهم: والدي السيد علوي بن عباس المالكي المتوفى سنة ١٣٩١هـ، والشيخ محمد يحيى أمان المتوفى ١٣٨٧هـ، والشيخ محمد العربي التباني المتوفى سنة ١٣٩٠هـ، والشيخ حسن بن سعيد يماني المتوفى ١٣٩١هـ، والشيخ حسن بن محمد المشاط المتوفى ١٣٩٩هـ، والشيخ عبد الله بن سعيد اللحجي المتوفى ١٤١٠هـ، والشيخ محمد نور سيف بن هلال المتوفى ١٤٠٣هـ، والشيخ محمد ياسين الفاداني المتوفى سنة ١٤١٠هـ، والشيخ عبد الله أحمد دردم المتوفى سنة ١٤٠٧هـ، والشيخ حسنين بن محمد مخلوف مفتي الديار المصرية المتوفى ١٤١١هـ، والشيخ محمد الحافظ التيجاني المصري محدث مصر المتوفى سنة ١٣٩٨هـ، والشيخ محمد إبراهيم أبو العيون شيخ الخلوتية في مصر. فهؤلاء لازمتهم وقرأت عليهم، وأخذت عنهم، واستفدت منهم، ولهم عليّ فضل التربية والتعليم.

وإني بحمد الله تعالى قد تفضل الله علي باغتنامي وجود مشايخ عصري فكاتبت بعضهم وسافرت إلى بعضهم، وأخذت عنهم واستجزتهم فتحصل لي أكثر من مائتي شيخ، سأفردهم بجزء خاص، وأظهره في الوقت الذي يتم فيه إن شاء الله). اهـ منه.

أقول: ولازال الشيخ يحاضر ويسافر، ويدرّس ويدعو إلى الله تعالى في كل مكان، وقد افتتح مدرسة في بيته في مكة المكرمة لتعليم طلاب العلم وخاصة الغرباء من أندونيسيا وما حولها، وحلقاته العلمية فيه عامرة يحضرها الجم الغفير من الطلبة والمحبين في كافة الأوقات.

وقد أكرمني الله بالتعرف عليه بصحبة سيدي الوالد في حج عام ١٣٩٢هـ ١٩٧٢ في دارهم العامرة في مكة المكرمة محلة (العتيبة)، والتي استمر فيها باستقبال أهل العلم والصلاح ومداح الحبيب ﷺ وفق ما كان يفعل والده رحمه الله.

ثم انتقل إلى محلة الرصيفة في مكة وأسس فيها مدرسته الكبرى لتدريس العلوم الشرعية.

وقد ترجم له السيد زهير كتبي في كتابه (رجال من مكة) بعنوان السيد محمد علوي المالكي (والعلم والأخلاق)، وقال فيه:

الاسم: السيد محمد علوي عباس عبد العزيز المالكي الحسني.

عائلته: اشتهرت عائلته بالعلم والفضل والمحافظة على شعائر الدين.

موطنه: رأينا من المفيد ذكر نبذة مختصرة عن هذه العائلة الفاضلة، وقد وجدنا لهم ترجمة جيدة تليق بهم في كتاب (الأسر القرشية.. أعيان مكة المحمية) لمؤلفه الأستاذ عبد الله بن صديق.

وبعد أن ذكر تراجم بعض آبائه وأجداده، وفصّل في ترجمة والده السيد علوي المالكي ذكر ترجمة السيد محمد فقال:

ولادته: ولد الدكتور السيد محمد علوي المالكي في مدينة مكة المكرمة سنة ١٣٦٩هـ/١٩٤٧م بمحلة القرارة، قرب باب السلام الصغير.

وصفه: طويل القامة، أبيض اللون، ممتلئ الجسم، وسيم المطلع والمحيا، منبسط الصدر كثيف اللحية زادته مهابة ووقاراً، تتوج هامته عمامة بيضاء ولها طيلسان، عليه سيما الطهارة والتقوى، أنيق الشكل والمظهر، وذو رائحة عطرة جميلة، عندما تقترب منه تشم رائحة عطر العود والورد، يلبس الثياب البيضاء، وجبة فضفاضة بيضاء.

صفاته: يتمتع بأخلاق إسلامية فاضلة رفيعة المستوى، فيه سمت ووقارٌ وحياء، متواضع، له بال طويل، صبور حليم، شجاع في قول الحق، اشتهر بالعفة والنـــزاهة والورع والاستقامة، كريم معطاء، له منطق حسن في المجادلة الحسنة، له أسلوب جذاب وبلاغة فائقة في الإقناع، وهو شعلة نشاط في العمل الإسلامي، ثابت البيان، لطيف النادرة، هادئ الأعصاب في كلامه وتقرير دروسه، وديع النفس، راجح العقل، فيه رقة ورحمة، حلو الحديث، لا يمل ولا يكل، واسع الاطلاع، سديد الرأي في أدق الأمور وغيرها، يزيل الغموض من المسائل، عرف بالتقشف وعلو الهمة، وأصالة الرأي، محب للبحث والمطالعة، وهذه صفات العلماء، رابط الجأش، طيب القلب، حنون عطوف، باسم.

ثم ذكر نشأته وتعليمه، وبعض شيوخه الذين ذكرناهم أعلاه، وذكر أنه نال درجة الدكتوراه بتقدير ممتاز من الأزهر الشريف في الحديث النبوي وعلومه.

أعماله: درس السيد محمد علوي في المسجد الحرام وهو في زهرة الشباب في جميع المواد، لا سيما الفقه الذي تضلع فيه وبرع في الفقه المالكي وغيره، ودرّس في المسجد الحرام مدة طويلة، كان فيها موضع احترام وتقدير الناس.

كما عمل أستاذاً بجامعة الملك عبد العزيز بكلية الشريعة في مكة المكرمة من عام ١٣٩٠ إلى ١٣٩٩هـ، كما إنه عضو رابطة العالم الإسلامي، وامتدت أعماله إلى الإذاعة، إذ كان له فيها محاضرات دينية وأحاديث أسبوعية تذاع عبر البرنامج العام وإذاعة نداء الإسلام، وكانت آراءه موفقة وكلمته مسموعة في كل ما يراه ويقوله.

ثم ذكر مشاركاته في الملتقيات الفكرية والمؤتمرات الإسلامية المتعددة، ورحلاته إلى مختلف بلدان العالم الإسلامي وقال: وقد زار كثيراً من بلاد المسلمين وألقى فيها جملة من الدروس والمحاضرات **وخصوصاً شرق آسيا حيث أقام فيها أكثر من ثلاثين معهداً للبحث العلمي والدعوة الإسلامية والإرشاد الديني.**

مؤلفاته: وذكر أن مؤلفاته زادت على الستين وعدد منها ما ذكرنا آنفاً، وقد استغرق الكلام على السيد محمد وأسرته من الصفحات ٩١ إلى ١٢٣ وتخللتها صور للسيد محمد وأخيه عباس ووالدهما السيد علوي رحمه الله.

صلته بالطريقة النقشبندية: كنت أتذاكر معه في رمضان عام ١٤٢٤ على مائدته العامرة في الحرم الشريف قبيل الإفطار فيما كتب وألّف، ويذاكرني فيما أقوم به من عمل، فذكرت له موضوع كتابنا هذا (من أعلام النقشبندية)، فقال حفظه الله: إن والدي السيد علوي تلقى الطريق عن سيدنا الشيخ أبي النصر وأجازه فيه، وهو من جملة المشايخ الذين ذكرتهم في ترجمته. ثم قال: وإنني أنتسب لهذه الطريقة أيضاً وقد أجازني بها خطياً ولده الشيخ عبد الباسط أبي النصر أثناء زيارته لمكة معتمراً في عام ١٣٩٤/١٩٧٤م، رحمه الله تعالى وقدس روحه، فأنا من رجال النقشبندية.

وقد ذكر السيد الدكتور محمد علوي المالكي حفظه الله في كتابه (الطالع السعيد) إسناده إلى رجال السلسلة النقشبندية، فقال ص١١١ ما يلي:

إسنادي إلى الإمام النقشبندي: عن الشيخ عبد الغفور العباسي المدني شيخ والدي، عن محمد فضل القرشي العباسي، عن محمد سراج الدين، عن محمد عثمان الدامانى، عن دوست محمد القندهاري، عن أحمد سعيد المدني، عن أبي سعيد أحمد، عن عبد الله شاه الدهلوي، عن مظهر خان (والصحيح جان جانان مظهر)، عن نور محمد البدواني، عن محمد محسن الدهلوي، عن محمد سيف الدين، عن محمد المعصوم، عن أحمد الفاروقي السرهندي مجدد الألف الثاني، عن محمد عبد الباقي، عن محمد الأمكنكي، عن أبيه محمد درويش، عن محمد الزاهد، عن عبيد الله أحرار، عن يعقوب الجرخي، عن علاء الدين العطار، عن محمد بهاء الدين البخاري المعروف بنقشبند، ثم ساق بقية السند إلى سيدنا رسول الله ﷺ. اهـ.

ولا يزال السيد محمد حفظه الله يملك طاقات عظيمة من العلم والدعوة إلى الله على بصيرة؛ أدام الله عزه وتوفيقه وحفظه وباقي علماء المسلمين من كيد الكافرين، ومكر الماكرين وجعلهم ذخراً للمسلمين آمين.

وقد بينت بعض أهدافه وأعماله وكتبه في لقاء معه لينشر في إحدى المجلات الإسلامية، وتعذر نشره آنذاك فأثبته في كتابي (وقفات مع الدعوة والدعاة) الذي طبع ونشر في دار الحافظ بدمشق بعام ٢٠٠٢، وكان آخر لقاء لي معه على مائدته في الحرم المكي الشريف في رمضان ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.

وقد وافتنا الأنباء بوفاته يوم الجمعة ١٥ رمضان من ذلك العام، وصليَ عليه في الحرم المكي، ودفن بمقبرة المعلاة في مكة بجانب جدته أم المؤمنين خديجة الكبرى رضي الله عنها، وشهد جنازته جمهور كبير أولهم في المقبرة وآخرهم في الحرم.

وشهد بيتهم في الرصيفة بمكة المكرمة تعازي رجالات العلم والحكم، وعلى رأسهم الملك عبد الله بن عبد العزيز حيث كان ولياً للعهد آنذاك، وأقمنا له مجلس عزاء في مدينة الباب السورية التابعة لمحافظة حلب، رحمه الله وأكرم مثواه.

الشيخ حسن بن أحمد جسومة البابي "المكي"

(١٣١٨-١٣٩٤ هـ) (١٩٠٠-١٩٧٤ م)

نشأته وطلبه للعلم: نشأ وترعرع هذا العالم الفاضل في مدينة الباب التي ولد فيها حوالي عام ١٣١٨هـ/١٩٠٠ م، وقرأ القرآن على مشايخ البلدة الذين كانوا يُقرئون القرآن الكريم ويعلمون مبادئ القراءة والكتابة، ولما بلغ من العمر حوالي ١٥ سنة بدأ يلازم مجالس العلم التي كانت منتشرة في مساجد البلدة، ومدارسها العلمية، فلزم مجلس الشيخ مصطفى أبي زلام في (المدرسة الحسبية) مع لزومه لصنعة والده (ساعاتي).

وحدثني الشيخ عبد الجواد الشواف البابي رحمه الله تعالى بأنه كان يزامله في طلب العلم لدى الشيخ مصطفى، قال: وبدأ قبلي في طلب العلم، ثم حضرت معه مجالس الشيخ مصطفى أبي زلام، وقرأنا لديه النحو والفقه والتفسير والحديث، كما قرأ لدى الجد الشيخ محمد المسعود أيضاً، في الجامع الصغير، حيث كان يقرأ للطلبة والعامة الفقه والحديث، كما لازم مدرسة الجد ثم العم الشيخ محمد سعيد المسعود في (المعبدية).

ولازم الشيخ محمد أبا الفتوح (إمام الجامع الكبير) حيث أتقن القرآن الكريم لديه كما لازم الشيخ أحمد أبا البقاء في (المدرسة الشهابية) وحضر حصة عند الشيخ سعيد الغانم.

وكان يزاملنا أيضاً قريبه الحاج عبد السلام جسومه رحمه الله تعالى في طلب العلم أيضاً لدى الشيخ مصطفى أبي زلام. اهـ.

وحدثني سيدي الوالد الشيخ محمد علي المسعود أنه كان يتعلم ويعلِّم في آن واحد، فقد كان من ذوي النشاط والجد والمثابرة على التعلم والتعليم، فكان يقيم حلقات الدروس وقراءة القرآن للعامة في المساجد، وكانت أكثر ملازمته لجامع الشيخ غيث، كما

كان يقرأ للنساء في ذلك المسجد الدروس ويضع بينه وبينهن (ستارة).

ومع العلم والتعليم كان يتابع مهنته (الساعاتي)، كما كان يلتف حوله بعض طلبة العلم فيقرأ لهم الدروس العلمية الخاصة بهم.

ملازمته للشيخ أبي النصر: وقد توجه منذ صغره للتقوى والعبادة وطريق القوم، وعندما قدم الشيخ محمد أبو النصر إلى الباب في جولاته السنوية على المنطقة، فمنذ أن التقاه (المترجَم) أخذ عنه الطريق النقشبندي، واجتهد فيه وتقدم، وواظب على الأوراد والعبادة، ودعوة الناس إلى سلوك الطريق النقشبندي، وكان دمث الأخلاق، حسن الطلعة، جميل الهيئة، يتودد إلى الناس ويتوددون إليه، بالإضافة إلى أنه كان من أهل الفطنة والذكاء والصلاح. وكان يلازم مجالس الشيخ أبي النصر حين حضوره ولا يتركها، وكان كباقي المحبين وطلاب العلم الذين يلتفون حول الشيخ ويصحبونه في مجالسه وجولاته.

وكان بيته – كما حدثنا سيدي الوالد – في مكة ملتقى أهل العلم والفضل والصلاح من حلب والباب، يكرمهم ويضيفهم ويحبهم ويحبونه. اهـ.

مجاورته في مكة المكرمة: وقد استأذن شيخه أبا النصر – كما حدثني بذلك عمنا الشيخ عمر ملاحفجي – هو والشيخ محمد علي الحلبي بالتوجه إلى الحجاز والمجاورة فيها، فأذن لهما، فأقام الشيخ محمد علي في المدينة والشيخ حسن في مكة، ولازم علماءها هناك مع اشتغاله بمهنة الساعاتي، واستفاد من مجالسهم، أمثال الشيخ علوي المالكي، والشيخ محمد أمين الكتبي، والشيخ حسن المشاط، وغيرهم من علماء مكة العارفين الربانيين رحمهم الله تعالى.

ثم عاد إلى الباب بعد أن هيأ إقامته وعمله هناك واصطحب عياله وأقام نهائياً بمكة منذ عام ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م، كما حدثني بذلك الشيخ عبد الجواد الشواف رحمه الله تعالى، وبقي فيها حتى توفي بعام ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م تقريباً ودفن في المعلا (مقبرة مكة).

بعض أخلاقه ومكارمه وأحواله: حدثني الأخ محمد علي زعيتر (أبو بشير) قال: تعلقت بالشيخ حسن جسومة لما جاء من مكة، وصحبته وجذبتني أخلاقه العالية، إذ كان محبباً،

آلفاً مألوفاً، يجذبك حديثه وهيأته وحسن لقياه، وأخلاقه المحمدية من التواضع وخفض الجناح، وحلاوة الحديث ولين الجانب، وحب الخير لمن يعرفه ومن لا يعرفه، وقد كان يتردد إلى الباب بعد إقامته في مكة ويأتي إليها صيفاً، هو وعياله أحياناً، ثم يعود.

قال محدثي: وسألته عن أحواله وعما جرى معه خلال رحلاته وإقامته في مكة فقال لي: أردت أن أرى الغوث، وصدقت في طلبه، فرأيت وأنا في شوارع المدينة المنورة رجلاً يأتي إلى بسطات الباعة ويشتري منهم، فإذا كانت قيمة السلعة ريالاً، يعطيهم خمسة مثلاً، فخطر لي أن يكون هو المطلوب، فتتبعته فقلت له: مرحباً. فقال: أهلاً وسهلاً، فقلت: أنت من أين ؟ قال: من عبيد الله. فقلت: ادع لي. فدعا لي بكلام لم أسمعه بحياتي، وطال الدعاء نصف ساعة، هو يدعو وأنا أؤمن، ثم مشى، ووقفت أنظر إليه مدهوشاً حائراً من يكون هذا الرجل، ثم حانت مني التفاتة، وعاودت النظر فلم أره.

ويتابع محدثي – أبو بشير – قال لي مرة (الشيخ حسن)، وقد ذكرنا الشيخ محمد علي المسعود وكمالاته، وأحواله العالية، فقال لي: كل من سلك الطريق الصحيح، وأصبح مريداً صادقاً فلا بد أن تحصل له الجذبة، ثم يصحو بعدها. قال: وقد حصلت لي الجذبة أربعة شهور، ما أعرف فيها نفسي من شدة الذهول، فأذهل وأذهب إلى السوق وأنا ذاهل، حتى إذا دخلت الخلاء، وما معي إبريق، فأجده أمامي، ثم صحوت بعدها.

قصة عجيبة تدل على لطف إلهي: قال لي: ولقد ذهبت إلى مكة مرة مشياً على الأقدام، وجئت من مكة مشياً على الأقدام إلى الباب، وكان معنا في طريق العودة (ونحن جماعة) رجل أعمى، فقال لي رفاقه، وقد تبرموا من خدمته: إما أن تتركه، وإما أن نتركه نحن. فقلت: لا، بل أصحبه أنا. وصحبتُه ولاقينا المشاق في طريقنا، وأدركنا الجوع في المفازة (الصحراء) فرأيت من بعيد راعياً، ورأيت نعجة هزيلة، فقلت: للراعي هل هي لك ؟ قال: لا، إن غنمي كامل العدد. قال: فذبحناها وشويناها، ولما جنّ الليل وأردنا أن ننام وإذا بوحش هائل من بعيد يتقدم إلينا، فأدركنا الخوف أنا ورفيقي الأعمى، وأسقط في أيدينا ماذا نفعل، ولما اقترب منا أكثر ألقينا إليه العظام، ثم ما بقي من اللحم فأكله كله،

وهو لا يزال يتقدم أكثر، فخطر لي آنذاك قول الإمام البوصيري:

ومن تكن برسول الله نصرته إن تلقه الأُسد في آجامها تجمْ

ورسمت حولي في الأرض دائرة خططتها في الرمل، تحيط بي وبرفيقي، ثم ألقى الله سبحانه علينا النعاس ونمنا حتى الصباح، ولما استيقظنا في الصباح رأينا آثار أقدامه حول الدائرة لا يتخطاها، فحمدنا الله على النجاة، ثم تابعنا السير حتى وصلنا بلدنا، نحن الاثنين.

قضى الشيخ حسن حياته الأخيرة في مكة وبين جنباتها، وكان يلتقي أهل العلم والفضل والصلاح، وحول كعبتها المشرفة كان طائفاً ذاكراً خاشعاً، وفي بيته ملتقى إخوانه من أهل المحبة والذوق.

وكان يلازم مجالس العلماء في المسجد الحرام - كما ذكرنا آنفاً - أمثال السيد علوي المالكي مفتي مكة المكرمة، والسيد محمد أمين الكتبي العالم العارف والأديب المحب لسيدنا رسول الله ﷺ، والذي خلّد محبته في أشعار وقصائد رائعة في محبة الجناب النبوي وآل البيت الأطهار الأبرار، كما لازم مجلس الشيخ حسن المشاط عالم مكة الكبير، وغيره من العلماء الأعلام الذين كانت حلقاتهم تزين الحرم المكي الشريف، وكان ينهل من علومهم ويتذوق من أذواقهم، فازداد علماً ومعرفة وحباً وأدباً وذوقاً وإيماناً وحكمة.

ابتلاؤه: وقد ابتلي آخر حياته رحمه الله، بالحبس بسبب تسجيل نفوسه في مكة، وأصبح مقيماً فيها وحصل على الجنسية السعودية، وكان له - بالطبع - تسجيل في نفوس السوريين، واعتبر ازدواج التسجيل هنا وهناك مخالفة، مما سبب له الحكم بالسجن، فبقي في السجن بضع سنين، وحصّل - والله أعلم - المقام اليوسفي، وانتفع به السجناء وصلح حالهم به وأحبهم وأحبوه، ووعظهم وعلمهم، حتى انتهت مدة توقيفه وخرج من السجن وبقي مدة، توفي رحمه الله تعالى بعدها في مكة بعام ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.

ما كتبه عنه سيدي الوالد: وجدت في ثبته بخط يده ما كتبه عمن التقاهم من أشياخ وأصحاب ورفاق ما يلي:

الشيخ حسن جسومة: هو من بلدتنا الباب من أعمال حلب - سورية، وقد كان

ظاهر النشاط عندما كان فيها، ملموس النفع في الإفادة والاستفادة في العلم للرجال والنساء، فقد كان له مجالس وعظية لهن، وقد كان يتكسب من صنعته وهي تصليح الساعات، وكان سخياً مخشوشناً، وأخذ الطريق عن شيخنا الشيخ أبي النصر الحمصي أولاً، ثم في آخر أمره قبل انتقاله إلى الحجاز أخذ أيضاً عن الشيخ (مكرم صافي) الذي أصله من كلس في تركية المجاورة للحدود السورية، ثم انتقل (أي الشيخ مكرم الصافي) إلى الحدود السورية إلى قرية كبيرة من توابع إعزاز (كفر غان) وأقام بها، وكان لقاء الشيخ حسن له في تلك الأيام، وأخذ عنه الطريقة القادرية بإذن من شيخه الأول سيدي أبي النصر رحم المولى الجميع، وقد كان (الشيخ حسن) الأخ الأكبر لكاتب هذه الأحرف والمحب المخلص لسيدي الوالد رحمه الله ولعائلتنا.

وهاجر إلى الحجاز هو وعائلته في المرة الأولى بعد حجة أو حجات وحده، بعدها عانى المشقات لأنها كانت من غير الطريق المعتاد اليسير، وكانت مع جماعة من أهل طريق التجريد والرياضة تقريباً، ثم بعد رحلته الأولى لم تساعده الأقدار على الإقامة فرجع إلى الوطن، ثم بعد مدة جدد العزم إلى الجوار المعظم، جوار بيت الله والحلول بالبلاد الطاهرة التي عاش فيها حبيب الله ﷺ ونشر فيها دين الله هو وأصحابه رضوان الله عليهم، فسافر بعياله ومعه أيضاً والده، وعياله امرأة صالحة رحمها الله.

وقد أدركت بناته سن الزواج فزوجهن هناك، فكان بذلك أيضاً من جملة المثبتات لعياله (زوجته) التي ربما كانت في المرة الأولى هي السبب في الرجوع لعدم قوتها على تحمل ما يتحمله زوجها، إذ ليس معها القوة الإيمانية التي يحملها هو رحمه الله.

وكان على سعة في البذل عندما وسع الله عليه في تلك الديار الطاهرة، وكان بذله يعطيه سراً بإعانات لأحبابه سواءً أكانوا عنده أم في بلادهم، فكان يرسل للبعض ممن ليس مستطيعاً للسفر بسبب ضعفه من جهة المال، فيرسل له مالاً ليحج، وبعضهم غير ذلك، مع إنفاقه على الواردين بيده، وإكرامهم بكل ما يمكنه، وعندما لا يستطيع الإنفاق علناً كان يعمل الحيل للإكرام والنفع، فيعطي بعض من يسكن في عمارته الدراهم ليقدموها له

علناً أمام أولاده وعياله بدلاً من أجرة السكن عنده، لأنه في آخر حياته أنعم المولى عليه وعمر بناية يؤجرها في الموسم للحجاج، ويبقي لنفسه وعياله موطن سكن، فجزاه الله عن نفسه وعن المؤمنين خير الجزاء.

وقد لمست أنه كانت له في مكة المكرمة منـــزلة ومكانة جعلها المولى له رحمه الله، ثم كانت خاتمة حياته أن توفي هناك وأعقب ولدين ذكرين مقيمين هناك، هما الحاج أحمد والحاج محمد علي، وفقهما الله لاقتفاء آثاره رحمه الله رحمة واسعة. اهـ.

العالم الفاضل، والمحبّ الواصل

الشيخ محمد علي الحلبي "دفين المدينة المنورة"

(١٣٢٩-١٤٠٩ هـ) (١٩١١-١٩٨٩ م)

هو العالم الفاضل، والمحب الواصل، والفَرَضي الشهير الشيخ محمد علي بن محمد بن عبد القادر كنعان الحلبي، المولود في حلب ١٣٢٩هـ/١٩١١م، والناشئ فيها في طاعة الله، نزيل المدينة المنورة والمدفون في بقيعها الشريف، والمشهور بالشيخ محمد علي الحلبي.

نشأ وترعرع في بلدة حلب، وتلقى علومه الأولية فيها، وأحب العلم والعلماء، والصالحين الفضلاء.

مع الشيخ أبي النصر: وأكرمه الله سبحانه منذ أول شبابه بالتعرف إلى الشيخ أبي النصر قدس سره عندما قدم إلى حلب، وكان هذا حوالي عام ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م، إذ أخذه بعض أحباب الشيخ إلى مجلسه، وتعرف عليه وأذن له بالورد النقشبندي ولقنه الذكر الخفي ولم يجاوز عمره ١٧ عاماً، وبقي في وطنه (حلب) وقلبه معلق بالحجاز وأهله والمدينة الشريفة وساكنها ﷺ، ولما صار موسم الحج من العام التالي استأذن شيخه أبا النصر بالحج والمجاورة لدى الحبيب المصطفى ﷺ فأذن له.

شيوخه في المدينة المنورة: وأقام في طيبة الطيبة، فأخذ بأسباب المعيشة بالبيع والشراء في شارع العينية المقابل لباب السلام، وكلمات شيخه وتوصياته بطلب العلم ومجالسة العلماء لم تبرح عقله وقلبه، فلزم مجالس شيوخ المدينة، وقرأ عليهم الفقه والعربية والحديث والتفسير، وكان من شيوخه فيها:

الشيخ عبد القادر شلبي، والشيخ محمد علي أعظم وهو باكستاني الأصل مقيم في المدينة، والشيخ محمد عبد القادر العايش المختص بعلم الفرائض، والشيخ محمد مرشد،

والشيخ عبد الله بري، وغيرهم. وبرز نبوغه وتفوقه في علم المواريث خاصة، وفاق فيه إخوانه وزملاءه.

زواجه وحياته العامة: تزوج هناك من شقيقة الفاضل عباس النكلي المدني وأنجب منها ثلاثة أولاد: فؤاد وعدنان ورقية، ونشأ الأولاد في بيت والدهم وتفتحت عيونهم على الصالحين والفضلاء من أهل العلم والتقوى يزورون أباهم؛ ويقوم بخدمتهم وإكرامهم، فلا يمر موسم حج أو عمرة أو مناسبة مولد أو ذكرى للحبيب المصطفى ﷺ إلا وبيت الشيخ محمد علي قد غصّ بأهل العلم والفضل والتقوى والصلاح، من الحجاز وسورية ومصر وتركية والعراق ومن سائر البلدان التي يقصد فضلاؤها القرب والتمتع بزيارة الحبيب المصطفى ﷺ وآل بيته وأصحابه الكرام في أحد والبقيع وسائر المشاهد.

فكان بيته مجمع أهل العلم أمثال الشيخ عمر بن الشيخ عبد اللطيف البوشي الحلبي النقشبندي، والشيخ محمد علي مراد عيشة القارقلي الحلبي، والشيخ بكري رجب البابي، والشيخ عبد الله سراج الدين الحلبي، والشيخ محمد علي المسعود، والشيخ محمد سعيد المسعود، وسواهم؛ أما العيد الأكبر لديه فيوم يزوره شيخه وابن شيخه عبد الباسط أبو النصر أو أحد أولاده الكرام، أو أحد أحباب الشيخ ومريديه من الطريق النقشبندي فهناك الفرح والسرور والولائم والموالد.

يقول ابنه عدنان حفظه الله: كان حديثه طول أيامه ولياليه عن شيخه أبي النصر وكراماته ومناقبه وسيرته وأخلاقه؛ كان متفانياً بحب الشيخ وآله، والسرور الأعظم لما كانت تأتيه رسائل من شيخه أبي النصر ليبقى بعدها الأيام بل والشهور فرحاً مسروراً.

ما كتبه عنه سيدي الوالد: وقد كتب عنه سيدي الوالد الشيخ محمد علي المسعود في (ثبته) ما يلي:

الشيخ محمد علي الحلبي، من إخواننا في الطريقة النقشبندية على شيخنا محمد أبي النصر خلف الحمصي رحمه الله ورحمنا به، وقد جاور بإذن الشيخ، وجعل له المولى قبولاً عند المؤمنين وعملاً شريفاً يكتسب منه وهو قسمة المواريث التي لا يعلمها كثيرون من غير

أهل العلم المسنين، وتفضل المولى عليه بقبوله بهذا الجوار العظيم مع البركات الظاهرة، فهو من أهل الخير والسخاء، ويده في الإنفاق دائمة، في بيته وفي الحرم مع كل من يلتقي به، وفقه المولى وأدام نعمه عليه وتكرم علينا جميعاً بالقبول إنه ولي التوفيق. اهـ منه.

وقد كانت داره بجانب المسجد النبوي الشريف في الأبنية القديمة قبل توسعة الحرم، ثم سكن (السيح) بعد التوسعة، ثم استقر أخيراً في العوالي.

كان يجلس في الحرم الشريف في التوسعة السعودية الأولى بين البرحتين، وكان طلابه وقاصدوه يأتونه هناك ليقسم لهم المواريث، أو ليأخذوا عنه العلم، فيوزع لهم الحلوى (سكر النبات) ويعطي الفقراء منهم ما قسمه الله، ولم يكن يغادر المدينة بعد حجته خشية أن يموت خارجها، إذ كانت أمنيته أن يدفن في بقيعها، عملاً بقوله ﷺ: (من استطاع منكم أن يموت في المدينة فليمت بها، فإني أشفع لمن مات فيها)، وبقي فيها حتى توفاه الله بعام ١٤٠٩.

ابتلاؤه: وسكن المدينة ومجاورة الحبيب المصطفى ﷺ منية أحبابه، ولكن هل تمر هذه الإقامة دون مضايقات وابتلاءات، وخاصة للأحباب ؟ وكانت أول المضايقات أنهم ادعوا أنه من غير أهل العلم فكيف يصنع صنيعهم ويعلم الطلاب ويفتي في المواريث ؟ ورفع أمره إلى الملك فيصل رحمه الله فقال لهم: دعوه بحاله، فإن كان يحتاج لامتحان في العلم فامتحنوه. وخرج من الامتحان ناجحاً موفقاً، ولكن هل يكفي هذا ؟

لماذا يتجمع حوله الطلبة وأهل الفضل والتقوى ؟ فاستدعي للمحكمة فذهب مع ولده عدنان وكان رئيسها العالم الفاضل الشيخ عطية سالم رحمه الله وطلب منه تخفيف لهجته ضد (أهل الهيئة) لأنه كان يتكلم معهم بلهجة قاسية، ولم تمض مدة أخرى حتى استدعاه القاضي عبد العزيز بن صالح أكثر من مرة فكان يقول له: ما أنت ؟ هل أنت عالم ؟ فيقول: لا. هل أنت جاهل ؟ فيقول: لا. فيقول له: ما أنت ؟ فيقول: طالب علم. فيقول له: كل عمرك طالب علم ؟ فيجيب الشيخ محمد علي: قال ﷺ: (اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد).

وكان قصدهم ألا يعلّم أحداً في الحرم، لأن من خطتهم حصر التعليم عن طريقهم وبموجب آرائهم ومعتقداتهم.

وفي عام ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م جاءه أحد مسؤولي الهيئة الكبار وطلب منه ألا يقوم بتوزيع الحلوى، وضايقه بكلام هدده فيه، فجلس في بيته ولم يخرج منه حتى توفاه الله ١٤٠٩هـ، وكانت زوجته رحمها الله قد توفيت قبله بعام ١٤٠٥هـ.

تعليمه: قضى حياته معلماً ومتعلماً محباً للمصطفى ﷺ، مصلياً ومسلماً عليه، لا يفتر لسانه عن الذكر والصلاة والسلام على خير الأنام، وكان يأتيه طلبة العلم بعد المغرب، ليقرأ لهم الفقه الشافعي، وبعد العشاء ليقرأ لهم الفرائض ويمرنهم عملياً على حل مسائله وتقسيم التركات، كانت الثريا الحمراء الكبيرة خلف المكبرية تشهد مجالس العلم هذه لسنوات خلت قبل أن يجلس في بيته.

آخر أيامه: كان رمضان عام ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩ مشهوداً لنا - كما يقول ابنه عدنان - ففي يوم ٢٥ رمضان قال لي: متى العيد ؟ وضحك، ولم ندر سبب ضحكه، وأدركنا بعد ذلك أنه كان فيه على موعد مع ربه سبحانه وتعالى، وليلة الثاني من شوال بعد أن أمضينا اليوم الأول من العيد كما يمضيه الناس، ولا شيء يعكر صفونا، جلسنا معه حتى طلوع الفجر، وكان لسانه لا يفتر عن الذكر.(لا إله إلا الله محمد رسول الله)، وكان يشعر بالألم، وكان يشرف على تطبيبه الدكتور الفاضل الشيخ مصطفى زيتوني الحلبي، وعند الفجر شرب ماء زمزم وغسل وجهه وكان آخر كلامه: لا إله إلا الله محمد رسول الله؛ وفارق الدنيا عليها، نسأل الله سبحانه أن يحيينا عليها ويميتنا عليها.

وصلينا عليه في المسجد النبوي ووارياه ترابه في البقيع، ووقف أخونا العالم الفاضل الشيخ محمد منير حداد على قبره يرثيه ويعدد محاسنه ويؤبنه، فاعترض أحد الثقلاء على ذكر محاسنه، فقال محب من المحبين: حتى في مماتكم يعترضون عليكم. رحمه الله ونور قبره، وألحقنا به مع الصالحين بلا محنة، والحمد لله رب العالمين.

العالم العلامة، والمربي الذائق

الشيخ أحمد القلاش "الحلبي"

(١٣٢٨-١٤٢٩ هـ) (١٩١٠-٢٠٠٨ م)

العالم العَلَم، ذو الفهم الثاقب والنظر الصائب، من ذاق حلاوة العلم بصبره عليه، وأذاقها لتلامذته وحببهم به، فكشفت له الغوامض عن ستورها، وأظهرت له دقائق المسائل كنوزها، فأباحها للمجتهدين بطلبها، ومنحها لمن دأب وسعى إليها؛ أستاذنا وشيخنا، الحبر الجليل والشيخ الفاضل، والمربي بحاله المتواضع وعلمه النافع كل من لزم مجلسه، وتقرب من حلقته من العامة والخاصة، حبيبنا وأستاذنا الشيخ أحمد بن الحاج قدور بن محمد القلاش حفظه الله ورعاه وأمدّ بعمره مع العافية التامة في الدنيا والآخرة [1].

النشأة الأولى: ولد هذا العالم الفاضل واللوذعي الكامل في مدينة حلب بعام ١٩١٠م/ ١٣٢٨هـ، وتلقى العلم في أول حياته على العالم الكامل، والولي الفاضل المشهور بتواضعه وأخلاقه العالية سيدي الشيخ أحمد شهيد "السرمَدَاوي"، الشهير بالشيخ شهيد، رحمه الله ورضي عنه، وذلك في مدرسة الإسماعيلية (بجانب القلعة) لمدة شهور.

وكان قبل ذلك تلقى القرآن الكريم عند الشيخ مصطفى عاشور في مسجد علم الشرق في حلب، كما تلقى عنده أيضاً مبادئ القراءة والكتابة والحساب، وكان عمره آنذاك ست سنوات ونصف.

طلبه للعلم في العثمانية والشعبانية: وقد أهلته هذه الدراسة الأولية – مع دراسة سنة في مدرسة النجاح الابتدائية – لأن يكون من طلاب المدرسة الرضائية في حلب الشهيرة

---

[1] كتبت هذه الترجمة قبل وفاته رحمه الله تعالى.

بـــ (العثمانية)، حيث وضعه والده فيها لدى العالم الفاضل الشيخ محمد الناشد رحمه الله، وذلك قبل أن تفتتح المدرسة الخسروية وذلك لمدة سنة واحدة، وكان عمره فيها ١١ سنة، ولما صار له من العمر ١٢ عاماً نقله إلى المدرسة (الشعبانية) لمدة سنة كذلك، وكان من مشايخه فيها الذين تلقى عنهم العلوم الأساسية (الشرعية والعربية) العلماء الأفاضل الأكارم: الشيخ إبراهيم الدرعزاني، ومديرها الشيخ عبد الوهاب عقاد (شقيق الشيخ جميل)، و الشيخ طاهر كيالي رحمهم الله جميعاً ورضي عنهم.

ثم عاد للمدرسة العثمانية، وسنّه ١٣ سنة، وكان من شيوخه فيها السادة الأجلاء الأكارم: الشيخ العالم العلامة محمد الحنيفي، وكان يدرّس التوحيد والحساب، والشيخ الفاضل العالم محمد الناشد، والشيخ العالم إبراهيم الترمانيني، والشيخ الفاضل والولي الكامل محمد سعيد الإدلبي، الذين كانوا أجلّة علماء حلب وأعلامها وأفاضلها رحمهم الله جميعاً.

في الخسروية: ولما افتتحت المدرسة الخسروية، وكان ذلك بعام ١٣٤٠هـــ الموافق ١٩٢١م، اندرج في سلك طلابها، وكانت أهليته العلمية تقابل الصف الثالث منها، حيث كانت الدراسة فيها ستة صفوف بعد مرحلة الابتدائي، وتلقى العلم على مشايخها الأعلام الأفاضل ومنهم بالأخص: الشيخ المؤرخ المحدث العالم راغب الطباخ، والشيخ العلامة محمد الناشد، والشيخ الفقيه عمر المارتيني، والشيخ المفسر أحمد الشماع، والشيخ محمد سعيد الإدلبي، والشيخ عمر أسد، والشيخ عبد الله عبد المعطي الفرَضي الشهير، والشيخ أسعد العبه جي الفقيه الأصولي، رحمهم الله تعالى ونفعنا بهم أجمعين.

عمله بعد التخرج: تخرج هذا الفاضل من المدرسة الخسروية بعام ١٣٤٨هـــ الموافق ١٩٢٩م، فعمل إماماً وخطيباً في جامع المصلى في حي بانقوسا بحلب ولمدة أحد عشر عاماً، وكان بعد تخرجه من الخسروية قد افتتح دكاناً في محلة المشاطية بحلب تعاطى فيها أعمال العطارة، عوناً له على كسب الرزق.

وبعد عام ونصف من افتتاحه الدكان طلب منه زميله في طلب العلم وأخوه في الطريق

وفي العمل الشيخ بكري رجب البابي رحمه الله أن يعاونه في مكتبه الذي افتتحه لتعليم الأطفال القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة في حي أقيول بحلب، في مسجده الذي كان يصلي فيه إماماً، وبقي مع الشيخ بكري في التعليم مدة ١٧ عاماً، وانتقل أثناءها إلى جامع العريان لمتابعة التعليم، وشاركهما في التعليم آنذاك زميلهم في العلم والطريق الشيخ الفاضل والعالم العامل أستاذنا محمد أديب حسون مدة خمس سنوات.

– وقد استحصلوا أثناء التعليم في جامع العريان، على رخصة رسمية من وزارة المعارف – التربية الآن – للتعليم باسم المدرسة (الرضائية)، وكان التعليم وفق نظام وزارة المعارف للمرحلة الابتدائية، وذكر لي حفظه الله – في الأول من ذي الحجة ١٤١٦ هـ في المسجد النبوي في المدينة المنورة – أنهم كانوا يعلمون التلاميذ الأناشيد والأشعار الحكمية وكان من جملة ما يعلمهم هذه الأنشودة من نظمه، واسمها (نشيد الحفاظ) وهي:

أستاذنا حق له التكريم ... والبر و الطاعة و التعظيم
كم بذل المجهود في تفهيمي ... قام بحق الله في تعليمي
أدبني، هذبني، ربائي ... أرضعني حب النبي العدناني
فيا رفاقي، فابذلوا المجهودا ... لتحفظوا قرآننا المجيدا
قال النبي: أدبوا أولادكم ... على قراءة كتاب ربكم
فإنه من يحفظ القرآنا ... يُظله في ظله، مولانا

– كان الأستاذ القلاش منذ تخرجه من المدرسة الخسروية، وأثناء طلبه وما بعده شعلة من النشاط وإلى يومنا هذا، أولع بالعلم والتعليم، وحب النفع لكافة المسلمين، فتراه لا يهدأ باله، ولا يطيب يومه وليله، إلا إن أسدى نفعاً، أو قدّم معروفاً، أو علّم جاهلاً، أو حل لمتعلم مشكلاً، ويطرب للمسائل العلمية العويصة إذا حلّت أو فهمها تلميذه أو من يتعلم عنده، أكثر مما يطرب أهل الأنغام للأصوات الجميلة، أضف إلى هذا كان يرى أن المعرفة والعلم والأدب والخلق يجب أن يسري ويمتد إلى كافة الناس بمختلف الأساليب، تدريساً

أو تعليماً أو محاضرة أو طبع نشرة علمية أو كتاب مدرسي، بل إنه كان يرى أن المسرح – مدرسياً كان أو عاماً – يجب أن يستغله الدعاة إلى الله، ولا يتركون خشبتَه يعتليها من يسيء إلى العلم أو يقدم الخطأ في ثوب الصواب، ولذلك التفت إلى هذا الجانب الثقافي أيضاً أثناء تدريسه في المدرسة الرضائية، وأعد التمثيليات التاريخية بالاشتراك مع زميله الشيخ بكري رجب ومعلم اللغة الفرنسية في المدرسة نفسها الأستاذ عبد المجيد مكانسي، فأخرجوا تمثيلية (فتح صقلية)، و (وقعة القادسية)، وكان الطلاب هم الممثلون أما الثياب وديكور المسرح فقد استعاروه من سوق (البالستان) بحلب.

ولم يترك مع هذا نشاطه الديني ودروسه وخطبه في المساجد، ولقاءات المربي الشهير والمرشد الكبير الذي سطعت شمسه في سماء حلب وما حولها سيدي الشيخ محمد أبي النصر، سواء اللقاء الأسبوعي في مسجد أبي ذر في الجبيلة مع الشيخ عيسى البيانوني، أو في بيوت المحبين المختلفة في حلب، بل كان يرافقه مع بقية طلاب العلم في جولاته في ريف حلب.

– وبعد /١١/ عاماً من إمامة وخطابة في جامع المصلى، انتقل إلى جامع المشاطية إماماً وخطيباً أيضاً ولمدة /٢٥/ عاماً أخرى، وبعدها استقر في جامع الألمه جي /٢٠/ سنة، قبل أن يجاور لدى الحبيب الأعظم ﷺ في المدينة المنورة الشريفة.

– وبعد تأسيس المعهد العربي الإسلامي في حي الأنصاري بحلب طُلب من إدارته لتدريس مادة التربية الإسلامية، وكانت تسمى (الديانة) وفق منهاج وزارة المعارف (التربية).

– وكان قد سعى بعض العلماء الأجلاء من شيوخ حلب في إعداد المدرسة (الشعبانية) لتكون رديفة للعلم مع أختها المدرسة الخسروية، فانتظمت أمورها وأشرف على إدارتها العالم الفاضل الشيخ عطاء الله الصابوني، ثم العالم العامل الشيخ عبد الله سلطان، فدرّس فيها شيخنا القلاش مختلف العلوم الشرعية والعربية.

– وفي عام ١٩٦٠ ضاقت أعين بعض المسؤولين من وجود هذا المعهد العلمي على

النسق القديم لتدريس علوم الشريعة، فضموه إلى المدرسة الخسروية التي صار اسمها منذ عام ١٩٤٥(الكلية الشرعية)، وسميت (الثانوية الشرعية) بعام ١٩٦٠، فانتقل إليها للتدريس فيها، بالإضافة إلى التدريس في المعهد العربي الإسلامي وثانوية الصناعة، بكافة صفوفها (سنتان)، وكانت قد أحدثت الثانوية الشرعية للإناث فطلب للتدريس فيها، ومضى عليه وقت كان يدرّس فيه /٤٢/ حصة أسبوعياً.

– بعد أعوام قليلة قيض الله سبحانه وتعالى طائفة من أهل العلم والفضل أسسوا جمعية التعليم الشرعي تحت إشراف صاحب الفضيلة العالم العامل والعارف الكامل سيدي الشيخ عبد الله سراج الدين رحمه الله وقدس روحه، وجعلوا مركزها المدرسة الشعبانية، فعاد شيخنا للتدريس فيها حتى عام ١٤٠٠هـ/١٩٨٠ م.

– انتقل بعام ١٩٨٠م – أثناء الفتنة التي حدثت في بلادنا، حفظنا الله وبلادنا من أمثالها – مع كثير من علماء حلب والشام إلى مدينة سيدنا رسول الله ﷺ مجاوراً فيها.

– نُمي خبر فضله وعلمه ومنـــزلته العلمية إلى إدارة الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، فاختير ليكون فيها مدرساً احتياطياً يدرس بدل الأستاذ الغائب، ولأية مادة كانت، فكان علمه وسعة اطلاعه وحلمه وأخلاقه العالية وحسن تدريسه وتوجيهه مضرب المثل هناك، بل كان الطلاب يتطلعون إلى دروسه بشوق ليدخل عليهم، ويتمنون غياب الأستاذ الأصيل، ليتنعموا ويتذوقوا لذة العلم والتحصيل وحلاوة فهم المسائل، وحل مشكلاتها من أستاذهم الحلبي القلاش، وكان هذا من عام ١٩٨٠ حتى ١٩٨٣م.

– ثم ارتأت إدارة الجامعة، من بعد ما رأوا الآيات البينات من علمه وفهمه الثاقب، وتأثيره في نفوس تلامذته، ليقصُنَّهُ من الجامعة حتى حين، ففعلوا.

الآثار العلمية: ثم لزم المسجد النبوي الشريف متعبداً ومعلماً للقرآن الكريم وعلومه لمن يحضره من قاصديه من مختلف الفئات العلمية وعامة الناس، كل يوم صباحاً، وكانت فترة خلوة وفراغ ليعد فيها بعض مؤلفاته وينشر كنوز الإسلام، فألف عدة كتب ورسائل منها: بدائع الحكم، من ذخائر الإسلام، من كنوز الإسلام، في ظلال الجنة /ط٢، فقه

البيوع عند الشافعية، وتيسير البلاغة ط٢، مع بعض الزيادات على الطبعة الأولى.

كما ألّف للأطفال سلسلة منها: سلم الأطفال لبلوغ الكمال، من القصص النبوي الصحيح، أنفع الدروس لتهذيب النفوس، وكلها طبعت بفضل الله تعالى.

- وكان أثناء إقامته في حلب قبل المجاورة قد نشر بعض المطبوعات من قصص القرآن تناسب مستوى الأطفال بمشاركة أحد زملائه من المعلمين منها: يوسف الصديق، أنبياء العرب، نوح، توبة آدم، في ظلال الجنة، كيف نصلي، محمد رسول الجهاد، الفدائيون في الإسلام، وغيرها.

وقد استقيت هذه المعلومات المذكورة كافة من أول البحث حتى هنا من الشيخ مباشرة في حلب في جامع قنبر يوم ٢٤ جمادى الثاني ١٤١٨هـ، ١٩٩٧/١٠/٢٦م.

في رحاب المرشد الكبير سيدي أبي النصر: كانت حلب وعلماؤها وأفاضلها في أوائل هذا العصر، عصر الشيخ أبي النصر، ومنذ أن وطئت قدمه المباركة أرضها وحتى انتقاله إلى الرفيق الأعلى، كانت حلب البيت الواسع الفسيح المضياف، بل والمنـــزل الأصيل لسيدي الشيخ أبي النصر، فمن النادر ألا يكون عالم من علمائها وفاضل من فضلائها أو صالح من صالحيها من إخوان الشيخ ومريديه، أو من محبيه وأنصاره، لذلك من غير العجيب أن يكون شيخنا القلاش وأمثاله من النابهين من علماء حلب مريداً صادقاً ومحباً وفياً للشيخ أبي النصر.

لذلك فإني لعلمي بحبه الوثيق للشيخ، ومن تردده المستمر على مجالس الشيخ في جامع أبي ذر، أيام شيخنا الشيخ عبد الباسط وحبه له أيضاً، أحببت أن أحرك كوامن الشوق فيه وأسأله عن مبدأ صلته بسيدي أبي النصر: كيف تمت، وما هي انطباعاته عنه ؟ وطلبت منه أن يحدثني أو يكتب لي عن الشيخ وأبرز صفاته، فتفضل مشكوراً فكتب لي ما أثبت نصه مع بعض الإضافات التي يقتضيها التحرير، حفظه الله وعافاه وأمد بعمره مع كمال التقوى والعافية إن شاء الله تعالى:

(بعد أن تخرجت من المدرسة الخسروية بعام ١٩٢٩م أشار علي أخي في طلب العلم، وصديقي الحميم الشيخ محمد خليلو التاذفي بأن آخذ الطريق (النقشبندي) عن الشيخ محمد

أبي النصر رضي الله عنه، فقلت له معتذراً: إن اتجاهي علمي، وأخاف أن أقصّر في الأوراد. فقال: خذ الطريق، ولو للتبرك، واغتنم حياة هذا المرشد الذي لا يوجد نظيره، فأحببت وتشرفت بأخذ الطريقة (من سيدنا الشيخ أبي النصر) وكان الشيخ وقتها في بيت الحاج عبد الله لاجين بحلب. والذي لقنني الذكر هو الشيخ عيسى البيانوني رحمه الله أستاذنا في الخسروية، وكان هذا الاتصال بالشيخ والذكر سبباً في خشوعي ورقتي، وشعوري بأن العلم وحده لا يكفي ولا يشفي.

وكنت كلما أتى الشيخ أبو النصر إلى حلب أتردد على مسجد أبي ذر حيث كان يلازمه الشيخ والإخوان، وكان الشيخ عيسى يلازم الشيخ أبا النصر، وكان البكاء والإطراق والخشوع لا يفارقهما.

حال الشيخ المؤثر والعجيب: وأكبر وأهم ما يميز الشيخ أبا النصر، أنه يؤثر بحاله وتوجهاته تأثيراً عجيباً، ولقد كنت مرة جالساً تحت أقدام الشيخ (حيث كان على مقعد) فصرت أتلفت يميناً ويساراً متعجباً من أحوال بعض الإخوان، وأنا لاهٍ غافلٌ، فمد الشيخ قدمه اليسرى وأصاب إبهامها محل قلبي فصرخت وبكيت وخشعت، والشيخ - كما قلنا - معظم تأثيره بحاله لا بقاله، وربما حمحم بصوته فأثار الأحوال والدموع والخشوع.

ومن كراماته: التي شهدتها بنفسي وما أكثر كراماته، أنني دعوته مع بعض الإخوان إلى الكرم - بظاهر حلب - وكان الطعام قليلاً؛ قِدْرٌ (طنجرة) فيها لحم، فماذا تكفي ؟ فحضر الجم الغفير مع الشيخ وأكلوا جميعاً وكفاهم الطعام، والحمد لله تعالى.

أخلاق الشيخ مع الإخوان ومع العلماء وآثاره فيهم: أما أخلاقه، فالكرم واللطف والتواضع، وخدمة الإخوان. ولما ذهبنا إليه في العيد إلى حمص (مع بعض الإخوان الحلبيين) وكنت مريضاً جداً، ووصلنا بعد العشاء، فتمنيت أن يطول السهر عنده، فجعلني على يساره وصار يمسح بيسراه ظهري المتألم دون طلب مني، فلم تمض السهرة حتى عوفيت بإذن الله.

وكنت في حمص مرة أخرى أزوره فأخذني وحدي إلى قبر والده الشيخ سليم بنية

الاستشفاء وكنت مريضاً فقال منشداً:

من أمّكم لرغبة فيكم جُبرْ ومن تكونوا ناصريه ينتصر

وكان الشيخ يؤثر العلماء ويقربهم، وربما كلف أحدهم بإلقاء كلمة على الإخوان (ليعظهم ويعلمهم)، ولو لم يكن (هذا العالم) من إخوان الشيخ، وكان الشيخ قليل الكلام، وفصاحته في روحه ونظراته التي يديرها على الإخوان.

قال شيخنا القلاش: تذاكرنا أنا والإخوان أثناء زيارتنا للشيخ أبي النصر في حمص، هل يصح لنا قصر الصلاة أم لا ؟ فقال أحدنا: لا يصح قصرنا عند الشافعية، لأن الزيارة نزهة. وقال آخر: بل يصح. ولما اختلفنا وسمع الشيخ كلامنا، قال لنا موجهاً: ألستم نويتم زيارة سيدنا خالد، وزيارة شيخكم ؟ وهذه طاعة. فخجلنا من ذلك.

ومرة أخرى اختلفنا في مسألة فقهية، فقال: أحضر كتاب الحواشي المدنية على المقدمة الحضرمية جزء كذا وصفحة كذا، فبان لنا أن الصواب ما قاله الشيخ رحمه الله.

وإذا طالت السهرة إلى الصبح لم يشعر أحد بطولها، ويذهب كل إلى عمله دون شعور بالتعب. أما مع العامة فخلقه الاحتمال والصبر على أحوالهم غير المنضبطة من جراء غلبة الأحوال عليهم. (وكانت من أعظم الآثار التي خلفها الشيخ في حياته وبعد وفاته، أن تاب كثير من الناس رجالاً ونساءً واشتغلوا بالذكر وصلحت أحوالهم).

أما أثره (العظيم) فيّ في حياته وبعد وفاته، فإني أحفظ له الود، ولا أفضّل أحداً عليه (من أشياخي وممن عرفت من العلماء. رحمه الله ونور ضريحه وقدس سره وجمعنا به تحت لواء الحبيب المصطفى ﷺ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم).

ولا زال شيخنا القلاش حفظه الله وأمد عمره مع العافية التامة يقيم شتاء في المدينة المنورة ويأتي صيفاً مع عياله إلى حلب، مستمراً في نشاطه التعليمي، ووقته مملوء بالعلم والتعليم، فهو مدرسة تعليمية قائمة بذاتها، يفهم عليه الصغير والكبير، ويأنس بمجلسه العالم فيأخذ حظه من العلم، دقائقه وغوامضه ومشكلاته يحلها ويبسطها وييسرها لطالبها، ويأنس غير المتعلم بما يعلمه ويُقربه إلى فهمه من مسألة علمية أو تفهيم واجب ديني، أو

تعليم مسألة فقهية... يجيب دعوة من دعاه، ويؤنس بمجلسه من رافقه وزامله، يحب الفكاهة والظرف، ويطرب للحكمة يقتنصها من مظانها أو يسمعها من قائلها، ويخشع للآية القرآنية مرتلة بصوت عذب من قلب محب، ويهزه بيت الشعر يتضمن الحكمة والموعظة؛ حفظه الله وزاد في علمه وتقواه.

– وقد ترجم له صاحب كتاب (مائة أوائل من حلب)، الجزء الأول ص٣٦٦.

❁ ❁ ❁

– ومن لطيف استدراكه على الأدباء والشعراء ما زودني به بخطه عن استدراكه لشاعر القنديل بكتاب وجهه لمدير المدرسة الشعبانية، وفيه نظم قصيدة في رثاء شيخه الشيخ عيسى البيانوني، وقد أثبتناها بنصها في ترجمة الشيخ عيسى، ونذكر هنا نص كتابه واستداركه، وراجع القصيدة في آخر ترجمة الشيخ عيسى من هذا الكتاب.

بسم الله الرحمن الرحيم

مولاي كعبة الأدباء، وشيخ أهل الفضل:

لقد أجاد شاعر القنديل وبرَّز، إذ ابتكر – بذكائه الوقاد وبديهته العجيبة – سبباً غريباً يمدح به السلطان، ويصرف عن فكره بغيض التشاؤم، لما دخل الملك الإيوان فسقطت الثريا، فقال الشاعر النابغ، كما رويتموه لنا:

لا تنكروا إن هوى القنديل منكسراً ... فما عليه أهيلَ الفضل من حرج

رأى الإمامَ كشمس في مطالعها ... وعند شمس الضحى لا حظَّ للسُّرج

إنه أحسن في تلطيف الحادثة ومدح السلطان، ولكنه لم يستوف التعليل، فجاء تشبيهه ناقصاً، إذ القناديل تطفأ إذا بزغت الشمس ولا تسقط، قال الشاعر:

لا تذكر الكتب السوالف عنده ... طلع الصباح فأطفىء القنديلا

وإن السُّرج ليختفي نورها بضياء الشمس، كما لا ترى النجوم في بياض النهار، وهي لا تزال في مكانها؛ والذي جاء بالشؤم في هذه الحادثة هو سقوط الثريا لا انطفاؤها، ولم

يتعرض له الشاعر بشيء.

وإليكم الآن بيتاً من قصيدة لشويعر القرن العشرين في رثاء الأستاذ المرحوم الشيخ عيسى البيانوني، إذ هوى ذلك النجم المنير لمَّا حلَّ بمدينة شمس الوجود، فقضى هنالك نحبه بعد أن قضى حجَّه، وها هو البيت الذي صرحت فيه بالسقوط، وسألت الله أن يحفظه من السقوط:

خـــرَّ ذاك الـــنجم مـــن عليائـــه حين مـــن شمـــس الوجـــود اقتربـــا

وتجدون هذه القصيدة بكاملها في طي هذه الملاحظة، وأود أن تبدو ملاحظاتكم – إن كنتم تستسيغون شعر طفيليٍّ الشعراء – فضعوا بالقلم الأحمر بجانب كل بيت علامته هكذا:

ب: إشارة إلى للبارد المبتذل.

س: رمز للساقط الذي لا يسمع.

ح: رمز للحسن المستساغ.

ك: رمز للمبتكر، مما يسمونه بيت القصيد.

أما أنا فكتبت المستحسن بالحبر، وكل هذا من فكاهات أوقات الفراغ، فإن التدقيق الفقهيَّ أصاب خيالي بالعقم وقلمي بالتحجُّر، وعسى أن تجدوا فيها أنتم سَلوة من عناء ترتيب البرنامج والمشاكل الكثيرة، والحمد لله رب العالمين.

❁ ❁ ❁

توفي شيخنا القلاش في المدينة المنورة، يوم السبت ٨ رجب ١٤٢٩ هـ، الموافق ١٢ تموز ٢٠٠٨ م، وصلّي عليه في المسجد النبوي الشريف، ودفن في البقيع، وفي جمعية البركة الخيرية في المدينة المنورة أقيمت التعزية، وألقى أخي الشيخ عبد الله المسعود – الذي كان هناك – كلمة وافية عن الشيخ ومنـــزلته وعلمه، وذكر مناقبه وفضله.

كما أقيمت التعزية في حلب في مسجده الذي كان يدرِّس فيه – مسجد الميداني في حي الألمه جي – وذهبنا والإخوة لتعزية ولده الأستاذ محمد بوفاته.

رحمه الله رحمةً واسعةً، وأسكنه فسيح جناته.

العالم الزاهد والورع الفاضل

الشيخ محمد بن محمود الحفسرجاوي "الشهير بالحجار"

(١٣٤٠-١٤٢٨ هـ) (١٩٢١-٢٠٠٧ م)

ولد هذا الفاضل المحب، المتواضع الزاهد، والصادق المحبة في مدينة حلب بعام ١٣٤٠هـ/١٩٢١م، ونشأ النشأة الأولى بها، بعدما جاءت أسرته مع والده من قرية حفسرجة (نواحي إدلب).

وبعد أن تعلم في كتاتيب حلب، اشتغل أول أمره بمهنة والده (الحلاقة)، وصار يعاون والده في دكان الحلاقة، وحبب إليه ملازمة العلم والعلماء وأهل الطريق، ولما قدم الشيخ أبو النصر لحلب، وكان ينـــزل لدى الشيخ عيسى البيانوني في جامع أبي ذر، فالتقى به فأحبه والتزمه، ولقنه الذكر بعدما عرفه عليه شيخه الشيخ عيسى، ثم التزم مسجد أبي ذر، وخلا في غرفة فيه يواصل أذكاره وعبادته، بعدما أحب الشيخ وأحب الطريق النقشبندي، فحبب إليه الشيخ أبو النصر العلم، فلازم المدرسة الخسروية بحلب ودرس فيها بضع سنوات، وكان بدء انتسابه لها بتاريخ ١٩٣٩/٩/١٥.

ولما عدلت مناهجها في عام ١٩٤٢/١٣٦١ وسميت الكلية الشرعية، وأدخلت فيها بعض المواد العصرية المناسبة للزمان، لم يرق هذا للشيخ محمد، فتركها والتحق بالمدرسة الشعبانية حيث كانت علومها شرعية صرفة، والتزمها حتى تخرج منها بعد عام أو عامين، وكان من أساتذته فيها: الشيخ أحمد القلاش، والشيخ عبد الله خير الله، والشيخ حامد هلال، والشيخ عبد الله سراج الدين، والشيخ محمد المعدل، والشيخ أبو الخير زين العابدين، وأخوه الشيخ عبد الرحمن، ومديرها الشيخ عبد الله سلطان.

في جامع الزكي: وبعد تخرجه من الشعبانية، صار إماماً في جامع الزكي، ولزم المسجد

إماماً ومدرساً ومعلماً لمن يحضره من الطلاب قرابة ثلاثين عاماً.

وكان قبل دراسة العلم قد لازم الشيخ عيسى البيانوني في جامع أبي ذر، وحببه بالطريق النقشبندي، ثم عرفه بالشيخ أبي النصر ولقنه الورد وأخذ عنه الطريق، كما ذكرنا أعلاه، ثم تزوج ابنة ابنه الشيخ أحمد البيانوني رحمهم الله جميعاً.

مع الشيخ أبي النصر: وتعلق بالشيخ أبي النصر والتزم مجالسه، وأحبه وتولع به، وصار يخدمه إذا حضر إلى حلب، ويحلق له، ويعتني بشؤونه الخاصة، كما كان يذهب مع بعض زملائه في العلم إلى حمص لزيارة الشيخ ويمكثون لديه أياماً، ويصحبهم الشيخ معه في أسفاره إذا سافر.

وحكى لي – رحمه الله – أثناء زيارته في المسجد النبوي في المدينة المنورة سنة ١٤٢٣، أن الشيخ أبا النصر زار حلب، ودعاه صاحب حمام إلى حمامه، ومُدَّت الموائد فيها، وحَلَقْتُ للشيخ كعادتي، وكنت صائماً فقال الإخوان للشيخ: إن محمد الحجار صائم فليفطر. فقال: دعوه صائماً. وهذا ما كنت أريده. قال حفظه الله: كان شيخنا أبو النصر وصولاً ودوداً لأحباب والده يزورهم ويزورونه، وقد ذهبتُ إلى حمص مرة لزيارته فأخذني معه إلى (طيبة الإمام) لزيارة أخيه في الله الشيخ حسين الخطيب خليفة والده، وبتنا ليلتنا تلك في الطيبة، وكان سرورهم وابتهاجهم بالزيارة واضحاً، لقد كان وصولاً لأصدقاء والده وإخوانه وأحبابه.

وقد حكى لي الأخ المحب، الحاج عبد الرزاق الأعمى الحلبي، وكان ممن لازم الشيخ الحجار مدة طويلة ما بين أعوام ١٩٦٠-١٩٧٠ عندما كان الشيخ إماماً في جامع الزكي؛ أن الشيخ كان دائماً يحكي لتلامذته ومن يحضر درسه عن الشيخ أبي النصر وأخلاقه وأحواله وكراماته، قال: وكنت أسمع هذا وأحب الشيخ ولم أره، وكنت أحكي له عن شيخي الشيخ حسين المجدمي، فقال لي مرة: يا عبد الرزاق، أخشى أن يكون شيخك ما معه علم فتتدهور، أنا أخاف عليك، من صحبة من لا علم عنده. ومضت مدة، وهو يوصيني بصحبة وملازمة المشايخ من أهل العلم.

وكان يحبب إلي العلم بأقواله ودروسه وحكمه، وجئته مرة، فوجدته مستبشراً مسروراً فقال لي: يا عبد الرزاق، جاء الشيخ حسين المجدمي وزارني، إنه عظيم، إنهُ دولة (أمة)، لازمه فإنه محترم. وقال لي: يا عبد الرزاق، كل عالم عاصر أبا النصر، و لم يأخذ الطريق عنه، أو لم يحبه فقد شطبوا اسمه.

نشاطه العلمي: وظل الشيخ الحجار حفظه الله تعالى ملازماً لجامع الزكي طيلة إقامته في حلب، وصار يشتغل بالفقه، تدريساً ومذاكرة للطلاب وإقراءً للعامة، كما اشتغل في تصنيف الكتب العلمية ونشرها، فحقق كتاب فتح العلام للجرداني بأجزائه الثلاثة وهو في عبادات الفقه الشافعي، وطبع بحلب، وألف كتاب سمير المؤمنين، والخطب النبوية، وحقق ونشر كتاب بستان العارفين وفتاوى الإمام النووي.

مجاورته في المدينة: وفي عام ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ارتحل للمدينة المنورة، وجاور فيها والتزم المسجد النبوي مشتغلاً بالعبادة والعلم والتصنيف وتفرغ لها، وبالأخص بعد وفاة زوجته الحاجة بشرى البيانوني بنت الشيخ أحمد رحمها الله تعالى، وهناك أخرج المؤلفات التالية: الحب الخالد، المال مال الله (في الزكاة)، يا قوم علموني كيف أحج، وأعاد طبع الخطب النبوية باسم (الصحوة القريبة)، وجدد طبع فتاوى النووي وبستان العارفين له عدة مرات.

وهو الآن ملتزم المسجد النبوي وصحبة أستاذنا الشيخ أحمد القلاش يقرآن يومان في الأسبوع درساً في الفقه والتفسير مع بعض خاصة إخوانهما، ويخرجان يوم السبت إلى قباء فيصليان الضحى في مسجدها، ثم يدلفان إلى أحد بساتين المدينة المنورة، فيقرآن درسهما.

وقد أكرمني الله سبحانه وتعالى منذ ذلك العام الذي ارتحلا فيه إلى المدينة أن أحضر دروسهما في كل زيارة للمدينة المشرفة، وأن أصحبهما هناك، وقد كان الشيخ الحجار يعرض مؤلفاته على شيخنا القلاش لينظر فيها من ناحية العربية وغيرها.

تواضع الشيخ أبي النصر وزهده: وحكى لي أستاذنا الحجار في أثناء زيارتي للمدينة المنورة بعام ١٤٢٣هـ قال: كنت في زيارة شيخنا أبي النصر في حمص، وكانت زوجته

أم كلال في حلب، فقال لي: إن أم كلال في حلب، فنم اليوم معي في غرفتي، فامتثلت لأمره ونمت معه، وإذا الغرفة صغيرة متواضعة لها باب ونافذة على الشرق، وأيام الصيف حارة فقلت في نفسي: سبحان الله، هذه غرفة الشيخ، إنها مظهر التواضع والزهد، ولو شاء الشيخ أن تبنى له من ذهب لفعل أحبابه ومريدوه.

وقد طلبت من أستاذنا الحجار ترجمة عن نفسه وفيما يتعلق بصلته بالشيخ أبي النصر، وذلك أثناء موسم حج ١٤٢١ فكتب إلي هذه الترجمة بخط يده عن شيخه أبي النصر قدس سره وهي:

هذه صورة موجزة عن حياة شيخنا الفاضل والمرشد الكامل الشيخ محمد أبي النصر سليم خلف رحمه الله تعالى.

نستطيع أن نتناول الحديث عنه مع الإيجاز السريع عن حياته المباركة من حيثيات:

١- حياته العلمية.

٢- حياته الروحية.

٣- حياته الاجتماعية.

٤- حياته المنـــزلية.

١- **أما حياته العلمية:** فكان رحمه الله يحب العلم كثيراً، ويشجع عليه، ولا يرضى لكل من انتسب إليه أن يكون محروماً من العلم بعيداً عنه، كما يفهمه بعض من لا فقه له بأن الشيخ كان اتجاهه للذكر فحسب. نعم، كان يرغب في الذكر لنفعه، وفي العلم لفضله، وكان رحمه الله له جلستان في حمص كل يوم في زاويته، صباحاً بعد الإشراق ومساء بعد العشاء، على قراءة كتاب مع بعض الإخوان من طلبة العلم، ويتدارسون فيها الحلال والحرام، ويتبادلون الحديث حول هذا ليخرجوا من المجلس بفائدة علمية نافعة.

وله كل يوم بعد صلاة الظهر درس عام في جامع الكبير، يحضره عامة الناس على قراءة كتاب يناسب المقام. وكان - يرحمه الله - من أبرز علماء الشافعية في حمص المحمية في ذاك الزمن.

٢- **أما حياته الروحية**: فقد تلقاها من والده مولانا الشيخ سليم قُدس سره، فخدم والده خدمة المريد الصادق لشيخه الكامل، وهذا أمر نادر الوجود، لأن أولاد المشايخ يغلب عليهم الحرمان، لزهدهم به بل وجهلهم بمقام أبيهم، فالشيخ - رحمه الله تعالى - على خلاف ذلك، إذ كان لا يسمح لأحد من الإخوان أن يتقدم لخدمة والده بوجوده.

ولذا كان استعداده كاملاً وإناؤه واسعاً لتلقي الفيوضات الإلهية، لصدقه وإخلاصه، لأن مقام الإرشاد مقام رفيع جداً، ووراثة نبوية.

وقد كان شيخنا رحمه الله يخلو الخلوات الطويلة لاشتغاله بالذكر القلبي على اختلاف أنواعه، وتباين أوضاعه: من لطائف، ونفي وإثبات، وغير ذلك، مع قيامه رحمه الله بوظائف وطاعات تنوء عنها فطاحل الرجال؛ فله في اليوم والليلة أربعة أختام في أماكن مختلفة، صباحاً في جامع الكبير بعد صلاة الفجر، ثم ينتقل إلى جامع التركمان بعد الإشراق، ثم يعود بعد العصر إلى جامع الكبير لإقامة الختم أيضاً، ثم بعد العشاء في جامع القصيّر، ويوم الجمعة يزيد خامساً بعد صلاة الجمعة في زاويته، يجتمع في هذه الأختام كثير من العلماء وطلاب العلم وغيرهم من الإخوان والمحبين.

٣- **أما حياته الاجتماعية**: كان له في السنة رحلتان: واحدة في فصل الربيع، وثانية في فصل الصيف، وحدّث هنا ولا حرج عما يلاقي الشيخ من صعوبة شديدة، وحياة مريرة، من أجلاف العرب، وصبره عليهم وتحمل عاداتهم وطبائعهم المتنافرة، وأخلاقهم المتباينة، حتى يصل إلى المقصود من تبليغه دعوة ربه، وإنقاذهم من أوحال الدنيا ومشاكلها، لأنهم كانوا لا يعرفون من الحياة سوى القتل والسلب والنهب، فالقوي يفترس الضعيف، والغني يقضي على الفقير، والغزو بينهم قائم على قدم وساق.

فلما عرفوا الشيخ وصحبوه إذا بهم قد تغير وضعهم وحسن حالهم واستقام شأنهم، وانصاعوا إليه واستسلموا له.

وهذا أمر اعترف به القريب والبعيد، وكان رحمه الله تعالى إذا تفرس بشاب من شباب القرى والأرياف استعدَاده للعلم، ينقله رأساً إلى المدينة، ويرغبه ويحببه فيه، ويوصي مدراء

المدارس به، ليحسنوا رعايته، فأثر على عدد كبير من هؤلاء. وكان رحمه الله يحب السّنة ويحافظ عليها ويكره البدعة وينفر منها، وإليك صورة من هذا:

دُعي الشيخ – رحمه الله – لعقد صلح بين فئتين في إحدى القرى أيام الشتاء، والبرد شديد، وكان اليوم يوم جمعة، وإذا به كعادته طلب من رب المنـــزل ماء لغسل الجمعة، فاغتسل وقال لي: أبقيت لك ماء لتغتسل. وأنا منذ ذاك الزمن أتذكر هذا الدرس العملي لسنية غسل الجمعة، كلما نازعتني نفسي بتركه لشدة البرد أو غير ذلك. ويكره التصوير بأنواعه، ولا يسمح لأحد أن يصوره، أو يقتني له صورة.

(أقول: إن صوره انتشرت بعد وفاته قدس سره).

٤– **أما حياته المنـــزلية**: فكانت زاويته من أبسط البيوت فرشاً، بعيدة عن التكلف الدخيل علينا، ففرشها من البسط البسيطة، ووسائدها من القش المتواضع، وليس على بابه حُجّاب يحجبون الزائرين عنه إلا بشكل رسمي، فمن أحبه ورغب بمواجهته يجد الطريق سهلاً معبداً.

وكان – رحمه الله – مضيافاً يحب الأضياف ويكرمهم، ويقوم بخدمتهم بنفسه، يحمل طشت العجين مع ثقله على كتفه إلى الفرن.

وكان – رحمه الله – لباسه من أبسط اللباس لا يتكلف للباس خاص، يُعرف به عن جلاّسه، كما يفعله بعض الدخلاء على هذا السلك، وليس له كرسي برّام مرتفع ليشار إليه. كان يحمل حاجاته البيتية بيده من السوق، وكانت غرفته للنوم على غاية من التواضع، فقال لي يوماً وأنا عنده: أم كلال هي في حلب، نمْ عندي، وإذا بغرفة شرقية، مكونة من باب وشباك فحسب، فليس هناك مروحة ولا مكيف، فقلت في نفسي: كيف يستطيع الشيخ أن ينام في هذه الغرفة ؟

وهكذا رحمه الله عاش متواضعاً، ولحق بربه متواضعاً، ولم ينل من الدنيا ولا الدنيا نالت منه، مع كثرة مريديه، وكثرة محبيه، ولو أراد لصيغت الزاوية من ذهب، فهذه كلمة موجزة عن حياته رحمه الله تعالى.

ثم نختتم هذا الموضوع بتذكر بعض مآثره، وخوارق من العادات التي شاهدتها منه أوائل صحبتي له:

١- كان الشيخ - رحمه الله تعالى - في حلب أيام الربيع، وطلب مني أن يتناول طعام الغداء في دار والدي، وكان اليوم يوم جمعة، وكان له ختم في جامع العثمانية، فقال لي: بعد الختم نتوجه إلى بيتكم. فعرضت الأمر على والدي، وكان من أهل الكرم والسخاء، فتلقى الأمر بصدر منشرح رحب وقال لي:كم عدد الأشخاص المرافقين للشيخ ؟ فقلت: ما بين الخمسة والستة. فاشترى في ذاك الزمن رطل لحمة، يعني ما يعادل ٣ كغ تقريباً، فلما صلى الشيخ الجمعة دعاني إليه وقال لي: نحن على موعدنا ؟ فقلت: نعم. فقال لي: قل لفلان وفلان وذكر عدداً كبيراً. وكان كثير ممن سمع بأن الشيخ عندي يأتي، حتى غص البيت بالإخوان، فلما رأى والدي هذا المشهد انكمش في نفسه، وأراد إحداث طعام آخر، فلحظ الشيخ - رحمه الله - هذا عن طريق الكشف، فقال لوالدي: ضع الطعام، لقد جعنا. أو كلمة في هذا المعنى، فوضعناه وجلس الشيخ حتى الأخير، فأكل الجميع ومن في البيت من زوار سمعوا بالشيخ فجاؤوا أيضاً، فكان لهذا المشهد أثر كبير في نفس والدي وغيره من قريب وبعيد.

٢- والكرامة الثانية: كنت عنده في حمص في إحدى الزيارات فلما انتهت الزيارة وأنا جالس بجانبه، وكنت مستصحباً معي منشفة جيدة وكانت معلقة بجدار الزاوية، فوقع في نفسي إبقاؤها للزاوية أمام الشيخ، فإذا نظر إليها تذكرني فأكون بهذا سعيداً، وهو خاطر خطر لي، وإذا بالشيخ قال لي: نحن نذكرك بدون شيء.

وهذه الكرامة ذكرتها في كتاب بستان العارفين لإمامنا النووي رحمه الله بمناسبة ذكره لكرامات الأولياء.

- أقول: لا زال الشيخ الحجار مقيماً في المدينة المنورة ملازماً المسجد النبوي، مستغرقاً أوقاته في العلم والعبادة؛يأتي قبل الفجر ثم يبقى حتى صلاة الضحى فيصليها، ثم ينصرف إلى البيت ويعود بعد صلاة العصر حتى ما بعد العشاء، وقته مستغرق في العبادة والعلم،

فإذا جاء أحد ليقرأ عليه القرآن سمع له، أو العلم سمع له، وهكذا بين عبادة وعلم، نفع الله به وبأمثاله من أحباب شيخنا آمين.

– وقد وردنا نبأ وفاته في المدينة المنورة يوم الخميس ٧ محرم ١٤٢٨هـ، الموافق ٢٥ كانون الثاني ٢٠٠٧، وصلي عليه في المسجد النبوي ودفن بالبقيع رحمه الله رحمة واسعة.

وقد أخبرني بهذا النبأ أخونا الدكتور إبراهيم العنـــزاوي وقال متأسفاً على فقده: لقد كان رحمه الله مجتهداً في العبادة والتضرع إلى الله، وإشغال وقته في الطاعة والذكر والعبادة، وقد راقبته عن كثب في صلاته النافلة فكان ركوعه ما يقارب السبعين تسبيحة، واعتداله مثلها، وسجوده مثلها واعتداله مثلها، وكان هذا دأبه رحمه الله حتى لقي ربه راضياً مرضياً.

الفقيه الأصولي، والسياسي الخبير

الدكتور الشيخ معروف الدواليبي "الحلبي الحجازي"

(١٣٢٤-١٤٢٤ هـ) (١٩٠٦-٢٠٠٤ م)

هو الشيخ العالم، الفقيه الأصولي، والسياسي الخبير الدكتور الشيخ معروف بن الشيخ محمد رسول الدواليبي الحلبي، المولود في حلب بعام ١٣٢٤/١٩٠٦م.

نشأته: نشأ هذا العالم الفذ في حلب في حي من أحيائها الإسلامية العريقة (الكلتاوية)، وتلقى تعليمه الأولي في مدارسها الابتدائية، ثم لما صار سنه مقبولاً للدخول في المدارس الشرعية انتسب للمدرسة الخسروية مع الرعيل الأول الذين التحقوا فيها بعد افتتاحها بعام ١٣٤٠هـ، فالتحق بها بعام ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م، وتخرج منها مع الفوج الثاني بعام ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م.

رفاقه: وكان من رفاقه طليعة علماء حلب ممن تخرجوا معه في القافلة الثانية من الخسروية، وكان وهو الشيخ ناجي أبو صالح يتسابقان على الأولية كفرَسي رهان، وكان قد سبقه رفاقه المشايخ محمد بلنكو ومحمد الحكيم، وعبد الله خير الله، وعبد الله حماد.

شيوخه: وتلقى العلم في الخسروية على خيرة علماء حلب الذين سنذكرهم في هذا الجزء، في الصفحة /٥٧/ وما بعدها، وكانت الخسروية تدرس أمهات العلوم كالفقه وأصوله، والحديث وقواعده ومصطلحاته، والتفسير وعلوم القرآن وتجويده والعقائد وعلم الكلام والمنطق، واللغة العربية وآدابها من نحو وصرف وبلاغة.

لقاؤه بالشيخ أبي النصر وصلته به: وكانت المدرسة الخسروية واحة غناء وروضة فيحاء لأحباب الشيخ أبي النصر ومريديه، فمن لم يكن من طلابها أو أساتذتها مريداً ملتزماً عند الشيخ أبي النصر، فإنه كان محباً صادقاً، وأخاً وفياً له؛ ومن الطبيعي أن يدعو طلابُ المدرسة

الملتزمون عند الشيخ أبي النصر زملاءَهم الذين يأنسون بهم حبَّ الطريق وأهله، وهكذا كانت دعوته من زملائه لمجالس الشيخ أبي النصر أوائل ما قدم لحلب بعد عام ١٩٢٠ م.

وتمت بيعة الشيخ معروف لشيخه أبي النصر وتلقى الأذكار والأوراد عنه، والتزم مجالسه، وتقدم لدى شيخه بخدمته ومحبته ولزوم مجالسه وكثرة الأوراد التي كان يلازمها، حتى أنه كان هو وزميله الشيخ محمد النبهان قد التزما الرياضة النفسية، وأقلاّ من النوم والطعام حتى صارا يزنان طعامهما ولا يجاوزان المقدار، والتزما جامع الكلتاوية (وكان شبه مهجور) ليقوما بالخلوة والعزلة عن الناس، في سبيل صفاء النفس والتفرغ للعبادة.

يقول أستاذنا الشيخ أحمد القلاش: أنا أشهد بعيني أن الشيخين النبهاني والدواليبي كانا في مجلس الشيخ أبي النصر – في دار حاج يوسف حموية بحلب – يأخذهما الحال والبكاء الشديد والوجد العظيم.

وسمعت من عمي الشيخ محمد سعيد المسعود، أنه رأى مراراً الشيخ معروف بين يدي الشيخ في حالة وجد وذهول عظيم واستغراق من أول المجلس حتى نهايته.

نشاطه العلمي: واستمر الشيخ معروف على هذه الحال من التزام مجالس الشيخ ومحبته والدفاع عن الطريق وأهله، ثم درَّس في المدرسة الخسروية لطلابها مدة من الزمن قبل أن يغادر حلب لمتابعة تحصيله العلمي، وفي غيابه كلفت الإدارة الشيخ محمد الجبريني ليدرس بدلاً عنه، ثم تابع دراسته في الحقوق بجامعة دمشق وحاز على الإجازة فيها سنة ١٩٣٥م، وارتأى أن يتابع التحصيل في بلاد الغرب، فحصل على الدكتوراه في الحقوق من جامعة السوربون في باريس ١٩٤٦م، ثم عين مدرساً في كلية الشريعة والحقوق في جامعة دمشق وصنف المصنفات المفيدة فيها.

وكان أستاذنا في السنة الأولى في كلية الشريعة بجامعة دمشق، يدرّس كتابه (المدخل إلى أصول الفقه)، و (المدخل إلى السنة الشريفة)، وهذان الكتابان لا نظير لهما في بابهما.

كما كان يدرس الحقوق الرومانية في كلية الحقوق، وألف فيها الكتب المفيدة مقارناً لها بالشريعة الإسلامية، كما له كتب أخرى، وبلغ مجموع كتبه سبعة عشر كتاباً.

وفي بداية الاستقلال عام ١٩٤٧م وجلاء المستعمر عن سورية استلم رئاسة وزراء سورية فترة من الزمن، ثم بعام ١٩٦١ بعد انتهاء الوحدة بين مصر وسورية أستلم رئاسة الوزارة مرة ثانية، وبعد عام ١٩٦٣م سافر إلى البلاد السعودية ليكون مستشاراً للملك فيصل، ولا زال هناك أمد الله بعمره مع العافية.

وفاته: توفي رحمه الله بعد إعداد هذه الترجمة في مدينة الرياض يوم الخميس ٢٢ ذو القعدة ١٤٢٤هـ، المصادف١٥ كانون الثاني ٢٠٠٤م، ثم نقل جثمانه إلى المدينة المنورة بيومها ودفن في البقيع الشريف، وقد نشرت الصحف السورية نعيه إلى الأمة العربية والإسلامية، وكذلك الصحف العربية والإذاعات رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

وترك من الأولاد ثلاثة: محمد ونوفل وهشام حفظهم الله، ومن الأشقاء محمود وعلاء الدين عافاهما الله وأمد بعمرهما مع العافية. آمين.

ومما اطلعت عليه هذه الترجمة في (موسوعة أعلام سورية) ج٢ ص٣٠٥:

معروف الدواليبي سياسي وحقوقي: ١٩٠٧ م: من مواليد حلب. نال شهادة العلوم الإسلامية والعربية من الكلية الشرعية في حلب "الخسروية"، كما نال إجازتين في الحقوق والآداب العليا من الجامعة السورية، وشهادة الدراسات العليا في الحقوق الرومانية، ودكتوراه في الحقوق من جامعة باريس، عمل أستاذاً للحقوق الرومانية في كلية الحقوق بجامعة دمشق، حاضر بمادة الحديث الشريف في كلية الشريعة بالجامعة السورية.

وعلى الصعيد السياسي فقد خاض معترك السياسة من عام ١٩٢٧م حين كان طالباً آنذاك، وفي عام ١٩٢٨م عين عضواً في المجلس الأعلى للكتلة الوطنية، ثم انتخب نائباً في الدور التشريعي عام ١٩٤٧م، وبعدها ساهم في تأسيس حزب الشعب بعام ١٩٤٨م، ثم فاز بالنيابة عن حلب عام ١٩٤٩م، ثم عين وزيراً للاقتصاد الوطني، ثم انتخب رئيساً لمجلس النواب عام ١٩٥١م، ثم عين رئيساً لمجلس الوزراء، وبعد يومين من استلامه الوزارة حدث الانقلاب، واعتقل وبقي في السجن حتى عام ١٩٥٣م، وذلك لعدم اعترافه بالحكم العسكري الواقع معتبراً نفسه صاحب السلطات التشريعية، وبعد زوال حكم الشيشكلي

عاد مع الرئيس هاشم الأتاسي إلى دمشق، وقدم استقالته من رئاسة الوزارة التي كان يعتبرها لا تزال قائمة حتى تاريخه.

عين وزيراً للدفاع الوطني في وزارة صبري العسلي، ثم فاز بالنيابة عن حلب ١٩٥٤م، وفي عهد الانفصال ١٩٦١م رشح نفسه للنيابة مجدداً، وأخذ أكثر الأصوات عن مدينة حلب، وأصبح رئيساً لمجلس الوزراء مرة ثانية. ثم بعد انتهاء عهد الانفصال غادر البلاد واستقر في السعودية مدرساً في جامعاتها، ومؤلفاً في أوقات فراغه، من مؤلفاته نذكر:

١- جزيرة العرب مهد الحضارة الإنسانية ٢- مبادىء الإسلام الدستورية في نواحي الحياة ٣- نظرات إسلامية في الاشتراكية الثورية.

المصادر: (عالمنا العربي: نعمة زيدان، فهرس المؤلفين بمكتبة الأسد الوطنية بدمشق).

وقد ترجم له عامر رشيد مبيض في كتابه الموسوعي: (مائة أوائل من حلب) ج١ ص١٧٨، وبعد أن ذكر جهاده الوطني، ونضاله السياسي، ومناصبه الحكومية، وكيف سجنه أديب الشيشكلي، وعودته للحكومة بعد الانقلاب على الشيشكلي، وأنه يشغل الآن (قبل وفاته) منصب مستشار خادم الحرمين الشريفين الملك فهد، ذكر أبرز مؤلفاته وتحقيقاته فقال:

من أبرز مؤلفاته: ١- المدخل إلى علم أصول الفقه ٢- المدخل إلى السنة وعلومها ٣- الاجتهاد في الحقوق الإسلامية ٤- الإسلام أمام الاشتراكية والرأسمالية (بالعربية والإنكليزية) ٥- نظرات إسلامية في الاشتراكية الثورية ٦- المدخل إلى التاريخ العام للقانون ٧- الوجيز في الحقوق الرومانية (جزآن) ٨- دراسات تاريخية عن مهد العرب وحضاراتهم الإنسانية ٩- قلعة طروادة التاريخية ١٠- نظرات إسلامية (أبحاث في الشريعة وحقوق الإنسان) ١١- نظريات النقد الأدبي عند العرب ١٢- القومية العربية في حقيقتها ١٣- موقف الإسلام من العلم ١٤- حقوق المرأة في الإسلام ١٥- من هم الإدريسيون ؟ ١٦- الدولة والسلطة في الإسلام ١٧- أكذوبة الأرض الموعودة لبني إسرائيل من الفرات إلى النيل (دراسة). كما ذكر تحقيقاته العلمية وبحوثه والمؤتمرات التي شارك فيها. اهـ.

مصادر الترجمة: (أعلام ومبدعون: عبد الغني العطري. مجلة الفيصل عدد ٢٤٨).

الداعية الفاضل، المحب لأهل الله

الشيخ عمر ملاحفجي "الشهير بأبي قبقابة"

(١٣٤٨هـ) (١٩٢٩ م) أمدَّ الله بعمره مع العافية

الشيخ الفاضل، والمحب الكامل، والرجل الأمثل بين الرجال، الذي قال عنه أستاذنا الشيخ عبد الله سراج الدين رحمه الله: محبوب أهل الله. صاحب الفراسة والكياسة والذكاء في التعرف على الأولياء والعلماء، وأهل الجذب من الصالحين، وأهل الكمال من العلماء العاملين، والوراث المحمديين، ومن له اليد الطولى في مساعي الخير، وإسعاف الفقراء والأرامل والمساكين، والعامل في سد حاجاتهم، وإعانة وإغاثة الملهوفين، والتعرف على مكامن الخير والمعروف عند أهل الفضل والجود، وإيصاله إلى أهله من ذوي الحاجة والعوز من فقراء هذه الأمة المرحومة.

ولد هذا الفاضل في مدينة حلب الشهباء بعام ١٣٤٨هـ، ١٩٢٩م، من أبوين كريمين، وفي حي من أحيائها المسمى بالطليعة بجانب بانقوسا، والده العالم الفاضل والطبيب اللوذعي، الشيخ محمد ملاحفجي الشهير بالشيخ القصير (أبي قبقابة) [1]، وكان والده من علماء حلب وأطبائها الذين شهروا بحلب بالطب الشعبي، ومن أهل الصلاح والاستقامة والفضل والشهامة.

ونشأ في حجر والده وتعلم منه الفضائل والكمالات، وقرأ القرآن الكريم في الكتّاب، ثم لما بلغ أشده درس في المدرسة الشعبانية على شيوخها الأفاضل من علماء حلب، أمثال العالم الرباني الشيخ محمد سعيد الإدلبي، والشيخ أحمد الحجي الكردي مفتي حلب، والشيخ

---

[1] المولود بعام ١٨٩١م والمتوفى بعام ١٩٥٠م. له ترجمة في كتاب (حلب في مائة عام) للمهندسة الدكتورة نجوى عثمان ج١ص١٦٦.

أسعد العبه جي، والشيخ عبد الله سلطان، والشيخ نجيب خياطة، والشيخ عبد الرحمن زين العابدين. ولما لم يتعايش الحال الذي كان يدنيه من أهل الجذب، مع العلم الذي يقربه من أهل الصحو، لم يكمل العلم في المدرسة وإنما أكمله كمالات وفضائل تلقاها من صحبة العلماء العاملين، وخدمة العارفين الربانيين، والأولياء المحمديين من أهل الصحو وأهل الجذب، فطوى كتب العلم التي تلقن المسائل بالنظر والسهر، وفتح صحائف الرجال الذين يكتسب منهم بالصحبة والمحبة، وتعلق بهم وأحبهم وصاحبهم.

صلته بالشيخ أبي النصر: وكان على رأس من تعلق بهم من العلماء والعاملين والوارثين الربانيين صاحب ذلك الوقت مولانا الشيخ محمد أبي النصر؛ ويحدثنا بنفسه عن ذلك فيقول:

أول ما تعلقت بالشيخ أبي النصر ورأيته عندما كان في حلب، ووقع حبه في قلبي، ولما قررت أخذ الطريق عنه (عهد المبايعة على الاستقامة على شرع الله وذكر الله) كان عمري ١٨ عاماً، ولكن الشيخ رجع إلى حمص، فما العمل ؟ فقررت أن أذهب إلى حمص من أجل ذلك، فتوجهت إلى حمص بصحبة الشيخ بشير منصور رحمه الله تعالى، وكان الشيخ بشير من أحباب الشيخ وممن أخذ عنه الطريق، فذهبنا إلى حمص لزيارته أنا والشيخ بشير، ولما وصلنا حمص وسألنا عن الشيخ قالوا لنا: إنه في حماة، واسألوا عنه الشيخ أحمد سليم المراد (أمين فتوى حماة، وكان المفتي آنذاك الشيخ سعيد النعسان). ووصلنا حماة وصلينا العصر في جامع المسعود عند الشيخ أحمد سليم المراد، فقال لنا: إن الشيخ أبا النصر في منـــزل الحاج خالد الراس. فذهب معنا الشيخ محمد علي المراد وتوجهنا نحن الثلاثة إلى المنـــزل حيث الشيخ، وكان الشيخ محمد علي المراد منتسباً للأزهر، وكان في أول شبابه، وسلمنا على الشيخ في بيت ضيافة الحاج خالد، وكان الشيخ محمد الحامد ذا لحية سوداء، وفي عز شبابه أيضاً قائماً يفتل في المجلس حيث أبو حسن النداف ينشد بأنغامه الرائعة، إذ كان فقيهاً في الإنشاد ويعطي المجلس حقه.

وبعد السلام على الشيخ قلت له: أريد أن أتلقن الطريق. فالتفت إلى مرافقي الشيخ

بشير منصور وقال له: لقنه الطريق. فقلت للشيخ: أريد منك أنت أن تلقنني من يدك. فقال لي: روح جدبه، ولقنه الطريق يا شيخ بشير، فإنني وكلته بذلك. فلقنني، وكان الشيخ بشير تاجراً ومن أهل الصلاح والمحبة، وكان من زملائه لدى الشيخ الحاج عبد الرحمن برصة، رحمهم الله جميعاً وكان فاضلاً محباً.

وكان مجلس الشيخ في حماة يزينه جمهور كبير من علماء حماة وأفاضلهم: الشيخ أحمد سليم المراد، الشيخ شامل المراد، الشيخ ظافر المراد، الشيخ صالح النعمان، الشيخ عبد الله حلاق، إذ كان معظم علماء حماة من إخوان الشيخ أبي النصر.

ومما ذكره لنا عمنا الشيخ عمر قال: زرت الشيخ مرة في حمص ونمت في الزاوية، وكان هذا أول شبابي، فلزمني غسل، واحترت ماذا أصنع ؟ وإذا بالشيخ أبي النصر يوقظني قبل صلاة الفجر، وأعطاني أجرة الحمام، وقال لي: اذهب إلى الحمام ثم أدرك صلاة الفجر في الجامع الكبير واحضر الختم. ففعلت، وكان يدير الختم أثناءها الحاج أحمد ويس، رحم الله الجميع.

وكذلك فعل مع أخي الشيخ بكري، حيث كان مسافراً معه، فاستيقظ إحدى الليالي جنباً فأيقظه الشيخ وقال له: قم فاغتسل.

ولازم عمنا الشيخ عمر مجالس الشيخ أثناء حضوره المعتاد إلى حلب، وأحب الشيخ وكل من له علاقة بالشيخ، ثم عين خطيباً لجامع السجن وصار عنده فقه ودراية بأحوال المساجين، وصار عنده أيضاً نفاذ إلى قلوبهم بحسن مخاطبته ولباقته في التحدث إليهم، وتاب الكثير منهم على يديه، وعرفوا له الفضل.

ثم لازم شيخنا محمد النبهان، وأحبه وأحب علماء حلب جميعاً وبالأخص منهم الشيخ عبد الله سلطان، وصاحبه وسافر معه ولزمه فترة طويلة، وأحب محبوب شيخنا أبي النصر (عمنا أبو طاهر) الشيخ مصطفى غزال وأكثر من زياراته وإكرامه.

وكان مع هذا كله محباً مواصلاً لسيدي الوالد الشيخ محمد علي المسعود، زوّاراً له، إن تأخر قدومه إلى حلب سافر الشيخ إليه ليبل شوقه منه، ويحظى برؤياه والجلوس معه.

وكذلك صار له تعلق بكل العلماء الفاضلين، والرجال الكاملين من أهل الصحو والكمال، وأهل الجذب والحال.. ورزق بولدين أكرمهما الله سبحانه بطلب العلم في المدرسة الكلتاوية ثم تابعا دراستهما في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة وهما من أهل الفضل والفطانة والنباهة والتقوى: الشيخ محمد ضياء الدين والشيخ عبد الله عز الدين، متع الله بهما وحفظهما ذخراً وقرة عين لوالديهما.

وقد أصهر إلى الرجل الصالح العالم الفاضل الشيخ محمد منلا التركي، الشهير (بكوجك منلا)، الذي هاجر من تركية واستقر أخيراً في الباب وتوفي فيها بعام ١٩٨١م، فتزوج الشيخ عمر ابنته، ثم أكرمه الله سبحانه بحج بيت الله الحرام وإيصال الصدقات والهبات إلى فقراء المدينة منذ عام ١٩٦٥ وحتى عام ١٩٨٠ م، حيث أقام في المدينة هو وعياله وأولاده، وصار مدرساً لسجن المدينة إلى أن تقاعد من هذه الوظيفة.

ولا زال مقيماً في المدينة المنورة ويزور حلب صيف كل عام، متع الله به وعافاه وحشرنا وإيّاه مع حبيبنا المصطفى ﷺ وآله وأحبابه.

تراجم العلماء الحلبيين

القسم الأول: أكابر علماء حلب ومدرسوها في القرن الماضي وخريجو المدرسة الشرعية "الخسروية"

القسم الثاني: مريدو الشيخ أبي النصر الحمصي النقشبندي

ويتضمن القسم الأول تراجم مختصرة لأكابر علماء حلب ومدرّسيها في القرن الماضي، وهم شيوخ المدرسة الخسروية.

يليه سرد لأسماء خريجي المدرسة الشرعية "الخسروية" من القافلة الأولى التي تخرجت عام ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦م، إلى القافلة السابعة عشرة التي تخرجت عام ١٣٦١ هـ - ١٩٤٢م.

وأمّا القسم الثاني فيتضمن تراجم مريدي الشيخ أبي النصر الحمصي النقشبندي من علماء حلب الكرام.

القسم الأول

أكابر علماء حلب ومدرّسوها في القرن الماضي

وبما أن المدرسة (الخسروية) تخرج منها أكابر العلماء، وكان معظم الخريجين من تلامذة ومريدي شيخنا المربي الكبير والعالم الرباني الشهير سيدي **محمد أبي النصر خلف الحمصي** النقشبندي، وكان الطلاب يفدون إلى المدرسة الخسروية من كافة أنحاء سورية وينهلون من معين علمائها، ويتخرجون على أيديهم ثم يعودون إلى مدنهم وقراهم؛ قال تعالى:﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (١٢٢: التوبة)، فقد رأيت أن أذكر لمحة عن المدرسة الخسروية وسيرة موجزة لعلمائها الذين درَّسُوا فيها وخرَّجوا هذه الثلة المباركة من العلماء الذين سيمر معنا ذكرهم وتراجمهم، وذكر شيوخهم في المدرسة الخسروية فيما يلي من هذا الجزء.

المدرسة الخسروية:

بنيت هذه المدرسة مع جامعها من قبل والي حلب الوزير خسرو باشا رحمه الله تعالى المتوفى عام ٩٥٢هـ ١٥٤٥م. وقد وقف لها بانيها أوقافاً عظيمة في حلب وعنتاب ودمشق، وشرط الواقف أن يكون المدرس فيها حنفي المذهب، وأول من درس فيها العلامة تاج الدين إبراهيم الصونوي، ثم مفتي حلب العلامة نصُح أفندي بن يوسف الأرنؤوطي، المتوفى عام ٩٨١ هـ، ثم تعاقب المدرسون عليها.

وبعد حصول الزلزلة العظمى بحلب ١٢٣٧هـ - ١٨٢١م اختلَّ أمر التدريس فيها وأهمل أمر هذا الجامع وما اشتمل عليه، وصار مأوى للغرباء والفقراء والعسكر في بعض

الأحيان، وصارت الحُجَر التي فيه تتداعى إلى الخراب، وبقي ذلك الحال إلى أول هذا القرن (الرابع عشر) فاهتم جميل باشا والي حلب بشأنها بعض الاهتمام ورمَّمْ قبلية الجامع وذلك في ١٣٠٢هـ - ١٨٨٤م. ثم أخذ في ترميم المدرسة الشيخ رضا الزعيم الدمشقي رحمه الله، وجدد حجر المدرسة والرواق الشمالي جميعه على الهيئة التي نراها اليوم وذلك بعام ١٣٣٠هـ - ١٩١١م.

ولما صارت الحرب العالمية سنة ١٣٣٣هـ ١٩١٤م شغل المكان بالعساكر والذخائر كما شغل غيره من المساجد والمدارس والمعابد، ثم شغل بعد انتهاء الحرب العالمية ١٣٣٧-١٩١٨م ببعض فقراء المغاربة والجراكس، وصاروا يتخذون أطعمتهم داخل الحجر فاسودت جدرانها من الدخان والأوساخ.. وداخلَ البناءَ بعض الوهن [١].

قال المؤرخ الشيخ راغب الطباخ: (ولما تولى دائرة أوقاف حلب الرجل الهمام السيد يحيى الكيالي فإنه وفقه الله لما ألقيت عليه مقاليدها واستلم زمامها بادرت إلى مذاكرته في هذا الشأن - افتتاح المدرسة الخسروية وجعلها كالمدارس الرسمية في التعليم والنظام والامتحان وغيره - فألقى سمعه إليه وأقبل بكليته عليه... ولم يمض بضعة أسابيع وإذا به أبرز هذا المشروع الجليل لحيِّز الفعل وأعلن افتتاح المدرسة الخسروية، وعين لها أساتذة وصار الطلاب يهرعون إليها من الشهباء وما حولها، وكان افتتاحها في أوائل سنة ١٣٤٠هـ -١٩٢١م ووضع لها نظاماً خاصاً، وعين لجنة دعيت المجمع العلمي برئاسة مفتي حلب الشيخ عبد الحميد الكيالي، بحثت في هذا النظام ثم صادقت عليه) [٢].

هذا وبعد الرجوع إلى سجلات المدرسة الخسروية فقد دون في أول سجل الطلاب الخريجين أسماء الأساتذة المدرسين آنذاك والمواد التي يدرسونها مع رواتبهم، وإليك أسماءَهم كما وردت، ونحن نثبتها من ذلك السجل، وقد ترجمنا لكل مدرس وقع في علمنا أنه درَّس فيها حتى نهاية القرن الرابع عشر تقريباً:

---

[١] أعلام النبلاء: للطباخ، ج٣ ص١٥٧- ١٦١، مختصراً.

[٢] أعلام النبلاء: ج٣ ص١٦١.

مدرس الفقه الشافعي: الأستاذ عمر المرتيني.

مدرس الفقه الحنفي: الأستاذ أحمد الزرقا، ولوفاته عين ولده الشيخ مصطفى الزرقا.

مدرس النحو والبلاغة: الأستاذ محمد الناشد.

مدرس الفقه الشافعي والنحو: الأستاذ أسعد العبه جي.

مدرس التوحيد والمنطق: الأستاذ فيض الله الكردي (الأيوبي).

مدرس الأصول: الأستاذ أحمد الحجي الكردي (الجد).

مدرس الصرف والنحو: الأستاذ عبد الله حماد.

مدرس السيرة والحديث: الأستاذ راغب الطباخ.

مدرس الحساب والجغرافيا: الأستاذ أبو السعود كيالي، فؤاد قسطلي، أمين الله عيروض.

مدرس التفسير الأستاذ: أحمد الشماع.

مدرس الفقه الشافعي: الأستاذ محمد سعيد الإدلبي.

مدرس الفقه الحنفي: الأستاذ ابراهيم السلقيني (الجد)

مدرس الإنشاء: الأستاذ كامل الغزي، محمد الحكيم.

مدرس الفرائض: عبد الله عبد المعطي، مصطفى باقو، نجيب الآلا (محمد نجيب خياطة)

مدرس الأخلاق: الأستاذ عيسى البيانوني.

مدرس القرآن والتجويد: الأستاذ عمر المؤذن.

مدير المدرسة ومدرس الإملاء: الأستاذ مصطفى باقو.

حافظ المكتبة: الأستاذ كامل الغزي.

مدرس القرناصية: الأستاذ محمد صالح بن وحيد الملاح.

مدرس الإسماعيلية: الأستاذ أحمد شهيد.

كما درس فيها أيضاً السادة: أحمد المكتبي، ناجي أبو صالح، نعمان السخيطة (مديراً)، محمد الجبريني، محمد بلنكو.

وممن درس فيها أيامنا بعد عام ١٩٥٢هـ إضافة إلى المذكورين أعلاه السادة: طاهر خير الله (مديراً)، عبد الفتاح أبو غدة، محمد الملاح، محمد السلقيني، محمد أبو الخير

زين العابدين، عبد الوهاب سكر، عبد الرحمن زين العابدين، محمد فوزي فيض الله، بكري شيخ أمين، حسن رزوق، عبد السلام طويلة، مصطفى سرميني، عاكف حبال، والأربعة هؤلاء مع **أدهم زهدي** كانوا موجهين ليليين ونهاريين أيضاً.

ثم بعد إلحاق المدرسة الشعبانية بها عام ١٩٦٠ م، درس فيها السادة: **أحمد القلاش، بكري رجب، عبد الله سراج الدين، محمد علي الصابوني، ضياء الدين الصابوني، محمد الحموي، إبراهيم السلقيني (مديران).**

وكان يوقع على شهادات الخريجين مدير المدرسة الخسروية ومدير الأوقاف، ومفتي حلب، والقاضي الشرعي، بالإضافة إلى الأساتذة المدرسين المذكورة أسماؤهم أعلاه، وغيرهم ممن نذكرهم أدناه أيضاً.

وهذه تراجم مختصرة أثبتناها، استغناءً عن ذكرها عند كل ترجمة من تراجم العلماء الذين ذكرناهم في هذا الجزء من تلامذة ومريدي شيخنا أبي النصر رحمه الله تعالى:

١- الشيخ عبد الحميد الكيالي (الطيار):

الشيخ عبد الحميد بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد طاهر بن محمد الطيار، وينتهي نسبه إلى سيدنا رسول الله ﷺ، عالم فقيه، ووجيه فاضل من بيت علم وأدب ووجاهة في حلب.

ولد في حلب بعام ١٢٤٥هـ - ١٨٧٦م ونشأ في أسرة علم وديانة، وأخذ مبادىء علومه وأسس أخلاقه على والده وجده، ثم التحق بالمدرسة الشعبانية، وتلقى العلم على كبار شيوخها، وكان أكثرهم تأثيراً عليه الشيخ محمد رحيمي الجذبة.

تابع العلم في الأزهر الشريف، ثم عاد إلى حلب، ودرَّس في جامع العمري ١٣١٦هـ، ثم في جامع الحاج موسى الأميري ١٣٢٥هـ، ثم إماماً وخطيباً فيه ١٣٣٠هـ إلى وفاته، ثم في المدرسة الشعبانية ١٣٤٠هـ، وعين عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق ١٣٤٥هـ، ورئيساً للجنة المجمع العلمي بحلب التي مهمتها إصلاح المدارس الشرعية ووضع أنظمة لها، بتكليف من مدير أوقاف حلب الشيخ محمد يحيى الكيالي، ثم عضواً في مجلس الأوقاف العلمي والإداري بموجب مرسوم تشريعي مؤرخ ١٩٣٤م. ثم مفتياً لمنطقة

جبل سمعان ١٣٣٨هـ-١٩١٩م، ثم مفتياً لمدينة حلب ١٣٤١هـ - ١٩٢٢م بعد وفاة مفتيها الشيخ محمد العبسي، وذلك بموجب انتخاب كان يجري لانتقاء ثلاثة من العلماء يختار أحدهم من قبل السلطات مفتياً، وقد نال هو ٤١ صوتاً، والشيخ نجيب سراج الدين ٣٦ صوتاً، ومحمد الحنيفي ٣١ صوتاً، وبعام ١٣٤٩هـ - ١٩٣٠م صدر قانون وزاري بإسناد منصب الإفتاء إليه بشكل رسمي. وقد عمل الشيخ أثناء توليه منصب الإفتاء على خدمة الإسلام والمسلمين داخل وخارج الوطن، ومساعدة الفقراء ودعم المساجد وعمارتها وتولى بنفسه الإشراف على لجنة جمع التبرعات لإعادة بناء وترميم المسجد الأقصى بناءً على طلب مفتي القدس، وأسهم في جمع التبرعات الوفيرة لبناء جامع باريس.

كريم النفس، واسع الحلم، متواضع، يسعى في إصلاح ذات البين، ظل قائماً على الإفتاء أكثر من ثلاثة عقود إلى أن توفي بحلب ٢٠ شوال ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م، ودفن في مقبرة الصالحين [١].

٢- الشيخ محمد يحيى الكيالي:

هو الشيخ يحيى أبو السعود بن عبد القادر الكيالي المولود في إدلب ١٣٠١هـ - ١٨٨٣م، تخرج من المدارس الحكومية أيام الدولة العثمانية وعين في وزارة المعارف معلماً ثم مفتشاً، وفي عهد الإنتداب الفرنسي مديراً لأوقاف حلب. ترك آثاراً خالدة في حلب، وخدمها عندما كان مديراً للأوقاف، وهو أول من أحيا المدرسة الخسروية بحلب عام ١٣٤٠هـ - ١٩٢١م ووضع لها نظاماً ولجنة علمية برئاسة ابن عمه مفتي حلب عبد الحميد الكيالي، وأحياها بالعلوم والمعارف وجعلها أزهر البلاد السورية، وانتقل من حلب إلى بيروت رئيساً لدائرة الاوقاف فيها، وعمل أعمالاً خيرية لا تحصى من إنشاء مساجد ومعاهد وسبل وتنظيم للتعليم الشرعي وغيرها من المآثر في الجامع الكبير وكذلك جامع الإسماعيلية. توفي ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م بحلب [٢].

---

[١] تاريخ الإفتاء في حلب: محمد عدنان كاتبي، ص٢٦٦-٢٧٠. ومائة أوائل من حلب: عامر مبيض، ج١ص٢٦٨.

[٢] مائة أوائل من حلب: لعامر رشيد مبيض، ج١ ص ٣٠٤-٣٠٧.

٣- الشيخ مصطفى باقو:

هذا العالم العارف الورع هو الشيخ مصطفى بن محمد بن مصطفى آغا باقو البيرقدار بن ابراهيم آغا باقو، ولد في حلب ١٢٨٠هـ - ١٨٦٣م، وتوفي والده حاجاً في الديار المقدسة، وكان عمره عشرون عاماً فكفل الشيخ إخوته الصغار، وحصل علومه الشرعية في المدرسة الشعبانية بحلب ونبغ في الفقه والفرائض، ثم عمل في المدرسة الخسروية مدرساً ثم مديراً لها. توفي بحلب ١٣٥٥هـ ١٩٣٦م ودفن فيها [١].

٤- الشيخ أحمد المكتبي الكبير:

الشيخ أحمد بن الحاج مصطفى المكتبي العالم العامل والجهبذ الكامل، المحدث النحوي، الأصولي فقيه الشافعية في الديار الحلبية، ولد في حلب عام ١٢٦٣هـ، وأول من تلقى عنهم العلم: الأستاذ الكبير الشيخ أحمد الترمانيني، والشيخ شهيد الترمانيني، والشيخ اسماعيل اللبابيدي، والشيخ عبد القادر الحبال.

توجه إلى مصر سنة ١٢٨٠هـ وتلقى علومه في الأزهر عن أكابر علمائه كالشيخ الإنبابي، والخضري، والشيخ أحمد الأجهوري، والشيخ ابراهيم السقا، وغيرهم ، وعاد إلى حلب ١٢٩٠هـ ولازم المدرسة العثمانية أربع سنين، ثم ذهب إلى دمشق فدخل المدرسة المرادية خمس سنين لازم فيها فضلاء علماء الشام، وكان من رفاقه في الحضور محدث الشام الشيخ بدر الدين الحسني، ثم ذهب إلى مصر عام ١٢٩٩- ١٣٠٥هـ، ثم عاد إلى حلب ودرَّس في مدارسها وجوامعها ومن أهمها الدليواتية، ثم في الخسروية أخيراً. له مؤلفات. توفي في حلب ١٣٤٢هـ ودفن فيها [٢].

٥- الشيخ محمد أسعد العبه جي:

الشيخ محمد أسعد بن الحاج أحمد بن الحاج سعيد العبه جي، الحلبي الشافعي، مفتي

---

[١] مائة أوائل من حلب: ج١ ص٢٥٥.

[٢] أعلام النبلاء: ج٧ ص٦١٧-٦١٩.

الشافعية بحلب. علاّمة محدث، فقيه أصولي شافعي، نحوي، بلغ مرتبة في هذه العلوم تقاصر عنها كثير من أقرانه. ولد بحلب بعام ١٣٠٥هـ - ١٨٨٧م، ونشأ في أسرة تحب العلم، فتعلم القرآن الكريم ومبادىء الكتابة والحساب، والعلوم العربية والشرعية في أحد كتاتيب المدينة، ثم راح يتنقل بين مدارسها العلمية، ويأخذ العلم على أشياخها الكبار، وفي المدرسة الدليواتية درس على الشيخ أحمد المكتبي ولزمه وأخذ عنه الفقه والحديث والتفسير، ثم أجازه إجازة عامة بما أجازه شيوخه في الأزهر.

وفي الشعبانية تلقى العلم عن الشيخ محمد الكلاوي وأخذ عليه الفقه الشافعي فروعه وأصوله، وفي العثمانية أخذ عن الشيخ محمد الحنيفي والشيخ بشير الغزي الفقه وعلوم اللغة العربية وغيرها من العلوم النقلية والعقلية، وحضر في الجامع الأموي الكبير حلقات الشيخ محمد العالم، كما التقى الشيخ بدر الدين الحسني محدث الشام وأجازه بالصحيحين البخاري ومسلم. عمل مديراً للمدرسة الإسماعيلية - بجانب القلعة - سنة ١٣٤٠هـ ١٩٢١م، ثم ناظراً للمدرسة الخسروية بعد إعادة تنظيمها عام ١٣٤٤هـ - ١٩٢٥م.

ثم تولى تدريس النحو والبلاغة والفقه الشافعي فروعه وأصوله، ثم أسند إليه تدريس الفقه الشافعي في المدرسة الشعبانية، ثم بعام ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م صدر قرار رئاسة مجلس الوزراء بتعينه مفتياً للشافعية في حلب. ثم تخلى لكبر سنه عن التدريس والإمامة وبقى على الإفتاء حتى وافته المنية، وكان يلازم دار الإفتاء للرد على أسئلة المستفتين.

ترك مؤلفات منها: اتحاف المريد في علم التجويد، رسالة في المقادير الشرعية على المذهب الشافعي، سلم الوصول إلى علم الأصول، حاشية على كتاب غاية الوصول شرح كتاب لب الأصول. كان جميل الطلعة منور الشيبة ربعة بين الرجال، عليه هيبة العلماء، ووقار المحدثين، شديد الخوف من الله. توفي في حلب ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م ودفن فيها في مقبرة الشيخ سعود [1].

---

[1] تاريخ الإفتاء في حلب الشهباء: ص ٢٧١-٢٧٥ باختصار. ومائة أوائل من حلب: ج١ ص٣٠٩.

أقول: أكرمني الله سبحانه بأن كان من أساتذتي في المدرسة الخسروية وبتقبيل يده مراراً، ولازم آخر عمره مجلس تلميذه شيخنا محمد النبهان، وكان يكرمه ويجلّه ويجلسه بجانبه.

٦- **الشيخ محمد الحنيفي:**

العلامة المفسر، المتكلم النظّار، الشيخ محمد الحنيفي بن محمد خير الدين، المولود بحلب ١٢٩٢هـ - ١٨٧٥م، والمتوفى بجدة ١٣٤٢هـ - ١٩٢٣م، رحمه الله تعالى.

تتلمذ على العلامة الشيخ محمد الزرقا بن عثمان علامة حلب وفقيهها الحنفي الكبير ومحدثها القدير الذي بلغ في العلوم العربية والشرعية والنقلية شأواً لم يبلغه أحد من أقرانه [١].

التحق الشيخ محمد الحنيفي بالأزهر وجاور فيه أربع سنوات، وتخرج على علمائه، وقرأ على شيخ الديار المصرية الشيخ محمد بخيت المطيعي في التوحيد والأصول، وقرأ على الشيخ محمد عبده رسالته في التوحيد، وكثيراً من التفسير، ثم عاد إلى حلب سنة ١٣١٨هـ ليكون من رواد الإصلاح، ومن الرعيل الأول الذين قاموا بالتدريس في الخسروية أول نشأتها، فكان يدرس فيها التفسير والتوحيد والبلاغة [٢].

أقول: وهو بهذا قد زامل الجد الشيخ محمد المسعود في الأزهر الشريف. ودرس في العلوم العربية في دور المعلمين والمعلمات بحلب، يقول عنه زميله الشيخ راغب الطباخ في تاريخه: (كان حسن الخلق محمود السيرة صافي القلب شريف النفس سامي المبدأ ناصحاً في دينه، لا يجد الغش مسلكاً إلى قلبه ولا الخداع وطناً في فؤاده، رقيق الطبع حسن العشرة، وكان له في علم التوحيد والتفسير والأصول والفقه والمعاني والبيان اليد الطولى، مع حسن التقرير والفهم، أجمع من قرا عليه أن تقريره يدخل الآذان بلا استئذان، وكان ذاهمة عالية في دروسه، لا تجده إلا في مطالعة أو إلقاء لها لايعرف الكلل ولا الملل)، وعدَّ الطباخ مؤلفاته التي وصلت (١٥) مؤلفاً، ومات بجدة بعد عودته من الحج، وأقيم له عزاء في حلب، ورثاه تلميذاه محمد الحكيم ومصطفى الزرقا بقصيدتين ذكرهما الطباخ في تاريخه ج٧ ص٦٢٣-٦٢٤.

---

[١] راجع ترجمته في تاريخ الإفتاء في حلب الشهباء، ص٢٥٦ وما بعد. ولد ١٢٥٨هـ وتوفي ١٣٤٣هـ.

[٢] من مقدمة فتاوى مصطفى الزرقا بعناية محمد مكي ص ٢٨.

٧- الشيخ أحمد بن الشيخ محمد الزرقا:

العلامة الفقيه الكبير المولود ١٢٨٥هـ والمتوفى ١٣٥٧هـ. كان فقيهاً، لا يكاد يوجد كتاب من كتب الفقه وأمهاته الأولى إلا ودرسه دراسة، بل وحرثه حراثة، ولا يعلم مثله بعد والده الشيخ محمد في سعة الاطلاع، وجودة الفهم، ودقته في النظر في تخريج وتنـزيل المسائل والحوادث على القواعد.

درّس في الخسروية وفي جامع آل الأميري (الخير) والجامع الأموي الكبير بحلب، وفي الشعبانية درس حاشية ابن عابدين خارج الدروس النظامية، وكان يحضر دروسه من العلماء مَنْ منهم في سنه، وكان يقضي الليالي الطوال في مدارسة الفقه، ونقاش الطلبة، ومنهم ولده مصطفى، وكانت تبلغ بهم المناقشة أحياناً إلى التشاد، وكلّ يدلي بدليله، وطريقة فهمه، وقد ينحاز الوالد إلى رأي ابنه بعد طول جدال، وقد ينحاز الابن إلى رأي أبيه أخيراً، وكان الوالد يشجع ولده (مصطفى) على النقاش والجرأة في إبداء الرأي، ويدربه على استخلاص الأحكام من خلال الأدلة والحجج.

وقد كان الشيخ أحمد ذا ولع شديد بالأدب والشعر، ولم يعرف عنه أنه مارس نظمه، ولم تكن مذاكرته كلها في حقول الفقه، بل كانت متنوعة الأشكال، متعددة الألوان، وربما أمضى الوالد والولد الساعات والأيام والليالي في مطالعة كتب الأدب. (مقدمة فتاوى الزرقا ص٢٨).

٨- الشيخ محمد راغب الطباخ:

المحدث المؤرخ المترجم، العلامة الشهير محمد راغب ابن الحاج محمود هاشم بن السيد أحمد بن السيد محمد المعروف بالطباخ، محدث الديار الحلبية وخادم السنة المحمدية، مؤرخ حلب وفقيهها الحنفي.

ولد بحلب ١٢٩٣هـ - ١٨٧٦هـ، ونشأ في كنف أبويه وحفظ القرآن الكريم وعمره ٨ سنوات، وتعلم الكتابة على الخطاط الشيخ محمد العريف، ثم دخل المدرسة المنصورية في محلة الفرافرة ١٣٠٤هـ - ١٨٨٦م ونال شهادتها ١٣٠٦هـ، وجلس في دكان والده كاتباً ومحاسباً، وحج بعام ١٣٠٧ بصحبة والده، ثم صار يتردد إلى المدرسة

(الشعبانية) وهو في دكان والده وذلك بعام ١٣٠٨هـ فتعلم مبادىء العلوم على شيوخها، ولما توفي والده بعام ١٣٠٩هـ اضطر إلى ترك التردد إلى المدْرسة الشعبانية، وصار يحفظ متون العلم وهو في دكان والده.

ولما حجت والدته بصحبة أخيها بعام ١٣١٠هـ دعت له عند البيت الحرام ، بالمثابرة على طلب العلم فعمل بوصيتها وازداد حفظاً ومطالعة للعلوم العربية والشرعية والعقلية، فأجازه أشياخه الذين قرأ عليهم في المدرسة الشعبانية: الشيخ محمد كلزية، والشيخ خالد الجزماتي وغيرهم، وبرع في العلوم الشرعية والعربية والعقلية، وعين في مجلس معارف ولاية حلب، وانصرف إلى تدريس اللغة العربية والعلوم الدينية في مدرسة شمس المعارف بحلب.

ولما افتتحت المدرسة الخسروية انتدب لتدريس السيرة النبوية والحديث الشريف والتاريخ والثقافة الإسلامية فيها، ثم سعى إلى تعديل برامجها بما يوافق العلوم العصرية وسميت بعد ذلك (الكلية الشرعية)، وكان هذا بعام (١٣٦٥هـ - ١٩٤٥) وعين على إثرها مديراً للمدارس العلمية بما فيها المدرسة الخسروية التي صارت (الكلية الشرعية).

انتخب عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق، وعضواً في جمعية الآثار القديمة، وعضواً في اللجنة الإدارية للمتحف الوطني، وعضواً في جمعية المعارف النعمانية بحيد آباد الدكن (الهند)، ثم رئيساً لرابطة العلماء بحلب حتى وفاته بعام ١٣٧٠ هـ - ١٩٥٠م.[١].

وقد ترك كثيراً من المؤلفات العلمية وساهم في طبع كثير من كتب الحديث والأدب في مطبعته العلمية وأنجز الموسوعة التاريخية الرائعة عن حلب الشهباء التي سماها (أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء) في ٧ مجلدات، أعيد طبعه أخيراً بعام ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

وكان ذا ولع كبير بكتب الحديث ومخطوطاته، وله تتبع في مخطوطات التاريخ والسيرة النبوية... هذا إلى تنور في الفكر، وانفتاح على حاجات الزمن، كشأن شيخنا الحنيفي (كما يقول الأستاذ مصطفى الزرقا عنه)[٢].

---

[١] عن: نخبة من أعلام حلب، للشيخ عبد الرحمن الويسي باختصار، ص ٧٦٩- ٧٧٢.

[٢] من مقدمة فتاوى الزرقا بعناية محمد مكي، ص٢٩. ومائة أوائل من حلب ص١٦٩-١٧٣.

٩- الشيخ أحمد حجي الكردي:

الشيخ أحمد بن محمد عساف الكردي الحلبي، الحنفي، عالم علامة، وفقيه أصولي متبحر، ونحوي، أستاذ قل نظيره.

ولد في قرية تلعرن جنوب شرق حلب ٢٠ كم تقريباً، بعام ١٢٩٧هـ - ١٨٧٩م [١]، لأب صالح ربا على المائة عمره، ونشأ على التقوى والصلاح وأخذ مبادىء القراءة والكتابة على شيخ كتاب قريته، الذي أشار على والده أن يرسله إلى طلب العلم.

لازم المدرسة العثمانية ودرس على شيوخها الشيخ بشير الغزي، والشيخ حسين الكردي، والشيخ محمد الكلاوي، ثم لازم المدرسة الشعبانية، والقرناصية، والاسماعيلية، والأحمدية، وبعد أن تم تحصيله غدا قبلة العلماء وطلاب العلم يستفتونه ويأخذون عنه.

ثم انصرف للتدريس ونشر العلم، فكانت له دروس في النحو والفقه والأصول والمنطق والتوحيد في المدرسة العثمانية والخسروية والاسماعيلية، وقد كان الشيخ محباً للتدريس يحضّر دروسه تحضيراً جيداً، ويؤثر في طلابه تأثيراً بيناً، وربما امتد درسه ساعات متوالية فلا يشعر طلابه بالملل والسآمة، أحبه طلابه كثيراً، وأحبهم هو، وكان يعاونهم بكل ما استطاع [٢].

تولى المناصب التالية: أول منصب: كاتب في المحكمة الشرعية أربع سنوات، ثم بعدها مدرساً في دار المعلمين بحلب للعلوم العربية لمدة سنة، ثم بعدها رئيساً لكتاب محكمة قاضي القضاة في حلب، ثم أميناً للفتوى لدى المفتي الشيخ عبد الحميد الكيالي عام ١٣٤٠هـ ١٩٢١م إلى عام ١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م، وبعد تقاعد المفتي الكيالي انتخب مفتياً لحلب حتى وفاته عام ١٣٧٣هـ - ١٩٥٣م، وصار بهذا عضواً في مجلس الإفتاء الأعلى.

وعندما أسست المدرسة الخسروية بعام ١٣٤٠هـ عين فيها مدرساً لمادتي الفقه الحنفي والتوحيد، بالإضافة إلى عمله كأمين للفتوى وبقي فيها ست سنوات استقال بعدها، وبعام

---

[١] ذكر زميلنا الأستاذ أحمد حجي الكردي حفيده تاريخ ولادته بما ذكرته أعلاه، وهو أثبت، خلافاً لما ذكره الأستاذ عدنان كاتبي: ١٢٩٩هـ - ١٨٨٢ م.

[٢] تاريخ الإفتاء ٢٦٠-٢٦٥ باختصار.

١٣٥٣هـ-١٩٣٤م عين رئيساً لمجلس الأوقاف الإداري بحلب، ولما توفي الشيخ علي العالم الكيالي بعام ١٣٦٤هـ-١٩٤٤م عين بدلاً منه مدرساً للفقه الحنفي في المدرسة العثمانية، واستمر في عمله بأمانة الفتوى، توفي ١٥ربيع الاول ١٣٧٣هـ-١٩٥٣م في منـزله بحلب ودفن في اليوم التالي في مقبرة كرز دادة بحلب، وشيعه وحمل نعشه طلاب العلم من تلامذته.

راجع ترجمته في مقدمة: (الفتاوى الحلبية) له، التي نشرها وانتخبها من فتاواه حفيده زميلنا الدكتور أحمد الحجي الكردي، طبعته الأولى ١٤٢٣هـ. وله ترجمة في كتاب: (مائة أوائل من حلب) ج١ ص ٢٩٣.

١٠- **الشيخ ابراهيم السلقيني الكبير:**

العالم العامل، والفاضل الكامل، المرشد التقي الورع الشيخ ابراهيم بن الشيخ محمد بن الحاج سعيد خطيب الشهير بالسلقيني.

ولد في مدينة حلب عام ١٢٥٦هـ، تقريباً ١٨٤٠م في أسرة عرفت بالعلم والتقوى، وتلقى العلوم الشرعية والعربية عن كبار علماء زمانه، ودرس في مساجد حلب ومدارسها سنين طويلة منها المدرسة الاسماعيلية والقرناصية والخسروية، وتخرج على يديه كثير من العلماء، وبالأخص الذين لازموا المدرسة الخسروية طوال سنوات تدريسه (وسنذكرهم في فصل لاحق). كان يخطب في جامع الطواشي بباب المقام بحلب أكثر من خمسين عاماً ويفتي السائلين وطلاب العلم، وكان انصرافه للتدريس أكثر من التأليف.

وبلغ من العمر أكثر من مائة سنة وهو يدرس العلم، وكان كثير العبادة، لا يخلو وقته من درس أو قراءة للقرآن الكريم أو ذكر لله عز وجل أو الصلاة على النبي ﷺ، وكان صاحب خلوة مع ربه في الثلث الأخير من الليل متهجداً تالياً للقرآن الكريم ذاكراً متضرعاً مبتهلاً إلى الله، وكان منور الوجه والشيبة حتى لقي الله راضياً مرضياً في ١٩ محرم ١٣٦٧هـ - ١٩٤٧م، ودفن في حلب في تربة الشيخ جاكير باب النيرب [1].

---

[1] نخبة من أعلام حلب الشهباء: ص٧٦٧ باختصار.

وقد حدثنا سيدي الوالد: أن الشيخ كان من أهل الولاية والمكاشفة، وكان الطلاب يوصون بعضهم في درسه بعدم الشرود والشغب وحضور القلب والعقل، وكان ينيب في دروسه آخر عمره ولده شيخنا الشيخ محمد السلقيني رحمهم الله.

وله ترجمة وافية ضافية هو وولده الشيخ محمد وأحفاده الشيخ الدكتور إبراهيم وإخوته، أعدها أخي الشيخ عبد الله المسعود، وألقى بعضها محاضرة في كلية الشريعة بجامعة حلب بمناسبة أسبوع: (جهود علماء حلب في العلوم الشرعية).

١١- الشيخ محمد بن إبراهيم السلقيني:

العالم العامل، والتقي الورع، الفقيه الأصولي الفرضي، المحدث المفسر، النحوي سيدي الشيخ محمد بن الشيخ ابراهيم السلقيني.

ولد في مدينة حلب ١٣٣٠هـ-١٩١١م في أسرة عرفت وشهرت بالعلم والتقوى، وتلقى العلوم الشرعية والعربية في المدرسة الخسروية على يد أساتذتها الأفذاذ وحصل على شهادتها بعام ١٣٤٨هـ-١٩٢٩م، وبرع في الفقه والنحو والصرف والبلاغة، وقام بالتدريس في مدارس حلب ومساجدها سنين طويلة، ومنها في المسجد الأموي الكبير، والعمري، والصبحان في الكلاسة، والطواشي مسجد والده.

ودرس مادتي الفقه والأصول في الخسروية أكثر من خمسين سنة، كما درس في الثانوية الشرعية للإناث بحلب منذ افتتاحها وتخرج على يديه أكابر علماء حلب. وكان يخطب الجمعة ويؤم في مسجد الطواشي ويدرس فيه ثلاثة دروس في التفسير والحديث والفقه بعد الفجر والمغرب إضافة إلى تدريسه في الخسروية، وقد تبلغ دروسه يومياً أكثر من سبعة دروس [١].

أقول: ولقد أكرمني الله سبحانه وإخواني بأن قرأنا عليه الفقه الحنفي والأصول في الكلية الشرعية، وزارنا مراراً في بلدتنا الباب زائراً لسيدي الوالد.

وأنجب عدة أولاد كلهم علماء أفاضل وعلى رأسهم الأستاذ الدكتور إبراهيم،

---

[١] عن كتاب نخبة من أعلام حلب الشهباء: ص٧٦٨ بتصرف واختصار بسيط.

والأستاذ الدكتور عبد الله، والشيخ أحمد، والمهندسان عبد الرحمن، ومحمد سعيد، وبنات صالحات فاضلات، وله من التآليف كتاب في مناسك الحج.

توفي إلى رحمة ربه بعد عمر مديد في العلم والطاعة والتدريس في ١صفر ١٤٢١هـ-٢٠٠١/٤/٢٤م في حلب ودفن في مقبرة السفيري بحلب بجوار والده.

١٢- الشيخ الدكتور ابراهيم السلقيني:

ولد في حلب عام ١٣٤٣هـ-١٩٣٤م، ودرس في الخسروية (الثانوية الشرعية) وتخرج منها، ثم تابع دراسته في الأزهر (كلية الشريعة والقانون) وتخرج منها ١٩٥٦م، وعاد إلى حلب مدرساً في المدارس الرسمية مادة التربية الإسلامية في ثانوياتها ودار المعلمين والمعلمات، ثم مديراً لبعض المدارس الرسمية، ثم مديراً للثانوية الشرعية بحلب، وتابع دراسته العالية فحصل على الدكتوراه في الفقه والأصول من جامع الأزهر بعام ١٩٧٣م بمرتبة الشرف الأولى. حيث انتخب آنذاك عضواً لأول مجلس شعب بعد ٨ آذار وذلك بعام ١٩٧٣م فدرس في كلية الشريعة بجامعة دمشق، ثم عميداً للكلية نفسها بدمشق، ثم أعير عميداً لكلية الدراسات الإسلامية بدبي منذ عام ١٩٩٠م وحتى عام ٢٠٠٣م، وكان قبلها عميداً لكلية الإمام محمد ابن سعود في الرياض ١٩٦٦، والجامعة الإسلامية في المدينة المنورة ١٩٦٩م، وأستاذاً زائراً لكثير من الجامعات وشارك في الندوات، وهو الآن مفتي حلب منذ عام ٢٠٠٥م.

١٣- الشيخ عبد الله عبد المعطي:

ابن الشيخ محمد بن عبد المعطي النحيف بن عبد القادر: أحد علماء حلب الأعلام، كان معلماً للأجيال. ولد في بيت علم ودين وصلاح في بلدة الباب لعام ١٨٤٨م، وكان والده الشيخ محمد من علماء حلب المشهود لهم بالفضل والعلم، نشأ في حجر والده، فتلقى عنه العلم، وعن الشيخ محمد الزرقا والشيخ محمد الحنيفي والشيخ أحمد الترمانيني وغيرهم.

وكان لوالده الأثر الأكبر في تعليمه، أخذ عنه علم الفرائض والحساب والفقه، فنبغ فيه حتى أصبح الأوحد في حلب بلا منازع، وكان من أساتذة الخسروية في علم الفرائض، وتخرج عليه طلابها حتى تاريخ وفاته ١٩٣٤م، وبعد وفاة والده خلفه على التدريس في

المدرسة الأسدية، وجامع الطواشي، وكان محباً للفقراء، وقاضياً لحوائج الناس، وكان أولو الأمر يقدرونه ويقضون حوائج من لجأ إليه [1].

١٤- الشيخ محمد الناشد:

ولد في حلب ١٣٠٩هـ-١٨٩٠م، وتربى على يدي والده الشيخ هلال الذي كان شيخاً في الطريقة القادرية في جامع (الأرمنازي) في حيهم (حارة الباشا)، ونشأ وترعرع في جو العلم والذكر، وبعد أن خاض معارك الحرب (في جيش الدولة العثمانية) عاد إلى وطنه حلب ودرَّس في العثمانية والخسروية، ثم سكن في حي البياضة بحلب وأمَّ جامعها.

وكان خطيباً في جامع الحيات، وله مجلس ذكر في الأرمنازي، وفي زاويتهم (الناشد) كرس حياته للعلم والتدريس وبرع في علوم اللغة العربية، ودرسها في المدارس الشرعية كالنحو والبلاغة حتى أطلق عليه علماء عصره الزمخشري الصغير، كما اشتهر بعلم الفرائض، وحلَّ مسائله العويصة، وكان ممن أخذ عن الشيخ أبي النصر الحمصي. توفي عام ١٩٤٥في حلب ودفن بها [2].

١٥- الشيخ علي الكيالي العالم:

العالم العلامة ابن الشيخ محمد، ولد في كفر تخاريم عام ١٢٨٧هـ-١٨٧٠م، وتربى ونشأ في حجر والده وأخذ عنه العلم والتقوى، ولما انتقل والده إلى حلب كان معه، وتولى قضاء حلب وإفتاءها بعد الشيخ كامل الغزي، وظل يشغل المنصبين قرابة ثلاثين عاماً، ثم ولي أمانة القضاء ١٢عاماً. وكان فقيهاً حنفياً، وله إحاطة بالعلوم العربية والشعر، وكان رأيه الفصل في المجلس الإسلامي الأعلى، نـــزيه القول، أديب اللفظ، فيه صفات العلماء وأخلاقهم، لا يمل مجالسه من حديثه، وإذا حدث فهو البحر العباب، وكان حسن الخط، بارع الإنشاء [3]. توفي بحلب ١٣٦٣هـ-١٩٤٤ م.

---

[1] مائة أوائل من حلب بتصرف، ج١ ص٢٤٤.

[2] مائة أوائل بتصرف، ج١ ص٢١٢-٢١٣.

[3] مائة أوائل من علماء حلب باختصار.

١٦- الشيخ عبد الرحمن زين العابدين:

بن الشيخ محمد زين العابدين الإنطاكي، المولود عام ١٣٢٦هـ-١٩٠٨م، والمهاجر مع والده وإخوته إلى حلب بعد الانقلاب الكمالي في تركية.

كان آية من آيات الله في العلم والمعرفة، ودقة النظر والملاحظة، كان رامياً ماهراً من رماة العالم المعدودين، ويصنع الآلات الدقيقة التي يعجز عنها أمهر الصناع، وله دقة في صنع الساعات وإصلاحها، وخبير في الأسلحة النارية وصنعها والصيد، وكان من أفذاذ العلماء في النحو والبلاغة وعلوم العربية، تلقى العلم عن والده ومشايخ بلده، درَّس في الثانوية الشرعية والشعبانية، حلو الحديث، حلو المعشر، فقيه عالم، محدث لبق.

ولم نر في أجيال العلماء الذين عرفنا وعاشرنا مثله في دقة الملاحظة وقوة النظر والدقة في الآلات الدقيقة، حدثنا أن الطلاب قالوا له أن عالماً يابانياً ثقب الإبرة بالطول، قال: أنا ثقبت مثقبها. ألفت عنه كتب، وألقيت عنه محاضرات، وذكره في كتاب (مائة أوائل من علماء حلب) توفي بعام ١٤١١هـ-١٩٩٠ م ودفن بحلب رحمه الله [١].

١٧- الشيخ أحمد الشماع:

ابن الشيخ محمد الشماع الرفاعي الحنفي الحلبي: ولد بحلب ١٢٨٧هـ-١٨٧٠ م، ونشأ في بيت أبويه وتعلم القرآن وحفظه مع التجويد وقرأ النحو والمنطق والبلاغة على محدث حلب الشيخ أحمد المكتبي، ولزم الفقيه المحدث الشيخ بكري بن أحمد البابلي الشهير بالزبري مفتي حلب وبه تخرج. كان الشيخ الشماع من كبار فقهاء عصره، ودرس في المدرسة الخسروية التفسير، وكان فصيح اللسان، قوي البيان، وله (خطب الجمعة) محفوظة عند ولده الكبير أحمد. توفي يوم ١١ ربيع الأول ١٣٧٣هـ-١٩٥٣م، ودفن في تربة الصالحين بحلب، رحمه الله [٢].

---

[١] ألف أخونا الأستاذ أحمد تيسير كعيد إمام وخطيب جامع الشيخ عمر في حلب كتاباً مفصلاً عنه، وطبعه بعد إعداد هذه الترجمة.

[٢] عن كتاب نخبة من علماء حلب، ص٧٨٠. ومائة أوائل من حلب، ج١ص٢٦٠.

١٨- **الشيخ عيسى البيانوني:** المولود في بيانون ١٢٩٠هـ-١٨٧٢م، والمتوفى في المدينة المنورة ١٣٦٢هـ- ١٩٤٣م. وانظر ترجمته مفصلة في علماء حلب من هذا الجزء.

١٩- **الشيخ كامل الغزي:**

ولد بحلب عام ١٢٦٩هـ- ١٨٥٢م ووالده الشيخ حسين عالم شهير تخرج عليه كثير من علماء حلب، توفي والده وهو رضيع وتولى تربيته زوج والدته الشيخ هلال، وأحاطه بعنايته ورعايته، وبعد أن درس في الكتاب، وحفظ القرآن الكريم غيباً وهو في العاشرة من عمره، درس في المدرسة القرناصية، وأتقن علوم الحديث والتفسير والفقه، ونبغ في الشعر، والتاريخ والعربية.

وسمع به والي حلب رشدي باشا الشرواني فقربه إليه واصطحبه معه في رحلة إلى الحجاز حين عين والياً عليها، ثم عاد الغزي إلى حلب بعد وفاة الشرواني وتابع دراسته في العثمانية وتخرج منها بعام ١٨٧٥هـ، ثم شغل بعض المناصب الإدارية في الولايات العثمانية، ثم ترك الوظائف والتفت للعلم والتعليم فعينته الحكومة مديراً لمدرسة الصنائع، وتسلم تحرير جريدة الفرات الأسبوعية العثمانية عشرين عاماً، وبعام ١٩٢٠م انتخب عضواً عاملاً في المجمع العلمي العربي بدمشق، فرئيساً لفرعه في حلب ثم رئيساً لجمعية العاديات عام ١٩٣٠م إلى أن توفي بحلب بعام ١٩٣٣م. ومن مؤلفاته السفر الضخم (نهر الذهب في تاريخ حلب) في أربعة مجلدات، ومن منظوماته الشهيرة قصيدة لابنه حسين في (١٢٠) بيتاً [1].

٢٠- **الشيخ عبد الله حماد:**

ابن محمد علي الحماد التاذفي: المولود في تاذف ١٣٠٨هـ-١٨٩٠م، درس في تاذف على الشيخ محمد علي النجار المدراتي، ثم في الباب على الجد الشيخ محمد المسعود، ثم توجه للأزهر الشريف بعام ١٣٢٩هـ-١٩١٠م، وكان من شيوخه في الأزهر الشيخ محمد بخيت المطيعي مفتي الديار المصرية، ثم عاد بعد أن حصل على الشهادة العالمية بعام

---

[1] عن كتاب (مائة أوائل من حلب) بتصرف بسيط.

١٣٣٢هـ-١٩١٣م، ثم اشترك في الحرب العالمية الأولى وأسر في الجبهة الروسية، ثم عاد بعد الأسر، وانتسب للمدرسة الخسروية وتخرج منها في القافلة الأولى بعام ١٩٢١م، ثم استقر في حلب وعين أستاذاً في المدرسة الخسروية والعثمانية، وتخرج عليه مئات العلماء من طلاب العلم، وتوفي في حلب بعام ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م، وخلف عدة أولاد كلهم طلب العلم وبرز فيه. رحمه الله ونور ضريحه [١].

٢١- **الشيخ محمد الحكيم:**

الشيخ محمد أبو السعود بن الشيخ عبد القادر بن الشيخ الطبيب محمد الحكيم الحلبي الحنفي مفتي حلب، عالم علامة، وفقيه كبير، ومحدث مجاز، وخطيب مسقع، ووجه من وجوه حلب، له مشاركة في أحداثها الدينية والاجتماعية والوطنية والسياسية.

ولد في حلب عام ١٩٠٥م في أسرة عرفت بالعلم والتقى، وبعد أن تعلم القرآن الكريم في الكتاب لازم حلقات العلم في المساجد، ولما افتتحت المدرسة الخسروية كان من أوائل المنتسبين إليها، ودرس فيها مختلف العلوم على شيوخها وتخرج منها في الدفعة الأولى ١٣٤٥هـ، ثم انتسب إلى مدرسة الحقوق بدمشق وتخرج منها عام ١٣٦٠هـ.

شغل منصب قاضي شرعي إعزاز ثم الباب ثم حلب، ومدرساً للمواد الشرعية والعربية في المدارس الحكومية والشرعية والأجنبية، ومديراً للكلية الشرعية (الخسروية) وخطيباً في الجامع الأموي، ومفتياً لحلب من ١٣٨٦هـ-١٩٦٧م، ونائباً عن حلب ١٩٧٢حتى وفاته ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م [٢].

٢٢- **الشيخ محمد نجيب خياطة:** المولود بحلب ١٣٢٤هـ-١٩٠٥م والمتوفى فيها ١٣٨٧هـ-١٩٦٧م. (راجع ترجمته في هذا الجزء في علماء حلب).

٢٣- **الشيخ ناجي أبو صالح:** المولود في حلب ١٣٢٢هـ-١٩٠٤م والمتوفى فيها

---

[١] (من تاريخ الباب) للمؤلف، و (مائة أوائل من علماء حلب).

[٢] من (تاريخ الإفتاء في حلب) ص٢٨٠. وله ترجمة ضافية في كتاب (مائة أوائل من حلب) ج١ ص٣٥٥-٣٥٧.

١٤١١هـ -١٩٩١م. (راجع ترجمته في هذا الجزء من علماء حلب).

٢٤- **الشيخ محمد نعمان السخيطة:**

ولد في حلب ١٣٢١هـ- ١٩٠٣م، وتلقى تعليمه في التجهيز الرسمية ودار المعلمين، وعمل مدرساً في المعهد العربي الإسلامي، ثم مدرسة الصنائع، ثم في الكلية الشرعية الخسروية، ثم مديراً للأوقاف، ثم رئيساً لاتحاد الجمعيات الخيرية، وعرف بحزمه وإدارته.

ترك من الآثار العلمية: مبادىء القراءة والكتابة (جزآن)، تاريخ دولة الإسلام، تاريخ الشعوب القديمة وفجر الإسلام، تاريخ القرون الوسطى وسورية، وسورية في فجر التاريخ. توفي بحلب ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م رحمه الله تعالى [1].

٢٥- **الشيخ محمد الجبريني:** المولود بحلب ١٣٣٢هـ-١٩٠٤م والمتوفى فيها. (راجع ترجمته في هذا الجزء من علماء حلب).

٢٦- **الشيخ محمد بلنكو:** المولود بحلب ١٣٢٣هـ - ١٩٠٢م والمتوفى فيها ١٤١١هـ -١٩٩١م. (راجع ترجمته في هذا الجزء من علماء حلب).

٢٧- **الشيخ محمد سعيد الإدلبي ابن الشيخ أحمد الإدلبي الرفاعي:**

ولد بحلب ١٢٨٨هـ، وتربى على يدي والده، وشهد له الشيخ أحمد الترمانيني الكبير بأنه ابن الآخرة، وله كرامات كثيرة تتناقلها عائلته. وكان باراً بوالديه، تلقى العلم عن الشيخ الترمانيني وعن الشيخ أحمد المكتبي، والقرآن الكريم عن الشيخ محمود السنكري، والتفسير عن الشيخ محمد بشير الغزي، وأجازه المحدث الأكبر الشيخ محمد بدر الدين الحسني المغربي الدمشقي، وكان الشيخ الإدلبي دائم الإشتغال بالعلم، ألف كتاباً في علم التجويد، وكتاباً في علم المصطلح، وشرح تائية السبكي، وهي نظم للسيرة النبوية، وكان حافظاً للقرآن الكريم، طويل الباع في الفقه الشافعي والفرائض، وله اشتغال بالفقه الحنفي، وكان أستاذنا في المدرسة الخسروية والعثمانية التي خرجت أكابر علماء حلب، وكان له

---

[1] من كتاب (مائة أوائل من حلب) ج١ ص٣٤٥.

درس في الجامع الكبير بحلب، وكان يزور شيخنا أبي النصر كلما حضر إلى حلب ويحبه.

توفي في حلب بعام ١٣٧٠هـ-١٩٥٠م، وكانت له جنازة حافلة وحاشدة [٢].

٢٨- **الشيخ أمين الله عيروض:**

الأستاذ اللامع، والمتحدث ذو الثقافة الواسعة، والأفكار الرائعة الشيخ أمين الله عيروض بن الحاج محمد عيروض، المولود في حلب ١٤٢٥هـ -١٩٠٧م، والذي رضع حب العلم منذ صغره، وبعد أن تعلم مبادىء القراءة والكتابة والقرآن الكريم في الكتاب، وصار أهلاً للانتساب إلى المدارس العلمية، التحق بالمدرسة الخسروية بالسنة الثانية من افتتاحها وذلك في ١٩ آذار ١٩٢٢م، وأكمل الدراسة بها في صفوفها الستة وتخرج في الدفعة الثانية بعام ١٣٤٦هـ - ١٩٢٧م، ثم توجه إلى الأزهر الشريف فنهل من علومه، ويمم تلقاء النجف في العراق، فدرس هناك وتخرج، وقد كان يحدثنا كثيراً عن أساتذته ورفاقه في المعهدين الأزهر والنجف ودراسته فيهما، ثم استقر به المقام في حلب فدرّس في المدرسة الخسروية مختلف العلوم وأجاد فيها، وكنا نلتف حوله في الدروس وفي الفرص، ونستمع إلى أحاديثه ونوادره ومطالعاته، وقد كان بيته موئلاً لطلبة العلم، وكان يكتب في المجلات والصحف الموجودة بذلك الوقت، وقد اعتنى بعض تلاميذه بما كتبه ونشرها في مطبوعات وسلسلة بعنوان (العظة الخالدة)، وبقي ملازماً للمطالعة والعلم والتدريس إلى أن توفي في حلب بتاريخ ١٣٩٠هـ ١٩٧٠م رحمه الله تعالى. وله أكثر من (١٢٥) مؤلف بين رسالة وكتاب، وانظر ترجمته في (مائة أوائل من حلب) ج١ ص٣٦١-٣٦٢.

٢٩- **الشيخ أحمد البيانوني:** المولود في حلب ١٣٣هـ - ١٩١٣م، والمتوفى فيها ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م. (راجع ترجمته في علماء حلب من هذا الجزء).

٣٠- **طاهر خير الله ابن الشيخ بشير خير الله الحسيني:**

ولد عام ١٣٤١هـ- ١٩٢٢ بحلب، وطلب العلم في المدرسة الخسروية ودخلها بعام

---

[٢] من كتاب (نخبة من علماء حلب) عن حفيده محمد بشير ص٧٧٤. و (مائة أوائل من حلب) ج١ ص٢٦٣-٢٦٥.

١٩٣٧م وأكمل التحصيل فيها وتخرج منها بعام ١٩٤٥م، بعدما عدل نظامها وسميت الكلية الشرعية، وهو خريج أول قافلة فيها بعد تعديل نظامها، ثم تابع تحصيله في الأزهر الشريف وحصل على شهادته بعام ١٣٧٢هـ ١٩٥٢م، وتسلم إدارة الثانوية الشرعية (الخسروية) بعام ١٩٥٤م وعمل مدرساً فيها أيضاً، ثم خطيباً في جامع بانقوسا، ثم جامع عمر بن عبد العزيز، ثم جامع الروضة بحلب، وشغل إدارة الجمعية الخيرية الإسلامية التي ترعى الأيتام، وحسن أحوالهم، ثم هاجر إلى المدينة المنورة بعام ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، وعمل أستاذاً للحديث الشريف في كلية الدعوة حتى عام ١٤٠٧هـ، وتوفي هناك في ٢٧ جمادى الأولى ١٤٠٩هـ ودفن بالبقيع بجانب قبر سيدنا عثمان ﷺ [1].

٣١- **الشيخ عبد الفتاح أبو غدة:**

العالم الموسوعي، العلامة المتقن المحدث، الذي قل نظيره، المولود بحلب ١٣٣٦هـ- ١٩١٧م، تخرج من المدرسة الخسروية بعام ١٩٤٦م، وتابع دراسته في الأزهر وتخرج بعام ١٩٤٨م، وتابع وحصل على الماجستير فيه، ولازم الشيخ زاهد الكوثري والشيخ مصطفى صبري آخر شيخ إسلام للدولة العثمانية والأول وكيله، وانتفع من علومهما.

وعاد إلى حلب وعمل مدرساً وخطيباً في الخسروية، وفي مدارسها الرسمية، وألف بالاشتراك مع الشيخ أحمد البيانوني بعض الكتب المدرسية للثانويات الرسمية، وعمل بعد ذلك في جامعات الرياض مدة تزيد عن ثلاثين عاماً، وألف الكتب وحققها، وله ما يزيد عن سبعين كتاباً بين كتاب ورسالة، تأليفاً وتحقيقاً، وطاف البلاد الإسلامية، وأخذ عن علمائها وخصوصاً الهند وباكستان.

وكُرِّم عام ١٩٩٦م من قبل سلطان بروناي بجائزة العلم، زار آخر حياته مدينة حلب ثم سافر ليحضر أهل بيته، فتوفي في الرياض ٩ شوال ١٤١٧هـ، ١٩٩٧/٢/١٦م، ونقل جثمانه إلى المدينة المنورة، ودفن بالبقيع رحمه الله.

---

[1] من كتاب (نخبة من علماء حلب) ٨٣٣.

٣٢- الشيخ عبد الله سراج الدين ابن الشيخ محمد نجيب سراج الدين:

العالم المحدث المفسر الصوفي البارع التقي النقي، المولود في حلب ١٣٤٢هـ - ١٩٢٤م، درس في الخسروية صفوفها، وتخرج منها، واشتغل بالعلم والتدريس، وانتفع به خلق كثير في حلب والمدينة المنورة، وألف الكتب العديدة التي زادت عن عشرين كتاباً في التفسير والمصطلح والحديث والرقائق، أعاد افتتاح المدرسة الشعبانية بعد إغلاقها بعام ١٩٦٠م، وأسس جمعية التعليم الشرعي للإنفاق والإشراف عليها، وتخرج منها مئات من طلاب العلم، أقام في المدينة المنورة بضعة سنوات، ثم عاد إلى حلب ليتابع نشاطه العلمي والديني، ويفيد الطالبين.

توفي بحلب الرابع من آذار ٢٠٠٣م، وشهدت جنازته مئات الألوف من المشيعين ودفن في المدرسة الشعبانية بحلب رحمه الله ونور ضريحه، وقد ترجمه صهره وابن أخته أخونا الدكتور الشيخ نور الدين عتر، ترجمة ضافية وافية في كتاب صدر بعد وفاته.

٣٣- أدهم زهدي بن عبد الله:

المولود في جبل الأكراد (جولقان) بعام ١٩٢٤، ودرس في المدرسة الخسروية (الكلية الشرعية) بحلب، وانتسب إليها في ١٩٤١/٩/١٥م، وأتم دراسته وتخرج منها بعام ١٩٤٨م، ثم عين في المدرسة الشرعية نفسها موجهاً ليلياً وقائماً على شؤون الطلاب، وكانت له الكفاءة وحسن الإدارة، وكان مهيباً وقوراً محسناً إلى الطلاب، ينظر في أمورهم وصلاحهم، وقد شهدت فترة دراستنا في الثانوية الشرعية شيئاً كثيراً من حسن إدارته وحزمه وكياسته، وكان خطيباً في جامع (الصاخور) ومدرساً في المدرسة الشرعية نفسها، وبقي فيها فترة طويلة حتى أقعده المرض، وتوفي بحلب.

٣٤- الشيخ محمد الملاح:

هو الشيخ الفقيه الحنفي محمد بن محمد صالح بن محمد وحيد الملاح، المولود بحلب ١٣٢٨هـ - ١٩١٢م، نشأ وترعرع في كنف والده الشيخ محمد صالح الذي كان في المدرسة السيافية، تربى ونشأ في حجر والده، وتلقى العلم على مشايخ عصره الذين كانوا

يدرسون في المدرسة الخسروية، وأخصهم الشيخ أحمد الزرقا، وولده الشيخ مصطفى، وقد التزم الدراسة في الخسروية بعام ١٩٢٧وتخرج منها ١٩٣٢م، مع ثلة من أهل الفضل والعلم من أشهرهم الشيخ أحمد الحصري عالم المعرة، والشيخ محمد الغشيم الحلبي، والشيخ عبد الهادي النيال، وغيرهم. وقد درس في المدرسة الخسروية طيلة حياته العلمية، وكنت ممن قرأ عليه الفقه الحنفي في المدرسة الشرعية الخسروية، والمدرسة البهائية، وظل ملازماً لتدريس الفقه الحنفي آخر حياته في المدرسة الخسروية، وخطيباً لجامع العثمانية بعد الشيخ أحمد البيانوني [1]. وتوفي بحلب عام ١٩٨٥م تقريباً.

٣٥- الشيخ محمد أبو الخير زين العابدين:

بن الشيخ محمد أفندي زين العابدين الإنطاكي. ولد في أنطاكية بعام ١٣٣٢هـ - ١٩١٦م، وهاجر والده من انطاكية بعام ١٩٣٨م، عندما حدث الانقلاب اللاديني من قبل أتاتورك في تركية، وكان تلقى تعليمه الأولي هناك لدى والده، وانتسب إلى الخسروية بعام ١٩٣١، وتخرج منها بعام ١٩٣٧م، واستقرت عائلته مع والده وإخوته في حلب، وكان نادرة زمانه، ومن خيرة أقرانه في العلم والتقوى، وبعد الرؤيا، وفهم قضايا الأمة الإسلامية، وكان يتحرق على مايجري على الأمة الإسلامية من فتن ومؤامرات ومكائد.

درسنا في المدرسة الخسروية التفسير وعلوم القرآن وأسندت إليه خطابة الشعبانية، ثم لما بني جامع السبيل نقل إليه، فكان يلتف حوله الشباب المسلم منذ أن بني المسجد وقبل أن ينقل إلى جامع السبيل، وكان مجاهداً بقلمه ولسانه وفكره، لا يفتأ يحذر أبناء الأمة من دسائس أعدائها ومكرهم، وكانت له مواقف مشهورة في نصرة قضايا الأمة، وكنا نلازمه في جامع السبيل، وأقعده المرض، وانتقل إلى رحمة الله سبحانه بعد علاجه في مستشفيات القاهرة بعام ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م رحمه الله ونور ضريحه. وكانت وفاته بحلب، ودفن في مقبرة الصالحين.

---

[1] من كتاب (مائة أوائل) ج ١ ص٣٧٤.

٣٦- **الشيخ عبد الوهاب سكر**: المولود في الباب بعام ١٣١٨هـ - ١٩٠٠م والمتوفى في حلب ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م. (راجع ترجمته في علماء الباب من هذا الجزء).

٣٧- **الشيخ حسن المكتبي بن عبد الكريم**:

المولود في حلب ١٩١٩م، نشأ وترعرع في حجر والدين محبين للعلم والتقوى، وبعد أن تعلم مبادىء العلوم الأولية والقراءة والكتابة نسَّباه للمدرسة الخسروية بعام ١٩٣٦م، ودرس فيها مختلف العلوم على أيدي أساتذتها الذين كانوا جهابذة علماء الشهباء والمذكورين في أوائل هذه التراجم، ثم تخرج منها بعام ١٩٤٢م، وعمل في مدارسها العلمية، ثم توجه ليعيد البر والعطاء للمدرسة التي خرجته، فقام بتدريس العلوم الشرعية والعربية في المدرسة الخسروية بعد أن أصبحت الكلية، وكان من جملة أساتذتنا رحمه الله وتوفي في حلب.

٣٨- **الشيخ محمد مراد حيلاني بن يوسف**:

المولود في حلب١٣٢٠هـ - ١٩٠٢م، تعلم في المدرسة العثمانية وحفظ القرآن غيباً، وتخرج على يد الشيخ محمد نجيب خياطة، وأجازه أيضاً الشيخ عبد العزيز عيون السود شيخ القراء في حمص، وعين مدرساً للقرآن في الخسروية منذ سنة ١٩٤٥م بالإضافة إلى عمله إماماً في مساجد حلب، واستفاد من الشيخ القارىء مصطفى اسماعيل عند زيارته إلى حلب، كان معلماً ناجحاً، ومحباً لتلاميذه، وتعلمنا على يديه القراءة والتجويد في الخسروية بحلب. توفي بعام ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م رحمه الله تعالى [1].

٣٩- **الأستاذ بكري شيخ أمين**:

ولد في حلب ١٣٤٩هـ -١٩٣٠م ودرس في المدرسة الخسروية، وتخرج من كلية الآداب بجامعة دمشق (اللغة العربية) بعام ١٩٥٤م، وتابع دراساته العليا حتى نال الدكتوراه من بيروت برتبة الشرف الأولى بعام ١٩٧٠م، ودرّس خلالها في جامعة حلب

---

[1] راجع ترجمته في (مائة أوائل من حلب) ج١ص٤٦٠.

والجامعة اللبنانية، ثم جامعات مكة وجدة، وأشرف على المجلة العربية التي تصدر هناك، وله عدة مؤلفات تزيد على العشرة، وعمل مديراً للثانوية الشرعية أيضاً، وكنا ممن تتلمذ على يديه. حفظه الله وأمد في عمره مع العافية.

٤٠- **الشيخ محمد فوزي فيض الله**: المولود بحلب ١٣٤٤هـ - ١٩٢٥م. (راجع ترجمته في فصل علماء حلب من هذا الجزء).

٤١- **الشيخ حسن رزوق**: المولود في خطاب حماة ١٣٣٧هـ - ١٩١٨م والمتوفى في عمّان ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م. (راجع ترجمته في علماء حماة من هذا الجزء).

٤٢- **عبد السلام طويلة**:

العالم الفاضل والزاهد المتواضع الذي ولد بحلب وعاش فيها، وهو والد زميلنا الأستاذ الفاضل عبد الوهاب طويلة، والذي تلقى علومه على مشايخ حلب في الشعبانية والعثمانية، وكانوا أفاضل علماء هذه البلدة، ثم اختارته إدارة الأوقاف ليكون موجهاً نهارياً في المدرسة الخسروية (الثانوية الشرعية)، وقد شهدنا من لطفه وتواضعه ورعايته الشيء الكثير، وكان الطلاب يحبونه ويحبهم، وعاش فيها محبوباً معلماً بأخلاقه وسلوكه، وكان إماماً في مساجد حلب إلى أن توفي بحلب.

٤٣- **الشيخ عاكف حبال**:

من مواليد حلب عام ١٣٢٨هـ- ١٩١٢م، ولد فيها وترعرع ونشأ في حجر والدين صالحين، والتحق بالمدرسة الخسروية وعمره ١٦عاماً، ولازم الاشتغال والطلب على أساتذتها الذين كانوا فضلاء علماء حلب كما بيّنا تراجمهم آنفاً، وتخرج منها بعام ١٩٣٥م مع خيرة زملائه كالشيخ محمد علي المسعود، والشيخ ابراهيم الطنجير الحموي، والشيخ مفيد خير الله الحلبي، وحسن العاروني التاذفي وغيرهم، وعمل بعد تخرجه في المحكمة الشرعية بحلب، ثم اختارته المدرسة الشرعية (الخسروية) ليكون موجهاً للطلاب في النهار، وشهدنا عطفه ولطفه مع حزمه أيام كنا طلاباً فيها منذ عام ١٩٥٢حتى عام ١٩٦٠، وبقي إلى آخر حياته محباً للعلم والعلماء حتى انتقل إلى رحمة ربه تعالى بحلب.

٤٤- **الشيخ محمد أديب حسون**: المولود في ياقد العدس ١٣٣٤هـ- ١٩١٥م، رحمه الله تعالى. (راجع ترجمته في علماء حلب من هذا الجزء).

٤٥- **الشيخ أحمد القلاش**: المولود في حلب ١٣٢٨هـ- ١٩١٢ م نزيل المدينة المنورة، رحمه الله تعالى. (راجع ترجمته في علماء الحرمين الشريفين من الجزء الأول).

٤٦- **الشيخ بكري الرجب**: المولود في الباب ١٣٢٨هـ ١٩١٢م والمتوفى في حلب ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م. (راجع ترجمته في علماء الباب من هذا الجزء).

خريجو المدرسة الشرعية "الخسروية"

ومن المفيد أن نذكر هنا العلماء الذين تخرجوا من المدرسة الخسروية بحلب بعد أن ذكرنا شيوخها ومدرسيها، لأن معظمهم كانوا مريدي وأحباب الشيخ محمد أبي النصر رحمه الله تعالى، وبذكرهم هنا نستغني عن ذكر الزملاء والخريجين الذين نترجم لهم، علماً أنه كان من أوائل الخريجين من هذه المدرسة من درَّس فيها فيما بعد.

١- **القافلة الأولى:** للخريجين بعام ١٣٤٥هـ - ١٩٢٦م، وهم السادة: عبد الله الحماد (تاذف)، بشير بن مصطفى الراشد النجار التاذفي (تاذف)، محمود لامع بن الحاج درويش عبدو (أريحا)، ناجي المنصوري، عبد الله خير الله بن الشيخ طاهر أفندي، محمد بلنكو بن السيد عمر، محمد الحكيم (حلب).

٢- **القافلة الثانية:** ١٣٤٦هـ - ١٩٢٧م وهم السادة: ناجي ابن الحاج محمود أبو صالح، معروف بن الحاج محمد رسول الدواليبي، أمين الله بن الحاج محمد عيروض، عبد القادر بن الشيخ أمين الكوراني، عمر بن عبد اللطيف البوشي، عون الله بن الشيخ عبد الله الإخلاصي، عبد الله بن الشيخ محمود الريحاوي (حلب)، محمد غازي الحاج أحمد الكريز (تاذف).

٣- **القافلة الثالثة:** ١٣٤٧هـ - ١٩٢٨م وهم السادة: صبحي الصباغ بن الشيخ عبد الله، عبد القادر الكرمان بن الحاج بشير، محمد نجيب خياطة بن الحاج محمد (الآلا)، أحمد بن الحاج محمود أبو صالح، كامل بن الشيخ بكور السرميني، محمد عثمان بن عمر بلال، عبد الغفور بن الشيخ بكور السرميني، محمد علي بن مصطفى الكحال، صبحي الأريحاوي بن الحاج مصطفى (حلب)، محمد بن الحاج حسين البكار (تاذف).

٤- **القافلة الرابعة:** ١٣٤٨هـ - ١٩٢٩م وهم السادة: أحمد القلاش، محمد الناصر، محمد السلقيني، مصطفى المزراب، عبد الله الاسود، عبد الرحمن الحوت، محمد نور البلاط، عبد الله سلطان، حسن بن أحمد الحموي، عمر محو (حلب)، برهان الدين الداغستاني (دمشق)، محمد سعيد المسعود (الباب)، حمام النعساني (الباب)، مصطفى بن عبد الله الحمو (مارع)، محمد الخليلو (تاذف).

٥- **القافلة الخامسة:** ١٣٤٩هـ -١٩٣٠م وهم السادة: أسعد بن عبد الوهاب طلس، عبد الحميد رجب باشا بن رجب، كامل بن الحاج محمود أبوصالح، محمد بن بكري الآلا، زكي بن الشيخ عبد الجواد الكيالي، وجيه بن الشيخ عبد الله المعطي (حلب)، أحمد السعيد الأبزماوي، عبد الرحمن بن محمد العتيق.

٦- **القافلة السادسة:** ١٣٥٠هـ - ١٩٣١م وهم السادة: عمر الخياطة، عمر مكناس، أحمد السنجقدار، عبد القادر بن عبد السلام الحمصي، بشير بن أحمد الصياد، محمد الكلاوي بن الشيخ قاسم العدل، محمد زين العابدين جذبة بن الشيخ عطا أفندي، محمد السماقية، عبد المحسن خير الله بن الشيخ خير الله، حقي راغب آغا، عبد الرحمن قرابلي، بكري رجب (الباب)، بشير بن الحاج عبدو عليطو (تلرفعت).

٧- **القافلة السابعة:** ١٣٥١هـ - ١٩٣٢م وهم السادة: أحمد بن مصطفى الحصري (المعرة)، عارف بن الشيخ محمد اللبابيدي (حلب)، عبد الرحمن بن صالح العيان (معرة مصرين)، محمد الغشيم بن محمد (حلب)، سعيد الحمال، عبد الهادي بن الشيخ عبد الوهاب النيال (حلب)، طه بن محمد حمو العنجاري من (عنجارة)، محمد صالح بن وحيد الملاح (حلب)، يحيى الحصور الجركسي بن زكريا أفندي (الريحانية تركية)، محمد كامل الريحاوي بن الحاج محمد (حلب).

٨- **القافلة الثامنة:** ١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م وهم السادة: محمد الحامد (حماة)، عبد الله المصري، محمد الطراب بن محمود، محمد نور الدين الحبال بن الشيخ محمد (حلب)، أحمد الشيط، محمد الخطيب، رضوان بن شاكر النيال (حلب)، محمد فؤاد فيضو (حلب)،

إبراهيم نعسو الكردي (عفرين)، طاهر الخطيب (المعرة)، مطفى ياسين بن ابراهيم، صالح بن الشيخ كامل ترمانيني، أحمد السرمدي (سرمدا)، محمد الجوخدار (حلب).

٩- **القافلة التاسعة:** ١٣٥٣هـ ١٩٣٤م وهم السادة: محمد سليم الرفاعي (قارة)، عبد الباسط خلف بن الشيخ محمد أبي النصر خلف (حمص)، محمد الياقتي بن عمر (حلب)، أحمد المايري (ماير)، محمد أديب حسون الياقدي (حلب)، عبد الله حلاق (حماة)، نور الدين الخطيب (المعرة)، عبد الجواد العطار (حلب)، محمود الأبزماوي (أبزمو)، عبد الرحمن بن الشيخ عبد الله الصباغ، عبد القادر بللو.

١٠- **القافلة العاشرة:** ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م وهم السادة: صالح محمد النعمان، محمد سيادي المراد بن الشيخ أحمد سليم، إبراهيم الطنجير، خالد الدلال بن عبد الحميد (حماة)، مفيد بن صدر الدين خير الله، عاكف حبال، محيي الدين حللي، محمد بن حسن زعتري، محمد خير شيخوني (حلب)، حسن بن الحاج محمد العاروني (تاذف)، أحمد سعيد إعزازي، حمادة العنداني، عمر عنداني، نوري النائب المحني (أريحا)، محمد علي المسعود (الباب)، حسين قرقناوي، أحمد إعزازي.

١١- **القافلة الحادية عشرة:** ١٣٥٥هـ ١٩٣٦م وهم السادة: أحمد الرشيدي، محيي الدين العسالي، محمد شريف بن الشيخ عبد الكريم الحافظ، محمد نسيب بن الشيخ عبد الكريم الحافظ (النبك)، كامل بن الشيخ محمد بدر، محمد منير بن محمود الطحان، حمدان الصالح، جمعة بن الشيخ مصطفى أبو زلام (الباب)، علي الحلو (النجارة - الباب)، عبد الله الحاج (كفر صغير - جبل سمعان)، عبد الله العتر، علي عرب (حلب)، أحمد الكعكة (حمص)، أحمد طرابلسي، مصطفى البطل (إدلب)، بكري النجار (مارع).

١٢- **القافلة الثانية عشرة:** ١٣٥٦هـ -١٩٣٧م وهم السادة: عبد الفتاح حميدة الناصر، سعيد بن محمد المش، محمد نافع السنكري، سعيد الحمد بن الشيخ عبد القادر بصاص (البابي)، محمد بن بشير السيد أحمد (التاذفي)، مصطفى النجار (المارعي)، عبد القادر بن محمد يوسف الشامي (القطيفة)، حمادة عيد الناجي (المعراوي)، علي بن الشيخ محمد

علي (الوضيحي)، إبراهيم الحاج، محمد خير بن أحمد الصالح الحجي (المارعي)، حسن بن يوسف الهاشم (البابي)، عبد القادر ولي (الإنطاكي)، عبد الله الأخرس (البابي).

١٣- **القافلة الثالثة عشر:** ١٣٥٧هـ ١٩٣٨م وهم السادة: نجيب بن أحمد سالم (الأريحاوي)، محمد عاشور (التاذفي)، محمد وحيد فتوح بن الشيخ عبد الفتاح، مصطفى بن أحمد الزعيتر (البابي)، عمر بن سعيد البوشي (البابي)، محمد السيد عيسى (الإدلبي)، مصطفى الأحمد (تديل)، محمد عفش، أنور سعد الدين، محمد الخوجة، عبد المتعال بن الشيخ نوري (الحمصي)، عبد الله بن الحاج إبراهيم قنان (التاذفي)، محمد صبري الشحنة، مصطفى ياسرجي (الإعزازي)، محمود بن حسين القصيري.

١٤- **القافلة الرابعة عشرة:** ١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م وهم السادة: يوسف بن الحاج حسن الطالب الشواف (البابي)، محمد جميل بن الشيخ محمد الحبال (المعراوي)، محمد طيفور بن الشيخ عبد المجيد السبسبي (النبكي)، محمد بن مصطفى الحماد (التاذفي)، محمد صبحي بن شيخ طبنجات (الحلبي)، عبد الرحمن خياطة الآلا (الحلبي)، محمود حميدي بن محمد لحموني (الإعزازي)، محمد درويش الخطيب (الجينة)، أسعد الرفاعي، محمد بن محمد بشير ألاجاتي الحلبي، عبد الوهاب بن الحاج محمد السباعي (الحمصي)، هاشم بن عبد العزيز السيد عيسى، محمد القادري، محمد سعيد دحدوح بن الشيخ بشير (الحلبي)، سامي زين الدين، يوسف كرزة.

١٥- **القافلة الخامسة عشرة:** ١٣٥٩هـ ١٩٤٠م وهم السادة: عبد الفتاح بن أحمد مالك (النبك)، محمد بشير بن عبد الكريم الحافظ (النبك)، عثمان بن إسماعيل يحيى (أرمناز)، عيسى بن أحمد الخطيب (صوران إعزاز)، رشيد الصالح النجار (تاذف)، أحمد ددة، عيسى بن سلمو الحداد (تاذف)، محمد الحسن الرنكوسي، محمد سامي بن عبد السلام ويسي (صوران إعزاز)، علي بن مصطفى النجار (التاذفي) محمد أمين الشيخ، محمد بن عبد الوهاب المسلاتي (حلب)، بكري بن الحاج أحمد زعيرباني، محمد بن خالد هنداوي، محمد صابوني (حلب).

١٦- **القافلة السادسة عشرة:** ١٣٦٠هـ - ١٩٤١م وهم السادة: محمد خيرو بن سعيد الخطيب (كفرنبل - المعرة)، عبد الرحمن عيروط (بانياس)، عبد الرحمن الباشا (أريحا)، علاء الدين علايا (تاذف)، محمد توفيق السيد (طرطوس)، عبد الباقي بن أحمد قدري العجيلي (الرقة)، صلاح المصري، محمد هاشم بن عمر المحني (أريحا)، محمد سراج الدين (حلب)، محمد المفتي، مصطفى حسن المامو (تاذف)، محمد أديب عبيدو (أرمناز)، علي حيدر (الباروزة)، رشيد العلو النجار (تاذف)، محمد صبحي بن محمد الحجار (حلب)، يوسف بن محمد عبد الجواد.

١٧- **القافلة السابعة عشرة:** ١٣٦١هـ ١٩٤٢ وهم السادة: محمد فوزي فيض الله (حلب)، صالح بن محمد الرفاعي (إدلب)، عبد الفتاح أبو غدة (حلب)، عبد الله بن الحاج قدور الخطيب، حسن بن مصطفى رزوق (خطاب - حماة)، حسن بن عبد الكريم مكتبي (حلب)، محمد بن حسن البكار (تاذف)، محمد فياض بن الحاج حسن الأسود (المسلمية)، علي الجيني، رشيد بن الحاج علي العساف (براق - حماة)، موسى بن عبد الكريم الزيادي (الزيادية - إعزاز).

وبعد ذلك تغير منهاجها وسميت (الكلية الشرعية) وكان أول من تخرج منها بعد ذلك السادة: طاهر خير الله، ناظم النسيمي، سامي البصمجي، حكمت المعلم، أحمد الخضر، ورفاقهم.

القسم الثاني

مريدو الشيخ أبي النصر الحمصي النقشبندي

من علماء حلب

١- الشيخ عيسى البيانوني، المتوفى ١٣٦٢هـ - ١٩٤٣م

٢- وولده الشيخ أحمد عزّ الدين البيانوني، المتوفى ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م

٣- الشيخ محمد الجبريني الحلبي، المتوفى١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م

٤- الشيخ بشير الدحدوح، المتوفى ١٣٨٠هـ - ١٩٦١م

٥- وولده الشيخ محمد سعيد الدحدوح، المتوفى ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م

٦- الشيخ محمود بن الشيخ بكري العلبي، المتوفى ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م

٧- وأخوه الشيخ زكي بن الشيخ بكري العلبي، المتوفى ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م

٨- الشيخ محمد نجيب خياطة، المتوفى ١٣٧٨هـ - ١٩٦٧م

٩- الشيخ عبد الله الريحاوي، المتوفى ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م

١٠- الشيخ عبد القادر ولي الإنطاكي، المتوفى ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م

١١- الشيخ محمد الغشيم، المتوفى ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م

١٢- الشيخ محمد بن أحمد النبهان، المتوفى ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م

١٣- الشيخ سلمو النبهان (النيربي)، المتوفى ١٤٤٠هـ - ١٩٨٠م

١٤- الشيخ محمد بن محمد سليم المصري، المتوفى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤م

١٥- الشيخ أحمد بن محمود المصري، المتوفى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م

١٦- الشيخ بكري بن الشيخ محمد ملاحفجي، المتوفى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

١٧- الشيخ مصطفى بن بكري العزيزي، المتوفى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

١٨- الشيخ محمد بن عمر بلنكو، المتوفى ١٤١١هـ - ١٩٩١م

١٩- الشيخ محمد ناجي أبو صالح، المتوفى ١٤١١هـ - ١٩٩١م

٢٠- الشيخ عبد الرحمن الحوت، المتوفى ١٤١١هـ - ١٩٩١م

٢١- الشيخ محمد درويش الخطيب، المولود ١٣٢٣هـ - ١٩٠٤م

٢٢- الشيخ محمد أديب حسون، المولود ١٣٣٤هـ - ١٩١٥م، المتوفى ١٤٢٩ هـ

٢٣- الشيخ محمد فوزي فيض الله، المولود ١٣٤٤هـ - ١٩٢٥م

المحمدي الكامل، والعارف الواصل

الشيخ عيسى بن حسن البيانوني الحلبي

(١٢٩٠-١٣٦٢ هـ) (١٨٧٢-١٩٤٣ م)

تمهيد:

وما أدراك ما الشيخ عيسى البيانوني ؟! ذلك العلم المفرد، والمزيد الأوحد؛ من تجمعت فيه الفضائل والكمالات، والأخلاق والسلوك النبوي فكان قطب دائرتها، ألا وهو الشيخ الكامل والمربي الفاضل، والعالم العامل، والمحب الواصل، والوارث المحمدي، المولّه بحب سيدنا رسول الله ﷺ، والدالّ على الله بلسانه وقاله وحاله، ونثره وشعره، أجلُّ وأكمل مريدي شيخنا وسيدنا محمد أبي النصر قدس سرهما، وقد أثنى عليه كل من رآه وعاشره بجميل الخصال وسَنِيِّ الفعال؛ الذي أجمع على كمالاته وأخلاقه وفضائله كل أرباب الكمال من شيوخه الكثر وتلامذته الذين لا يُحْصَوْن، وأحبابه وإخوانه وأهله وجيرانه؛ ولندخل رياض سيرته العطرة، ونتعرف على كمالاته الرائعة؛ فهو:

* الشيخ عيسى بن حسن بن بكري البيانوني رحمه الله تعالى، ولد في قرية (بيانون)، التابعة لمدينة حلب، شمالها على طريق إعزاز، بعام ١٢٩٠ هـ، ١٨٧٢ م، وقضى طفولته في تلك القرية، ثم انتقل مع والده إلى مدينة حلب، وطلب العلم فيها على شيوخها الأجلاء في مدارسها العلمية الكثيرة، وأشهرها المدرسة (الرضائية) العثمانية، وبرع في العلوم، وأجازه شيوخه فيها، ثم تولى التدريس في مدارسها العلمية بعد إجازة شيوخه له.

* أغرم بالصوفية ورجالها، وهام عشقاً بالرسول الكريم ﷺ، ولما كان أكثر اهتمامه بذلك كانت جلُّ آثاره في هذا المجال، وقد ألّف أكثر من اثني عشر مؤلفاً، في مدح الرسول ﷺ، وآداب الطريق ووظائفه، وتهذيب النفوس، والمحبة النبوية، وبيان فضلها والحضّ

عليها، والإكثار من الصلاة والسلام على النبي ﷺ، ونظم الموالد النبوية، ومنها ما ضمّنه آيات القرآن الكريم، ومنها الشعر ومنها النثر، وتجاوزت موالده عشرين مولداً، وجعل ثمن كل نسخة ألف صلاة على النبي ﷺ.

* ونظم الشعر الكثير في مدح الرسول ﷺ، وآل بيته الأطهار، وشيخه أبي النصر.

* وتمنى على الله كثيراً أن تكون وفاته في المدينة المنورة، فأكرمه الله سبحانه واستجاب دعاءه، وتوفي فيها ودفن في البقيع المبارك، بتاريخ ٢٨ ذي الحجة ١٣٦٢ هـ، الموافق ٢٥/ ١٢/١٩٤٣ م، قبل وفاة شيخه أبي النصر بسنوات.

(هذه الترجمة المختصرة ملخصة من الترجمة التي وزعها ولده شافع حفظه الله مع بعض موالد والده بعام ١٩٩٣م بمناسبة مرور /٥٠/ عاماً على وفاته).

لقاؤه الأول بالشيخ أبي النصر وسلوكه على يديه:

كان هذا اللقاء في حلب، وبتوجهات مولانا سليم وفي حال حياته المباركة، حيث كان الشيخ عيسى يكتب الرسائل للشيخ بشير دحدوح الحلبي [1]، وكان كلاهما - الشيخ عيسى والشيخ بشير — ممن أخذ الطريقة الرفاعية على آل خير الله من آل بيت المصطفى ﷺ، وكان الشيخ بشير يراسل مولانا سليم قدس سره إلى حمص، وكان الشيخ أبو النصر يقرأ الرسائل لوالده، فلما وردت رسالة الشيخ بشير وفيها يهدي التحيات كاتبها الشيخ عيسى لمولانا سليم، وقرأها الشيخ أبو النصر لوالده بحضور أبي سعيد الشعار، فسأله الشيخ سليم: من هو الشيخ عيسى ؟ أجاب سيدي أبو النصر: هذا الشيخ عيسى البيانوني شيخ حلب، ائذن له يا سيدي بالطريق، ولقّنه اللطائف الخمس !

وفي أول توجهٍ وجهه الشيخ سليم لولده أبي النصر إلى حلب، سأل عن الشيخ عيسى، وذلك بعد قراءة الشيخ أبي النصر الختم الشريف في جامع (الألمه جي)، وذهابه إلى منـــزل مريده إسماعيل الحمّاض، وأرسل إلى الشيخ عيسى، فلما حضر قال له الشيخ أبو

---

[1] انظر ترجمته في هذا الفصل (علماء حلب).

النصر: أنا جاي ضيف إلى حلب، وأنت تبقى معي طوال مدة بقائي في حلب، ولك ساعة واحدة من ليل أو نهار، فقال الشيخ عيسى: الكل لكم يا سيدي، فقال الشيخ أبو النصر: لا؛ بل لك ساعة واحدة فقط.

يقول الشيخ عيسى: وأحسست من وقتها وأنا في مجلسي بشبه دبيب النحل يسري في جسدي، حتى وصل إلى صدري، فصحت ثلاث صيحات، وقلت: يا سيدي خفف عني. فقال الشيخ أبو النصر: استغفر الله؛ استغفر الله. فقلت: يا سيدي؛ ائذن لي بالطريق. فبايعني الشيخ ليلتها بالطريق، ونمت في تلك الليلة فرأيت الرسول ﷺ، وأنا أصعد درجاً، وفي كل درجة أقبّل يده الشريفة، حتى انتهيت من /٤١/ درجة أقبّل في كلٍّ منها يده الشريفة، ولما مرّ الشيخ عيسى في اليوم التالي بشارع السويقة (بحلب) متوجهاً إلى مسجد العثمانية، كانت حال المحبة العظيمة قد اشتعلت في فؤاده وجسده، وسرى سرّ الجذبة النقشبندية من الشيخ أبي النصر في أوصاله، فلم يتمالك نفسه أن صاح ثلاث صيحات، فتهامس الناس فيما بينهم قائلين: جُنّ الشيخ عيسى، وكان هذا سبب نظم أنشودته المشهورة التي يرددها المنشدون: (هيموني تيموني عن سواهم أشغلوني).

(سمعت هذه الحكاية عن أول لقائه بالشيخ أبي النصر، من الشيخ أديب المارعي [1]، ساكن إدلب، وكتبتها بعام ١٣٩٩ هـ، في منزل شيخنا عبد الباسط وبحضوره، وكان شيخنا يصدقه عليها). وهذه أنشودة هيموني، للشيخ عيسى البيانوني، (موشح الصبا):

هيموني تيموني ... عن سواهم أشغلوني
عن سواهم ما اسلى هواهم ... روحي فداهم ولو جفوني
يا رفيقي غنّ معنا ... في هواهم قد وقعنا
منهمو فهمت معنى ... قول ربي فاذكروني
أهل حمص هم كرامُ ... في هواهم لي غرام

[1] انظر ترجمته في فصل علماء أهل إعزاز من هذا الكتاب.

أنـــا عـــاشـــق مســـتهام والأحبـــة واصـلـونـــي
اشـــرب اطـــرب يـــا خليلـــي خمـــرهم يشـــفي الغـليـــلِ
عشـــقهم مـــا هـــو قـــليل عـــن عيـــالي أبعـــدوني
بعـــد ذيّـــاك الـــفراق فـــزتُ منـــهم بـــالتـــلاقـــي
كنـــت أشـــرب صـــرت ســـاقي علـــى المدامـــة وكّلـــوني
في غرامـــي همـــت ســـالك كنـــت مملـــوك صـــرت مالـــك
بـــالـمحبـــة نلـــت ذلـــك فـــي سناهـــم أرشـــدوني
مـــن رأى ذاك الجمـــال بـــطّل القيـــل والمـقـــال
كنـــت عاقـــل صـــرت دالي فـــي هـــواهـــم جننـــوني
منـــهم قـــد نلـــت قصـــدي فيهمـــو قـــد زاد وجـــدي
خـمـــرهم مـــن نقشـــبندي روقـــوهـــا وسقـــونـــي
جـــاءني منـــهم بشـــير بـقـبـــول لـــي يشـــير
فضلـهـــم فضـــل كـــبير مـــع عيـــوبي قـــد رضـــوني
أنعمـــوا لي بالوصـــال عـامـلـــونـي بـــالدلال
أوصلـــونـي للـكمـــال فـــي المحـــبة سلكـونـــي
وصـــلاتي لـلـــتهامي ثـــم ســـاداتي الـكـــرام
هـــم رجـــالٌ في غـــرامـــي هيمـونـــي تيمـونـــي

وتابع محدثي الشيخ أديب المارعي رحمه الله تعالى قائلاً: واستمر هذا الحال في الشيخ عيسى غير قليل، حتى أنه لازمه في أول خطبة جمعة خطبها، بعد مبايعة الشيخ أبي النصر، وذلك في مسجد العثمانية بحلب، فبدرت منه الصيحات على المنبر، واستغرب الناس ذلك، حتى علموا بمبايعته للشيخ أبي النصر، وكان هذا اللقاء بين الشيخين وآثاره معلوماً لكل الإخوان الذين عاصروا الشيخين الكبيرين قدس سرهما.

نشاط الشيخ عيسى في نشر الطريق ومحبة النبي ﷺ:

وبعد هذا اللقاء المبارك بالشيخ أبي النصر؛ نشط الشيخ عيسى رحمه الله لنشر الطريقة النقشبندية بين الإخوان في حلب وما حولها، وكان يصحب الشيخ أبي النصر في جولاته، وأسفاره ومجالسه، وينظم قصائده في مدح شيخه، ومدح الطريقة، ودعوة الناس للدخول فيها، وتعظيم أمر النبي ﷺ ومحبته، ثم أسس بعد ذلك جمعية عشاق المصطفى ﷺ، وصار الشيخ أبو النصر إذا قدم حلب ينـــزل في دار الشيخ عيسى المجاورة لمسجد أبي ذر، في حي الجبيلة، ثم أسس مجلسه الأسبوعي بعد ذلك في مسجد أبي ذر الذي يجتمع فيه إخوان الشيخ ومحبوه يستمعون إلى الإنشاد والذكر ودروس العلم من العلماء الذين كانوا يحضرون المجلس مع الشيخ ليلة الجمعة من كل أسبوع. وصار الشيخ عيسى يلازم الشيخ أبي النصر، وأصبح الأول عنده في حلب، فكان بجانبه دائماً عندما يحضر الختم الشريف، وأينما ذهب وجلس، فالشيخ عيسى بجانب أبي النصر لا يفارقه.

يقول أستاذنا الشيخ محمد أديب حسون [1] تحت عنوان (ختم شيخنا أبي النصر ﷺ): (ولقد كان الختم المدهش حقاً المليء بالأنوار، الذي لا يزال خياله وأثره في قلب كل من يحضره، ذلك الختم الذي يديره شيخنا أبو النصر، ويكون حاضراً فيه شيخنا محمد النبهان [2] ورفاقه من أهل العلم ومن المريدين الذاكرين، فكنت ترى شيخنا أبا النصر في صدر الحلقة، وبجانبه شيخنا الشيخ عيسى البيانوني رحمه الله وأعلى قدره، ومن الجانب الثاني شيخنا النبهان، وهكذا وجوه كالأقمار، وفي مراقبة الختم يدور شيخنا أبو النصر فيتوجه على المريدين، فيضع جبهته على جبهة كل واحد منهم، وإذا بالقلوب تضطرب من قوة الذكر فيها، وترتفع الأصوات والبكاء) اهـ.

علو مقام الشيخ عيسى في مدارج السالكين:

وتوجه الشيخ أبو النصر إلى مريده الصادق الشيخ عيسى وأَوْلاَهُ مزيداً من العناية

---

[1] من كتابه (آلاء الرحمن) ص ٩، وانظر ترجمته في هذا الفصل من هذا الكتاب.

[2] انظر ترجمته في هذا الفصل من هذا الكتاب.

والرعاية، فصار الشيخ عيسى يقطع مدارج السلوك ومقامات التزكية والتربية، متزوداً بمحبة شيخه ومحبة النبي ﷺ، حتى وصل إلى أعلى المقامات العرفانية لدى أهل السير والسلوك.

وسمعت الشيخ محمد أديب الياسين المارعي يحدث عن الشيخ عيسى بحضور شيخنا وأستاذنا الشيخ عبد الباسط رحمه الله تعالى قال: سئل الشيخ عيسى، هل يجتمع الشيخ أبو النصر بسيدنا رسول الله ﷺ يقظة أم لا ؟... وكان هذا السؤال من بعض الإخوان في جامع أبي ذر بحلب، فقال الشيخ عيسى: لا أعلم، إلا أنني حينما طلبت الإذن من شيخي أبي النصر بالذهاب إلى استانبول لزيارة الشيخ أبي الهدى الصيادي بعد وفاته فأذن لي، وركبت القطار المتوجه من حلب إلى استانبول - (أقول: كان هذا والله أعلم عام ١٣٢٧هـ، ١٩٠٩م، عام وفاة أبي الهدى الصيادي) - وفي طريقي إلى استانبول كنت مواظباً على أذكاري، فصرت أسمع بأذني أصوات ذكري الذاتي (القلبي) فكاتبت شيخي أبا النصر بما جرى معي فأجابني: دُم على ما أنت عليه، إلى أن ينتقل منك إلى العوالم، فلما وصلني كتاب الشيخ انتقلت مني إلى العوالم. - (قال أستاذنا الشيخ عبد الباسط معلقاً على هذه الناحية: هذا إذن له من الشيخ أبي النصر بالتوجه) - قال الشيخ عيسى: فلما وصلت استانبول تلقاني تلاميذ الشيخ أبي الهدى رحمه الله، وكأنهم كانوا على موعد معي فقالوا لي: أنت الشيخ عيسى البيانوني من حلب ؟ قلت: نعم. وكان الشيخ أبو الهدى أوصى تلامذته قبل وفاته قائلاً لهم: سيزورنا الشيخ عيسى البيانوني من حلب - وذكر لهم صفة الشيخ - فأنزلوه في غرفتي.

قال الشيخ عيسى: وبت ليلتها في غرفة الشيخ أبي الهدى، فرأيت سيدنا رسول الله ﷺ في الرؤيا مع أصحابه الكرام، فكاتبت شيخي أبا النصر بواقع الحال، فأجابني: دُم على ما أنت عليه، حتى تجتمع بهم - أي بالرسول الكريم ﷺ وأصحابه - يقظة. قال الشيخ عيسى: فلو لم يجتمع الشيخ أبو النصر بهم يقظة لما أجابني بذلك. اهـ.

قال أستاذنا الشيخ عبد الباسط معلقاً على هذه القصة: إن تجسد أرواح الأنبياء والأولياء حاصل، باعتبار أن أرواحهم تلطفت وتخلصت من الجسم، فأصبحت كأرواح

الملائكة، تتجسد بالصور كما تتجسد الملائكة، وقد كان سيدنا جبريل عليه السلام يتجسد بصورة دحية الكلبي رضي الله عنه، ومن هذا الباب تجسد أرواح الأنبياء والصالحين، ورؤية الأولياء لهم واجتماعهم بهم يقظة. اهـ.

وذكر مثل هذا أستاذنا الشيخ محمد أديب حسون في كتابه آلاء الرحمن ص /٢٢/ فقال: (والاجتماع في اليقظة مع الرسول ﷺ جائز ولا مانع منه، فقد رأى رسول الله ﷺ أرواح الأنبياء ليلة الإسراء وخطبوا أمامه، وصلى بهم إماماً، ثم اجتمع بأرواحهم مجسدة على شكل أجسادهم الدنيوية في السماء، وراجعه سيدنا موسى عليه السلام في شأن الصلاة، وتخفيفها حتى بلغت خمساً بعد الخمسين، والاجتماع الروحي في اليقظة نتيجة الصفاء وصدق التعلق بالله ورسوله... وكان بعض الصحابة رضي الله عنهم يرون جبريل عليه السلام حينما يتجسد، وقد لا يرونه وهو يكلم النبي ﷺ). اهـ.

مدى محبة الشيخ عيسى لشيخه أبي النصر:

وكان الشيخ عيسى رحمه الله تعالى كباقي العلماء والإخوان، الذين تربوا على يدي سيدي أبي النصر رحمه الله تعالى وسلكوا مسلكه، يلجؤون إلى الشيخ ويزورونه ويشاورونه في عامة أمورهم وخاصتها، ويكاتبونه ويجيبهم على كتبهم، وقد قدمنا في ثبت كرامات الشيخ أبي النصر، ما حكاه لنا المنشد أبو علي الفتال عما جرى بين الشيخ عيسى وزوجته ومشاجرته معها، ثم ذهابه إلى حمص بعدها، وموعظة الشيخ له ووصيته له بها خيراً.

يقول عمنا أبو علي الفتّال رحمه الله: لقد حكى لي الشيخ عيسى هذه الحكاية مراراً.

وقال حاكياً قول سيدي أبي النصر رحمه الله: مالي غير مريد ونصف؛ الشيخ عيسى والشيخ عثمان. اهـ.

آثاره العلمية:

ولقد مدح الشيخ عيسى رحمه الله تعالى شيخه أبا النصر – قدّس الله روحه بالرحمة – بأشعار كثيرة وأحبه حباً فاق كل حب، ولقد نظم الشيء الكثير في محبة سيدنا رسول الله

ﷺ، وقد طبع ولده الشيخ أحمد عز الدين رحمه الله تعالى جزءاً من نظمه في ديوان له [1]، وألف الشيخ عيسى الكتب والمؤلفات في محبة النبي ﷺ وآداب الطريق النقشبندي، بخاصة كتابه الهام (الآراب في الآداب) وقدم له شيخه أبو النصر رحمه الله في أول كتابه تقريظاً له.

وقد ذكر في ذيل كتابه (غاية المطلوب في رؤيا المحب للمحبوب) مؤلفاته فقال:

تتمة في ذكر بعض ما منَّ الله به عليَّ ووفقني لتأليفه:

١- كنـــز الهبات في الصلاة على سيد السادات. ٢- تحذير الإنسان من آفات القلب واللسان. ٣- إعلام الأنام بأحكام الصيام. ٤- موادُّ العقل السليم في اتباع الرسول الكريم ﷺ. ٥- أكواب الرحيق في آداب الطريق. ٦- الآراب في الآداب (مختصر من سابقه). ٧- المنكرات خبر براق. ٨- الدروس النسائية. ٩- الأقوال الضابطة في أحوال الرابطة. ١٠- إتحاف المعتقد بجواب المنتقد. ١١- معرفة العبد ربه بالذكر والمحبة. ١٢- النصيحة في بيان الوطنية الصحيحة. ١٣- مثير الغرام ومشير الهيام (مختارات من المدائح النبوية). ١٤- فتح المجيب في مدح الحبيب (ديوان شعره). ١٥-١٦-١٧- الخطب المنبرية. ١٨- أسباب الوصول إلى حبّ مولانا الرسول ﷺ. ١٩- الموالد، وهي خمسة عشر مولداً:

أ- مولد (**البيان المقتبَس من القرآن**)، ذكر في صفحته الأولى بعد العنوان ما يلي: أثر العبد الفقير المحمدي عيسى بن حسن البيانوني .مدرس الأخلاق في المدارس العلمية بحلب الشهباء المحمية غفر له.

تنبيه: حروف غير القرآن في هذا المولد الشريف أكثر من حروف القرآن، فيجوز مسُّه بغير وضوء، كما نصّ عليه الفقهاء، ثمن كل نسخة ألف صلاة على النبي ﷺ، تجب الصلاة عليه كلما ذكر اسمه الشريف. وقد طبع هذا المولد الشريف في المطبعة الحجرية بحلب عام ١٣٥٣ هـــ.

وهذا المولد من النثر المنظم، يأتي بجملة ويلحقها بآية أو شطر آية بترتيب بديع من أول

---

[1] وقد قدمنا في ترجمة سيدي أبي النصر (بحث: ما قيل فيه من أشعار) الشيء الكثير من شعر الشيخ عيسى البيانوني.

المولد إلى آخره، حيث ينهي جملته بكلمة محمَّد ﷺ، وينهي الآية بلفظ الجلالة، ومعنى الآية مناسب لمعنى الجملة، والشاهد عليها قوله في مقدمته:

الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين، بكثرة اتباعنا لحبيبه محمد ﷺ.

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

له الحمد في الأولى والآخرة؛ جعلنا خير الأمم بامتثال أمر نبيه محمد ﷺ.

كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله...

وهكذا إلى نهاية المولد.

ب- أما مولد (**الاقتباس، من أنوار أرحم الناس**) فقد نظمه كما قال في صفحته الأولى بعام ١٣٣٤ هـ.

ج- أما مولد (**المَوْرِد المورود، مولد محمد المحمود**) فقد كتب تحت العنوان في الصفحة الأولى:

له أكمـــل سلام الملك الودود ولآله وأهل وداده كمال السعود

رَسَمه امرؤٌ اسمه روح الله، ومودُوده محمد رسول الله، آملاً حصول الآمال، ووصولاً لصالح الأعمال، والحمد لله لكل حال، وأكمل السلام لأكمل أهل الكمال، محرر أحكام الحرام والحلال، ولآله وأهل وداده، وكل سالك مسلكه لإسعاده، صار رسمه عدد: (الصاد واللام والراء، والدال والطاء والحاء) سنة ١٣٤١ هـ.

جمعية عشاق المصطفى:

وكان رحمه الله من شدة ولعه ومحبته بسيدنا رسول الله ﷺ ألّف جمعية عشاق المصطفى ﷺ، وجعل شرط الانتساب إليها والدخول فيها حتى يكتب الشيخ اسمه في دفتر سماه (**ديوان العاشقين**) الذي اتخذه لهذا الغرض، هو أن يصلي على النبي ﷺ كل ليلة أكثر من ألف مرة، وبلّغ أحبابه بهذا، وراسل أصدقاءه من العلماء كي يشجعوا الناس على الدخول في هذه الجمعية.

وقد وجدت صورةَ رسالة له بهذا الخصوص إلى الجد الشيخ محمد المسعود رحمه الله

تعالى [1] ، وقد دونها الجد بخطه في مفكرة له دون تاريخ، جاء فيها بعد المقدمة ما يلي:

أولاً: إنني ألهمني الله عز وجل أن أكتب أسماء المحبين للنبي ﷺ الصادقين، وجعلت الشرط الأعظم لمن يحب كتابة اسمه بهذا الدفتر المبارك؛ أن يعاهد الله تعالى على أن يصلي على النبي ﷺ في كل يوم وليلة أكثر من ألف مرة، بأي صيغة شاء، طالت أو قصرت، على حسب نشاطه، ومن لم يعاهد على ذلك؛ لا نكتب اسمه، فكتبت أسماء جماعة قبلوا بهذا يقرب عددهم من ثلاثين شخصاً.

ثم رأى رجل صالح سيدنا علياً كرم الله وجهه، وله إليه نسبة، فقبل يده الشريفة، فقال له: يا ولدي قل لولدنا الشيخ عيسى البيانوني يُتمّ الجدول. فقص الرجل عليّ هذه الرؤيا، فعلمت بداهة أن هذا الجدول مصدق عليه من النبي ﷺ، فازداد نشاطي في ذلك، وبعد أربعة أيام رأى الرجل نفسه في جنينة واسعة مشتملة على أنواع الأزهار والأشجار والثمار، تنفح فيها النفحات الطيبة، لم يرَ الراؤون مثلها، فمشى في أطرافها فلم ير أحداً، إلى أن رأى في وسطها قصراً عالياً، فأتاه فوجد على الباب رجلين واقفين، فسمع أحدهما يقول للآخر: هذا مأذون بالدخول فلا تمنعه، قال: فدخلت ولم أكلمهما، فصعدت فدخلت القصر، فوجدت النبي ﷺ جالساً وهناك رجال قيام بين يديه ﷺ واقفون خاشعون، متأدبون مطرقون، ورأيت الشيخ عيسى البيانوني جاثياً على ركبتيه بين يدي النبي ﷺ خاشعاً متأدباً، فناوله النبي ﷺ دفتراً من ذهب، وقال له: اكتب فيه أسماء العاشقين، وبشر العاشقين الصادقين بخيري الدنيا والآخرة. اهـ. فتحققنا من هذه البشارة أن هذا الدفتر الذي نكتبه مسجل عند النبي ﷺ، **بالسجل الذهب**، إشارة إلى أنه حاز كمال القبول، فحباً بنفع المسلمين بذلنا المجهود في الدعاية للكتابة فيه، فكتبنا حتى الآن ما ينوف عن مائتي اسم، ولا زلنا مجدين في العمل، وتعميماً للنفع رجونا معاونتكم في هذا الأمر، بأن تكتبوا لنا اسم من يرغب في ذلك ويتعهد بالقيام في الشرط المذكور، وتعاونوا

---

[1] انظر ترجمته في فصل علماء الباب من هذا الكتاب.

على البر والتقوى، وعمموا هذا الطلب في أهل **الباب وتادف وبزاعة ومنبج** وغيرها بكل ما يمكن، واجعلوا كل بلدة وقرية أسماؤهم جملة مستقلة، ثم تكرموا بإرسال هذه الجداول لنثبتها في الدفتر الأساسي الجامع المسمى بـــ (**دفتر الذهب**) بتسمية النبي ﷺ.

خادم العشاق المحمديين: **عيسى البيانوني**

انتهى من مفكرة الجد الشيخ محمد المسعود، دون تأريخ (ومن المرجح أنها كتبت بعام ١٣٧٣ هـــ)، حتى إن ضاع أصل الرسالة بقي نصها محفوظاً بكتابته في المفكرة.

أقول: ولا شك أن الجد رحمه الله تعالى تعاون مع أخيه الشيخ عيسى البيانوني بالدعوة إلى الإكثار من الصلاة على المصطفى ﷺ وتسجيل أسماء المحبين في (دفتر الذهب).

وحدثني العم المحب الحاج محمد علي الفتّال – في بيت سيدي الوالد بتاريخ ٢٧ شعبان ١٤١٧ هـــ، الموافق ٢٧ / ١٢ / ١٩٩٧م عندما سألته عن الشيخ عيسى رحمه الله وماذا يحفظ عن مآثره، وعن علاقته به ؟ – قال: إن الشيخ عيسى رحمه الله رأى حضرة الرسول ﷺ في منامه وقال له: يا ولدي اعمل الكتاب الذهبي لمن يصلي عليّ /١٠٠٠/ مرة في اليوم، وسجل اسمه فيه وخذ عليه العهد.

أقول: ولعل الرؤيا المذكورة هي ما رآه أحد المحبين، والتي ذكرها الشيخ عيسى في رسالته أعلاه للشيخ محمد المسعود، والكتاب الذهبي هو الدفتر الذهب.

قال أبو علي الفتّال: فكان الشيخ عيسى يتوجه إلى المسجد يوم الجمعة بعد الصلاة ومعه ابنه الشيخ أحمد، والشيخ أحمد القلاش، والشيخ بكري الرجب، ليسجل أسماء المحبين في السجل، ويأخذ العهد عليهم بالمواظبة على الصلاة على النبي ﷺ، وكان الشيخ القلاش يخطب فيهم ويحضهم على الصلاة والاشتراك في دفتر الذهب.

قصة طريفة:

ولتعرّف أبي علي الفتّال على الشيخ عيسى البيانوني قصة طريفة، تدلنا على قدر تواضع ورحمة الشيخ عيسى، وكيف كان يصيد الرجال؛ حدثني بها عن نفسه بالتاريخ المذكور أعلاه في بيت سيدي الوالد قال: دعانا الحاج أديب خضير، مريد الشيخ أبي النصر

رحمهما الله تعالى، إلى منـــزله في الفرافرة بمناسبة عقد زواج ابنته، وكان على رأس المدعوين سيدنا الشيخ أبو النصر، والشيخ عيسى البيانوني، والشيخ محمد سعيد الإدلبي، ومعظم علماء حلب، وكنت من جملة المدعوين مع ما يزيد على عشرة من أهل الطرب، قال لنا الحاج أديب: سوف نجلس معكم بعد ذهاب العلماء لنستمع إلى أصواتكم.

وجلسنا في غرفة علوية في الدار، وبعد إجراء العقد، طلب مني بعض الشباب قصيدة فأنشدت، ولما سمع صوتي الشيخ عيسى طلب من الحاج أديب إحضار صاحب الصوت، فجاءني، ولكن رفاقي مانعوا في ذهابي، ولما تأخر الحاج أديب في إحضاري، قال الشيخ عيسى: أين المنشد، فقال له الحاج أديب: شباب ! مبسوطون ! فقال الشيخ عيسى: إما أن تحضره وإما أن تأخذني إليه. ولّما لم آتِ، أتى الشيخ عيسى بنفسه وقال لي: ما اسمك ؟ قلت: محمد علي فتال. قال: أنشد يا بني. وجاءه حال عجيب وبكاء، فسرى حاله علينا، فخشعنا من ساعتنا، ثم دعاني لحضور الليلة التي يقيمها ليلة الجمعة في جامع أبي ذر.

ولما تأخرت في الذهاب، ضمنا اجتماع آخر في جامع أبي الشامات في محلة الجبيلة، فدعاني مرة أخرى فجئت والتزمت المسجد، وقال لي: أنت امدح الرسول ﷺ محبة به، ونحن نعطيك إكراماً، حتى يكون مدحك لله. فملك قلبي والتزمته، وعن طريقه ولزوم مسجد أبي ذر تعرفت على شيخنا أبي النصر، حيث كان ينـــزل في حلب، عند الشيخ عيسى في بيته في أبي ذر، وكنت حينما أنشد بين يديه أرى ميلاً منه إليّ، وحدْباً وعطفاً عليّ.

وكان عندما يسافر ويودعه كبار الإخوان يقولون لي: إن الشيخ يسلم عليك، فكنت أرى نفسي أصغر من ذلك، حيث كنت أحدث الإخوان سناً.

وقال لي أحد أحباب الشيخ: إن الشيخ أبا النصر يحبك، فكان هذا مما يزيدني تعلقاً وحباً للشيخ، وقد سمعت سيدي الشيخ أبي النصر يقول: أبو علي الفتّال ينشط أهل القلوب، مثلما نسكب الماء على الريحانة فتنشط.

ويتابع أبو علي الفتّال حديثه عن الشيخ عيسى رحمه الله وطيب ثراه قائلاً: جئنا ليلة

من الليالي إلى مولد أبي ذر، ولم يحضر الشيخ عيسى لمرضه، وكان منـــزله داخل المسجد وكان يحب الرواس [1] رحمه الله تعالى، فأنشدت قصيدة للرواس وهي:

ما أحيلى ليلـــى ومـــا أبـــهـــاهـــا ... خطف القلب يـــا هُـــزَيْمُ، هواهـــا

كـــلمـــا لألأ البـــوارق ليـــلاً قلـــ ... ـــت: ليلـــى انجلـــت ولاح ســـناها

لـــو تـــراني إذا تـــرنـــم حادٍ باســـ ... ـــم ليلى، لقلت: ذا الصـــب تاهـــا

ورفاقٍ ســـريتُ فيهـــم ثقـــيـــلاً ... والبـــوادي هـــزّ القلـــوب وجاهـــا

نـــتداعـــى صـــرعى غـــرامٍ ووجـــدٍ ... إن قطعنـــا آهـــاً نواصـــل آهـــا

وبـــتلـــك الـــتلال أصنـــاف وردٍ ... حفـــظ القلـــب لونهـــا وشـــذاها

وبـــقاعٍ آرامهـــا تـــترامى حـــول ... ليلـــى طوّافـــةً بحماهـــا

ريمـــةٌ تـــجعل الـــفحول حيـــارى ... وأســـودَ الغابـــات مـــن قتلاهـــا

فهنـــيـــئاً لمهجـــة عشـــقتهـــا ... وهنيئـــاً لكـــل عـــين تراهـــا

فـــهـــي معراج روح كـــل ولـــيّ ... لـــيس للأوليـــاء قصـــدٌ ســـواها

فلم أُنْهِ قصيدتي إلا والشيخ عيسى يفتح باب المسجد ويدخل قائلاً: جبتني لعندك يا أبو علي، ونسي مرضه، وتابع المجلس. وقال لي ابنه الشيخ أحمد: إن الشيخ عيسى شغلته كبيرة، هو هنا والشيخ يوسف النبهاني في بيروت. وقال لي الشيخ عيسى: من محبتي

---

[1] هو السيد بهاء الدين، محمد مهدي الخزامي الصيادي الرفاعي الشهير بـــ (الرواس)، ولد في بلدة (سوق الشيوخ) من أعمال البصرة في العراق بعام ١٢٢٠هـــ وتعلم القرآن، وتوفي والداه، ورباه خاله، وطلب العلم، وسافر إلى الأزهر الشريف فمكث فيه ١٣عاماً نهل فيها من علوم أشياخه في المعقول والمنقول، وكان قبله هاجر إلى الحرمين الشريفين، وتلقى عن أشياخهما هناك، وحفظ كتاب الله، والكتب الستة برواياتها وأسانيدها، ثم خرج من مصر متجرداً إلى الله ماشياً لا يعرف الناس، ولا يعرفه أحد، ونزل العراق ودخل البصرة، وطاف أكثر البلاد، وتوفي في بغداد ١٢٨٧هـــ ودفن فيها. وله المؤلفات العديدة النافعة، ومن أجلّها (بوارق الحقائق) وترجم فيه نفسه، وذكر كثيراً من سياحاته وله (طي السجل) و(رفرف العناية) وغيرها، وله سبع دواوين من الشعر الرائق العجيب، تجمع أكثر من مائة ألف بيت من الشعر، طبعت معظمها، ترجمه السيد أبو الهدى الصيادي في كتابه (وسيلة العارفين) وطبع آخراً بعناية الشيخ محمود الدرة، عام ١٤٢٢هـــ وأهداني نسخة منه حفظه الله.

بالشيخ يوسف النبهاني فإني زرته في بيروت وتعرفت عليه، وجلست عنده أياماً.

قال سيدي الوالد الشيخ محمد علي المسعود، لما سمع هذا الكلام من أبي غلي: ولِمَ لا ؟ فإن الشيخ يوسف النبهاني رجل العالم الإسلامي، ومحبوه في كل الآفاق الإسلامية.

قال أبو علي: قال لنا خادم مقبرة الشيخ يوسف النبهاني في بيروت وهو رجل صالح، رأيت يوم دفن الشيخ يوسف في المقبرة في الرؤيا - بل بين اليقظة والمنام - سيدنا رسول الله ﷺ يستقبل الشيخ يوسف النبهاني ويلحده في قبره.

قال سيدي الوالد عندما سمع كلام أبو علي: في كتاب (أفضل الصلوات) للشيخ النبهاني صيغة للصلاة على النبي ﷺ يقول فيها: من واظب عليها كل ليلة جمعة لم يلحده في قبره إلا النبي ﷺ، والشيخ الذي كتبها هو أحق بها [1].

أستاذنا القلاش يتحدث عن الشيخ عيسى:

والحديث عن الشيخ المحمدي المحب لرسول الله ﷺ الشيخ عيسى البيانوني حديث ذو شجون، فهو حديث العلم وحديث الحب، وحديث الطريق، وحديث أبي النصر وأحبابه، ولوثيق الصلة بين أستاذنا الشيخ أحمد القلاش حفظه الله وأمد بعمره وبين الشيخ أبي النصر وبين الشيخ عيسى، سألت شيخنا القلاش أن يحدثني ويملي عليّ عن صلته بالشيخ أبي النصر وأثره فيه، وكذلك عن الشيخ عيسى، فكتب لي عن سيدنا أبي النصر بخطه ما أثبته في ترجمة شيخنا القلاش في الفصل الخاص به فيما مضى [2]، أما ما يتعلق بالشيخ عيسى رحمه الله، فقد أملى عليّ ما يلي:

لازمت أنا وصديقي الشيخ بكري رجب [3] الشيخ عيسى البيانوني آخر حياته، ولمدة

---

[1] هذه الصيغة هي: (اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي الأمي الحبيب العالي القدر العظيم الجاه وعلى آله وصحبه وسلم). اهـ من كتاب أفضل الصلوات على سيد السادات وهي الصلاة السادسة والخمسون في الكتاب، فارجع إليه فإنه نفيس وعظيم في بابه.

[2] انظر ترجمة الشيخ القلاش في الفصل السابق (تراجم علماء الحرمين الشريفين).

[3] انظر ترجمة الشيخ بكري في هذا الكتاب في فصل (تراجم علماء الباب وتاذف).

أربع سنوات، قرأ لنا أكثر كتاب (شرح الحكم العطائية) لابن عباد، و (بوارق الحقائق للرواس). وسمعته يقول آخر حياته بعدما كان يمضي كتابه بـــ (عيسى البيانوني) قال: كشف لي الستار، فرأيت رسول الله ﷺ يقظة يقول لي: أنت (المحمدي) فصار يكتب توقيعه: المحمدي عيسى البيانوني.

وكان كريماً يشتري الكتب لمن يقرأ الدرس عنده من الإخوان والتلاميذ، ولما كنت أقرأ عنده شرح الحكم، أعطاني قيمة عدة نسخ لشرائها لمن يقرأ. وجئته مرة فأعطاني كتاب (السيرة الحلبية)، وقال لي بعه بـــ /٣/ ليرات سورية، فلم يشتره أحد بهذا المبلغ، فأعدته إليه وسألته: لماذا تبيعه ؟ فقال لي: إن خادم مسجد أبي ذر، وكان من مهاجري المدينة المنورة، بحاجة إلى الطحين، وما عندي ما أعطيه، فقلت لك: بع لي الكتاب من أجل ذلك. فبكيت أنا وأعطيته /٣/ ل.س ليعطيها إياه، ومن يومها صرت أفكر في شراء الكتب العلمية وتوزيعها لطلاب العلم.

وكان الشيخ عيسى رحمه الله تعالى أملى عليّ تاريخ حياته، هو يملي وأنا أكتب حرفياً ما يقول، وكان مجموع ما أملى علي /٢٠٠/ صفحة، ذكر فيها تاريخ حياته ومبايعاته لمشايخ الطرق كلهم، رفاعية وقادرية ونقشية وغيرها، وكان يرى في منامه مشايخ الطرق الأصول، وكان يصحبنا إلى زاوية بيت خير الله في حارة الباشا بحلب، ويقرأ لنا كتاب الشيخ أحمد الصياد، ولا أدري أين صار هذا الكتاب المخطوط الآن، وكان أخي الشيخ بكري رجب يحضر معي عندما أكتب له ما يملي عليّ، وكان يطعمني التمر أحياناً، فإذا لم يكن أخي الشيخ بكري حاضراً يقول لي: عدّ نوى التمر الذي أكلته، وخذ بعددها لأخيك بكري. وفاءً منه رحمه الله.

وكان تأثير الشيخ فيّ بالغاً فهو الذي حبب إليّ العلم والعلماء، وهو الذي غرس في قلبي بعد شيخي أبي النصر المحبة النبوية، ولا سيما كتب الشيخ يوسف النبهاني، فلم أرَ له كتاباً إلا وقرأته له، وتأثرت بأشعاره البالغة أثرها في المحبة. اهـ.

أقول: وكنا في المدينة المنورة في موسم حج عام ١٤٠٥ هـــ، ١٩٨٥ م، بصحبة

سيدي الوالد، وكان يتذاكر مع أستاذنا الشيخ القلاش عن شيخهما الشيخ عيسى البيانوني، فذكرا محبة الشيخ عيسى للشيخ أبي النصر، ومدى تعلقه به وبأحبابه، وذكرا أيضاً تخصص الشيخ عيسى بمحبة الشيخ عبد الجليل مراد [1]، فنظم هذين البيتين فيه:

قالوا نرى عبد الجليل مقرباً ... والكل منا للجليل مراد

فأجبتهم يا غافلين تنبهوا ... ما كل عبد للجليل مراد

أقول: رحم الله الشيخ عيسى وطيب ثراه، كم كان رجلاً فذاً وعظيماً، عالماً ومطلعاً ومحباً فانياً برسول الله ﷺ ومدينته الشريفة، وكم أنشد:

يا زائرين المصطفى أجمعكم ... لو استطعنا لخرجنا معكم

إن أمكنت زيارة ولم نزر ... إذن لفي ضلال وسعر

وكم أنشد: يا ليت روحي في المدينة تنزع...

وفاته: ونتيجة هذه المحبة التي ملكت شغاف قلبه لسيدنا رسول الله ﷺ، وتمنيه أن يدفن في بقيعه الشريف، فقد أكرمه الله سبحانه بالوفاة في المدينة المنورة، ودفن في البقيع، يوم ٢٨ ذي الحجة ١٣٦٢ هـ الموافق ٢٥ كانون الأول ١٩٤٣ م، بعد آخر حجة حجها، إذ كان يحج كل عام ويحمل معه صدقات أهل حلب لفقراء المدينة من جيران النبي ﷺ.

وحدثني عمنا الشيخ عمر ملاحفجي [2] نزيل المدينة المنورة، في صيف عام ١٤٢٠ في بيت والدي، أن شيخنا محمد بن زكريا البخاري [3] نزيل المدينة المنورة، حضر جنازة

---

[1] انظر ترجمته في فصل علماء حمص من مريدي الشيخ سليم من هذا الكتاب.

[2] تقدمت ترجمته في فصل (العلماء المجاورين في الحرمين الشريفين).

[3] ولد في بخارى (أوزبكستان ١٩٠٠ م) وهاجر منها بعد استيلاء الشيوعيين على البلاد الإسلامية هناك بعام ١٩١٧ م، وجاور في المدينة المنورة بعدما حج، ولازال مقيماً فيها، وهو العلم الأوحد من أهل العلم والطريق فيها، يزوره أهل العلم والفضل من كافة أقطار الدنيا، وكذلك المحبون لسيدنا رسول الله ﷺ من الحجاج والعمار، ويقام مجلس ختم القرآن الشريف لديه بعد كل صلاة جمعة، كما يقام الختم النقشبندي لديه كل يوم صباحاً مع خاصة أحبابه وإخوانه من طلبة العلم وغيرهم، وأكرمنا الله سبحانه ولازال يكرمنا بحضور مجالسه كلما حججنا واعتمرنا وزرنا، وبدعواته وتوجهاته، متع الله في حياته وأمد في عمره ونفع به آمين. توفي ودفن بالبقيع في رمضان ١٤٢٦هـ -٢٠٠٦.

الشيخ عيسى لما صلي عليها في الحرم النبوي، قال: ولم يبق إنسان من أهل المدينة والمهاجرين إليها إلا وحضر صلاة الجنازة عليه، ويومها أغلقت المتاجر أبوابها، من أجل الصلاة عليه وحضور دفنه، رحمه الله.

ولا يزال المنشدون يرددون مدائحه للحبيب المصطفى ﷺ التي يعلن فيها هيامه ومحبته بهذا الرسول المصطفى وآل بيته الكرام، ومن أخصها هذه المخمسات البديعة:

هِمْ بالحبيب محمد وذويه ... إن الهيام بحبه يرضيه

إن مات جسمك فالهوى يحييه ... جسد تمكن حب أحمد فيه

تالله إن الأرض لا تبليه

طوبى لمن هو في المحبة صبُّه ... لِمَ لا ومولاه الكريم يحبُّه

في القبر حاشا أن يضام محبه ... أو كيف يأكله التراب وحبُّه

في قلبه ومديحه في فيه

من بعده روحي أطالت أنّها ... أنا لست أصغي للعذول وإن نهى

يا عاشقاً ذات الحبيب وحسنها ... أكثر عليه من الصلاة فإنها

هي نور قبرك عندما تأويه

يا رب عبد قد أسا بفعاله ... وبِذُلِّه قد مدّ كف سؤاله

وأتى حبيبك طامعاً بنواله ... عبد توسّل بالنبي وآله

فبحقهم يا رب لا تخزيه

ولقد صدق هذا الشيخ المحب فيما أقسم به بأن الأرض لا تبلي جسد محب النبي ﷺ، فقد حدثنا أستاذنا الشيخ بكري رجب، في إحدى ليالي الجمعة من أعوام ١٣٩٤هـ، في مسجد أبي ذر بحضور شيخنا عبد الباسط، أن جسد الشيخ عيسى البيانوني بعد وفاته لم تأكله الأرض وبقي كما هو، وذكر لنا رؤيا أثبتها في كتاب له سماه: (المثل العليا في الحب للجناب المحمدي) - وقد طبع هذا الكتاب بعام ١٣٨٣ هـ - بعد أن ساق أبيات الشيخ عيسى المذكورة أعلاه قال فيه: كنت بعام ١٣٦٥ هـ في المدينة المنورة في جوار

المسجد النبوي نازلاً في مدرسة علمية يقال لها: مدرسة بشير آغا، وكان معي المنشد الحلبي المشهور الحاج مصطفى حبوش وشخص آخر، فبينما نحن نائمون في إحدى غرفها ليلة من الليالي، إذ استيقظ الحاج مصطفى وهو يصلي على النبي ﷺ، فاستيقظت وقلت له: ما شأنك ؟ قال: اجلس أحدثك عن رؤيا رأيتها هذه الليلة. فشرع يحدثني ويقول: رأيت أني في البقيع عند الشيخ عيسى البيانوني، فرأيت الشيخ رحمه الله متوسداً في قبره، ورأيت قصائد نبوية في صدره، وعلى كتفه منقوشة، فتعجبت من ذلك، فسلمت عليه وقلت له: ما فعل الله بك ؟ قال: قد غفر لي ورحمني وتوّجني. وذكر الكثير مما أعطاه الله، ثم قال: وحفظ علي جسدي من الفناء بسبب حبي ومدحي للنبي ﷺ. اهـ منه.

وقد كان هذا القسم (تالله إن الأرض لا تبليه) موضع شك من بعض أحفاد الشيخ فقال: كيف يقسم الشيخ عيسى وهو العالم العامل، يقسم بالله بأن الأرض لا تبلي جسد محب النبي ﷺ ؟! حتى كانت زيارتهم لجدهم الشيخ عيسى رحمه الله بعام ١٣٩٨هـ، هو وبعض إخوته وإخوانه، فحدثهم من كان يجهز القبور في البقيع حينما رآهم مجتمعين على قبره بما رأوا في قبر الشيخ، حيث أنهم أرادوا تجهيز القبور في موضع دفن الشيخ، فلما كشفوا على القبر وجدوا جثة الشيخ بحالها، وكفنه بحاله، لم تأكله الأرض ولم تُبْلِهِ، قال: فأيقنت آنذاك أن الشيخ عيسى كان يقسم عن علم ويقين بما يقول.

ومن شعر الشيخ عيسى البيانوني المحب الصادق والرباني الذائق، مقطوعة مطلعها:

يا رب إن ذنوبي في الورى كثرت ... بطاعة النفس تغويني وتغريني

وقد خمّسه الشاعر المحب لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، شاعر الشيخ أبي النصر؛ الحاج صالح الحلبي المارعي، وأتحفنا به في زيارة له قبيل وفاته بحلب، وكان مريضاً، فعدته مع بعض الإخوان والأحباب، فأتحفنا بتخميس لأبيات الشيخ عيسى البيانوني.

قال المارعي:

هذي البرايا على توحيدك انفطرت ... قلوبها، إلى نعمائك انفطرت

أقول والنفس في نار الهوى استعرت ... (يا رب إني ذنوبي في الورى كثرت

بطاعة النفس تغويني وتـــغريـــني)

في كـــل آن أرى التسويف يحجبني عن المتاب وداعي الهوى يـــضحبني

ماذا أقول وعين الحـــــق ترقبـــني (واخجلتي يا إلهي إذ تـــحاسبـــني

وليس لي عمل في الحشـــر ينجيني)

فمن سواك لمن ضاقـــت مـــذاهبه بين الأنام وقـــد زادت متاعـــبـــه

أنت الكريم الذي ترجى مـــواهبه (وقد أتيتك بالتـــوحيد يـــصحبه

تصديق خير الورى غوث المساكين)

حباه ربي بما يرضى وكـــــرّمـــه بقاب قوسيـــن أو أدنى فـــكلّـــمه

لا أستـــطيـــع بـــمدح أن أعظمه (أرجى رجـــائي أن القلـــب تيّمه

حب النبي وهـــذا القدر يـــكفيني)

ونختم الكلام عن هذا المريد الصادق الذي كان الشيخ أبو النصر يقول عنه: عندي مريد ونصف – أما المريد فهو الشيخ عيسى، والنصف هو الشيخ عثمان المارعي [1] – نختم حديثنا بأرجوزة طبعها الشيخ عيسى بعام ١٣٣٠ هـــ ١٩١١م سماها مؤلفها الشيخ مصطفى الجابي الحموي رحمه الله (العروة الوثقى)، في التوسل بسادتنا رجال السلسلة النقشبندية.

أما أشعاره ومدائحه فهي كثيرة وجميلة، تبعث الحب والشوق، وتنشط السامع إلى المحبة والاتباع، اخترنا منها بعضها وأثبتناه في بحث ما قيل من أشعار ومدائح في الشيخ، ومن شاء المزيد فليرجع إلى ديوان (فتح القريب المجيب)، وأما الأرجوزة فها هي:

(**العروة الوثقى**) في التوسل بالسادات أهل السلسلة النقشبندية قدس الله أسراراهم العلية، نظم المرحوم **الشيخ مصطفى الجابي الحموي** رحمه الله:

قال الشيخ عيسى في نهايتها بعد أن ساقها كلها ما يلي:

(**تنبيه**): قد نقلت هذه الأرجوزة المباركة من ديوان ناظمها، وزدت فيها ونقصت،

---

[1] انظر ترجمته في الفصل الخاص بعلماء إعزاز.

وغيرت بعض الأبيات، ووضعت ذلك بين هلالين، والأعمال بالنيات، ونشرتها خدمة لأهل الطريقة العلية منبع الفيوضات، رجاء دعوة غيبية تمزج البدايات في النهايات، وتلحق الناقص بأهل الكمالات.

(**فائدة**): لكل مهم تقرأ الفاتحة الشريفة أربعاً وثلاثين مرة على عدد رجال السلسلة رضي الله تعالى عنهم، لكل واحد واحدة، ثم تقرأ هذا التوسل، فإنه سريع الإجابة إن شاء الله تعالى، بشرط الحضور والإخلاص، والله الموفق.

في غرة محرم الحرام سنة ١٣٣٠هـ.

كتبه خادم الفقراء النقشية بحلب: **عيسى زهدي البيانوني**، عفي عنه

وإليك نص الأرجوزة:

شكراً لربي ذي القَدَرْ ... يعلو على من قد شكر

وصلاته تهدى إلى ... من شرفت فيه مضر

يا رب بالذات التي ... حارت بها منا الفكر

وكذا جبريل أميـ ... ـن الوحي ناموس الخبر

وبسيد الرسل الكرا ... م محمد خير البشر

وصديقه (الصديق) مَنْ ... جاءت بمدحته الزُّمر

وكذا (بسلمان) الغريـ ... ـب الفارسي المفتخر

(وبقاسم بن محمد) ... من فضله فينا اشتهر

(وبجعفر) الليث الجسو ... ر (الصادق) الشهم الأَبَرّ

(وأبي يزيد) من ارتقى ... أوج العلا لما صبر

وكذلك (الجرجانِ) مَنْ ... بعناية الله انتصر

(وأبي علي الفارما ... دي) الهمام المعتبر

وكذا بعارف وقته ... شيخ الرجال (الرِّيوَكرْ)

وكذاك (بالهمدانِ) من ... طيَّ الحقيقة قد نشر

(بالغجدواني) الذي ... في البدو ساد وفي الحضر

وكذاك (بالانجير محـ ... ـمود) الذي قمع الغِيَرْ

وكذا (عزيزان) الفتى الر ... اميتني عالي النظر

بمحمد بابا (السما ... سي) المجاهد في السحر

وكذا (الأميرُ كلالُ) من ... ركن الضلال به اندثر

وكذا (الأُويسيُّ البخا ... ريُّ) المؤيّدُ بالظَّفر

وكذا (علاء الدين) من ... دُررَ العلوم قد ابتكر

وكذاك (بالجرخيّ) من ... سيف الحقيقة قد شهر

وكذاك (عبيد الله) أحـ ... ـرارُ الذي أَلِفَ السّهر

بالزاهد القطب الرفيـ ... ـع (محمدٍ) مجلي الكدَر

(ومحمد الدرويش) من ... كسرُ القلوب به انجبرْ

وكذا الولي (خواجكي ... المنعوتُ) بالوجه الأغرّ

بعُبيدك اللهم يا ... باقي (محمدٍ) القمر

(بالسِّرِّهندي) الإما ... م الصارم الماضي الذّكرِ

وكذا الإمام (محمد المعـ ... ـصوم) عن دنس القذر

وكذاك (سيف الدين) من ... في طاعة المولى أمر

وكذاك (البدواني) الذي ... بجماله العقل انبهر

وكذاك شمس الدين مظـ ... ـهر (جان جانان) الصّور

وكذا (بعبد الله شا ... ه الدهلوي) نور البصر

(وبخالد) غوث الورى ... من للأعادي قد قهر

(وكـــذا الطزقلـــي أحمـــد بضـــيائه يحكـــي القمـــر)

(وبســـيدي شـــيخي سليـــ ـــم القلـــب مـــن لَـــوثْ الغِيَـــر)

وكـــذا (محمّـــد) شـــبله شـــيخي أبـــو النصـــر الأبـــر)

الســـادة القـــوم الذيـــ ـــن يصـــان مـــن لهمـــو ذكـــر

فبجـــاههم أدعـــوك يـــا غـــوث اللـــهيف إذا عثـــر

يـــا مـــن لأهـــل وداده بنوالـــه الطـــامي غمـــر

وبـــذكره لقلـــوب أَرْ بـــاب الهدايـــة قـــد عمـــر

فـــاغفر عظـــيم ذنوبنـــا إذ أنـــت أولى مـــن غفـــر

أيليـــق أن يرتـــدَّ مـــن أمَّ المواهـــب وابتـــدرْ

يـــا رب فـــارحم عـــبرتي فالـــدهر أورثـــني العِبَـــرْ

واكشـــف بحولـــك كـــربتي والمســـلمين ومـــن حضـــر

(وارحـــم مصـــحح طبعهـــا عيســـى الـــذليل المحتَقَـــر)

واختـــم لنـــا بـــالخير يـــا نعـــم الغيـــث المـــدّخر

(واهْـــدِ الصـــلاة مـــع الســـلا مِ لأحمـــد خـــير البشـــر)

والآل والصـــحب الذيـــ ـــن يسـودُ مـــن بهـــم افتخـــر

(والتـــابعين وتـــابعٍ ومـــن اقتفـــى ذاك الأثـــر)

(مـــا هـــام ذاكـــر ربّـــه فأباحـــه منـــه النظـــر)

(وأثابـــه حســـن الختـــا مِ فنـــال أعلـــى مســـتقر)

(تمت)

رؤاه المنامية الصادقة: ونذكر هنا بعضاً من رؤاه المنامية، اخترناها من كتابه (غاية المطلوب في رؤيا المحب للمحبوب)، المطبوع مع ديوانه المذكور، والذي ألفه في رمضان ١٣٦٢ هـ، وذلك قبل سفره إلى الحجاز بثلاثة أشهر تقريباً.

قال الشيخ عيسى: رأيت النبي ﷺ مرة فقال لي: لا تلتفت إلى أحد من المخلوقات سواي. فقلت له: ولا إلى شيخي، فقال: شيخك أنت فيه بالخيار. (الرؤيا رقم ٥ ص١٣٨).

وقال: رأيته ﷺ مرة فقال لي: أنا حبيب الله، وأنت حبيبي. ثم بعد أكثر من عشرين سنة رأى رجل من الصالحين النبي ﷺ، وقال له: أنا حبيب الله والشيخ عيسى حبيبي. وهذه بشارة بعد بشارة. (الرؤيا ٦ ص ١٣٨).

وقال: ورأيته ﷺ مرة، وكنت أكتب اسمي عيسى البيانوني النقشبندي، فقال لي: أنت المحمدي. فصرت بعد ذلك إذا كتبت توقيعاً أكتبه هكذا: المحمدي عيسى البيانوني، جاعلاً المحمدي سطراً أعلى، وتحتها عيسى وتحتها البيانوني. (الرؤيا ٧ ص ١٣٩).

ما قيل في رثائه: وبعد وفاة الشيخ عيسى بشهرين في ٢٥ صفر ١٣٦٣ هـ أقامت جمعية البر والأخلاق الإسلامية بحلب مناسبة إحياء ذكرى الفقيد الشيخ عيسى تكلم فيها الخطباء من تلامذته وغيرهم ذكروا فيها مآثره وما رثاه به الخطباء نقتطف منها ما يلي:

أ- كلمة الأستاذ **عبد الفتاح أبو غدة:**

قال فيها: (.. لما بلغ من العمر عشراً أحب طلب العلم فنزل إلى حلب ولازم أخاه الشيخ حماده البيانوني رحمه الله تعالى، وكان أخوه هذا من علماء المدرسة العثمانية والمبرّزين فيها، فذهب به أخوه إلى قارئ حلب الحافظ المتقن الشيخ أحمد الشهير بالحجار، فلازمه حتى حفظ القرآن غيباً، وأتقن تجويده، وأحسن تلاوته، وتعلم كتابة الخط من الشيخ بشير الحياني، وكان خطاطاً ماهراً، فأجاد الفقيد الكتابة وتفنن فيها، ولما تم له ذلك التفت إلى دراسة العلوم الدينية وتلقيها من فحول العلماء، فقرأ أول ما قرأ على أخيه الشيخ حمادة البيانوني، واستفاد منه كثيراً..، ولما بلغ من العمر الثالثة عشرة تقريباً انتظم في عداد طلاب المدرسة العثمانية وقرأ على أساتذتها، وكانوا علماء جهابذة لهم الصيت الذائع والشهرة الواسعة، والباع في التحقيق وسعة الاطلاع، فقرأ علم التفسير على العالم العامل الشيخ مصطفى الهلالي الشهير بالدرعزاني، كما قرأ عليه علم المنطق وشيئاً من

علوم النحو والإعراب، وقرأ علم التوحيد على أخيه الشيخ حمادة، كما قرأ عليه مبادئ علم النحو والصرف والتصوف والفقه... وعلى الشيخ حسين الكردي علم التفسير والتوحيد والمنطق والصرف وعلم البلاغة بأنواعه وباقي علوم الآلات، ولزم حلقة العلامة الكبير الشيخ بشير الغزي فقرأ عليه علم الحديث النبوي، وشرحه للجزرية (في أحكام القرآن تجويداً ووقفاً وتلاوة)، كما قرأ عليه علم الأدب وعلم المعاني والبيان والبديع..، وأتم دراسته في علم النحو على العلامة الورع الزاهد الشيخ أحمد المكتبي، وكان الشيخ أحمد المكتبي نحوياً لا يبارى، ولزم الشيخ الصالح الجليل الشيخ سعيد السنكري في الفقه الشافعي بعد أخيه الشيخ حمادة، وكذلك قرأ في الفقه على العالم الفقيه الشيخ أحمد البدوي الجميلي الذي كان أستاذاً في المدرسة الشعبانية...

ولقد كان رحمه الله مبرّزاً بين أقرانه في الفهم عن الشيوخ...، فكان يحل المشكل، ويفتح الغامض، بأحسن جواب وأسدّ عبارة، ونال بهذه المزية الفذة غاية الإمتنان وأتم الرضا من شيوخه، وصار موضع ثنائهم ومحل إعجابهم...، قال عنه بعض أقرانه: لو بقي مشتغلاً بالفقه عاكفاً على دراسته لكان مرجحاً في المذهب الشافعي.

وكان في معرفته بصحة العبارة من خطئها كالصرّاف الجهبذ الناقد، أسرع ما يكون في استخراج الدرهم الزيف من الدراهم الصحيحة، إذا هو أمرّها في يده...

ولقد عمل أول مرة بعد المدرسة العثمانية، مدرساً في بلدة المعرة ست سنوات عاد بعدها إلى حلب خطيباً للعثمانية، ومدرساً للأخلاق في الخسروية، فكان خير أستاذ في بثّ الأخلاق علماً وعملاً.

ولما زار الشيخ العلامة المحدث بدر الدين الحسني الدمشقي [1] رحمه الله حلب، ورأى من الفقيد الإخلاص والتأثير على القلوب، طلب من مدير أوقاف حلب أن يعينه مدرساً للنساء، فكان لهن منه خير إفادة وأبلغ موعظة.

---

[1] انظر ترجمته في مبحث مريدي مولانا سليم في الجزء السابق.

وقد حبب إليه التصوف منذ شدا بالعلم، وكان يكثر من قراءة كتبه، حتى تعلق قلبه بحب رجال الصوفية رضي الله تعالى عنهم، وأحب أن ينتسب إلى بعض طرائقهم، فانتسب إلى الطريقة القادرية، وأخذها عن شيخه العالم العامل الصالح الشيخ مصطفى الهلالي، واشتغل بها مدة طويلة، ثم عنّ له أن يأخذ الطريقة الرفاعية، فتلقاها عن شيخ المسْلَكِ الشيخ محمد خير الله، واشتغل بها أيضاً، وفي خلال اشتغاله بها حضر إلى حلب الشيخ محمد أبو خالد الدمشقي، وكان رشيدي الطريقة فاجتمع به وأخذها عنه.

ثم أخذ الطريقة النقشبندية عن شيخه العالم الفاضل الشيخ محمد أبي النصر خلف الحمصي حفظه الله تعالى) . (اهـ ص ١٨ من مقدمة ديوانه فتح المجيب)

ب — من كلمة الأستاذ **عمر بهاء الأميري**:

(... لقد قضى الأستاذ عمراً طويلاً، تقلبت فيه البلاد شتى التقلبات، فكانت في ظلٍّ وظلّت بعده في ظلٍ، يتخلل ذلك الشيء الكثير من الاضطراب الخاص والعام...، وأصبح الناس فيها غير الناس، في تدهور الأخلاق، وضعف الثقة في المعاملات، وقلة الاكتراث في الدين، واقتراف الموبقات، والجهر بالمنكرات، كل ذلك كان يهيب بالعاقل العامل أن يظهر ما استطاع ميزة الأمة المحمدية، التي فضلها الله بها على الناس....

وهكذا نجد الأستاذ الفقيد رحمه الله يتنقل بين المساجد والجوامع، ويتغلغل بين الحلقات والمجتمعات، داعياً إلى الله منادياً بنبذ المنكرات، محبباً بالفضائل، مظهراً للناس سبل الخير، وما ذلك بالعمل اليسير..، ويذكر الأميري نقلاً عن ولده الشيخ أحمد البيانوني: أن والده قام بحركة جهادية قبل دخول الفرنسيين حلب، وجمع المتطوعين، ولما بلغه أن المقاومة انتهت في دمشق، وقد منعت حكومة حلب أي ظاهرة من هذا القبيل، فتفرقت الجموع وما تم له الجهاد..، ولما علم الجنرال غورو بفعله من بعض الوشاة قال: (إن هذا الأستاذ يشكر على عمله لأنه قام بواجب الدفاع عن وطنه)، ولما أخبره أحد الصالحين أنه رأى النبي ﷺ في المنام يحبذ له المعونة إلى أهل المدينة المنورة، بادر الشيخ إلى جمع المال من المسلمين

وأرسله إلى فقراء المدينة، ثم حج بعد ذلك وجعل هذا العمل ديدنه كل عام) [1] اهـ.

وقد أعطاني **أستاذنا الشيخ أحمد القلاش** (نزيل المدينة المنورة) هذه القصيدةَ التي ألقاها في تلك المناسبة بتاريخ ٢٥ صفر ١٣٦٣هـ بنادي جمعية البر والأخلاق الإسلامية بحلب، وهي هذه [2]:

حمل البرق إلى الشهبا نبا ... من حمى طيبةَ دار المجتبى
قال: روح الوالد المحبوب ... عيسى البيانوني إذا ما انتسبا
هزَّها الشوق بذيَّاك الحمى ... لم تطق صبراً ففاضت طربا
خرَّ ذاك النجم من عليائه ... حين مِن شمس الوجود اقتربا
بعد أن حجَّ أراق في منى ... من دم القربان ما قد كُتبا
ثم ساق الروح هدياً لائقاً ... ولها في دار طه قرَّبا
حلَّ من طيبة تراباً طيبا ... نال من آماله كل المنى
وغدا للمصطفى جاراً، ومن ... يك جار المصطفى لن يعطبا
هو في جنات عزٍّ وهَنا ... إنما فيه نُعزّي حلبا
كان صبَّاً مغرماً بالمصطفى ... ولكم صنف فيه كتبا
من ندى الرضوان مسكاً طيباً ... وهو فرد في الذكا
والفضل والحسب ... والذوق أديبُ الأدبا
وله ديوان شعرٍ جيِّدٌ ... يمدح الهادي فتلقى عجبا
إن يكن عيسى قضى فشعره ... خالد في الدهر شاء أم أبى
سوف يبقى آية الفضل إلى ... حينِ أن يكسر عيسى الصُلُبا
يا سقى الله ضريحاً ضمَّه ... وحباه الله قرباً دائبا

---

[1] ص٢٠، من مقدمة ديوان الشيخ عيسى فتح المجيب، منشورات دار طوق النجاة ببيروت ١٤١٩ هـ — ١٩٩٨م.

[2] أشرنا إليها في ص٣٣ من هذا الجزء.

وحبـــاه القـــربَ في الفـــردوس مـــا ... لاح بـــرق الغـــور أو هبـــت صـــبا

لهـــف قلـــبي يـــا دفينـــاً بالبقيـــ ... ـــــع ســـعيداً لا غريـــب الغربـــا

هل تُـــرى يســـمح دهـــري أن أرى ... قـــبرك الـــنّيربي الشـــهُبا

وأراني عنـــد طـــه ضـــارعاً ... أذرف الـــدمع أحـــاكي الســـحبا

أشـــتفي مـــن داء بعـــدٍ مضَّـــني ... ولخـــير الخلـــق أشـــكو وصَـــبا

وأبـــث الحـــزن والشـــوق لـــه ... وأناجي الحِبَّ مـــن خلـــفِ الحِبـــا

يا رســـول الله يـــا شمـــس الهـــدى ... أنـــت أصـــل الكـــل والعبـــد هبـــا

وصـــلاتي مـــع ســـلام عـــاطر ... للـــذي شـــرّف عُجمـــاً عربـــا

غـــرس الأخـــلاق والـــبر وقـــد ... فـــاق كـــل النـــاس أمـــاً وأبـــا

٢٥ صفر ١٣٦٣هـ أحمد القلاش

ما كتب عنه:

١- ترجم للشيخ رحمه الله من جاء بعده من المؤلفين، وقد ترجم له ترجمة مختصرة الشيخ أحمد سرَّدار مدير المكتبة الوقفية بحلب [1] في كتابه (بغية المريد في علوم الأسانيد).

٢- كما ترجم له ترجمة مفصلة الشيخ عبد الرحمن الويسي في كتابه (نخبة من أعلام حلب الشهباء) ذكر فيها انتقاله من قرية (بيانون) إلى حلب ودراسته فيها على علمائها وشيوخها، وقال فيها: (.. ثم عين مدرساً في بلدة المعرة سنة ١٣٣١هـ وأقام فيها إلى سنة ١٣٣٨هـ وعاد إلى حلب واشتغل بالخطابة في عدة مساجد ودرَّس في عدة مدارس، وأخذ عنه كثير من علماء الشهباء، وحصل له إقبال من الخاص والعام، وكان حلو النصائح، كثير التسبيح والحمد والتكبير والتهليل، يعد من أهل الذكاء والفطنة واليقظة

[1] الشيخ أحمد سرَّدار من طلبة العلم بحلب الذين اعتنوا بالإجازات والأسانيد، وألف فيها كتباً، وكان خطيباً لجامع السبيل بحلب ومديراً للمكتبة الوقفية بحلب، وكان من أوعية العلم المختصين بالتاريخ والحديث توفي بحلب ودفن فيها بعام ١٩٩٨م رحمه الله تعالى.

والمعرفة والنباهة والصلابة في الحق والفضل الواسع والتواضع، صحيح المذهب، واسع الصدر، هذا مع اشتغاله في التدريس)

وذكر مؤلفاته التي ذكرناها سابقاً، ثم ذكر اشتغاله بالتصوف، وعمن تلقى من شيوخ الطرق، ومنهم شيخنا أبي النصر الذي التزمه آخر حياته، وذكر رؤيا له لسيدنا صالح نبي الله عليه السلام ناقلاً عن كتابه بغية المريد فقال:

رؤياه لسيدنا صالح بن عبيد الثمودي عليه السلام:

وقد تشرف المترجم له برؤية الكثير من الأولياء والصالحين يقظة ومناماً، وذكر أنه رأى نبي الله ورسوله إلى قوم ثمود سيدنا صالح على نبيِّنا وعليه أفضل الصلاة والسلام، فأقبل النبي صالح على الشيخ عيسى البيانوني ببشاشة وسرور وقال: هات اذكر لنا بعض أوصاف حبيبك. يعني رسول الله ﷺ، فأجابه على الفور بقوله:

ولو لم يكن في صورة بشرية ... لما كان إنسان من الله يكرم
ولو لم يكن في وجه آدم لم تكن ... تسبّح له الأملاك وهو مقدم
ولو لم تمس الأرض أقدامه لما ... أبيح لأهل الأرض منها التيمم

فكان سيدنا صالح ﷺ كلما أنشده المترجَم له الشيخ عيسى يطأطأ رأسه الشريف بتواضع ويقول: نعم، وهو كذلك.

ثم ذكر وظائفه التي كان يمارسها، وهي خطبته في جامع العثمانية سنة ١٣١٦هـ، وأنه كان يأتي من المعرة كل جمعة ليخطب في العثمانية لما كان مدرساً فيها، ثم تدريسه في العثمانية والخسروية ومدارس أخرى، ثم ذكر وفاته في المدينة المنورة بعد الحج بعام ١٣٦٣هـ.

٣- وترجم له أيضاً الأستاذ عامر رشيد مبيض في كتابه الموسوعي (مائة أوائل من حلب) ج١ ص٣١٤ مع صورته.

العالم الورع، والمربي الفاضل

الشيخ أحمد عزّ الدين البيانوني الحلبي

(١٣٣٠-١٣٩٥ هـ) (١٩١٣-١٩٧٥ م)

أسرته ونشأته: هو الداعية القدوة، والعالم الربّاني، والورع التقي، المربّي الفاضل الشيخ أحمد الصياد الملقب "عزّ الدين"، ابن الداعية العالم والعارف الزاهد الشيخ عيسى البيانوني، دفين روضة البقيع، رحمهما الله تعالى.

والبيانوني نسبة إلى قرية صغيرة اسهما (بيانون)، تقع شمالي مدينة (حلب)، في بلاد الشام، على بعد خمسة عشر كيلاً منها تقريباً، وهي مسقط رأس الشيخ عيسى رحمه الله تعالى، وقد رحل منها إلى حلب، فنسب إليها وعرف بها.

ولد الشيخ أحمد عام ١٣٣٠ هـ، الموافق ١٩١٣ م في مدينة حلب، واستقرّ فيها مع والده رحمه الله تعالى، وكان والده من كبار علماء البلاد المشهود لهم بالعلم والفقه، والورع والتقوى، والتمسك بالسنة النبوية، والمحبة لرسول الله ﷺ.

نشأ الشيخ أحمد في أسرة علمية صالحة، وأفاد من علم والده، ومن علماء عصره، وصحب شيخَ والده الشيخ محمد أبا النصر خلف الحمصي إلى وفاته، وأفاد من صحبته كثيراً، والتقى كثيراً من أقران والده من علماء حلب وعلماء بلاد الشام، وعلماء الحرمين الشريفين، في أسفاره إلى الحج، وغيرهم من علماء العالم الإسلامي.

تلقى الشيخ أحمد دراسته النظامية في المدارس الحكومية، وتخرج في دار المعلمين، ثم عمل في حقول التربية والتعليم المختلفة، فعمل مدرساً في المعهد العربي الإسلامي، كما عمل سنوات عديدة ناظراً - معاوناً للمدير - في الثانوية الشرعية بحلب.

وكان له تأثيره البالغ في نفوس الطلاب فيها، حتى طلب الإحالة على المعاش عام

١٩٦٨م، حرصاً على التفرغ للدعوة، وتربية الشباب على المنهج التربوي الذي شرح الله له صدره وسار عليه في حياته، وقد ظهر أثر ذلك المنهج القويم في أهله وأولاده، وإخوانه ومحبيه، وجميع من يلوذ به.

اتجه إلى طلب العلم الشرعي، والتمسك بالسنة النبوية، والاهتمام بالدعوة إلى الإسلام، والتربية على منهجه وآدابه بُعيد دخوله ميدان التربية والتعليم، وهو شاب في مقتبل العمر، واتخذ لذلك منهجاً عملياً، يقوم على الحرص على تطبيق أحكام الإسلام، وسننه وآدابه، والتمسك بها وإشاعتها، ودعوة الناس إلى هذا المنهج، وتربية الأفراد والأسر على ذلك.

نشاطاته الدعوية: كان له دور رائد مع العلماء والدعاة إلى الله تعالى، في شتى المجالات الاجتماعية والدعوية التي تهم الإسلام والمسلمين، وكان حريصاً على اجتماع كلمة العلماء وتوحيد مواقفهم من مختلف الأمور العامة.

وكان متفنناً في أسلوبه التربوي ومنهجه التعليمي، عظيم التأثير في نفوس تلامذته، وبخاصة أولئك الذين درّسهم في أي مرحلة من مراحل التعليم، وفي مختلف مجالاته.

خلَف والده رحمه الله تعالى في الخطابة في جامع العثمانية، والإمامة في جامع أبي ذر، وانطلق عام ١٣٨٥ هـ- ١٩٦٥م من جامع أبي ذر في تأسيس مدرسة دعوية تربوية اهتمت بإحياء رسالة المسجد، وتربية المسلمين على التمسك بهدي الإسلام ومبادئه وآدابه، في كل شأن من شؤون الحياة، فأقبل الشباب على مجالسه الخاصة والعامة، ووضع لهم مناهج تربوية وتعليمية على حسب مستوياتهم واحتياجاتهم، واعتنى بنشر العلم الشرعي في صفوفهم، واتخذ من الوسائل والأساليب التربوية والدعوية ما يكفل لهم النشأة القويمة الراسخة، جاعلاً شعاره التربوي: (**الاتباع والعمل، والأخذ بالعزائم، وإحياء السنن، وبناء الفرد والأسرة والمجتمع، على مبادئ الإسلام وآدابه**).

وقد انتشرت مدرسته الدعوية في كثير من بلاد المسلمين، وساهمت مع غيرها من المدارس الدعوية في بعث الصحوة الإسلامية المعاصرة.

شخصيته: امتازت شخصيته بعدة مزايا أهمها: الصدق والصراحة، والحرص على الحق،

وشدة التمسك به، والتضحية في سبيله، وكان واقعياً عملياً، يكره الكلام بغير عمل، يتمتع بصفات قيادية، قلّ أن تجتمع في رجل، فقد كان إدارياً دقيقاً، حازماً حكيماً، يباشر الأعمال بنفسه، ويتابعها بدقّة واهتمام، ولا يمل من متابعة الأمور، والمحاسبة على التقصير، وكان مهيباً محبوباً، دمث الأخلاق، دقيق الملاحظة، رقيق الشعور، لطيف المعشر، ذا ذوق رفيع في كل شيء، لأنه كان ذا طبيعة فنيّة موهوبة، لا يملّ جليسه من حديثه لما يتمتع به من دعابة لطيفة، وحسن المفاكهة، وحضور بديهة، وانتقاء لأطايب القول، واحترام للجليس.

وكان شديد التواضع للحق والخلق، يعرف ذلك في مجلسه ومشيته، وملبسه وتعامله مع جميع الناس، وكان حريصاً على النصح والتذكير، قائماً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل موقف، بحكمة بالغة وحسن تأتٍّ للأمور، مما جعل تذكيره ووعظه وأمره ونهيه مقبولاً محبوباً.

وكان في بيته يشارك أهله أعمالهم، ويعينهم فيها، ويكرم ضيفه ويقوم بخدمته بنفسه، وكان عظيم الجود والكرم، والبذل والإنفاق في سبيل الله، لا يكاد يفرغ من سداد الدين الذي يتحمله في سبيل الله.

وكانت تربيته لأبناءه وبناته، وإخوانه وتلامذته، نموذجاً يحتذى في التربية الصالحة القويمة المتزنة، وقد أودع خلاصة تجربته التربوية، وفكره التربوي في كتابه (**منهاج التربية الصالحة**).

وقام تصوره عن العمل الإسلامي في هذا العصر، والدعوة إلى الإسلام وخدمته، على أساس من الحرص على: إحياء رسالة المسجد، وانطلاق الدعوة إلى الله تعالى من حلقات العلم والتربية في المساجد، والاعتناء بتربية الفرد والأسرة تربية شاملة متوازنة، على مبادئ الإسلام وقيمه وآدابه، بصورة تطبيقية عملية، فعمل على نشر العلم الشرعي في صفوف الشباب، ووضع منهاجاً تربوياً متكاملاً، يتدرج بالشاب في تطبيق الإسلام، والالتزام بسننه وآدابه في كل شأن، وتكوين الأسرة الصالحة الملتزمة بآداب الإسلام وهديه، ثم الدعوة إلى ذلك المجتمع.

وقد وضع لذلك رسالته الأولى: (سبيل الهدى والعمل)، التي لخّص فيها هدي الإسلام في جميع شؤون الحياة، وعرضه على شكل وصايا محددّة، وقد حظيت هذه الرسالة بقبول عظيم في مختلف الأوساط، وطبعت أكثر من عشر طبعات، وانتشرت في مختلف البلدان، وترجمت إلى عدة لغات.

أخلاقه وصفاته: كان رحمه الله تعالى عابداً زاهداً، تقياً ذاكراً، مستقيماً ورعاً، حريصاً على اتباع السنة في كل شأن، لا يترك التهجد في جميع الأحوال، شديد الخوف من الله، كثير البكاء من خشيته، عظيم الحب لله ورسوله ﷺ، حريصاً على الحج والاعتمار كل عام.

وقد وضع له بإخلاصه وتقواه، وزهده وورعه، وحكمته ولطف معشره، الحبُّ والقبول في قلوب العامّة والخاصة، حتى عند أولئك الذين يخالفونه الرأي، ويختلفون معه في المنهج.

آثاره ومؤلفاته: شارك رحمه الله تعالى في إعداد مناهج التربية الإسلامية في سورية لعدة صفوف دراسية، مع فضيلة الأستاذ العلامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى، كما شارك معه في تأليف كتاب (**قبسات من نور النبوة**)، وكان الغرض من تأليفها الرد على بعض المعترضين المفترين من أعداء المسلمين.

ومن مؤلفاته: (أخطاء لغوية شائعة)، و (الاجتهاد والمجتهدون)، وقد جمع فيه مقالات لعلماء عصره لبيان فضل الأئمة الأربعة ومذاهبهم، والموقف الحق من الاجتهاد في هذا العصر.

وعني رحمه الله تعالى بتقريب العلوم الشرعية، والثقافة الإسلامية لأبناء هذا العصر، فألف سلسلة العقائد، وهي في سبعة أجزاء صغيرة، ومجموعة العبادات في الفقه الحنفي، بطريقة مناسبة ميسرة، وله مثلها في الفقه الشافعي، وسلسلة (**من هدي الإسلام**)، وهي ذات موضوعات متنوعة، كلها مما يهم الشباب، ويسهم في تكوينهم الإسلامي المتزن، وقد صدر منها خمسة عشر كتيباً، وهي: شؤم المعصية وبركة التقوى، هذا الإنسان، الدعوة إلى الإسلام وأركانه، منهاج التربية الصالحة، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التوبة "قسمان"، القلب، العمل الصالح، الحق والباطل، فضيلة الدعاء والذكر "قسمان"،

الرؤى والأحلام، الهدى والضلال، الفتن، العشر المهلكات. وله بعض الكتب التي توفي قبل إكمالها، أو طبعها، منها: من مواطن العبر في قصص القرآن، بلوغ الأمل شرح سبيل الهدى والعمل، نداءات القرآن الكريم، نسائيات، كتاب في الآداب الشرعية، ومنها: تتمة الحديث في العشر المهلكات، مختارت من كلام السلف.

وقد حظيت مؤلفاته بالتأثير والقبول في مختلف مستويات الناس، وفي عدة بلدان، لما امتاز به مؤلفها رحمه الله من صدق وإخلاص، ولما فيها من مادة علمية نافعة، وما تتمتع به من أسلوب واضح سهل.

وخطبه يوم الجمعة كلها مكتوبة، وتمتاز بقوة البيان، وجمال الأسلوب، وجدّة الموضوعات، ومعالجة الموضوعات المعاصرة، والبعد عن الحشو والتطويل، والتركيز على الجوانب الإيمانية والتربوية التي تحتاجها الأمة.

وله شعر إسلامي، قوي جزل، في شتى الأغراض، وأكثره في الحنين إلى أرض الحجاز، وإثارة الشوق إلى المشاعر العظام، والتذكير بصاحب السيرة العطرة عليه أزكى التحية وأعطر السلام، وفيه الحث على العودة الصادقة إلى دين الله تعالى، واتباع شرعه وهديه، والاعتزاز بالإسلام ومبادئه وقيمه.

وفاته: توفي رحمه الله تعالى ضحى يوم الجمعة ١٧ من ذي الحجة ١٣٩٥ هـ، الموافق ١٩ من كانون الأول ١٩٧٥ م، بعد مرض عضال ألم به، عانى منه أشد الآلام، وكان أسوة حسنة في الصبر والاحتساب، ودفن في مقبرة العرابي في مدينة حلب، وكان يوم جنازته يوماً مشهوداً.

رحمه الله تعالى رحمة واسعة، ورفعه عنده في عليين، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً. اهـ.

وقد تفضل مشكوراً ولده، أخي وزميلي الدكتور الشيخ محمد أبو الفتح البيانوني وأرسل إليَّ هذه الترجمة التي أعدها عن والده الشيخ أحمد؛ ابن عمه الأستاذ عبد المجيد بن أسعد البيانوني، وهي مقتبسة من ترجمة مفصلة عن (رسالة المسجد في سورية) أعدها لنيل

شهادة الدكتوراه من جامعة أم درمان في السودان، فجزاهما الله خير الجزاء.

شذرات من سيرته: ولتسميته (أحمد عزّ الدين) حكاية لطيفة يذكرها والده الشيخ عيسى في كتابه (غاية المطلوب في رؤيا المحب للمحبوب) ص ١٣٠، قال: (رأيت في النوم في دار لي، وعندي جماعة جالسون على كراسي في الدار، وباب الدار موجه إلى الشرق، فالداخل منه يستقبل الغرب، فيقابله بيت فيها، موجه إلى الشرق، فلاحت مني التفاتة إلى باب الدار، فرأيت السيد أحمد الصياد سبط السيد أحمد الرفاعي - رضي الله عنهما - داخلاً من باب الدار، فأسرعت لاستقباله والسلام عليه، فقبلت يده، فسارّني قائلاً: أتريد أن تجتمع بالنبي ﷺ ؟ فقلت: يا حبذا، هذا غاية مطلوبي. فقال: اتبعني. فمشيت وراءه، فظل ماشياً أمامي حتى دخل باب البيت، فغاب عني فرأيت النبي ﷺ جالساً مستقبلاً الشرق، فجلست بين يديه، وقبلت يده الشريفة وقمت لأرجع إلى الوراء متأدباً، فأجلس في مقابلته، فقبض على طرف ثوبي بيده الشريفة اليسرى، وجرني إلى جهة يساره، فجر ثوبي إلى الأسفل، إشارة لي بالجلوس، فجلست ملاصقاً له، فمد يده الشريفة وتناول عنقي ورأسي، وجذبني إليه جذباً لطيفاً، إلى أن صار خدي على صدره الشريف، ويده على رأسي وعنقي، فغبت في تلك اللذة عن الكون بأسره، و لم أعلم مقدار تلك الغيبة.

ثم استيقظت فوجدت ذرات جسمي ممزوجة بحب السيد أحمد الصياد الذي كان لي واسطة في وصولي إلى هذه النعمة العظمى، فجزاه الله عني خيراً، وجزى الله عنا نبيَّنا محمداً ﷺ ما هو أهله.

وبعدها بأيام ولد لي مولود فسميته أحمد، ولقبته بالصياد، وعز الدين، وكنَّيته بأبي علي، وهو الآن في سن الثلاثين من عمره، عالم عامل، موفق كثير الرؤيا للنبي ﷺ والحمد لله على ذلك) . اهـ منه.

وسار الشيخ أحمد على نهج العلم والعمل في منبت كريم، ونشأة صالحة، وتولاه بعد وفاة والده بعام ١٩٤٣ هـ، الشيخ أبو النصر، وسار يستمد منه التربية والتزكية، وقد ولد للشيخ أحمد أولاد كثيرون، صاروا علماء فضلاء منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر.

صلته بالشيخ أبو النصر:

لقد فتح الشيخ أحمد عينيه إلى نور الدنيا، ووالده المحب الفاني والعاشقْ المتيم بحب الشيخ أبي النصر، فلا عجب ولا غرابة أن ينشأ الولد على ما أنشأه عليه أبوه:

وينشـــأ ناشـــئ الفتيـــان فينـــا على مـــا كـــان عـــوده أبـــوه

وما دان الفتى بحجـــىً ولكـــن يعـــــوِّده التـــــديّن أقربـــــوه

فنشأ في أحضان الشيخ أبي النصر، وكم وضع يده الشريفة على رأسه، وأجلسه في حجره، وقبّله من وجناته، حتى صار فتىً يافعاً، وشاباً ناضجاً، ورجلاً حازماً، وعالماً عاملاً، ولقد كان هو والشيخ عبد الباسط ابن الشيخ أبي النصر رضيعين لثدي واحد، وهي والدة الشيخ أحمد زوجة الشيخ عيسى البيانوني، تلك المرأة الصالحة التقية طيب الله ثراها.

مبشرات ورؤى صالحة: وقد ذكر الشيخ أحمد في ذيل كتاب والده (غاية المطلوب)، في الخاتمة ص ١٤٩، طرفاً من الرؤى المبشرات له أنه على قدم الشيخ أبي النصر قدس سره:

(يقول ولد المؤلف أحمد الصياد عز الدين غفر الله له: قد منّ علي ببركة سيدي الوالد رحمه الله تعالى، وبركة سيدي الشيخ أبي النصر قدس الله روحه، ببشائر جمّة، ورأيت أن أثبت هنا بعضها لتكون قرة عين للوالد، واعترافاً بفضل سيدي الشيخ رحمهما الله تعالى، وإيقاظاً لهمم السالكين، وإنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فأقول: لما عزمت على التمسك بالسنن النبوية، والعمل على قدم الاتباع، رأيت في المنام ليلة الأربعاء ٢٥ صفر ١٣٥٩ هـ- ١٩٤٠م، شيخاً جليلاً فسلمت عليه، فردّ عليّ السلام بحفاوة، وقال: هنيئاً لك، هنيئاً لك - ومدّ الثانية - طريق اتباع الرسول ﷺ يوصل إلى الجنة).

أقول: وكان شيخنا أحمد رحمه الله يحرص على المبشرات التي يراها له الإخوان المحبون للشيخ أبي النصر، والتي تبشره أنه على قدم شيخه.

إخاؤه مع سيدي الوالد الشيخ محمد علي المسعود:

ومما يذكر أن سيدي الوالد رحمه الله كان له إخاء ومودة مع الشيخ أحمد، ولما كان الشيخ أحمد في أخترين معلماً، كان الوالد في القرية المجاورة (دابق) مدرساً، وكان بينهما تزاور

وتلاقي زاد الصلة التي كانت بينهما منذ أيام الشيخين المربيين: الشيخ أبي النصر وتلميذه الشيخ عيسى، وقد عزم الوالد مرة على الحج، وكان ذلك حوالي عام ١٩٧١م، فرآني أستاذنا الشيخ أحمد في أحد شوارع حلب، ولما سلمت عليه سألني: هل بنية والدك الحج هذا العام ؟ فقلت: نعم. فاستبشر خيراً، وكان قد أبلّ من مرض طويل ثقيل لازمه أياماً طويلة وألزمه الفراش.

ولأنقل ما كتبه سيدي الوالد رحمه الله تعالى في ثبته في ترجمة (العالم الرباني الفاضل سيدي محمد أمين الكتبي أحد أعلام العارفين من علماء مكة المكرمة حرسها الله تعالى)، ويتضح منه سبب استبشار أستاذنا الشيخ أحمد البيانوني، قال سيدي الوالد:

(وأذكر بشارة أستأنس بها، وأمدُّ عنق الأمل أني لي من ذلك نصيب، وهي أن أخي الشيخ أحمد البيانوني، نجل شيخنا ومربينا ووارث سيدنا المرشد الكامل – مرشد سورية سيدي محمد أبي النصر – الشيخ عيسى البيانوني، رحمهم الله جميعاً، ذكر لي رؤيا رآها في حلب قبل موسم الحج في إحدى السنوات التي قسم لنا المولى الالتقاء فيه عند السيد المترجَم – الشيخ الكتبي – وكان في ذلك الوقت حصل له – للشيخ أحمد – مرض عظيم أيس فيه من الحج ذلك العام، ذكر لي أنه رآني معه في بيت السيد أمين الكتبي رحمه الله، وفي الصدر على مكان مرتفع، فلما استيقظ دبّ فيه الأمل والرجاء،أن يحقق المولى له ذلك، وزاد رجاؤه أنه سأل عني – أقول: وكنت أنا المسؤول كما ذكرت – فأُخْبِر بعزمي على الحج، فلما قسم المولى بكرمه ذلك الحظ، بالالتقاء عند هذا السيد الكتبي أعلى الله درجته في المقربين عنده، شرع الشيخ أحمد يقصُّ عليّ الرؤيا ويأخذ بيدي ليطبقها بالفعل من شدة سروره، وكان ذلك في غيبة السيد عن المجلس، وانفضاض الزوّار.

وآمل من كرمه سبحانه أن يكون تأويلها معنوياً، بأن يكون لنا في قلبه – قلب السيد الكتبي – المنـــزلة السامية التي نعدها أكبر ثروة وأعظم غنيمة، بل أقوى عدة نعدها لمهام الدارين، وما ذلك عليه سبحانه بعزيز، وهو الولي الحميد، ذو الفضل والجود، وله الحمد في البدء والختام. اهـ من ثبت سيدي الوالد رحمه الله).

عود إلى مبشرات الشيخ أحمد: قال: وفي صبيحة الثلاثاء ١٢ صفر ١٣٨١ هـ - ١٩٦٠ م، رأيت النبي ﷺ في بيتنا ومن حولي أهلي وأولادي نيامٌ على الفرش، فقمت إلى لقائه ﷺ، فالتزمني والتزمته، حتى غاب جسدي في جسده الشريف، وأصبح الجسدان جسداً واحداً، ووجدت في ذلك لذة عظيمة، وخشعة عجيبة. ولما استيقظ الأهل والأولاد من نومهم، وأنا في المنام حدثتهم بذلك فرحاً مستبشراً وأنا أرى حين أحدثهم أن ذلك وقع لي يقظة لا مناماً) اهـ ص ١٥٥.

نشاطه العلمي والدعوي:

كان رحمه الله شعلة من النشاط والحركة لا يهدأ ولا يكل ولا يمل، وأراد أن يمزج السلوك المحمدي الممثل بتربية أهل الطريق مع الفكر المستنير الواعي، ويصوغ منه شباب الجيل، والتزمه كثير من الشباب المؤمن وساروا على نهجه، فكان بحق مدرسة تربوية واعية من نموذج خاص يستمد من الطريق الصوفي النقشبندي الهمّة والعزيمة، والروح الإيماني الخاشع، ومن العلم الشرعي الممزوج بعلوم العصر الفكر النيّر الصافي، وسار بمن معه على هذا النهج، فأنتج جيلاً من الشباب على مختلف الصعد والمستويات، وطبقات الناس رجالاً ونساءً، متميزون في سلوكهم الإسلامي الواضح وأخلاقهم العالية، وصاروا يشار إليهم في كافة الصعد والمستويات، حتى أثنى عليه كثير من أهل العلم والإنصاف، وأصبح مدرسة إيمانية هادفة، إلى أن وافته المنية بعام ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥ م، بعد جهاد دؤوب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قولاً وفعلاً، وغرس الأخلاق والفضائل، وسار أولاده الأفاضل بعده على نهجه حتى زمن الفتنة ١٩٨٠ م، التي حصدت بنارها الصالح والطالح والأخضر واليابس، وتفرق الشباب أيدي سبا، وحصدتهم فيمن حصد، غفر الله لهم، وأصلحنا من بعدهم، وجعلنا مع أحبابنا على أحسن حال يرضيه سبحانه مع العافية.

شهادة: وقد قال الأستاذ الكبير عمر بهاء الأميري في كلمة ألقاها في حفل تأبين والده الشيخ عيسى بعام ١٣٦٣ هـ - ١٩٤٤ م: (وإني لأنتهي أيها الحفل الكريم إلى أثر اجتماعي هام، خلّفه الفقيد الراحل، وعنصرٍ حي، ذهب وهو مسرور بأنه لا يزال حياً،

ذلك نجله الكريم النجيب، الذي لا يشك ذو نظر أنه سيفوق أباه في علمه وعمله إن شاء الله، فقد هذبه فأحسن تهذيبه، وثقفه وعلّمه، فأشرقت بدايته، ونمت على عُلوِ كعبٍ في الفضائل والاتجاهات الخيرية، يأمل معها الإنسان أن يراه في مصاف الأماجد، ولا عجب، فقد قال ابن عطاء الله: (إذا أشرقت البدايات أشرقت النهايات). وإني لأذكر أن دار الأرقم التي كثيراً ما سمعتم عن الحلقة الخاصة التي انبثقت عنها، كان من أول أركانها الأخ الأستاذ أحمد، نجل الفقيد الراحل، الذي يطل علينا الآن من بلاد سعيدة، بإشراقات الأنوار المحمدية، وهو يردد في تصديق الحديث الشريف: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له).

وفاته: كما ذكر في أول الترجمة توفي إلى رحمته تعالى يوم الجمعة ١٧ ذي الحجة ١٣٩٥ هـ، الموافق ١٩ كانون الأول ١٩٧٥ م، وكان يوم جنازته يوماً مشهوداً، حضرها جمهور غفير من العلماء والفضلاء وأحباب الشيخ وتلامذته وإخوانه رحمه الله تعالى وأعلى درجاته عنده في عليين.

تنبيه: بعد إعداد هذه الترجمة اطلعت على كتاب (أحمد عز الدين البيانوني الداعية المربي) بقلم د. عبد المجيد البيانوني [1]، الذي أهدانيه ولده الأستاذ الدكتور أبو الفتح البيانوني. وهو كتاب قيم نافع بحق، وقد ذكر فيه المؤلف الذي عاشر الشيخ أحمد وتتلمذ على يديه زمناً طويلاً ترجمة واسعة للشيخ أحمد رحمه الله، وذكر فيه منهجه العلمي والتربوي والدعوي، وأبرز فيه ملامح لا يعرفها كثير من الناس عن أستاذنا الشيخ أحمد رحمه الله، وذكر فيه تعريفاً مسهباً بوالده الشيخ عيسى وشيخه أبي النصر قدس الله روحهما بالرحمة، ثم فصّل الكتاب سيرة الشيخ أحمد وحياته ومنهجه وكتبه، رحمه الله وأجزل مثوبته.

---

[1] نشرته دار القلم بدمشق ط أولى ٢٠٠٦م.

العالم الورع والفقيه المدقق

الشيخ محمد الجبريني الحلبي

(١٣٢٢-١٣٧٠ هـ) (١٩٠٤-١٩٥٠ م) تقريباً

هو العالم الورع، والفقيه المدقق، والصوفي المحب، الشيخ محمد بن قاسم الجبريني، نسبة إلى قرية (جبرين) القريبة حلب، حيث ولد عام ١٣٢٢ هـ - ١٩٠٤ م.

نشأ في ربوع حلب هو وابن عمه الشيخ محمد النبهان، صنوان في العلم، وزميلان في الطريق، وأخوان في الله، وكان من الأوائل الذين درسوا في المدرسة الخسروية وساهموا في خدمتها وتلقى العلم فيها مع إخوانه وزملائه العلماء: الشيخ محمد بلانكو، والشيخ ناجي أبي صالح، والشيخ عبد الله حماد، والشيخ عبد الرحمن الحوت، والشيخ معروف الدواليبي، وسواهم.

وقد كان ملازماً للتدريس في مدرسة الدليواتية في حي الفرافرة، وباقي المدارس الشرعية المنتشرة في أحياء حلب، بعد أن لازم المدرسة الخسروية طالباً بعام ١٣٤٢هـ - ١٩٢٤م ولمدة ثلاث سنوات، ولم يكن تابعاً للراتب فيها كباقي الطلبة، وكان له حدب وعناية خاصة على الطلاب الغرباء الذين يحضرون من الريف لينهلوا العلم في مدارس حلب، فكان يتعهدهم بالملاحظة والتربية، وتأمين حوائجهم وكتبهم، وتوجيههم للعلم النافع.

وكان من أكابر إخوان الشيخ أبي النصر، وكان رفيق الشيخ محمد النبهان في الطلب والأخوة في الطريق ولزوم الشيخ أبي النصر، وكان من السابقين في تلقي الطريق عن الشيخ أبي النصر ودلالة الإخوان عليه.

وقد حدثنا كثير من مشايخنا بالإضافة إلى سيدي الوالد عنه وعن أخلاقه الكريمة وشمائله العالية، ومما حدثني شيخنا وعمنا الشيخ موسى عبد الكريم الزيادي؛ أنه هو الذي

عرفه على الشيخ أبي النصر وأخذه إلى مجلسه عندما قدم إلى حلب لطلب العلم.

كما حدثني أستاذنا الشيخ أديب حسون أنه كانت له عناية خاصة به؛ فكان يلاحظه في غياب شيخه أبي النصر، ويوجهه للمطالعة النافعة في كتب العلم وينظِّم له وقته. قال شيخنا: واستفدت منه كثيراً في تنظيم وقتي ومطالعة دروسي والتزام وردي وأذكاري [1].

كما كانت زيارته للشيخ أبي النصر في حمص متتالية في الأعياد والمناسبات، وكلما اشتاق الإخوان لشيخهم كان الشيخ الجبريني يصحبهم إلى حمص، ويوجههم إلى أدب الصحبة مع الشيخ.

ومما يذكر في محبته لشيخه أبي النصر أنه كان مع جملة من العلماء من أحباب الشيخ في زيارة شيخهم في حمص بمناسبة عيد، وطلب الشيخان محمد النبهان ومحمد بلانكو من شيخهم الإذن أن يذهبا لدمشق لزيارة بعض علمائها، ويأخذا معهما ابن شيخهما وصاحبهما سيدي الشيخ عبد الباسط (أبا نزار)، فأذن لهم بشرط أن لا تتجاوز مدة الغياب ثلاثة أيام، وبقي الشيخ الجبريني لدى الشيخ في حمص، ولما مضت الأيام الثلاثة و لم يأت المسافرون من دمشق، وكثر الزوار والضيوف لدى الشيخ أبي النصر، قال لمريده الشيخ الجبريني: لقد تأخروا عليّ. فقال له الشيخ محمد الجبريني: لقد كنتَ في دمشق وتأخرتَ على سيدي سليم فوقف هنا (في الزاوية) أمام هذا الشباك وناداك، فسمعت صوته فحضرت، فنادِه أنت الآن. فقال لـــه سيدي أبو النصر: هيك بتقول ؟ قال له الجبريني: نعم. فوقف الشيخ أبو النصر أمام الشباك حيث وقف والده سيدي سليم متجهاً لدمشق، وناداه: يا عبد الباسط، يا عبد الباسط.

فسمع الشيخ عبد الباسط نداء والده وأسمعه لزميليه ثم عادوا مسرعين إلى حمص، ولما وصلوها قال لهم الجبريني: لقد تأخرتم على الشيخ. فقالوا له: ها قد جئنا. فقال لهم: جئتم هكذا ؟ لقد وقف الشيخ أبو النصر وناداكم؛ ألم تسمعوا النداء ؟ قالوا: بلى، فقال لهم: لم

---

[1] قال عبد الله: كان شيخنا الشيخ أديب يولي زميلنا عبد الله جبريني عناية خاصة لصلته بوالده ويثني عليه خيراً.

تأتوا من خاطركم وإنما كان بنداء الشيخ لكم. (وانظر هذه القصة في بحث كرامات الشيخ أبي النصر).

وبالجملة فقد كان الشيخ الجبريني رحمه الله من أكابر أهل العلم والطريق، والناشرين للعلم، والدعاة إلى الله الذين كان مسلكهم مسلك التجرد والزهد في الدنيا، وكان مدرساً في الخسروية وكالة عن الشيخ معروف الدواليبي عندما سافر إلى فرنسا لدراسته فيها.

وقد توفي رحمه الله تعالى حوالي عام ١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م، ولم يتجاوز عمره الخمسين عاماً، ودفن في حلب.

العالم الفاضل والمحبّ الكامل

الشيخ محمد بشير الدحدوح الحلبي النقشبندي

(١٢٩٧-١٣٨٠ هـ) (١٨٧٩-١٩٦١ م)

ولد هذا العالم الفاضل والمحب الكامل في حلب بعام ١٢٩٧ هـ-١٨٧٩م، في حي أقيول حارة النوحية، والتي تسمى اليوم حارة الريش، في بيت والده الصالح السيد أحمد دحدوح. وقد بدأ حياته الأولى بتعلم مبادئ القراءة والكتابة في كتاب الحي، ثم تعلم القرآن الكريم تلاوة وتجويداً وحفظاً وترتيلاً، ولما يبلغ الحلم، وظهر نبوغه في تلاوة وترتيل القرآن الكريم، حيث فاق أقرانه وأهل عصره في سنه، وزان ذلك صوت شجي، وترتيل جيد يظهر واضحاً في حلقات الذكر ومجالس العلم.

ولما أهّله سنه لتلقي العلم الشرعي الشريف، لزم الشيخ الفقيه علامة زمانه الشيخ أحمد الزرقا، فأخذ عنه الفقه وأصوله، والأدب وفنونه. كما تلقى علم الفرائض (المواريث) عن مشايخ عصره، فبرع فيه وبرز في حل مسائله بالإضافة إلى ما اشتهر به من تعليم القرآن الكريم تلاوة وتجويداً، فقد أفنى عمره في تعليم القرآن أجيال عصره ومن بعدهم لينال الخيرية التي ورد بها الحديث الشريف: (خيركم من تعلم القرآن وتعلمه)، فكان لأبناء عصره من بنين وبنات الحظ الأوفر من تعلمهم لديه، وتخرجهم عنه بالقرآن الكريم.

مع الشيوخ الربّانيين: وكان رحمه الله محباً لأهل الطريق، وآل بيت رسول الله ﷺ ملتزماً سيرهم ومنهاجهم، وخاصة آل خير الله بحلب، حيث كان من ملازميهم، ومنهم: الشيخ علي خير الله، والشيخ عبد السلام والشيخ محمد خير الله، وبنفس الوقت كان محباً للشيخ سليم خلف الحمصي النقشبندي، وكان يراسله ويبثه أشواقه، ويكتب له رسائله الشيخ عيسى البيانوني، كما كانت له مع رجال الطرق الدالة على الله صلات قوية،

كالقادرية والبدوية والدسوقية والسهروردية والسعدية، بالإضافة إلى الرفاعية والنقشبندية، وكانت له خلوات ورياضات ومجاهدات وأوراد وأذكار.

ولما أشرقت شمس الشيخ أبي النصر في سماء حلب، كان من الطبيعي أن يلتزم الشيخ محمد بشير به، وقد كان من قبل ملتزماً بوالده مولانا سليم. ولزم الشيخ بشير شيخه أبا النصر في كل مجالسه في حلب، وصار من أكابر المقربين إلى الشيخ المرشد الحمصي، وظهرت الصبغة النقشبندية عليه أكثر من غيرها، وخاصة بعد توجُّه شيخه إليه بالعناية والرعاية، وظهرت آثار الخير والبركة والفضل والصلاح على الشيخ الدحدوح، لا سيما وأنه كان عابداً ورعاً، ذاكراً خاشعاً، عازفاً عن مباهج الدنيا صابراً على لأوائها، معلماً للقرآن الكريم تالياً له، لا يفتر قلبه ولسانه عن الذكر والشكر، فكان مقصداً لأهل حيّه وبلده ومن عرفه من الناس يستشفون بدعواته وقراءاته التي جعل الله فيها الشفاء والبرء من العلل والأمراض.

وزانه الورع والتقوى، وزاده في العلم فهماً، وفي طريق القوم ودقائق التصوف ومقاصد العارفين بحثاً وغوصاً، ولمشكلاتهم حلاً وبسطاً.

وكان محباً محبوباً لإخوانه من أهل العلم والصلاح، والفضل والمعرفة وله بهم صلة طيبة، فبالإضافة إلى صلته بمولانا سليم وخليفته أبي النصر، فقد كان أخاً وداوداً وصديقاً محباً للشيخ عيسى البيانوني، والشيخ عثمان المارعي، والشيخ محمد ملاحفجي (أبو قبقابة)، والشيخ عبد السلام ومحمد وعلي خير الله، والشيخ علي الأحمر الكيالي، والشيخ نجيب سراج الدين، والشيخ محمد الناشد، والشيخ مصطفى بطيخ، والشيخ محمد النبهان، والشيخ أحمد الحاضري، وغيرهم من علماء حلب، فقد كانت صلة الأخوة والمودة والحب في الله تجمعه معهم ومع غيرهم من علماء حلب من معاصريه.

ولا تنسَ تلامذته الذين كان له فضل التربية عليهم وبالأخص منهم: ولده العالم الشيخ محمد سعيد، والشيخ محمد مصطفى بيرجكلي، والشيخ محمد ومحمود ومصطفى قضيماتي، والشيخ محمد وأحمد ومصطفى المؤذن، وغيرهم من أهل العلم والفضل، والتقوى والعمل، والصلاح والخير، وقد اختاره الله سبحانه إلى جواره والتحق بالرفيق الأعلى بعام ٢٧ شعبان

المبارك عام ١٣٨٠ هـ، الموافق لعام ١٩٦١ م، ودفن في مقبرة جبل العظام في أقيول بحلب.

ما كتب عنه في مجلة الجامعة الإسلامية:

وقد نوهت بفضائله، وذكرت محاسنه وسيرته مجلة (الجامعة الإسلامية) التي كان يصدرها في حلب الأستاذ الفاضل الشيخ محمد علي الكحال، فقالت في عددها الصادر في رمضان ١٣٨٠ هـ - آذار ١٩٦١ م، بجانب صورته رحمه الله ما يلي:

(ولا غرابة إذا أصاب الحزن من عرف الفقيد الورع العابد الشيخ محمد بشير دحدوح، فإنه عدا عن ورعه وعبادته، كان رحمه الله من حملة القرآن ومتقني ترتيله وتجويده، والدائب على تحفيظه وتعليمه ابتغاء وجه الله، وحفظة القرآن المتقون هم الذين يكلأون القرآن من أيدي العابثين، وهم الذين أخبرنا الرسول الأعظم عنهم في قولهم ﷺ: (الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة) مسلم، و (خيركم من تعلم القرآن وعلّمه) البخاري.

وكان الفقيد رحمه الله يتذوق أحكام القرآن بمفهوم اليسر والتسامح، ومن فطاحل علماء علم الفرائض والميراث، وقد أمضى الثمانين من عمره تعبداً وورعاً في المحاريب والزوايا وفي حلقات الذكر، عازفاً عن مباهج الدنيا، صابراً على قسوتها، بنفس أبية، وقلب مفعم بالرضا، يحلي بذلك روحه، ويهذب غيره، ويصقل نفوس مريديه، وهو رحمه الله ضليع في الفقه ومقاصد الصوفية، وحل مشكلات القوم ورموزها، لا سيما وهو في رتبة الخليفة من مشايخ الطريقة النقشبندية، يبتدي الأنس بمجالسه، تزينها الرجولة والإباء، ولطف المعاشرة، وحماسة الشهامة. وهذه (الجامعة) يحزنها أن يفقد ركن من أركان التقوى في حلب، بيد أن لنا في نجله العالم المفضال الصديق الشيخ محمد سعيد خير العزاء والسلوى. اهـ.

وجاء في كتاب (نخبة من أعلام حلب الشهباء) ما يلي: العالم الواصل، النقي التقي، القارىء المقرىء الزاهد الورع الصوفي الناسك الذاكر الشاكر الفقيه الفرضي النقشبندي السيد الشيخ محمد بشير بن السيد أحمد دحدوح الحلبي، ولد عام ١٨٧٩ بمدينة حلب. اهـ.

أقول: أخذتُ هذه الترجمة عنه وعن ولده محمد سعيد مما أعده السيد محمد بشير بيره جكلي، وبعضها من مجلة الجامعة الإسلامية عدد رمضان ١٣٨٠ هـ، ومما أملاه علينا شيخنا عبد الباسط أبو النصر لعام ١٤٠٠ هـ.

العالم الفقيه، والصالح الفطن

الشيخ محمد سعيد الدحدوح الحلبي النقشبندي

(١٣٣٧-١٣٩٧ هـ) (١٩١٨-١٩٧٧ م)

هو الشيخ العالم والمحب الفاضل محمد سعيد بن الشيخ محمد بشير بن السيد أحمد دحدوح المولود في حلب ١٣٣٧ هـ - ١٩١٨ م، لأب عالم وولي زاهد، وعارف تقي فاضل، ووالدة صالحة صابرة، حافظة لكتاب الله، ينتهي نسبها لآل بيت رسول الله ﷺ، وهي السيدة خديجة بنت الحاج عبد القادر بيره جكلي الأبرشي النقيب الحسيني.

تعليمه: تلقى مبادئ القراءة والكتابة بمدارس حلب الابتدائية، وحفظ القرآن الكريم على يد والده وعمره لا يتجاوز الخامسة عشرة، ثم لما صار سنه أهلاً للانتساب للمدرسة الخسروية التحق بها، وتتلمذ على أشياخها الأعلام وكان منهم: الشيخ أحمد الزرقا، وابنه مصطفى، والشيخ فيض الله الأيوبي، والشيخ راغب الطبّاخ، والشيخ أحمد الشماع، والشيخ أحمد الكردي (مفتي حلب فيما بعد)، والشيخ محمد الناشد، والشيخ عبد الله حماد، والشيخ سعيد الإدلبي، والشيخ إبراهيم السلقيني (الكبير) وولده الشيخ محمد، وكان مدير المدرسة العالم الفاضل الشيخ راغب الطباخ الذي جاء بعد الشيخ مصطفى باقو. فنهل من معينهم وتلقى عنهم مختلف العلوم التي كانت تدرس آنذاك وحصل على شهادتها العلمية بعام ١٣٥٨ هـ - الموافق ١٩٣٩م.

أخذه الطريق: وبالإضافة إلى شيوخه في الخسروية، فإن والده العالم الورع الشيخ محمد بشير لقنه الذكر النقشبندي، فسلك الطريق على يد والده، وأهلّه لأن يكون مريداً لدى الشيخ المرشد سيدي محمد أبي النصر الحمصي، وحضر مجالسه ولازمه أثناء قدومه إلى حلب بصحبة والده وغيره من العلماء.

وكان له ولع بالمطالعة واقتناء الكتب، وتحقيق المسائل العلمية، مع التدقيق في مسائل العلم، وأسندت إليه الإمامة والخطابة في مساجد حلب حتى توفي، ثم عُمل في المكتبة الوقفية (بحلب) قيِّماً لها منذ عام ١٩٤٢ تقريباً وحتى وفاته، فأكسبه هذا حب المطالعة، واقتناء الكتب العلمية والتاريخية حتى جمع ما يزيد عن سبعة آلاف كتاب كانت تزيّن مكتبته الخاصة.

كما عرف عنه حبّه الشديد لآل بيت رسول الله ﷺ، واتهمه بعض معاصريه بالتشيع، ومن شعره في مدحهم:

في صورة الإنسان تذكار له ... والمرء يغدو في التراب وحيدا
والباقيات الصالحات سعادة ... سارع لها يا طالباً تخليدا
واجعل غرامك للنبي وآله ... وبمدحهم كن بلبلاً غرّيدا
أسمى السعادة حب آل محمد ... وبحبهم إني غدوت (سعيدا)

قال عبد الله: كان يميل للتوسع في فقه ما يسمى (بفقه أهل البيت)، ويرى الجمع في الصلوات في الحضر على مذهب الشيعة. اهـ.

توفي رحمه الله تعالى في حلب ٢٧ رمضان المبارك ١٣٩٧ هـ، الموافق ١٠ أيلول ١٩٧٧.

الزاهد الورع، والتقي النقي

الشيخ محمود بن الشيخ بكري العلبي

(١٢٩٦-١٣٧٢ هـ) (١٨٧٨-١٩٥٢ م)

هو العالم العامل، والزاهد الورع، التقي النقي والمرشد الكامل، والقاضي المحقق، العارف المفتي الشيخ محمود بن الشيخ بكري العلبي.

ولد في مدينة حلب ١٢٩٦هـ تقريباً، توفيت أمه وهو طفل، وفي طفولته حفظ القرآن الكريم تلقياً عن والده الشيخ بكري الذي كان من أفاضل علماء حلب الذين تتلمذوا على الشيخ أحمد الترمانيني، وعن والده تلقى مبادىء الفقه الشافعي والعلوم الشرعية الأخرى.

شيوخه: ولما جاوز سن الصبا بدأ يتردد إلى علماء عصره، فأخذ عن العلامة الشيخ أحمد الزرقا الفقه الحنفي وأصوله، وعن الشيخ بشير الغزي علوم اللغة العربية والتفسير، وعن الشيخ محمد الحنيفي علوم التوحيد، وعن الشيخ عبد الله المعطي علم الفرائض.

أعماله ووظائفه: أول ما شغل من المناصب، قضاء بلدة (الفاو) في خليج البصرة في العراق، عدة سنين على زمن الدولة العثمانية، ثم نقل قاضياً إلى منبج، ثم الرقة، في عهد الانتداب الفرنسي، ثم أعفي من منصبه فعاد إلى حلب.

جاور في المدرسة العثمانية، وأثناءها درَّس - بالوكالة عن الشيخ علي العالم - حاشية ابن عابدين في الفقه، والبيضاوي في التفسير، وكان من أخص تلامذته الشيخ أحمد الكردي، والشيخ محمد خياطة، كما قرأ عليه الشيخ كامل السرميني الرسالة القشيرية في التصوف، وشغل وظيفة الإمامة والخطابة في جامع الزكي بحلب، ثم عين مفتياً لمدينة منبج.

حدثني الأخ الأستاذ عاكف علبي ابن أخيه الشيخ زكي أن عمه الشيخ محمود التقى

الشيخ محمد أبا النصر عندما كان يزور حلب ومنبج، وأخذ عنه الطريق النقشبندي ولازمه عندما كان يزور تلك المناطق، وواظب على أذكاره وملازمته لمجالسْ الشيخ عندما كان يزور حلب متفقداً لإخوانه ومريديه.

ومما حدثنيه أن والده الشيخ زكي حدثه أن جده الشيخ بكري كان يزور مقبرة الجبيلة مع الشيخ الترمانيني، فكان الشيخ الترمانيني يقول لجده: أترى ؟ فيقول له: نعم. فيقول الشيخ بكري للشيخ الترمانيني: وأنت ترى أيضاً ؟ فيقول له: نعم. فسأل والدي جدي: ماذا ترى ؟ قال: نرى المنعمين والمعذبين في قبورهم.

كان رحمه الله حلو الحديث إذا تحدث، وإذا قرأ القرآن الكريم خشعت القلوب لتلاوته، بعيد النظر في أمور الفقه ومسائل العلم، يقلّب وجوه المسألة ويدقق فيها ويستخرج منها ما لا يستخرجه غيره.

وكان له درس في الجامع الكبير بحلب، وكان يجذب المارة من الباب القبلي للجامع المتوجهين مروراً به إلى الباب الشمالي، وحدثني الشيخ عاكف ابن أخيه الشيخ زكي عمن حدثه أنه ذهب لشراء كفن لميت له، فسمع درس الشيخ وجلس حتى انتهى الدرس، ونسي أنه جاء لشراء كفن من (المدينة) لميت له، وبعد نهاية الدرس غادر المسجد.

وفاته: حضرته الوفاة وهو بكامل قواه العقلية وقد جاوز السبعين من العمر، يذكر الله تعالى، ويسمع الحاضرون منه التسليم، إذ كشف له الحجاب ورأى ملائكة الرحمة يدخلون عليه ويسلم عليهم ويرحب بهم، ثم قال لهم: هيا بنا نسير. وأسلم روحه الطاهرة يوم الخميس ١٤ رمضان المبارك ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م في حلب، ودفن في مقبرة الشيخ سعود "قاضي عسكر"، رحمه الله وأجزل مثوبته [1].

وقد كان له من أولاده النجباء القاضي الفاضل الشيخ عبد الأعلى العلبي حفظه الله تعالى.

---

[1] عن كتاب: نخبة من أعلام حلب، للشيخ عبد الرحمن الويسي، ص ٧٧٧. وقد أفادني ببعض هذه الترجمة ابن أخيه زميلنا الشيخ عاكف علبي حفظه الله تعالى.

العالم العامل، الصائم القائم

الشيخ زكي بن الشيخ بكري العلبي

(١٣٠٨-١٣٩٠ هـ) (١٨٩٠-١٩٧٠ م)

هو العالم العامل، والفاضل المقرىء، الصائم الدهر، القائم بالأسحار، الشيخ زكي ابن الشيخ بكري بن الحاج أحمد العلبي.

ولد بحلب ١٣٠٨هـ -١٨٩٠م، في أسرة يكتنفها العلم من كل جانب، إذ كان والده الشيخ بكري المحدث والمدرس في الجامع الأموي الكبير بحلب.

دراسته وشيوخه: أول ما تلقى العلم على والده الشيخ بكري، ثم أخيه الشيخ بشير في (أبي قلقل) منطقة منبج، وحفظ على يديه القرآن الكريم، ثم درس الابتدائية والعلوم الشرعية على شيوخ زمانه آنذاك، حيث أعفي من الخدمة في الجيش العثماني بعد حصوله على لقب (الشيخ العالم).

صلته بالشيخ أبي النصر: التقى الشيخ أبا النصر الحمصي النقشبندي في حلب عندما كان يزور إخوانه ويتفقدهم، وتلقى عنه الطريق، ولقنه الذكر، وما كان يفارق مجالسه إذا حضر إلى حلب، بل وكان يزوره مع إخوانه إلى حمص، وبعد وفاة الشيخ التزم مجالس خليفته من بعده ولده الشيخ عبد الباسط رحمهم الله أجمعين.

عمله ووظائفه: عين خطيباً في جامع الحدادين في حلب (بانقوسا)، ومعلماً في قرية الوضيحي جنوب حلب، ثم رشحه العالم الشيخ بشير الغزي إلى الدخول في (وظيفة في محكمة الاستئناف)، ثم عمل في محاكم الصلح، ثم أحيل إلى التقاعد، ثم صار يعلم (الدوبيا) - علم المحاسبة - في غرفة في داره.

كان رحمه الله وحيداً لأمه، وكان مزواجاً، تزوج كثيراً من فضليات عوائل حلب، وأنجب

من تلك الزوجات ذكوراً وإناثاً. وكان قبل وفاته بعشرين عاماً صائماً للدهر لا يفطر إلا في أيام الأعياد.

كما كان حافظاً لكتاب الله تعالى، يختم كل ثلاثة أيام، وأكثر تلاوته في جوف الليل، ويلازم مطالعة العلم حتى آخر حياته.

وكان حنفي المذهب، غير متعصب لمذهبه، محدثاً من الطراز الأول، يستولي على القلوب بشفافية حديثه، وكان كريماً سخياً مضيافاً، يكرم أضيافه ويأنس بهم، شديد العطف على أولاده محباً لهم.

وفاته: لما حضرته الوفاة كان صائماً، وأفطر بعد المغرب على جرعة ماء، وبعد صلاة المغرب استلقى على فراشه وأسلم الروح لباريها، وذلك يوم الثلاثاء ١٧ آب ١٩٧٠م - ١٣٩٠هـ رحمه الله تعالى [1].

---

[1] من كتاب: نخبة من أعلام حلب، للشيخ عبد الرحمن ويسي، ومما أفادني ولده أخونا الأستاذ عاكف علي حفظه الله تعالى.

العالم المقرئ، والصوفي الفاضل

الشيخ محمد نجيب خياطة

(١٣٢١-١٣٨٧ هـ) (١٩٠٥-١٩٦٧ م)

شيخنا العالم العلامة، المقرئ الجامع، الفرضي الفقيه، والصوفي النبيه، الإمام والمدرس في مدارس حلب، والذي انصرف للإقراء والتعليم والتدريس طيلة حياته، أستاذنا وشيخنا وحبيبنا الشيخ محمد نجيب خياطة، الذي قرأنا عليه واستفدنا منه عدة سنوات في المدرسة الخسروية بحلب، واستفاد وتعلم منه الآلاف من مدينة حلب وغيرها، وصلينا خلفه كما صلى الآلاف بعد أن أقام إماماً في جامع الخسروية سنين عديدة حتى وفاته رحمه الله.

ترجمه ولده زميلنا في طلب العلم ورفيقنا في المدرسة الخسروية الأستاذ محمد صلاح رحمه الله في مقدمة كتاب والده (كفاية المريد من أحكام التجويد) ترجمة مفصلة بطبعة عام ١٣٩٣-١٩٧٣، كما ترجمه ترجمة مختصرة عنها ولده الأستاذ محمد أبو اليمن في مقدمة ذلك الكتاب في طبعة لاحقة لدار الفلاح بحلب.

وها أنذا أنقل ترجمته كما كتبها زميلنا وأخونا الأستاذ صلاح خياطة الذي توفي إلى رحمة الله وعفوه في صيف ١٤٢٣-٢٠٠٢.

قال رحمه الله:

اسمه ومولده: في حي من أحياء حلب الشعبية، حي الجلوم الصغرى، وفي يوم من أيام شهر رمضان سنة ١٣٢١هـ و ١٩٠٥م انبلج الصباح عن ولادة **محمد نجيب بن محمد بن محمد بن عمر خياطة** الذي أصبح بعد ذلك علماً من أعلام الشهباء المباركة.

وقد ولد لأب قاسى من مرارة الحرمان والعطف الشيء الكثير، حيث عاش هذا الأب يتيماً وتربى في بيت أخواله الذين لم يستطيعوا أن يعوضوه عن عطف الأب وحنانه رغم

ما بذلوه من جهد في تربيته.

وكان هذا الوالد محباً للعلم والعلماء يحضر مجالسهم ويستمع إلى دروسهم رغم أنه كان يعمل بنَّاءً، مما أورث أولاده حب العلم والسير في ركابه.

وهكذا نشأ الطفل محمد نجيب في هذه البيئة المحبة للعلم والعلماء، فورث هذه المحبة وهو لما يزل طفلاً، بل إن هذه المحبة سرت في نفسه كما تسري الروح في الجسد، وكان لها أكبر الأثر على حياته فيما بعد. وحين ترعرع دفعه والده إلى الكُتَّاب، على عادة ذلك العصر، حيث تعلم قراءة القرآن الكريم وبعض المبادئ الأولية في الحساب والخط والإملاء وغير ذلك مما كان يعلمه الكُتَّاب وقتئذ، ثم حفظ القرآن الكريم غيباً.

حبه للعلم وأساتذته: كان رحمه الله لمّا يزل يافعاً حين شعر بالمسؤولية تجاه البيت والأسرة التي يعيش بين أفرادها يعمل، وتنقل في حرف عديدة، حيث عمل نجاراً ثم عطاراً عند أخواله، ولكن حب العلم والعلماء المغروس في نفسه كان يدفعه إلى الارتشاف من منهله العذب، فكان لا يدع مجلساً من مجالسه إلا ويحضرها، ولا يدع عَلَماً من الأعلام إلا ويأخذ عنه، ثم دخل المدارس الشرعية وكرع من معينها وتلقى العلم عن أفذاذ علمائها وأعلامها.

وكان من جملة أساتذته الذين أخذ عنهم: الأستاذ الكبير إبراهيم السلقيني شيخ المدرسة الخسروية، والأستاذ الشيخ أحمد المكتبي شيخ المدرسة الدليواتية الجابرية، والأستاذ الفقيه المحقق الشيخ أحمد بن محمد الزرقا شيخ المدرسة الشعبانية، والأستاذ العلم الشيخ علي العالم الكيالي شيخ المدرسة العثمانية، والأستاذ الشيخ نجيب سراج الدين شيخ المدرسة الإسماعيلية.

والأساتذة العلماء: الشيخ محمد الحنيفي، الشيخ محمد سعيد الإدلبي، الشيخ أحمد الشماع، الشيخ محمد الناشد، الشيخ أحمد الكردي مفتي حلب، الشيخ محمد أسعد عبه جي مفتي الشافعية في حلب، رحمهم الله تعالى [1].

---

[1] قال أبو يحيى: وهؤلاء الشيوخ هم من أكابر أساتذة المدرسة الخسروية.

ثم أخذ علم الفرائض وتخصص فيه وبرعَ حتى أصبح المرجع الوحيد له في حلب، على الشيخ عبد الله المعطي فريد عصره في هذا العلم.

ولما انتظمت الدراسة الشرعية في حلب، وأصبحت المدرسة الخسروية مجمعاً للعلم والعلماء وتدريس العلوم الشرعية [1]، انتسب المرحوم إليها سنة ١٣٤٣هـ وتخرج منها حاملاً إجازتها العلمية في ١٧ محرم الحرام سنة ١٣٤٧هـ، وكان من جملة الأساتذة الذين أخذ عنهم فيها بالإضافة إلى من ذكرنا مؤرخ حلب المشهور العلامة محمد راغب الطباخ رحمه الله صاحب تاريخ حلب.

نشره للعلم: عندما نال الإجازة العلمية من المدرسة الخسروية تفرغ لنشر العلم بين الناس، فكان - بالإضافة إلى تدريسه مادتي القرآن الكريم وتجويده والفرائض في الثانوية الشرعية (الخسروية) ومعهد العلوم الشرعية (الشعبانية) - يقوم بتدريس الفقه والتجويد والقرآن الكريم والحديث الشريف وغير ذلك من العلوم في دروس خاصة في جامع (أبي يحيى الكواكبي) وجامع (الخسروية) مبتغياً بذلك وجه الله تعالى، وكثيراً ما كان يقول: (إنا خلقنا لكي ننشر العلم في صفوف الناس، فوقتنا وعلمنا ملك لهم وليس لنا).

أخذه لعلم القراءات: حب لا ينتهي، وشغف عظيم سرى في روحه وجسمه لكتاب الله دستور المسلمين (القرآن الكريم)، كيف لا وهو يعلم أنه أساس لكل علم ديني ومرجع له ؟! لهذا لم يكتف بتعلم العلم؛ من فقه وحديث وتوحيد وغير ذلك، بل مضى في دراسته للقرآن الكريم وحفظه، وصرف في ذلك شطراً كبيراً من حياته، وكان له من همته العالية دافعاً للتعلم، فلم يكتف باستظهار القرآن الكريم وحده، بل راح يدرس علم القراءات.

فأخذ القراءات السبع من طريق (الشاطبية)، ثم القراءات المتممة للعشر من طريق (الدرة) على الأستاذ الشيخ أحمد المصري الأبوتيجي الريدي المدني مولداً المكي إقامة

---

[1] يقول أبو يحيى: وكان انتسابه للمدرسة الخسروية بتاريخ ١٩٢٤/١١/١٨ الموافق لعام ١٣٤٣ وتخرج بتاريخ ١٩٢٨/٩/١٥ الموافق لعام ١٣٤٧ حسب سجلات المدرسة الخسروية وذلك في القافلة الثالثة.

ووفاة، وقد أجازه بخطه في القراءات السبعة من طريق الشاطبية، وبتصديقه من طريق الدرة المكملة للقراءات العشرة.

وتولى سنة ١٣٤٨هـ ١٩٢٩ م مديرية مدرسة الحفاظ بحلب وتعليم القراءات فيها وما زال يمارس هذه الوظيفة حتى وفاته.

وفي سنة ١٣٥٦هـ رحل إلى دمشق ومنها إلى عربيل - المشهورة باسم عربين، قرية من قرى غوطتها - قاصداً حافظ عصره ومفخرة دهره الأستاذ عبد القادر قويدر صمدية، حيث أخذ عنه القراءات العشر من طريق (طيبة النشر) وأجازه فيها، وقد صادق على هذه الإجازة شيخ مشايخ القراء في دمشق الشيخ عبد الله المنجد أستاذ الشيخ عبد القادر المذكور.

إجازاته: أجيز رحمه الله إجازات كثيرة في الحديث الشريف والعلوم الدينية؛ فأجيز من قبل علامة حلب المرحوم الشيخ راغب الطباخ في كتابه مختصر الأَثْبات الحلبية، وأجيز بالحديث المسلسل بيوم عاشوراء من الأستاذ الحبر البحر الشاعر الناثر الأديب الشيخ عيسى البيانوني دفين البقيع في ١٠ محرم سنة ١٣٤٨هـ.

وأجيز من الأستاذ الرباني المجاهد الكبير الشيخ محمد زين العابدين ابن السيد أحمد البالساني في ٢٠ جمادى الثانية سنة ١٣٦٧هـ إجازة عامة، كما أجيز من السيد الشيخ علوي المالكي - مفتي مكة وعلامة الحجاز - برواية الكتب الصحاح الستة وجميع كتب الحديث بتاريخ ٤ جمادى الثانية ١٣٨٤هـ.

اشتغاله بالطرق الصوفية: لم يكتف - رحمه الله - بالعلم وخدمته، بل اشتغل بالطرق الصوفية حيث تلقى عدة طرق:

فقد تلقى الطريقة الرفاعية عن الشيخ سعيد قريط.

وتلقى الطريقة الشاذلية عن العارف بالله الشيخ محمد الهاشمي التلمساني.

وتلقى الطريقة البدوية عن العارف بالله الشيخ إبراهيم السلقيني.

كما تلقى الطريقة النقشبندية والختم الشريف عن العارف بالله الشيخ محمد أبي النصر الخلف.

وما زال يشتغل بالطريقة النقشبندية ويقوم بالختم الشريف عقب صلاة العصر في جامع الخسروية حتى آخر حياته [1].

أخلاقه وحياته مع طلابه والناس: الأخلاق العالية والنفس المتواضعة والصدر الرحب والقلب الكبير بعض ما كان يتمتع به في حياته وكذلك معاملته مع طلابه، فكان كثيراً ما يستمع إلى أسئلتهم ويجيبهم عليها بكل تواضع، ويحثهم على طلب العلم والاشتغال به، وكان يضحي بكل ما يملك في سبيل إفادتهم، وحياته مع الأَكِفَّاء في مدرسة الحفاظ، وبذله الجهد في تحفيظ كتاب الله تعالى وقراءاته أصدق مثال على ذلك.

كما كان - رحمه الله - يحسن الظن بجميع الناس ويعتقد فيهم الخير والبركة ولا يريد أن يذكر أو يُنقد أحد أمامه بمكروه.

مؤلفاته: كان له - رحمه الله - كثير من التعليقات العلمية على أكثر الكتب التي تحويها مكتبته في جميع العلوم، كما كان نتاجه كثيراً من المؤلفات منها ما هو مطبوع ومنها ما زال مخطوطاً، وهذه المؤلفات هي:

١- **كشف الحجاب شرح هداية المرتاب.** منظومة للسخاوي في متشابهات القرآن وفي ذيلها جواب عن سؤال مهم وهو: هل يلزم المسلم بحفظ القرآن الكريم ؟ (طبع ونفد).

٢- **الدرر الحسان في تجويد القرآن.** وهو كتاب غزير العلم جامع في علم التجويد للمهم. (طبع مراراً ونفد).

٣- **خلاصة الجهود في تحرير المدود.** (طبع ونفد).

٤- **كفاية المريد في أحكام التجويد.** (مطبوع).

٥- **الرياض الزهية شرح السراجية.** جمع من جداول المسائل والمناسخات مع تمرينات لم توجد في كتاب. (مطبوع).

---

[1] يقول أبو يحيى: ولا زال الختم مستمراً بعد وفاته في المدرسة الخسروية حتى تاريخه، وقد أجازه أستاذنا الشيخ عبد الباسط بالختم ١٩٥٧م عندما كنا طلاباً في المدرسة الخسروية وكنا نحضر الختم معه مع ثلة من زملائنا الطلاب المحبين للطريق وللشيخ رحمه الله.

٦- **الروضة البهية شرح الرحبية.** (مطبوع).

٧- **تنبيه ذوي الأحلام لما في يوم الجمعة من الفضائل والأحكام.** (مطبوع).

٨- **سفينة النجاة في مهمات من الصلاة.** (طبع مراراً ونفد).

٩- **أقرب الوصول إلى هدي الرسول ﷺ.** وهو مولد شريف جمع أركان الإسلام وما يحويه من صفات وأخلاق. (مطبوع).

١٠- **مرشد الإسلام إلى حج بيت الله الحرام.** (مطبوع).

١١- **المواعظ الجلية في الخطب المنبرية.** (مخطوط).

١٢- **مجمع الأرب في فكاهة العرب.** (مخطوط).

١٣- **طلبة الأريب لغاية الأديب.** (مخطوط).

١٤- **غنية القراء البررة في القراءات العشرة من طريقي الشاطبية والدرة.** (مخطوط).

١٥- **التبيين والبيان على بدائع البرهان تحريرات طريق الطيبة.** (مخطوط).

١٦- **هداية القراء إلى الطيبة الغراء في القراءات العشر من طريق طيبة النشر.**

١٧- **المنحة الإلهية في الفوائد الشرعية.**

١٨- **التذكرة العلية في المواضيع المختلفة البهية.** (مخطوط).

ما حققه ونشره:

١- حالة أهل الحقيقة مع الله للإمام الرفاعي.

٢- متن السراجية.

٣- متن الرحبية.

وفاته: انتقل رحمه الله إلى جوار ربه صبيحة يوم السبت في ٥ جمادى الثانية ١٣٨٧، الموافق ٩ أيلول ١٩٦٧، إثر مرض مفاجئ أوقعه في الفراش من ظهر يوم الخميس حتى صباح السبت، فخسر المسلمون بموته عالماً عاملاً، وعلماً من أعلام الإسلام وبخاصة في علمي القراءات والفرائض، تغمده الله بواسع رحمته، وأسكنه فسيح جنته، وعوض الإسلام والمسلمين عن فقده خيراً. اهـ من كفاية المريد.

وقد ترجم له الأستاذ عامر مبيض في كتابه (مائة أوائل من حلب) ص ٣٥٨ الجزء الأول مع صورته.

نبذة عن حياة الشيخ كما عرفناها: كان شيخنا رحمه الله – كما ذكرنا في ترجمته – متفرغاً بكليته للعلم، وكان لا يعرف اللغو ولا اللهو ولا إضاعة الوقت، وكانت حياته كلها إفادة وتعليماً وعبادة، وكنا نعرف منه الجد والحزم في كافة أموره رحمه الله، ويشهد محراب المدرسة الخسروية آيات القرآن الكريم يرتلها بفيه الطاهر سنوات عديدة تزيد عن العشرين عاماً كان فيها إماماً لمسجدها الجامع حتى وفاته.

كانت ملازمته للشيخ أبي النصر وأخذ الطريق النقشبندي عنه – والله أعلم – بسبب زميله في المدرسة الخسروية الشيخ محمد الجبريني رحمه الله، الذي كان معه في صفه لما لازم الخسروية فترة ثلاث سنوات ولم يكمل، وقد كان الشيخ الجبريني نشيطاً في تعريف زملائه وإخوانه ومن ينتسب إلى المدرسة الخسروية إلى الشيخ أبي النصر عندما كان يزور تلاميذه ومريديه في حلب، وقد كانت زمالته في المدرسة الخسروية لجدي لأمي الشيخ عبد الرحمن الحوت سبباً قوياً – بالإضافة لحب جدي لمشايخ الطرق الصوفية – أن يتعرف على الشيخ أبي النصر ويبايعه في الطريق ويلازمه في مجالسه إذا حضر على حلب.

وكانت له صداقة قوية مع جدي لأبي الشيخ محمد المسعود، وكانا يتزاوران، هذا إذا قدم حلب وشيخنا يقصد زيارته للباب، وبخاصة بصحبة شيخنا أبي النصر، وعند وفاة الشيخ محمد المسعود ظل شيخنا محمد نجيب أسبوعاً في الباب معزياً ومواسياً وقارئاً للقرآن، فنعمت جنبات مساجدها بقراءاته وترتيله وحسن أدائه، رحمه الله.

أولاد الشيخ: رزق شيخنا رحمه الله بعدة أولاد، ورباهم وأرشدهم إلى العلم، فمنهم من أكمل وتابع تحصيله، ومنهم اكتفى ببعض التحصيل، لكن كان لهم حفظهم الله من أخلاقه وتربيته وتهذيبه حظاً وافراً.

وهم حسب تسلسل السن **الأساتذة السادة:**

– محمد أبو اليُمن: الذي حصل على الإجازة في الشريعة من جامعة دمشق وعمل

مدرساً في مدارس حلب ثم انتقل إلى رحمة الله تعالى.

– ثم محمد صلاح: زميلنا في المدرسة الخسروية، الذي تابع دراسته في كلية الآداب بجامعة دمشق، ويعمل مدرساً في مدارس حلب، ثم انتقل إلى رحمة الله تعالى بصيف ٢٠٠٢ م.

– ثم محمد زاهر: الذي لم يحظ بمتابعة الدراسة.

– ثم عبد اللطيف: الذي تخرج من الخسروية وحصل على الإجازة في الشريعة من جامعة الأزهر كلية أصول الدين.

– ثم محمد شريف: الذي حصل على الإجازة في الاقتصاد وأكمل دراسته في المغرب وتزوج وبقي فيها.

– وآخرهم الذي سماه باسم الجد (محمد المسعود): الذي درس في الكلية الشرعية (الخسروية) و لم يكمل.

حفظ الله الباقين، ورحم المتوفين، وحشرنا معهم في زمرة سيد المرسلين ﷺ وأشياخنا العارفين، رحمهم الله أجمعين.

الشيخ المتواضع، والصوفي المحب

الشيخ عبد الله بن الشيخ محمود الريحاوي

(١٣١٧-١٣٩٠ هـ) (١٨٩٩-١٩٧٠ م)

هو العالم العامل، والرباني الكامل، والصوفي المحب المحبوب الشيخ عبد الله بن الشيخ محمود الريحاوي، الحلبي ولادة ومسكناً ووفاة.

ولد هذا العالم الفاضل في حلب بعام ١٣١٧ هـ - ١٨٩٩ م، في أسرة كريمة، من والد فاضل ومرب كامل ألا وهو الشيخ محمود الريحاوي، فقد كان والده الشيخ محمود من أهل العلم المشهورين ومن فقهاء حلب المعدودين، حيث كان كاتب الفتوى، كما ذكره شيخنا الشيخ راغب الطباخ في تاريخه أعلام النبلاء [1].

التعليم الأولي: درس شيخنا عبد الله وتلقى تعليمه الأولي في حلب في المكتب السلطاني، ولما بلغ أشدّه وظهر ميله لطلب العلم، وبخاصة بسبب توجيه والده له، كانت الحرب العامة الأولى قد طار شررها في البلاد، فأحرقت الأخضر واليابس، والتهمت شباب المسلمين في أقطارهم.

التجنيد: وكان نصيب شيخنا (عبد الله) أن يكون جندياً في سلك العسكر السلطاني في اسطنبول طيلة مدة الحرب، ولما وضعت الحرب أوزارها وعاد الناجون من كابوسها إلى أوطانهم، عاد الشيخ عبد الله، ولا تزال الرغبة في طلب العلم ملحّة عليه.

في الخسروية: فاندرج في سلك طلاب المدرسة الخسروية، وكان قد مضى على تأسيسها

---

[1] ترجم الطباخ للشيخ مصطفى الأريحاوي المتوفى ١٢٨١هـ وذكر أن له ولدين تميم ومحمود، في ترجمة الشيخ محمد خير المتوفى ١٢٩٠ هـ، ولعل الشيخ محمود هو ابن الشيخ مصطفى الأريحاوي أمين الفتوى المتوفى ١٢٨١هـ، وهذا يعني أن الشيخ عبد الله المترجم ابن الشيخ محمود.

وإحياء الدراسة فيها ما يقارب من عام واحد، إذ أنها افـتتحت بعام ١٣٤٠هـ - ١٩٢١م، فالتحق بها عام ١٣٤١ هـ - ١٩٢٢ م، وكان من زملائه فيها الذين تخرجوا معه ثلة من أكابر علماء حلب رحمهم الله تعالى، منهم: الشيخ ناجي أبو صالح، والدكتور معروف الدواليبي، والشيخ عبد القادر الكوراني، ورفاقهم الذين تخرجوا في القافلة الثانية بعام ١٩٢٧م، فارجع إليهم في أول هذا الجزء.

شيوخه: أما شيوخه فهم شيوخ المدرسة الخسروية الذين ذكرناهم في أوائل هذا الجزء، وكان تخرجه من الخسروية مع رفاقه الذين ذكرناهم آنفاً في القافلة الثانية ١٣٤٦ هـ - تموز ١٩٢٧ م.

ولما كانت نفس الشيخ طُلعة إلى العلم، وتبتغي الزيادة منه كان التوجه للأزهر، فبقي بمصر سنة واحدة في أزهرها، ولما لم تعطه دراسة الأزهر جديداً، عاد بعد سنة إلى حلب، لأن شيوخ الخسروية كانوا يضاهون شيوخ الأزهر آنذاك إن لم يتفوقوا عليهم، ثم قصد القدس الشريف للدراسة أيضاً فبقي هناك سنة، و لم يرو غليله من العلم فعاد إلى حلب.

مع الشيخ أبي النصر: ومن الطبيعي أن يلتقي الشيخ عبد الله شيخه أبا النصر بحلب، حيث كانت حلب آنذاك لحساب الشيخ الحمصي أبي النصر، فأساتذتها معظمهم من أحبائه، وإخوانه طلاب العلم في الخسروية جلُّهم من مريدي الشيخ أبي النصر وتلاميذه، وكان صديقاه الحميمان ورفيقاه في المدرسة الشيخ ناجي أبو صالح، والشيخ معروف الدواليبي من أخص أحباب الشيخ ومريديه، بالإضافة إلى رفيقه وصديقه وزميل صباه وشبابه محمد بلنكو، فالتقى الشيخ أبا النصر أثناء قدومه لحلب، وأخذ عليه الطريق النقشبندي، والتزم أذكاره وأوراده، وكان هذا دافعاً له لمزيد من العلم والطلب، إذ كانت ولا تزال تعرف الطريقة النقشبندية بأنها طريقة العلماء، وصار عمنا الشيخ عبد الله (أبو محمود) من خلّص أتباع الشيخ أبي النصر وأحبابه، و لم يفارقه و لم يترك مجالسه أو مجالس خليفته (الشيخ عبد الباسط) حتى لقي وجه ربه.

وكان هو وزملاؤه طلبة العلم، كالشيخ بلنكو، والشيخ ناجي، والشيخ النبهان،

والجبريني، والشيخ محمد سعيد المسعود، لا يتركون مجالس الشيخ وصحبته في حلب ومناطقها وريفها وقراها، عندما يزور الشيخ حلب في جولاته السنوية.

كما كان عمنا الشيخ عبد الله كثيراً ما يزور عمي الشيخ سعيد المسعود بصحبة المذكورين أعلاه إلى الباب ويزورون الجد الشيخ محمد المسعود أثناء حياة الشيخ أبو النصر وبعدها.

وكانت زيارتهم لحمص لا تنقطع أيضاً في الأعياد والمناسبات، وكلما اشتاقوا إلى الشيخ المرشد ليمدّهم بأنظاره وأنواره، وقد حدثني ولده صديقي وزميلي في الخسروية الأستاذ **محمد زكريا الريحاوي** أن شيخنا أبا النصر كان يزورهم في البيت بيت والدهم في أغلب الأحيان عندما يزور حلب، كما أن إخوانه من بعده – كالشيخ النبهاني والجبريني وبلنكو وأبو صالح – ما كانوا ينقطعون عن زيارة زميلهم وأخيهم الشيخ عبد الله الريحاوي.

وبالإضافة إلى زملاء الطريق النقشبندي، فقد كان الشيخ عبد الله خلوقاً متواضعاً، محباً ناصحاً لكافة الناس وبالأخص العلماء، فكان يزورهم ويزورنه ويحبهم ويحبونه، ولم لا ؟! فإن عمنا أبا محمود رحمه الله كان هيناً ليناً، آلفاً مألوفاً، محباً محبوباً كما أسلفنا، وهو ذو طلعة جمالية، وخلق محمدي، وحديث حلو، وتواضع مميز، كما رأيناه وعرفناه، كما كان يعاملنا أيضاً باللطف والعطف، رغم فارق السن الكبير بيننا وبينه، فكنا نحبه ونألفه ونأنس بحديثه ومجالسه، رحمه الله تعالى.

عمله: بعد تخرجه من الخسروية واستقراره بحلب، وعودته من الأزهر والقدس، التزم المساجد إماماً ومدرساً في مساجد حلب، ينفع المسلمين، ويعلم الفقه وأحكام الدين للطالبين والمتعلمين، حتى أدركته منيته في شهر آذار عام ١٩٧٠ م – ١٣٩٠ هـ، وأسف أحبابه وإخوانه وأهل العلم كافة على فقد عالم ناصح، ومعلم شفوق متواضع، وذاكر لله خاشع، وتوارد علماء حلب كافة إلى بيته ليعزوا أولاده الكرام، بل ويعزوا أنفسهم بفقد عالم رباني، وصوفي متواضع، وشيخ من أعمدة العلم والتقوى في حلب الشهباء.

وكان أولاده السادة الأفاضل: الأستاذ محمود رضوان، والأستاذ محمد زكريا، والأستاذ محمد بشير؛ الذين رباهم على العلم والتقوى، يستقبلون إخوان أبيهم وأحبابه طيلة أيام التعزية، وأنساهم ذلك الحشد الكبير، والتجمع الوفير من أهل العلم على مختلف مشاربهم، فَقْدَ ركن من أركان العلم والطريق بحلب، رحمه الله وآنسه، ورفع درجاته في عليين.

وقد صلي عليه في جامع العثمانية، وصلى عليه ركن العلم والفضيلة آنذاك الشيخ أحمد المصري، ودفن في مقبرة الصالحين بحلب، حيث تضم في رحابها أكابر العلماء والأولياء والصالحين من أهل هذه البلدة منذ عصر التابعين وإلى يومنا هذا [1].

---

[1] أعددت هذه الترجمة مما ذكره لي زميلي وصديقي الأستاذ محمد زكريا الريحاوي، ومن سجلات المدرسة الخسروية، ومما عرفناه وعاصرناه عن هذا الشيخ الجليل رحمه الله تعالى.

العالم النقي، والولي الخفي

الشيخ عبد القادر ولي الإنطاكي

(١٣٣٣-١٣٩٣ هـ) (١٩١٤-١٩٧٣ م)

هو العالم النقي، والولي الخفي، الشيخ الفاضل والمتواضع الصالح، الشيخ عبد القادر ابن الحاج ولي أفندي الإنطاكي، ولد في مدينة أنطاكية بعام ١٣٣٣هـ - ١٩١٤م لأب صالح فاضل هو الحاج ولي أفندي الإنطاكي، وأم فاضلة من أهل التقى والصلاح، ونشأ وترعرع في أحضانها وتخلق بأخلاقها وآدابها، إذ كانا على غاية من التقوى والصلاح والأدب مع أهل العلم والصالحين.

وأدخله والده الكتاب في إنطاكية وتعلم كسائر أقرانه آنذاك القراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم وكان عمره ١٠ سنوات، ولما بلغ سناً تؤهله لطلب العلم كان والده يحضره معه مجالس العلم على الشيوخ الفضلاء في إنطاكية، ولم يكن هناك مدارس شرعية تؤهل الطالبين للتحصيل، وإن والده الحافظ الحاج ولي أفندي يريده عالماً، وداعية فاضلاً، وقد شهد انهيار الدولة العثمانية على يد أعداء الإسلام من الكماليين (الدونمة)، الذين كان يعرفهم الناس بأنهم يهود متسترون بالإسلام، فلما صار عمره أهلاً لأن يتغرب عن بلده، وكانت المدرسة الخسروية بحلب ملاذ الطالبين من كافة جهات البلاد الشامية، وإنطاكية منها؛ بل هي أقرب من غيرها من المدن السورية لحلب آنذاك، بسبب كثرة العلاقات التجارية والاجتماعية، فأرسله والده إلى مدرستها الخسروية، فانتسب إليها في العام الدراسي ١٣٥٠هـ - ١٩٣١م في الخامس عشر من أيلول، وبقي فيها ست سنوات، وأكمل التحصيل وتخرج منها بعام ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م، ونال شهادتها ورجع إلى بلده إنطاكية.

وكان شيوخه في المدرسة الخسروية الذين ترجمناهم آنفاً، وقد تخرج معه ثلة من طلبة

العلم في القافلة الثانية عشرة بعام ١٩٣٧م... وكان والده الرجل الصالح والولي فعلاً الحافظ (ولي أفندي) قد توفي إلى رحمة الله تعالى، وكانت الحكومة التركية بزعامة كمال أتاتورك قد أعلنت عداءها للعروبة والإسلام وإلى كل ما يمت إليهما بصلة، فألغت اللغة العربية – لغة الكتابة والمخاطبة – واستبدلت بها اللغة اللاتينية وحروفها، ومنعت المظاهر العربية والإسلامية من اللباس والزي الإسلامي، وأجبرت الناس هناك على لبس الزي الإفرنجي، واعتمار الشعار الأوربي (البرنيطة)، وألغت الأذان باللغة العربية، وبدلت كل المظاهر الإسلامية العربية بالمظاهر الإفرنجية والغربية، وغضب المسلمون هناك لدينهم وعروبتهم فهاجروا إلى البلاد الشامية والحجازية وغيرها زرافات ووحداناً، وإن ممن هاجر في سبيل الله عالمنا الفاضل الشيخ عبد القادر، فارتحل بعياله إلى سورية ونزل في حمص عند شيخه الشيخ أبي النصر خلف الحمصي النقشبندي.

لقاؤه بالشيخ أبي النصر: وكان قد التقى شيخه أبا النصر وتعرف عليه أيام كان يدرس في الخسروية، إذ كان له رفاق وزملاء من إخوان الشيخ، أمثال الشيخ حسن الهاشم البابي، والشيخ مصطفى الحمو المارعي وغيرهم، فحضر مجالس الشيخ العامرة في حلب، وأخذ عنه الورد الخفي والطريق النقشبندي وبايعه على سلوك الطريق النقشبندي.

واستشار شيخه بعد قدومه وعائلته إلى حمص أي بلد يسكن، ولم يكن معه آنذاك سوى زوجته وولده الطفل (محمد) الذي لم يتجاوز سني الفطام، فأشار الشيخ عليه بالإقامة في حلب لأنها أقرب إلى بلدهم إنطاكية [1].

واستضافه في حلب شيخه الشيخ محمد سعيد الإدلبي (أستاذه في الخسروية)، وأنزله في داره، حتى هيأ الله سبحانه له بواسطة أهل الفضل والخير داراً يسكنها في محلة قاضي عسكر بحلب، وصار إماماً وخطيباً هناك في جامع (آغا جوق)، ولزم المسجد إماماً وخطيباً ومعلماً، وداعياً إلى الله بسلوكه الفاضل وسمته العلمي وتواضعه، وأخلاقه العالية

---

[1] كما أفاد بذلك أستاذنا الشيخ عبد الباسط رحمه الله.

التي يحدث عنها كل من عرف الشيخ وخالطه، أو التقاه وعاشره.

وكبرت العائلة والأولاد، وأصابت البلاد سنوات عجاف، منذ عام ١٩٦٠ وما بعدها وما قبلها، وصبر لها الشيخ عبد القادر وأنشأ أولاده على طلب العلم، فكبر (محمد) حتى صار من أهل العلم والفضل الذين يشار إليهم بالبنان، ويحبه من خالطه وعاشره كأبيه وجدّه، ولم لا ؟ والعائلة كلها سلسلة من الفضل والصلاح، والتقى والأخلاق، والسلوك المحمدي؛ فجده الحاج ولي أفندي؛ كان يقول عنه أستاذنا العلامة المجاهد المهاجر الشيخ محمد أبو الخير زين العابدين رحمه الله: (كنت آتي إلى دكان الحاج ولي في إنطاكية، وأقف كي أنظر إليه، وأتبارك به رحمه الله).

ما قيل عنه وعن والده الحاج ولي: ويقول شيخنا ومربينا الشيخ محمد النبهان رحمه الله بعد أن خرج في جنازة الشيخ عبد القادر ودفن في مقبرة الشيخ سعود في حلب: (اليوم دفنا ولياً من أولياء الله تعالى).

ويقول عمنا الشيخ موسى عبد الكريم الزيادي عن ابنه الشيخ محمد ولي: كان لا يرضع من أمه أيام تكون في العادة الشهرية، وكانت ترضعه زوجة الشيخ محمد سعيد الإدلبي رحمهم الله جميعاً.

فأكرم بهؤلاء السادة الأصول والفروع من علماء فضلاء أبرار أطهار.

كما كان له ولد آخر طلب العلم هو السيد مصطفى، وقد توفي عام ٢٠٠١، وبقي من أولاده على قيد الحياة عبد الله، بارك الله فيه.

أخلاقه وشمائله: التزم الشيخ عبد القادر مسجده، وأعطاه حقه من المواظبة والدعوة عملاً وعلماً، وانتفع به أهل محلته والملازمون له، وروَوْا عنه السلوك الفاضل والتواضع الجم، والاندراج في ثوب الخفاء، وعدم حب الظهور، واتصف فعلاً وحالاً وسلوكاً بأحوال العلماء العاملين، المتشبعين بسلوك أهل الطريق، الغائبين عن أنفسهم الحاضرين مع ربهم، الملتفتين عن الناس والمقبلين على الله، فرووا عنه خوارق العادات، وعجائب الكرامات، وكان من أكثر الملازمين له ولمسجده أخونا في الله صديقنا وزميلنا الحاج

أسعد محيو (أبو محمود)، الذي كان جاره في المسجد والمطّلع على أحواله والذي كان يعمل رئيساً لشعبة الصرفيات في مديرية أوقاف حلب مدة تزيد عن ثلاثين عاماً، وتوفي رحمه الله في شعبان عام ١٤٢٤- ٢٠٠٣، فكان يحدث عن أخلاقه وكراماته وتواضعه ودعوته إلى الله الشيء الكثير.

وكان رحمة الله عليه ملتزماً منهج شيخه أبي النصر، يقيم الختم النقشبندي في مسجده (أغا جوق)، كما يتردد على مقدم إخوان شيخه أبي النصر: الشيخ محمد النبهان رحمه الله، كما كان له حبٌ لكافة إخوان الشيخ وعلى رأسهم شيخنا عبد الباسط ووالدنا الشيخ محمد علي المسعود وغيرهم، ملازماً للذكر والختم حتى توفاه الله بعام ١٣٩٣- ١٩٧٣، ودفن في مقبرة الشيخ سعود بحلب رحمه الله وغفر له.

وكان ولده أخونا **الشيخ محمد ولي** رحمه الله قد تخرج من المدرسة الشعبانية بعدما لازم التحصيل فيها سنوات الدراسة، وأَمَّ وخطب في مساجد حلب، فكان مجلسه مجلس سرور وأنس، أحبه كافة علماء حلب، وأثنوا عليه خيراً، وكان أكثر ما يلازم مجلس شيخنا الحالي **إسماعيل عبد الخالق أبي النصر**، ويأنس به ويتردد عليه، كما كان يلازم ويزور معظم علماء حلب وغيرهم من علماء سورية وتركية.

وكانت للشيخ محمد زيارات دعوية لألمانيا وأمريكا، وخلف أولاداً نهجوا على نهج والدهم وجدهم هم: الأستاذ علي الذي يعمل أميناً للسر في المدرسة الخسروية (الثانوية الشرعية)، وعبد القادر، حفظهما الله وبارك فيهما.

توفي أخونا الشيخ محمد في حلب ودفن فيها عام ٢٢ جمادى الآخرة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١/٨/٢٢، ودفن في مقبرة الشيخ جاكير، رحمه الله وأكرم مثواه [1].

---

[1] معظم هذا المعلومات مما أفادني بها حفيده الأستاذ علي ولي، ومن سجلات الخسروية.

العالم الزاهد، والداعية المتواضع

الشيخ محمد الغشيم

(١٣٢١-١٣٩٨ هـ) (١٩٠٣-١٩٧٨ م)

هو العالم الداعية، والزاهد في الدنيا المقبل على الآخرة، المتفرغ للعلم، المتوجه إلى نصح العباد، المتجول في البلاد، الصوفي التقي الشيخ محمد بن محمد بن حسين الغشيم، وينتهي نسبه إلى سيدنا الحسين بن علي بن أبي طالب والزهراء البتول رضي الله عنها، المولود في حلب عام ١٣٢١ هـ - ١٩٠٣م، كما أفادني ولده الفاضل العالم الشيخ محمد عدنان، الذي رأى نسبهم عند آل الحربلي، وفيه أنه ينتهي إلى سيدنا الحسين ﷺ.

النشأة الأولى: تعلم وبدأ دراسته الأولى في الكُتّاب، حيث قرأ القرآن الكريم وتعلم مبادىء القراءة والكتابة، ونظراً لوفاة والده في سن مبكرة فقد التفت إلى العمل، حيث لم يترك والده عائلاً لهم غيره وكان عمره حوالي سبع سنوات، وكما حدث ولده الشيخ عدنان فإنه نشأ ولا يتذكر أباه، وتقلب في العمل في عدة مهن، وصار له فيها أقران ورفاق لم يكونوا صالحين، ولم يكن له من موجه من قرابته، فانجرف معهم إلى السهر واللهو واللغو، وذات يوم ذهبوا إلى زاوية البادنجكية ليحضروا الذكر، ويتابعوا بعد ذلك سهرتهم في محل لهوهم، فلما دخلوا الزاوية ووقع نظر الشيخ عليه، وكان آنذاك العالم الفاضل الشيخ عبد الغني البادنجكي، قال: دعاني إليه، وفي نهاية السهرة بايعني على الطريقة القادرية، وقال لي: يجب أن تأتي إليَّ في الزاوية.

يقول شيخنا: ومرة رأيته - الشيخ عبد الغني - دخل الخلوة - وهي غرفة ضمن الزاوية - وأنا أنظر إليه، فرأيت الغرفة أضاءت بالأنوار، وسمعت صوت الذكر والإنشاد، ولما خرج الشيخ منها قلت له: من كان معك ينشد ؟ قال: وهل رأيت وسمعت ؟ فقلت:

نعم. فقال: اكتم عني ما رأيت ولا تحدث أحداً.

طلبه للعلم: ثم وجهني الشيخ لطلب العلم في الخسروية... فانضم الشيخ إلى سلك طلابها عام ١٩٢٦ وقد قارب الخامسة والعشرين من العمر، فتابع العلم فيها حتى تخرج منها عام ١٩٣٢، وكان من أشياخه فيها أفاضل علماء حلب الذين كانوا يدرسون في الخسروية، وكان من رفاقه الذين تخرجوا معه بعام ١٩٣٢م شيخ المعرة الشيخ أحمد الحصري ورفاقه في القافلة السابعة.

مع الشيخ أبي النصر: وكان معظم طلاب الخسروية ممن لازم مرشد العصر سيدي الشيخ أبي النصر، وكانت لا تفوتهم مجالسه إذا حضر إلى حلب، ولا صحبته إذا تجول فيها، فالتزم الشيخ (محمد) الطريق النقشبندي، وتلقن الورد والذكر عن الشيخ، وارتبط به ارتباطاً كلياً، فصار يزور الشيخ في حمص، ويزوره الشيخ إذا جاء لحلب في بيته، وكان إذا سافر إلى شيخه في حمص - كما حدثني فضيلة ولده الشيخ محمد عدنان - يبقى الأيام الطويلة لدى الشيخ في الزاوية [١].

ويتابع الشيخ عدنان قائلاً: والحمد لله الذي أكرمني بتقبيل يد الشيخ أبي النصر، ووضع يده على رأسي وأنا طفل في بيتنا.

أقول: وكما حدث الشيخ محمد علي المراد في ثبته [٢]، وذكرته في ترجمته، فقد كان الشيخ الغشيم يلازم مجالس شيخنا أبي النصر، ويكلفه الشيخ بمهمة العناية بالطلاب الجدد الذين ينتسبون إلى المدرسة الخسروية.

نشاطه العلمي: وبعد تخرجه من الخسروية عام ١٩٣٢، التزم الشيخ بالمدرسة الشعبانية مدرساً فيها حتى عام ١٩٥٨، حيث دمجت بعد ذلك في المدرسة الخسروية، وانتقل طلابها إليها، فنقل الشيخ نشاطه إلى المسجد الذي يدرس فيه في محلة (دكاكين الحجاج) وهو

---

[١] قال عبد الله: قال شيخنا الشيخ أديب: كان الشيخ أبو النصر يداعب الشيخ محمد الغشيم، يقول له: يا غشيم الله يدلّك.

[٢] انظر في ترجمة الشيخ محمد علي مراد (علماء حماة).

مسجد (مقر الأنبياء) فصار يدرس المواد التي كان يدرسها في الشعبانية تماماً.

يقول فضيلة ولده الشيخ عدنان: ولازمنا عنده أنا ورفاقي ندرس عليه سنتين أو ثلاث في الجامع، ولما ضاق استيعاب الجامع على الطلاب انتقل إلى جامع الحموي بجانب القلعة، وأشار على الشيخ عبد الله سراج الدين رحمه الله ونور ضريحه، أن يشاركه في التدريس زملاؤه السادة الشيخ بكري الرجب والشيخ أحمد القلاش والشيخ مصطفى مزراب، ففعلوا ولم يتقيدوا في قبول الطلاب في جامع الحموي بسن معين.

واتسعت حلقة جامع الحموي وصارت ثلاثة صفوف، وكنت - محمد عدنان - واحداً منهم، ثم التحق بالتدريس الشيخ عبد الفتاح أبو غدة وصار يدرس مصطلح الحديث، كما درس ذات المادة في كتاب شرح البيقونية الشيخ عبدالله سراج الدين، وصار الشيخ عبدالله رحمه الله ينفق على الطلاب ما يحتاجونه في دراستهم، ولم يتسع جامع (الحموي) للطلاب أيضاً، فاقترح الوالد - الشيخ الغشيم - الانتقال إلى المدرسة الشعبانية، وكان العهد الذي ألغى المدرسة الشعبانية قد مضى، وجاء عهد جديد استلم فيه المرحوم غالب عابدون وزارة الأوقاف، فطلبوا من الوزير الانتقال إلى الشعبانية كمدرسة شرعية نظامية، فوافق رحمه الله، وأسس الشيخ عبد الله سراج الدين رحمه الله ونور ضريحه (جمعية التعليم الشرعي) لتتولى الإنفاق على المدرسة وإدارتها، يعضده في ذلك ثلة من أهل الخير والإحسان.

وتابع شيخنا (الغشيم) التدريس فيها والعناية بطلابها وصفوفها، حتى حديقتها؛ يقول فضيلة الشيخ محمد عدنان: فكان الوالد رحمه الله، إذا لم يكن عنده درس يعمل في الحديقة بستانياً يسقي الزرع، ويقلم الأشجار، ويصلح أرضها، وقد تخرج على يديه أفواج من طلبة العلم، توزعوا على أنحاء البلاد داخل سورية وخارجها.

ومن نشاطه العلمي والدعوي: كان يقوم مع زملائه الأفاضل الشيخ القلاش، والشيخ بكري رجب، والشيخ بكري العلبي، والشيخ مصطفى مزراب، بالتجول في القرى والأرياف، وتعليم أهل القرى، ونشر الوعي الديني لديهم، وكان أميرهم الشيخ الغشيم،

وبقي يدرس حتى أصابه الشلل وأعاقه عن التدريس، ثم توفاه الله إليه، بعد أن قضى ما يقرب من أربعين عاماً في العلم والدعوة ونشر الوعي الديني في صفوف أبناء الأمة، وكانت وفاته عام ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م، ودفن في حلب.

أخلاقه وكمالاته: كما حدثني فضيلة ولده الشيخ محمد عدنان، فإنه كان له حدب وعناية وعطف ورعاية لطلاب العلم، فكان يتفقدهم ليلاً ونهاراً، ويزورهم في أماكن إقامتهم في غرفهم التي كانوا يقيمون فيها في مساجد حلب، ويقدم لهم الطعام والكساء والغطاء، قال: ولم يُصلِّ منفرداً منذ أدركتُه حتى توفاه الله، بل كان لا يصلي الوقت إلا في جماعة، ولم يفته قيام الليل، ولا الورد النقشبندي مع حضور الختم الشريف، فكان يديره في مسجده، وكان يحافظ على قراءة دلائل الخيرات، وكان زاهداً ملتفتاً إلى الآخرة مُعرضاً عن الدنيا لا يهتم بلباسه ولا طعامه، يأكل ما حضر، ويلبس ما تيسر، حتى أنه لم يكن يعتني بعمامته، فيكورها حيثما اتفق، وكان يرضى بالقليل من الدنيا، وكان صداعاً بالحق، آمراً بالمعروف، لا يخشى في الله لومة لائم.

يقول الشيخ محمد عدنان: وكان بيني وبينه تعلق روحي حتى بعد الممات، ومرة أراد بعضهم احتجاز كتبي التي هي كتب والدي، وكانت في المسجد، وبلغني المؤذن بهذا الأمر فكربت كثيراً، فرأيته في المنام وقصصت عليه ما حدث، فقال لي: نَمْ، لا أحد يأخذ شيئاً. وفي المرة الثانية جاء من يريد احتجازها لحجة ما، فقال لهم المؤذن: هذه للإمام. فتركوها ولم تمس بسوء ولا أذى والحمد لله، وهذا من بركاته رحمه الله تعالى ونور ضريحه.

* ترجم له الأستاذ عامر مبيض في كتابه الموسوعي (مائة أوائل من حلب)، في الجزء الأول ص٣٤٤.

الوارث المحمديّ، والعالم الرباني

الشيخ محمد بن أحمد النبهان الحلبي

(١٣١٨-١٣٩٤ هـ) (١٩٠٠-١٩٧٤ م)

تمهيد:

وما أدراك ما الشيخ النبهان ؟! ذاك نجمٌ سطع في سماء المعالي وكوكب أشرق في فلك المعارف، فبرزت فضائله وانتشرت في الأقطار شمائله، وتربّع على سدة الإرشاد والإمداد، وشهد له بذلك القاصي والداني، وأخذ من إمداد شيوخه في حياته مالم يأخذه غيره، وسبق الكثير من أقرانه، واعترف بفضله وسبقه شيوخه وإخوانه.

كان هذا السيد درّة إخوان الشيخ أبي النصر في حياته، والسابق لهم بعد مماته، قطع مفاوز السلوك بهمة ومدة لم يقطعها غيره، وحاز من المعارف والعلوم والفتح الرباني ما لم يشاركه فيه سواه، ولذلك كان بحق مفخرة العارفين، وحجة الله في الصوفية العاملين، على المتصوفة البطّالين، رافع لواء الشرع المحمدي، ومبرز منار الهدي النبوي، بهمة لا تعرف الملل، ودأب لا يعرف الكلل.

كان رحمه الله وقدس روحه مظهراً من مظاهر العزة الإسلامية، وعنواناً بارزاً لشمائل القوة والفضل المحمدي، ألبسه الله ثوب الهيمنة، وتوّجه بتاج ﴿خذوا ما آتيناكم بقوة﴾.

ومهما قدمنا في التعريف بشخصه الكريم، وبيان مزاياه العالية، مما رأيناه وعاصرناه فهو نزر من بحر، وليس الخبر كالعيان، ولقد فَتَنَ رحمه الله كل من عرفه وخالطه: ﴿ونبلوكم بالخير والشر فتنةً وإلينا ترجعون﴾ (٣٥: الأنبياء)، فمن خالطه معرفة أحبه، ومن رآه بديهة هابه، وتلك خصلة أُلبِسَها من شمائل النبوة، وخلعةٌ خلعها الحق سبحانه عليه، ورداء ألبسه إياه.

* فتن أحبابه وإخوانه بخلقه الكامل وهمته العالية، وجوده الواسع، وشجاعته النادرة،

وفهمه الثاقب، فما استطاعوا أن يجدوا له في حياته وبعد مماته نظيراً، وما قدروا أن يحبوا غيره كحبه، أو يهبوا لسواه أفئدتهم التي امتزجت بودّه.

* وفتن أعداءه وشانئيه الذين ما رأوا في كمالاته ما يعاب، إلا أنه عالٌم أعزّ العلم بترفعه عن أن يأكل به دنياه، وأعزّ أهل الطريق والسلوك بأن كان مظهراً عملياً للجهاد والبذل والعطاء، والإيثار والكرم والسخاء، تلك الأخلاق التي طوت معظمَها الأيام، فأبرزها بسلوكه بنفسه، وقوّاها بعزمه.

* وفتن زملاءه في الطريق من ضعاف الهمة الذين ظنوا أن الكمالات والفضائل لا تكون إلا للشيخ المربي، والمرشد الكامل فحسب، فأنّى للمريد - ولو كان مراداً أو سالكاً صادقاً - أن يبلغ شأو شيخه، أو يستأثر بحبه وعنايته، وما عرفوا أن صدق المريد، وعروجه في مدارج الكمال، ونيله أعلى مراتب الوصال، وحصوله على اللطائف والمعارف، هو هدف الشيخ المربي والمرشد الكامل من تربيته لمريديه، وعنايته بإخوانه ومحبيه، فحصلت بعض الغيوم فغطت النظر على قاصري الفهوم، ولما أشرقت عليها شمس المربي الفاضل والعارف الكامل، انزاح الضباب وانقشع السحاب، وأظهر الشيخ للناس فضل تلميذه الكامل، وأبرز حقائق المعارف التي حظي بها هذا الشيخ السالك الواصل.

ولا عجب أن ينشط بعض المريدين القلائل في حياة شيوخهم ليقطعوا مسافات الطريق التي يقطعها غيرهم في سنوات، بأن يجتازوها هم في ساعة، ولا غرابة أن تتعلق أفئدة الإخوان بزميل لهم تخطف شمائله قلوبهم، فيتقدم ويقفون، ويطير ويمشون، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، ويختص برحمته من يشاء، ولله في خلقه شؤون.

* وفي هذه الصفحات سأقدم لإخواني محبي الحق نبذاً من سيرة هذا العالم الفاضل والولي الكامل، مما عرفناه عنه أو شافهنا به، أو نقلناه عن آبائنا وشيوخنا، ومما كتب عنه رحمه الله ونوّر ضريحه، غير ملتفتين لمغالاة المغالين من المحبين، الذين يرون أن الفضل والخير لا يعدو شيخهم، وأن الكمالات مقصورة عليه وحده، فهذه المغالاة في الحب سببها ضيق عين المحب، كما قالوا: (عين المحب ضيقة لا ترى إلا محبوبها).

وهم إن كانوا في المحبة صادقين إلا أنهم في حكمهم مخطئين وربما كانوا معذورين، وإن كانوا غير ذلك، فالله يتولى هداهم وإيانا، وإصلاحهم وإيانا، كما إننا سنعرض أيضاً عن شنآن المبغضين وحقد الحاقدين، وقصور نظر الجاهلين، وسواء أكانوا من المحبين أو المبغضين: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (١٣٤: البقرة).

* وقد اعتمدت في هذه الترجمة من المكتوب على كتاب شيخنا وأستاذنا الشيخ محمد أديب حسون (آلاء الرحمن على العارف النبهان)، الذي كان قد جمع فيه نُبذاً من سيرة هذا السيد الكريم بعد وفاة الشيخ رحمه الله بمدة قصيرة، وهو الذي صاحب الشيخ ولم يتركه طول حياته، وحظي منه بما لم يحظ به غيره، فكانت كطاقة ورد أهداها لشيخه بعد وفاته، فإنها رسالة ودٍّ وحب ووفاء، فجزاه الله كل خير، وأحسن الله إليه ونفعنا به وبأمثاله، وأمدّ في عمرهم.

* وعلى كتاب (السيد النبهان: سيرته، دعوته إلى الله، وآثاره) من تأليف الأستاذ المحب هشام الألوسي العراقي، الذي جمع فيه على مهل مما رآه وجرى معه بحياة السيد رحمه الله، ومما أملاه وحدّث به أحباب الشيخ، ومن دروسه المسجلة على أشرطة التسجيل، فكان ترجمة وافية شاملة، والعهدة في هذا الكتاب مما لم ينسبه لأحد عليه هو.

ومن الواضح أن مقصودنا الأول في هذا الكتاب هو ترجمة وجمع شمائل شيخنا الكامل ومربينا الفاضل درة عصرنا، وفريد دهرنا سيدنا ومولانا الشيخ محمد أبي النصر، وإننا نرى في تراجم تلامذته ومريديه وإخوانه ومحبيه صوراً من كمالاته، وآثار بصماته، فهو الوالد الروحي، والأب المعنوي لتلامذته ومريديه، وهو الموجّه الفطن لأبنائه ومحبيه، وسبب هدايتهم ودليلهم إلى ربهم، النائب في كل ذلك، والوارث بكل ما هنالك لسيد الوجود ومنبع الفضائل والكمالات سيدنا وحبيبنا وقرة أعيننا ومرشدنا إلى الله سيدنا محمَّد عليه وآله وصحبه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم.

نسبه ونشأته:

(هو سيدنا الشيخ محمد بن أحمد النبهان، ومنه عرف بالنبهان والنبهاني)[1]، ونبهان بن خضر، وبه يدعى قومه الخضيرات، وهم أربع شعب: أكبرهم حسين الملقب بـــ (حوت)[2]، والثاني حسن، والثالث أحمد الملقب بـــ (غانم) لكرمه، ورابعهم (نبهان). والخضيرات بطن من العشائر الزبيدية.

ولد في محلة باب النيرب بحلب عام ١٣١٨ هـــ - ١٩٠٠ م، وتربى تربية الدلال في كنف أبوين صالحين، والعناية الإلهية تحفه وترعاه، حتى إذا ترعرع صباه لازم المسجد بالعبادة والخدمة.

وقد جُبل قدس سره على عقيدة سليمة بأهل الله، وحب لآل بيت رسول الله ﷺ، فكان منذ حداثة سنّه يتعشق الكمالات الإنسانية، ويتلذذ بمكارم الأخلاق، من صدق وشرف ونزاهة، وعرف الفتى بشجاعة طويت على قوة في الجسم، ودقة في الرمي، وباع في ركوب الخيل وترويضها) اهـــ[3].

وقال شيخنا محمد أديب حسون: (كان والده الحاج أحمد النبهان رحمه الله تعالى من قرية الدويرينة من ضواحي حلب، ثم استوطن حلب وسكن في محلة باب النيرب، وتزوج بوالدة شيخنا من المحلة نفسها، فأنجبت له أولاداً كراماً: الحاج علي، وجميلاً، وعبد المجيد، وحسن، وكان شيخنا واسطة عقدهم، وأكبرهم سناً وقدراً وعلماً وهمةً.

ولد رضي الله عنه سنة ١٣٢٠ هـــ - ١٩٠٢م، في حي باب النيرب من بلدة حلب، ونشأ في بيئة فيها كرم ورجولة، وفيها فتن بين الطوائف، ولكن الله تعالى ألقى في قلبه منذ

---

[1] أقول: إن سبب تكنيته بالنبهاني هو محبته بالعالم العارف، والولي الكبير محب سيدنا رسول الله ﷺ الشيخ يوسف النبهاني، وقد اشتهر عنه رحمه الله أنه يحب أن يكنى بالنبهاني محبة بالشيخ يوسف، وقد سمعت هذا مراراً من أخي أحمد المسعود الذي لازمه حتى آخر حياته وانتفع به، والحمد لله.

[2] الجد الأعلى لجد المؤلف والد أمه الشيخ عبد الرحمن الحوت.

[3] السيد النبهان: للآلوسي، ص ١٢.

صغره محبة الدين وأهله. قال لنا رحمه الله ورضي عنه: كنت إذا رأيت رجلاً متعمماً بعمة خضراء أعتقد أنه ولي من أولياء الله، ولا أزال أنظر إليه حتى يغيب عن بصري.

وكان نوّر الله مرقده من صغره مولعاً بالصلاة في المسجد، فكان يفتح المسجد بيده ويغلقه كذلك ليحافظ على الصلاة بأوقاتها.

ورغم أن أبا شيخنا قدس الله روحه كان غنياً، وكان هو أكبر إخوته وفي يده المال، وقد أوتي فوق ذلك صورة حسنة جذابة، وكان محبوباً لكل من يخالطه، كل ذلك لم يكن ليوقعه في حمأة الرذيلة، التي كان كثير من رفاقه وذويه قد واقعوها، حفظاً منه تعالى وتأهيلاً لما سيمنحه ربه من فضله وكرمه، وليجعله من أئمة الهدى والخير) [1].

أقول: إن هذا قبل أن يدخل في طلب العلم والطريق.

خَلْقُه وخُلُقه ومعالم شخصيته:

قال أستاذنا الشيخ محمد أديب حفظه الله وأدام توفيقه: (كان شيخنا قدس الله روحه جميل قسمات الوجه، بسّاماً، معتدل الخلقة الجسمية، ربعة في الجسم، قد زانه الله تعالى بالجلال والجمال، فتراه إذا غضب - وما علمته غضب إلا للحق - ترى له عرقاً يدرّه الغضب، له هيمنة على مجلسه وعلى جليسه، مع الحب والاحترام لما يرى منه ولما يظهر عليه من الفضل والعلم.

ومن المعلوم أن السالك في بدايته يظهر نوره على وجهه وعلى جميع كيانه فيكون جذاباً أكثر من أن يكون مهيباً، فإذا دخل في أطوار الرجولة والمعرفة كَمَنَ نوره في قلبه وكسي الهيبة والجلال، فمن رآه بديهة هابه، فإذا خالطه وعرف أخلاقه الكريمة المتواضعة أحبه وعشقه. وهكذا - فيما علمت - كان شيخنا حينما كان سالكاً عند شيخنا أبي النصر قدس الله روحهما، فقد كان شيخنا النبهان زينة الإخوان في مجلس شيخنا أبي النصر، وكان الجميع حتى الشيخ والإخوان يلتفتون إليه، لما ألبسه الله تعالى من حلل الأدب والحياء

---

[1] آلاء الرحمن: للشيخ أديب حسون، ص ١٠.

والسكينة. كما كان شيخنا أبو النصر زينة مجلسه قد أعطي جمالاً وكمالاً ووقاراً، وكان وجهه في بياضه وحمرته وما يعلوه من نور العلم والولاية والتقوى كأنه بدر، وذلك أثر النور الإلهي على قلوب أحبابه يظهر على وجوههم، والحمد لله رب العالمين) [1].

وكتب السيد هشام الألوسي نفع الله به: (مظهر محمدي، وشخصية فذة تنجذب لها الشخصيات، وطلعة تمتلك المهج فلا تمل، من رآه على بعد فقد هابه وذكر الله تعالى، ومن تطلع فيه اطمأن وانتهضت همته، وكلما أمعنت نظرك فيه زادك نوراً وجمالاً.

لقد كان رضي الله عنه، خلقاً في أحسن تقويم... كان وقور الحركة، كثير الإطراق، شديد الصمت، لا تلمح في قوله ولا فعله رنّة الزهّو، ولا لذة الشهرة، إذا داخلته ودخلت إلى عالمه تكشف لك عن موهبة إلهية كبيرة تتستر بين الحياء والحشمة، وجذوة نورانية تتوارى غالباً خلف التضرع والتواضع.

وكان رضي الله عنه دقيق الحسّ، فلا يهوى الجدل، سليم الصدر لا يحمل على أحد، رقيق القلب لا يقسو، نفّاح اليد لا يبخل ولا يدّخر، وإذا نظرته أحببته، وإذا خالطته ازددت له حباً، حتى إذا ما فارقته تملكك الحنين والشوق إلى لقائه مرة أخرى) [2].

طلبه للعلم الشرعي:

وكتب أستاذنا الشيخ محمد أديب عن ذلك قال: (حدثنا عن نفسه رضي الله عنه قال: كنت أمني نفسي أن أكون خادماً عند سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلاني – رضي الله عنه وقدس سره – وأتمنى لبس ثياب الخدام عند أهل الله تعالى.

قال: حضرت ليلة النصف من شعبان في المسجد مع الناس لسماع الدعاء، فأخذني بكاء غريب قوي، وظهر عليّ التأثر من ذلك، وبعد ليلة أو أكثر وجدت في نفسي دافعاً قوياً للدخول إلى المدرسة الشرعية، فذهبت وانتسبت إليها فعارضني والدي بقوة، لأنه كان يعتمد عليّ كثيراً في أعماله، واستعان والدي عليّ بشيخ حلب إذ ذاك وعالمها الكبير

---

[1] آلاء الرحمن: للشيخ أديب حسون ص ١٢.

[2] السيد النبهان: للآلوسي ص ٣٥.

الشيخ محمد نجيب سراج الدين رحمه الله، وبالفعل طلب مني الشيخ بأن أعين والدي مع طلب العلم، فقلت له بالحرف الواحد: (اليد لا تتحمل جبستين)، يعني لا يمكن طلب العلم مع الاشتغال في الدنيا، لأنه بمقدار الشغل في الدنيا يكون الانصراف عن العلم.

وهكذا سار شيخنا مفرغاً نفسه للعلم، ودخل في المدرسة الخسروية الشرعية، وكانت هذه المدرسة قد فتحت مجدداً بمساعي مدير الأوقاف السيد يحيى الكيالي رحمه الله تعالى وجزاه على عمله أحسن الجزاء، وقد أنجبت هذه المدرسة خيرة طلاب العلم، بل كانت هي المدرسة الوحيدة آنذاك، وتقارب الأزهر، فخرّجت شيخنا ورفاقه من نخبة أهل العلم كالشيخ مصطفى الزرقا، والشيخ الدكتور معروف الدواليبي، والشيخ ناجي أبو صالح، والشيخ عبد الوهاب سكر، والشيخ محمد سعيد المسعود، ورفاقهم؛ فرحم الله من توفي منهم، وحفظ الباقين) [1].

(على أن شيخنا انتسب إلى المدرسة، وأكمل دراستها، ثم ذهب إلى مصر ليتم دراسته في الأزهر الشريف، ولكنه لم يكتب له البقاء طويلاً، بل كان دون السنة، وذلك بسبب طلب والده وإصراره على أن يكون في حلب، ولعله كان خيراً إن شاء الله) [2].

وذكر السيد الألوسي مثل هذا وقريباً منه، وذكر وصية الشيخ الكبير العالم العارف سيدي محمد نجيب سراج الدين له: (بقوله له: يا ولدي، قل: اللهم ارزقني العلم النافع، يرزقك العلم ويرضي والدك)، فواظب على وصية شيخه هذه يدعو بها خلف الصلوات الخمس السنوات حتى ظفر بالثمرة. ومع أول قدم وضعه في الطلب جعل همه العلم للعلم، العلم الذي يوصل إلى المعلوم، لا العلم الذي يبتغي به المادة والمعاش، قال ﷺ: (أنا دخلت العلم للعلم، تعلّم العلم لتعمل به، لا توصلاً إلى غرض من أغراض الدنيا، مَنْ طلب العلم ليتعيَّشَ به لا عيَّشه الله تعالى) [2].

(وضمّ إلى هذا المبدأ السامي غاية الأدب والحياء، مع كونه جاداً حازماً متفائلاً لا يطرق

---

[1] آلاء الرحمن: للشيخ أديب حسون، ص ١٣.

[2] آلاء الرحمن: للشيخ أديب حسون، ص ١٤.

الكسل جنبه، ولا يجنح للهزل والجدل والفضول لسانه، ولا يقل نظره في كتبه عن ست ساعات يومياً، زيادة على ما يلقى إليه في المدرسة. ورافق دخوله العلم وحشة من الناس، واعتزل معارفه وأصحابه، وتجنب الخروج إلى المدينة إلا ليلاً، واتخذ من الدكتور الشيخ معروف الدواليبي [1] صاحباً ورفيقاً له، فأقاما في الخسروية معاً في غرفة واحدة، يشد أحدهما أزر الآخر، فكانان يتدارسان العلم، ويتبادلان المعرفة، ويتناصحان ويتحاسبان، وكان لهما كل يوم موعد للمحاسبة بين المغرب والعشاء، في الأمر والنهي وحتى الخواطر.

قال ﷺ: (يقول البعض: مشايخنا لهم دفتران للأعمال، دفتر في النهار وآخر الليل، وزدنا عليهم أننا نحاسب خواطرنا كذلك) اهـ [2].

وذكر السيد الألوسي أيضاً ذهابه للأزهر الشريف فقال: (بقيت دوافع إكمال الدراسة تراود فكره، فغادر حلب متوجهاً إلى مصر، وفي الأزهر استوفى ما احتاج إليه من علوم عقلية ونقلية في حلقات الشيخ محمد بخيت المطيعي شيخ الأزهر، والشيخ يوسف الدجوي، والشيخ سلامة العزامي، والعزامي أكثر من أخذ عنه واستفاد، ورافق طيلة بقائه بمصر الشيخ نجم الدين الكردي الأربلي، ابن مولانا المرشد الكبير الشيخ محمد أمين الأربلي، شيخ الطريقة النقشبندية) ص ١٩.

وذكر السيد الألوسي قبلها أنه حزم كتبه وأمتعته للسفر إلى بغداد ليتم دراسته على مشايخ العراق، إلا أن معارضة أبيه حالت دون تحقيق تطلعاته، وأقنعه والده بالحج وزيارة المصطفى ﷺ، فساغ له العرض، وكانت حجته الأولى برفقة أخيه الحاج علي النبهان سنة ١٣٤٢ هـ، ١٩٢٣م. ص ١٦.

سلوكه في الطريق النقشبندي:

قال أستاذنا الشيخ محمد أديب حسون في كتابه (آلاء الرحمن)، يذكر مبدأ دخول السيد النبهان في الطريق: (بعد أن دخل – السيد النبهان – المدرسة الشرعية بمدة وجيزة،

---

[1] انظر ترجمته في فصل العلماء المجاورين في الحرمين من هذا الكتاب.

[2] السيد النبهان: للآلوسي، ص ١٦.

أخذ الطريق على شيخنا أبي النصر الحمصي قدس الله روحه، وكان الشيخ أبو النصر في ذلك على جانب عظيم من المنـــزلة في الطريق وكثرة الأتباع، وحسن الأحدوثة، كما انتسب الكثير من أهل العلم إلى الشيخ. ومعلوم أن ذكر الطريقة النقشبندية قلبي، وأثره لمن واظب عليه قوي، والقلب إذا أشرق بالنور وتحرك بالذكر سالت العبرات من العين، وغلب الخشوع على صاحبه في الصلاة، وأينما كان؛ فلقد كنا نجلس بين يدي الشيخ رحمه الله والذكر يهز قلوبنا هزّاً عنيفاً، وهذا سبب ظهور الأحوال والصرخات عند النقشبندية في البداية أكثر من غيرهم، وكان سيدنا الجنيد البغدادي سيد الصوفية ﷺ في أول سيره تكثر صيحاته، فلما قوي وملك حاله سكن، فسئل عن ذلك فقال: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾، يشير إلى أن سيره صار باطناً وملكَ ظاهره. وهكذا كان سيدنا الصديق أول إسلامه، فحينما كان يقرأ القرآن يكثر بكاؤه حتى تتقاذف عليه النساء والأطفال، فلما قوي نوره وملك حاله سكن ظاهره، ولكن باطنه كان كما عبّر عنه الإمام الجنيد رضي الله عنهم أجمعين).

أقول: وقد حدثني أستاذنا الشيخ أحمد القلاش عندما قرأت له فصولاً من هذه الترجمة قال: أنا أشهد بعيني أن الشيخين النبهاني والدواليبي في مجلس الشيخ أبي النصر في دار حاج يوسف حموية، كان يأخذهما الحال والبكاء الشديد والوجد العظيم [1].

تجرده وعزلته بعد سلوكه الطريق:

ويتابع أستاذنا الشيخ أديب الحديث عن شيخه: (ولنرجع إلى شيخنا النبهان؛ فحينما أخذ الطريقة من شيخه، وذاق حلاوة الذكر، وإذا به يتجرد من الدنيا، ويترك ماله وولده ويسير سير الزاهدين من التقلل في المطعم والملبس، حتى حمّل عائلته الشيء الكثير من هذا، فكان والده رحمه الله يعرض عليه أن يجعل لأولاده شيئاً خاصاً يعيشون به فيرفض. وقال لنا مرة ﷺ: إن بدايتي نهاية غيري، فمن أول قدم علوت بهمتي إلى أعلى مطلب، فلم يكن

---

[1] حدثني بهذا في منزلي في الكرم، يوم الجمعة ١٣ جمادى الأولى ١٤١٩ هـ، ١٩٩٨/٩/٤ م.

لي مراد إلا أن أتحقق بالعبدية الكاملة والمعرفة التامة، وبقي سنين طويلة على ذلك الحال، واعتزل الناس في جامع الكلتاوية) [1].

(ودخل شيخنا قدس الله روحه الكلتاوية وطلب من إمامه أخينا في الله تعالى الشيخ بشير الحداد رحمه الله تعالى أن يسمح له بالسكن في غرفة متواضعة بجانب المسجد، وبدأ الشيخ يتعبد ويتحنّث، لا يأتي إليه إلا الخاصة من إخوانه في الله تعالى، كالشيخ أحمد المصري، والحاج محمود الحموي، وأمثالهما.

بدأ إخوان الشيخ (أبي النصر) يتهامسون عن الشيخ النبهاني وعن عبادته، وشرع ذكر مسجد الكلتاوية يرنّ صداه في الآذان، وإذا بالشيخ نجيب سراج الدين - علاّمة حلب - يستأذن تلميذه ليزوره في مسجده أياماً ولياليَ، وزاره شيخه ومربيه الشيخ أبو النصر متفقداً، ولم يتركه إلا وهو مسرور، قرير العين، منشرح الصدر، من نجابة مريده.

ختم باب الأحمر المتميز:

قال عبد الله: حدثنا شيخنا القلاش، أن الشيخ النبهان كان يقيم الختم الشريف النقشبندي في جامع باب الأحمر، وكان هذا الختم متميزاً بحضور الإخوة فيه، والأحوال والصفاء، وكان شيخنا القلاش يعجب بهذا الختم وحضّاره، ويذكره كثيراً. اهـ.

قال أبو يحيى: وذكره شيخنا محمد أديب حسون في كتابه (آلاء الرحمن)، وانظره في ترجمته فيما بعد.

وتمر الأيام، وإذا بمسجد الكلتاوية يصبح مقصداً للصادقين ليل نهار، وأنوار الشيخ النبهان تشع على الجميع، وسكونه في مراقبته يسبي العقول، وبكاؤه في ليله يأخذ بألباب المتعبدين، فملأ السمع حديثه العذب، وملأ البصر وجهه الجذاب، وأما نظراته الأخاذة فكان لها وقع الغيث في الأرض المجدبة، ولم تمض سنوات قلائل حتى صار جامع الكلتاوية - كما تراه - زينة للبلدة، وملجأ لطالبي الحق.

---

[1] آلاء الرحمن: للشيخ أديب حسون، ص ١٥.

سيره وسيرته مع شيخه أبي النصر:

قال أستاذنا الشيخ محمد أديب: (وقد كان شيخنا النبهان قدس الله سره حين أكرمه الله في سيره بمحبة رسول الله ﷺ تظهر عليه آثار هذه المحبة في كلامه وسكوته، وقيامه وقعوده، وكأنه وقد ألبس حلل النور. وشهد الله: لقد كنا نراه في ذلك الحال ونرى الأرض التي يمشي عليها تحبه، وجميع ما حوله يتعلق به، وتسري منه إلى غيره محبته ﷺ. وكان في إبان حياته يجلس مع شيخنا أبي النصر - قدس الله روحهما - وكان يغلب عليه الإطراق، وإذا بدأ المنشد بالإنشاد ترى الدموع تنحدر على خديه، وكان شيخنا أبو النصر ﷺ يقول لمنشده أبي حسن النداف، أنشد للشيخ محمد - يعني سيدنا النبهان -:

أخذتم فؤادي وهو بعضي فما ضرَّكم لو كان عندكم الكلُّ ؟

يقول أستاذنا الشيخ أديب: سمعت شيخنا النبهان يتحدث عن نفسه ويقول: كنت أسمع هذا البيت فلا يتمه المنشد حتى أغيب عن المجلس وتذهب روحي مع رسول الله ﷺ، فأبقى ساعتين أو أكثر، وربما انقضى المجلس وأنا في غيبتي، ولكم عرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بروحي إلى السماء فأراني عجباً.

قلتُ (أستاذنا الشيخ أديب): ومن هنا كان شيخنا النبهان حينما يدخل على شيخنا أبي النصر يلتفت إليه بكليته حتى صار الإخوان من غيرهم يقولون: جاء ابن الجديدة. يلومون الشيخ على تقديمه، بالالتفات إليه دون غيره. قلت: وفي الحقيقة إن الشيخ لم يقدمه بنفسه، وإنما الصادق الحقيقي حينما يكون في المجلس يفرض شخصيته على شيخه وعلى المجلس وحيثما حَلَّ هو المنظور إليه، وذلك لأنه حامل السر الإلهي.

ولما أكرمه الله تعالى بالحب الإلهي هيمن على ما سواه، وسمعته ﷺ يقول: حينما يدخل المريد في الحب الإلهي لا يذهب منه الحب النبوي، ولا حب شيخه، ولكن كما إذا طلعت الشمس غطى نورها نور القمر والنجوم). اهـ [1].

---

[1] آلاء الرحمن: للشيخ أديب حسون، ص ٥٠.

أما السيد الألوسي فإنه لم يذكر في كتابه من علاقة السيد النبهان بشيخه ومربيه مولانا الشيخ محمد أبي النصر إلا عدة أسطر، رغم استقصائه المفيد لحياة السيد رحمه الله وجمعه مالم يجمعه غيره، وتتبعه لأحوال وأقوال وسيرة هذا العَلَم العالم الحبر العامل، ولم أدر لَمَ طوى هذه الصفحات النيّرات من حياة الشيخ النبهاني في زمن تربية الشيخ أبي النصر ؟!

زهده في الدنيا:

تحت عنوان زهده في الدنيا قال أستاذنا الشيخ محمد أديب: (والزهد علامة اختيار الله العبد إذا أراد اجتباءه، فإنه يخرج حب الدنيا من قلبه، ويقبل عليه سبحانه، فيجعله سيد الناس، كذلك كان شيخنا النبهان قدس الله روحه، فهو من أبناء الأغنياء، ومال أبيه في يده [1]، وأوتي مع هذا جمالاً جذاباً، فكان يلبس الثياب الفاخرة التي تتزين به أكثر مما يتزين بها... وحبب الله إليه الإقبال عليه، وترك الدنيا، فتركها مختاراً، تركها عن غنى لا عن فقر، وقد قيل للحسن البصري: أنت زاهد، قال الزاهد عمر بن عبد العزيز، أتته الدنيا فتركها لله) [2].

ثم ذكر الشيخ ديب عمله في الزراعة لكسب العيش الحلال بيده، واستئجاره الأراضي الزراعية، وكيف أنه كانت آثار إصلاحه في كل أرض وطئها، وقد ذكر السيد الألوسي هذا مفصلاً.

مسك الختام: (وقد أكرم الله سبحانه وتعالى هذا السيد المهيب، والمربي الفاضل في حياته وبعد مماته بأن وفقه لجلائل الأعمال، وعظيم الخصال مما لم يقم به غيره من أهل العلم والفضل في عصره، فقد كان ملجأ العلماء والعامة في مهمات الأمور التي تجري في البلاد، وكان المقدام في كل أمر يعود نفعه على الأمة في دين أو دنيا، مترفعاً عن المناصب والوظائف، لا تحدث مشكلة أو معضلة في البلاد من أمور السياسة أو الاقتصاد أو مما يهم عامة المسلمين - مما يجتمع عليه علماؤهم - إلا كان هو الأول فيها، نصحاً وتوجيهاً وتقديماً للرأي والمال، ولا تحل في البلاد قارعة إلا كان أول المواسين بماله ورجاله، وما

---

[1] قال عبد الله: كان والده يلقب بأحمد الليرات (يعني الذهبية) لغناه.

[2] آلاء الرحمن: للشيخ أديب حسون، ص ١٩.

السَّنة الممحلة الجدباء عام ١٩٥٩-١٩٦٠ م عنا ببعيدة، حيث ضرب بادية الشام القحط والمحل وهلكت الإبل والماشية، فكان الشيخ رحمه الله أول من فطن لهذا وأسعف الناس، وقدم لهم ما لم تقدمه الحكومة آنذاك) [١].

وكانت إذا ألمت بالمسلمين ملمّة يجتمع إليه علماء سورية ليكون أول من يقدم رأيه ونصحه وماله ورجاله، ومما أكرمه الله به وأكرم هذه الأمة به، ذلك الصرح العلمي الشامخ الذي أسسه في حياته رحمه الله واستمر بعد وفاته كما لو كان هو قائماً عليه، حيث أسس المدرسة الشرعية في جامع الكلتاوية، ووفقه الله لأن تكون توأماً للمسجد.

فالمسجد: مجمع للمؤمنين والمحبين من إخوانه ومريديه وعامة المسلمين، وملجأً لآمِّي الخير، والقاصدين للشيخ، ومركز لبحث أمور المسلمين عندما تلم بهم حادثة، أو يصيبهم أمر، ومنتدى للعلماء عندما يتشاورون مع الشيخ في أحداث الواقع، وغوامض المشكلات.

والمدرسة: مجمع علمي خرّج - ولا يزال يخرج - طلبة العلم الشرعي الذي ينهلون من أمهات الكتب وأصول العلوم ما يضاهي به أكبر وأعرق معاهد العلم في العالم الإسلامي، التي تمتد جذورها في تاريخ الأمة إلى زمن بعيد، ولا تزال حتى يومنا هذا تخرج طلاب العلم المتمكنين من أصوله، وقواعده من أمهات العلوم الشرعية، حفظها الله وأدامها.

رحلاته:

وكان للشيخ رحلات وأسفار في الداخل والخارج، وكان موفقاً فيها كلها، فسافر للعراق مرتين، والتف حوله المؤمنون والمحبون من كافة طبقات الناس كما لم يلتفوا حول أحد من معاصريه وأقرانه من العلماء، وأحدث فتحاً مبيناً في قلوب الناس هناك، وسافر لتركيا أيضاً للاستطباب، لكن الزيارة الأعظم هي تلك التي أمّ فيها البلاد الحجازية، وكانت بعام ١٣٨٤ هـ، ١٩٦٥م، (وكانت رحلة حج مباركة لا تكاد تجد لها نظيراً في هيأتها وحسن أدائها للفريضة هناك، قيادة حكيمة، وأتباع صادقون، كانت بحق درساً للأجيال) [٢].

---

[١] السيد النبهان: للآلوسي، ص ٨٨.

[٢] السيد النبهان: للآلوسي، ص ١٠٨.

جامع الفرقان:

ومن المآثر التي سجلها التاريخ تحويل ملهى المونتانا إلى جامع الفرقان، حيث وفقه الله مع جملة من أحبابه التجار إلى شرائها وتحويلها إلى مسجد بعام ١٩٧١م، وقد قال عمي الشيخ محمد سعيد بهذه المناسبة قصيدة أرخ فيها تلك الحادثة، وهي:

قصر فخيمٌ شِيدَ في شهبائنـــــا ... ليكـــون مرتـــع زمـــرة الشـــيطان

يمسي ويصبح والفضـــــائح جمّـــةٌ ... بـــين الجـــوانح منـــــه والأرْزانِ

زُكِمَت أنوف القوم من ريـــح الخَنَـــا ... والخمر أم الخبـــث بـــ (المونتـــانِ)

بل ضجَّت الشرفات مـــن أبـــهائِهِ ... تدعوا المهيمن مـــن صـــميم جنـــانِ

أن يبـــــــدِّل المولى بخـــيرٍ شـــره ... بـــالعلم بالتقـــــوى وبالإحســـان

حتى تداركه الإلـــــــه بـــهمَّةٍ ... عليا حباهـــا شيخـــنا (النبـــهاني)

وبخيرة الشهباء ســـادات النـــــدى ... فغـــدا بحَمْـــدٍ (**جـــامع الفرقـــان**)

وغدت تهب على المدينـــة ريـــحه ... فتعطـــر الأرجـــــــاء بالإيمـــان

رباه توج بالســـداد أمـــــورنا ... وارفع منـــــار الـــدين والقـــرآن

وارحم نويظمهـــا لعـــلَّ ذنـــــوبه ... ســـتؤول في التـــاريخ (للغفـــران)

أقول: وقد أهديتُ هذه القصيدة لجامع الفرقان، مكتوبة على لوحة ذات إطار، عام ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

كراماته:

وأعظم كرامة للعالم العامل استقامته على سنن الشريعة الغراء، وتمسكه بسنة المصطفى ﷺ الزهراء التي ليلها كنهارها.

وأمر الكرامات عند ورّاث الحبيب المصطفى ﷺ أمر ثانوي، لا ينظرون إليه ولا يلتفتون إليه، خوف القطيعة عن الله سبحانه في سيرهم، وعندما تحصل هذه الكرامة فإنهم يردونها دائماً إلى المكرم سبحانه وتعالى:

١- ومن الكرامات تأسيس المدرسة الشرعية (دار نهضة العلوم الشرعية في الكلتاوية)، واستمرارها في تخريج طلاب العلم الشرعي حتى يومنا هذا، تخريجها لهؤلاء الطلاب الذين انتشروا في سائر البلاد شموس هدى، وأقمار علم وتقى.

٢- ومن الكرامات هيمنته العظيمة، وهيبة الحكام والأمراء منه، وعدم استطاعتهم إلحاق أي أذى به، رغم تقريعه لهم، وزجر الظالمين منهم وتوبيخهم، فكأنما يلجمهم الحق عنه، فلا يستطيعون إليه سبيلاً، وهذا أمر مشهور متواتر معروف لكل من عرف الشيخ وخالطه.

٣- ومن كراماته ما ذكره السيد الألوسي في كتابه ص ١٠٣، ناقلاً عن عمنا الشيخ عمر ملاحفجي قصةَ شفاء بنت المنشد الكبير المرحوم بكري كردي، وقد كان منشداً للشيخ، وقد سمعت هذه الحكاية من عمنا المرحوم الحاج محمد علي الفتّال [1] رحمه الله تعالى، وقد كان يزور سيدي الوالد رحمه الله تعالى كل فترة، وقد قصّ عليّ هذه الحكاية يوم ٤ ذي القعدة ١٤١٧ هـ، في منـزلي في الكرم (الباب)، قال: كان لبكري كردي [2] بنت غالية عليه جداً اسمها (عدوية)، ومرضت مرضاً شديداً ودام هذا المرض شهرين، وفي ليلة كان هو ووالدتها وجدتها يسهرون عليها حتى الصباح، وقد يئسوا من حياتها، وفي صباح اليوم التالي حضر رسول السيد النبهان، الحاج أبو عمر دباغ، يطلب منه الحضور بعد يومين إلى الكلتاوية لإحياء حفل المولد النبوي، فقال السيد بكري للرسول (دباغ) وقد أخذ منه التعب والسهر والحزن كل مأخذ: روح ما بدي أجي، أنا بطّلت المصلحة. - أي تركت الإنشاد - فرجع الرسول إلى الشيخ، فأرسل له شخصاً آخر، فرده أيضاً، فأرسل الشيخ ثالثاً - وأظنه الشيخ عمر - فقال له: قل له إن الشيخ يدعوك للحضور، شئت أو أبيت. قال: فأتيت إليه. فقال لي الشيخ: ما لك يا بكري ؟! قال: فحكيت له حكاية البنت المريضة وسهرنا عليها، ويأسنا من عافيتها، فقال الشيخ: أتريد عافيتها ؟ قلت: بلى ! فقال الشيخ: نترجّى ربنا. ثم أردف قائلاً: على شرط أن تحضر الحفلة. فأجبت: نعم. قال: ثم توجه الشيخ

---

[1] توفي الفتال رحمه الله تعالى يوم ١ محرم ١٤١٩ في حلب.

[2] ولبكري كردي رحمه الله قصة طريفة في سبب توبته وعودته إلى رحاب الصالحين.

رحمه الله تعالى إلى الله داعياً في شفاء البنت، ولما عدت إلى البيت، فإذا بها جالسة في فراشها، وقد كانت محتضرة، وتقول: أريد أن آكل. ولم تمض أيام حتى تعافت وشفيت تماماً.

٤- **وأما المكاشفات** فهي شيء كثير، ومما أخبرني به أحد أحبابنا من الذين كانوا يزورون سيدي الوالد ولا زالوا بعد وفاته يواصلوننا هو وثلة من الأحباب، ألا وهو السيد الحاج عبد الرزاق الأعمى الحلبي، المحب لأهل الله رحمه الله، حدثّ هذا بحياة الوالد وبعد وفاته، قال: كنت أظن في السيد النبهان الظنون، وقلت في نفسي: يجب أن أزوره، لأتعرف على حقيقته، ولن أقف عند كلام الناس. فقلت لإمام مسجد حينا في القطانة، وكان من تلامذته: إن الناس تحكي على الشيخ النبهاني فما رأيك أنت ؟ فقال لي: هو شيخ جليل ذو وزن وقدر، وسآخذ لك إذناً بزيارته يوم الجمعة القادم، حيث هناك مجلس عام في غرفته في مسجد الكلتاوية، وأعطاني ورقة من يده تؤذن بالزيارة، ولما وصلت أعطيتها لأحد الواقفين أمام باب الغرفة فأذن لي بالدخول، ولما دخلت الغرفة - يقول الحاج عبد الرزاق - رأيت وجهاً منوراً ذا هيئة محمدية، فقلت في نفسي: هل هذا الشيخ صاحب علم ناشف، أم عنده طريقة (تلطّفه)، فسلم عليّ وقبلت يده وأجلسني قريباً منه وقال لي: يا عبد الرزاق؛ أكثر الناس يظنون بأننا ذوي علم ناشف، لا يا أخي؛ عندنا الطريقة النقشبندية، وعندنا الطرق الأخرى. وعدّ لي طرقاً لا أعرفها.

فقلت: يا سيدي ما عندنا علم، فهل شغلنا مضبوط ؟ ونحن سالكو طريق، وما عندنا علم فهل نحن مضبوطون ؟ فقال لي: شغلك مضبوط، وإذا احتجت سؤالاً فاسأل أهل العلم. قال: فخرجت وقد ملأ قلبي يقيناً وإيماناً بأنه وارث محمدي وعالم جليل.

والكرامات كثيرة، وما من أخ من إخوان الشيخ ومحبيه إلا وله معه قصة وكرامة، وقد أطال السيد الألوسي وأفاض في الحديث عن بعضها.

٥- وأختم ذلك بما حدث معي أنا شخصياً يوم حدثت الحرب بين الأردن وسورية في أيلول بعام ١٩٧٠ م، وكنت آنذاك ضابطاً في الجيش، وقد كنت مأذوناً أثناءها ولم ألتحق بوحدتي العسكرية، وهذا مخالف لتعليمات الجيش، وقد شارَكَتْ قطعتي في الحرب،

فخاف إخوتي عليّ إن أنا ذهبت أن أشترك في القتال، فرفعوا أمري إلى سيدنا الشيخ محمد النبهان رحمه الله فاستدعاني، وقال لي وقد عزمت على الالتحاق: لا تذهب ولا تخف. فزال الخوف من قلبي، وعدت إلى قطعتي بعد أن انتهت الحرب وقد جمع قائد الوحدة العسكرية كافة الضباط بعد انتهاء الحرب وكنت معهم، ومرت الحادثة بسلام وكأن شيئاً لم يكن، وهذا من بركات السيد رحمه الله وكراماته.

وفاته:

ولما أراد الله أن يطوي سجلاً من الكمالات والفضائل أذن لروحه المباركة أن ترجع إلى ربها راضية مرضية، إن شاء الله، مع غياب شمس اليوم السادس من شعبان ١٣٩٤ هـ، الموافق ١٩٧٤/٨/٢٤م، رحمه الله وغفر له وأجزل مثوبته، ورفعه إلى عليين مع الشهداء والصالحين وحسُن أولئك رفيقاً.

ودفن في غرفته التي كان يجلس فيها بجوار حرم مسجد الكلتاوية، وحضر الوفاة علماء حلب ودمشق وحمص وحماة والباب وإعزاز ومنبج، وكان يوماً مشهوداً، ومحفلاً عظيماً لعلماء سورية، وكان على رأس علماء دمشق العلامة محمد مكي الكتاني والشيخ حسن حبنكة، وأمثالهم من حمص وحماة.

ما كتب عنه:

وبما أنَّ قصدنا من هذا الكتاب لا يستوعب كل ترجمة هذا السيد المفضال، فإننا نحيل المحب والمنصف من المؤمنين إلى مزيد أخبار هذا السيد الكريم إلى كتابي السيدين الفاضلين أستاذنا الشيخ محمد أديب حسون والأستاذ هشام السامرائي [1]، ففيهما المزيد من أخبار هذا العَلَم الكامل رحمه الله ونور ضريحه.

* وبعد إعداد هذه الترجمة صدر كتاب لحفيده الدكتور فاروق النبهان باسم (الشيخ

---

[1] ذكر الأستاذ هشام السامرائي في كتابه عن السيد النبهان من أذكار الشيخ (الختم) ووصفه وصفاً ناقصاً، بل وصل الكلام عن الختم ببدء المولد والذكر، والصحيح أن الختم النقشبندي كما هو مذكور في تنوير القلوب، وذكرناه مفصلاً في أول بحثنا وتعريفنا للطريقة النقشبندية فارجع إليه هناك.

محمد النبهان)، تحدث فيه عن منهجه في الدعوة وكمالاته العلمية والأخلاقية، جزاه الله خيراً. فارجع إليه فإنه نافع ماتع.

* وقد ترجم للشيخ النبهاني الشيخ عبد الرحمن الويسي في كتابه (نخبة من أعلام حلب الشهباء)، الذي طبع لأول مرة عام ٢٠٠١، ونشرته دار التراث بحلب. وقد استقى معظم ترجمته من كتاب السامرائي.

* وقد ترجم له أيضاً صاحب كتاب (مائة أوائل من حلب)، في الجزء الأول ص٣٣٤ مع صورته هناك.

العالم التقي، والولي الخفي

الشيخ سلمو النبهان النيربي

(١٣٢٢-١٤٠٠ هـ) (١٩٠٤-١٩٨٠ م)

هو العالم التقي والولي الخفي، الذي ولد في قرية النيرب المجاورة لمدينة حلب بعام ١٣٢٢هـ - ١٩٠٤م، ونشأ في كنف والد صالح محب للعلم والعلماء، ومتتبع لأخبارهم، وكان والده ممن يحفظ أخبار القدماء، وأحداث التاريخ، وكان مجلسه لا يمل لسامعيه ومجالسيه، من طرافة حديثه، وعجائب أخباره.

ونشأ الولد سليمان بن شيخو النبهان في هذه القرية المجاورة للمدينة، والتي لا تبعد عنها سوى بضعة أكيال (٥كم)، وحفظ عن والده الكثير من أخبار العلماء والصلحاء، وهو طفل يتعلم في كتّاب القرية كباقي أقرانه، وفي المساء يستمع إلى أحاديث والده مع الكبار الذين كانوا يغشون مجلسه.

وأحب العلم والعلماء، والتقوى والفضلاء، ولم تكن مدينة العلم حلب والأزهر الثاني فيها عن النيرب ببعيدة، وكانت مدارسها العلمية الشهيرة قبلة لطالبي العلم، ورواد الفضيلة، كالمدرسة الرضائية "العثمانية"، والدليواتية، والإسماعيلية، والحلوية، وواسطة عقدها جميعاً الخسروية، فنهل الشاب (سليمان) من حياض تلك المدارس، وأخذ عن شيوخها الفضلاء، ومن أبرزهم الشيخ فيض الله الكردي الأيوبي عالم المعقولات، والشيخ أحمد الحجي الكردي عالم الأصول والفقه ومفتي حلب، والشيخ أحمد الشماع أستاذ التفسير، والشيخ عيسى البيانوني أستاذ الأخلاق، والولي الكبير الشيخ إبراهيم السلقيني، والشيخ عبد الله حماد أستاذ اللغة العربية، وغيرهم.

ولما أكمل التحصيل وصار أهلاً للتخرج أجازه أشياخه المذكورون أعلاه بعام ١٩٣٤م،

وكان من زملاءه في الدراسة الشيخ عبد السلام الحربلي، والشيخ زين العابدين جذبة، والشيخ بكري رجب، والشيخ محمد علي المسعود، وغيرهم.

وعمل بعد ذلك إماماً في المدرسة الحلوية بجانب الجامع الكبير في حلب سنوات عديدة، ثم انتقل إلى قرية النيرب حيث عمل إماماً وخطيباً ومدرساً في مسجدها أكثر من أربعين عاماً، ولما نزح الفلسطينيون إلى النيرب وبنيت لهم المضافة بجوارها كان لها الحظ الوافر من دروسه وتعليمه، ولا يزال الإخوة الفلسطينيون يذكرونه ويذكرون مجالسه ودروسه ومواعظه.

لقاؤه بالشيخ أبي النصر: ومن الطبيعي أن يلتقي بالشيخ أبي النصر مع زملائه المذكورين أعلاه الذين كانوا من مريدي الشيخ الحمصي، فأخذ الطريق عنه وأجازه بالطريق والذكر يوم الأربعاء ٢٨ ذي القعدة ١٣٦٥هـ ،بإجازة خطية مذيلة بهذين البيتين:

يا قارىء الخط والعينان تنظره ... لا تنس كاتبه بالله واذكره

وهب له دعوة يا صاح صالحة ... لعلها في ظلام القبر تنفعه

وظل ينشر الهدي المحمدي في القرية، ويقوم بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويبطل كثيراً من العادات والأعراف التي لا تقوم على الشرع الشريف، جريء الكلمة، صداعاً بالحق، إلى أن توفاه الله بعام ١٤٠٠هـ -١٩٨٠م، يوم السادس عشر من كانون الثاني، ودفن في النيرب، وشهد جنازته محبوه من أهل المضافة والنيرب، وإخوانه من العلماء، وصلى عليه الشيخ عبد السلام الحربلي. رحمه الله وأعلى مقامه.

يقول الفقير أبو يحيى: وكم كنا نأنس بحديثه، والجلوس معه أثناء زيارتنا للنيرب، ويذكرنا مجلسه وحاله برجال السلف الصالح الذين يقدمون أمر الآخرة على أمر الدنيا.

رحمه الله ونوَّر ضريحه.

المحبّ المولّه

الشيخ محمد بن محمد سليم المصري الحلبي

(١٣٣٣-١٤٠٤ هـ) (١٩١٤-١٩٨٤ م)

ولد هذا الرجل المبارك بعام ١٣٣٣هـ الموافق ١٩١٤م في مدينة حلب، ونشأ في كنف والده الصالح وتعلق بجده والجد بحفيده، ولم يشأ فراقه حينما سافر الجد للحج بعام ١٣٤٠هـ -١٩٢١ م على ظهور الإبل، فاصطحب حفيده محمداً معه وهو ابن سبع سنين.

ولما شبَّ ويفع التحق بدكان والده المعدة لبيع الأقمشة في سوق الزهر في مدينة حلب، وكان طلبة العلم والعلماء يرتادون دكان شيخ السوق الفاضل الشيخ عبد الوهاب عقيل، فحضر بعض مجالس الشيخ عبد الوهاب عقيل، فأعطاه الشيخ كتاب تنوير القلوب لسيدي الشيخ محمد أمين الكردي ليطالعه، ولما قرأ القسم الثالث منه (التصوف) واطلع على آداب الطريقة النقشبندية، تعلق بها وأحبَّها وأحبَّ الشيخ، ولما جاء الشيخ محمد أبو النصر إلى حلب كعادته كل سنة أخذ البيعة عليه، والتزم مجالسه في جامع أبي ذر والعثمانية، وكلما ذهب الشيخ إلى بيوت الإخوان المحبين في حلب ذهب معه.

ووجهه الشيخ أبو النصر إلى متابعة دراسة العلوم الشرعية، فالتزم مجالس الشيخ عبد الله ريحاوي، والشيخ محمد بلنكو، والشيخ بكري رجب، وهم من خلّص إخوان الشيخ، ولكن جذبة الشيخ أبي النصر له كانت الغالبة على أحواله.

آخى الشيخ بينه وبين الشيخ محمد الحامد، والمنشد الحاج عبد الرحمن برصة، عندما كان الثلاثة في زيارة الشيخ بحمص في زاويته المباركة، كما كانت محبته وملازمته للإخوان النقشبنديين وبالأخص منهم الحاج عبد المجيد شويحنة، والشيخ بكري قلاش، والشيخ ناجي حلي من جسر الشغور، والشيخ عمر ملاحفجي من حلب، كما التزم الشيخ محمد

الحجار الذي كان إماماً لجامع الزكي، القريب من جامع البعاج الذي صار فيه إماماً فيما بعد.

كانت حالة الجذب والمحبة للشيخ غالبة عليه، فصار يكثر الذهاب إلى حمص، ويقضي الأيام الطويلة في الزاوية لخدمة الشيخ. وبعد الحرب العامة الثانية، كان في زيارة الشيخ في حمص وأبدى رغبته في البقاء في حمص للشيخ عبد الباسط أبي النصر ولخدمة الزاوية، فكلفه الشيخ بإزالة اللون الأزرق المطلي به زجاج النوافذ أثناء الحرب، فصار يعمل في إزالته ببطء، واستمر شهراً، وهذا ينتهي بأيام، وفي الأيام الأخيرة قال له الشيخ أبو النصر: يا شيخ المصري؛ إلى حلب، والدتك بانتظارك؛ والدتك صمَّت أذني من كثرة ندائها لك. فتوجه إلى حلب.

كان تعلقه بالشيخ شديداً - كما ذكرناه - فإذا حضر الشيخ إلى حلب كان الشيخ المصري كظله لا يفارقه، وإذا التقت عيناه بعيني الشيخ فإن مغناطيسها يجذبه إلى أحضانه ولو كان بعيداً عنه، وكان يصحب الشيخ إذا سافر إلى ريف حلب أو مناطقها، واستيقظ مرة وهو بحاجة إلى غسل، وكان مع الشيخ في إحدى القرى، وتوجه الشيخ مع الإخوان إلى المسجد، وتأخر (المصري) فالتفت الشيخ إلى صاحب الدار وقال له: هيئ ماءً ساخناً ليغتسل الشيخ محمد المصري.

وكانت مرافقته للحاج عبد المجيد شويحنة في أغلب الأحيان تزيد من حال الجذب عند كليهما، فعزما مرة على السفر إلى حمص مشياً على الأقدام، ولما وصلا إلى قرية (أورم) أوقفتهما دورية عربية وأعادتهما إلى حلب خوفاً عليهما من الدوريات الإفرنسية التي كانت تشتبه بالثوار وتحتجزهم.

تزوج الشيخ المصري بعام ١٣٦٤هـ ١٩٤٤م من سيدة صالحة من أهل حلب وسكن مع والده ورزق فتاة سماها خديجة، وولداً سماه (أبو النصر) وسافر إلى حمص قاصداً الإقامة فيها والتزوج من إمرأة حمصية ليبقى بجانب الشيخ، واستشار شيخه في هذه الزيجة فقال له الشيخ: أتتزوج على أم أبي النصر يا مصري ؟! فأخذته نشوة الحال وصاح بأعلى صوته (الله)، ولم يعد يفكر بعدها بهذا الأمر. وقد رزقه الله بخمسة أولاد ذكور، سماهم بأسماء رجال السلسلة النقشبندية وهم: أبو النصر، سليم، أحمد الطوزقلي، خالد،

عبد الله. كما سمى أبناء ولده سليم بـــ: شمس الدين، يوسف، نجم الدين.

وبإشارة من الشيخ أبي النصر هيأ الله له الإمامة والأذان في مسجد (البعاج) في محلة باب النصر، وكان يدير الختم النقشبندي فيه يومياً، حتى إن لم يحضر أحد كان يديره بنفسه.

وثابر على ملازمة المسجد وأداء الأوراد والأذكار النقشبندية، وملازمة الشيخ عبد الباسط لما سكن حلب، والتزام مجالسه في العثمانية وأبي ذر، وكان له نشاط واسع في حض الإخوان على التزام الأذكار والأختام، وعدم ترك أورادهم، وكان يطبع أوراقاً يبين فيها كيفية الذكر والختم ويوزعها على الإخوان، كما كان يلازم الشيخ عبد الباسط في المجالس التي يزورها في بيوت الإخوان المحبين في حلب والتي تقام فيها مجالس الذكر والإنشاد.

كان يعتكف كل عام أربعين يوماً يبدؤها من ٢٠ شعبان وحتى نهاية رمضان، ولما تنتهي صلاة العيد يتوجه مع ولديه سليم وأبي النصر إلى حمص، فيزور الشيخ الطوزقلي ثم الشيخ سليم والشيخ أبي النصر، ثم يأتي إلى زاوية الشيخ لمعايدة ابنه عبد الكافي، وبعدها يرجع إلى حلب لمعايدة والديه.

تفرغ بعد وفاة الشيخ أبي النصر للعمل في بناء المساجد في القرى والأرياف، وضمن مدينة حلب في الأحياء المفتقرة إلى المساجد، وكان أهل الخير يمدونه بالمال، ويثقون به، فوفقه الله إلى بناء /٦٥/ مسجداً، ولما توفي وجد أولاده لديه لوائح بأسماء المساجد وأماكنها وأسماء المتبرعين بنفقاتها جزاهم الله خيراً. وكان آخر مسجد في قرية على طريق باب الهوى تسمى (أرامل) وقد حمل إليها الدهان في سيارة صغيرة، فانقلبت على الطريق وكسرت ذراعه، فاضطره هذا إلى ملازمة البيت.

توفي بعام ١٤٠٤هـــ الموافق ١٩٨٤م ودفن في حلب وصلى عليه الإخوان المحبون، وكان ممن حضر الجنازة شيخنا أديب حسون فأبّنه بكلمة قال فيها: (لم ترَ الطريقة النقشبندية العلية في وقتنا محباً غيوراً مثل الشيخ محمد المصري). رحمه الله وأجزل مثوبته [1].

---

[1] زودني بمعظم هذه الترجمة خطياً ولده السيد سليم حفظه الله في أوائل محرم ١٤٢٨هـــ.

العالم العامل، والرباني الكامل

الشيخ أحمد مصري

(١٣١٢-١٤٠٥ هـ) (١٨٩٤-١٩٨٤ م)

هو العالم العامل، والرباني الكامل، الوقور الزاهد، الشيخ أحمد بن محمود المولود في حلب ١٣١٢هـ ١٨٩٤م، نشأ وترعرع في بيت صلاح وتقوى، وكان والده قد فارق الدنيا وهو طفل صغير ونشأ يتيماً، لكنه تربى على الكمالات وحب الفضل وأهله والعلم وأهله.

وكسائر أترابه تعلم القرآن الكريم، ولازم حلقات العلماء، وبالأخص علامة حلب الكبير الشيخ نجيب سراج الدين فنهل من علومه، وأخذ من أخلاقه وكمالاته.

ولما لازم الخسروية مدة بسيطة، وجد أن معظم طلابها من مريدي العالم المربي والمرشد الفاضل الشيخ محمد أبي النصر، فالتزم مجالسه وأخذ الورد والذكر الخفي عنه، والتزم الطريق النقشبندي على يديه ولم يتابع الدراسة في الخسروية، بل تابع لدى شيوخه: الشيخ نجيب سراج الدين، والشيخ محمد أبي النصر، ثم التزم في حياة شيخه أبي النصر مجالس الختم التي كان أذن بها للشيخ محمد النبهان، فأحبه ولازمه كما لازمه كثير من إخوان شيخه أبي النصر.

واتخذ الشيخ المصري من جامع ساحة الملح مركزاً لنشاطه الدعوي عندما اكتملت كمالاته وأينعت فضائله، فكان إماماً وخطيباً ومدرساً، ثم استفاد منه حفظة القرآن الكريم في مدرسة الحفاظ التابعة لأوقاف حلب.

وظل ملازماً بعد وفاة شيخه أبي النصر لمجالس الشيخ النبهاني حتى وفاته بعام ١٩٧٤م، ولم يبرح إفادة المريدين والمحبين وأهل حيّه في جامع ساحة الملح حتى وافته المنية بعام ١٤٠٥هـ ١٩٨٤م، فتوفي بحلب، ودفن في جامع ساحة الملح في (القبلية).

- كتب عنه عامر رشيد مبيض في كتابه الموسوعي (مائة أوائل من حلب) ما يلي:

أحمد مصري: ١٣١٢- ١٤٠٥هـ، ١٨٩٤ - ١٩٨٤م.

العالم الزاهد المتصوف، كان شيخاً وقوراً مهيباً سباقاً إلى الخير، وعلى خلق كريم.

ولد الشيخ أحمد بن محمود مصري في حلب سنة ١٨٩٤م، ونشأ يتيماً في بيت والده على الأخلاق الفاضلة، والسجايا الحسنة، اشتغل في طلب العلم فأخذ عن شيخه نجيب سراج الدين علوم التوحيد، والحديث الشريف، ثم انتسب إلى الثانوية الشرعية مدة من الزمن ثم تركها، وبذلك لم يحصل الشيخ أحمد على إجازة علمية، بيد أنه حصل من العلوم والمعارف ما شهد له به العلماء والفضلاء من أبناء عصره.

ومن الذين كان لهم أبلغ الأثر في تكوينه العلمي والروحي الشيخ الكبير العارف بالله محمد النبهان، والشيخ محمد أبي النصرالحمصي.

كان يقوم بنشر العلم والدعوة إلى الله في جامع ساحة الملح يومياً، وكان فيه إماماً وخطيباً وواعظاً. وبالنظر إلى أن الشيخ أحمد قد نذر نفسه للقرآن الكريم حفظاً ودراسة وتفسيراً وتعليماً، فقد عين أستاذاً في مدرسة الحفاظ بحلب، وظل يدرس بها مدة ٢٥ عاماً، كما كان ولوعاً بتدريس كتب حجة الإسلام الإمام الغزالي، والإمام النووي، وكتب أقطاب التصوف.

لم يُعنَ بالتأليف، وإنما خلف ذكراً حسناً وثناءً طيباً، بفضل مواظبته على العلم والعمل والعبادة.

لقي وجه ربه سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م، عن عمر يناهز التسعين عاماً رحمه الله وطيب ثراه.

خلف الشيخ أحمد المصري أبناءً بررة، ترعرعوا في بيئة العلم والصلاح [1].

---

[1] من كتاب (مائة أوائل) مختصراً، ج١ ص٣١٩-٣٢٠.

الشيخ الحكيم، والعالم الفاضل

الشيخ بكري بن الشيخ محمد ملاحفجي "أبو قبقابة"

(١٣٣٧-١٤٠٥ هـ) (١٩١٨-١٩٨٥ م)

هو الشيخ الفاضل، والحكيم الكامل، الشيخ محمد - والمعروف باسم (بكري) - بن الشيخ محمد ملاحفجي (أبي قبقابة)، والمعروف بين أهل حلب (شيخ القصير أبو قبقابة)، كان والده الشيخ محمد [1] من أوعية العلم والفضل، والطب والحكمة والنبل في بلدة حلب.

تلقى مبادىء العلوم في الكتّاب، وتعلم القرآن الكريم، ومبادىء العلوم على يد والده الشيخ محمد، وقرأ بعضاً منها على مشايخ عصره الكثيرين آنذاك، وأخصهم الشيخ بشير الدحدوح، ثم اشتغل مع والده بعلم الطب والأدوية وتحضيرها من الأعشاب، وكان الساعد الأيمن لوالده.

صلته بالشيخ أبي النصر: لما صار سيدنا الشيخ محمد أبو النصر الحمصي النقشبندي يتردد إلى حلب لتفقد إخوانه ومريديه، كان عمنا الشيخ بكري من أوائل الشباب الملتفين حول الشيخ والمتلقين الذكر عنه، فبايع الشيخ وأخذ عنه الطريق النقشبندي، ولازمه في أسفاره ملازمة الظل للإنسان، في جميع أسفاره خارج حلب، وبخاصة المناطق الشرقية والجزيرة، وكان يقال له (جمل الشيخ) فهو الذي يركب الشيخ على الدابة، وهو الذي يطأطأ له ظهره حتى يصعد.

وقد ذكرنا فيما مضى من الفصول نبذاً هامة من صلته بالشيخ قدس سره حال حياته، وبعد وفاته، وهو الذي روى لنا حادثة نجاة الشيخ وإخوانه من الغرق عندما عبروا الفرات من الشامية إلى الجزيرة أيام فيضان النهر، وهو الذي قص علينا قصة قراءة الشيخ له بعد

---

[1] اقرأ ترجمته وطالع صورته في كتاب (حلب في مائة عام) للمؤلفين: محمد فؤاد عنتابي ونجوى عثمان.

سيدنا رسول الله ﷺ أيام كان مريضاً في مستشفى المجتهد بدمشق، وله مواقفه المشهورة مع الشيخ قدس سره العزيز. وما كان يمضي مجلس من مجالسه العامرة إلا بحديث عن الشيخ وكراماته وكمالاته.

وقد ترجم له مؤلفا كتاب (حلب في مائة عام) في الجزء الثاني، ص ١٨٥، بحوادث ١٩١٨م بما يلي:

الشيخ بكري ملاحفجي: ولد الشيخ بكري بن الشيخ محمد ملاحفجي (الشيخ القصير أبو قبقابة) في حلب ١٩١٨م، يمتد نسبه إلى آل البيت فهو حسيني نعيمي، وكان خلوقاً كريماً محباً للخير، ولمساعدة قاصديه، وقوراً مهيباً.

أخذ عن والده علم الحكمة الإلهية، وكان ملازماً له في دكانه الصغير فتعلم منه تركيب الأدوية من الأعشاب الطبيعية، وبرع في هذا المجال وقد زار بعض البلاد الأوربية (ألمانيا – إيطاليا – تركية)، وبعض البلاد العربية (الأردن – السعودية – اليمن) طلباً لزيادة المعرفة في علم الأدوية وتركيبها، وكانت مراسلاته تمتد إلى كثير من البلدان لتبادل المعرفة والأعشاب الطبية، خدمة للعلم، وإسهاماً في كشف الإثم ورفع الضرر عن عباد الله.

ولقد ابتكر علاجاً لبعض الأمراض الصعبة، ففي حقل الأمراض الجلدية أوجد علاجاً للصدفية، وفي مجال أمراض المعدة أوجد علاجاً للحرقة المعدية، وعلاجاً لعصب المعدة، وفي الأمراض العصبية أظهر براعة في معالجة الصرع والقضاء عليه.

وكثيراً ما كانت تأتيه الوفود من بلاد بعيدة للتزود من معرفته في علم الأعشاب، فقد زاره الدكتور الفرنسي (اسناكوستين فوريال) وقد كانت أماليه على الدكتور الفرنسي تشكل الكثير من المادة العلمية التي حفل بها كتابه الذي لا يزال تحت الطبع.

وللشيخ إسهام في مجال التأليف، فقد وضع مذكرات حوت مقارنة بين بعض الأدوية التي توصل إليها علماء الطب والصيدلة في أوربا وبين ما توصل إليه بجهوده.

توفي بحلب ١١تموز ١٩٨٥م ودفن فيها رحمه الله تعالى. اهـ.

العالم المتواضع، والعامل الفاضل

الشيخ مصطفى بن بكري العزيزي "الحلبي"

(١٣٧٤-١٤١٠ هـ) (١٩٢٨-١٩٩٠ م)

ولد هذا العالم المحب، والفاضل الصدوق في مدينة حلب عام ١٣٧٤هـ، ١٩٢٨م في أحد أيام العيد في بيت عرف بالصلاح والورع.

وكعادة أطفال ذلك العصر، تعلم القرآن الكريم في كتّاب الحي، ومبادىء القراءة والكتابة، ثم لما يفع وشبَّ عمل مع والده في مهنة النسيج، حيث كان والده يعمل فيها على نول كان عنده، ولما بلغ سنه السابعة عشر من العمر سافر إلى الحجاز حاجاً، وقاصداً نيل شرف المجاورة فيها، إلا أن حرصه على خدمة والديه الشيخين الكبيرين أدى به أن يرجع بعد الحج ليقوم بخدمتهما بجوارهما.

وببركة بره لوالديه وتفانيه في خدمتهما رزق شرف طلب العلم الشرعي في المدرسة الشعبانية، فلازم المدرسة وكان عمره /٢٠/ عاماً بعد إجراء فحص القبول السنوي الذي تجريه إدارة المدرسة للمتقدمين إليها، فنال القبول بها بدرجة ممتازة، وتابع الدراسة فيها متفوقاً على الأقران، وتعلم مع طلبه العلم مهنة الخياطة وأجادها وبرع فيها، إلا أنه لم يمارسها مهنة.

وكان يحظى طيلة دراسته بحب وعناية أشياخه ومدرسيه نظراً لأدبه الواضح، واجتهاده المستمر.

وكان من جملة أساتذته في الشعبانية: الشيخ أحمد القلاش، والشيخ عبد الله سراج الدين، والشيخ عبد الفتاح أبو غدة، وغيرهم.

لقاؤه بالشيخ أبي النصر: وقبل طلبه للعلم سمع بالشيخ محمد أبي النصر، الذي كان

يزور حلب متفقداً إخوانه ومريديه، وبواسطة الشيخ عيسى البيانوني فلقنه الذكر، والتزم الطريق النقشبندي وهو لما يزل فتىً يافعاً، وصار يلازم مسجد أبي ذر الذي كان يقيم الشيخ أبو النصر فيه حلق الذكر ومجالس الطريق، وبعد سفره إلى حمص كان يقوم بها تلميذه الشيخ عيسى البيانوني.

حصل له شرف رؤية الرسول الأعظم ﷺ مرات كثيرة في المنام، وفي إحدى هذه الرؤى كانت رؤياه له ﷺ لابساً ثوباً يشبه ثوب شيخه أبي النصر، وصورة الرسول الأعظم ﷺ كما هي مدونة في كتب الشمائل فقال له: الصلاة والسلام عليك يا سيدي يارسول الله، قلّت حيلتي وأنت وسيلتي أدركني.

وكانت هذه الصيغة مما لقنها الشيخ له أوائل دخوله وانتسابه للطريق، وكانت أيضاً هذه أول رؤيا يراها للرسول المعظم ﷺ، وقد رأى قبلها بزمن رؤيا لعدة أشخاص لم يعرف منهم سوى شيخه الشيخ عيسى البيانوني، فأدار عليهم أحد هؤلاء شراباً فشربوا منه، وعطف عليه الشيخ عيسى وهو طفل بينهم، فأدناه منه وأعطاه لسانه المبتل بالشراب فرضع منه الطفل مصطفى ذلك الشراب، الذي أوّله فيما بعد بأنه (شراب المحبة) للمصطفى ﷺ. ومن يومها صار له نصيب من المحبة، وكان شغل الشيخ عيسى محبة النبي ﷺ.

لازم الشيخ مصطفى مجالس الشيخ أبي النصر ومجالس الشيخ عيسى، ولازم الأذكار والختم النقشبندي في جامع العثمانية، وأكرمه الله بالزواج من ابنة الشيخ أحمد البيانوني ورزق منها خمسة أولاد، اثنان من الذكور وهما محمد وعبد الله.

ورأى من شيخه أبي النصر عدة كرامات، ومنها ما أثبتناه في مبحث كرامات الشيخ أبي النصر، وهي أنه كان كثير الرعاف، وكانت أمه توصيه أن يطلب من الشيخ أن يقرأ له فينسى، حتى أمسك الشيخ أنفه مرة بأصبعيه، فانقطع رعافه.

تولى إمامة عدة مساجد في حلب منها جامع العثمانية (وكالة)، وجامع الطيار، وجامع سوق الصغير، ومارس عدة مهن، منها مهنة تجليد الكتب والمصاحف، ثم آخرها مهنة تصنيع دفاتر الكتابة.

رزقه الله قطعة أرض في منطقة حندرات شمالي حلب، زرعها بالأشجار المثمرة، ووضع فيها الأغنام أسوة بالسنة النبوية.

ولازم بعد وفاة شيخنا أبي النصر، مجالس شيخنا عبد الباسط أبي النصر، في العثمانية وأبي ذر، وبالأخص مجالسه في البيت حيث كان يقرأ لنا شيخنا عبد الباسط (صحيح البخاري) و (الرسالة القشيرية)، وكنا نواظب عليها: الفقير إليه تعالى كاتب هذه السطور، والشيخ مصطفى (المترجَم)، وأخي الشيخ عبد الله، وعمنا الشيخ عمر ملاحفجي وولداه الشيخ محمد والشيخ عبد الله، وبقينا سنوات آخر حياة الشيخ ملازمين له، ومعنا الشيخ مصطفى، وكان الأخير يدعو الشيخ عبد الباسط إلى مزرعته في حندرات، ويضع نفسه وسيارته في خدمة الشيخ حتى وفاته.

وقد كنا بسيارته عندما قصدنا حماة للتعزية بوفاة فقيد الإسلام الشيخ محمود الشقفة، وفي طريق العودة من حماة وبعد المعرة، جرى حادث الاصطدام بين سيارة الشيخ مصطفى وسيارة شاحنة، أصيب على أثرها أستاذنا الشيخ عبد الباسط بالحادث الذي أدى إلى كسر الجمجمة، وبقائه في المستشفى، وكنت أنا والشيخ عمر فقط مع الشيخ وأسعفناه إلى مشفى المقاصد بحلب، وقد فصلت ذلك في ترجمة أستاذنا الشيخ عبد الباسط رحمه الله تعالى.

ابتلي الشيخ مصطفى بالمرض العضال آخر عمره، وختم الله له بالوفاة في مكة المكرمة بعد أداء العمرة، وصلي عليه في الحرم المكي ثم دفن في مقبرة المعلى بتاريخ ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، رحمه الله رحمة واسعة [1].

---

[1] زودني ببعض هذه الترجمة ابن أخته وصهره الشيخ الفاضل الأستاذ أحمد مؤذن، وتتمتها مما عاصرناه مع الشيخ مصطفى رحمه الله.

العالم العارف، والفقيه المفتي

الشيخ محمد بن عمر بلانكو الحلبي

(١٣٢٣-١٤١١ هـ) (١٩٠٢-١٩٩١ م)

هو الشيخ العارف، والعالم المجاهد، والفقيه المدقق، مفتي حلب ومدرّسها، والعامل في سبل الخير والساعي إليها طول حياته، الصوفي الذائق، والدائب في الخير وعمل البر إلى آخر حياته، الشيخ محمد بلانكو، المولود عام ١٣٢٣ هـ، ١٩٠٢ م.

النشأة الأولى: ولد هذا الشهم المفضال في مدينة حلب وفي حي من أحيائها العريقة (حارة الباشا)، لوالدين صالحين كريمين، وينتهي نسبه إلى سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهما، ونشأ في كنف والد متدين وقور متمسك بالشرع، ملازم لمجالس العلم التي كانت في مساجد حيّه، وأخصها جامع بانقوسا، وكان هذا الوالد ذا كلمة نافذة في حيّه وفي بلدته، فلم يكن ينقصه المال فهو من أغنياء بلده، وقد أكسبته تجارة وصناعة (النشاء) مالاً وسمعة وجاهاً في بلده، جعلته مسموع الكلمة، نافذها، وما أجمل الدين والدنيا إذا اجتمعا، لذلك كان الحاج عمر بلانكو زعيماً في حيّه، كريماً شجاعاً شهماً محباً للعلم والعلماء، لا ينقطع عن دروس شيخه آنذاك الشيخ (محمد الناشد) رحمه الله، في جامع بانقوسا، ودرج الولد الوحيد لوالديه (محمد) على حبّ مجالس العلم مما اعتاده من مصاحبة والده الذي كان يكرم العلماء ويدعوهم إلى بيته، ولم تكن والدته بأقل كرماً وتديناً من أبيه، بل كانت تحضّ أباه على إكرامهم وتصنع الطعام بيديها وتقدمه لهم، وكانت أمنيتها أن ترى ولدها الوحيد (محمداً) عالماً ملأ اسمه الطباق، وكانت دعوتها التي ترددها دائماً وتدعو بها لولدها: (روح يا محمد؛ إن شاء الله عالم العلماء وشيخ المشايخ).

في المدرسة الخسروية: واستجاب الله دعاء الوالدة، فأعرض الولد منذ صغره عن صنعة

أبيه، ولزم دروس شيخه محمد الناشد في جامع بانقوسا، وصار ميله للعلم والدراسة، ولما سعى العالم الجليل العلامة الشيخ (محمد رضا الزعيم) لتجديد بناء المدرسة (الخسروية) بحلب وساهم هو وثلة من إخوانه العلماء بافتتاحها، كالشيخ يحيى الكيالي، والشيخ مصطفى باقو، والشيخ أحمد الزرقا وأمثالهم، كان الشيخ (محمد بلانكو) من أول من انتسب إليها، وتلقى العلم فيها على أشياخها وعملت إدارة المدرسة فحصاً للمتقدمين إليها في مبادئ العلوم الشرعية، كالفقه والنحو والحديث والتفسير، فاجتاز هذا الامتحان الأولي شيخنا محمد البلانكو ودخلها بعام ١٩٢٠، وكان عمره حوالي ١٨ عاماً، ولزم مشايخها وأخذ عنهم وتخرج منها بعام ١٩٢٦م، وكانت دفعته القافلة الأولى لخريجي المدرسة الخسروية تضم زملاءه الذين أصبح معظمهم فيما بعد أساتذة لهذه المدرسة الجامعة.

وتلتهم في العام التالي ثلّة ممتازة أخرى من زملاء الشيخ وأصدقائه ومعظمهم من مريدي الشيخ أبي النصر أيضاً، شيخه في الطريق النقشبندي، أمثال: الشيخ ناجي أبو صالح، ومعروف الدواليبي، ومحمد خلوف التادفي، وعبد الله الريحاوي، وغيرهم.

وكان شيوخه الأفاضل في المدرسة الخسروية، الذين ذكرناهم في أول هذا الجزء، وهم الذين وقعوا على شهادته على زمن مديرها الشيخ مصطفى باقو، وبالإضافة إلى أساتذته في الخسروية فقد لازم دروس علامة حلب وشيخها الأول الشيخ محمد نجيب سراج الدين.

إلى الأزهر: والنفس الطلّعة إلى معالي الأمور لا تكتفي بما تجده، بل تتطلع دائماً إلى المزيد من العلم والمعرفة والخير والنفع، وهكذا كانت نفس شيخنا (أبي عمر)، فقرر أن يستزيد من العلم والثقافة، فيمم شطر الأزهر الشريف في مصر، وقضى هناك سنوات، تزود فيها بعلوم الأزهر ومعارفه، والتقى بكثير من زملائه فيه الذين تتطلع نفوسهم للرقي بأوطانهم وأمتهم، والنهوض بها مما هي فيه من تخلف وجمود، وجهل واستعباد، حيث كان المستعمر الإفرنسي يجثم بأسلحته وجيوشه وأفكاره على بلادنا السورية، ويغرس فيها الفكر الغربي المخالف لديننا وعقيدتنا، ويزرع فيها الخنوع والفسوق، والتحلل من آداب الإسلام.

وكانت مصر آنذاك مأوى لدعاة النهضة والعلم والتحرر من الاحتلال الذي عمّ

أوطان المسلمين، فتشبعت روح شيخنا (أبي عمر) بأفكار النهوض والعلم ومجابهة الاحتلال والاستعمار مع رفاقه الأزهريين من سوريين وغيرهم، وكانت نفسه الطلعة، وروحه المقدامة، لا ترضى لوطنه وبني أمته إلا معالي الأمور، وتكره سفاسفها، فعاد من الأزهر يحمل روحاً وثابة، وعلماً كثيراً، ونفساً أبية لا ترضى إلا بالحق والخير والاستقامة.

مع الشيخ أبي النصر والطريقة النقشية: ولما كان في حلب في مدرستها الخسروية، كانت شمس الشيخ أبي النصر تشرق عليه كل عام مدة طويلة، حيث كان المرشد الكبير (أبو النصر) يتردد على حلب لتفقدِ إخوانه ورعايتِهم، وكان أشياخ حلب أحبابه وإخوانه، وكان الشيخ عيسى البيانوني مريده الأول والداعي إلى الطريق النقشبندي تحت ظل شيخه أبي النصر، فاتجه معظم طلبة الخسروية إلى الانتساب إلى طريقه، والاندراج في سلكه، وكذلك فعل شيخنا (أبو عمر)، فالتزم طريق الشيخ أبي النصر مع إخوانه: النبهان، والدواليبي، والشيخ ناجي أبو صالح، وغيرهم من كبار علماء حلب.

وعرفته مجالس أبي النصر نجماً لامعاً فيها، ورفيقاً حاضراً مع إخوانه، معيناً لهم في كل مهمة، ومدافعاً عنهم في كل مدلهمة، وواقفاً إلى جانب الطريق ورجاله.

وبعد انتقال الشيخ الكبير أبي النصر إلى جوار ربه، كان (أبو عمر) يمين الشيخ عبد الباسط وعضده، وكان الحبيب إليه والمقرب لديه، وكانت مشاوراتهما ومجالستهما لا تنقطع، ولا ينفكان عن بعضهما حتى انتقل الشيخ عبد الباسط إلى جوار ربه، فلم يترك الشيخ الكبير (بلانكو) مجالس النقشبندية رغم كبر سنه، وظل يتردد إلى الزاوية النقشبندية يرعى الإخوان ويتفقدهم في ظل الشيخ الحالي الشيخ إسماعيل حفظه الله ورعاه.

ما بعد الأزهر: عاد الشيخ (محمد) من مصر ليستأنف حياة الكفاح في وطنه سورية وفي بلده حلب، وليمارس الدعوة إلى الله سبحانه، معلماً ومدرساً، وداعية متزوداً بالعلم من خسرويتها، وأزهر مصر، ومتحلياً بالذكر والطريق من يد شيخه أبي النصر، فعين خطيباً للجامع الكبير بحلب وإماماً له، ثم مفتشاً للمعاهد الشرعية، وللمساجد في محافظة حلب في مديرية الأوقاف بحلب، مع دروسه في المدرسة الخسروية – الكلية الشرعية فيما

بعد، ثم أصبحت الثانوية الشرعية – مدرساً للفقه الحنفي والأصول واللغة العربية، ومختلف العلوم الأخرى التي تدرس في المعاهد الشرعية، وكان هو وأقرانه من مدرسي الخسروية كالشيخ ناجي أبو صالح، والشيخ محمد الحكيم، والشيخ عبد الله حماد، والشيخ أبي الخير زين العابدين، والشيخ عبد الله الريحاوي، يحملون همّ الأمة في لقاءاتهم ودروسهم، والمناسبات التي تستجد تستحثهم على النهوض بالأمة الإسلامية إلى مستوى القيادة والسيادة.

تنظيم المكتبة الوقفية: وكانت دروسه في الجامع الكبير بحلب مع دروسه في الخسروية معبراً لأفكاره التي تدعو إلى وحدة الأمة وتماسكها والنهوض بها إلى مستوى الأمثل، ولم يترك مجالاً يمكن أن يؤدي فيه خدمة إلا وسلكه، ورأى أن الكتب الوقفية موزعة في المدارس الكثيرة في حلب، وبدأت أيدي العبث تلعب بها وتسرق ما استطاعت، فسعى إلى جمعها وتوحيدها في مركز واحد ومقر واحد، فأنشئت المكتبة الوقفية عندما كان في عمله مفتشاً للمعاهد الدينية، وجمعت هذه الكتب في مقرها بجانب الجامع الكبير، وحفظت الكتب المخطوطة والمطبوعة، وفتحت المكتبة أبوابها للقاصدين، وكان أول قيّم عليها صديقه وزميله الشيخ محمد علي الكحال الذي أسس مجلة (الجامعة الإسلامية) رحمه الله تعالى.

أعماله ونشاطاته: ويمكننا أن نجمل سيره ونشاطه الدعوي والعلمي من خلال ما أسند إليه من وظائف وأعمال بعد عودته من الأزهر الشريف في مصر، حيث بقي هناك ثلاث سنوات، واستقراره في مدينة حلب، وقد تفرغ للعلم والعمل كما يلي:

١- خطيب جامع بانقوسا: وقد كان هذا بعد عودته من الأزهر، وظل فيه خطيباً عشر سنوات منذ عام ١٣٤٩- ١٣٥٩ هـ، ١٩٣٠-١٩٤٠ م.

٢- خطيب الجامع الكبير: ثم انتقل لخطبة الجامع الكبير وبقي فيه ثماني سنوات، ١٣٦٧-١٣٧٥ هـ، ١٩٤٨-١٩٥٦ م.

٣- خطابة جامع البياضة: ثم تابع الخطابة في جامع البياضة سبعة عشر عاماً، وتابع بعدها في جامع الحريري (سيف الدولة) إلى أن تولى الإفتاء.

٤- خطابة جامع عمر سالم: وبعدها انتقل إلى خطابة جامع عمر سالم المجاور لبيته في

حي الفيض (هنانو)، ثم استقال من الخطابة بعام ١٩٨١ م، كما كان يتولى الإمامة وبقي فيها حتى انتخابه مفتياً لمحافظة حلب بعام ١٣٧١ هـ، ١٩٥٢م.

مفتي حلب: ولما توفي مفتي حلب، علاّمة زمانه الجليل الشيخ أحمد الحجي الكردي، وشغر منصب الإفتاء؛ وكانت السُّنَّة المتبعة انتخاب المفتي من قبل علماء حلب، تقدم لهذا المنصب الجليل شيخنا أبو عمر، ونجح في الانتخاب، وفاز على أقرانه الآخرين الذين تقدموا لهذا المنصب الخطير، وكان هذا بعام ١٣٧١ هـ، ١٩٥٢م، وظل فيه حتى أقيل منه بعام ١٣٨٩ هـ، ١٩٦٩ م، وعين بدلاً منه زميله الشيخ محمد الحكيم.

وكان شيخنا أبو عمر المفتي الأخير الذي أسند إليه منصب الإفتاء عن طريق الانتخاب الحر من قبل العلماء، وظل بعد إقالته من الإفتاء – لأسباب سياسية والله أعلم – مدرساً دينياً يتابع نشاطه العلمي في مساجد حلب، وبخاصة في الجامع الكبير يومي الإثنين والخميس.

وكانت وظيفة مفتي حلب تعنى أن يكون عضواً أيضاً في المجلس الإسلامي الأعلى، ومجلس الإفتاء الأعلى الذي ينعقد في دمشق كل شهر، وكلما اقتضت الحاجة، كما طلب منه أن يكون منه مستشاراً في رابطة العالم الإسلامي التي مقرها مكة، وذلك عند إقامته في مكة المكرمة أواخر حياته.

نشاطه العلمي والاجتماعي: كان رحمه الله تعالى شعلة من النشاط، وطاقات قوية كثيرة متنوعة من المواهب والمعارف والملكات العالية، لا يعرف الكلل والملل، نفس طلعة، وروح ذاكرة نشيطة تريد الخير والسعادة للأمة، فأسس مع إخوانه العلماء **جمعية العلماء بحلب**، ورأسها بعد الشيخ الطبّاخ رحمه الله تعالى، كما أسس **المكتبة الوقفية بحلب** كما ذكرنا، وكان من مؤسسي **جمعية البر والأخلاق الإسلامية بحلب**، التي كانت مقرها في الطابق العلوي من المكتبة الوقفية، ولما رأى حالة التشرد والتسول ظاهرة سيئة في حلب، أسس مع بعض إخوانه **داراً للعجزة** والمشردين ضمت فيما بعد إلى مبرة الأوقاف، ولما رأى أن دار العجزة لا تكفي لسد حاجات الفقراء والمرضى والمعوزين قام مع ثلة من إخوانه أهل الخير بتأسيس جمعية خيرية سموها **جمعية المقاصد الخيرية**، وبنوا لها بناءاً من

طابقين وأسسوا فيها **مستشفى** يستقبل الفقراء ويعالجهم مجاناً، كما جعلوا فيها جناحاً لإيواء المشردين، وجهزوا المستشفى بكافة المعدات الطبية، وافتتح للعمل وفيه ستون غرفة مهيأة ومعدة لكافة الخدمات الطبية والجراحة والعمليات الإسعافية، وقد تم إسعاف شيخنا عبد الباسط لما أصابه حادث السيارة بعام ١٩٧٩م إلى ذلك المستشفى، وبقي فيه يتلقى العناية الجيدة والخدمة الممتازة حتى شفاه الله، وقد انتقل هذا المستشفى إلى وزارة الصحة بعام ١٩٨٣ م، وسمِّي باسم آخر، وهو يقع في بداية الطريق الداخل إلى حلب من جهة إعزاز.

وظل الشيخ طول حياته كلها ساعياً للخير دالاً عليه، متعاوناً مع إخوانه على البر والتقوى، كريماً جواداً، وكان بيته ملتقى إخوانه من العلماء والصلحاء من كافة مدن القطر، يزورهم ويزورونه ويحبهم ويحبونه، وكان له في كل بلد إخوان وأحباب وأصدقاء وأصحاب، يسعى معهم لنصرة هذا الدين والقيام بما يوجبه التناصر والتآخي في الله، من علماء وتجار، وسياسيين وإداريين، وحكام وموظفين، وظف جهده وعلمه ومركزه الديني في خدمة هذه الأمة والنهوض بها، وكان من آثاره ونشاطاته ما أسلفنا.

كما كان عوناً لطلاب العلم خاصة، وأبناء الطريق، ولكل محتاج، يقدم له ما يستطيعه من معونة مادية ومالية، ونصح وإرشاد، وتعليم وتوجيه، ولا بد أنك واجد في كبار أساتذة الجامعات اليوم أو الحكام أو الوزراء السابقين من كان تلميذه، أو مريده، أو من قد مدّ له الشيخ يد المعونة، وأسدى إليه النصح، أو أعانه في حاجته.

رحلاته: ولم يكن يقتصر نشاطه – كما أسلفنا – على بلده، بل كان يتجاوز حدود البلدة، وكان دؤوباً في العمل، يسافر من أجل إخوانه ومن أجل العمل الإسلامي إلى مختلف مدن القطر، وسواها وخارجها، داعياً إلى الله أو ملتمساً نصرة أخ أو معونته، أو ساعياً في حل مشكلة علمية أو اجتماعية، فكان لا يهدأ من حلب إلى دمشق إلى حمص إلى كافة المدن، يزور هذا ويعين ذاك، ويلتقي مع العلماء لحل مشكلات الأمة، ولمدارسة بعض مسائل العلم، ولقد شهدت أنا بعض هذه الرحلات وبعض هذه المجالس، مع عمي المرحوم الشيخ محمد سعيد المسعود، حيث كان صديقه وأخاه الوفي، ويده اليمنى في الباب

وأمين سره، وكذلك عونه في كل مشكلة ومهمة، وشهدت - بعد وفاة عمي - شيخنا أبا عمرفي دمشق مع كبار علمائها زائراً، وباحثاً معهم شؤون المسلمين، ولقد كانت آخر زيارة لي معه في دمشق في منـــزل أمين الفتوى الشيخ محمد فخر الدين الحسني حفيد علامة الشام ومحدثها الشيخ بدر الدين الحسني، رحمهم الله جميعاً، وكان التفاف علماء دمشق وصلحائها حوله واضحاً، وحبهم له ظاهراً، فهذه الرحلات ضمن القطر كثيرة، وبالأخص أيام الشيخ أبي النصر رحمه الله وقدس روحه، وكان للباب - مدينتنا - حظ وافر منها مع زملائه العلماء يستضيفون الجد والعم بعد وفاة الشيخ أبي النصر.

كما كان للشيخ في مكة والمدينة والرياض وجدة والمدن الحجازية وجود ظاهر وإقامات طويلة، وكم شهدنا معه في مواسم الحج مجالس عامرة بالإيمان والذكر ومذاكرة العلم وصحبة الصالحين.

وأخبرني ولده صديقي ورفيقي في الخسروية الأستاذ (محمد عبد الغني بلانكو) أنه صحب والده في زيارة لمصر عندما كان أخوه (الدكتور عبد السلام بلانكو) يدرس الطب في جامعة الأزهر، وكان شيخ الأزهر آنذاك العلامة الشيخ محمود شلتوت فاحتفى به وأكرمهم، كما زار زملاءه في الدراسة أيام كان في الأزهر وتعرف عليهم، وأجاب دعواتهم، ثم زاروا في برج النيل في القاهرة صديق الشيخ القديم الأستاذ إحسان الجابري، الذي كان يشغل منصباً سياسياً عالياً أثناء مباحثات الوحدة بين سورية ومصر وليبيا بعد عام ١٩٦٤م، كما كان الشيخ (أبو عمر) صديقاً ودوداً للزعيم الوطني الكبير الحاج فاتح المرعشي الكبير رحمه الله.

وكان الشيخ (أبو عمر) رحمه الله من ذوي الحنكة السياسية، داعياً للوحدة العربية، مناهضاً للاستعمار الفرنسي إبان الإحتلال، ولقد زاره في مقر الإفتاء في حلب - وكان بجانب جامع العثمانية - رئيس الجمهورية العربية المتحدة آنذاك الرئيس جمال عبد الناصر، حيث هيأ لهذه الزيارة صديقه الحميم الحاج محفوظ ملاحفجي، وكان الحاج محفوظ من محبي عبد الناصر، ورأيت صورته التذكارية معه في دائرة الإفتاء مع ثلة من الحاضرين.

خلاصة: إن حياة هذا الرجل العظيم، لا تكفيها هذه السطور القليلة، وإن عمراً مليئاً بالعمل الدؤوب لنصرة الدين وقضاياه لا تحيط به صفحات، وإن أعمالاً عظيمة عاشها وصنعها ذلك العلم الشامخ، والطود الراسخ، والمحب الصادق، لا يحصيها إلا مجلدات ومؤلفات، ولعل الله يهيء من يترجمه بأوسع ترجمة، ويبرز لأجيالنا المستقبلية من هو هذا الرجل العظيم، والعالم العامل، والعارف الذائق (الشيخ محمد بلانكو).

وفاته: في منتصف شهر كانون الأول بعام ١٩٩١ م - ١٤١١ هـ، بدأت علامات الموت تقترب من الشيخ، ونزل به القضاء ووافاه الأجل يوم ١٨ منه، وصلي عليه في الجامع الكبير بحلب، وكانت جنازته مشهودة، حضرها علماء حلب وعامتها، فبعد صلاة الظهر والصلاة على الجنازة وقف خطباء العلماء ليشيدوا بمآثره وأعماله وخدماته لهذه الأمة، فتكلم أولاً الدكتور الشيخ محمد صهيب الشامي، ثم الشيخ إسماعيل أبو النصر النقشبندي، ثم الشيخ محمد الخزنوي، ثم الدكتور الشيخ محمود عكام، ثم الشيخ محمود الحوت، ثم الشيخ محمد الشهابي أمين فتوى حلب، وأعلن الشيخ محمود عكام أن الشيخ أوصى أن توزع مائة ألف ليرة سورية يوم وفاته بمعرفته للفقراء، فحضر إلى البيت مساءً وأخذها.

وصيته: كما أخبرني ولده الأستاذ محمد عبد الغني (الذي أفادني بمعظم هذه الترجمة) أن والده أوصى بوصية مكتوبة فيها: أن يوزع ماله كما يلي: /٢٥٠/ ألف ليرة سورية للمدرسة الشرعية (الكلتاوية)، ومثلها لمدرسة الشيخ عبد الله سراج الدين (الشعبانية)، ومثلها للمدرسة الشرعية في (منبج)، ومثلها للمدرسة الشرعية في المعرة (معهد الإمام النووي)، وكان قد أوصى قبل بمكتبته الكبيرة لمكتبة الثانوية الشرعية، وبيته في هنانو لابنته الأرملة فاطمة حفظها الله، وقد تم تنفيذ وصاياه كلها، رحمه الله وأجزل مثوبته وأعلى في عليين درجته.

وقد ترجم له صاحب كتاب (مائة أوائل من حلب)، في الجزء الأول ص٣٣٠، مع صورته.

الرباني الفقيه، والعلم النبيه

الشيخ محمد ناجي بن محمود أبو صالح الحلبي

(١٣٢٢-١٤١١ هـ) (١٩٠٤-١٩٩١ م)

شيخنا وأستاذنا المفضال، العالم الورع، والتقي الصالح الشيخ محمد ناجي بن الحاج محمود أبو صالح النقشبندي الحلبي، المولود في حلب بحي المشارقة عام ١٣٢٢ هـ، ١٩٠٤ م، أو ١٩٠٦م.

تعليمه: كان قد درس كسائر أقرانه مباءئ القراءة والكتابة والقرآن الكريم لدى الكتّاب، ثم لما شبّ وتزوج أحب أن يطلب العلم، فشجعه والده على ذلك، وأعانته زوجته عليه، حيث كان يتركها في البيت غالب أيام الأسبوع، ويلازم غرفته في إحدى المدارس العلمية في حلب، ليأتي يوم الخميس إليها، فصبرت تلك الزوجة المؤمنة على هذا، بل كانت تستمع إليه عندما يراجع المتون التي حفظها أثناء تلقي الدروس لدى أشياخه، وتُرِّددُ معه ما يستظهره، حتى أنها حفظت بعض هذه المتون عن ظهر قلب، وبالأخص منها ألفية ابن مالك.

والتزم المدرسة الخسروية بعد ذلك أوائل افتتاحها بعام ١٣٤١ هـ - ١٩٢٢ م، وتخرج منها بالقافلة الثانية عام ١٣٤٦هـ - ١٩٢٧م، وكان من رفاقه فيها: معروف الدواليبي، وعبد القادر الكوراني، وبقية خريجي القافلة.

شيوخه: وكان قائماً على المدرسة الخسروية أجلة علماء حلب، وعلى رأسهم السادة المشايخ الذين ذكرناهم أول هذا الجزء والشيخ مصطفى باقو (مديرها)، ونمل من علومهم ما أهله ليكون في عداد كبار أهل العلم الذين نفعوا هذه البلدة، ثم صار من كبار أساتذة هذه المدرسة فيما بعد.

وكان من أوائل الطلبة في جميع الصفوف المدرسية، بل كان هو وزميله معروف الدواليبي يتسابقان على الدرجة الأولى، وكان الأول على زملائه في جميع سنواته، إلا أن الشيخ معروف رجح عليه في السنة الأخيرة بسبب أنه حصل على عشرة (ممتازة) والشيخ ناجي حصل على عشرة (جيد).

ملازمته للشيخ أبي النصر: وأحب التصوف وأهله والشيوخ المربين الذين كانت تزدان بهم مدينة حلب ويبثون الخير والفضيلة بين أبنائها، فلزم أول أمره الشيخ عبد اللطيف البوشي والتزم أذكار النقشبندية وأورادها لديه في مسجده، في حي قارلق بحلب، ثم لما أضاءت شمس أبي النصر في سماء حلب، وانجذب إليه معظم علمائها وصلحائها وفضلائها وتعلقوا به والتزموه؛ كان من أوائلهم أستاذنا ناجي ورفاقه: عبد الله الريحاوي، ومعروف الدواليبي، ومحمد بلانكو، ومحمد النبهان، وغيرهم.

فالتزم الشيخَ أبا النصر وصاحَبَهُ، وكان كظله مع من ذكرنا من إخوانه آنفاً، وسافر معه إلى أرياف حلب، والجزيرة و لم يفته مجلس أو صحبة للشيخ حينما يكون في حلب.

يقول ولده محب الدين: وكم سافرنا إلى الباب ومنبج بصحبة الوالد، ولقد حظيت بصحبته لشيخه أبي النصر عدّة مرات، كما كان يلازم أهل العلم والفضل من الشيوخ الذين يزورون حلب، كالشيخ الحارون، والشيخ يحيى الصباغ، والشيخ محمد الهاشمي، والشيخ إبراهيم الغلاييني، وغيرهم.

وكان يزور كافة علماء حلب وأشياخها ويتردد على مجالسهم وزواياهم، ويدور عليها في مواعيد إقامتها، إلا أنه مع هذا كله كان عنده (العلم أمير على التصوف)، فلم تعرفه عنه مخالفة أو شطح، ولا خروج عن تعاليم الشريعة، كيف ومنهاج الطريقة النقشبندية: الكتاب والسنة ؟ وهي معروفة بأنها طريقة العلماء.

أقول: وكذلك كانت وصايا شيخها ومرشدها أبي النصر: (علينا بمتابعة الكتاب والسُّنة، وعدم الخروج عن أحكامها وآدابها).

وكان أول أمره قد التزم الرياضات والمجاهدات، هو ورفاقه في الطريق (الدواليبي –

النبهان)، حتى إنه كان يزن طعامه ولا يزيد عليه، ويلتزم بالعبادة والأذكار حتى يحصل على صفاء النفس، وإذلالها للطاعة، شأن أرباب السلوك والمجاهدات.

حياته العلمية وبعض مناقبه: كان رحمه الله شجاعاً مقداماً، صداعاً بالحق، لا يخشى في الله لومة لائم، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، يهتم بأمور المسلمين عامتهم وخاصتهم، يتعاون مع إخوانه أهل العلم من أجل الدعوة إلى الله تعالى، والرد على أهل الزيغ والبدع والضلالات، والأفكار الهدامة التي كانت تتسرب إلى الناس إذا ساعدت مروجيها الظروف السياسية أو الاجتماعية، فتراه لا يهدأ له بال، ولا يقر له قرار، إلا إذا تصدى لها وبيّن وجه الحق وساعد في إظهاره، لذلك كانت له مواقفه المميزة:

* في الرد على الآراء المخالفة للكتاب والسنة من أي جهة ظهرت، فألّف رسالة في الرد على المدعو (ناصر الألباني)، عندما أظهر فكرته بإبطال ما كان المسلمون مجمعون عليه من صلاة التراويح وإحياء ليالي رمضان والنصف من شعبان، سماها (التعقب الحثيث).

* كما جابه دعاة الانتقاص والطعن في الصحابة الكرام بزعم الانتصار لأهل البيت، وذهب إلى قراهم وناقشهم ورد فكرتهم.

* كما دعا إلى توحيد الجهود بين صفوف العلماء لمقاومة حركات التنصير التي كانت تنشط في المدارس الأجنبية في حلب، وتتخذ من التسامح الديني الذي يعيشه أهل قطرنا ذريعة ووسيلة لنشر أفكارها وسمومها.

* وساهم في إنشاء جمعيات البر والأخلاق الإسلامية التي كان مؤسسوها أكابر علماء حلب، وشارك في تنشيطها واجتماعاتها، وأعمالها الدعوية.

* وما كان يحب المناصب الحكومية، إلا إذا دعا الأمر للمواجهة، فإنه كان من أوائل المتصدين لدفع كل خطر فكري أو اجتماعي عن البلاد، وفي غير ذلك فهو في الصفوف الخلفية.

* ورشح لمنصب مفتي الشافعية بعد وفاة المفتي الشيخ أسعد العبه جي، فأبى لأنه لا يحب المناصب الحكومية، ومن قبل رشح لمنصب مفتي حلب بعد وفاة الشيخ أحمد الكردي،

فأباه أيضاً.

* كما رشح لعضوية مجلس الشعب (قائمة الأحرار) في أوائل الاستقلال، و لم يقدر الله له النجاح [1].

* وآثر العمل في ميدان العلم والتدريس، فكان أستاذنا في المدرسة الخسروية (الثانوية الشرعية فيما بعد)، وكنا نحترم حزمه وثقته بنفسه، ومواقفه الأبوية معنا، كما كنا نتمتع بطريقة تعليمه وحنوه علينا، وكان يدرس الفقه والنحو في الخسروية، مع خطابته في الجامع العمري، وتدريسه في العثمانية أيضاً.

* وكانت تبرز مقدرته في تدريس علوم العربية وبالأخص النحو، قال ولده الأستاذ محب الدين: كان أخي عبد القدوس يدرس (مغني اللبيب) في النحو في كلية الآداب في جامعة دمشق، وكان يراجع أستاذه سعيد الأفغاني في بعض المسائل، فسأله الأستاذ: ابن من أنت ؟ فلما أخبره، طلب منه أن يتعرف على والده إذا حضر لدمشق، وكان لدى الأستاذ الأفغاني (وهو الضليع في العربية) بعض الإشكالات، فسأله عنها فأجابه، فقال له الأستاذ الأفغاني: أنت من أساتذتي.

* ولما حج الحجة الأولى كان متشدداً في أمر المناسك، ولا يرضى أن تكون على غير مذهب الشافعية، فلما حج أخرى صار يتوسع ويفتي الناس بالأيسر والأسهل عليهم، بعدما كان يحيلهم في المرة الأولى على الشيخ بكري رجب، المعروف بحجه كل عام، وتيسيره على الناس.

* ولما أقام في الرياض أواخر عمره لدى أولاده بعد وفاة زوجته، درس للطلبة الذين

---

[1] نشرت الدكتورة (نجوى عثمان) في كتابها (حلب في مائة عام) بالاشتراك مع الأستاذ فؤاد عنتابي ج٣ص٢٣٤، صورة منشور بتوقيع أستاذنا الشيخ محمد ناجي أبو صالح وفيه تواقيع كبار علماء حلب ومنهم الشيخ نجيب سراج الدين والشيخ محمد سعيد الإدلبي، والشيخ السلقيني (الجد) والشيخ أحمد الشماع، والشيخ أسعد العبجي، والشيخ محمد النبهان، والشيخ جميل العقاد، يدعون الأمة إلى انتخاب الشيخ ناجي للمجلس النيابي بعنوان: (نصيحة العلماء إلى الأمة) وذلك بتاريخ حزيران ١٩٤٧م.

كانوا يحضرون عليه (القواعد الفقهية) وأفاد الجم الغفير منهم.

* رزق شيخنا (أبو محمود) الهيبة والوقار، مع أناقة في المظهر، حيث كان يعتم عمة بيضاء، تشبه عمة شيخه أبي النصر، وتزين وجهه لحيته البيضاء، ويرتدي الجبة فوق القميص والبنطلون، وكان متميزاً في جبته ذات الياقة المفتوحة ومظهره الإسلامي، في وقت تجرد فيه كثير من أهل العلم عن زيهم الإسلامي، وارتدوا الزي الإفرنجي، وحلقوا لحاهم.

* كما رزق أولاداً رباهم على العلم والشجاعة، والإقدام وحب العلماء والصالحين، ونالوا أعلى مراتب الشهادات العلمية، وأكبرهم **محمود أبو الفضل** الذي حصل على الإجازة في الحقوق، وآثر العمل في التجارة، ويليه الشيخ **محمد بدر الدين** الذي نال الإجازة في الشريعة، وكان من الدعاة إلى الله البارزين في محبتهم للأولياء والصالحين حتى إنه لقب نفسه - لفرط حبه للشيخ الحارون — بالحاروني، ويليه الأستاذ **عبد الرحمن** الذي جمع أيضاً بين الإجازة في الحقوق، والبكالوريوس في الفيزياء، ثم **عبد القدوس** الذي جمع أيضاً بين الإجازة في الحقوق وآداب اللغة العربية، ثم حصل على لقب الدكتوراه في الأدب العربي، أما زميلنا وأخونا **محب الدين أحمد**، فكذلك نال الإجازة في الحقوق والأدب العربي، ثم حصل على الدكتوراه في التربية (بتخصص مناهج تدريس التربية الإسلامية)، وهي أول دكتوراه في العالم الإسلامي بهذا الاختصاص تمنح من جامعة عين شمس في القاهرة بعام ١٩٧٧ م، ثم إجازة في التربية الإسلامية من استانبول حول بحوثه عن (التربية الإسلامية عند أبي الحسن الندوي).

آخر حياته ووفاته: بعد وفاة زوجته رحمها الله، وتفرق الأولاد بين سورية وبلاد الخليج، صار ينتقل بين هذه البلاد عند أولاده وبناته، وكان يعاني من مرض في المسالك البولية، وظل صابراً محتسباً، لترقى درجته عند الله سبحانه، وكنا نأنس بزيارته والسلام عليه إذا قدم حلب، كما أنه ظل ملتزماً نهج العلم والتصوف مع محبته لشيخه أبي النصر وأولاده ومناصراً ومدافعاً عنهم، وبالأخص ملازمة أخيه الشيخ عبد الباسط أبي النصر،

هو والشيخ محمد بلانكو، مع محبته أيضاً لكافة أهل الطرق الأخرى الملتزمين لآداب الشريعة، حتى وافاه الأجل في مدينة الرياض لدى أبنائه هناك، ومات ودُفن فيها بعام ١٤٠١ هـ، في شهر حزيران ١٩٩١ م، رحمه الله وأجزل مثوبته.

* ترجم له صاحب كتاب (مائة أوائل من حلب) في الجزء الأول، ص٣٤٩، مع صورته.

العالم العامل، والرباني الكامل، والصابر الصادق

الشيخ عبد الرحمن الحوت الحلبي

(١٣٢٢-١٤١١ هـ) (١٨٩٤-١٩٨٤ م)

هو الفاضل الكامل، والرباني العارف، والوارث المحمدي الفاضل، الصابر على لأواء الحياة، الكريم الصادق، والمحب الواثق، الجدُّ الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله الحوت، من قبيلة الخضيرات، وهي فرع قبائل زبيد، (وهو جدي والد أمي)، وكان يعرف بين الناس باسم **الشيخ عبد الرحيم**.

النشأة الأولى: ولد ونشأ نشأته الأولى في قرية (التيارة)، شرق مدينة حلب ببضعة أميال، بعام ١٣٢٢هـ - ١٩٠٤ م، وأحب العلم منذ نشأته، لما رأى قومه وأهل قريته ليس فيهم من يفقههم ويعلمهم أمور دينهم، ولم تسنح له الفرصة لأن يتعلم في أول فتوته وشبابه، حتى زوجه أبوه من إحدى بنات عمه، ورزق منها ثلاثة أولاد؛ بنتان إحداهن والدتي، وولدان أحدهما سماه عبد الله توفي صغيراً، وأحمد شقيق والدتي كبر وتزوج وأنجب أولاداً وبنات.

طلبه للعلم في الخسروية: ولما سنحت له فرصة التعليم بعد زواجه، لازم المدرسة الخسروية بحلب، بعام ١٣٤١ هـ - ١٩٢٢م، وبقي فيها سنوات سبع، أولى سنواته كان فيها مستمعاً غير نظامي، حتى سنحت له الفرصة في السنة التالية فسجل رسمياً فيها، ولازم دروسها وأساتذتها، واجتهد في التحصيل والدرس، وكان من أساتذته فيها العلماء الأفاضل الذين ذكرناهم في مستهل هذا الجزء، وتخرج منها بعام ١٩٢٩ م - ١٣٤٨ هـ في القافلة الرابعة، كما كان يلازم دروس الشيخ محمد نجيب سراج الدين، التي يلقيها في الجامع الكبير والحموي بحلب، وكان من زملائه في الخسروية العم الشيخ محمد سعيد

المسعود، والشيخ أحمد القلاش، وبقية القافلة الرابعة.

العمل في الحقل الدعوي في ريف حلب: وكان أساتذة المدرسة يوجّهون طلابهم بعد التخرج للدعوة في الأرياف، وتفقيه الناس أمور دينهم، وتعليمهم أحكام الإسلام، فتوجّه أول أمره بعد التخرج إلى قرية المسلمية، شمال حلب، فعمل فيها إماماً لمدة سنتين، قام فيها مع إمامته بتفقيه الناس هناك بأمور دينهم وتعليمهم أحكام شريعتهم، ثم ساقته الأقدار إلى قرية تركمان بارح في قضاء إعزاز، وتبعد عن حلب /٥٠/ كم تقريباً، فبقي هناك معلماً وداعياً إلى الله سنتين ونصف، ثم قضى بقية سنته في قرية التيارة، ولما طلبه أهل سراقب ليفقههم ويعلمهم أمور دينهم، ارتحل إلى سراقب وقضى فيها سنتين أيضاً، وساقته الأقدار مرة أخرى إلى تركمان بارح سنة أخرى، اضطر بعدها أن يعود إلى قريته ليعمل في أراضي والده التي قسمها بين إخوته، وهناك ماتت (جدتي) زوجته الأولى أم أولاده.

وكان قد تعرف في بارح على صديقه الذي له علاقات زراعية في (بارح) الحاج محمد القطاع، فتزوج ابنته وسكن بعد زواجه منها حلب، واستقام فيها مدة، ورزق منها ابنتان، زوج الكبرى منهما لابن أخيه عبد الله الحوت، والثانية كانت من نصيب العالم الفاضل، والداعية العامل، الشيخ عبد الرحيم بن الخيّاط الزكاري – يعرف الآن بالشيخ عبد الرحيم المغربي – المهاجر في سبيل الله من بلده فاس في المغرب إلى حلب، حيث تلقى العلم والسلوك لدى الشيخ محمد النبهان في مدرسته (دار نهضة العلوم الشرعية)، وأكمل تحصليه في الأزهر الشريف، ثم عمل داعية في إسبانيا في قرطبة، وأقام هناك إماماً لمسجدها ما يزيد على الخمس سنوات، ثم ارتحل إلى ليبيا وعمل إماماً ومدرساً في ليبيا سنوات تزيد على الخمس، ثم استقر به المقام في حلب، حيث رزق عدداً من الأولاد بنين وبنات، ولازم بعد إقامته في حلب الزاوية النقشبندية وجالس شيخنا (إسماعيل عبد الخالق أبو النصر) ولازمها ملازمة تامة، ما يغيب عن مجلس منها، وكان ولا زال فيها محط نظر الشيخ وعنايته، حفظه الله وأمد في عمره مع العافية وكمال التقوى.

الإقامة في حلب (عود إلى حديث الجد): وافتتح الجد الشيخ عبد الرحمن في حلب

محلاً تجارياً لبيع الحبوب بجوار جامع بانقوسا، وظل أولاده يعملون في القرية، في أراضيه الزراعية، وبعد انتهاء الموسم ارتحلت العائلة وسكنت معه بحلب (حي العريان).

صلته بأبي النصر: كانت هذه الصلة بالمربي الكبير الشيخ أبي النصر، عندما كان طالباً في الخسروية بحلب، حيث كان معظم طلابها من مريديه وتلامذته، وكذلك تمت بواسطة إخوانه الشيخ محمد سعيد المسعود والشيخ محمد النبهان رحمهم الله تعالى. وبمشورة صديقه وزميله في الخسروية الشيخ محمد سعيد المسعود تمت خطبة ابنته الكبرى للوالد (الشيخ محمد علي المسعود) وتم العقد في الكلتاوية، بآخر عام ١٣٥٧ هـ، ١٩٣٨م، لدى صديقه وقريبه وأخيه الشيخ محمد النبهان، وحضر العقد أفاضل علماء حلب، والجد الشيخ محمد المسعود، والعم الشيخ محمد سعيد، وجمهور من أهل العلم والفضل من أحباب الشيخ أبي النصر.

زيارات الشيخ أبي النصر له: وكان خلال إقامته بحلب متفرغاً للتجارة، يسافر من أجلها إلى الجزيرة وبقية المدن السورية، بائعاً ومشترياً، ومع ذلك كان ملازماً لإخوانه من أهل العلم من أحباب الشيخ أبي النصر، وكان الشيخ أبو النصر يخصّه بالزيارة في جولاته السنوية إلى منطقة حلب، فكان يضيف الشيخ أبا النصر في قرية التيارة، تقول والدتي وخالتي: كنا نعي مجيء الشيخ إلى القرية، حيث تنصب بيوت الشعر، وينـــزل الشيخ أبو النصر في بيت جدك مع إخوانه وأضيافه، ويأتي معه المحبون من كافة الجهات، وتقام الأذكار والموالد والأناشيد والدروس، ويحضر مع الشيخ أبي النصر كبار العلماء من حلب وحمص وغيرها، وكنا نعرف منهم الشيخ محمد النبهان، والشيخ ناجي أبو صالح، والشيخ محمد الجبريني، والشيخ محمد البلانكو، وكنا نرى العمائم الكثيرة، وكانت هذه الزيارات تتم في الربيع وفي الخريف.

وتحدثني خالتي قائلة: لما كنا صغاراً، ندخل على الشيخ أنا وإخوتي ونسلّم عليه ويعطينا الحلوى (السكر). وكان الشيخ عثمان المارعي يأتي بنفسه أحياناً ومع الشيخ إذا جاء، ويتفقد الإخوان والمحبين أيضاً.

العمل في الزراعة: وكأن التجارة في حلب لم يخلق لها، فلم يكن موفقاً فيها (دنيوياً)، وكبرت العائلة، ومتطلبات الحياة توسعت، والنفقات في المدينة أكثر منها في الريف، وكانت قد راجت في بلادنا زراعة القطن، فقرر الشيخ أن ينتقل من التجارة إلى الزراعة لعل الله سبحانه يوسع عليه في الرزق، فارتحل بعام ١٣٧٠ هـ - ١٩٥٠ م إلى منطقة الجبول، واستأجر أراضي زراعية في قرية (جديدة تل سبعين)، وحفر فيها آبار للمياه، واستدان لأجلها من أصدقائه وأقربائه، واستهلكت المشاريع الزراعية جهده وماله، وصحته وعافيته.

ورغم أن هذه الأرض كانت بكراً واستصلحها الشيخ، إلا أن ميزان الربح لم يكن لصالحه، فترك الأرض وما فيها وعاد إلى حلب بعام ١٩٥٦م - ١٣٧٦هـ، وما كان له من عون في هذا غير بناته وابنه الوحيد أحمد، الذي مات حال حياة أبيه عام ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢م، وبعد أن ترك ذرية من البنين والبنات نشأوا نشأة صالحة والحمد لله بحياة جدهم ورعايته، وطلب أكبرهم العلم في الكلتاوية ثم تابع الدراسة وتخرج مهندساً مدنياً، حفظهم الله ورعاهم.

وكانت أمور الحياة الزوجية غير مستقرة بين الجد وبين زوجته الثانية ففارقها بإحسان قبل أن ينتقل إلى العمل الزراعي في الجبول.

إلى تجارة الحبوب مرة أخرى: وبعد عودته إلى حلب عام ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م، عمل أيضاً مع خاله في محل لتجارة الحبوب في حلب (جب القبة)، وبقي ثلاث سنوات، وسكن في دار خاله أيضاً في حي البكرجي بحلب، وتأهل فيها من زوجته الثالثة أم جمال الدين، حيث رزق منها بنتاً وولداً، تزوج هذه **البنت** ابن أخيه العالم الشيخ **يوسف بن حسين الحوت**، الذي تخرج من مدرسة الكلتاوية وتابع الدراسة الأزهرية، وهو الآن من أفاضل العلماء العاملين في حقل الدعوة، يقيم في منبج معاوناً لمدير مدرستها الشرعية، وهي صرح كبير وهام من صروح العلم في بلادنا السورية، ويعمل مدرساً فيها أيضاً، وخطيباً لجامع الكبير في منبج، حفظه الله ورعاه؛ أما **الولد** فهو خالنا الكريم الشيخ **جمال**

الدين الحوت، الذي تخرج من المدرسة الكلتاوية الشرعية بحلب وتابع دراسته في الأزهر الشريف بمصر، ويعمل الآن خطيباً وإماماً في مساجد حلب، وفقه الله وحفظه من كل مكروه.

وكأن التجارة في المرة الثانية لم تسلم للجد قيادها، وأراد الله سبحانه له شيئاً أخر غير الذي يريده هو لحكمة يعلمها الله، فقد كان يريد أن يعيش عزة العالم الذي لا يتكسب إلا بعمله، ويعطي ولا يأخذ، حتى يكون لديه ما يغذي كرمه الواسع، وإنفاقه وجوده الذي لا حدود له، فلم يستمر في التجارة، وكأنه أيقن بعد تجارب مريرة في العمل الدنيوي أنه لا بد من العودة إلى العمل في المساجد، والتفرغ للعلم والدعوة، والتعليم والتربية، فإن أبناء الأمة ليسوا بحاجة إلى تجار أو زرّاع بقدر حاجتهم إلى مربين معلمين ربّانيين، ومزكين متقين محسنين.

إلى العمل في حقل الدعوة والعلم مرة أخرى: ويظهر أنه تم التشاور بينه وبين إخوانه وأصدقائه من علماء حلب، أمثال الشيخ محمد بلانكو، والشيخ ناجي أبو صالح، والشيخ محمد النبهان، أن يتسلّم أحد جوامع حلب الجديدة التي تنشأ في البلدة، إماماً ومدرساً وخطيباً، وبذلك يتم له التفرغ للعلم والعبادة، وقد أصبح سِنُّهُ لا يتحمل المزيد من التعب والهم، ولا يقوى على مزيد من الأمراض التي أضحت تجد لديه مأوىً وملاذاً وتجده صابراً راضياً، وكان الفاضل الحاج أحمد القمري قد فرغ هو وثلة من إخوانه من بناء مسجد سيف الدولة، في منطقة الحريري بحلب، وبإشارة أهل العلم الذين ذكرناهم آنفاً تم قيام الشيخ عبد الرحمن بشعائر ذلك المسجد، وسكن في داره الواقعة بجانب المسجد والمعدة لسكنى الإمام بعد أن فرغت من شاغلها، وكان قبلها أقام في غرفة المسجد وعياله في البكره جي بعام ١٣٧٩ هـ - ١٩٥٩ م.

واستمر في هذا المسجد إماماً ومدرساً وداعياً إلى الله سنواتٍ طويلة، وكان يلتقي فيها بأفاضل أهل العلم من إخوانه ورفاقه الذين لم ينقطعوا عن زيارته ومجالسته، وعلى رأسهم الشيخ محمد البلنكو، والشيخ ناجي أبو صالح، والشيخ محمد أبو الخير زين العابدين،

والشيخ محمد الشامي، وثلة من أفاضل علماء حلب، وأصدقاؤه وإخوانه منها ومن غيرها، وكم شهدت داره هناك الأفاضل من أهل العلم والتقوى، والمحبة والوفاء.[1]

وفي هذه الأثناء كان المرض يزوره كثيراً ويطيل البقاء لديه، ويصبر هو على المرض وعلى المعالجة، لا يشكو ولا يتبرم، وكان يصاحب المرض ضيق ذات اليد، وكثرة العيال، وظل هؤلاء الثلاثة (المرض والفقر والصبر) متلازمين عنده مدّة طويلة إلى أن فرّج الله عنه فرحل واحد وبقي اثنان (المرض والصبر) حتى آخر حياته.

مديراً ومؤسساً لدار نهضة العلوم (الكلتاوية): ولم ينقطع أثناء إقامته في حلب عن مجالسة وزيارة ابن عمه وصديقه وأخيه الشيخ محمد النبهان، وتذكّر أيام شيخهما أبي النصر ومجالسه وتوجيهاته، ونشاط الإخوان في حياته، وكانت أيام الشيخ النبهان في عزها، ومحبوه في سؤدده وعلوه، وكان من أكبر أهدافه إقامة مدرسة شرعية تخرّج للأمة دعاة داعين وعلماء ربّانيين وفقهاء ناصحين، فأسس مدرسته العلمية (دار نهضة العلوم الشرعية) في جانب من ساحة مسجد الكلتاوية، وأوكل إلى ابن عمه الشيخ عبد الرحمن الحوت إدارتها ووضع مناهجها والتدريس فيها، وذلك حوالي عام ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦م، فقام الشيخ عبد الرحمن بذلك خير القيام، وفتحت المدرسة أبوابها واستقبلت طلابها، والتزمها أساتذتها وشيوخها، وسارت سيراً حسناً ترعاها أعين الشيخ المؤسس، ويمدّها أفاضل تجار حلب عن طريق (جمعية النهضة) بالمال اللازم لتستمر وتنمو، وتتقدم وتعلو.

وشاءت الأقدار - والأمر بيد الله سبحانه - أن يتولى إدارتها غير الشيخ الجد، فبقي الشيخ الجد فيها مدرساً للفقه والأصول، يعرف له طلابه فيها حق الأستذة، ويقدرون فيه عمق الفهم، ودقة الشرح، وحلّ عويص مشكلات العلم، وانتقل من داره سيف الدولة (دار الجامع) إلى محلة المشاطية، وترك الإمامة التي لم يستطع بسبب المرض القيام بها، فظل مدرساً بالكلتاوية، ومدرساً رسمياً (درس محافظة)، وكنت أقوم به عنه أحياناً إذا أقعده المرض عنه، وكم كان هذا المرض يقعده.

ولما ساءت صحته، ولم يستطع القيام بالتدريس في الكلتاوية، التزم بيته في محلة

المشاطية، وصار بعض الأفاضل من طلابه يأتون إليه ويقرؤون لديه دروس العلم، ويحل لهم مشكلات عبارات الكتب التي لم يروا مثله في حلّها، وكان يجد في هذه المجالس في بيته والدروس المسجدية سلوة وأنساً، وعزاء وبديلاً عن وجوده بينهم وبين رفاقهم الذين لم يكونوا مثلهم في حرصهم العلمي، أو لم تمكنهم ظروفهم من المتابعة كما فعلوا هم.

آخر أيامه: وفي أواخر السبعينات قام خالي (أحمد) ابنه، مع بعض رجال (حي كرم السلطان) ببناء مسجد هناك سموه مسجد (وابصة بن معبد ﷺ)، وكان الجدّ يشرف عليه كلما سنحت له الفرصة، وذلك من أرض صديقه الدكتور وجيه سلطان، شقيق العلامة العالم العارف الشيخ عبد الله السلطان - رحمهما الله تعالى - وبنى بجانبها داراً لجدي، ملاصقة للمسجد، واستأذنه الجد في قطعة منها يكون فيها مثواه بعد الحياة الدنيا، فأذن له ووهبه تلك القطعة من الأرض، ووكّل أخي الشيخ محمود بدفع هبة الأرض للدكتور وجيه سلطان بمقدار (٥٠٠٠) ل س، لتكون مدفناً له بعد وفاته، وبهذا يكون قد اشترى البقعة التي دفن فيها من ماله الخاص، خروجاً من وقف الأرض المعدة للمسجد، إذ لا يجوز الدفن في الأرض المعدة للمسجد، ثم لما انتهى بناء المسجد والدار انتقل إليها الجد رحمه الله، وصار يؤم في المسجد إذا استطاع محتسباً لله، ويقوم بإلقاء دروسه فيه، حتى أدركه الأجل بعد مرض لازمه سنين طويلة ملازمة لم يتركه بعدها إلا عندما حلّ ضيفاً كريماً على ربه وخالقه، صابراً محتسباً شاكراً غير متبرم، وذلك عام١٤١١ هـ - ١٩٩١م.

وصُلِّيَ عليه في ذلك المسجد ودفن في المكان الذي استوهبه من أخيه وصديقه الدكتور وجيه والذي صار غرفة ملاصقة للمسجد ومجاورة للدار.

وقضينا أيام العزاء هناك نستقبل وفود أهل العلم والفضل، والأحباب والأصدقاء والإخوان المحبين، والقرابة والجيران.

شذرات من أخلاقه وشمائله: كان رحمه الله ذا قامة طويلة، وبشرة سمراء فاتحة، طويلاً زاده الله بسطة في الجسم والعلم، ذا لحية كثّة ووقار ومهابة، يمشي تكفؤاً، تعلو رأسه عمامة بيضاء، كانت على طربوش أيام الدراسة وبعدها بقليل، ثم أصبحت على طاقية

بيضاء بعد ذلك؛ تعرف بالتاج، كما كان يعتم شيخه أبو النصر.

كلامه وحديثه: كان يتكلم بهدوء وروية، متزناً، لا يرفع صوته، ولا يصْخب، يكاد جليسه يعد كلماته عدّاً إذا أراد عدّها، يؤانس جليسه مهما كانت ثقافته وعلمه بالأحاديث النافعة، والحكايا الهادفة، وإذا كان جليسه طالب علم، يحسّ بأنه خرج من عنده وقد ازداد علماً وفهماً لمسألة، أو حلاً لمشكلة من عويصات العلوم، تزين حديثه بسمات هادئة تنفرج عن أسنان بيضاء نظيفة.

كرمه: لا يخرج جليسه من بيته دون ضيافة من طعام أو شراب، وكان يحب أن يقدم الطعام لأضيافه مما حضر في البيت، كان شيخنا كريماً يحب أن يأكل الناس عنده، وكنا إذا زرناه أنا وإخوتي أو أحد من أسباطه نحسّ أننا مع أحد أترابنا، لا نشعر بفرق السن بيننا وبينه، لِما يُبَاسِطُنا فيه من الحديث، وما يشعرنا فيه من المودة والعطف، كنا أنا وأولادي وبناتي وزوجتي ننتظر الأيام التي تسنح لنا فيها فرصة زيارته لنأنس بالجلوس لديه،، وسماع حديثه، وطُرَفِ كلامه، الذي لا يمل منه الجليس، وينتقي فيه أطيب الحديث.

صبره: وكان صبره - كما ذكرت - عجيباً على المرض، وضيق ذات اليد بعد غنى وعز، فما تسمع له شكوى من ألم، أو تبرماً بضيق عيش، بل تجده شاكراً صابراً، حامداً داعياً، تخاله وهو في أضيق حال من مرض أو قلة ذات يد كأنه يملك الآلاف المؤلفة، لا يتأفف ولا ينـــزعج، وما يشعر عائده بمرضه، لولا سعاله وما يرتسم على وجهه - أحياناً - من علامات الألم.

وكان يتحمل غلظة كثير من أقربائه وجيرانه وجفاءهم دون أن يشعرهم بانزعاج أو امتعاض، فكان صابراً متحملاً وراضياً متجملاً، يزين هذا كله تواضع وأناة وصبرٌ على التعليم، وعلى تفهيم الطالب أو السائل أو المستمع لما يقول، يعيده مرات حتى يحصل الفهم وهضم المسألة ومعرفتها.

وكان حلمه مصاحباً لصبره وأناته، لا ينفك عنه، حتى لمن أساؤوا إليه وحمّلوه ما لم يتحمل من النفقات والأموال، ولا يذكر أحداً في مجلسه بسوء، ولا يغتاب ولا يَنِمُّ، وإذا

ذكرت كلمة لا تعجبه، أو قال أحد قولاً لا يرضيه، أو لا يرضي الشرع، فإن ذلك يظهر على قسمات وجهه غضباً هادئاً، وإنكاراً يعرف من ملامح وجهه..

حنو الشيخ وعطفه على مريديه وزواره: قال عبد الله المسعود: حدثني جدي الشيخ عبد الرحمن رحمه الله قال: زرنا الشيخ أبا النصر رحمه الله في حمص، وكان معنا بعض الأمتعة في سفرٍ لنا، لعلَّه إلى الحج، وكان الحمَّال قد أخذ منا أجرة كثيرة فيها غبن فاحش، وبعد استقبال الشيخ لنا وترحيبه بنا وإعداد القرى والضيافة، سألنا عن مجيئنا وما جرى لنا، فذكرنا له ذلك، واستغرب الشيخ هذا الغبن الفاحش، وأرسل إلى الحمَّال، وأنبه على فعلته، وأمره بأن يأخذ المعتاد ويرد لنا الباقي، رحم الله الشيخ ووالديه.

والتقى الشيخ عبد الرحمن بالشيخ عبد الباسط، وظهر بينهما من الود والسرور، وتذاكرا أيام الصفاء والحب والود القديم.

والخلاصة: أنه كان رحمه الله أمة وحده، خرج من هذه الدنيا ونالت منه ولم ينل منها، واختبأ صبره فحمله وتحمله، وما فاته من حظوظ نالها غيره، وهي له، اختبأ ذلك ذخراً له عند ربه: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

العالم الفاضل، والمحب اللبيب

الشيخ محمد بن درويش الخطيب

(١٣٢٣ هـ) (١٩٠٤ م) أمدّ الله في عمره مع العافية

ولد هذا العالم الفاضل والمحب الكامل الشيخ محمد بن درويش الخطيب في قرية (الجينة) التابعة للأتارب (جبل سمعان) بعام ١٣٢٣هـ الموافق لعام ١٩٠٤م، ونشأ عاملاً في الزراعة مع والده، ولما افتتح العالم الشهير الشيخ أحمد شهيد مكتباً في الأتارب، تعلم عنده القراءة والكتابة وتعلم القرآن الكريم أيضاً، ورفض والده أن يرسله للمدرسة لتعلم العلم، من أجل أن يعينه في عمله الزراعي.

ولكن بعام ١٩٣١م، لما سنحت له الفرصة توجه إلى الخسروية، وكان عمره قد بلغ تسعة وعشرين عاماً، وذلك لأن والي حلب كان له أراضي في قريتهم، فأخذ منه كتاباً إلى مدير المدرسة لقبوله دون النظر في شرط السن.

قال حفظه الله: فأخذ مني مدير المدرسة الكتاب وألقاه على الطاولة وقال: كل يوم تأتينا وسائط، ادخل الفحص. وذلك دون أن ينظر في الكتاب، وكنت ممن أتقن القراءة والكتابة لدى الشيخ شهيد، لكني لا أعرف في النحو شيئاً، فسألني سؤالاً في النحو فلم أعرف، فلم يدرج اسمي في الناجحين. فذهبت إلى الوالي (المحافظ) وقلت له ما جرى معي؛ وأن المدير لم يقبل الكتاب، فقال لي الوالي: اذهب أنت من الناجحين. والتزمت المدرسة، ولكنهم لم يدرجوا اسمي في سجل المقبولين، رغم أنهم أعطوني الراتب الذي يعطى للطلبة، فصرت أدرس وأحفظ المقررات التي يلقيها الأساتذة عن ظهر قلب وأسهر الليالي، وأحرزت في الامتحان الأخير دون الوسط، ونجحت سنتها.

وفي السنة الثانية تقدمت إلى الوسط، وفي الثالثة تجاوزت الوسط، وفي الرابعة تقدمت

إلى مصافّ الأوائل من الطلبة، فقال لي أحد شيوخي: يجب أن تفهم مع الحفظ، وليس حفظاً فقط حتى لا تحتاج في المستقبل إلى من هو أدنى منك علماً ليشرح لك المسائل.

فالتفت إلى الفهم مع الحفظ وتخرجت في السنة الأخيرة مع الأوائل بفضل الله تعالى، وكان هذا بعام ١٩٣٩ وقد بلغت من العمر خمسةً وثلاثين عاماً.

لقاؤه بالشيخ أبي النصر: ولما كان الشيخ أبو النصر يتردد كل عام إلى حلب لتفقد تلامذته ومريديه وإخوانه ومحبيه، وكان معظم طلاب الخسروية من تلامذته، ذهبت مع بعض رفاقي في المدرسة إلى مجالسه، وكان معي الشيخ عبد السلام طبشو الحربلي زميلي في الصف، فأمر الشيخ بتلقيني الطريق، وصرت بعد ذلك ألزم مجالسه، وأحافظ على أورادي والحمد لله.

وقد كان شيوخه في المدرسة الخسروية أكابر علماء حلب (الذين ذكرناهم في مقدمة هذا الجزء)، وتخرج معه ذلك العام ١٩٣٩ القافلة الرابعة عشرة أفاضل طلاب العلم.

وبعد التخرج من المدرسة الشرعية الخسروية بحلب، عاد إلى قريته (الجينة) وبقي فيها خمس سنوات ونشر العلم والتقوى فيها، وكان صداعاً بالحق آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، وحدث أنَّ أحد المتنفذين في القرية كانت عنده زوجة مقعدة فأراد الزواج بأختها فنهاه عن ذلك، وقال له: إن هذا حرام. فهدده بإخراجه من القرية فغادرها بنفسه إلى قرية أخرى، وأقام فيها مرشداً معلماً لمدة سنتين، ثم غادرها إلى قرية (الرامة) من جبل الزاوية، فوجد أهلها قد غادروها بعد شجار دام بين طائفتين كبيرتين في القرية، ولم يجد سوى النساء والشرطة يجوسون خلالها، وسعى من أجل الصلح وبذل جهده، فتصالحوا وعادوا إلى القرية وأصبحوا عائلة واحدة، ثم غادرها إلى الجينة بعد أن انصلح حال أهلها وقضى فيها بضع سنين، وتقلبت به الأيام، وكثر الأولاد وتعددت الزوجات.

ثم استقر في حلب إماماً ومدرساً في مساجدها وذهب إلى الإمارات زائراً لأولاده الذين يعملون هناك مرات.

كان يلازم مجالس الشيخ أبي النصر حتى وفاته ومجالس الشيخ عبد الباسط من بعده،

ولا زال أيضاً ملتزماً بمحبة وملازمة شيخنا الحالي الشيخ (إسماعيل) عبد الخالق حفظه الله.

زيارة الشيخ أبي النصر، إلى قرية الجينة: قال: ودعوت سيدنا الشيخ أبا النصر إلى القرية فجاءنا ومعه ثلة من علماء حلب، على رأسهم الشيخ عيسى البيانوني، فخرجت مع أهل القرية جميعهم لاستقباله إلى قرية الأتارب المجاورة لقريتنا وأركبته فرساً كانت لدينا، فسار هو على الفرس ونحن حوله، فكان يسير سيراً عادياً ونحن نجهد أنفسنا للحاق به، تذكرت سير رسول الله ﷺ مع أصحابه؛ كان يسير ونجهد أنفسنا باللحاق به.

ودخل القرية وجلس في المسجد وأنشدت بين يديه أبياتاً من الشعر، وكانت ليلة غير عادية من ليالي العمر، ولا أزال أتغنى بها، وأتلذذ بذكراها وتذكرها.

قال أبو يحيى: كنت في زيارة لشيخنا اسماعيل حفظه الله في الزاوية العامرة، يوم الأربعاء ١٩ رمضان ١٤٢٤ الموافق ١٢تشرين الثاني ٢٠٠٣، بعد عودتي من العمرة والزيارة، بصحبة الأخ المحب الحاج يوسف كعكات من الباب، فذكر لي شيخنا إسماعيل – أدام الله توفيقه – الشيخ محمد درويش الخطيب وأنه دائماً يشتاق لرؤيته ويهتف له ويراه في المنام، ويطلب من الشيخ إسماعيل زيارته، فنشَّطنا الشيخ حفظه الله لزيارة هذا العالم الفقيه من السلف الصالح مريدي الشيخ أبي النصر، وسُرَّ بزيارة شيخنا له كثيراً، وكان بنفسي أن يحدثنا عن حياته لأكتب ترجمته، فقصَّ علينا – بعد السلام عليه والجلوس لديه قليلاً – ما ذكرته أعلاه، فللّه الحمد والمنة.

العالم العامل، والمربي الفاضل، والعارف الذائق

الشيخ محمد أديب حسون "الياقدي" الحلبي

(١٣٣٤-١٤٢٩ هـ) (١٩١٥-٢٠٠٨ م)

أستاذنا الفاضل، وشيخنا الكامل، من رضع لبان العلم والفضل على شيوخه الأماثل، الشيخ محمد أديب بن محمد حسون الياقدي الحلبي، صاحب السريرة الصافية، والعلنية الصالحة، من نفع الله به ولا يزال ينفع.

ولد شيخنا في قرية (ياقد العدس) القريبة من حلب، بعام ١٣٣٤هـ - ١٩١٥م، وتلقى فيها مبادئ القراءة والكتابة، ولما بلغ من العمر ١٢ عاماً أدخله والده المدرسة الخسروية بحلب، وذلك بعام ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٧ م، كما حدثنا بهذا في كثير من مجالسه، حفظه الله.

في الخسروية: كان أستاذنا محمد أديب من أصغر الطلاب سناً، وأكثرهم يقظة واجتهاداً وحباً للمطالعة وتفهم الدروس التي يلقيها أشياخه الكرام - كما حدثنا - فإذا انتهت الحصص اليومية أقبل على كتبه ودروسه في غرفته في المدرسة، مطالعاً دروس اليوم السابق، مراجعة وحفظاً واستظهاراً، ومحضّراً دروس اليوم التالي استعداداً للتلقي عن الأساتذة بوعي وفهم، مؤشراً على بعض غوامض المسائل، لمراجعة الأستاذ فيها إن لم يحل الأستاذ في الدرس غامضها، قال: وكنت أجد متسعاً من الوقت لأطالع كتباً أخرى - زيادة عن المنهاج - كمراجع للدرس، وكنت أقرأ في اليوم أكثر من /١٢/ حصة من دروسنا وغيرها، وهذه السعة في الوقت من بركات الذكر الذي تلقيناه عن شيخنا أبي النصر، فإن بركات الورد اليومي أثمرت لي فسحة في الوقت وحببت إليّ العزلة، والبعد عن المخالطة غير المفيدة.

شيوخه في العلم: وكان من شيوخه في المدرسة الخسروية كبار علماء حلب، وقد ذكرناهم في أوائل هذا الجزء، والشيخ نجيب سراج الدين خارج المدرسة.

بعد التخرج: وبعد تخرجه من المدرسة الخسروية بعام ١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م، عمل إماماً في مسجد حمزة بك وخطيباً فيه، وكان مبدأ درسه العامّ - كما حدثنا مراراً - أنه كان بعد صلاة الصبح في مسجده هذا يقرأ في كتابه، حتى يشغل هذا الوقت المبارك بالذكر، فكان يجلس بقربه بعض المحبين قائلين: اسمعنا ما تقرأ، فصار يسمعهم، فكثر القليل حتى صار جمّاً غفيراً يملأ المسجد.

وعندما افتتح زميلاه وأخواه في العلم والطريق الشيخان أحمد القلاش، وبكري الرجب (مكتباً ابتدائياً) لتعليم الأطفال القراءة والكتابة والقرآن الكريم في جامع العريان بحلب اشترك معهما في التعليم مدة خمس سنوات، ترك بعدها تعليم الأطفال والتفت للكبار، واعتنى بالتعليم المساجدي، فكان له درس وأكثر يومياً في مسجد (حمزة بك)، ثم انتقل إلى جامع أسامة بن زيد، بعد توسعته وتجديده عام ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠م، حيث أصبح إماماً وخطيباً له ومدرساً فيه، وانتقل كل نشاطه العلمي إليه، وأصبح المسجد الكبير خلية نحل لا تهدأ ليلاً أو نهاراً، ولا تخلو من العابدين والمتعلمين، رجالاً ونساء، شباباً وفتياناً وكهولاً على مختلف المستويات، بل أصبح الجامع جامعة تجمع كل الصنوف التي ذكرنا، بالإضافة إلى الدورات الموسمية التي كانت تقام للطلاب، وقد أكرمني الله سبحانه بالتدريس في هذا المسجد بعض حلقات العلم والقرآن فيه لطلاب المدارس والعامة مدة إقامتي في حلب بجوار مسجد أستاذنا، وكان هذا تحت إشرافه ورعايته، وتوجيهاته الكريمة وأنظاره العطوفة.

ثم أصبح في هذا المسجد درس خاص بالنساء بأمر من أستاذه وشيخه بعد شيخنا أبي النصر، شيخنا محمد النبهان، يقول أستاذنا الشيخ أديب: (وقد أمرني شيخنا النبهان - قدس الله روحه - في حياته بافتتاح درس النساء في جامع أسامة بن زيد، فكان له الأثر الجيد والحمد لله، وقد أستأذنته أكثر من مرة قبل وفاته رحمه الله بترك درس النساء بسبب قالات بعض الناس، فقال لي: يا ولدي؛ اترك درس الرجال، ولا تترك درس النساء، لأن

تدريسهن له الأثر الكبير في إصلاح المجتمع) [1].

ونظراً لأهمية تعليم المرأة التعليم الشرعي الذي يُعِدُّ المرأة لأن تكون أماً مربية وزوجة صالحة، وعضواً نافعاً في المجتمع، افتتح شيخنا (مدرسة شرعية للبنات) ما عدا الدرس العام للنساء، وهذه المدرسة مشتملة الآن على صفين حين كتابة هذه الأحرف، وستكون ثلاثة صفوف إن شاء الله، ودروسها شرعية ومعها آلاتها كالنحو والصرف، ودروسها: حفظ القرآن واتقانه قراءة حضور وغيب، وفقه وتفسير وحديث وسيرة وعقيدة وتهذيب أخلاقي وحساب وخياطة وتطريز، وأسأله تعالى أن يوفقنا لكل ما يرضى به وأن يبعدنا عن كل ما يبعدنا عنه إنه سميع مجيب) [2].

وكان افتتاح هذه المدرسة بعام ١٤٠٩هـ، ١٩٧٩م، ولكنها لم تمض عليها سنوات حتى توقفت، لأسباب خارجة عن إرادة شيخنا، وإن كان العمل المسجدي تدريساً وتعليماً مستمرٌ في الجامع المذكور بإشراف شيخنا وتوجيهه حفظه الله ورعاه.

مع المرشد الكبير الشيخ أبي النصر: ولنقتطف شيئاً من رياض شيخنا وحديثه عن مبدأ صلته الكريمة بالمرشد الكبير سيدي الشيخ محمد أبي النصر، وذلك من كتابه الذي ألفه في مناقب العالم العامل والمرشد الكامل سيدي الشيخ محمد النبهان رحمه الله تعالى، وكنا قدمنا فصولاً ممتعة عن هذا العلَم الكبير فيما تقدم، نقلاً عن كتاب شيخنا محمد أديب المسمى (آلاء الرحمن على العارف النبهان). قال حفظه الله وأمد بعمره مع العافية:

١- **تمهيد**: في سنة ١٣٤٦ هـ، الموافق ١٩٢٧ م، أكرمني الله تعالى بدخولي في المدرسة الشعبانية الشرعية، وكان فيها نخبة من أهل الفضل والعلم، ومن أَمنِّهم عليَّ الشيخ محمد الجبريني رحمه الله تعالى، وكان رجلاً كامل الرجولة، بينما كنت في أول العقد الثاني من عمري ورزقني الله محبته، وحنا عليَّ حنو الوالد، فكنت أراجعه في كثير من أموري.

---

[1] من كتابه: آلاء الرحمن على العارف النبهان، ص ٥٣.

[2] من كتابه: آلاء الرحمن، ص ٥٣.

وفي صيف تلك السنة، وفي كل صيف، كان شيخنا محمد أبو النصر بن الشيخ سليم خلف رحمهما الله تعالى، وأعلى عنده مقامهما ورضي عنهما، يزور حلب ليرعى أتباعه في طريقته النقشبندية، فاستصحبني إليه الشيخ محمد الجبريني الفقيه الشافعي السالك النقشبندي، استصحبني معه للسلام على الشيخ أبي النصر، وكان الشيخ رحمه الله حينما يأتي إلى حلب؛ تهتز المدينة فرحاً، ويؤمها الكثير من أهل القرى والأقضية للسلام عليه، وكان علماء حلب - جلّهم إن لم يكونوا كلهم - يأتون للسلام على الشيخ، منهم الشيخ نجيب سراج الدين، والشيخ سعيد الإدلبي، وغيرهم من كبار العلماء، ورزق الشيخ في حلب أتباعاً كثيرين، وجعل الله على يديه الخير الكثير، سواء في تسليك الناس في الطريق، أو في إرشادهم للعلم، وكم انتسب للعلم بسبب أمره الكثير من طلاب المدينة والأقضية والقرى.

٢- **تلقيني الطريق:** وفي ليلة الجمعة فيما أظن، كنا في بيت الحاج عبد الله لاجين في محلة الشرعسوس، أمر شيخنا أبو النصر الشيخَ عبدَ الرحمن البكري المنّغي، فلقنني الذكر بحضوره، وسكنتُ وتوجه الشيخ إلي، وكنت أتمنى أن أرى من الشيخ كرامة، فدخلت مرة على الشيخ في الدار المذكورة في ليلة من ليالي الجمع، وإذا بالشيخ يأخذ بيدي ويضع قدمه على صدري وأنا جالس مقابله، ويهزني، وقال: كلما جاء رجل يريد أن يرى كرامة. فكانت هذه الكلمة جواباً لتمنياتي، وزاد ارتباطي بالشيخ رضي الله عنه.

٣- **تربية الشيخ بالنظر:** ولقد كان تأثير الشيخ أبي النصر قدس الله روحه على تلاميذه بالنظر، فكان المنشدون يغردون بالإنشاد، وكان هو يدور بعينيه على المريدين، فينهض هممهم بهذات النظرات المباركة، وقد جاء في الشمائل المحمدية (أن رسول الله ﷺ كانت تربيته لأصحابه بالنظر) يعني فيما لا يحتاج إلى الكلام، كتعليم الأوامر والنواهي، فهذه لا بد لها من الكلام، والأحاديث طافحة بذلك. اهـ[1].

---

[1] من كتابه: آلاء الرحمن، ص ٤-٥.

٤- **رؤيا عجيبة وأثرها النفسي**: وقال في الصفحة ٦: (كان شيخنا أبو النصر قد أقام شيخنا الشيخ محمد النبهان مديراً للختم في جامع باب الأحمر شرقي القلعة - قلعة حلب- وكان هذا الختم ليس له نظير من عدة وجوه:

أ- كان مديره شيخنا النبهان قدس الله روحه، وكان إذ ذاك في أوج سلوكه وقوة إرادته وصدقه، فكان أثر الذكر والخشوع يظهر عليه من جميع جوانبه.

ب- كان يحضره غالب أهل العلم البارزين من مريدي شيخنا أبي النصر، مثل الشيخ أحمد المصري، والشيخ محمد الجبريني، والشيخ حسن الحاضري، والشيخ ناجي أبو صالح، وغيرهم من العلماء، رحم الله من توفي منهم، وأمد ونفع في عمر الباقين، فكنت ترى حلقة الختم قد زانها العلم، وكملها الطريق، وكان كل من حضر هذا الختم يؤخذ بلبه لما يرى فيه من النور والبكاء والخشوع، وكنا طلاباً في المدرسة الخسروية، نأتي بعد صلاة العشاء لنحضر هذا الختم المنوّر.

حضرت ليلة، وكنا مواظبين على الورد، فأخذ المجلس من قلوبنا كل مأخذ، وخرجت من الختم وذهبت إلى (غرفتي) في مدرسة القرناصية، فلم أقدر على المطالعة لقوة الورد، فاضطجعت، وإذا بي أرى شيخنا أبا النصر في الرؤيا وهو مستلقٍ على ظهره في إحدى الغرف، ودخلت عليه وإذا به يفتح ذراعيه مشيراً إليّ للإضطجاع بجانبه، فاضطجعت، ولما استيقظت وجدت نقشاً على ذراعي كهيئة الشجرة الجميلة، ونسيت الرؤيا، فكنت أتوضأ والنقش باقٍ على ذراعي مدة ثلاثة أيام، وعندما ذهبت في اليوم التالي إلى المدرسة نبهني بعض رفاقي على أثر نقش آخر في عنقي، وهنا تذكرت الرؤيا، فلما فرغت من الفحص (وكان على الأبواب) ذهبت بصحبة الشيخ محمد الغشيم بارك الله فيه، إلى سيدي الشيخ محمد النبهان في الكلتاوية، فقصصت عليه الرؤيا، ومن ذلك اليوم بدأ ارتباطي بالشيخ بالحب.

وبما أن شيخنا أبا النصر كان موجوداً، فكنا لا نتردد على شيخنا النبهان كثيراً، إلى أن جاء الوقت بالتردد الكثير والانتساب إليه كشيخ بعد شيخنا.

٥- **من آثار شيخنا أبي النصر رحمه الله ورضي عنه**: لقد منّ الله تعالى على شيخنا

أبي النصر رحمه الله ورضي عنه بالقبول والفتح الكثير في حلب وأقضيتها وفي الجزيرة، فمن حلب إلى حدود العراق تقريباً كان الشيخ أبو النصر هو الشيخ المتبوع، صاحب الصّيت المدوّي في الطريقة النقشبندية، وكم تبعه رجال ونساء كانت حالتهم قبل اتباعهم للشيخ كأهل الجاهلية، وإذا بهم بعد اتباعهم لشيخنا أبي النصر وكأنهم قد أسلموا من جديد، وسرى التدين والذكر في نفوسهم وحييت بذكر الله قلوبهم، وكانوا يرون على الشيخ آثار الخير، وتظهر لديهم بركات وكرامات، (وذكر الكرامة العظيمة وهي قصة نجاتهم من الغرق في نهر الفرات عندما أراد الفرنسيون إغراق الشيخ ومن معه، وقد ذكرناها في بحث الكرامات من هذا الكتاب).

رحم الله شيخنا أبا النصر ورضي الله عنه، فلقد ترك أثراً في الطريقة جيداً، وله كرامات كثيرة لها مكانها، وإنما الذي يهم أثره الظاهر في العلم والطريق والأخلاق، وهذا واضح لمن أراد التعرف عليه، لا يخفى على من عرف الشيخ وعاصره.

فلقد كان رضي الله عنه بسام الوجه، وضيئه، له نظرات تنفذ في القلوب فتخرجها من غفلاتها، كنا نجلس بين يديه، وعيناه الكريمتان تتقلبان علينا، وتنفذ آثارهما في الأفئدة، وهكذا كان ﷺ يربي أصحابه باللحظ، كان مجلسه - مجلس الشيخ أبي النصر - يغلب فيه الإنشاد، إنشاد ملئ بالإرشاد، فكأن المنشدين يعبرون عما في قلبه من رفع الهمة والصدق في طلب معرفة الله تعالى، وفيه حثّ على الذكر النفيس الذي يجعل القلب في حضور دائم.

جزى الله عنا شيخنا أبا النصر خير الجزاء، وجمعنا معه ومع مريده الأول الأكبر الأصدق سيدي الشيخ محمد النبهان في مقعد صدق عند مليك مقتدر، وبارك في نجله حبيب الجميع الشيخ عبد الباسط حفظه الله آمين. اهـ [1].

وكنت سألت أستاذنا الشيخ محمد أديب [2] عن مبدأ صلته بسيدنا المربي الكبير الشيخ

---

[1] من كتابه: آلاء الرحمن، ص ٦-٩.

[2] في زيارة له في مسجده المبارك (جامع أسامة بن زيد) في حلب بتاريخ ٢٤ جمادى الآخرة ١٤١٨ هـ، الموافق ٢٦/ ١٠/ ١٩٩٧ م، وهذا الذي يأتي من الكلام مما حدثني به مشافهة وكتبته في التاريخ المذكور.

محمد أبي النصر قدس سره فأجابني، كما ورد آنفاً، أنها كانت بسبب الشيخ محمد الجبريني حينما كان طالباً في المدرسة الشعبانية وأخذه إلى الشيخ أبي النصر، فبايعه في الطريق وأمر الشيخ عبد الرحمن البكري (المنّغي) أن يلقنه الذكر.

قال: وكان أثر الطريق في نفسي انشراح الصدر والسرور، والحب الكبير للشيخ رحمه الله تعالى، وكان الشيخ محمد الجبريني رحمه الله يصحبني إلى زيارة الشيخ كلما جاء إلى حلب، حيث كنت في أوائل طلبي للعلم في المدرسة الشعبانية، ومرة قال لي (الجبريني) : جاء الشيخ أبو النصر ألا تذهب للسلام عليه ؟ فقلت له: بلى. وحدثت في نفسي همّة عالية لمحادثة الشيخ، والتطلع بهذه الهمة إلى أصحاب سيدنا رسول الله ﷺ، وقلت: والله لا أرضى أن أكون مع الشيخ إلا مثل أبي بكر مع سيدنا رسول الله ﷺ.

قال حفظه الله: وكنت أحب الشيخ الأكبر سيدي محيي الدين ابن عربي، ولما كنت في الصف الرابع في المدرسة الخسروية، اشتريت كتاب (الفتوحات المكية) له، فاختلف زملائي وإخواني في ذلك، هل يسمح لي بقراءة الكتاب أم أمنع منه ؟ فقال شيخنا النبهان لهم: لا تخافوا عليه. ولما قدم سيدنا الشيخ أبو النصر لحلب، سألته فقال لي: (يا ولدي: ما تفهمه منه خذه، وما لا تفهمه سلمه لأهله). وأنا لا أعلم الدافع لي لشراء كتاب الشيخ الأكبر إلا حبي له.

٦- **رؤى صالحة**: قال حفظه الله: رأيت نفسي مناماً أنا ومعي رفيق لي في طلب العلم في دمشق، فزرنا الشيخ ابن عربي، ورأينا في محل زيارته قبرين في مكان مرتفع، أحدهما لسيدي محمد البكري، والآخر ملفوف بقماش لا أدري لمن. فقلت لرفيقي: انظر ماذا ترى داخل القماش، فنظرت فإذا فيه ثلاث نجوم، ونزل من القبر، وصعدت ونظرت، فأضاء لي نور ساطع يبهر النظر، (مثل الأباجكتور) وسمعت نغماً موسيقياً ليس له مثيل في الدنيا، فوقع نصفي في القبر ونصفي خارجه، فسكنت الموسيقى وقمت ورجعت، وإذا المؤذن ينادي للفجر (الله أكبر) فاستيقظت مبتهجاً منشرحاً وأولت هذه الرؤيا، محبتي للشيخ الأكبر، بعد شرائي لكتابه (الفتوحات).

ورأيت نفسي مرة في الجامع الكبير بحلب قرب المنبر، وفي يدي الجزء الأول من الفتوحات، ففتحته وإذا فيه من أول صفحة بعد البسملة ما يلي: اقرأها مرتين أو ثلاثاً، واقرأ البخاري، والأصفهاني – يعني حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني – وما كنت آنذاك أعرف الحلية، فقرأتها كلها (١١ مجلداً).

ولم أفهم حين الرؤيا سبب تخصيص (الفتوحات والبخاري والحلية) بالقراءة، ولم يفسرها لي أحد، لكني فسرتها بعد مدة بأني(ذو مشرب شرعي، وابن طريق صوفي)، والفتوحات مظهر التحقيق، والحمد لله تعالى الذي منّ علي بالثلاثة: (شريعة وطريقة وحقيقة).

٧- **أثر الشيخ أبي النصر في تربيتي**: وحدثني حفظه الله عن صلته بالشيخ أبي النصر وأثرها بعد سلوكه الطريق النقشبندي فقال: منذ أحببت الشيخ قدس الله سره وواظبت على الورد الشريف – وكنت آنذاك في المدرسة الخسروية، وكنت آخذ الورد مضاعفاً – فقد أعانتني المواظبة على الورد على طلب العلم، لأن الورد عمّق في نفسي حبّ العلم، وكره إليّ مخالطة الناس، وحبب إلي الخلوة لما كنت أجده من الصفاء، فأكببت على المطالعة مع الأوراد، وكان مرادي عندما تنتهي الدروس اليومية في المدرسة أن أصل إلى غرفتي لأخلو مع كتبي ووردي.

وكانت زيارات الشيخ أبي النصر لحلب لا تنقطع، وكنا نواظب على حضور مجالسه المباركة، وكنا نرى الخير الكثير والمدد المتصل، والتربية الحكيمة في جلوسنا بين يديه، وأذكر الآن حادثة كان لها الأثر التربوي العظيم في نفسي، فقد كنت جالساً مرة أمام الشيخ رحمه الله تعالى، وكان بجانبي الشيخ محمد الغشيم رحمه الله تعالى، وجرى ذكر بعض الأساتذة فألمح الشيخ الغشيم ببعض النقد عليهم، وشاركته ببعض الكلام، فالتفت الشيخ أبو النصر قدس الله روحه إليّ وقال لي: يا أديب هل تسحب وردك ؟ – أي هل تؤديه – فأغضضت طرفي مطرقاً، ودخل هذا الكلام في صميمي، فكأنه قال لي: الذي يواظب على ورده لا يتكلم هكذا، فكانت لي درساً لا أنساه.

٨- **حال الشيخ أبي النصر وأثره في الإخوان:** وقال لي حفظه الله: (إن الشيخ أبا النصر يُحَبُّ لذاته) وهذه الميزة تجذب من خالطه لمحبته، كما أن حال الولاية ظاهر عليه، فلا يراه مؤمن إلا أحبه، إذ أن أثر الذكر ظاهر عليه لا يخفى، ولقد كانت سيرته سيرة أكابر العلماء الأولياء، فلقد كان قليل الكلام، ولكنه قوي الحال، وكنا إذا جلسنا أمامه تنتقل عيناه الوهاجتان في وجوهنا، من شخص لآخر، وأي شخص وقع النظر عليه يسري إليه حال الشيخ فوراً، ويتبدل حاله من الغفلة والشرود إلى الحضور والمراقبة والخشية لله تعالى.

٩- **محبة علماء زمانه للشيخ أبي النصر:** ولقد كان يحترم العلماء ويحترمونه، ويزورهم ويزورونه، وكان أكابر العلماء يُرَوْنَ عنده، فكنت ترى الشيخ محمد نجيب سراج الدين علامة حلب، والشيخ محمد سعيد الإدلبي الفقيه الشافعي الكبير، وغيره من مشايخنا وأساتذتنا، وكان كل من خالطه أحبه، من علماء وعامة، ولم تكن له مخالطة للحكام، ولا علاقة معهم، ومن زاره منهم معتقداً فإن أنظاره الشريفة تحل عليه بالخير والبركة.

١٠- **بركة طعامه:** قال شيخنا: سمعت منشده أبا حسن النداف - على ما أذكر - يقول [1]: إن والي حمص أيام العثمانيين زار الشيخ بعد العصر في يوم من أيام رمضان، فلما أراد الانصراف - قبل الغروب - طلب منه الشيخ رحمه الله أن يبقى للإفطار، فقال أبو حسن: وظننت أن الشيخ سوف يأتيه بسفرة تتناسب مع مقام الوالي، وإذا به يحضر إناءاً كبيراً - طشت - من المخلوطة، مفتوتاً فيه الخبز اليابس، وموضوعاً فيه الملاعق، وقال الشيخ: تفضلوا. وجلسنا للأكل، فقلت في نفسي: إن الشيخ بغنىً عن أن يدعو الوالي لعشاء مخلوطة ! فأكلنا جميعاً ولكن الوالي أكل بنهم وشهية، ولما فرغ الوالي من الطعام وقام ليغسل يديه، قال: كيف تصنع هذه الأكلة الطيبة المذاق ؟! وأثنى عليها كثيراً،

---

[1] وقد سمعت هذه الحكاية مرات من شيخنا عبد الباسط رحمه الله.

ففطنت أن السرّ في هذا بركة الشيخ أبي النصر، فقلت له: إن هذه لا تصنع إلا في بيت الشيخ.

١٠- **سمات إخوانه ومحبيه:** ولقد كان من أبرز مناقب الشيخ قدس روحه بالرحمة حضّه على طلب العلم، لمن يرى فيه الأهلية، وتقديمه في مجلسه للعلماء، وحضّه للعامة على الذكر.

ولقد امتاز إخوانه ومريدوه بظهور آثار الذكر عليهم، ولقد كنت تراهم أثناء جلوسهم بين يديه مطرقين خاشعين باكين، وفي سرهم لله ذاكرين، وكانت لهم سابقات للخيرات والمبرات، وبُعْدٌ عن المحرمات والمنكرات.

وإن أثره لا يزال باقياً فيَّ مؤثراً في حالي، محبباً إليَّ الذكر، فأنا لا زلت أذكر وأحضّ على الذكر، ولقد قلت لشيخي النبهان مرة: لقد استفدت منكم شخصيتكم القوية، واستفدت من الشيخ محي الدين التحقيق، ومن الشيخ أبي النصر الذكر وآثاره، ويا نعم تلك الآثار.

وكنت أطلب من السيد النبهان بعد وفاة سيدي أبي النصر أن يلقن الإخوان الذكر، وأقول له: يا سيدي لقنهم الذكر، لأنه ليس عندهم محبة مثلك. ويقتنع مني بهذا الكلام، ولكن لم يشأ الله أن يلقنهم الذكر فعاشوا معه على المحبة، والعطايا قِسَمٌ، على أنه كان لسيدي النبهان دَأَبٌ على الذكر في أول أمره، حتى وصل في الذكر إلى /٩٠/ ألف مرة يومياً، وأعتقد أن هذا الذكر هو سبب الفتح لديه رحمه الله. اهـ حديث أستاذنا الشيخ محمد أديب.

إجازاته بالطريق: قدمنا أن أستاذنا الشيخ أديب كان من العاملين في نشر العلم ونشر الطريق بين كل أحبابه ومعارفه وإخوانه ومريديه، ولذلك كان حريصاً على أن يجمع بين العلم والذكر، والشريعة والطريقة، وقد طلب من خليفة شيخه أبي النصر ولده أستاذنا الشيخ عبد الباسط أن يجيزه بالذكر وتلقينه، وبالإرشاد في الطريقة النقشبندية، فكانت هذه الإجازة كما أوردها في كتابه (آلاء الرحمن) ص ١٠٩ وهذه هي بنصها:

إجازة الشيخ عبد الباسط أبي النصر خلف رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد و لم يولد، و لم يكن له كفواً أحد، أشهد ألا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، إلهي أسألك أن تجعل هذا العبد الضعيف الفقير إليك عبد الباسط بن الشيخ محمد أبي النصر عبداً لك، وأن تتوب عليه توبة نصوحاً، وتجعله أهلاً لمحبتك ومحبة حبيبك سيد الوجود محمد ﷺ، ومحبة أوليائك، وترزقنا التوفيق والاستقامة على طاعتك برحمتك يا أرحم الراحمين.

بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين

الحمد لله حمداً يرتضيه لجنابه، والصلاة والسلام على أجل من اصطفاه لوحيه وخطابه خليفة الله في خلقه سيدنا محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه؛ وبعد: فقد أجزت الأخ الشفيق، والصديق الرفيق، العالم العامل، والفاضل الكامل، القائم بنشر العلم والإرشاد الشيخ محمد أديب حسون، ثبته الله على نهج الاستقامة، بتلقين الذكر والإرشاد في الطريقة النقشبندية العلية، وبعد أن تفضل بالإذن الصريح الأخ الكبير العارف بالله الشيخ محمد النبهان، بلزوم إعطائه الإجازة من قبلي، والسماح له بنشر الطريقة النقشبندية، وتلقينه أذكارها وأورادها، حيث وجد بالشيخ محمد أديب الأهلية للقيام بهذا العبء الكبير ليكون مرتبطاً بالسلسلة العلية النقشبندية، وليستقي من روحانيتهم وروحانية سيد الوجود محمَّد ﷺ، وذلك بطريق التسلسل، وإني أجيزه بما أجازني به والدي وشيخي الشيخ محمد أبي النصر عن شيخه ووالده محمد سليم خلف، عن شيخه الكبير أحمد الطوزقلي التركماني، عن شيخه ذي الجناحين مولانا خالد ضياء الدين العثماني، عن شيخه الشيخ عبد الله الدهلوي، وشيخه الشيخ شمس الدين حبيب الله جان جانان مظهر، عن شيخه نور محمد البدواني، عن شيخه الشيخ سيف الدين، عن والده العارف بالله الشيخ محمد المعصوم، وهو عن والده أحمد الفاروقي الإمام الرباني مجدد الألف الثاني، عن شيخه الشيخ محمد الباقي، عن شيخه الشيخ محمد الأمكنكي، عن شيخه الشيخ الدرويش محمد، عن شيخه

الشيخ محمد الزاهد، عن شيخه الشيخ عبيد الله أحرار، عن شيخه الشيخ يعقوب الجرخي الحصاري، عن شيخه الشيخ علاء الدين العطار، عن شيخه الشيخ محمد بهاء الدين نقشبند، عن شيخه الشيخ الأمير السيد كلال، عن شيخه محمد البابا السماسي، عن شيخه الشيخ علي الراميتني، عن شيخه الشيخ محمود أنجير فغنوي، عن شيخه الشيخ عارف الريوكري، عن شيخه الشيخ عبد الخالق الغجدواني، عن شيخه الشيخ يوسف الهمداني، عن شيخه الشيخ أبي علي الفارمدي، عن شيخه الشيخ أبي الحسن الخرقاني، عن شيخه الشيخ أبي يزيد البسطامي، عن شيخه الشيخ جعفر الصادق، عن شيخه الشيخ القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، عن شيخه سيدنا سلمان الفارسي، عن شيخه سيدنا أبي بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ، عن سيد الوجود وحبيب رب العالمين سيدنا محمد ﷺ، عن الروح الأمين سيدنا جبريل عليه الصلاة والسلام عن حضرة الحق سبحانه وتعالى.

وأوصيه بالكتاب والسنة، وتصحيح العقائد بمقتضى آراء أهل السنة والجماعة الذين هم الفرقة الناجية إن شاء الله، وأوصيه بتوقير حملة القرآن والفقهاء والفقراء، وبسلامة الصدر وسماحة النفس، وسخاوة اليد، وبشاشة الوجه، وبذل الندى، وكف الأذى، والصفح عن عثرات الإخوان، والنصيحة للأصاغر والأكابر، وترك الخصومات وترك الطمع، وبالاعتماد في قضاء الحوائج على الله عز وجل، فإنه سبحانه لا يضيع من عوّل عليه، وأن لا يرجو النجاة إلا بالصدق، وبالوصول إلى الله تعالى باتباع سيدنا محمد ﷺ، وأن لا يظهر أنه أفضل من أحد، بل لا يرى لنفسه وجوداً، وكل من يتطاول عليه بالبغي والحسد يفوض أمره إلى الله تعالى، ولا يتكلف في دفع شرهم بالهمة، فإن مشايخ الطريقة تتدكدك من هممهم الجبال، وصلى الله على سيدنا محمد النبي وعلى آله وصحبه وسلم عدد خلقه ورضاء نفسه ومداد كلماته وسلم تسليماً والحمد لله رب العالمين.

حرر ٢١ ربيع الثاني ١٣٩٣ هـ، الموافق ٤ أيار ١٩٧٣ م

خادم الفقراء

عبد الباسط أبو النصر خلف

وبعد الإطلاع على ما ورد في هذه الإجازة من قبل أخينا في الله تعالى عبد الباسط بن الشيخ محمد أبي النصر إلى ولدنا الشيخ محمد أديب حسون، فإنني أوافق عليها وأجيزها، نفع الله به المسلمين.

يوم السبت ٢٩ ربيع الثاني ١٣٩٣ هـ، الموافق ١٢ أيار ١٩٧٣م

محمد النبهان

إجازة الشيخ محمد النبهان قدس الله روحه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد حبيب رب العالمين ورسوله النبي الأمي، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: فقد درج أهل العلم والطريق رضي الله عنهم أجمعين بالإجازة لمن يرون فيه الأهلية لتبليغ العلم بالإخلاص، ونشر الطريق بالصدق، لتكون سلسلة العلم والطريق موصولة بالسادات إلى سيد السادات حبيبنا وسيدنا رسول الله ﷺ، الموصول بالرسالة والنبوة والولاية بالحضرة الإلهية المقدسة، هذا ليكون لنا شرف الاتصال المستمر برجال السلسلة النقشبندية، وليكون لنا الأثر الباقي بعدنا في إحياء معالم السير والسلوك إلى الله تعالى، لذلك فقد أذنت لولدنا الشيخ محمد أديب حسون بتربية الإخوان على اتباع الكتاب والسنة، وبإدارة ختم السادة النقشبندية، وتلقين الذكر كما أذن لي شيخي الشيخ محمد أبو النصر خلف رحمه الله ورضي عنه، وعن والده الشيخ محمد سليم خلف. (وهكذا ذكر السلسلة كما ذكرت في الإجازة السابقة عن شيخنا الشيخ عبد الباسط إلى آخرها)، ثم قال:

هذا وإني أوصيه بنشر العلوم مع صحة العقيدة على هدي أهل السنة والجماعة، وألا يقصر في الخدمة والنصح للجميع، وأوصيه بتوقير حملة القرآن وأهل العلم والعمل عامة، وأهل الله خاصة، مع سلامة الصدر من كل وصف يبعده عن الصراط السوي، وأوصيه بمحاسبة النفس دائماً، وإقامة الميزان الشرعي عليها، فما فاز أهل الله إلا بتزكيتهم نفوسهم

ومحاسبتهم لها على الصغير والكبير من الأمور. هذا وإن ما ورد في هذه الإجازة المباركة يتوافق مع الإجازة التي أوحينا إلى أخي الشيخ عبد الباسط بن شيخنا الشيخ محمد أبي النصر قدس الله روحه بإعطائها لولدنا الشيخ محمد أديب حسون، والتي جرى موافقتنا وتوقيعنا عليها.

كما أوصيك يا ولدي بالتعاون معه على نشر الطريق والدعوة إلى الله تعالى، وعليك يا ولدي بعلو الهمة وصدق الطلب، والله يتولاك ويرعاك وإخوانك بما يتولى عباده الصالحين، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

السبت ٢ جمادى الأولى ١٣٩٣ هـ، ٢ حزيران ١٩٧٣م،

الخادم إلى الله تعالى:

محمد النبهان

إجازة سيدي محمد بلقائد بـ (الطريقة الشاذلية)

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

(سند الطريقة الهبرية، الدرقاوية، الشاذلية).

الحمد لله الذي ملأ قلوب أوليائه بمحبته، وخص أرواحهم بشهود عظمته، وهيأ أسرارهم لحمل عبء معرفته، فقلوبهم في روضات جنات معرفته يحبرون، وأرواحهم في رياض ملكوته يتنزهون، وأسرارهم في بحار جبروته يسبحون، فاستخرجت أفكارهم يواقيت العلوم، ونطقت ألسنتهم بجواهر الحكم ونتائج الفهوم، فسبحان من اصطفاهم لحضرته، واختصهم بمحبته، منهم بين سالك ومجذوب، ومحب ومحبوب، أخفاهم في محبة ذاته، وأبقاهم بشهود آثار صفاته.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد منبع العلوم والأنوار، ومعدن المعارف والأسرار، ورضي الله تعالى عن أصحابه الأبرار، وأهل بيته الأطهار، ومن اقتفى آثارهم بالتفكير

والاعتبار، وحفظ الله الطائفة الهبرية من الأكدار والأغيار.

نور القلوب وريّ روح الوارد تزهـــو بسلســـلة لهـــا ذهبيـــة

هبرية تدني الوصول لعابد من شاهد للمصطفى عن شـــاهد

وبعد: فمن الراجي عفو ربه الكريم محمد بن قائد كان الله له، إلى ولدنا في الله تعالى الشيخ محمد أديب حسون، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته تعمكم وتغيبكم فيه عنكم حتى لا تشهدوا سواه.

ثم بعد؛ فقد أذنا لكم في أوراد طريقتنا الهبرية الدرقاوية الشاذلية بأجمعها، وذكر لا إله إلا الله في كل وقت وحين، من غير حصر ولا عدد حتى تمتزج بلحمكم ودمكم، وعروقكم وروحكم وسركم، فإن من واظب عليها غيبته عن وجوده وسمع خطاب ربه، وأجزتكم إجازة عامة في تلقين ما ذكرناه لمن اجتباه ربه بعنايته وجعله من أهل وده ومحبته وقربه وخصوصيته، كما أذن لنا قدوة السالكين وقطب الواصلين، إثمد بصرنا ونور بصيرتنا وصفاء سريرتنا، الشريف العزوي الإدريسي الحسني شيخنا، وسيدي محمد الهبري، وهو عن والده قطب الأحوال وبحر الأحوال الشيخ الكامل سيدي محمد بن محمد سيد أحمد العزوي، عن الشيخ المربي الكامل أبي عزة المهاجي الحسني، عن قطب الدائرة ومظهر التجليات الشريف الحسني ومولاي العربي بن أحمد الدرقاوي رضي الله عنهم أجمعين.

ثم ساق الشيخ سند الطريق برجاله إلى سيدي أبي الحسن الشاذلي، إلى سيدنا رسول الله ﷺ، ثم قال:

هذا وأوصي المجاز ونفسي بتقوى الله، واتباع نبيه الكريم في الأقوال والأفعال، والله يوفقنا وإياكم لما فيه رضاه ويعيننا جميعاً على طاعته وتقواه. آمين.

الإمضاء: إمام جامع سيدي مرزوق **محمد بلقائد**

أقول: وقد أكرمني الله سبحانه باللقاء بهذا السيد الكريم – بلقائد – عدة مرات في

الحرم النبوي الشريف، ثم أجازني بورد السعادة في الحرم النبوي بعام ١٤٠٠ هـ، ثم التقينا به بصحبة سيدي الوالد بعام ١٤٠٦ هـ، لدى أحد الأحباب في المدينة المنورة رحمه الله تعالى، وهو ذو هيئة محمدية محبوبة، ووجه أزهر أنور تزينه لحية بيضاء، ووجه يشبه وجه سيدي الشيخ محمد النبهان حتى تخاله إن لم تعرفه من قبل أنه هو، وقد توفي مؤخراً في الجزائر في تلمسان بعام ١٤٢٠ هـ، رحمه الله تعالى ونور ضريحه.

آثاره العلمية: ولقد قضى شيخنا محمد أديب عمره المنصرم متعلماً ثم معلماً، فبعد أن درس في المدرسة الخسروية ونال شهادتها العلمية، شغل وقته كله في العلم والتعليم سواء كان في المساجد التي ذكرناها أو معلماً للأطفال مع زميليه الفاضلين العالمين الشيخ بكري رجب رحمه الله تعالى، والشيخ أحمد القلاش أمد الله في عمره، أو في المدارس الشرعية.

فقد تولى التدريس في المدرسة الشعبانية، ثم المدرسة الخسروية (الثانوية الشرعية حالياً)، ثم الثانوية الشرعية للإناث، ثم دار نهضة العلوم الشرعية (الكلتاوية)، وانتفع بدروسه في الفقه والحديث والتفسير والأخلاق الآلاف من الطلاب والعامة الذين تخرجوا عليه، علماً وعملاً وسلوكاً وتقوى، وبخاصة الذين واظبوا على الذكر وتلقوا منه الطريق النقشبندي، وقد لازمته وانتفعت به ولله الحمد طيلة بقائي بحلب، ولازمت مسجده وعهد إليّ بتدريس الطلاب في دورات علمية أقيمت في مسجده (أسامة بن زيد)، وكان المسجد ولا زال مدرسة جامعة للعلم والتقوى والتخلق والسلوك لكل المؤمنين المحبين رجالاً ونساءً، وبالإضافة إلى دروسه ومذاكرته مع إخوانه في معظم أيام الإسبوع، وقراءته الدروس الخاصة لهم، وكنت ممن لازمها مع خاصة الإخوان – حيث قرأ لنا في التصوف والحديث والفقه وغيرها – فإنه أمد الله في عمره ترك آثار علمية من مؤلفاته وتصانيفه منها:

- إرشاد الطالبين لزيارة البلد الأمين. في مناسك الحج.
- أوراد الصباح والمساء في الأذكار.
- التفسير الأنيق لسورة يوسف الصديق.
- مختصر العهود الكبرى للشعراني، أسماه (الأنوار المحمدية).

- مختصر التاج في الحديث الشريف، أسماه (مختصر التاج من كلام النور الوهاج).

ومن آثاره النافعة ولله الحمد أن أنشأ أولاده على طلب العلم الشرعي، فتخرج معظمهم علماء عاملين، وأولهم ولده الكريم الشيخ عبد الباسط رحمه الله [1]، ثم الشيخ أحمد بدر الدين، ثم الشيخ عبد الله، ثم الشيخ محمود، وكان بقية أولاده درسوا العلم الشرعي الشريف، ولكن منهم من توجه بعد ذلك إلى أعمال التجارة حفظهم الله ووفقهم إلى كل خير، وأمد في عمره مع العافية التامة وزيادة النفع والتقوى.

* وقد عين ولده الشيخ أحمد مفتياً لحلب بعام ١٩٩٩ م، ثم مفتياً للجمهورية خلفاً لسماحة الشيخ أحمد كفتارو بعام ٢٠٠٥م.

* وقد ترجم صاحب كتاب (مائة أوائل من حلب) لأستاذنا الشيخ محمد أديب حسون ترجمة مسهبة في الجزء الأول ص٣٧٩ مع صورته، وخلاصة هذه الترجمة مذكورة مفصلة في ترجمته التي أثبتناها آنفاً.

وفاته: توفي شيخنا محمد أديب حسون يوم الإثنين بعد المغرب ١٨ جمادى الآخرة ١٤٢٩هـ الموافق ٢حزيران ٢٠٠٨م، ودفن في ساحة جامع أسامة بن زيد ﷺ رحمه الله ونور ضريحه.

---

[1] توفي الشيخ عبد الباسط في ربيع الثاني ١٤٢٩ الموافق أول أيار ٢٠٠٨.

العالم الفقيه، والفاضل النبيه

الشيخ محمد فوزي فيض الله الحلبي

(١٣٤٤ هـ) (١٩٢٥م) أمدّ الله في عمره مع العافية

هو الشيخ العالم الفاضل، والأستاذ الفقيه الأصولي، الدكتور محمد فوزي فيض الله، حفظ الله، المولود بعام ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٥م، في مدينة حلب حي البياضة، من أبوين صالحين تقيين، غذياه بالعلم وحب الصالحين، ومحبة أهل الطريق [١].

قال حفظه الله: تعلمت في المدارس الابتدائية في حلب، ثم لما انهيت الدراسة الابتدائية توجهت لطلب العلم، فانتسبت للمدرسة الخسروية، إذ إنها كانت قبلة أهل العلم في كافة أنحاء المدن السورية، وكان هذا بعام ١٣٥٧ هـ، ٣٧-١٩٣٨م، وكان معظم طلاب الخسروية من تلامذة الشيخ أبي النصر ومريديه، ويسر الله لي لقاء ذلك المرشد الكبير في حلب، وكان أول لقاء في حارة الباشا فأخذت الورد عنه، وبايعته ولقنني الذكر بذلك العام ٣٧ أو ١٩٣٨م، وحافظت على أورادي وأذكاري، وكان الشيخ عيسى البيانوني يتعهدنا في غياب الشيخ، إذ هو أستاذنا في المدرسة الخسروية، وكان يقرأ لنا درساً خاصاً في بيته أنا وزميلي المرحوم الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، وكان شيخنا البيانوني يمزج العلم بالتوجيه الأخلاقي، وكنا عنده أميل للعلم، مع أنه كان لا يفتر عن الصَّلاة والسَّلام على سيدنا رسول الله ﷺ ليلاً أو نهاراً، لقد كان دائم الصلاة والتسليم عليه، قائماً وقاعداً حتى أثناء الدرس، وكان له سبحة كهرمان لا أزال أذكرها.

قال: ولقد بايعت الشيخ أبا النصر بالطريق النقشبندي رغم أن أبي كان شاذلياً، ووالدتي رفاعية الطريق، وتوجهنا للعلم أنا ورفاقي في الخسروية، وكان عندنا ميل عظيم له، وكان

---

[١] أفادني بهذه الترجمة أستاذنا ذاته يوم زيارته في بيته في حلب جمادى الآخرة ١٤٢٣ هـ، الموافق آب ٢٠٠٢.

من رفاقي في المدرسة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، والشيخ حسن الرزوق (الخطابي الحموي)، ومحمد البكار التادفي، وموسى عبد الكريم الزيادي، وعبد الله الخطيب، وفياض الأسود، وعلي الجيني، ورشيد عساف، وصالح الرفاعي، وحسن المكتبي. كنا أحد عشر خريجاً وكنت أولهم، وكان تخرجنا بعام ١٣٦١ هـ - ١٩٤٢ م.

وكان أساتذتنا في الخسروية أكابر علماء حلب: الشيخ محمد سعيد الإدلبي، والشيخ أحمد الكردي، والشيخ إبراهيم السلقيني وابنه محمد بعد أبيه، والشيخ راغب الطبّاخ، والشيخ عبد الله حماد، والشيخ عيسى البيانوني، والشيخ مصطفى الزرقا بعد أبيه، والشيخ محمد الجبريني، وقد وقع على شهادتي وكان قرين الشيخ النبهاني وقريبه، ومات مبكراً و لم يعمر كثيراً، وكان له تأثير خاص علينا هو والشيخ عيسى البيانوني، وكذلك الشيخ نجيب خياطة، والشيخ أسعد العبه جي، وكان مديرنا الشيخ مصطفى باقو.

وكان الشيخ عيسى يقول لنا: يا أولادي لا تنظروا إلى من قال، وانظروا إلى ما قال. وانتفعنا به كثيراً، كما انتفعنا بالشيخ إبراهيم السلقيني، الذي كان يقرأ لنا أيضاً درساً خاصاً أنا وأخي الشيخ عبد الفتاح، وكان يقرأ لنا الأزهرية في النحو، في زاوية بيته في باب المقام، وذلك بعدما كف بصره وتجاوز الثمانين من عمره، وقد درسنا عليه بعد وفاة الشيخ عيسى البيانوني.

ولقد كنت ألتقي شيخنا أبي النصر رحمه الله كلما جاء إلى حلب، وأحضر مجالسه، لكني بعد ذهابي للأزهر انقطعت عنه، إذ أننا تقدمنا بطلب الانتساب إلى الأزهر أنا وأخي الشيخ عبد الفتاح، وساعدنا الشيخ جميل عقاد رحمه الله، وجاءني القبول قبل أخي الشيخ عبد الفتاح، وكان هذا سنة تخرجي من الخسروية، وتخرجت من الأزهر بعام ١٩٤٧م، بالإجازة في الشريعة، وحصلت على دبلوم القضاء الشرعي بعام ١٩٤٨م، ثم دبلوم تخصص القضاء الشرعي، ثم الدكتوراه بالآداب من جامعة فؤاد الأول بعام ١٩٥٣م.

كما حصلت على دبلوم الدراسات العليا في لهجات العرب بعام ١٩٥٥-١٩٥٦م، وكنت أثناء الدراسات أُدَرِّس في الثانوية الشرعية بحلب.

أقول: وقد كان أستاذنا في الشرعية بمادة الأدب، كما كان أستاذنا في كلية الشريعة بجامعة دمشق بالفقه.

آثاره العلمية: أصدر الشيخ عدة كتب أولها رسالة الدكتوراه: (المسؤولية التقصيرية بين الشريعة والقانون)، وذلك لجامعة الأزهر ١٩٦٣م، والتعريف بالفقه الإسلامي، المذاهب الأربعة والمندثرة، ونظرية الضمان في الفقه الإسلامي، وأخيراً كتاب الإلمام بالأحكام، كما أعد مقررات الطلبة في كلية الشريعة لمادة الفقه وأصوله مع مقرر اللغة العربية.

وعندما نقل من كلية الشريعة إلى وزارة الصحة، كانت فرصة له ليعد بحثاً للموسوعة الفقهية الكويتية، ويلقي محاضراته لطلبة كلية الإمام الأوزاعي في بيروت، وكان أول من درس فيها وذلك بعام (١٩٧٨-١٩٧٩) تقريباً.

ثم طلبته جامعة الكويت، فدرس فيها حتى عام ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م، وبعدها صار مستشاراً فقهياً مع مجموعة من إخوانه أهل العلم لمجموعة من الشركات التجارية هناك.

ولما سألته إن كان لا يزال يواظب على أوراده النقشية بعد ؟ قال حفظه الله: لما كنت في الخسروية كنت أواظب على وردي، وانقطعت عنه في الأزهر، ولما عدت إلى دمشق تابعت أورادي لدى بعض الإخوان النقشبنديين الذين كانوا يجلسون للذكر في شارع أبي رمانة من أتباع سماحة الشيخ أحمد كفتارو، وكان قريباً من سكني، وكان وقتهم مناسباً لي، في الصباح الباكر قبل الذهاب للجامعة، ولا زلت مواظباً على الورد والحمد لله.

وقلت له: ما هي نصيحتك لطلاب العلم ؟ فقال: طلبوا مني هذا وأنا في الكويت، وأقول لهم ما قاله شيخي الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر الأسبق رحمه الله قال: نصيحتي لطلبة العلم:

١- أن يأخذوه من مصادره ومن أهله، وأن يكونوا أمناء عليه.

٢- أن تفتح صدرك لطلاب العلم، فإنهم مفاتيح علمك.

وقد قال لي هذا بعدما قرأت عليه في الفحص لأول مرة قراءة عربية فصيحة، فقال لي: ستكون أستاذاً وأوصيك بوصيتين - وذكر الوصية الآنفة - ونصيحتي أنا لطلاب العلم

هي هذا، وأن يتوسعوا في البحث، ولما ذاكرناه في فتاوى الشيخ شلتوت في الربا، قال: إنه رجع عن فتاويه في هذا الأمر. ولله الحمد.

ولما سألناه عمن تأثر بهم من العلماء في العلم والسلوك قال: تأثرت علمياً بالشيخ مصطفى الزرقا في حلب ، وفي مصر في الأزهر بالشيخ عفيفي عثمان، وفي الحقوق بالشيخ محمد أبي زهرة، وكان من وصاياه لي وكراماته أن قال لي بعد أن أركبني بسيارته وأدخلني للبيت: (أنت ذاهب إلى سورية، أوصيك أن تقول الحق، بلطف وبغير عنف، مهما كلفك الأمر، فإذا أخرجت من الجامعة فلا تلتفت إليها، ولا ترجع إلى الوراء).

وكان هذا القول بعام ١٩٦٣ م، فأخرجت من الجامعة بعام ١٩٧٨، وتذكرت كلام شيخي أبي زهرة وترحمت عليه، وقلت: هذا من كراماته رحمه الله.

وتأثرت سلوكياً بالشيخ عيسى البيانوني، إذ إن ملازمتي له كانت أكثر من أشياخي الآخرين. اهـ.

حفظ الله شيخنا ووفقه لصالح القول والعمل، وأمد في عمره مع تمام العافية والتوفيق إنه سميع مجيب.

* وردت ترجمة لأستاذنا الفاضل الشيخ محمد فوزي فيض الله في كتاب (مائة أوائل من حلب)، ج١ ص٤٠٧.

* وقد جرى تكريمه على مدرج جامعة حلب، في اليوم الأول من برنامج الندوة العلمية عن جهود علماء حلب في العلوم الإسلامية، يوم الأحد ٢٤ محرم ١٤٢٨هـ، الموافق ٢٠٠٧/٢/١، وذلك بمناسبة افتتاح كلية الشريعة بجامعة حلب.

* قال عبد الله المسعود: حضرت هذه المقابلة وما جرى فيها مع أخي الشيخ محمد زكريا "المؤلف" حفظه الله تعالى.

وهناك كتاب خاص عن الشيخ محمد فوزي فيض الله حفظه الله تعالى، ومقالة لي بزيارة ثانية له في مزرعته.

المبحث الثالث

تراجم العلماء الحمويين

من مريدي الشيخ أبي النصر الحمصي النقشبندي

- مقدمة وتمهيد عن عائلة المراد .

١- الشيخ محمد سليم المراد، المتوفى ١٣٠٨هـ - ١٨٩٠م

٢- الشيخ محمد علي بن الشيخ سليم المراد، المتوفى ١٣٤٢هـ - ١٩٢٤م

٣- الشيخ أحمد بن الشيخ سليم المراد ، المتوفى ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م

٤- الشيخ عبد العزيز بن الشيخ أحمد سليم المراد، المتوفى ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

٥- الشيخ محمد سيادي بن الشيخ أحمد سليم المراد، المتوفى ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م

٦- الشيخ محمد بشير بن الشيخ أحمد سليم المراد، المتوفى ١٤٠٤هـ - ١٩٨٢م

٧- الشيخ محمد علي بن محمد سليم بن محمد علي بن سليم المراد، المتوفى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

- ومن العلماء الحمويين:

٨- الشيخ محمد الحامد، المتوفى ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م

٩- الشيخ موسى بن حسين الحاج موسى الحلفاوي، المتوفى ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م

١٠- وولده الشيخ محمد الموسى "أبو كلال"، المتوفى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

١١- الشيخ حسن رزوق الخطابي، المتوفى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

١٢- الشيخ محمد توفيق الصباغ، المتوفى ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

١٣- الشيخ محمد منير لطفي.

١٤- الشيخ عبد الحميد طهماز.

مقدمة وتمهيد

عن عائلة آل المراد

كان العالم العامل المحقق الشيخ محمد سليم المراد – كما وصفه ولده الشيخ أحمد سليم المراد – من علماء حماة المعدودين، وهو جد آل المراد أهل العلم والفضل في مدينة حماة، وبيتهم – أي بيت الشيخ سليم المراد، كما قال سيدي الوالد في ثبته – في حماة كبيت الشيخ سليم الخلف في حمص، ولهم صلة بهم.

وقد تلقى هذا الفاضل الشهير والشيخ الكبير الطريق النقشبندي عن الشيخ سليم خلف، كما أفادني حفيده الحاج إبراهيم المراد.

ومن شيوخه في العلم علامة الزمان الشيخ محمد الدباغ أمين الفتوى بحماة، كما يُعلَم من إجازة ولده الشيخ أحمد سليم إلى الشيخ أحمد الكعكة الحمصي، والتي سنثبتها في ترجمة الشيخ أحمد سليم بعد هذه الترجمة.

وقد كان حفيده الشيخ محمد علي بن محمد سليم بن محمد علي بن الشيخ محمد سليم المراد، الذي جاور في المدينة آخر حياته وتوفي فيها بعام ٢٠٠٠ م، قد جمع تراجم السادة العلماء من آل المراد ونبذاً صالحة عنهم لعل الله ييسِّر نشرها على يد أحد أجلاء هذه العائلة الكريمة من العلماء، زادهم الله فضلاً وتوفيقاً، وعزاً وكرامة.

وقد أنجب هذا العلم الشهير والولي الكبير **الشيخ محمد سليم** ثلاثة أولاد علماء أفاضل هم:

الشيخ محمد علي: توفي بعام ١٣٤٣هـ – ١٩٢٤م.

والشيخ أحمد: توفي بعام ١٣٧٩هـ – ١٩٥٩م.

والشيخ حسن: رحمه الله ...

كما ولد له ولدان آخران هما: محمد مراد والشيخ ناجي، وقد توفي الأخير شاباً دون زواج.

أما أولاد **الشيخ محمد علي** فهم: محمد سليم، والشيخ محمد ظافر، والشيخ محمد نجيب، والشيخ محمد شامل.

وأما أولاد **الشيخ أحمد** فهم: الشيخ عبد العزيز، والشيخ محمد سيادي، والشيخ محمد بشير، وكلهم علماء.

وأما أولاد الشيخ عبد العزيز بن الشيخ أحمد فهم السادة العلماء الأفاضل: الشيخ أحمد المتوفى بعام ١٩٨٢م والأستاذ عبد الودود، والشيخ مصطفى، والشيخ ناجي، والشيخ فضل، والشيخ صالح، والشيخ عبد المنعم؛ فكلهم ممن درس العلوم الشرعية العالية وحصلوا التحصيل الوافي منها، وأغلبهم في البلاد السعودية والخليج.

وقد أفادني العم الكريم والصديق القديم الحاج إبراهيم المراد "أبو اسماعيل"، أثناء زيارتي له في بيته الكريم في حماة في أواخر ذي القعدة ١٤٢٢هـ ببعض ما تسعفه الذاكرة عن أحوال هؤلاء العلماء الأفاضل من آبائه وإخوته وبني عمه.

وفي آخر عُمْرة لي، في أوائل شهر رمضان ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، توجهت إلى جدة وزرت العالم الفاضل الشيخ سعد المراد بن الشيخ محمد سليم، شقيق الشيخ محمد علي، وطلبت منه نسخة مما دونه أخوه الشيخ محمد علي المراد عن تاريخ عائلتهم الكريمة فأعطانيه مشكوراً، وأنا أثبت منه ما دوَّنه فيه مترجماً علماء هذه العائلة، الذين لهم صلة بأسيادنا الشيخ سليم خلف وأولاده رحمهم الله أجمعين.

أما والدهم السيد **محمد سليم** بن الشيخ العالم العلامة محمد علي بن الشيخ الكبير محمد سليم المراد، فلم يطلب العلم، وإنما كان من أهل الشهامة والمروءة، وعلمهم مكارم الأخلاق، وأخلاق المكارم مع الفروسية وركوب الخيل، وكانوا نقشبنديين، وصلتهم بآل الشيخ سليم والشيخ أبي النصر صلة وثيقة.

وأما الشيخ **محمد ظافر** المراد بن الشيخ العلامة محمد علي بن محمد سليم المراد الكبير فقد كان يسمى الفقيه الصامت، وكان شيخُ حماة الشيخُ محمد الحامد إذا أشكلت عليه مسألة فقهية يسأل عنها الشيخ محمد ظافر، ويقول عنه أخونا الشيخ حسين الموسى "أبو أنس" من حلفايا: كان الشيخ ظافر حجة في العلم، وما كان يحب أن يُعرف، وكان يحب الفقراء والمساكين ويخدمهم بنفسه، وكان لديه مضافة، وكان يطعم الفقير والمريض بيده.

وقال لي:كان أولاد الشيخ –محمد علي بن الشيخ محمد سليم المراد – كلهم فقهاء، علماء حنفيين، **وكلهم نقشبنديون**، تلقى الكبار منهم الطريق عن الشيخ محمد سليم خلف، وأولادهم ومن دونهم عن ولده الشيخ أبي النصر رحمهم الله وقدس أسرارهم، وقد توفي هذا الفقيه الشيخ محمد ظافر بعام ١٣٩٠ –١٩٧٠م.

وأما الشيخ **محمد نجيب المراد** بن الشيخ محمد علي بن محمد سليم المراد فقد كان خطيباً بجامع "الجديد" جامع بيت المراد، وتوفي بعام ١٣٩١– ١٩٧١م، وكان يعمل في المحكمة الشرعية، واليه كانت تسند عقود الزواج.

وأما الشيخ **محمد شامل المراد** بن الشيخ محمد علي بن سليم المراد فقد كان إماماً لمسجدهم (الجديد)، ويعمل بعد الشيخ محمد نجيب بعقود الزواج، ودرس العلم على أشياخه من آل المراد وكانت عليه سيما العلم.

أقول: وقد التقينا به أثناء زيارتنا لحماة مع شيخنا عبد الباسط بعام ١٣٩٩–١٩٧٩م وكان في أواخر عمره ذا شيبة منوَّرة، وقد كتبت عنه نشيدة أم محمد التلاوية في مدحها الشيخ سليم خلف (حبك في البرايا محاني) التي أثبتها في أول الكتاب؛ آخر بحث (شهادة من أهلها)، وتوفي رحمه الله تعالى في حماة بعام ١٤٠٠ هـ – تموز ١٩٨٠م.

❁ ❁ ❁

وقد أفاد أستاذنا الشيخ محمد علي المراد – كما هو مدون في ثبته – أن أول من جاء إلى حماة من أجدادهم الأكراد هو مراد آغا بن خالد آغا، من العشيرة الزركية المتفرعة من المللّية، وذلك من قرابة مائتي سنة، (من تاريخ كتابة الثبت بعام ١٤٨٢هـ –١٩٩١ م).

وإن بلدهم الأصلية التي نزح منها الجد مراد آغا هي (وان) شرق تركيا، وسكن في حي (الفراية) في حماة، وبقي هذا السكن لذريته حتى الآن.

وقد تزوج مراد آغا الكردي في حماة من أسرة بني المليح، وأنجب هذا الجد (مراد آغا) ثلاثة ذكور وبنتاً واحدة، وسبب شهرة العائلة هو الشيخ محمد سليم المراد، بسبب علمه وصلاحه.

وهذه ترجمة الشيخ محمد سليم المراد مفصلة، أنقلها مع بعض التصرف من ثَبْت حفيده الشيخ محمد علي المراد، تحت عنوان: (الشيخ محمد سليم مراد الأول).

الشيخ محمد سليم المراد الأول

المتوفى عام (١٣٠٨ هـ) (١٨٩٠م)

كتب الشيخ محمد علي المراد: عاش هذا العالم عيشة الفقر، وتعلم الكتابة على الجرة من الفخار، فكلما امتلأت من الكتابة محاها وأعاد الكتابة حتى تعلَّم.

شيوخه: قرأ العلم على الشيخ حسن حميدان رحمه الله تعالى، والشيخ محمد الدباغ أمين الفتوى بحماة، وهو مشهور بعلمه ومؤلفاته العديدة التي لم يطبع منها شيء، وكان في مكتبة الجد بعض مؤلفاته، ومنها حاشية على متن (كفاية الغلام) وشرحها كلاهما للنابلسي، وهي مجلدان ضخمان خطاً، وغير ذلك من الكتب والرسائل، رحمه الله تعالى.

والشيخ الدباغ هو الشيخ محمد بن حسن بن علي الدباغ، ويتصل نسبه بسيدنا عكرمة الصحابي ﷺ، وذريته صارت مشهورة بـ (أمين الفتوى) لأن أمانة الفتوى انتقلت بعد وفاته لولده الشيخ أحمد الدباغ ثم إلى ولده الشيخ عبد الهادي.

وقد توفي الشيخ محمد الدباغ سنة ١٢٨٨هـ رحمه الله تعالى.

وقد سافر الشيخ محمد سليم المراد إلى مصر، ثم إلى الحج، واجتمع في مصر ببعض العلماء الكبار وعلى رأسهم شيخ الجامع الأزهر الشيخ إبراهيم الباجوري صاحب التآليف الكثيرة في كل فن، وأجاز الشيخ الباجوري للشيخ محمد سليم بالعلوم كلها بعد الاستخارة الشرعية، كما أخذ إجازات عديدة من علماء الأزهر، حيث كتبوا له الإجازات وأعطوها إياه.

يقول الشيخ محمد علي: (وكلها محفوظة عندي والحمد لله في حماة في دفتري الخاص بالإجازات).

وقد اشتهر الشيخ محمد سليم المراد بعلمه وفضله وصلاحه، في حماة وخارجها في القرى، بسبب الفتاوى وأجوبة المسائل الشرعية، والدروس الخاصة والعامة، وكتابة العقود الشرعية في البيع والشراء وغيرها؛ فقد كان العالم كحاكم في محكمة، وذلك في المسجد، فهو مرجع لحل مشاكل الناس من ذكور وإناث.

تلاميذه: وقد تخرج على يده ولده الشيخ محمد علي المراد الأول، والشيخ محمد سعيد لطفي المتوفى سنة ١٣٧٠هـ، والشيخ حسين الخطيب الطيباني، وغيرهم.

شيوخه في الطريق النقشبندي: كان يشتغل في الطريق والذكر دائماً، حتى كان له مجرى للدمع على خديه لكثرة البكاء، فقد أخذ الطريقة النقشبندية عن الشيخ عبد اللطيف (التلاوي) من تلبيسة مع الإجازة، وقد أيد هذه الإجازة الشيخ محمد سليم خلف الحمصي المتوفى ١٣٢٨هـ، وإن الإجازة عندي والحمد لله، - وقد ذكرنا أن الشيخ عبد اللطيف من خلفاء الشيخ الطوزقلي - وأخذ الطريقة الرفاعية من بيت الحريري، وأخذ الطريقة القادرية من السادة الكيلانية بحماة، وأخذ الطريقة البدوية من بيت الشيخ جدوع فيما أظن، والله تعالى أعلم.

وكان الشيخ محمد سليم المراد يصلي إماماً في جامع الأربعين في حي البرازية، ثم انتقل إلى الجامع الجديد، وباشر وظائفه كلها إلى أن توفي رحمه الله يوم الإثنين ١٢ ربيع الأول ١٣٠٨هـ.

ذريته: تزوج عدة زوجات وولد له: الشيخ محمد مراد، والشيخ محمد علي من زوجته عدلة، والشيخ ناجي الذي توفي شاباً دون زواج من زوجة أخرى، ثم ولد له الشيخ أحمد والشيخ حسن من زوجته فاطمة بنت عمر الشحيمي.

وإن الذي نبغ من العلماء من ذرية الشيخ محمد سليم المراد اثنان: الشيخ محمد علي والشيخ أحمد.

العالم الخطير، والولي الشهير

الشيخ محمد علي المراد الكبير بن الشيخ محمد سليم

المتوفى عام (١٣٤٣ هـ) (١٩٢٤م)

هو العالم العامل والمرشد الكامل والولي الفاضل، الشيخ محمد علي بن الشيخ محمد سليم المراد، الأستاذ الفاضل والمربي الكامل للتلاميذ والمريدين، من أفاض الله على يديه العلم والتحقيق، والطريق والتدقيق.

ولد رحمه الله تعالى في حماة وتلقى العلم عن شيوخها، والطريق عن مربيها الكامل ومرشدها الفاضل والده الشيخ محمد سليم، ومرشد عصره الشيخ محمد سليم خلف أيضاً، كما تلقى العلم تعلماً وتدقيقاً ودراسة وتحقيقاً وإجازة عن والده وشيخه الشيخ محمد سليم المراد.

وكما تلقى علوم الحديث الشريف بالإضافة إلى الفقه والنحو والتفسير والتصوف عن والده، فإنه تلقى كتب الحديث عن شيخه الشيخ العالم المحدث الشيخ محمود النشابه الطرابلسي. (كما هو وارد في إجازة تلميذه أخيه الشيخ أحمد إلى الشيخ أحمد الكعكة الحمصي).

وقد تولى الشيخ محمد علي تربية إخوته وأخواته بعد وفاة أبيه بعام ١٣٠٨هـ-١٨٩٠م، وتولى بالخصوص العناية بأخيه الولي الكبير والعالم الشهير الشيخ **أحمد سليم** الذي صار أميناً لفتوى حماة بعد وفاة أمينها، واشتهر أخوه أحمد بالولاية والعلم والفضل والكمال والتواضع الجم، وقد كان الشيخ **محمد علي** جبلاً راسخاً في العلم والطريق، وفي الفتوى إليه المرجع، وعنده يقف أهل البحث والتدقيق.

أقول: وأفادني حفيده الفاضل الحاج إبراهيم المراد أنه عرضت **واقعة فتوى** على عالم

حماة – في زمان جده الشيخ محمد علي – الشيخ مصطفى حنحون فأفتى الشيخ مصطفى بعدم جوازها، ولما سئل عنها جده الشيخ محمد علي أفتى بجوازها، فاستنكرْ ذلك الشيخ مصطفى وقال له: إن العلماء يخالفونك في ذلك. وأرسل الشيخ مصطفى إلى علماء المدن الشامية يستفتيهم فيها، فجاء جواب الجميع بعدم الجواز فقال له: من أين أتيت بقولك ؟ فقال: إني سمعت أبي الشيخ سليم يفتي بذلك، فقال له الشيخ مصطفى: معك فرصة عشرة أيام حتى تأتينا بدليلك على الجواز ومن أي كتاب أخذته. قال: فاعتكف الشيخ محمد علي في بيته عشرة أيام يبحث في المكتبة، ويقلب صفحات الكتب فلم يظفر بطائل، وعندما خرج في اليوم التاسع من المسجد وكانت المكتبة فيه، رأى مجذوباً كان يتردد عليه، فدعاه وقال له: يا شيخ محمد علي. فأجابه: دعني وشأني. فقال له المجذوب: لقد رأيت والدك في المنام ثلاث مرات ويؤكد عليَّ ويقول لي: لا تنس المسألة في كتاب ابن عابدين جزء كذا صفحة كذا. فلما سمع الشيخ محمد علي هذا الكلام أسرع إليه، واستوضح الرؤيا ثم توجه إلى المكتبة وفتش الكتاب فرآها ولكن في غير مكانها، وفرح أشد الفرح بالعثور عليها.

وكان قبل انقطاعه للبحث عنها يحضر حلقة العلم التي كان يعقدها في حماة الشيخ أحمد الفتوى، فجاء ذلك اليوم وعرض عليه المسألة، فقال له الشيخ أحمد: من أين أتيت بها ؟ فقال له: في كتاب ابن عابدين جزء كذا. ثم توجه بعد ذلك إلى الشيخ مصطفى حنحون، وأراه إياها فخضع حينئذ وقال له: كل فتوى لا توقع من قبلكم لا تقبل.

ونقلت من ثبت أستاذنا الشيخ محمد علي المراد الذي ذكر فيه تراجم علماء آل المراد ما يلي:

تعلم الشيخ محمد علي المراد العلم من والده، وكان يحضر درس الشيخ أحمد الدباغ بن الشيخ محمد الدباغ أمين الفتوى رحمه الله تعالى، وكان الشيخ محمد علي يرأس حلقة الدرس عند الشيخ الدباغ، وكان محبوباً لدى شيخه، وكان الشيخ أحمد مقعداً يحملونه من مكان إلى مكان لضعفه. وقد اجتمع – المترجَم الشيخ محمد علي – بعلماء كثيرين في بلاد متعددة، وحاز على إجازات عديدة منهم وكلها محفوظة لديَّ، وقد امتد علمه في

بلدته حماة وغيرها، وفي البر بشكل واسع، وانتشر خبره في كثير من البلدان أكثر من والده، لما وهبه الله من هبات، جعلت الناس يهرعون إليه في الدروس وخطبْ الجمعة، والمناسبات العديدة، (وخاصة وقد وهبه الله سبحانه الصوت الجميل، والأنغام الأصولية، واللغات العديدة، وركوب الخيل وغير ذلك).

وكان يطلب من والي البلدة (المحافظ) سجنَ بعض المخالفين لأوامر الشرع فلا يتأخر المحافظ عن تلبية طلبه، ولا يخرج السجين إلا بأمر من الشيخ محمد علي، وذكر قصة رجل استهزأ بالعلماء فأرسل الشيخ إلى الوالي فسجنه ولم يخرج إلا بعد التوبة، وكان من توبة هذا الرجل أن حلف بالطلاق الثلاث ألا يخرج من السجن إلا بعد أن يضربه الشيخ محمد علي على رأسه مائة ضربة بالصرماية (الحذاء)، ففعل الشيخ بعد أن جلب حذاءً خفيفاً لفه بالقماش، وحلّ يمينه.

تلاميذه: تخرج على يديه كثير من طلاب العلم، منهم: أخوه الشيخ **أحمد المراد** بن الشيخ محمد سليم، حيث توفي والده وهو صغير فتولى تربيته وتعليمه حتى الوفاة، كما درس على يديه ولده الشيخ **محمد ظافر** المراد، والشيخ **موسى الحلفاوي**، والشيخ محمد **زاكي دندشي**، وغيرهم من أهل البلد وأهل القرى، رحم الله الجميع.

أولاده: أما أولاده فهم كما أسلفنا: محمد سليم، محمد ظافر، محمد نجيب، محمد شامل؛ فقد حضروا على والدهم – الشيخ محمد علي – المعلومات الأولية في العلم وتركوا، إلا الشيخ محمد ظافر فقد واصل الدراسة على والده ثم عمه الشيخ أحمد المراد.

عود إلى واقعة الفتوى: وقد ذكر أستاذنا الشيخ محمد علي واقعة الفتوى السابقة في ثبته كما يلي؛ قال: وقد حصلت حادثة عظيمة للشيخ محمد علي المراد الأول؛ وذلك أنه كان يفتي لكل سائل عن حكم شرعي، فقد أتاه سائل من أسرة بيت (زوار) في بلدتنا حماة، وهي مشهورة، وكان استملاك الأرقاء والعبيد على قدم وساق، ولهم أحكام كثيرة في كتب الفقه وخاصة في المذهب الحنفي المستبحر، وكانت المسألة تزويج صبي رقيق صغير السن من رقيقة صغيرة – كما أظن – وقد اختلفوا فيمن يكون الولي لأحد القاصرين،

فلجؤوا إلى العلماء حتى يعرفوا من هو الأحق بولاية الزواج، فكان جواب العلماء سلبياً؛ لا يجوز ولاية فلان، والمسؤولون علماء حي الحاضر في حماة، فسألوا علماءْ حي السوق، فكان الجواب سلبياً، إلا الشيخ محمد علي المراد فكان الجواب إيجابياً، فانتشر الخبر في (السوق والحاضر) أن الشيخ محمد علي المراد يحلل الحرام ويفتي بخلاف العلماء جميعاً، فلما وصل الخبر للشيخ محمد علي أن الإتهام بالمخالفة الشرعية لصق به، واستُغل هذا الاتهام في حماة، عندها قام الشيخ محمد علي بالتفتيش على هذا الحكم الذي أفتى به دون مراجعة في كتاب، بل كان سمعه من والده الشيخ محمد سليم المراد (الأول) في حياته، وذلك عندما سأله سائل عن هذه المسألة نفسها وأجابه الشيخ محمد سليم بنفس الجواب، فرسخ هذا الجواب في ذهن الشيخ محمد علي منذ ذلك الوقت لندرة مثل هذه المسألة، فلما حصل ما حصل وخيفت الفتنة التي لا تحمد عقباها، باشر الشيخ محمد علي يبحث في مظانها في كل كتب الفقه الحنفي الموجودة عنده، في المسجد أو البيت، وبقي أياماً طوالاً بالبحث والتفتيش فلم يجد شيئاً في مظانها، وانقطع عن المسجد إلا في صلاة الصبح، وجعل أوقاته الليلية والنهارية لهذا البحث، وقد تُذْكَرُ بعض المسائل في الفقه في غير مظانها لندرتها، فتذكر في مكان له أدنى صلة بالموضوع، أو أدنى مناسبة ولكن لا تخطر في البال غالباً، وتضايق الشيخ كثيراً من هذه الشائعات المزعجة المتعلقة في صميم الدين بين العلماء، و لم يتيسر له وجودها لحل هذا المشكل فما العمل ؟! وليس لها إلا رب العزة لإظهار الحق وإبطال الباطل.

وفي صبيحة يوم من الأيام بعد ما صلى الصبح إماماً في الجامع الجديد، حسب عادته، وأراد الخروج من المسجد وإذا بأحد المصلين الطاعنين في السن (من بيت الرزق) يناديه بصوت عال: يا شيخ محمد علي، يا شيخ محمد علي. فأشار الشيخ إليه: لماذا ترفع صوتك ؟ فقال الرجل: إني رأيت هذه الليلة والدك يناديك هنا في المسجد، وأنت في هذه الباحة خارج الحرم وحولك علماء كثيرون كادوا يخنقونك، وقال لك: عن المسألة التي تفتش عنها هي في الكتاب الفلاني الجزء الفلاني في الصفحة كذا. فقال له الشيخ محمد علي:

أعد الرؤيا مرة أخرى. فأعادها نفسها، وحفظ اسم الكتاب ورقم الجزء والصفحة، ثم ذهب إلى البيت حسب العادة كي لا يراه أحد، من هول هذه الشائعة التي أجمع فيها العلماء كلهم على مخالفة الشيخ محمد علي المراد في حكمها، حتى أمين الفتوى الذي هو شيخ الشيخ محمد علي نفسه.

وبعد هذه الرؤيا راجع المسألة في الكتاب الذي ذكره والده مع أنه طالع فيه كثيراً ولم يجد هذا الحكم في مظانه، لأن بعض المسائل تذكر في غير موضعها لأدنى مشابهة، فلما رأى المسألة نفسها كما ذكر في الرؤيا استراح قلبه وعقله ونام نوماً مريحاً بعدما فقد النوم مدة، ثم نزل إلى الدرس بعد العصر حسب العادة عند أمين الفتوى شيخه الشيخ أحمد الدباغ، وكان الشيخ محمد علي رئيس الحلقة، فلما دخل على الشيخ ومعه الكتاب المذكور وفيه جواب المسألة ورآه الشيخ الدباغ صار يعاتبه ويلومه على هذا التسرع في الفتوى المخطئة التي أصبحت حديث الناس كلهم، وبما أن الشيخ (الدباغ) يغار على الشيخ محمد علي ويحبه لذلك صعب عليه أن يقع في هذه الخطيئة التي لا تحتمل، ولما انتهى الشيخ الدباغ من اللوم والعتاب أجابه الشيخ محمد علي: إن الفتوى صحيحة وموجودة، وهذا الكتاب الموجود معي يؤيد ذلك. فقال الشيخ (الدباغ): وأي كتاب هذا ؟ فذكر له اسمه، وفتحه وقرأ له العبارة التي تصوب ما قاله، فاستغرب الشيخ (الدباغ) من وجود هذا الجواب في مثل هذا الكتاب، وقال: إني أريد أن أرى العبارة في نسختي، فلما فتح نسخته ورآها، توقف الشيخ (الدباغ) وقال مخاطباً للشيخ محمد علي: هذه ليست من عندك؛ اصدقني كيف وصلت إليها ؟ قال: من والدي في الرؤيا، حيث دلني عليها بعد جهد طويل.

فرحم الله الشيخ محمد سليم المراد الأول، حيث كان السبب في إنهاء هذه المشكلة التي كانت لا تحمد عقباها لولا لطف الإله وستره وحفظه، ورحم الله الجميع رحمة واسعة، حيث كانت غيرتهم على الإسلام وعلى مصادره أكثر من غيرتهم على أنفسهم.

أقول: ومنها نعرف قدر العلماء الأولياء ونفعهم حتى بعد وفاتهم، نفعنا الله بهم أجمعين.

خاتمة: ولقد ورث الشيخ محمد علي المراد أباه في إقامة الشعائر الدينية، من إمامة

وتدريس وخطابة في الجامع الجديد، كما كان يقيم الحفلات الدينية، لما وهبه الله من صوت جميل وفن في النغم عظيم، وكان هذا في البلد وفي ريف حماة.

وبقي الشيخ رحمه الله تعالى في خدمة الإسلام والعلم والفتوى والمسلمين، حتى توفاه الله سبحانه في شهر ربيع الأول لسنة ١٣٤٣هـ - ١٩٢٤م ودفن بجانب والده الشيخ محمد سليم المراد الأول المتوفى ١٣٠٨ هـ، في مقبرة باب البلد، ولكنها اندرست الآن، والعياذ بالله تعالى.

القطب الكامل، والفرد الفاضل

الشيخ أحمد بن الشيخ سليم المراد الحموي

(١٢٩٨-١٣٧٩هـ) (١٨٨٠-١٩٦٠م)

هو علامة حماة، وقطبها الكامل، وفردها الفاضل، من ألقت إليه العلوم زمامها، وخضعت الفتوى إليه بمشكلاتها، العالم المتواضع، والذاكر الخاشع، الشيخ أحمد بن الشيخ محمد سليم المراد الحموي، ولد في حماة ونشأ وترعرع فيها، ورضع لبان العلم عن مشايخها وعلمائها، وأخذ الطريق عن قطب حمص الشيخ محمد سليم خلف قدس سره.

قال عنه سيدي الوالد في ثَبتِه: الشيخ أحمد سليم المراد أمين فتوى حماة، من عائلة المراد في حماة الشهيرة بالعلم والفضل، وبيتهم - أي بيت الشيخ سليم المراد - في حماة كبيت الشيخ سليم الخلف في حمص، ولهم صلة بهم، فكان المترجم رحمه الله مع فضله وجلالته وعلى ما فيه من الخصال - حتى كان يقال إنه من الأبدال - كان يصحب سيدنا أبا النصر ويسير معه في جولاته الإرشادية التي كان يقوم بها، فكنا نحظى به عند تشريفه لبلدنا بمرافقة سيدنا أبي النصر، وننعم بمواعظه الراقية، ونكتسب من أخلاقه السامية وما آتاه المولى من سمت حسن وفقه في دين، على وفق ما ورد في أخلاق كاملي المؤمنين؛ رحمه المولى ورحمنا بهم.

وقد أنجب أنجالاً من أهل العلم والفضل، بعضهم كان رفيقي في الدراسة وهو الشيخ (محمد السيادي) الذي كان أقرب الأولاد شبهاً به رحمه الله، وكان بينه - أي الشيخ أحمد سليم - وبين سيدي الوالد شبه قوي في السمت والأخلاق العالية رحمنا الله بهم، ومنَّ علينا بالسير على نهجهم، ولا أخلانا من إشراقات أرواحهم التي لا تزال في رقي وازدياد، لا يقطعها الانتقال من هذه الدار بل يزيدها قوة، كما بيَّنه العارفون قُدست

أسرارهم مما تقرّه السنة المطهرة والشريعة المعظمة، والحمد لله على ما أولى وتكرم وتفضّل وأنعم. اهـ منه.

ما قاله الشيخ الحامد عنه: وهو والد زوجة الشيخ محمد الحامد وأستاذه، وقد قال عنه: (ومنهم فضيلة عمي والد زوجتي الأستاذ الفقيه الحنفي الحجة، العالم العامل، التقي الورع، الزاهد في الدنيا، شمس علماء حماة وبدر شيوخها، الشيخ أحمد المراد رحمه الله وبارك عليه، إنه من شيوخي الذين لهم عليَّ فضل التربية والتعليم، وقد أكرمني الله فجعلني صهراً له على ابنته، وقد كان هذا قبل أن يكون لي مورد رسمي ومنـــزل آوي إليه، ولكنه التوكل على الله سبحانه والإيمان به والوثوق بما عنده، كانت الفتوى في حماة وقراها تدور عليه وترجع إليه، فقد كان أمينَ الإفتاء، ولم تصدر عنه فتوى غير صحيحة، وقد قال فيه سماحة العلامة الجليل مفتي الشام الأستاذ الشيخ محمد شكري الأسطواني رحمه الله تعالى: عنه تؤخذ الفتوى. اهـ من كتاب الحامد ص ٢٠، وانظر أيضاً ما ورد عنه في ترجمة ولده الشيخ محمد سيادي المراد بعد هذه الترجمة.

وقد حدثنا أخونا المحب الصالح الحاج عبد الرزاق قاقات الحموي "أبو عروة"، أنه سمع من شيخه مولانا الشيخ محمود الشقفة الحموي رحمه الله وقدس روحه أنه قال: كان الشيخ أحمد سليم المراد من الأبدال.

إجازته بالطريق: وأخبرني العم الفاضل والصديق المحب الحاج إبراهيم المراد، أن جده الشيخ محمد علي والشيخ أحمد أخذا الطريق النقشبندي عن الشيخ سليم خلف، كما إن أخاه العالم الشيخ محمد علي ابن محمد سليم – المتوفى في المدينة المنورة سنة ٢٠٠٠ م – وهو – أي أبو إسماعيل – تلقيا الطريق النقشبندي عن الشيخ أبي النصر، كما تلقاه عنه أيضاً أولاد عمه: الشيخ عبد العزيز بن الشيخ أحمد، والشيخ محمد سيادي (القاضي)، والشيخ بشير (مفتي حماة)، وعماه محمد ظافر ومحمد شامل، عن الشيخ أبي النصر أيضاً، رحمهم الله جميعاً وغفر لهم.

علمه وفضله وشيوخه: كان المترجَمُ الشيخ أحمد سليم جبلاً في العلم، وآية في

التواضع والحلم، وقمة في مكارم الأخلاق والتحلي بالشمائل النبوية والسلوك المحمدي. وقد تولى أخوه الأكبر لأبيه الشيخ محمد علي بن الشيخ سليم المراد تربيته وتعليمه وتسليكه في الطريق على يد الشيخ سليم الخلف، كما تلقى علوم الحديث والفقه عن علماء عصره الأفاضل، كما ذكرهم في إجازته للشيخ أحمد الكعكة الحمصي وهم: والده العالم الفاضل محمد سليم المراد، وإمام المحدثين في بلاد الشام الشيخ بدر الدين الحسني المغربي، ونقيب أشراف إدلب الشيخ محمد طاهر المنلا الكيالي، والعالم الشهير السيد أحمد الشريف السنوسي الحسني الإدريسي، الذي أجاز شيخنا أبا النصر بالطريقة السنوسية كما ذكرناه في ترجمته، والعالم المحقق الشيخ محمد الخالد الأنصاري الحمصي، بالإضافة إلى أخيه الشيخ محمد علي المذكور.

وها أنذا أثبت إجازته للشيخ أحمد الكعكة، وقد تفضل ولده الأستاذ موفق الكعكة حفظه الله وأعطاني صورة عنها، وهي هذه:

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم على أن وصلت سلسلة العلماء، وجعلتهم على الخير أَدِلاّء، وعلى شريعتك المطهرة أمناء، ونصلي ونسلم على خاتم الأنبياء، وعلى آله وصحبه الأصفياء وكافة الأولياء. وبعد: فقد طلب مني الولد القلبي الناشئ في طاعة الله عزَّ وجل، العالم الفاضل الشيخ أحمد بن الحاج أحمد الكعكة الحمصي لا زال بعيشة مرضية؛ إجازته بالعلوم السنية الشرعية، والمطالب الآلاتية لحسن ظنه بي، فاستخرت الله تعالى وأجزته بذلك بكل ما تجوز روايته من العلوم الشرعية كعلم التفسير والحديث والتوحيد والفقه والفرائض والتصوف والوعظ، ومن الفنون الأدبية كعلم النحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان والبديع، كما أجازني بذلك مشايخي الكمَّل منهم: سيدي ومرشدي وأخي لأبي العالم الكامل العامل السيد الشيخ محمد علي المراد بن العالم الفاضل الكبير الشيخ سليم المراد، ومنهم إمام المحدثين وتاج العلماء العاملين الشيخ بدر الدين المغربي الحسني، ومنهم سيدنا العالم الجليل والفاضل النبيل الشيخ محمد طاهر المنلا الكيالي نقيب أشراف إدلب، ومنهم

الفاضل الكبير العالم الشهير السيد أحمد الشريف السنوسي الحسني الإدريسي، ومنهم سيدنا الفاضل المحقق والإمام المدقق الشيخ محمد الخالد الأنصاري الحمصي، نفعنا الله ببركتهم وبركة عباده الصالحين. وأذكر لولدي القلبي المذكور سندي في الفقه الشريف، وسندي بصحيح الإمام البخاري رضي الله عنه رجاء البركة، فيقول هذا العبد الذليل أحمد بن الشيخ سليم المراد: إني أروي الفقه النعماني تلقياً وإجازة عن سيدي وشيخي وأخي لأبي العالم العلامة الشيخ محمد علي المراد رحمه الله تعالى، وهو يرويه كذلك عن والده العالم العامل المحقق الشيخ محمد سليم المراد، وهو كذلك يرويه عن شيخه علامة الزمان الشيخ محمد الدباغ أمين الفتوى بحماة.

ثم يسوق السند إلى الإمام البخاري في الحديث والإمام السيوطي أيضاً، كما ذكرناه بتمامه في ترجمة الشيخ أحمد الكعكة (في علماء حمص).

وفيما يلي ما ذكره حفيد أخيه الشيخ محمد علي المراد في ثبته:

نشأته وتربيته: ولد الشيخ أحمد بن الشيخ سليم المراد الأول من أبوين صالحين؛ أما الوالد فهو الشيخ محمد سليم المراد (الأول) أحد الشيوخ والعلماء الكبار، والمرجع الإسلامي الكبير في الفقه والفتوى. وأما الوالدة فهي السيدة فاطمة بنت عمر الشحيمي المرأة الصالحة التي رأت ليلة القدر، ودعت لذريتها بالستر - كما بلغني من أسلافي في الأسرة المرادية - وقد توفيت بعام ١٣٣٢هـ، وإن عمر المترجَم يوم وفاة والده الشيخ محمد سليم كان عشر سنوات تقريباً، فتكون ولادته بعام ١٢٩٨هـ تقريباً.

وقد تولى تربيته وتعليمه أخوه من أبيه الشيخ محمد علي المراد (الأول)، وكان الشيخ محمد علي من أكابر الشيوخ في العلم والفقه والفتوى على مذهب الإمام أبي حنيفة - كما أسلفنا في ترجمته - فقرأ المترجَم على أخيه العلوم العديدة، وكان مثال الأدب والتواضع مع أخيه وأولاد أخيه، زاهداً في الدنيا من جهة الطعام واللباس، قليل المزاح ولو كان صادقاً، مثال العفة، لا يقصر عن خدمة أحد ما استطاع؛ وإلا حوّله إلى معارفه ليقوموا بخدمته، عرفه أو لم يعرفه، وبقي ملازماً لأخيه، مستفيداً منه، خادماً له مع أنه استلم

الشعائر الدينية في جامع المسعود، وبقي على نظامه الذي نشأ عليه حتى وفاة أخيه لأبيه وشيخه سنة ١٣٤٣هـ في ربيع الأول الموافق لعام ١٩٢٤م رحمه الله تعالى.

سلوكه العام وتعليمه للخاص والعام: ثم أصبح المترجَم (الشيخ أحمد) عميد الأسرة المرادية، لا يترك صلة الأرحام، وزيارة الأقرباء، وأصحاب أخيه وأبيه، ينشر علمه وهديه في كل مجلس جلسه، وذلك في العقيدة الإسلامية، وأركان الإسلام، وما يتعلق بالصلاة من أحكام وآداب وشروط وواجبات وسنن ومستحبات، ومكروهات ومفسدات وغير ذلك، حسب المذهب الذي يتعبد به من يجلس إليه ويسمعه، من تحفيظ ذلك للمستمعين، وقد رتّب زيارات دورية لكل أسرة مرادية، من أجل التعليم، فيجتمع لديه النساء والأولاد ويذاكرهم جميعاً، ويسمع لهم ما حفظوه من أحاديث وأدعية، وأحكام فقهية، وذلك كل أسبوع مرة، عدا الاجتماعات الخاصة والعامة، لعامة الناس وأصنافهم، مثل حفلات المولد والأفراح والأحزان، فلا يترك التوجيه والتعليم والتطبيق العملي لأحكام الإسلام وآدابه، جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً.

تعليمه المساجدي: وكان له نشاط آخر في جامع (المسعود) في حي الجسر، إذ كان إمامه، يدرِّس فيه صباحاً، متبرعاً محتسباً أجره عند الله، فيقرأ فيه (الجامع الصغير) في الحديث الشريف للإمام السيوطي، وكلما مر عليه حديث مما يسهل حفظه يلقنه للحضور ليحفظوه، ويبين لهم ما فيه من العبر والعظات، والآداب والأحكام، ثم يسمعه لهم في اليوم التالي؛ وهكذا حتى حفظوا أربعين حديثاً، فطُبعت وتداولها الناس، وصارت ورداً يومياً، تُقرأ كل صباح قبل الدرس، ثم علمهم أحكام العقيدة الإسلامية من كتاب الإمام الباجوري، فحفظوها، وصارت تُقرأ مع الأحاديث كل صباح، ثم حفظوا من الأدعية والتسبيحات الشيء الكثير، وقد طبعت والحمد لله، وصار النساء في البيوت يقرأنها كورد يومي، أما في المسجد فكان كل ما ذكرناه يُتلى صباحاً كورد قبل الدرس.

وهكذا كانت مجالسه الخاصة والعامة والعائلية وغيرها عامرة بنشر العلم والذكر مع الصبر والتحمل، أما باقي أوقاته فهي مشغولة بأسئلة الناس فيما يتعلق بأعمالهم كالبيع

والشراء، والتركة والرهن والإجارة والطلاق والنكاح والعدة والرضاع، وغير ذلك من الأحكام.

أما الدروس الخاصة لبعض الطلاب فكانت أيضاً، وقد درس عليه الكثير منهم، وأنا الفقير (محمد علي المراد) من جملتهم، وما أظن أنه بقي الآن منهم غيري - توفي الشيخ محمد علي المراد بعام ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م - وكان يذهب ضحوة كل يوم إلى المفتي الشيخ محمد سعيد النعسان، ليتدارسا الفتاوى التي كانت تُرسل للمفتي، وبقي على هذا سنين عديدة حسبة لله تعالى.

مسلكه إذا مشى أو سافر: وإذا أراد الذهاب إلى المفتي يومياً، أو إلى جامع البحصة في الحاضر، ليدرّس فيه بعد العصر مرتين في الأسبوع، أو زيارة مريض، أو إجابة دعوة، أو سفراً إلى قرية، ركب دابة حمير بيضاء غالباً، فإذا صحبه أحد منا أو من الطلاب مثلاً، كان لا يسكت في الطريق بل يشتغل بقراءة القرآن والأدعية المأثورة، ويسأل من معه الأسئلة الشرعية إذا كان من الطلاب، أو يعلمه إذا جهل مسألة في الميراث أو النحو والفقه؛ هكذا شأنه لا يترك العلم والتعليم لمن معه حتى يصل مقصده المكاني، فيفيد المرافق ويشغل وقته، بالذكر والتعليم.

أما عباداته الخاصة: فحدِّث عنها ولا حرج في الحضر والسفر، فقد صاحبته كثيراً وسمعت دروسه الخاصة والعامة كثيراً وسألته كثيراً، وإن معظم معلوماتي منه رحمه الله وجزاه الله خير الجزاء؛ لا يترك العبادة أبداً في القول والعمل، ولا يهتم بالطعام والشراب، إذا فرغ من العلم أو المذاكرة أكل ما تيسر له في أي ساعة كانت، لا نظام خاص له لذلك، نظامه حسب حاجات الناس، وفي كل يوم له نظام حسب الحاجة من زيارة مريض أو تشييع جنازة وغسلها، أو مراجعة بعض المسؤولين، أو حضور درس أو تعليم جاهل وغير ذلك.

أولاده: وقد رزقه الله أولاداً ذكوراً ثلاثة، وهم: الشيخ عبد العزيز، والشيخ محمد سيادي، والشيخ محمد بشير، وكلهم علماء والحمد لله، وكانت له بنتان: الحاجة مسرَّة،

والحاجة يسرة. فأما الأولى: فتزوجها ابن خالها محمد بن الحاج يحيى المليح وأنجبت أولاداً عديدين والحمد لله. وأما الثانية: فتزوجها الشيخ محمد الحامد، وأنجبت الأولاد الكثيرين والحمد لله.

وإن البنتين المذكورتين تعلمتا من والدهما الأحكام الكثيرة التي تتعلق بالنساء، وبالأخص زوجة الشيخ محمد الحامد، فإن النساء كنَّ يقصدنها دوماً للسؤال عن الأمور المتعلقة بهن، وكانت كثيراً ما تسألني (بالهاتف) أو تزورني لي ولزوجتي - والكلام للشيخ محمد علي المراد - وتسأل عما يتعلق بأحكام النساء وغيرها، فنحمد الله على وجودها ووجود أمثالها لسد هذا الجانب من أمور النساء.

وأما أولاده الذكور... (فقد فصَّل الشيخ محمد علي ترجمتهم، وسنفرد لكل واحد منهم ترجمة خاصة بإذن الله).

توفي الشيخ أحمد رحمه الله تعالى في حماة ودُفن فيها بعام ١٣٧٩هـ، الموافق١٩٦٠م، نفعنا الله به وبعموم علمائنا أجمعين أحياءً وميتين.

العالم الفاضل، والتقي الكامل

الشيخ عبد العزيز بن الشيخ أحمد سليم المراد الحموي

(...-١٣٨٥هـ) (...-١٩٦٥م)

ولد هذا العالم الراسخ والشيخ الفاضل في حماة، ونشأ وترعرع فيها وتلقى العلم عن مشايخ حماة في عصره، وبالأخص والده القطب الكبير الشيخ أحمد سليم المراد، وتلقى الطريق النقشبندي عنه وعن الشيخ أبي النصر، الذي كان ولا زال آل المراد يدينون له بالمحبة والولاء، وقامت ولا تزال بينهم صلات العلم والدين والطريقة و الدعوة إلى الله.

وقد رزق أولاداً كانوا ولا زالوا كلهم من أهل العلم والصلاح والدعوة إلى الله، بفضل تربيته وتنشأته لهم على العلم والتقوى، وكان أكبرهم ولده الشيخ **أحمد** الذي سماه على اسم جده، من أهل العلم والفضل وكان خطيباً في جامع آل المراد المسمى بالجامع (الجديد)، وانتقل إلى رحمة الله تعالى بعام ١٤٠٢-١٩٨٢م.

وأما باقي أولاده فهم من أهل العلم والفضل والدعوة إلى الله وهم:

الأستاذ **عبد الودود**، وكان مع علمه وفضله معلماً في المدارس الابتدائية. والشيخ **مصطفى** نال الإجازة في الشريعة من جامعة دمشق وعمل مدرساً للتربية الإسلامية في المدارس الرسمية وهو الآن في المدينة المنورة. وأما الشيخ **ناجي** فبعد تخرجه من المدرسة الخسروية (الثانوية الشرعية بحلب) انتقل إلى رحمة الله تعالى بعام ١٤٠٢-١٩٨٢،. والشيخ **فضل** حاز على الدكتوراه في الشريعة الإسلامية ويعمل في مدارس السعودية [1]،

---

[1] اطلعت على كتاب نفيس من تحقيق الدكتور فضل بن الشيخ عبد العزيز المراد طبعته دار القلم بدمشق بعام ١٤١٤-١٩٩٤ واسمه (اللباب في الجمع بين السنة والكتاب) لعلامة زمانه الفقيه المدقق والأصولي المحقق الشيخ علي بن زكريا المنبجي المتوفي بعام ٦٨٦هـ وقد قام بتحقيقه ونشره الدكتور فضل لأول مرة وهو أدلة كتاب اللباب في الفقه الحنفي لمؤلفه القدوري، كما إن له كتاباً آخر حققه ونشره واسمه (نوادر الفقهاء) للإمام محمد بن الحسن=

وكذلك أخواه الفاضلان الشيخ **صالح** والشيخ **عبد المنعم** هناك أيضاً.

وقد نقلت من ثبت الشيخ محمد علي المراد ما كتبه في ترجمة الشيخ عبد الغزيز ما يلي:

أما أولاده (الشيخ أحمد) الذكور فأولهم: **الشيخ عبد العزيز المراد** وقد درس على والده، وتخرَّج من عنده وصار يساعد والده في إقامة الشعائر، وقد فتح مكاتب لتعليم الأولاد القرآن والكتابة والحساب مرات عديدة و لم يوظف في مسجد لإمامة أو تدريس، بل كان ملازماً لوالده في الفتاوى والمناسخات - وهي المسائل الإرثية التي فيها أكثر من متوفى - والإمامة والتدريس، كما أنه كان يدرِّس أحياناً في الجامع الجديد بعد الظهر والمغرب نيابة عن ابن عمه الشيخ محمد ظافر المراد الذي لازمه المرض سنين عديدة، وكذلك كان والد الشيخ عبد العزيز (الشيخ أحمد) يدرِّس في الجامع الجديد نيابة عن ابن أخيه (محمد ظافر) حتى كبرتُ وتعلمت على الشيخ أحمد، وولده الشيخ عبد العزيز، وفي المدرسة الشرعية في حماة... وقد تقلَّد الشيخ عبد العزيز منصب أمين الفتوى بشكل رسمي بعد أن كان والده يشغلها بشكل حسبي، وبقي أميناً للفتوى حتى وفاته سنة ١٣٨٥هـ، وذلك في حياة المفتي الشيخ محمد سعيد النعسان.

وخلَّف الشيخ عبد العزيز سبعة أولاد ذكور وكلهم سلكوا طريق العلم الشرعي والحمد لله تعالى، وذلك من زوجته نادرة بنت عمه الشيخ محمد علي المراد (الأول) وكذلك ولدت له بنتان أيضاً. اهـ منه.

توفي هذا العالم الجليل والفاضل النبيل الشيخ عبد العزيز بحماة عام ١٣٨٣-١٩٦٣م ودفن فيها. رحمه الله ونور ضريحه.

تابع الحاشية في الصفحة السابقة

التميمي الجوهري ٣٥٠ هـ طُبع بنفس العام أيضاً. والكتاب الأول (اللباب) نال به المحقق الدكتور فضل الدرجة العلمية (الدكتوراه) من جامعة الأزهر - كلية الشريعة والقانون - قسم الفقه المقارن بدرجة امتياز مع مرتبة الشرف الأولى والتوصية بطبعه وتبادله بين الجامعات وذلك بتاريخ العاشر من تموز ١٩٧٦ - ١٣٩٦.

القاضي العادل، والتقي الفاضل

الشيخ محمد سيادي بن الشيخ أحمد سليم المراد الحموي

(١٣٢٧-١٣٩٧هـ) (١٩١٠-١٩٧٧م)

هو العالم الفاضل والقاضي العادل والمحب الصادق، الشيخ محمد سيادي بن الشيخ أحمد بن الشيخ سليم بن مراد آغا الكردي. المولود في حماة ١٠ ذي الحجة ١٣٢٧هـ، الموافق ٣١ كانون الأول ١٩٠٩م.

ومن مذكراته التي كتبها بخط يده ننقل مقتطفات من ترجمة هذا العالم المحب، والفاضل العامل، وكتب:

اسمي: محمد سيادي المراد. اسم أبي: الشيخ أحمد المراد، جدي الشيخ سليم المراد، والد جدي: مراد آغا الكردي هاجر من بلدة (وان) وأتى إلى حماة وسكنها.

مولدي: ولدت في حماة في عيد الأضحى في اليوم العاشر من ذي الحجة ١٣٢٧ هـ، وربيت في بيت والدي وتعلمت القرآن عند عمي الشيخ **حسن المراد**، وتعلمت الكتابة عند شريكه في الكتّاب الشيخ خالد دندشلي، ومن صغري قرأت العلم على والدي.

بدأت أولاً بحفظ المتون، فحفظت قسماً من متن نور الإيضاح في الفقه الحنفي، وقسماً من الألفية في النحو، ومن الرحبية في الفرائض، والبردة، وستة أجزاء من أول القرآن الكريم، والأربعين النووية في الحديث الشريف، وأربعة أجزاء من أواخر القرآن الكريم في المدرسة الشرعية في حماة.

مع الشيخ أبي النصر: وإني من حين صغري تعلق قلبي بحب سيدنا الشيخ أبي النصر بن الشيخ سليم خلف، ولحبه أحببت ولده الشيخ عبد الباسط لأننا متقاربان في السن، وسلكت في الطريقة النقشبندية على يد سيدنا الشيخ أبي النصر، ولا غرابة في ذلك فإن

صحبة الآباء تسري على الأبناء، فإن سيدنا الشيخ سليم خلف كان صديقاً لجدي الشيخ سليم المراد وشيخاً له في الطريقة النقشبندية، ووالدي أخ وصديق للشيخ أبي النصر خلف، وقد أدرك والدي الشيخ سليم خلف، وإني رفيق للشيخ عبد الباسط بن الشيخ أبي النصر، وتلميذ ومريد لوالده الشيخ أبي النصر.

في شرعية حماة: وفي سنة ١٣٤٦هـ الموافقة ١٩٢٧م في أول تشرين أول دخلت المدرسة الشرعية في حماة الكائنة في جامع الشيخ إبراهيم (في سوق الطويل) في القسم العادي منه، ودخلت في الصف الأول، والعلوم التي قرأناها في ذلك الصف: في الفقه (نور الإيضاح) في المذهب الحنفي، والنحو الجزء الثاني من الدروس النحوية، والصرف (متن البناء)، والتوحيد (العقائد الكلامية)، وحفظ الجزء الثلاثين من القرآن الكريم، والتجويد والخط والإملاء والجغرافية والهندسة والتاريخ ومحفوظات من حكم العرب وأشعارها والحساب.

وبعد أن ذكر رفاقه في المدرسة من حماة وخارجها، ذكر أشياخه فيها وقال: وفي نهاية السنة نجحت في الفحص النهائي وترفعت للصف الثاني وفي السنة الثانية، والأساتذة في تلك السنة: الشيخ زاكي الدندشلي، والشيخ أسعد بيك المصري، والشيخ عارف القوشجي، والشيخ عبد الصمد أفندي المراد، والشيخ محمد البوشي، والشيخ فوزي المعري، ومدير المدرسة الشيخ توفيق الصباغ.

ثم ذكر السنة الثالثة وموادها وأساتذتها ورفاقه ودراسته فيها، لكن فقدت ورقة من هذه المذكرات التي تفضل ولده الأستاذ محمود وأعطانيها، وهي التي تبين نهاية صفوف المدرسة الشرعية في حماة وبداية دخوله الخسروية في حلب، حيث بدأت الورقة التالية بذكر رفاقه في الخسروية في الصف الثالث، وكان هذا بعام ١٣٥١-١٩٣٢م.

في الخسروية بحلب: وكتب: (ورفاقي الذين هم معي في الصف الثالث وأذكر منهم: الشيخ محمد علي المسعود بن الشيخ محمد المسعود من الباب، وهو شقيق الشيخ محمد سعيد المسعود مفتي الباب الحالي، والشيخ حسن الهاشم من الباب، والشيخ محيي الدين الحللي، وعاكف حبال، والشيخ مفيد خير الله من حلب، والشيخ نور الدين النائب من

أريحا، والشيخ حسن قرقناوي من قرقانيا، والشيخ أحمد عزازي من إعزاز - (أقول: وهؤلاء هم الذين تخرجوا معه بسنة ١٩٣٥م القافلة العاشرة) - والذين تعرفت عليهم في المدرسة الشيخ أحمد الحصري من المعرة - تخرج في عام ١٩٣٢م - وطاهر الحاسي من قرية حاس، والشيخ شريف وإخوانه نسيب وبشير أولاد الشيخ عبد الكريم الحافظ مدرس قضاء النبك - تخرجوا ١٩٣٦ - وعبد الفتاح مالك والشيخ طيفور أيضاً من النبك - (ولم أجد لهم اسماً في الخريجين) - والشيخ محمد سليم الرفاعي من قارة - تخرج ١٩٣٤ - ومحمد شروف من قارة، محمد العسالي إمام قرية سرغايا الحالي، ورفيقنا الشيخ عبد الباسط خلف - تخرج ١٩٣٤ - والشيخ خالد السباعي، والشيخ أحمد الكعكي من حمص - تخرج ١٩٣٤ - والشيخ أحمد طرابلسي من قضاء سير - تخرج ١٩٣٦ - والشيخ عبد الله الأمير من أنطاكية - تخرج ١٩٣٦م - وكثير من الطلاب من أقضية حلب.

سفر والده الشيخ أحمد سليم المراد للحجاز: وكتب: وفي هذه السنة سافر والدي إلى الحجاز للمرة الثانية في يوم ٧ ذي القعدة ١٣٥٠ الموافق ١٩٣٢/٣/١٥.

أساتذته في الخسروية بحلب: ثم يذكر الشيخ محمد سيادي بدء الدراسة في الصف الرابع والأساتذة والكتب التي درسوها، وسنذكرهم في آخر سنة، ويذكر في أي غرفة سكن في العثمانية أولاً، ثم في الخسروية في غرفة الشيخ محمد الحامد، ثم يقول:

وفي يوم السبت ٦ جمادى الآخرة ١٣٥٣هـ، و ١٥ أيلول ١٩٣٤م، سافرت من حماة إلى حلب لاستئناف الدراسة في الصف السادس، ونزلت في غرفتي التي سكنتها في السنة الماضية، والعلوم التي قرأناها في هذا الصف على علماء حلب الأجلاء هي الفقه الحنفي في كتاب (الدرر على الغرر) على الشيخ أحمد الزرقا، في بعض الأوقات ينوب عنه ولده في قراءة الدرس الشيخ مصطفى الزرقا، والنحو في كتاب (شرح ابن عقيل) على ألفية ابن مالك، والبلاغة على الشيخ محمد الناشد، والتوحيد والمنطق على الشيخ فيض الله الكردي الأيوبي، والأصول (نسمات الأسحار على المنار) على الشيخ أحمد الكردي، والحديث والسيرة في كتاب (إتمام الوفاء) للشيخ راغب الطباخ وكذلك علم المصطلح

عليه، والتفسير على الشيخ أحمد الشماع، والإنشاء على الشيخ محمد الحكيم، والجغرافية على الأستاذ كامل أفندي سراج الدين، والحساب على الأستاذ أمين عيروض.

الخروج من الخسروية: وقد لازمت على هذه الدروس طيلة السنة قراءة ومذاكرة حتى أديت الفحص العام في آخرها ونجحت فيه ولله الحمد، وكانت درجتي فيه الأولى، وفي نهاية الامتحان نلت الشهادة من هذه المدرسة لأن هذا الصف آخر أدوارها.

أقول: وكان التخرج بعام ١٣٥١هـ - ١٩٣٥ م.

إلى دمشق وبيروت وزيارة العلماء والصالحين: وقد ذكر الشيخ رحمه الله سفره مع والده العالم الكبير والولي الشهير الشيخ أحمد سليم المراد إلى بيروت لإجراء عملية جراحية له لاستخراج حصاة من كليته، وكان بصحبتهم العالم الفاضل الشيخ عبد الله الصباغ، وبعد دخوله المستشفى وبقائه خمسة أيام، لم تجر العملية بسبب تعطل جهاز التصوير الشعاعي، وفرج الله عن الشيخ فخرجت الحصاة دون مداخلة جراحية، والحمد لله على إكرامه. فرجعوا إلى دمشق لزيارة علامة الشام الشيخ بدر الدين الحسني رحمه الله تعالى، ونزلوا في دار الحديث عند الشيخ بدر الدين. قال: (وبقينا فيها مدة ثمانية أيام زرنا فيها العلماء والصالحين وقبور ما فيها من الأنبياء وآل البيت والصحابة والعلماء والأولياء، وزرنا الشيخ أحمد الحجار ويسمى (بالحارون) في بيته بالصالحية، وزرنا سيدنا محيي الدين والشيخ عبد الغني النابلسي والشيخ خالد الحضرة.

وقبل هذه المرة كنت سافرت مع سيدي الوالد ومفتي حماة الشيخ سعيد النعسان من حماة إلى الشام، وزرنا الشيخ بدر الدين ونزلنا أيضاً في دار الحديث في غرفة الشيخ عبد الحكيم الأفغاني وبقينا مدة. وفي هذه المرة تعرفت على طلاب في هذه المدرسة منهم الشيخ أحمد والشيخ سعيد كلاهما من قرية عربين، ثم بعد ذلك رجعنا إلى حماة ووالدي بتمام الصحة ومعنا الشيخ عبد الرحمن السبسبي.

إلى رحاب الأزهر الشريف: وفي حماة قضى عاماً كاملاً دون دراسة من تموز ١٩٣٥ إلى آب ١٩٣٦، قال: (لأني بعدما انتهيت من مدرسة حلب مللت السفر وسئمت الغربة،

فعزمت على البقاء في حماة في بيت والدي وعدم سفري إلى غيرها، هذا ما عزمت عليه، ولكن الله سبحانه إذا قضى أمراً هيأ أسبابه، ففي أثناء هذه السنة كان يرسل إليَّ نجيب آغا البرازي ويرغبني في السفر إلى مصر لإتمام الدراسة في الأزهر الشريف، فلم أقبل لأن نفسي سئمتْ التغرب عن أهلي، وقبل ذلك أرسل إليَّ ثلاث مرات فلم أقبل حتى آخر مرة).

ويظهر أن نجيب البرازي لم ييأس في المرة الرابعة فقد جمع في مضافته والده الشيخ أحمد سليم وعمه الشيخ حسن وأولاد عمه الشيخ سليم والشيخ ظافر والشيخ نجيب والشيخ شامل وأخاه عبد العزيز، وذاكرهم بشأن سفره إلى مصر لإتمام الدراسة في الأزهر الشريف معللاً: (بأن دراسته في حلب لا تكفي للتصدي لنشر العلم بين الناس، ولم يزل يقرب لوالدي ومن معه من أفراد عائلتي حتى تم رأيهم على إرسالي إلى مصر، وهو أي نجيب آغا يقوم بمساعدة والدي في الإنفاق عليَّ مدة بقائي في مصر، وكان ذلك في أيلول ١٩٣٦).

وبعد تجهيز جواز السفر وأمور السفر تم الانتقال إلى مصر عن طريق القطار من حماة إلى بيروت يوم ١٥ رجب ١٣٥٥هـ، الموافق١٩٣٦/٩/٣٠م، ومن بيروت ركب البحر بباخرة أغنام قادمة من مرسيليا إلى حيفا حيث أفرغت حمولتها هناك ثم اتجهت إلى الإسكندرية مروراً ببور سعيد، ووصلت الاسكندرية ٢٢ رجب منه، الموافق ١٩٣٦/١٠/٧م، واتجه بالقطار إلى القاهرة فوصلها ونزل في رواق الشوام في غرفة الشيخ خالد المشنوق، والشيخ محمد خير ناصر. قال: (وفي تلك الليلة رفعت العمة الغبانية المطرزة ولبست العمامة البيضاء والجبة، ولم ألبسها قبل هذا هناك). ثم قدَّم طلباً بواسطة رفيقه الشيخ محمد خير ناصر إلى شيخ رواق الشام الشيخ عيسى منون للانتساب إلى رواق الشوام، وطلباً للانتساب إلى كلية الشريعة بجامعة الأزهر، وتم قبوله فيها لأنه يحمل شهادة المدرسة الخسروية التي اعتبرت شهادتها معادلة لشهادة أهلية الغرباء من الأزهر، وذكر المواد التي تدرس هناك في سنوات الكلية الأربع وأساتذته فيها وعدد ساعات الدوام اليومي، وذكر من أساتذته في السنة الأولى: الشيخ **عبد الرحيم العدوي** وقرأ لهم الفقه كتاب الطهارة من كتاب الهداية، والشيخ **علي أبو درة** قرأ لهم أصول الفقه (نسمات الأسحار على المنار)،

والشيخ **أحمد كامل** قرأ لهم المنطق؛ وتعرف في تلك السنة على الشيخ **صلاح الدين الأزهري** ابن عالم اللاذقية المتقاعد الشريف **محمد محاسن الأزهري**، الذي أولاه عناية خاصة عندما مرض في السنة الأولى هو وزميل له فلسطيني اسمه **فتحي مفتي**، ولم تسعفنا مذكراته رحمه الله بعد السنة الأولى، وقد أكمل لي ولده الأستاذ محمود بقية الترجمة بعد ما أعطاني ما كتبه والده بخطه مما ذكرته أعلاه، فقال:

تخرجه من الأزهر وشغله بالقضاء: تخرج رحمه الله من الأزهر بنهاية السنة الدراسية ١٩٤٣، وحصل على شهادة العالمية في القضاء، ولما عاد إلى الوطن تقدم بطلب تعيينه قاضياً إلى رئاسة الحكومة، فعين بعام ١٩٤٤م قاضياً في الحسكة.

وبسبب المعرفة مع الشيخ صلاح الدين الأزهري تمت خطوبة شقيقته من والدها الذي كان لا يزال على قيد الحياة، وتم الزواج وانتقلت معه إلى الحسكة، ثم نقل قاضياً إلى اللاذقية فإعزاز فإدلب ومنها إلى حمص وحماة، وفي عام ١٩٦٦ انتقل إلى وزارة الأوقاف ليشغل منصب مدير التعليم الشرعي فيها حتى عام ١٩٧٠ حيث تقاعد، ويظهر أن الغربة التي ملَّ منها ظلت ملازمة له حتى نهاية عمره، إلا أن الله سبحانه أكرمه بالوفاة في بلده حماة بين أهله وذويه [1].

بعد التقاعد: بقي بعد التقاعد مقيماً في دمشق إلا أنه أصبح متفرغاً لزيارة أحبابه وأصدقائه، وصار يقدم إلى حلب لزيارة أخيه الشيخ عبد الباسط أبي النصر ويحضر مجالسه بعد أن حرم منها بسبب الوظيفة، وعاد إلى روحه الشابة رغم المشيب، وإلى نشاطه وذكرياته مع شيخه أبي النصر وإخوان الطريق، وكم شهدناه رحمه الله في مجالس شيخنا رحمه الله باكياً خاشعاً وذاكراً متواضعاً، وكم شهدنا دعابات شيخنا (أبي نزار) له، رحمهما الله تعالى.

وكم كنت أتمنى أن أجد بقية مذكراته لعلّي أجد فيها رسائل إلى شيخه أبي النصر –

---

[1] انتهى من ولده الأستاذ محمود حفظه الله، في بيته في اللاذقية بعام ١٤٢٤هـ. وقال عبد الله: حينما كان قاضياً في إعزاز، كان يطلب من السيد الوالد إجراء العقود في المنطقة الشمالية – في منطقة الوالد – توثيقاً وإرسالها إليه.

كما فعل الحامد - وأرى جواب شيخه له، ولكن عوَّض عنه هذا كله صلته المستمرة وزيارته لأستاذنا الشيخ عبد الباسط رحمهما الله تعالى.

وفاته: وقبل يوم عيد الأضحى ١٣٩٧هـ رجع المسافر من غيابه ليقضي أيام العيد لدى أهله وقرابته، فقضى اليوم الأول من أيام عيد الأضحى معهم، ثم نهاره الثاني، وزار من زاره وسلَّم على من سلّم عليه من الأهل والأحباب، حتى إذا غابت شمس يوم الإثنين ١١ ذي الحجة من ذلك العام فاضت روحه إلى بارئها، لتقضي تلك النفس الراضية حظها من الحياة في مثل يوم خروجها إلى الدنيا، فقد ولد رحمه الله يوم عيد الأضحى وتوفي ثاني يوم عيد الأضحى، وصُلّيَ على جثمانه في الجامع الجديد في حماة ودفن فيها، وكان ذلك يوافق يوم ٢٢ تشرين الثاني ١٩٧٧، فرحمه الله ونور ضريحه، وجمعه وإيانا مع أشياخه وأحبابه في مقعد صدق عند مليك مقتدر [1].

وكتب الشيخ محمد علي المراد في ثبته ما يلي: أما الولد الثاني للمترجَم - الشيخ أحمد - وهو الشيخ محمد سيادي فقد درس على والده، وفي مدرسة حماة الشرعية، ثم في الخسروية بحلب وكانت أزهر سورية وكم خرَّجت من علماء، ثم بعد الانتهاء منها سافر للأزهر الشريف ودخل كلية الشريعة وانتهى منها، ثم دخل تخصص القضاء الشرعي وانتهى منه، ثم رجع لسورية وعُيِّن قاضياً في بعض المحافظات، ثم تنقل في المحافظات وهو قاضٍ، ثم تقاعد ثم عُيِّن في دمشق في منصب له علاقة بالمدارس الشرعية، ثم ترك ذلك وسكن آخر حياته في دمشق، حيث كان فيها قاضياً، وقد تزوج (عزة) بنت الشيخ محمد محاسن الأزهري نقيب أشراف اللاذقية وأتت له بأولاد ذكور وإناث. اهـ منه.

---

[1] قال عبد الله: التقيت بالشيخ في حماة في منـــزل الأسرة مع أبناء أخيه، فلما علم أني ابن الشيخ محمد علي المسعود أصرَّ على تقديمي للصلاة إماماً له، تواضعاً منه وتعليماً لي بحفظ الوداد، وكان من عادة الشيخ أن يأتي في الأعياد لزيارة أرحامه، وفي هذه المرة جاء وضحَّى، وزار أرحامه كالعادة، ثم وافاه الأجل رحمه الله.

العالم القاضي، والفاضل التقي، المفتي الشيخ

محمد بشير بن الشيخ أحمد سليم المراد الحموي

(...-١٤٠٤هـ) (...-١٩٨٢م)

هو العالم الفاضل، والفقيه العامل، سليل بيت العلم والتقوى والفضيلة والصلاح، الشيخ محمد بشير بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد سليم المراد. ولد في حماة ونشأ في بيت والده شيخ حماة وعالمها الشيخ أحمد سليم المراد، ورضع لبان العلم والمعرفة لديه، فتعلم مبادئ القراءة والكتابة وحفظ المتون وبعض أجزاء من القرآن الكريم، ثم درس العلوم الشرعية في مدرسة حماة الشرعية ولم يتخرج منها ولم يكتب له القبول فيها، فاتجه إلى الأزهر الشريف في مصر، وهنالك حصل على البكالوريا الأزهرية التي تؤهله للانتساب إلى إحدى كليات الأزهر الثلاثة، كلية الشريعة وكلية أصول الدين وكلية اللغة العربية.

وتم انتسابه إلى كلية الشريعة وتخرج منها بعد دراسته فيها وتخصص بالقضاء الشرعي، وذلك بعد أن تخرج أخوه قبله الشيخ محمد سيادي، وقدم إلى بلاده وعمل في سلك القضاء الشرعي وعين أول أمره قاضياً شرعياً في اللاذقية، ثم في النبك، ثم انتقل إلى سلك الأوقاف - الفتوى والتدريس الديني - فشغل منصب أمين فتوى في السلمية، ولما شغر منصب الإفتاء في حماة بعام ١٣٩١-١٩٧١ عين مفتياً في حماة وبقي فيه حتى وفاته بعام ١٩٨٢م.

صلته بالشيخ أبي النصر: وقد أخبرني ابن عمه الحاج إبراهيم المراد؛ أن أولاد عمه: الشيخ محمد سيادي وعبد العزيز ومحمد بشير كلهم تلقوا الطريق عن سيدنا الشيخ أبي النصر وأخذوا الأوراد عنه.

وقد لازم الشيخ محمد بشير مجالس الطريق في حماة وحلب، وكانت له زيارات متتالية لشيخ الطريقة أستاذنا الشيخ عبد الباسط أبي النصر، وظل ملتزماً بها داعياً إلى الله على

منهجها حتى لقي الله سبحانه وتعالى، وقد أنجب أولاداً نهلوا من معين العلم والتقوى، وانتشروا في بلاد الخليج دعاة علماء أتقياء صلحاء.

أقول: وقد وجدنا فيه من خلال لقاءاتنا به لدى أستاذنا الشيخ عبد الباسط الخلق الكريم والتواضع الجم، وحسن الحديث وأدب المجالسة، مع الحب العظيم لأستاذنا وشيخنا (أبي نزار) وآل بيت أبي النصر جميعاً، هو وأخوه الشيخ محمد سيادي، حيث كانا يكثران الزيارة له.

وقد نقلت من **ثبت الشيخ محمد علي المراد** من ترجمته له ما يلي:

وأما الولد الثالث وهو الشيخ **محمد بشير المراد**، قرأ على والده - الشيخ أحمد - وأنا معه لأننا متقاربان في السن، وتعلم في المدارس الإبتدائية، و لم أكن معه في نفس المدرسة بل في غيرها، في المدرسة الشرعية في حماة، وأنا معه حتى انتهينا منها، ونحضر الدروس الخاصة على بعض العلماء معاً عدا الدروس في المسجد وغالباً نكون معاً، ثم ذهب للأزهر الشريف قبلي بسنوات، وانتسب إلى كلية الشريعة في الأزهر، وكان أخوه الشيخ محمد سيادي هناك، ثم انتهى الشيخ محمد سيادي من الكلية وتخصص في القضاء، وبقي الشيخ محمد بشير ليتمم الدراسة في الكلية ثم تخصص في القضاء، فأتيت إلى الأزهر والشيخ محمد بشير يسبقني بسنوات، فانتسبت للكلية وكنا في السكن معاً، فلما انتهى من الكلية دخل تخصص القضاء، فلما انتهى من القضاء وانتهيت أنا من الكلية ورجعنا إلى حماة سوية سنة ١٩٤٨م، وأعلنت وزارة التربية مسابقة انتقاء الأساتذة لتدريس مادة التربية الإسلامية فحضرنا المسابقة معاً، وتعين هو في دير الزور وأنا في حلب، ثم بعد سنتين من التدريس طلب أن يكون قاضياً فتعين، وانتقل لعدة محافظات آخرها اللاذقية وبقي فيها فترة، وقد عُرضت عليه قضية مستعصية مرت على عدة قضاة فلم يستطيعوا حلها لقوة أصحابها وغناهم ورشاويهم، حتى أتى دوره فلم يبالِ بقوتهم وأموالهم ورشاويهم وتحدياتهم، فحكم في القضية كما طلب الإسلام، وأدخل السرور على المظلومين وعلى الأهالي في تلك القضية فأصبحت سيرة البلدة، فما كان من المحكوم عليهم إلا السعي لإخراجه من الوظيفة

لقوة صِلاتهم بالمسؤولين، وكان ذلك في سنة ١٩٥٨، ثم أتى لحماة، وبقي دون وظيفة ثلاث سنوات متواليات.

وأثناء ذلك توفي والده الشيخ أحمد المراد بعام ١٣٧٩هـ-١٩٦٠م، وبعد الوفاة بسنة عُين الشيخ محمد بشير مفتياً بالوكالة في مدينة السلمية عام ١٣٨٠ هـ-١٩٦١م، وبقي فيها عشر سنوات، ثم لما توفي مفتي حماة الشيخ محمد سعيد النعسان، انتقل الشيخ محمد بشير من السلمية إلى بلده حماة مفتياً أصيلاً سنة ١٣٨١هـ-١٩٧١م، وكانت له حلقات علمية يدرِّس فيها العلوم الشرعية حتى فُقد بعام ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، رحمه الله حياً وميتاً.

وقد تزوج بنت ابن عمه الشيخ محمد ظافر المراد، واسمها فلاح، وهي أخت زوجتي سعاد أم محمد سليم، وقد أنجبت زوجته والحمد لله خمسة ذكور وخمسة إناث، وفقهم الله لكل خير وفتح عليهم؛ آمين. اهـ. من ثبت الشيخ محمد علي مراد.

قال عبد الله: التقيت بالشيخ رحمه الله في حماة، وقد كان زار السيد الوالد رحمهم الله جميعاً، وقال لي: إذا ذهبت لحماة فسلم على المفتي الشيخ بشير، وقدَّرَ الله أني نزلت بنادي الضباط المجاور لدار الفتوى، فزرته ودعاني إلى منـــزله، ثم توطدت الصلة معهم بزيارات متكررة لحلب لشيخنا، وكنت معهم كأحد أفراد الأسرة، وكنت ألتقي بأبناء الأسرة المرادية عندما يأتون للدراسة بحلب، في مجالس شيخنا الشيخ عبد الباسط رحمه الله تعالى.

العالم الداعية، المهاجر في سبيل الله

الشيخ محمد علي بن محمد سليم المراد

(١٣٣٦-١٤٢١هـ) (١٩١٨-٢٠٠٠م)

هذا العالم الفاضل، والداعية المهاجر في سبيل الله، والمحب الكامل لأهل الله، الذي تربى في حجورهم ورضع لبان العلم والتقوى لديهم، وعاش حياته معلماً وداعية، وسخَّر وقته وجهده وعلمه في سبيل هذا الدين الحنيف؛ لا أجد ترجمة له خيراً مما كتبه هو عن نفسه بخط يده، وكما أسلفت في ترجمة جده الأعلى الشيخ محمد سليم المراد (الأول)، فإنني حصلت على تراجم علماء آل المراد التي خطها بقلمه في مدينة رسول الله ﷺ بعام ١٤١٢هـ، وكان بدأ كتابتها في مدينة الطائف، وقد تفضل مشكوراً مأجوراً شقيقه العالم الفاضل والداعية المهاجر في سبيل الله الأستاذ الشيخ **سعد الدين المراد**، المقيم في جدة حالياً، فأعطانيها عندما زرته في مسجده في جدة في رمضان ١٤٢٣هـ.

وقد كان الشيخ محمد علي رحمه الله وَصولاً لنا، يزورنا في بلدنا الباب كما يزور شيخنا - الشيخ عبد الباسط أبا النصر - رحمهم الله جميعاً، وكنا نزوره في حماة؛ رحمه الله ونوَّر ضريحه، ولنا لقاءات ومجالس في المدينة المنورة وحماة ودمشق، كما كنا نلتقيه في المسجد النبوي الشريف وحوله المحبون من طلبة العلم والحجاج والزوار، رحمه الله وأعلى مقامه مع أشياخه في عليين، وها أنذا أقتطف مما كتبه بخطه من ترجمة نفسه ما يحقق الغرض؛ قال رحمه الله:

- ترجمة الفقير إليه تعالى **محمد علي المراد الثاني** عُفي عنه:

التولد سنة ١٣٣٦هـ أواخر ربيع الأول الموافق ١٨ شباط ١٩١٨م

هو: محمد علي المراد الثاني، بن الشيخ محمد سليم الثاني، بن الشيخ محمد علي المراد

الأول، بن الشيخ محمد سليم المراد الأول. وأمه عائشة بنت الشيخ محمد الزيتاوي، وأمها فاطمة بنت الشيخ محمد سليم الأول المراد. السكن في حي الفراية بباب البلد، القسم الجنوبي في حماة، وهذا السكن لم يتغير من زمن الجد الأول النازح من (وان) في تركيا من مدة مائتي سنة تقريباً، ولكني تركت هذا السكن من شهر رجب لسنة ١٤٠٠هـ بسبب ما حدث في حماة، وسكنت في المدينة المنورة طيلة هذه المدة، والحمد لله تعالى. وإن البيت في حماة محفوظ، ويسكنه ابن عمي الشيخ محمد ظافر المراد وأسرته، واسمه عدنان، وإن مكتبتي العلمية النادر وجودها محفوظة في البيت نفسه والحمد لله.

التعليم الأولي: تعلمت القرآن والكتابة والحساب عند أعمامي في زاوية (السلسلة)، وهي في باب البلد، وكان يعلم القرآن عم والدي الشيخ حسن المراد، وعمي الشيخ محمد نجيب المراد، والشيخ حسن الدندشي الملقب بالشحمة، وكان خطه حسناً جداً؛ تعلم عند الشيخ محمود الحامد والد الشيخ محمد الحامد، وعلمنا الحساب أيضاً، ثم تحولت إلى مدرسة (دار العلم والتربية) وكانت أهلية، وذلك سنة ١٩٢٨، وكان عمري عشر سنوات، وكانت المدرسة حاوية للابتدائي والإعدادي والعلمي، وقد انتسبت للأول الإبتدائي، وكان الأستاذ فيه لمعظم الدروس:

أساتذته: الشيخ عبد الحميد حمد، وفي اللغة الفرنسية كان أستاذ من أسرة المشنوق، نسيت اسمه، ثم تغير وأتى السيد حسن نورس الكيلاني، وغيرهم من الأساتذة.

زملاؤه في الابتدائي: وكان من زملائي: أحمد رياض العظم، وأخوه عبد الرحمن، ولدا فريد بيك العظم، وعدنان بديع كيلاني، ورامي المشنوق، وولدا أخيه أحمد ومنذر، ومحمود الرمال، ومحمود نور كزكز، وسليمان سلمو، وإبراهيم شريف البرازي، وإبراهيم البرازي غيره، ومحمد حنحون، وغيرهم، وصرت انتقل من صف إلى صف، ثم تغير نظام المدرسة وأصبحت كلها ابتدائية، وصار المدير فيها الأستاذ عمر يحيى.

الأساتذة ومواد الدراسة: وإن الطلاب يأتون صباحاً ولا يخرجون إلا مساءً، لذلك كنا نأتي بالغداء معنا صباحاً، وصلاة الظهر والعصر في المدرسة، وكان من جملة الدروس

تعليم الخط العربي وكان الأستاذ فيه السيد عادل علواني، ثم السيد وحيد عبود، وكذلك دروس لتعليم الخط الفرنسي، ودروس لتعليم الإملاء الصحيح، وقد درَّسها لنا الشيخ محمد أمين كيلاني وله مؤلَف في هذا، وكان الأساتذة الذين يترددون علينا في السنوات الخمسة مَن ذكرتهم سابقاً، والسيد عمر يحيى [1]، والسيد أحمد الوتار، والشيخ محمد أمين كيلاني، والشيخ محمود العثمان، والسيد أحمد عزت العبيسي، وأساتذة لتعليم اللغة الفرنسية، ونسيت أسماءهم، وإن المدير السيد عمر يحيى كان يسكن في المدرسة لأنه لم يكن متزوجاً، وكان يحفظ من الشعر الكثير، وكان يطلب مني عند انصراف الطلاب أن أتأخر عنهم لأسمع له ما حفظ من الشعر في غرفته الخاصة، ثم أذهب للبيت.

ولما وصلنا الصف الخامس، وكانت له شهادة رسمية مقبولة، لمكانة الثقافة والعلم في تلك الأيام، تولى المدير تعليم اللغة الفرنسية، من مطالعة وقواعد ومحفوظات وتصريف الأفعال وترجمة وحفظ كلمات، إلى غير ذلك مما له علاقة باللغة الفرنسية، وكان يستدعينا يوم الجمعة ويكرمنا ويضيفنا من أجل التقوية في اللغة، ولما صار فحص الشهادة وقد حصل النجاح للكثير والحمد لله، ومن العادة أن تقيم المدرسة حفلة عامة آخر السنة تدعو فيها أولياء الطلاب وغيرهم للحضور، وتُلقى الكلمات، وتُكتب روايات تمثيل يشترك فيها عدد من الطلاب، يقرأ كل منهم بدوره ما يلزم، وكنت مشتركاً معهم، وكان الشيخ محمد أمين كيلاني يرتب هذه الروايات، ثم بعد انتهاء الحفلة عُلقت نياشين (أوسمة) الناجحين في صدورهم، وكنت الثالث فيهم والحمد لله.

في المدرسة الشرعية بحماة: ثم انتسبت للمدرسة الشرعية بحماة عام ١٩٣٣ ودخلت الصف الثاني الشرعي، وكان معي:

زملاء الشرعية: ابن العم الشيخ محمد بشير المراد، الشيخ محمد نور كزكز، الشيخ عبد الرزاق الشيخ ديب، الشيخ عبد الرزاق زمزوم، وحسين الجاسم التركاوي، عبد الرحمن

---

[1] كان مديراً للتربية ودرَّس الأدب العربي بعد قدومه إلى حلب في الثانوية الشرعية.

العبود التركاوي، وحسن السليمان التركاوي - فيما أظن - والشيخ محمد النبهان، وغيرهم من أهل البلد والبَر، وبقينا فيها ثلاث سنوات، وأخذنا الشهادة الشرْعية والحمد لله سنة ١٩٣٦.

أساتذة الشرعية: ودرسنا فيها معظم العلوم الشرعية والآلية على مشايخ حماة، ومنهم المدير الشيخ محمد توفيق الصباغ رئيس جماعة العلماء بحماة، ومنهم الشيخ محمد زاكي دندشي، والشيخ أسعد المعراوي، والشيخ مصطفى علوش، والشيخ عارف القوشجي، والشيخ محمد البوشي الشقفي، والشيخ نوري الحافظ، وكلاهما كفيف البصر وكانا يعلمان القرآن وأحكام التجويد، والشيخ علي خير الله للحساب والهندسة، والشيخ سعيد زهور. وكنا نحضر بعض الدروس الخاصة والعامة أيضاً، لأن الأسرة (المرادية) كلها مشغولة بالعلم والشعائر، وكنا نتساعد معاً ونطبق عملياً (العلم) في الإمامة والخطابة والتدريس والحمد لله، وهذا من فضل الله علينا، وعميد الأسرة الشيخ أحمد المراد لا يتركنا.

في الخسروية بحلب: ثم فكرت بالذهاب إلى حلب لأنتسب إلى المدرسة (الخسروية) التي هي أزهر سورية، حيث تخرج منها في حماة الشيخ محمد الحامد، والشيخ عبد الله الحلاق، والشيخ محمد سيادي المراد، والشيخ صالح النعمان، وغيرهم.

فاستأذنت شيخنا الشيخ محمد أبا النصر خلف في حمص فأذن لي، أما والدي فكان غير راض بذلك، فذهبت إلى حلب قبل المسابقة بقليل، فنـــزلت عند صديق لي من قرية خطاب واسمه الشيخ حسن مصطفى رزوق [1]، ذهب إلى حلب قبل سنة وحضر المسابقة ونجح ودخل الصف الأول (مستمعاً)، فحضرت إلى حلب ونزلت عنده في المدرسة العثمانية، حيث كان يسكن في غرفة الشيخ بكري العلبي.

مع الشيخ أبي النصر بحلب: وقبل المسابقة حضر إلى حلب سيدنا الشيخ محمد أبو النصر من حمص، ودعاه الشيخ عيسى البيانوني إلى العشاء، فأخذنا سيدنا الشيخ أبو النصر

---

[1] راجع ترجمته في هذا الفصل من علماء حماة.

معه (أنا والشيخ حسن) إلى تناول العشاء عند الشيخ عيسى، وأخذ أيضاً الشيخ عبد الباري [1] مشعل بن الشيخ محمد مشعل، خليفة الشيخ محمد سليم خلفْ الحمصي في الطريقة النقشبندية وهو من قرية (تلدو)، وأخذ أيضاً الشيخ موسى الزيادي [2] وهو من بعض قرى حلب ومن تلامذة الشيخ محمد أبو النصر خلف، ووجدنا في الدعوى مدير الخسروية الشيخ مصطفى باقو وغيره من العلماء، وبعد تناول العشاء أو قبله أخذ الشيخ محمد أبو النصر يعرِّف المدير والشيخ عيسى بنا، ويترجم عني وعن أسرتي المشغولة بالعلم الشرعي والحمد لله.

ثم دخلنا المسابقة التحريرية في رواق مسجد الخسروية، على الحصر، وكان عدد المتقدمين فوق المائة، لأنه كان يقصدها الطلاب من كل محافظات وأقضية سورية، وكان المطلوب للصف الأول أقل من عشرين طالباً، وعادة الإدارة أن يأخذوا من كل منطقة ما يناسب عدد سكانها، ويفضِّلوا مَنْ جمع العلامات الكثيرة على إخوانه من أهل منطقته، ثم سافر شيخنا أبو النصر إلى قرية (دويرينة)، وبعد حضورنا الاختبار الشفهي يوم الخميس، الذي كان يقوم به الشيخ راغب الطباخ، تذاكرنا نحن الثلاثة، أنا كاتب هذه السطور والشيخ حسن رزوق والشيخ موسى الزيادي، تذاكرنا في السفر إلى قرية (دويرينة) لننعم برؤية شيخنا أبي النصر، وبالحفلات التي تُقام بوجوده من مديح وذكر وغير ذلك، فسافرنا جميعاً وحضرنا تلك الليلة العامرة بالخير، ونمنا هناك، وبقينا إلى صلاة الجمعة، وبعد الغداء بقينا إلى ما بعد صلاة العصر، ثم أستأذنا شيخنا أبا النصر للذهاب إلى حلب حيث ستُعلَن نتائج المقبولين في (المدرسة الخسروية) اليوم (الجمعة)، وستفتح المدرسة غداً السبت، فمن كان ناجحاً حضر إلى المدرسة، وإلاّ ذهب لبلاده، فأذن لنا الشيخ، ومشينا نريد الطريق الرسمي لنركب سيارة متوجهة إلى حلب فلم نجد.

كرامة للشيخ أبي النصر: ومشينا قليلاً، وإذا بطالب كان قد حضر المسابقة، ويظهر أنه

---

[1] انظر ترجمة الشيخ محمد مشعل خليفة مولانا سليم وابنه عبد الباري في فصل علماء حمص.

[2] انظر ترجمته في فصل علماء إعزاز.

من ذات القرية التي كنا فيها، فسأله إخواني: هل ظهرت النتائج ؟ قال: نعم؛ ووُضعت قائمة الناجحين (في لوحة إعلانات المدرسة) وقد قرأت الأسماء كلها وحفظتها، وبدأ يعد أسماء الناجحين، وعد منهم الشيخ حسن والشيخ موسى؛ زميلاي، ولم يذكر اسمي، فقلت لهما: سأعود إلى شيخنا أبي النصر وأخبره بما حصل. فرجعنا جميعاً، وأخبرنا الشيخ بذلك فقال: (إنك ناجح؛ هكذا أخبروني، إذهب إلى الشيخ محمد الغشيم [1] وقل له ماذا حصل). وأنا لا أعرف الشيخ محمد الغشيم، ولعله ممن اشترك في معرفة الناجحين أكثر من غيره.

وعدنا نقصد حلب، فوجدنا على الطريق العام سيارة صغيرة - كما أخبرنا الشيخ - ودفعنا أجرة الطريق كل واحد منا فرنكاً (خمسة قروش)، وفي المدرسة العثمانية، حيث أنزل ضيفاً على الشيخ حسن رزوق، رأينا غرفة الشيخ عيسى البيانوني مفتوحة، ووجدنا فيها الشيخ محمد الغشيم، الذي عرّفني عليه أخي الشيخ حسن، وبلّغت الشيخ الغشيم سلام شيخنا أبي النصر وحكيت له ما حصل فقال: عندما وصل الدور إلى حماة وتوابعها، أخذنا واحداً وهو الشيخ حسن رزوق لأنه أُرجئ من العام الماضي، وصار له سنة ينتظر، ثم جاء اسمك، ولا يؤخذ من حماة إلا واحد، وقد أخذناه، فلا محل لك حسب النسبة، وإن أسماء الناجحين رُفعت للأوقاف بعد ما سُجلت وأخذت الصفة الرسمية وأُعلنت في المدرسة، وغدا سيكون حضور الطلاب، فلا مجال للتغيير والتبديل، ولو أتى سيدنا عبد القادر الجيلاني.

سمعت ذلك، وهممت بالرجوع إلى القرية، لإخبار سيدنا الشيخ أبي النصر بذلك، إلا أني أرجأته للصباح، ونمت تلك الليلة مكسور الخاطر، وفي الصباح توجه الشيخ حسن للمدرسة بقصد الدوام، فقلت له: سأذهب معك وأرى قائمة المقبولين بنفسي، ثم أذهب أخبر شيخنا بعد ذلك. فذهبنا معاً إلى المدرسة (الخسروية) واطلعت على قائمة أسماء المقبولين، فوجدت اسمي بينهم، فحمدت الله تعالى، ودخلت مع الشيخ حسن إلى الصف بشكل رسمي، وهناك وجدت الشيخ عبد الفتاح أبو غدة والشيخ فوزي فيض الله

---

[1] سبقت ترجمته في فصل علماء حلب.

وغيرهم؛ ثم استفسرت عن الموضوع فبلغني أن قائمة المقبولين، أُخذت ليلاً وغُيرت ووُضعت، وأن الله على كل شيئ قدير.

ثم يذكر إقامته في مدرسة السيافية في السنة الأولى من انتسابه للخسروية ونجاحه تلك السنة – ١٩٣٥ – بتفوق.

شيوخه في الخسروية: ويذكر شيوخه في الخسروية فيقول: وواظبت في المدرسة مع زملائي على شيوخ أجلاء؛ منهم الشيخ مصطفى باقو، والشيخ عبد الله حماد، والسيد أمين عيروض، والشيخ سعيد الحمال، والشيخ محمد اللبابيدي، والشيخ أسعد العبجي، وهناك أساتذة لا يدخلون على صفنا وهم من خيرة العلماء، أمثال: الشيخ عيسى البيانوني، والشيخ محمد الناشد، والشيخ أحمد الكردي، والشيخ محمد السلقيني ووالده الشيخ إبراهيم السلقيني، والشيخ محمد راغب الطباخ، والشيخ أحمد الزرقا، والشيخ سعيد الإدلبي، وغيرهم.

ثم يذكر عودته لحماة، وتعبه صيف تلك السنة بالعمل في دار والده ويقول: وقد اشتغلت في بيتنا عاملاً أياماً دون هوادة حتى انتهت العطلة الصيفية، ثم ذهبت لحلب لأتابع الدراسة في الصف الثاني وأنا متعب الجسم والفكر جميعاً، وانتقل سكني (من العثمانية) إلى المدرسة السيافية مع زميلي الشيخ حسن رزوق الذي سبقني إلى المسكن فيها من السنة الأولى وهي (الغرفة) غير صحية.

العودة إلى حماة: ويذكر أنه أُصيب بالمرض الأليم والضعف الزائد أول السنة الدراسية حتى كاد يفقد حياته، حتى جاء والده وأخذه إلى حماة وعالجه هناك لدى طبيب العائلة الدكتور منير الأسود، وطال العلاج أشهراً برعاية ذلك الطبيب وعناية أسرته، وانقطع ذلك العام عن المدرسة – ١٩٣٧ – وظل بحماة يحضر دروس المشايخ، وعلى رأسهم عم والده الشيخ أحمد المراد، ودروس المشايخ في المساجد وفي الجامع الجديد عند الشيخ محمد زاكي دندشي وغيره حتى عام ١٩٤٤، وقد تخرج زملاؤه من الخسروية، ويسر الله له الذهاب إلى الأزهر الشريف. (أقول: ولدى مراجعة سجلات الخسروية فإن زملاءه تخرجوا و لم يتخرج هو لأنه لم يتابع).

إلى الأزهر الشريف: وفي عام ١٩٤٤ تم تسجيله في الأزهر بعد حضوره اختبار القبول، وحضر معه أيضاً زميلاه في الخسروية عبد الفتاح أبو غدة وفوزي فيض الله، (وقد نجحنا والحمد لله في التحريري والشفهي، ودخلنا الصف الأول لكلية الشريعة، وأنها تعنى بالفقه والأصول وأحاديث الأحكام، وهناك علوم ثانوية، مثل التراجم لبعض العلماء ومصطلح الحديث والمنطق وغيرها حتى انتهت السنة).

شيوخه في مصر: قال: (وقد تعرفت على الشيخ مصطفى الحمامي خطيب مسجد السيدة زينب، والشيخ محمد زاهد الكوثري، والشيخ عبد الخالق الشبراوي، والشيخ عبد الله الصديق الغماري، والشيخ حسن البنا، والذي كلفني بذلك شيخي الشيخ محمد الحامد، حيث كان قبلي في الأزهر، وتعرَّف عليهم).

ثم يذكر رجوعه إلى حماة أثناء العطلة الصيفية وزواجه من السيدة سعاد بنت عمه الشيخ محمد ظافر المراد بعام ١٩٤٥، وقد أخذها معه إلى مصر واستأجر بيتاً له ولزوجته وترك بيته السابق لابن عمه محمد بشير المراد.

أما زملاؤه في الأزهر فهم: الشيخ عبد العزيز الخياط من نابلس، والشيخ صلاح الأزهري من اللاذقية، والشيخ عثمان يحيى الأرمنازي من حلب.

وفي هذه السنة ذهب عمه والشيخ محمد نجيب المراد إلى الحج عن طريق القطار من دمشق إلى حيفا إلى السويس، ثم في البحر إلى جدة، وقد أبرق عمه ليلتقيه في السويس فذهب إليه، والتقاه هناك، وعاد في الصيف إلى حماة.

الحجة الأولى ١٩٤٥: وذكر أن الأزهر سيرسل بعثة من الأساتذة والطلاب إلى الحج، وسجل اسمه فيها، وأبرق زميل مصري له يخبره بقبوله، وعاد من حماة ليكون سادس ستة طلاب مع ستة عشر أستاذاً وهو الوحيد غير مصري.

(وكان رئيس بعثة الحج لمصر كلها هو شيخ الأزهر الشيخ مصطفى عبد الرازق، أرسلته الحكومة المصرية ومعه كسوة الكعبة) والأموال الموقوفة على فقراء الحرمين لكل سنة، مع أفراد من شخصيات مصر يمثلون مصر، ويؤدون الأمانات لأصحابها.

ثم كتب: ولما وصلنا ميناء جدة، وليس لها ميناء، بل وقفت الباخرة بعيدة لكثرة الصخور التي في طرف البحر، فجاءت القوارب المتعددة لتنقل الحجاج وأغراضهم إلى الشاطئ، وإن رائحة السمك كثيرة، والذباب كثير وماء الشرب قليل، وجلسنا في جدة في مدرسة للمعارف، ثم سافرنا إلى مكة بالسيارات المسقوفة بخشب والمقاعد من خشب، والطرق إما رملية أو وعرة من كثرة الأحجار، وأتينا بأعمال الحج والعمرة، واجتمعنا ببعض الحمويين في عرفة ومزدلفة ومنى ومكة، ومنهم الشيخ محمد الحامد ومعه زوجته وولده الكبير محمود وكان صغيراً، ثم ذهبنا إلى المدينة المنورة، وقد جمعني الله بأعظم عالم فيها وهو شيخ مشايخها الشيخ عبد القادر الشلبي الطرابلسي، وقد شرفني بإعطاء الإجازة، وهي مطبوعة والحمد لله).

التخرج من الأزهر: ويذكر انتهاءه من الأزهر بعام ١٩٤٨ وحصوله على شهادة كلية الشريعة، وابن عمه محمد بشير المراد على تخصص القضاء.

العودة إلى حماة: ورجعنا إلى حماة، وباشرت بمساعدة أعمامي في وظائف المسجد من تدريس وإمامة وخطبة جمعة، وحضور دروس خاصة والحمد لله، وكل ظني أنه سيكون لي وظيفة في مسجد من المساجد، كما هي أعمال أفراد الأسرة، وكذلك أعمل حلقة علم لأستفيد وأفيد غيري، وإذا بي يهرب ظني بإكراه من أحبابي؛ يقول الشيخ محمد الحامد: إن وزارة المعارف أعلنت مسابقة انتقاء أساتذة للتدريس في مدارس الحكومة، فاذهب لدمشق واحضر المسابقة. فاعتذرت من ذلك وقلت له: أنا تعلمت لأرفع الجهل عني، وأرفعه عن غيري عن طريق حلقات تدريس. فقال لي: علَّ الله يهدي بك طلاباً للإسلام الحنيف !

التدريس في مدارس الحكومة في حلب: واستشرنا شيخنا الشيخ محمد أبا النصر خلف في ذلك، فأمر بالذهاب للمسابقة، فذهبت أنا وابن عمي الشيخ محمد بشير المراد، وحضر غيرنا من دمشق وغيرها، مثل الأستاذ وهبي سليمان الغاوجي الذي أصبح بعد مدة صهرنا، وبعد الانتهاء من المسابقة خرجت النتيجة هكذا: الشيخ محمد بشير المراد (مدرساً) إلى دير الزور، والأستاذ وهبي سليمان إلى حلب، والفقير إليه تعالى أيضاً إلى

حلب، وباشرنا التدريس في حلب، ولا يوجد كتاب للديانة، ولكن لدينا المنهاج وهو في الأسبوع درس واحد لكل شعبة لقراءة القرآن وحفظه وأحكام التجويد، ولإعطاء الدروس من توحيد وفقه وتفسير وحديث تملى عليهم وتُكتب ليستطيعوا حفظها).

ثم يذكر توطيد الصداقة بينه وبين زميله الشيخ وهبي سليمان، وتبادل الزيارات بينهما حتى قسم الله زواج أخته، وكذلك أخوه كاظم سليمان، فتزوج الأخوَانِ الأختين.

مع الشيخ أبي النصر في حلب: (وكان يتردد إلى حلب سيدنا الشيخ محمد أبو النصر خلف شيخنا في الطريق النقشي، نجتمع معه في زاوية أبي ذر، وفي الدعوات والحفلات والحمد لله، ولكنه توفي في عطلة الصيف رحمه الله تعالى).

العودة إلى حماة والتدريس فيها: وقد أمضيت سنتين في حلب (١٩٤٨-١٩٥٠) ثم تحولت إلى حماة وبقيت ثلاثين سنة في التدريس، إلى سنة ١٩٨٠ ثم تقاعدت، ولقد درَّستُ في مدارس عديدة رسمية وأهلية، وكذلك في الثانوية التجارية والصناعية، وغيرها، وكان أكثر تدريسي في ثانوية أبي الفداء، وكم تقلب عليها من مديرين، وكم اجتمعت بأساتذة وطلاب خلال ثلاثين سنة في حماة، حتى إن بعض المديرين للمدرسة والمعلمين فيها، بل وبعض مديري التربية كانوا من تلاميذي، وكنت أقوم بالتدريس في المسجد وخطبة الجمعة، وعندي حلقة علمية أيضاً والحمد لله، لأن شيخي محمد الحامد كان له حلقة في الفقه صباحاً قبل الشمس في الجامع الجديد، في غرفته قبل الذهاب إلى المدرسة، وكان يحضر فيها الشيخ عبد الحميد طهماز، والشيخ محمود الرباحي، والفقير إليه تعالى، ويحضر بعض الأحباب حسب فراغهم، لكن الشيخ (الحامد) توفي ١٩٦٩... ثم يذكر أنه قام بإحياء مسجد قديم في زاوية فوق جامع باب البلد، وأعاده مسجداً بعد أن كان مستودعاً، بمساعدة مديرية أوقاف حماة، ثم جعل فيه حلقة علمية.

إرشاد الحجاج: (وقد حججت عام ١٩٥٤، وأنا موظف، ثم تابعت الحج كل سنة تقريباً رحمة بالناس، حيث لاحظت أن كثيراً من الحجاج لا يعرفون شيئاً (عن أحكام الحج) باعتباره عبادة جديدة عليهم، فصرت أستأذن كل سنة للحج مع حسم الراتب، إن

تيسر لي بدل عن الحج أم لا)، وكان يدرِّس أحكام الحج في المسجد كل ليلة قبل سفر الحجاج ويلخص لهم أحكامه، ثم يصحبهم لتطبيقها عملياً في المناسك والمشاعر، (وكنت أستأذن عمي الشيخ أحمد في السفر للحج، وبعده كنت أستأذن عمي الشيخ محمد ظافر، والشيخ محمد الحامد، ثم الشيخ محمود الشقفة، وكلهم كانوا يعلمون خدمتي للحجيج والحمد لله، وكم استفاد الحجاج في حماة وغيرها في المدينة المنورة وفي الحرم وغيره وفي مكة وعرفات ومنى، ونرجوا الله تعالى أن يجعلنا من المقبولين إنه سميع مجيب).

الهجرة إلى المدينة المنورة: وبعد أن أخذت التقاعد سنة ١٩٨٠هاجرت وأسرتي من حماة إلى المدينة المنورة بسبب ظروف قاهرة لا تحتمل، نرجو الله تعالى زوالها عاجلاً غير آجل، وأن يعود المسلمون لدينهم، وأن يتولاهم الأخيار في كل مكان، وأن يجتمع المسلمون ورؤساؤهم من المسلمين على ما يرضي الله تعالى ورسوله، إنه على كل شيء قدير.

أسرته: ويذكر في الترجمة أن الله سبحانه رزقه بنين وبنات، ومن بقي منهم على قيد الحياة أربع وهم:

محمد سليم: ويعمل الآن خطيباً وإماماً في (العين) التابعة لأبي ظبي من دولة الإمارات، ورزق بنتان وولداً. **وسلمى:** تزوجها السيد عمر دندش من جسر الشغور، وأثناء تحرير الترجمة يعمل في السودان، وأولاده وعائلته في الأردن. **وعائشة:** تزوجها الشيخ أحمد الكبيسي وهو عراقي تخرج من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، ثم حصل على الدكتوراه من جامعة أم القرى وقد يكون الآن في الإمارات، ورزق أيضاً منها البنين والبنات. **ومؤنسة:** تزوجها السيد محمد أيمن جعبور، حموي يسكن العين (الإمارات) ويعمل في جامعتها.

أما إخوته: عبد القادر معلم في رأس الخيمة (الإمارات). و **محمد أنس** موظف في الفجيرة (الإمارات)، **وإبراهيم** [1] في حماة، والشيخ **سعد الدين** في جدة. وأخته صائمة مع

---

[1] توفي في حماة بعد زيارتنا له وبعد تحرير هذه الترجمة.

زوجها الأستاذ وهبي في (دبي)، وقد استقر أخيراً في دمشق ولله الحمد، وأسرة ابن عمه الشيخ محمد بشير في (العين) الأولاد معلمون في مناطق... وابن عمه محمد رضوان ابن الشيخ محمد ظافر معلم في (دبي) وهكذا، (وإني أقوم كل سنة بزيارة الإمارات لأزور الأولاد والإخوة).

إجازاته في العلم و الطريق: قال: (إن الله تعالى أكرمني بإجازات في العلم والطريق من عدد كبير من العلماء من أمكنة عديدة، ليبارك الله تعالى في العلم وحامليه:

١- فأول من شرّفني بذلك عم والدي الشيخ **أحمد المراد** بن الشيخ محمد سليم المراد الأول، وفيها الإجازة بالفقه الحنفي والحديث، وهو أخذها عن أخيه لأبيه الشيخ محمد علي المراد الأول. وأجازني أيضاً في **ثَبْت الشيخ سليمان الأروادي**، وهو من خلفاء مولانا الشيخ خالد (الحضرة) الكردي، المرجع الأول في نشر الطريقة النقشبندية في العراق وسورية وغيرهما، وهو المدفون في حي الأكراد في دمشق، وقد ألّف العالم الكبير السيد محمد أمين عابدين صاحب الحاشية على كتاب الدر المختار، والمسماة رد المحتار، وهي أكبر مرجع للفتوى على المذهب الحنفي، ألّف السيد محمد أمين عابدين رسالة خاصة سماها: (**سَلُّ الحسام الهندي في نصرة مولانا خالد النقشبندي**)، والسبب في ذلك أن الشيخ خالد انتشرت كراماته وطريقته، فاتهمه بعض الحسدة والجهلة بأنه ساحر، فقام الشيخ محمد أمين عابدين في التحقيق فوجد أن الشيخ خالد متمسك بالإسلام على شكل عظيم، لذلك انتصر له وسلك طريقته. وثَبْتُ الشيخ سليمان جمع العلوم كلها والطرق كلها، أمرني عمي بكتابته ثم أجازني بعد أن ختمه بخطه رحمه الله تعالى.

٢- وكذلك أجازني الشيخ **محمد سعيد النعسان** مفتي حماة، أمرني أن أكتب الإجازة، ثم ختمها وأجازني.

٣- وكذلك أجازني الشيخ **محمد توفيق الصباغ** رئيس جمعية العلماء بحماة.

٤- وكذلك الشيخ **محمود الشققة** وهو شيخ التكية الهدائية في حماة، وشيخ الطريقة الرفاعية في حماة وغيرها. أجازني بالطريق الرفاعية في مكة المكرمة.

٥- وكذلك أجازني الشيخ **محمد مرتضى الكيلاني**، وهو نقيب أشراف حماة، بالطريقة القادرية.

٦- وكذلك أجازني الشيخ **محمد منير الحوراني**، نيابة عن والده الشيخ محمد أديب الحوراني، وهو من علماء حماة الكبار، وقد درس في الأزهر الشريف.

٧- وكذلك أجازني الشيخ **محمد زاكي الدندشي**، وهو أحد علماء حماة، ومذهبه حنفي، وكانت له حلقات علمية غير تعليمه في المدرسة الشرعية، وكل هذه الإجازات موجودة عندي في مكتبتي بحماة.

٨- وأجازني الشيخ **محمد توفيق الأتاسي** مفتي حمص شفهياً.

٩- وكذلك الشيخ **عبد العزيز عيون السود** شفهياً، وهو أمين الفتوى في حمص، وكان شيخ القراء الجامعين للقراءات كلها بأنواعها، وكم تخرج على يديه من الحفاظ من عدة مدن، والحمد لله.

١٠- والشيخ **محمد الخالد الأنصاري** أجازني بالأذان، وقد أعطاني الإجازة المطبوعة، وفيها أسماء الشيوخ الذين أجازوا بعضهم إلى سيدنا بلال ﷺ، وإن جدي الشيخ محمد علي المراد الأول، أجازه الشيخ محمد الخالد الأنصاري بالأذان، فقد اشتركت أنا وجدي بالإجازة من شيخ واحد.

١١- وأجازني الشيخ **محمد مكي الكتاني** شفهياً.

١٢- وأجازني الشيخ **محمد أبو اليسر عابدين** خطياً، وهو طبيب جسم وله عيادة، وكان مفتياً للجمهورية قبل المفتي الحالي.

١٣- وأجازني الشيخ **محمد راغب الطباخ** بكتاب مختصر الأثبات الحلبية عندما كنت طالباً في الخسروية بحلب، وصار مدير الخسروية فترة، وله كتاب عظيم في التاريخ اسمه: أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، عدا الكتب الأخرى الكثيرة.

١٤- وأجازني أيضاً الشيخ **عبد الرحمن السباعي** بالطريقة النقشبندية، وهو من عائلة كبيرة في حمص، إلا أنهم توزعوا في عدة مدن في سورية ولبنان لكثرتهم، والحمد لله.

١٥- وأجازني الشيخ **عبد الوهاب الحافظ** الملقب دبس وزيت، وهو أحد كبار علماء دمشق وزهادها.

١٦- وأجازني الشيخ **عارف عثمان** رئيس مجلس الصلاة على النبي ﷺ في دمشق والمحافظات، وهي قائمة إلى الآن في بعض المدن، والحمد لله.

١٧- وأجازني أيضاً الشيخ **صالح فرفور** أحد علماء دمشق الكبار، وعنده مدرسة شرعية قوية خرَّجت كثيراً من الطلاب والحمد لله، وهي قائمة إلى الآن، يقوم عليها الشيخ عبد الرزاق الحلبي الفقيه الحنفي وهو أحد تلامذة الشيخ صالح فرفور، وإن الشيخ صالح رحمه الله تعالى خلَّف أولاداً أهل علم والحمد لله، ويلاحظون مدرسة والدهم.

١٨- وأجازني أيضاً الشيخ **راغب دويري** وهو من أكابر الصالحين في حمص، ويسكن على سدة جامع القصيّر في حمص، وكم كنا نزوره للتبرك به، وكان يأمرني أن آتي كل سنة ليلة النصف من شعبان إلى حمص لأقرأ سورة (يس) ثلاث مرات بين المغرب والعشاء في المسجد نفسه مع الدعاء، وبعد العشاء أصلي فيهم صلاة التسابيح جماعة، ثم ندعو بما تيسر، رحمه الله.

١٩- وإني تلقيت الطريق النقشبندي من شيخي الشيخ **محمد الحامد**، بإذن من الشيخ أبي النصر خلف شيخ الطريقة في سورية.

٢٠- وكذلك أجازني الشيخ **عبد الباسط خلف** بن الشيخ محمد أبي النصر خلف، في حلب، حيث سكن حلب لملاحظة تلامذة والده الكثيرين المنتشرين في حلب وضواحيها.

٢١- وأجازني أيضاً الشيخ **محمد العربي العزوزي المغربي** أمين فتوى لبنان، وكان من العلماء الكبار الذين درسوا على السيد محمد جعفر الكتاني المشهور بعلمه وفضله ونسبه وكرمه في كل مكان، وهو والد سيدي محمد مكي الكتاني رئيس جمعية العلماء بدمشق.

٢٢- وممن أجازني الشيخ **محمد بدر الدين الحسني المغربي** خاتمة المحدثين العالم الزاهد، الفاضل الحسيب النسيب، صاحب الكرامات الكثيرة والملهم في كثير من الأمور، وكانت الإجازة بواسطة أمين سره الشيخ يحيى زميته.

٢٣- وممن أجازني الشيخ **عبد القادر الشلبي الطرابلسي** المقيم في المدينة المنورة، اجتمعت به في أول حجة من الأزهر سنة ١٩٤٥، ومعي السيد أحمد خيري باشا من تلامذة الشيخ محمد زاهد الكوثري، وكيل شيخ الإسلام في استانبول (أي الكوثري)، ثم هاجر إلى مصر أيام فتنة الملحد مصطفى أتاتورك، وكذلك هاجر الشيخ مصطفى صبري شيخ الإسلام إلى مصر، واجتمعت بهما.

٢٤- وأجازني أيضاً الشيخ **محمد زاهد الكوثري** وكيل شيخ الإسلام في استانبول المهاجر إلى مصر، وقد اجتمعت به كثيراً مع زميلي الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، وقد ألَّف (الكوثري) كتباً كثيرة، وحقق كتباً أكثر، وقدَّم لكتب كثيرة، وقد طبع (ثبته) وأجازنا به.

٢٥- وقد أجازني الشيخ **ياسين الفاداني** العالم الكبير في مكة المكرمة، وهو أندونيسي الأصل، وقد كانت عنايته بالإجازات والأثبات بشكل عجيب، فكم أجاز من طلاب العلم والعلماء، وكم أجيز من علماء الإسلام بواسطة موسم الحج، وكم طبع من كتب لها علاقة بهذا الموضوع ؟!

يقول أبو يحيى: وقد أجازني الشيخ الفاداني بالحديث بعام ١٤١٠هـ ولله الحمد.

٢٦- وقد أجازني **السيد علوي المالكي** أحد علماء مكة الكبار، وهو والد السيد محمد علوي المالكي.

٢٧- وقد أجازني الشيخ **بنيامين البخاري**، وهو من أكبر علماء الطائف، زرته وأجازني في العلم والطريق.

٢٨- وقد أجازني الشيخ **عبد القادر البار** في الطائف، وهو يسكن مكة المكرمة، وهو من كبار الصالحين.

٢٩- وممن أجازني الشيخ **ضياء الدين القادري** في المدينة المنورة عن طريق ولده فضل الرحمن، وذلك بالطريقة القادرية.

٣٠- ومنهم الشيخ **محمد زكريا الكاندهلوي**، شيخ الحديث، وكان مجاوراً في المدينة المنورة.

٣١- ومنهم الشيخ **علاء الدين البكري** بن العالم الكبير الشيخ محمد علي أعظم، وذلك في المدينة المنورة.

٣٢- ومنهم الشيخ **محمد شفيع الديوبندي**، مفتي الباكستان، أجازني في المدينة المنورة [1].

٣٣- ومنهم الشيخ **عمر من زنجبار**، أجازني في المدينة المنورة.

٣٤- ومنهم الشيخ **حبيب الرحمن القادري**، أحد علماء الهند، أجازني في المدينة المنورة.

٣٥- ومنهم الشيخ **عبد العليم الصديقي القادري**، أحد علماء الباكستان المتجول في الدول الأجنبية للدعوة إلى الإسلام، وقد آمن على يديه الكثير من الكفار، وقد توفي في المدينة المنورة، وأرسل لي الإجازة لحماة.

٣٦- ومنهم الشيخ **أحمد الصديق الغماري** من طنجة، أرسل لي الإجازة بواسطة أخيه الشيخ **عبد الله الصديق الغماري**، الذي أجازني في القاهرة عندما كنت في الأزهر الشريف، وكان الشيخ ساكناً في القاهرة، يؤلف المؤلفات ذات المواضيع المتعددة، والذي عرفني عليه الشيخ محمد الحامد، عندما أردت الانتساب للأزهر، عرفني بكثير من العلماء الكبار لأستفيد منهم، وذكر لي (الحامد) عن الشيخ عبد الله الصديق المشهور في الحديث والفتاوى التي تُنشر له في المجلات المصرية، ذكر لي الشيء الكثير عنه.

٣٧- ومنهم الشيخ **عبد الحي الكتاني** المحدث الكبير الذي كان يلقَّبُ بمحدث الدنيا، لسعة علمه وذكائه وتآليفه، وكثرة الكتب التي جمعها ويجمعها من النوادر، وقد أخذت الإجازة منه دون لقاء ومعرفة، ذكرت له أنني منسوب إليه بواسطة الشيخ محمد راغب الطباخ، فلما علم بذلك أرسل لي الإجازة باسمي واسم الشيخ عبد الفتاح أبي غدة.

٣٨- ومنهم الشيخ **إبراهيم الختني البخاري المدني**، العالم الفاضل الزاهد المتواضع، وقد زارني في حماة إحدى السنوات.

٣٩- ومنهم الشيخ **محمد يوسف البنوري** العالم الكبير المحدث، وقد اجتمعت به كثيراً

---

[1] أقول: التقيته في موسم حج ١٩٧٣م في الحرم النبوي بعدما عرفني عليه أستاذنا الشيخ عبد الفتاح أبو غدة وسجلت له تسجيلات من القرآن الكريم، حيث أفادني الأستاذ أبو غده أنه شيخ القراء في باكستان أيضاً وقد كان بصيراً.

في موسم الحج، وهو الذي ألّف كتاب معارف السنن، شرح الترمذي، لكنه لم يتم، وقد أجازني خطياً في المدينة المنورة والحمد لله. وغيرهم كثير جزاهم الله كل خير.

ختام: ثم قال رحمه الله: انتهيت من هذه التراجم التي ابتدأت بها في الطائف، وانتهيت منها في بيتي في المدينة المنورة، حي السد، ظهر يوم الأربعاء ١٤١٢/١٢/١١هـ. محمد علي المراد.

وفاته: توفي رحمه الله بعد ما مرض ولازم الفراش، في بيته في المدينة المنورة، وصُلي عليه في الحرم النبوي الشريف، ودُفن في البقيع، وذلك في عام ١٤٢١، الموافق سنة ٢٠٠٠، رحمه الله تعالى ونوَّر ضريحه.

العلم الفرد، والصوفي المدقق، والفقيه الورع

الشيخ محمد بن محمود الحامد

(١٣٢٧-١٣٨٩هـ) (١٩١٠-١٩٦٩م)

هو العالم الورع والعامل الكامل والتقي الفقيه، والصوفي المدقق والباحث المحقق، والوارث الكامل المحمدي، والأديب الشاعر والداعية الواعي لأحداث زمانه وما يحيط بأمته وأوطانه، الشيخ محمد بن الشيخ محمود الحامد، الحموي ولادة ووفاةً الحنفي مذهباً، النقشبندي مشرباً، المجاهد في الله حق جهاده، الذي قضى حياته في سبيل الإسلام والذبِّ عن شريعته.

ولادته ونشأته الأولى: (ولد رحمه الله في بيت العلم والتقوى سنة ١٣٢٨-١٩١٠م، وكانت ولادته بعد انقطاع حمل أمه عدداً من السنين، حتى شكا والده إلى بعض خواصه انقطاع حمل زوجته، فأخبروه أنه كان في حمص شيخ مبارك اسمه الشيخ (سليم خلف)، يكتب بعض الكلمات على ورقة يعطيها لمن تشكو إليه انقطاع حملها، فتلحسها فتحمل بإذن الله تعالى، ولقد توفي - أي الشيخ سليم - لكن ولده الشيخ محمد أبو النصر يقوم مقامه في هذا، وهو يتردد على حماة لتفقد مريديه، وبتقدير الله سبحانه كتبت الورقة بيد الشيخ أبي النصر وحملت الأم بعد ذلك بإذن الله تعالى، وولد الشيخ رحمه الله تعالى، سمعت هذا الحديث من سيدي عدة مرات، وأشار رحمه الله إلى هذه الحادثة في إحدى قصائده التي يمدح بها شيخه أبا النصر بقوله:

فيا سيدي إنـــي ببابك واقف ... وقد تمت في بحـــر الضـــلال كـــثيراً
وأنّى لمثلي أن يُصَدَّ ولي بكم ... صِلات تبدت حين كنـــت صـــغيراً

وعاش في كنف والده وبين أخويه - بدر الدين وعبد الغني - ستة أعوام تقريباً، وفُجِعَ

في السادسة من عمره بوفاة والده، وفي العام نفسه فُجِع أيضاً بوفاة أمه، وذاق مرارة اليتم والفقر عدداً من السنوات، وكانت هي أشد السنوات التي مرت على البلاد، وهي سنوات الحرب العالمية الأولى؛ وكان والده يتحدث مراراً أن ولده هذا سيكون عالماً، ورآه مرة بعض الصالحين فأسرع إليه مقبلاً معانقاً يردد: الشيخ محمد الشيخ محمد) [1].

والده: الشيخ محمود الحامد: (غلبت عليه صفة التصوف واشتهر بها، وكان حارَّ المزاج حادَّ الطبع، كثيراً ما تطغى عليه الأحوال الشديدة، على جانب كبير من الصلابة الدينية والورع، عفيف النفس، كريم القلب، يعيش من كُتَّابه الذي أنشأه لتعليم الأطفال القراءة والكتابة) [2]. (وكتب عنه مفتي حماة الشيخ محمد سعيد النعسان في مذكراته؛ يوم الاثنين ٢٦ربيع الأول ١٣٣٤ هـ قال: "وفي اليوم نفسه وفاة المرحوم الشيخ محمود الحامد شيخ الطريقة النقشبندية في حماة خليفة المرحوم الشيخ عبد الفتاح العبد، وكان الشيخ محمود المذكور من الصالحين الجامعين على الله يلقن الطريقة، وتتلمذ له كثير من المريدين وانتفعوا به؛ وكان لجنازته وقع في نفوس الحمويين، خرج فيها كثير من العلماء وأهل الطرق والأعيان، وصلى عليه الشيخ محمد علي بن المرحوم شيخنا الشيخ سليم المراد") اهـ [3].

(والشيخ عبد الفتاح العبد أخذ الطريق عن الشيخ محمد سليمان الأروادي رحمه الله وهو أحد خلفاء مولانا خالد النقشبندي) [4].

وبعد أن تقلب هو وأخوه عبد الغني في مرارة البؤس والفقر واليتم سنوات طويلة، وبعد أن أنهى (محمد) مرحلة الدراسة الابتدائية في حماة وتخرج منها بعام ١٩٢٢، أدخله أخوه المدرسة الإعدادية ليتابع تحصيله في العلوم العصرية، لكنه لم ينسجم مع بيئته الجديدة في المدرسة (فإنَّ ميله إلى العلم الشرعي، والتزام حلقات بعض الشيوخ في طلبه، وسلوكه

---

[1] المحامد: للشيخ عبد الحميد طهماز الحموي، ص ١٣.

[2] المحامد: ص١٠.

[3] المحامد: ص١١.

[4] المحامد: ص ١٠-١١.

الديني الصارم، كل ذلك لم يلائم بينه وبين بيئة المدرسة) [1]، فخرج من المدرسة الإعدادية ١٩٢٤، ووضعه عند معلم خياط للملابس العربية، فكان يعمل في النهار عند الخياط، ويحضر في المساء الحلقات الخاصة بطلب العلم.

في المدرسة الشرعية بحماة: ولما افتتحت في حماة دار العلوم الشرعية بعام ١٩٢٤ ترك دكان الخياطة والتحق بها، وكانت أيامها من أسعد أيام حياته (فرغم صغر سنه بين أقرانه من طلاب المدرسة كان الأول بينهم... ولم تكن المدرسة الشرعية كافية له، بل كان يتردد صباحاً ومساءً على الدروس العلمية الخاصة التي كان يعقدها بعض الشيوخ في المساجد لخواص طلابهم، حتى بلغ عدد الحلقات التي كان يحضرها تسع حلقات في اليوم [2].

شيوخه في حماة: وكان من شيوخه في حماة كما قال عن نفسه: (فضيلة خالي الكريم الأستاذ الشيخ **محمد سعيد الجابي** المدرّس العامّ في حماة رحمه الله، فهو الذي دفعني في سبيل العلم الديني، وأمرني بحفظ القرآن الكريم، وأقرأني مبادئ العلوم الدينية. ومنهم فضيلة أستاذي الفقيه الجليل شيخ الشافعية في حماة ورئيس جمعية العلماء فيها الشيخ **محمد توفيق الصباغ**. ومنهم سماحة الأستاذ الجليل الشيخ **محمد سعيد النعساني** مفتي حماة ذو الباع الطويل في العلوم والمعارف. ومنهم فضيلة عمي والد زوجتي الأستاذ الفقيه الحنفي الحجة العالم العامل، التقي الورع، الزاهد في الدنيا، شمس علماء حماة وبدر شيوخها الشيخ **أحمد المراد** رحمه الله وبارك عليه، إنه من شيوخي الذين لهم عليَّ فضل التربية والتعليم وقد أكرمني الله فجعلني صهراً له على ابنته) [3].

في المدرسة الخسروية بحلب: وفي سنة ١٣٤٧-١٩٢٨م أنهى دراسته في مدرسة حماة الشرعية، فرحل في السنة نفسها إلى حلب، وهيأ الله له سبيل الانتساب إلى المدرسة الخسروية، وكانت تعتبر في ذلك الوقت أرقى المدارس الشرعية في بلاد الشام.

---

[1] المحامد: ص ١٨.

[2] المحامد: ص ١٩.

[3] المحامد: ص ٢٠.

و لم يكتَفِ بدروس المدرسة، بل كان يحرص على شهود الدروس العلمية التي تلقى في مساجد حلب، فكان يداوم على دروس عالم حلب الكبير الشيخ **نجيب سراج الدين** رحمه الله، و لم يكن يقتصر على كتب المناهج الرسمية، بل كان يطالع الكثير من المصنفات.

شيوخه في حلب: قال عنهم: (وفيها علماء أجلاء فطاحل محققون، تشدُّ الرحال إليهم، ويؤخذ العلم عنهم، ويؤتسى بهم في الدين والخلق، منهم: الشيخ **أحمد الزرقا** الفقيه الجليل الذي لم أجلس إلى أفقه منه، كان يتفجر علماً ويتفتح تحقيقاً ويجري معرفة كالوادي إذا سال، ولكأنّ الفقه كان أمامه؛ يأخذ منه ما يشاء ويترك منه ما يشاء، وأشهد أنه كان وقّافاً عند حدود الله في بياناته العلمية... ومنهم أفذاذ فضلاء كالشيخ **أحمد الكردي** مفتي الحنفية بحلب، والشيخ **عيسى البيانوني**، والشيخ **إبراهيم السلقيني** العالم العامل التقي الورع، والشيخ **محمد الناشد**، والشيخ **راغب الطباخ**، والشيخ **أحمد الشماع**، والشيخ **عبد الله عبد المعطي** الواسع المعرفة في فقه المواريث، والشيخ **فيض الله الأيوبي الكردي** المحقق العظيم في علمي التوحيد والمنطق، والشيخ **محمد أسعد العبجي** مفتي الشافعية حالياً في حلب، وهو والشيخ **عبد الله حماد** الباقيان على قيد الحياة من مشايخي، جزاهم الله خير الجزاء وبارك عليهم أحياءً وأمواتاً [1].

التحول الكبير في حياة الشيخ: وفي حلب حصل للشيخ الحامد التحول الكبير عن أفكار دعاة السلفية – التي كان يتبناها منذ كان في حماة – إلى السلوك في طريق التصوف، على يد شيخه العظيم الشيخ **محمد أبي النصر خلف الحمصي** النقشبندي رحمه الله [2].

(.. إذ أنه رحمه الله في أول نشأته العلمية وقبل سفره إلى حلب كان على مشرب يخالف السادة الصوفية، متأثراً بذلك بخاله الشيخ سعيد الجابي رحمه الله تعالى، وبمساعي الشيخ سعيد غلب على حماة هذا المشرب، ومما ساعد الشيخ سعيد في نشر آرائه: إخلاصه

---

[1] المحامد: ص ٢٤.

[2] المحامد: ص ٢٤.

وتقواه، فقد كان رحمه الله مخلصاً ورأى كثيراً من الدخائل والبدع عند متصوفة ذلك الزمان، فشن عليهم حملات عنيفة، لم تقف عند البدع والدخائل بل كان فيها إفراط وتحامل كبيران من الشيخ رحمه الله تعالى... في هذا الجو نشأ الشيخ الحامد رحمه الله، ولما كان الإخلاص لما يعتقد من حق طبعاً له، حمل أفكاره إلى حلب بكل ما يحمل من إخلاص وحماس، وكان الشيخ أبو النصر رحمه الله متربعاً فيها على عرش قلوب أكثر علمائها وجمهرة عامتها، وكان يتردد عليها كثيراً، وكان الشيخ الحامد على معرفة بالشيخ وثيقة، وقد سبق أن تلقى الذكر منه، إلا أن أفكار خاله كانت لا تزال متمكنة من قلبه راسخة في وجدانه، وقد عرف بذلك بين أقرانه من طلاب المدرسة الشرعية (الخسروية)، واشتهر بكثرة المناقشات التي كان يخوضها معهم، وفي إحدى الليالي العامرة بالذكر، التي كانت تشهدها حلب حين مجيء الشيخ إليها، ذهب - **الشيخ الحامد** - مع رفيق دراسته الشيخ **أحمد الحصري** حفظه الله تعالى، وهو شيخ المعرة وعالمها الآن، ذهب معه لرؤية الشيخ أبي النصر والسلام عليه، لما عرف من وفاء الشيخ الحامد وحفظه للمودة، ولما دخل الدار، خشي رفاقه في المدرسة من أتباع الشيخ - والذين كانوا حاضرين في مجلس الشيخ أبي النصر - أن يسبب لهم بعض المشاكل، لما يعرفون عنه، ولكن الشيخ أبا النصر رحمه الله، ما إن وقع بصره عليه حتى استدعاه وأجلسه أمامه، مع صاحبه الشيخ أحمد الحصري حفظه الله، وأمر المنشد بالإنشاد، وبدأ المنشد بقصيدة مطلعها:

كـــان لـــي ظـــل رســـوم ... فاســـتوت شمســـي فـــزالا
عشـــت بـــالمحبوب حـــقاً ... بعـــد مـــا كنـــت خيـــالا
وتخفّـــى عـــن كيانـــي ... بـــي عـــزاً و كمـــالا
لســـت بعـــد اليـــوم أخشـــى ... منـــه والله انفصـــالا

وأخذ الشيخ (أبي النصر) يتوجه بقلبه الكبير إلى الشيخ الحامد، وما مرت فترة حتى اشتعل القلب التقي النقي بالأحوال والمواجيد فطغت عليه، وقام مأخوذاً هو ورفيقه

يصيحان، والشيخ الحامد يردد أثناء ذلك: أشهد أنك يا أبا النصر على حق [1]، ثم أكبَّا على حجر الشيخ – أبي النصر – فتلقاهما رحمه الله بهدوء وسرور كما تتلقى الأم أطفالها، وبعد أن سكنا وعادا إلى صحوهما آخى رحمه الله بينهما أخوة روحية ما زادتها الأيام بعد ذلك إلا قوة وإخلاصاً وصفاءً، حتى أن الشيخ الحامد رحمه الله كان يقول: الشيخ أحمد الحصري هو الإنسان الأول في حياتي وهو أخي الروحي.

هذا اليوم من الأيام المشهورة في حياة شيخنا الحامد، وفيه حصل له التحول العظيم والانتقال الكبير، ببركة شيخه ومرشده أبي النصر رحمهم الله جميعاً، وإلى هذا أشار رحمه الله بقوله: "إنه الذي أخرجني من ظلمات الغفلة والقسوة والشرود، إلى نور الذكر والرقة والوقوف بباب الله سبحانه في ذلة وضراعة لهذا الرب الكريم، إنه الذي ملأني بتوجهات قلبه الشريف، وكم طهَّرت فيوضاته من أسرار وأزاحت من أكدار، وأعلت من همم وأنجت من نقم، كم أنقذ من غرقى في بحار الطغيان، وكم جلا عن القلوب من ران العصيان...) [2].

العودة إلى حماة بعد التخرج من الخسروية: وفي سنة ١٣٥٣– ١٩٣٣م عاد رحمه الله إلى حماة بعد أن أنهى دراسته في حلب، وبقي في حماة أربع سنوات أثبت فيها مكانته العلمية فجذب أنظار علماء البلد إليه، حتى إنهم أكرهوه على أن يستلم بعض المناصب الدينية فيها... ففي سنة ١٣٥٤–١٩٣٤م كلِّف بالخطبة في جامع الأشقر وألقى أول خطبة فيه، وكتب إلى شيخه أبي النصر: (فقد توجهتْ على الفقير ولدكم خطبة الجمعة في جامع الأشقر بعد أن عرضت عليَّ فرفضتها، ولكن المشايخ حفظهم الله تعالى أصروا على قرارهم وعملوا جهدهم لإقناعي، فقبلت وخطبت في الجامع المذكور يوم الجمعة الماضي – ٤ ربيع الثاني ١٣٥٤ – وإني أحمد الله على توفيقه، الذي لا شك في حصوله

---

[1] وأنك يا خالي الشيخ سعيد على باطل. وهذا مما سمعنا من شيخنا الشيخ عبد الباسط الذي حكا لنا هذه الحكاية مراراً حيث كان موجوداً أثناءها.

[2] المحامد: ص٢٠٠.

ببركة انتمائي إليكم، وانتسابي لسدتكم العلية، وقد طلب مني بعض جيران المسجد درساً عقب الصلاة كما كان يفعل الخطيب السابق ففعلت، ولطف الله تعالى بي، وله سبحانه الحمد على كل حال) [1].

المواجهة مع السلفية في حماة: وفي هذه الفترة – بعد التخرج والعودة إلى حماة – خاض الشيخ صراعاً فكرياً عنيفاً ضد الذين كانوا يناوئون الصوفية في حماة، وهم أتباع خاله الشيخ سعيد الجابي رحمه الله تعالى، ومن المعلوم أن الشيخ الحامد كان مرافقاً لهم قبل رحلته إلى حلب، بل إن خاله الشيخ سعيد كان يُعِدُّه ليكون خليفته في هذا، فأصيبوا – بتحوله للصوفية – بخيبة أمل مريرة، زاد من مرارتها الموقف الصارم الذي وقفه الشيخ منهم، حتى تمكن رحمه الله من تثبيت أقدام الصوفية في البلد، بعد أن زعزعتها الحملات العنيفة التي كان يشنها الشيخ سعيد عليهم في دروسه العامة [2].

ثم بعد هذه المواجهات ترك الخطبة في جامع الأشقر وعوضه الله عنها بجامع السلطان، وقد جرّت عليه المواجهات كثيراً من النقد والعناء، ونصحه الشيخ أبو النصر بترك مجادلتهم، وعدم مكالمتهم والابتعاد عنهم، فامتثل الشيخ الحامد لذلك وكتب إلى شيخه أبي النصر: (كنتم أرسلتم إليَّ كتاباً تأمرونني فيه بالابتعاد عن المنكرين بقدر الإمكان، وعدم مكالمتهم ومجادلتهم فيما يتعلق بأمر الطريق، وقد وفقني الله تعالى لامتثال أمركم حسب الطاقة، ووجدت له أثراً حميداً في نفسي، وشعرت بالتقدم والزيادة من الخير ببركتكم وعطفكم) [3].

بدء النشاط الدعوي والعلمي في حماة: ومع كل هذا لم ينقطع الشيخ رحمه الله تعالى عن دراسته العلمية، فقد كان دائب المطالعة، يحضر الحلقات العلمية، وبدأ يلقي دروسه العامة في هذه الفترة – فترة التخرج من الخسروية – ففي سنة ١٣٥٣– ١٩٣٣م عهد

---

[1] المحامد: ص٢٥.

[2] المحامد: ص٢٥.

[3] المحامد: ص٢٦.

إليه عمه الشيخ أحمد سليم المراد رحمه الله بالتدريس مكانه في الجامع الجديد، وبعد تركه جامع الأشقر طلب منه الشيخ أديب الحوراني رحمه الله تعالى أن يخطبَ عنه في جامع السلطان، وبعد مدة كلفه بالتدريس، و منذ ذلك الوقت أصبح مسجد السلطان المركز الرئيسي لجهوده التعليمية [1].

الرحلة إلى مصر لطلب العلم: وكان منذ تخرجه من الخسروية يتطلع إلى إكمال تحصيله العلمي، وإرواء ظمئه إلى مزيد من العلم، و لم يكن ثمة غير الأزهر الشريف، و لم يستطع السفر بعد تخرجه من الخسروية بعام ١٣٥٣هـ حتى كان عام ١٣٥٦-١٩٣٦م، فسافر إلى مصر بعد أن أذن له شيخه سيدي أبو النصر، كما هو واضح من رسالته إليه، والتي يبين فيها أسباب السفر وترك حماة: (إن موقفي في حماة أحرجُ موقف، فقد عاداني أقاربي وأتباع خالي، وهم أكثر الناس عندنا، وأصبحت غير مقبول النصح عندهم، ومخدوشاً من الوجهة العلمية في نظرهم، إذ يرون أنَّ علمي خرافات وبدع جئتهم بها، وقد فسد الرأي العام عندنا، وأصبحت غريباً في وطني، وغير خاف عليكم ضعف الطلب في حماة، وإني أمرؤ أرغب في العلم، لهذا كله استأذنتكم فأذنتم لي. إني أعلم ما سأحمله من المشقة في البعد عنكم وعن إخواني، ولكن الغاية التي أطلبها تدفعني إلى احتمال المصائب وتلقي الشدائد، وقد قال لي أحد أشياخي؛ لما ذكرت له أن الشوق لسيدي يحملني أحياناً على العدول عن الأزهر: إن هذا السفر – للأزهر – سعادة نلتها بسر شيخك. وذكر لي أن الذي يريد نشر الطريق في حماة ينبغي أن يكون واسع العلم لا يعبأ بالمنكرين، بل يقيم الحجة عليهم ويلزمهم الحق بالدليل، وهذا أمر لا تقدر عليه بدون تعلمك في الأزهر الشريف، فوجدت لقوله وجهاً من الصواب) اهـ [2].

عودة مفاجئة: ولكن بعد أن وصل مصر، وشاهد ما شاهد فيها من منكرات، وضعف التمسك بالأخلاق لدى طلبة الأزهر، خاب أمله و لم يستطع تحمل رؤية المنكرات، فعاد

---

[1] المحامد: ص٢٧.

[2] المحامد: ص٢٨.

إلى حماة، ولكنه لقي في حماة استهجاناً واستنكاراً لعودته دون إتمام الدراسة وإكمال التحصيل، فصار اللوم والتقريع يأتيه من كل معارفه وأقاربه، فاضطر للعودة إلى الأزهر ثانية حتى دون وداع شيخه، وفي رسالته التالية إلى شيخه رحمه الله بيَّن ذلك مفصلاً قال:

(السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد: فإني أكتب إليكم هذا الكتاب من مصر وقد شاء الله تعالى عودي إليها بعد أن خرجت منها على ألا أعود إليها، ولكن إرادة الله فوق كل إرادة، وحكمه سبحانه نافذ لا محالة، فإني يا سيدي بعد أن فارقتكم إلى حماة، لقيت من دهشة الناس واستغرابهم لمجيئي أمراً عظيماً، وهماً جسيماً، ووقعت في خجل كبير، وصرت كاسف البال، حزين القلب، محتاراً في أمري، وكانت أسئلة الناس موجهة إليَّ، فكنت أجيب كل إنسان بما أظن أنه يقنعه ولكن هيهات هيهات ! فقد كنت ألمح الاستخفاف بي والحكم عليَّ بالجنون من نظراتهم، وأخيراً اضطرتني الحال إلى أن خرجت إلى البرية وقضيت فيها بضع ساعات فراراً من الناس وتوارياً عنهم، وتقرر بالمذاكرة مع أَخَويَّ أن أرجع إلى مصر، لأن بقائي في حماة أمر صعب جداً، واتضح لي أني لا أستطيع القيام بالتدريس والخطابة كما كنت من قبل، لأن نفسي انكسرت انكساراً عظيماً، فلم يعد لها من النشاط ما كان لها أولاً، فكان خروجي من بلدي على حال تشبه المضطر للخروج، فسافرت ليلاً ولم يقسم لي المرور عليكم والحصول على بركة إذنكم الشريف.. ووصلت مصر، وأنا اليوم فيها طالباً دعائكم لي بالتثبيت وتوجهكم إليَّ بإصلاح قلبي) [1].

إلى الأزهر مرة ثانية: وببركة دعاء شيخه وتوجهاته حصل له الاستقرار والاطمئنان في مصر، ورأى مصر بوجهها الآخر الذي ينطوي على الفضيلة والصلاح: (والحقيقة أن ما يراه الزائر لأول وهلة في مصر، لا يعبر عن حقيقة المجتمع المصري، فالمجتمع المصري ينطوي على خير كثير، ولا يزال في مصر الكثير من العلماء والصالحين)، وتغيرت بعد ذلك نظرة الشيخ، فكتب إلى شيخه قائلاً: (الآن علمت وتحققت أن في مصر عدداً كبيراً

---

[1] المحامد: ص٣١.

من الصالحين، فإن في هذه الأيام أيام مولد سيدنا الحسين رضي الله تعالى عنه، فيحضر أهل القرى والبلدان والأقاليم إلى القاهرة، وتكثر فيها الناس من أهل الطرق وتزخر بهم، ويقيمون حضرات الأذكار في مسجده رضي الله عنه، وقد رأيت في هؤلاء الذاكرين وجوهاً شريفة تدل على قلوب طيبة وأسرار بالله عامرة، وكنت أقف مع كل حلقة قليلاً متبركاً، وأكثر وقوفي في حلقة الشيخ عبد الخالق الشبراوي، الرجل المخلص الذي تظهر البركة عليه وعلى أتباعه) [1].

من شيوخه في مصر: وفي مصر تعرف على كثير من الصالحين، وأقام صداقات قوية معهم، وألحوا عليه بالبقاء بعد إنهاء الدراسة ولكنه آثر العودة إلى بلده، وممن تعرف عليهم من الشيوخ في مصر من غير أساتذة الأزهر:

أ- الشيخ **حسن البنا** الشهيد: رحمه الله تعالى، وتحولت هذه المعرفة إلى علاقة روحية عالية بينهما، وعرفه الشيخ الحامد بشيخه أبي النصر، وراسل الشيخ وطلب السلوك بالطريق النقشبندي، فأذن له الشيخ أبو النصر ثم أجازه به ،وراسل الشيخ حسن شيخنا أبا النصر، وقد اطلع على هذه الرسائل وقرأها الشيخ أحمد الكعكة الحمصي، كما أخبرنا بذلك ولده الأستاذ موفق حفظه الله.

ب- وفي مصر أيضاً التقى بالعالم الكبير الشيخ **زاهد الكوثري** رحمه الله تعالى، ونصح شيخنا الحامد ألا يختلط بالناس كثيراً، وذلك لما لا حظه عنده من شدة نفوره من المنكرات وتألمه من رؤيتها.

ج- وفيها تعرف على الرجل الصالح والعالم العامل الشيخ **مصطفى الحمامي** رحمه الله تعالى وتأثر به كثيراً، وأعجب بصلاحه وتقواه، وكان كثير الزيارة له، وبعد عودته من مصر كان كثير الحديث عنه.

ومن الملاحظ أن الشيخ رحمه الله لم يستفد من الأزهر زيادة علم، فقد قالوا له بعد

---

[1] المحامد ص٣٢.

اختبار الانتساب إلى الأزهر: (إنك عالم لا تحتاج إلى الدراسة فيه)، ولكنه كان يعلن أنه تعلم من الأزهر طريقة تحقيق المسائل وتدقيقها، وكان زميله في الدراسة الأزهرية الشيخ **مصطفى السباعي** الحمصي كثيراً ما يقول له: (إنك مدهش؛ من أين لك معرفة كل هذه الأحكام) ؟! [1].

وقبل امتحان السنة الأخيرة كتب إلى شيخه أبي النصر: (ولعل الدعاء لي بالنجاح غير منسي منكم، فقد طال عهدي بالغربة ووقعت منها في الكربة، طال عهدي بالدراسات الرسمية، وأصبحت تواقاً إلى الدراسات الحرة التي يروى بها قلب الظمآن، وينهل من مناهلها العذبة الباردة ما يبرد غلته ويطفئ أوامه – عطشه – كما طال عمري في الحياة المشردة غير المستقرة، وصرت ميالاً إلى حياة هادئة مطمئنة لا اضطراب فيها ولا انتقال) [2].

العودة إلى حماة والاستقرار فيها: وفي عام ١٣٦٣-١٩٤٢م عاد رحمه الله إلى حماة ليعيش آخر مراحل حياته، وفي هذه المرحلة أثمرت جهوده وأينعت ثماره، ومع أنها مرحلة الاستقرار فإنها كانت أكثر مراحل حياته تعباً ومشقةً، فهي مرحلة الجهاد في ميادين متعددة [3].

صور من نشاطه وجهاده ودعوته: وأي صورة نتكلم عنها أو ندعها، لقد كانت حياته رحمه الله كلها جهاداً ودعوةً، وبياناً لما أنزل الله للناس، كانت حياته لله، يعطيها للناس كما أمر ربي، بل لقد كان واقع هذه الأمة غير المرضي لله همه في الليل وفي النهار، أذاب جسمه وصحته وأفنى عافيته في سبيل أن يعيد الأمة إلى فطرتها، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، مرشداً معلماً وناصحاً موضحاً، شفوقاً عليها متألماً لآلامها، مسروراً لما يسرها. وقد كانت عودته إلى بلده من مصر (والبلاد في ذروة جهادها الوطني من أجل الحصول على الاستقلال، وهذا أحد الأسباب التي دفعت الشيخ للرجوع إلى بلده ليضم

---

[1] المحامد: ص٣٥.

[2] المحامد: ص٣٦.

[3] المحامد: ص٣٦.

صوته إلى أصوات المطالبين بالإستقلال ويزكي بخطبه الحماسية جذوة النضال والجهاد في قلوب الأمة، داعياً إلى الثورة على المستعمرين وتطهير البلاد منهم) [1].

وهذه فصول من أنشطته في مختلف مجالات الحياة الوطنية والاجتماعية والتعليمية:

١- **في المجال الوطني:** (لم يبال رحمه الله بطغيان المستعمرين وإرهابهم وبطشهم، بل اندفع يزأر من فوق منبر السلطان داعياً إلى الجهاد والثورة المسلحة ضد المستعمرين الفرنسيين، ومما قاله في ذلك: "أيها المسلمون، أعدوا أنفسكم للجهاد، وطنوها على الموت، موت شريف خير من حياة تعيسة، ضربة بسيف في عز خير من صفعة بيد بذل، طعنة برمح في شرف أحب إلى القلب الكبير من نظرة شذراء في مهانة.. أيها الإخوان: لقد استخفت فرنسا بنا وخاست بكل العهود ولم ترع للمواثيق حرمة، لقد طلبت منا آخراً أن نقبل أموراً فيها ترسيخ أقدامها في هذه البلاد واستعباد أهلها، فاغضبوا ثم اغضبوا، وثوروا ثم ثوروا فما عاد السكون ينفع، وما عاد السكوت يفيد، لقد كان نبيكم صلوات الله عليه وسلامه يرتجز هو وأصحابه قائلين:

والمشركون قد بغوا علينا ... وإن أرادوا فتنة أبينا

وما أجدرنا إعادة ذلك الرجز قائلين:

هذه فرنسا قد بغت علينا ... وإن أرادت فتنةً أبينا

ردِّدوا معي: أبينا ... أبينا ... أبينا") [2].

ولما وقعت مأساة فلسطين.. تألم الشيخ كثيراً ودعا إلى الخروج للجهاد، وأراد أن يخرج بنفسه ولكن كبار العلماء أشاروا عليه بالبقاء لحاجة الأمة إليه، ولكثرة عدد المجاهدين، فانضم إلى اللجان المشكلة لمساعدة اللاّجئين ومواساتهم وجمع المعونات المادية لهم، وكان يطوف على الناس بنفسه لهذا الغرض، ولقد استحوذت قضية فلسطين على اهتمامه،

---

[1] المحامد: ص٣٨.

[2] المحامد: ص٣٦.

فخصص الكثير من خطبه المنبرية، وكتب عنها عدداً من المقالات في الصحف والمجلات.

ولما وقعت **نكبة حزيران** ١٩٦٧ اتصل رحمه الله بمحافظ البلد وعرض عليه نفسه وجهوده، وأخذ يشد من عزيمة الناس، ويعمل على تقوية معنوياتهم، ويدعوهم إلى التدريب على استعمال السلاح، وخرج بنفسه إلى حقول التدريب وعُين عضواً في اللجان المشكلة حينئذ للدفاع عن البلد، كما قام بدعوة لجان من الأحياء المختلفة بواسطة جمعية العلماء لمساعدة المحتاجين وأسر المجاهدين [1].

٢- **في المجال الاجتماعي:** بعد الاستقلال عصفت بالأمة رياح الفكر الوافد، بما فيها من التحلل الأخلاقي، والذوبان الفكري في الغير، وانتشار بذور الإلحاد، والفسق والميوعة، وانتشرت موجات من الضلال والتضليل الفكري والعقدي، والتحلل من أحكام الشريعة، فانبرى الشيخ رحمه الله ليقف في وجه هذه التيارات ويصد هذه الرياح عن الأمة، ويعمل للحفاظ على عقيدتها وأخلاقها، متحملاً أعظم المشاق ومعرضاً نفسه لمخاطر جسيمة.

وقد امتاز نشاطه ودعوته في هذا المضمار بصفات أهمها:

أولاً: السلاح الوحيد الذي استعمله الشيخ في جهاده هذا هو **العلم**، والرد العلمي المقنع المؤيد بالأدلة والبراهين، تزينه العاطفة الصادقة، النابعة بصدق وإخلاص من قلبه الكبير.

ثانياً: لم يكن الشيخ يعادي إنساناً معيناً أو فئة خاصة، فقد كان يعتبر نفسه لجميع الناس، ولهذا لم ينضم إلى جماعة معينة ولم ينتظم في سلك فئة من الفئات، بل على العكس؛ كان يرى أن كثرة الفئات والجماعات في الأمة خطر يهدد وحدة الأمة ويمزق كيانها، ويرى أن العالم يجب أن يكون لكل الناس، وفوق كل الفئات والجماعات، حتى يبقى مسموع الكلمة والنصح عند الجميع.

ثالثاً: كان في معارضته للتيارات الفكرية الفاسدة يحرص على السلم والأمن، ويتجنب إثارة الفتن والفوضى، لئلا يؤدي ذلك إلى فساد أكبر ومنكر أعظم، وكان كثيراً ما يردد:

---

[1] المحامد: ص٤١.

(نحن عنصر سلام، وأينما حللنا حل السلام، لا نريد الشر لأحد من الناس، ونتمنى أن يخلق الله الخير على يد أي إنسان). ولقد ظهر موقفه هذا بصورة عملية في الحوادث الكبيرة التي مرت على حماة سنة ١٩٦٤م، عندما قام رحمه الله بدور كبير لتهدئة القلوب وإعادة الوئام والسلام إلى النفوس، وكان في هذا عنصر الرحمة والخير والبر، هيأه الله سبحانه لهذا البلد مواسياً للمحزونين ومساعداً للمحتاجين ومخففاً كرب المكروبين [1].

وفي هذا يقول فيه والدي الشيخ **محمد علي المسعود** فيما كتبه عنه في ثَبْته: وقد كان رحمه الله ركناً قوياً ودعامة متينة للدين والأخلاق والعزيمة، محتسباً لله لا مهمة له إلا إقامة الأوامر الدينية والأخلاق الإسلامية، أقام في حماة بعد انتقال عمه – الشيخ أحمد المراد – رحمه الله نهضة دينية خضعت لها اليد الحاكمة في عهد حكومة أمين الحافظ، ومعروف موقفه ومشهور ما حصل، وكان ذلك بفضل ما أولاه المولى سبحانه من صدق وعزيمة وإخلاص، لا يخالطه مداراة ولا مماراة، فرحمه الله وأجزل ثوابه، ولا أخلى بلاد الشام من هؤلاء الذين يشير إليهم الحديث النبوي الصادق: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله). رواه مسلم عن ثوبان. أو كما ورد في حديث آخر من البشارة للشام زيادة على غيرها: (أهل الشام سوط الله في أرضه، ينتقم بهم ممن يشاء من عباده، وحرام على منافقيهم أن يغلبوا مؤمنيهم) الحديث.

وقد أعقب رحمه الله أولاداً، كبيرهم الشيخ محمود حفظهم المولى، ووفقهم وأولاد المسلمين، خاصة أولاد العلماء والصلحاء للسير على سير آبائهم والتخلق بأخلاقهم، والحظوة بما في الآية الكريمة: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ﴾ (٢١: الطور) صدق الله العظيم [2].

(وكان رحمه الله يدعو الشباب إلى العلم ويبين لهم أهميته، وأن العواطف المتأججة في

---

[1] المحامد: ص٤٢.

[2] انتهى من ثبت الوالد الشيخ محمد علي المسعود.

قلوبهم حماساً للإسلام لا تفيد الإسلام إذا بقيت مجرد عواطف، لأنها سرعان ما تخبو وتنطفئ وقد تؤدي بصاحبها بعد ذلك إلى الانحلال والميوعة)[1].

٣- **في المجال التعليمي**: المدرسة والمسجد هما الميدانان الرئيسيان لجهاده التعليمي، أما المدرسة فقد كانت مركز عمله الرئيسي، فمنذ أن عاد من مصر اختار طريق المدرسة وفضَّله على منصب القضاء، لأنه رحمه الله كان حريصاً على نشر العلم.

وقبل أن يعود لبلده كتب لشيخه أبي النصر بهذا الموضوع فقال: (وأرجو سيدي أن يدعو لي بالنجاح في هذا العام، وبالتوفيق حتى أعود إلى بلدي وأعمل على خدمة الله تعالى بنشر العلم، فإني لا أَرَبَ لي بتولي القضاء، وأوثر العمل لخدمة الإسلام في هذا الوقت الذي عمل فيه الموت عمله بالعلماء حتى قل عددهم ورزقي على الله تبارك وتعالى، هذه أمنيتي أن أعمل لصالح الإسلام والمسلمين بما يفيض عليَّ ربي تبارك وتقدس من علم وهدى وروحانية، وهو حسبي ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)[2].

وقد عُيِّن مدرساً في ملاك وزارة التربية لمادة الديانة - التربية الإسلامية - واللغة العربية وظل طول حياته مدرساً حتى أجهده الزمن قبل وفاته، فترك التدريس مضطراً متألماً لترك المدرسة.

وكان **التعليم المسجدي** هو ميدانه الثاني بعد المدرسة وبعد انصرافه منها، وكان نشاطه في المسجد في **خطب الجمعة** التي كان يتناول فيها موضوعات مختلفة في العقيدة والشريعة وكافة ما يحتاجه الناس من أمور الحلال والحرام والسلوك والأخلاق، وكان يختار المواضيع ذات الصلة بحياة الأمة، فكان له الأثر الواضح، كما كانت **دروسه العلمية** في المساجد أعطت ثمارها في تربية جيل من الشباب حمل العلم فكراً وسلوكاً وتطبيقاً وعملاً.

---

[1] المحامد: ص٤٤.

[2] المحامد: ص٤٥.

حياته العلمية وسلوكه الصوفي

أولاً: حياته العلمية: كان العلم عند الشيخ رحمه الله أمضى أسلحته التي دافع بها عن حياض الشريعة، وقد أخلص الشيخ للعلم وقدم في سبيله عصارة فكره، وسقاه برحيق روحه، ولأن العلم هو الأمير في حياته على كل شيء، وقد قال في رسالة لأحد تلاميذه: (العلم أمير على التصوف، لنفيه عنه بدعاً ومداخل قد تعلق به على الأيام والدهور)[1]. اهـ.

وقد كان المحور الأساسي لحياته العلمية **القرآن الكريم والسنة الشريفة**، وقد بالغ بحفظ القرآن وهو في العاشرة من عمره، وأتمه أثناء دراسته في مصر، ففي رسالة مؤرخة ٢٥ صفر ١٣٥٩، الموافق ١٩٤٠م، كتب إلى شيخه أبي النصر رحمه الله تعالى قائلاً: (أحمد الله تعالى على أني قد تمت نعمة الله عليَّ فأتممت حفظ الكتاب المجيد، فأنا أعد اليوم في حفظة القرآن الكريم، وتلك نعمة أعترف بأنها كبرى، وإني لعاجز كل العجز عن شكرها، ولكني أعلم أن فضل الله عليَّ عظيم، وأن كل خير منه جل شأنه، وفي الحديث الشريف (من آتاه الله القرآن فظن أن غيره أوتي خيراً منه فقد حقَّر عظيماً وعظَّم حقيراً)، وأنه (من حفظ القرآن فكأنما أدرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى إليه)، وأنه يشفع لحامله يوم القيامة ويدافع عنه، فالحمد لله على ما أولى وأنعم)[2].

وقد خصص رحمه الله **للقرآن الكريم** يومين من درسه العام الذي كان يلقيه كل يوم قبل صلاة العشاء في مسجد السلطان – ما عدا ليلة الجمعة – يلقي فيها دروس التفسير، حتى تمكن من تدريس تفسير القرآن مرتين تقريباً، وما كان رحمه الله يلقي درساً حتى يحضر له تحضيراً كاملاً يصرف له وقتاً كبيراً، يمتد أحياناً من بعد الظهر إلى غروب الشمس، ولقد كنت أخشى عليه من كثرة ما يبذل من جهد وعناء في هذه الدروس، فأرجوه ألا يتوسع كثيراً في شرح الآيات، فيجيبني: (العلم لا يكون إلا هكذا).

---

[1] المحامد: ص٨٥.

[2] المحامد: ص٨٦.

وما أكثر ما تمر به آية كريمة تلامس الحس في قلبه الشريف فتفيض دموعه، ويرتفع نشيجه ويعلو ويهبط صدره، وقد خصص لتلاوة القرآن الكريم جزءاً من يومه يتلو فيه آيات الكتاب لنفسه، ويغرف بقلبه الكبير من بحار نُورِه وحدائق نَوْرِه. المحامد ص٩٣.

وأما السنة الشريفة: فهي المحور الأساسي الثاني لنشاطه العلمي ولحياته العلمية، وعمله فيها في السيرة والحديث.

أما **السيرة النبوية الشريفة** فكان رحمه الله مشغوفاً بها مولهاً بدرسها وتدريسها، ولا عجب في ذلك، فحبه لها تعبير عن حبه العظيم لرسول الله ﷺ، فقد وصل رحمه الله في طريق محبة الرسول ﷺ إلى نهاية ما بعدها نهاية، والى قمة ليست فوقها قمة، وشرب كأس المحبة كلها فما أبقى منها شيئاً، واختار لدرس السيرة المسائي كتاب (السيرة النبوية والآثار المحمدية) لمؤلفه السيد أحمد زيني المشهور بدحلان رحمه الله، وخصص له ليلة كل أسبوع هي ليلة الخميس، وكان رحمه الله تعالى يقول: (هذه ليلة سيدنا محمد ﷺ)، وهذه الليلة كانت أجمل ليالي الأسبوع في جامع السلطان، تلتقي فيها أنوار السيرة الشريفة مع توجهات القلب الكبير المتيم بحب المصطفى وآله ﷺ.

وقد تمكن رحمه الله من تقرير السيرة تدريساً عدة مرات، وأراد في آخر حياته تدريس كتاب (الشفا في حقوق المصطفى) للقاضي عياض رحمه الله، ولكن المرض عاجله وحال بينه وبين ما يريد، فأوصاني أن أقرأ الدرس في كتاب الشفا، والحق أن هذا الكتاب من أنفس ما كتب في موضوع السيرة وما سبقه في ترتيبه وتقريبه أحد. المحامد ص ٩٧.

وأما الحديث الشريف: فقد اعتنى به رحمه الله عناية كبيرة لأنه في نظره – فضلاً عن كونه كلام المصطفى ﷺ – الركيزة الثانية للدين الحنيف وللشريعة المطهرة، وفي هذا قال رحمه الله: (النبيُّ ﷺ سراج منير، أنى سار أنار، وحيثما اتجه أضاء، قوله شرع، وفعله شرع، وتقريره شرع). فكان يرتاح بقراءته من عناء الجهد العقلي الكبير الذي يبذله في دروس الفقه الصباحية، فكلما ختم درس الفقه الصباحي لجأ إلى الحديث الشريف يتروح منه الروح والريحان، ويستنشق منه عبير أنفاس النبي ﷺ، فينسى متاعبه وتزول عنه آلامه.

وقد قرر فيه كتاب (تيسير الوصول للشيباني) الذي اختصر فيه الكتب الستة في الحديث، وخصص رحمه الله ليلة في الأسبوع هي ليلة الأربعاء لتدريس الحديث الشريف في الدرس العام، وكان آخر كتاب درسه كتاب الأربعين مع شرحه للإمام النووي رحمه الله تعالى، وقبله الترغيب والترهيب للمنذري، وقبله الجامع الصغير للسيوطي. المحامد ص ٩٩.

وأما الفقه: فقد استهلك قدراً كبيراً من جهوده العلمية لأنه ثمرة الكتاب والسنة، وعلم الحلال والحرام، وهذا يحتاجه الإنسان في شتى شؤون حياته، وكان منهجه في الفقه يقوم على الأسس التالية:

١- التزام آراء أئمة مذاهب الفقه الإسلامي واحترامها والوقوف عند حدودها.

٢- دراسة الأحكام الفقهية مع أدلتها، ولهذا كان يقرر في درسه الصباحي كل يوم هذا النوع من الفقه، فقرأ أولاً كتاب الاختيار، وفيه زبدة أدلة الفقه الحنفي، ثم انتقل منه إلى كتاب (تبيين الحقائق شرح كنـــز الدقائق) للزيلعي، وله عليه تعليقات واستدراكات و لم يقدر له إتمامه.

٣- الأحكام الفقهية مجردة عن الأدلة كان يقررها في دروس الفقه المسائية أثناء الدرس العام. وقد خصص للفقه يومين في كل أسبوع، وكان آخر أيامه يقرر (الهدية العلائية) مع حواش وتعليقات وضعها على هامشه، وهي من أنفس التعليقات وأدقها، وحرر فيها كثيراً من المسائل، بحيث تغني قارئها عن المطولات الفقهية، وتوفي قبل إكمالها.

٤- كانت دروسه في الفقه شاملة لكل أبوابه، العبادات والمعاملات.

٥- التزامه رحمه الله فقه المذهب الحنفي تطبيقاً وتعليماً، مع احترامه لبقية المذاهب وأئمة الاجتهاد.

٦- والتزامه المذهب الحنفي لا يعني ترك أحكام غيره من المذاهب، إلا أن أمانته العلمية كانت تمنعه من الإفتاء بغير المذهب الحنفي، فكان يحيل السائل إلى علماء المذاهب الأخرى ويقول: (أهل مكة أدرى بشعابها).

٧- كان يرى أن اختلاف أئمة المذاهب في بعض الأحكام الفرعية رحمة للأمة، ولذا

كان يفتي لملتزم مذهب معين بأن يأخذ بأحكام مذهب آخر عند الضرورة، وقد أخذ رحمه الله في آخر حياته بمذهب الإمام مالك في أحكام الطهارة، لأنها أيسر، وخاصة أثناء المرض.

٨- إغلاق باب الاجتهاد لا يعني في نظره وقوف الشريعة جامدة أمام الجديد من الحوادث، فلا مانع من الاجتهاد للتعرف إلى أحكام جزئية قسرية طارئة، ولكنه لا يتقنه إلا أفراد معدودون الآن، تتمخض عنهم بلاد الإسلام وأقطاره، وليس هو لكل من يرى نفسه عالماً، أو يزعمه البسطاء من الناس عالماً. المحامد ص١٠٠-١٠٦.

أما آثاره العلمية وإنتاجه العلمي: فالمطبوع منه ما يلي:

١- نظرات في كتاب إشتراكية الإسلام. (وهو للدكتور مصطفى السباعي).

٢- ردود على أباطيل. طبع جزء منه، وبعد وفاته طبع منه الجزء الثاني والثالث.

٣- تحريم نكاح المتعة في الإسلام.

و هناك رسائل عديدة منها:

٤- حكم الإسلام في الغناء ٥- رحمة الإسلام في النساء ٦- آدم لم يؤمر باطناً بالأكل من الشجرة. ٧- القول في المسكرات وتحريمها ٨- حكم اللحية في الإسلام ٩- التدارك المعتبر لبعض ما في كتاب القضاء والقدر ١٠ - بدعة زيادة التنويرات في المساجد ١١- لزوم اتباع مذاهب الأئمة حسماً للفوضى الدينية ١٢- خكم مصافحة المرأة الأجنبية.

وهناك رسائل وكتب لم تطبع، منها مجموعة خطب منبرية، وتعليقات وحواش على الهدية العلائية وعلى كنـــز الحقائق.

وأما استفتاءاته الشرعية: فرغم كونه ليس مفتياً رسمياً، ولكنه كان كذلك واقعاً وفعلاً، وليس لأهل بلده وقطره فحسب بل لكل بلاد المسلمين، وأسباب تكاثر الأسئلة الشرعية عليه هو ثقة الناس في شتى البلاد بعلمه، فلأمانته العلمية التي كان يتميز بها، وحرصه على الإجابة على أي سؤال يرد إليه مهما كان مصدره، وذكر الأدلة في أجوبته والبراهين.

أما التحقيق العلمي فيظهر لديه في مقارنته للأدلة المختلفة وتمحيصه للروايات المتعددة، ورده الفروع إلى الأصول، وتمييزه بين الصحيح والسقيم والقوي والضعيف، ولقد كان

رحمه الله مشغوفاً بالتحقيقات العلمية الدقيقة، وحتى عندما كان يخرج إلى النـــزهة ما كان ينقطع عن المذاكرة في المسائل العلمية، ويتمنى أن تسير معه الكتب أين سار، وأن تكون معه حيثما كان. المحامد ص١١٠-١١١.

ثانياً: سلوكه الصوفي: (إن كل من عرف الشيخ رحمه الله وقرأ له يعلم أنه خير من عاش تجربة التصوف - أحولاً وأشواقاً ومواجيد، وفهماً وشوقاً - في عصرنا الحاضر.

كانت فيها أحواله ومواجيده - برغم شدتها وعنفها - مقيدة بقيود العلم الصارمة الدقيقة، التي ما حاد عنها في كل فترات حياته قيد شعرة، العلم عنده أولاً والأحوال والمواجيد ثانياً. العلم عنده هو الآمر المحكم في كل أمر، وإن كل الدخائل التي دخلت التصوف فغيرت صفاءه ولونت سناءه، دخلت إليه عن طريق الجهل، وكم كان رحمه الله يقول عن مثل هؤلاء: (ليْتَهُم لم يتصوَّفوا)، وكم كان يتمنى لو يجد وقتاً في حياته المزدحمة بجلائل الأعمال وثقيل المهام، ليؤلف كتاباً في التصوف يعيد له بهاءه وسناءه بلغة العالم الصوفي، **في عصر ما احتاج عصر من العصور الإنسانية إلى معاني التصوف احتياجَه له، فما من عصر طغت عليه المادية والآلية كهذا العصر، حتى أفقدت كثيراً من أناسي هذا العصر معاني إنسانيتهم وجمدت في نفوسهم مشاعر بشريتهم، وليس من سبيل لإنقاذهم من هذا الطوفان الجامح إلا بأن يلقوا بأنفسهم وقلوبهم في بحار النور، حيث الحبور والسرور والطمأنينة والسكينة** ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ (الرعد:٢٨).

ولقد عجزت هِمم الرجل عن خرق أسوار الأقدار، فقضى الشيخ رحمه الله و لم تتهيأ له الفرص لإنجاز ما تمنى، ولتحقيق رغبة الذين كانوا يلحون عليه في إنجاز هذا الكتاب، ولنستمع إليه رحمه الله يعتذر لفضيلة الشيخ عبد الباسط خلف حفظه الله تعالى بعد أن أرسل إليه يطلب منه الإسراع في إنجاز الكتاب، قال رحمه الله: (وكم أنا في خجل منكم إذ لم أكتب ما طلبتموه مني، وقد كنت أحدث نفسي به إذا بلغت التقاعد، ولكني بلغته وأنا مريض فماذا أصنع ؟ والأعمال ما زالت مطلوبة مني كشيخ مشهور في البلد وغيره،

والمسجد ما برحت أزاول عملي فيه قياماً بأصل عملي الديني) اهـ المحامد ص١٢٠.

الصوفية والسلفية: ويستعرض المؤلف الشيخ عبد الحميد طهماز – في الصفحات التالية من كتابه عن شيخه الحامد – التصوف كما رآه وذاقه شيخنا الحامد، وكما دلَّ عليه إخوانه وتلاميذه، وكما كتب عنه في رسائله للسائلين، ونقل عنه ما قد قدمناه في أول الكتاب في التعريف بالتصوف والطريقة النقشبندية قوله: (وبعد فالسلفية الحقة مجتمعة مع الصوفية الصحيحة، متى حسُن الفهم وصح العزم على الجمع الذي هو شأن الدعوة وأدب الأخلاق، وإذا زخرت الصوفية بالروحانية العامرة والرقة العميقة فليست بمنكرة على أختها السلفية تحريها تنقية الإسلام مما لابسه من الغرائب عنه، كي يعود إلى صفائه وخلوصه). وقال أيضاً: (والتصوف الذي أردتُ هو الإسلام الكامل في مقاصده وأهدافه، والصوفية السابقون وكثير من اللاحقين استقام سلوكهم على هذا المبدأ وفي منهجه، ولا شأن لي فيما شارك اسماً وامتلأ بالدخائل والبدع، فذلك ما لم أقصد إليه). اهـ المحامد ص ١٢٤.

كما إنه ذَكَر لشيخه أبي النصر في رسالة مطولة، عندما كان في مصر، ما يلهج به دعاة السلفية هناك من إنكار لصريح القرآن في إهلاك القوم الذين أرادوا هدم الكعبة بحجارة من سجيل، فأولوها بأنها الجدري، وأن معجزات الرسل عليهم السلام ليس لها حقيقة واقعة وإنما هي أمور معنوية، فنفوا بهذا صريح القرآن حيث لا يحتمل التأويل، كما إنهم ينكرون الجن ووجودهم، ويدعون أنهم نوازع الشر في النفوس، فهل هذا إلا كفر صريح ورد لكتاب الله تعالى ؟ المحامد ص ١٣٢.

أركان التصوف؛ الذكر والشيخ المرشد: ويتكلم عن الذكر بأنه عند السادة الصوفية وسيلة لا غاية؛ وسيلة إلى الحضور الدائم مع الله سبحانه، وينقل عنه – مما كتبه مقدمة لكتاب (تنبيه الفكر لحقيقة الذكر) للشيخ محمد أديب كلكل – تشددَه في منع الذكر المحرف، وينقل ويستفيض في النقل عن العلماء بمنع جواز ذكر الله باللفظ المحرف، وحرمة ذلك ولو فعله ناس في زماننا، ولو كان قصدهم حسناً. انظر المحامد ص ١٣٢ وما بعدها.

ثم ينقل عنه بأن ذكر القلب أفضل من ذكر اللسان. قال في إحدى رسائله المحفوظة:

(فإن ذكر القلب الذي عليه السادة النقشبندية، يفضل الذكر اللساني الذي تسمعه الملائكة الحفظة بسبعين ضعفاً، كما جاء في الحديث الشريف، من حيث أنه سر بين العبد وربه تبارك وتعالى، وأنه مطهر للقلب من كل سوء، يحرق بحرارته الصفات السيئة ويملأ الذاكر نوراً). المحامد ص ١٤٢.

وحذَّر رحمه الله من الشطحات الصوفية والأقوال الناتجة عنها أشد تحذير، وبيَّن أنه تدخل إلى التصوف عن طريق الشطحات دخائل كثيرة، وكان ينصح المبتدئين ألا يقرؤوا كتب القوم حتى لا يقعوا على أمثالها، وقال في جواب لأحد السائلين: (وإني آخذ نفسي ومن لقنته طريق السادة النقشبندية بالامتناع عن مطالعة الكتب التي ألفها القوم لأنفسهم وأمثالهم، أخذهم ونفسي بهذا حرصاً على سلامة الاعتقاد وإبقاءً على حسن الظن بالقوم رحمهم الله تعالى... وقد سمعت سيدي ومرشدي الشيخ محمد أبا النصر رحمه الله تعالى وقدس سره يقول: (طعام الكبار يضر الصغار)، ويعني به هذه المستورات في كتب القوم إذا طالعها السالكون المبتدئون، فلنقبل هذا ولنعمل عليه حتى يوافينا فتح الله علينا، والله قريب مجيب). اهـ المحامد ص ١٥٥.

وقد كتب شيخنا الحامد عندما كان في مصر رسالة مطولة إلى شيخه أبي النصر قدس سره يعرض عليه فيها بعض الأمور التي وجدها في كتب القوم، مما تأباه الشريعة المطهرة وهي رسالة نفيسة تتلخص في عرض خمسة أمور هي:

١- الرد على من قال بنجاة إبليس يوم القيامة.

٢- الرد على من يقول بأن المطيع والعاصي سواء أمام الحق عز وجل.

٣- الرد على من يقول بأن أهل النار يتلذذون فيها، وخروج الكافرين من النار.

٤- الرد على من يقول بنجاة فرعون.

٥- الرد على من قال بوحدة الوجود.

وختم الرسالة بقوله.. وإني والله لولا **أمران** بهما بقاء نسبتي إلى الطريق، ولولاهما لم يعد لي فيه أدنى ارتباط إلا من حيث الذكر المأمور به في كتاب الله تعالى، لأن هذه المكفرات لا يسكت عنها:

الأمر الأول: ما رأيته في كتاب الإحياء وعوارف المعارف والرسالة القشيرية، وكلمات ساداتنا النقشبندية والرفاعية، وكلام سيدي عبد القادر الجيلاني وسيدي الشيخ أحمد الرفاعي وأمثالهم، وكتب الشعراني، كل هؤلاء أتوا بالكثير الطيب الذي به تعبد الله تعالى سيدنا محمد ﷺ، فهم قد أظهروا التصوف بثوب شرعي جميل، لا يعترض عليه إلا كل أحمق ناقص العقل، قاصر النظر قليل الفهم للدين على حقيقته.

الأمر الثاني: محبتي إياكم فوجهكم الكريم الذي يميتني ويحييني، به تعلقي بالطريق ونسبتي إليه، والله إني لم أَهْوَ في الناس مثلكم بعد الجناب الأعظم وصحابته الميامين الغر رضي الله تعالى عنهم ورضي عن سيدهم، ومهما كان في مصر شيوخ فأين هم منكم ؟.. وأين النجوم من الشمس المشرقة ؟! إني معترف بأني ذو تقصير في العمل، بل أكاد أكون خلياً منه، ولكني بنعمة الله ثم بنظركم الشريف قائم على حماية العقيدة التي هي أساس الفلاح، ولا يمكنني بحال من الأحوال أن أسوّغ ما ينقضها ولو من وجه بعيد). المحامد ص ١٧٠.

ويتكلم عن **الشيخ المرشد** بأنه (أصل في الطريق لا يهمل، ولا يتغاضى عنه كدليل مرافق ورفيق موافق، والله سبحانه هو الهادي إلى سواء السبيل، وليس للشيخ إلا الدلالة **بالقول والفعل وبالحال** الصريحة التي تسري بالتوجه السليم من روحه إلى روح المريد السالك في الطريق، ولا نكران لسريان الحال، فإنا نرى الحماسة والحزن والفرح؛ نرى كل هذه وأمثالها تسري من نفس إلى نفس ومن قلب إلى قلب). المحامد ص ١٧٣.

وينصح الشيخ عند **فقد المرشد بالصلاة على النبي** ﷺ فإنها تقوم مقام المرشد عند فقده.

كرامات الشيخ: قال مترجمه: وكان سيدي رحمه الله يستر كراماته، لأن نظره الشريف كان مقصوراً على المكرِم وليست للكرامة فيه نصيب، ولأنه كان يعلم أن أعظم تكريم مَنَّ الله به عليه، هو توفيقه إلى الاستقامة الكاملة على نهجه وشرعه وسنة نبيِّه ﷺ، استقامةً أجمع عليها أعداؤه فضلاً عن أحبابه وتلاميذه، ولقد مكن الله تعالى له في القلوب تمكيناً لم يحتج معه إلى إظهار خوارق العادات، كما يفعله بعض الشيوخ لتقوية اعتقاد المريدين بهم.

ورغم شدة تَستُّره، فإن بعض كراماته ظهرت وفاحت وانتشرت انتشار الطيب من

حامله، وأعظمها انتشاراً هذه التي عرفها القاصي والداني والقريب والبعيد، وأعني بها شفاء الأمراض ببركة دعائه، أو ببركة الحُجُب التي كان يكتبها بيده الشريفة، وإن في حماة لكثيراً من الذي ينعمون بالصحة والعافية من الله تعالى ببركة (حجاب) يحملونه كتبته اليد الطيبة المباركة، وإن فيهم من طوَّف الأرض بحثاً عن الشفاء حتى وصل إلى أقاصي أوربا، فلم يخلقه الله تعالى حتى باركته اليد الطاهرة وتوجه إلى الله لشفائه القلبُ الكبير. ص ١٨٢.

في رحاب الطريق النقشبندي ورحاب المرشد المربّي الشيخ أبي النصر

مما سلف من سيرة هذا الرجل العظيم، والعالم الكبير، والداعي المجدّ إلى الله؛ لمسنا أثر الشيخ أبي النصر فيه ولمسنا أثر انتسابه لطريقه، وما من بحث مرَّ معنا أو فقرة إلا وظهر منها مدى تعلق هذا الوارث المحمدي بشيخه أبي النصر ومحبته له، ولقد كانت رسائله تترى وتتابع إلى شيخه عندما كان في حماة وفي مصر، وبعد انتقال شيخه إلى الرفيق الأعلى كانت زياراته لا تنقطع أسبوعياً إلى ضريح شيخه، ولقد نقل الشيخ المترجم لسيرته حفظه الله رسائله إلى شيخه، وهي التي أعطاه إياها شيخنا عبد الباسط، ولكن لم نر أية رسالة من رسائل شيخه إليه وما أكثرها، حيث إن الشيخ أبا النصر لم يكن يقصِّر في الرد على أي أخ من إخوانه أو مريد من مريديه، فيرد عليهم جميعاً إما بخطه أو بخط أحد العلماء الذين حوله، وقد ذكرت قسماً منها في تراجم من ترجمت لهم في هذا الكتاب، فأين هي هذه الرسائل ؟ فإنها من عيون الحكمة ومن بدائع التوجيهات الشرعية في الأمور التي تجِدُّ مع الإخوان وإزالة الإشكالات التي كانت تعترضهم، وكانت وصايا وحكم لهم ومنهاج سلوك لحياتهم.

ولعل الله سبحانه ييسر لنا أو لأحد إخواننا جمعها ونشرها في كتاب خاص، على نسق مكتوبات الإمام الرباني ومكتوبات مولانا خالد النقشبندي.

وها أنذا أنقل بعضاً من أحوال وعلاقة الشيخ الحامد رحمه الله بشيخه أبي النصر، كما أثبتها مترجمه حفظه الله تعالى في كتاب (المحامد):

أ- الشيخ أبو النصر بريء من كل ما يخالف الشريعة:

قال في ص١٨٢: (إني منتسب إلى السادة الصوفية على أصول الطريقة النقشبندية العليّة، التي تلقنتها من أستاذي العارف بالله تعالى سيدي الشيخ **محمد أبي النصر** الحمصي، المرشد الشهير والعالم الكبير الذي كان يعلن براءته من كل ما يخالف السنة الشريفة، وإني سائر بمن يتلقنها مني على صراط الشريعة الإسلامية، فلا أسمح ببدعة تدخل عليهم، لا في الاعتقاد ولا في العمل، وليست الطريق إلا العمل بالإسلام على قدم الجد والصدق).

ب- طريقتنا النقشبندية خالية من البدع السيئة:

وكتب الشيخ الحامد في جواب سائل: (المرشد الكامل في هذا الزمان قد ندر، حتى إنه لأندر من الكبريت الأحمر، وقد أظفرني الله به - والحمد لله تعالى - فتلقيت عنه، وهو سيدي **الشيخ محمد أبو النصر** النقشبندي الحمصي رحمه الله تعالى، وقد كان قبل وفاته يتردد إلى حلب لتربية مريديه، ولا يزال أتباعه إلى الآن متوافرين فيها، يرأسهم ولده سيدي **الشيخ عبد الباسط**، ويقيمون الختم الشريف عقب صلاة الجمعة في جامع العثمانية قرب باب النصر، فاجتمِعْ به وتلقَّ عنه. وطريقتنا النقشبندية خالية من البدع السيئة، وأهلها يذكرون الله بقلوبهم، وليس هناك حركات إلا حين تغلبهم الحال فيضطربون من قوة الواردات على قلوبهم، وهذه الواردات لها حلاوتها وطلاوتها، يفيضها الله عز وجل على قلوب الذاكرين له سبحانه وتعالى). المحامد ص ١٨٣.

ج- التعلق العظيم بالمرشد العظيم:

وفي رسالة أرسلها من مصر إلى شيخه أبي النصر قال فيها: (**ما أنفس الطريقة العلية وما أعز جوهرها وأعلى قدرها، إنني عاشق لها ولأهلها، ويريد الشياطين أن يغتالوني عنها، والله هو المستعان عليهم. ومما يزيدني تعلقاً بالطريق عظم الحب لكم وشدة التعلق بكم، فأنتم في سويداء الفؤاد وحبة القلب، وعسى أن ينفعني الله بهذا الوجد وهذا التعلق فيطهر سري وضميري بتوجه قلبكم الطاهر وسركم العامر ونفَسكم العاطر**). المحامد ص ١٨٤.

د- نفائس شعره أهداها إلى شيخه:

قال وهو في مصر في رسالة لشيخه أبي النصر: (انظر ص ١٨٤ وما بعدها من المحامد).

أصلي فتسري الروح نحو حماكموا ... وللقلب في ذاك الجناب ولوع
وكيف بصبٍ أن يطيق تصبراً ... وقلب به يشكو الجوى ويذيع
أيا سادتي إن المشوق وحقكم ... له كبد حرى بكم وضلوع

وقال أيضاً:

سرينا إليكم في الدجى، وقلوبنا ... إلى ربعكم - يا سيدي - تتشوق
وإن الذي يهوى لفي الشوق دائماً ... ونار الهوى في صادق الحب تحرق
ألا ليت شعري كيف حظي منكم ... وهل من رضى أم هل لديكم ترفق
وهل لي أن أحظى بنيل وصالكم ... فوالله إني من جفاكم لأفرَقُ
وحاشاكم أن تطردوني وعندكم ... بحار الندى في حبكم تتدفق
أمولاي أنت الشمس يسطع نورها ... و للشمس في وسط السماء تألق
بكم هدي الحيران وانزاح غيهب ... من الشك، لما أن رأى النور يشرق

ثم قال:

أحباي أنتم في فؤادي و حبكم ... جرى في دمي والقلب فيكم معلق

وفي رسالة أخرى قدم قصيدته فقال: وقد تطفلت على مقامكم العالي الكريم بهذه الأبيات، فإن قبلتموها ففضلٌ منكم، وإن كان غير ذلك فلا ريبة - والله - في أنه عدل:

خذوني إلى حمص فإني متيم ... وسيروا إلى أرض بها الصب مغرم
لقد عظم الشوق المبرح بعدما ... تراءى لنفسي منه صعب و علقم
ألا إن لي في حمص قلباً معذباً ... فهل لي بها قلب يرق ويرحم

وله أشعار رائعة وكثيرة في مدح شيخه، أثبتنا بعضاً منها في الفصل الخاص بما قيل في الشيخ أبي النصر من أشعار.

أخلاقه وكمالاته: كان رحمه الله غاية في الفضائل والكمالات والوراثة المحمدية لكل خلق فاضل وشيمة صالحة، وقد وصفه أخوه الأستاذ **عبد الغني الحامد** عندما رثاه فقال: (أمَّا أنا ومحمد فقد كنا كغصني شجرة لا يفترقان، نذهب ونؤوب ونطعم ونبيت معاً، يدانا متماسكتان، وقلبانا متمازجان، في هذه الظروف القاسية عشت أنا ومحمد أول ما تعرفت إلى الحياة، وارتسم على قلبي منه منذ ذلك الحين كل شيء عرفته فيه من الصفات، فلم أجد شيئاً منه قد تبدل فيما بعد عندما كبر وأصبح رجلاً، إلا علمه الذي اكتمل وجهاده الذي برز في خدمة الدين، هو محمد نفسه في السادسة من عمره كما هو بعد العاشرة أو بعد الثلاثين والخمسين، العاطفة الطيبة والحنو العميق والصدق في القول، كل ذلك أستشعره منه ونحن صغيران، ولم يكن في تلك السن المبكرة يألف من الأمكنة إلا المساجد؛ يصلي خلف الأئمة ويحضر دروس العلماء ويأخذ بحفظ القرآن، وكان أبعد ما يكون عن الشر، أشد ما يكون تحرياً للحلال ولو في أصغر الأشياء، لم تمش به قدم إلى ملهى قط، والأطفال والفتيان من حوله يتحدثون يومئذ عن ذلك الشيء العجيب الذي يسمونه "السينما"، والذي فوجئت به البلاد فأدهش العقول، التسلية عنده هي النـــزهة فحسب، ولقد أكسبته المناظر الطبيعية حساً شعرياً وذوقاً سليماً صافياً، بقي أثرها في قلبه حتى عهد شبابه وكهولته، هذه أمور أرويها عنه وهو صغير كنت أحياها معه كل يوم، وأشهدها منه سلوكاً ثابتاً لا يتغير. رحم الله محمداً؛ كان علماً في التقوى والورع، حجة في العلم قدوة في النـــزاهة. هو نفسه كما عرفته في السادسة من عمره أواريه التراب بدمعي، لم يتغير من خلقه شيئ ولم يتبدل من أعماله عمل) المحامد ص ٢١٥.

أمَّا ورعه: فشيءٌ عجيب، وكان من لم يخالطه يظنه تشدداً وتزمتاً، ولكنه كان حريصاً على ألا يدخل بيته أو جوفه الحرام، فكان ورعاً في عقيدته، ورعاً في عبادته، ورعاً في معاملاته، واستأجر مرة حمالاً ليحمل له صحيفة الكاز إلى البيت، وأرسل معه ولده ليدله على البيت ومع الولد وعاء حليب، فأخذ الحمال الحليب من الولد وحمله معه، ولكن الشيخ لم يرض إلا أن يدفع له أجرة الحليب أيضاً، رغم امتناع الحمال عن ذلك.

قال أخي الشيخ عبد الله المسعود: حدثنا شيخنا الشيخ عبد الباسط عليه سحائب الرحمة والرضوان أنه كان مدعواً في حماة ودُعيَ الشيخ محمد الحامد، وتأخر الشيخ للحضور إلى المائدة، فلما قدم عاتبه الشيخ رحمه الله تعالى على التأخير، فأجاب معتذراً: يا سيدي تعطل صنبور الماء، وأخذ الماء يسيل منه نقطة نقطة لعدم إحكام إغلاقه، وقيل لي: إن هذا الماء لا يدير ساعة الماء، وبالتالي فإن هذا الماء المهدور لا تدفع قيمته إلى شركة المياه، فأحضرت مصلح المياه، وحتى فرغت من ذلك جئتُ للتوِّ، فعذراً.

قال عبد الله: ولقد زرت غرفة الشيخ الخاصة تبركاً، وسألت ابنه السيد عبد المنعم عن العصافير الذين كان يرسل من بيروت من المشفى للاعتناء بطعامهم.

فكان ورعاً وكان متواضعاً وكان رحيماً وسل القطط والكلاب والعصافير عن رحمته فضلاً عن بني آدم، وكان آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، لا تأخذه في الله لومة لائم مع كبير أو صغير، حاكم أو أجير، زاهداً في الدنيا رغم حاجته إليها، وفياً حنوناً لأهله وأصدقائه ووطنه ولشيوخه، (وهذا الوفاء تجلى بصورة عملية في حبه واحترامه لأولاد شيخه أبي النصر وأحفاده، وهل تصدِّق أن شيخاً في مثل جلاله الديني ووقاره العلمي يقبِّل أمام الناس يد شاب في سن أولاده ؟ قال مترجمه: لقد رأيته بعيني يفعل هذا في أحد شوارع إدلب المزدحمة بالناس، في أحد أيام العيد بأحد أحفاد شيخه أبي النصر رحمه الله تعالى) المحامد ص١٤٠.

أقول: هذا الشاب هو شيخنا الأستاذ الجليل إسماعيل بن شيخنا الشيخ عبد الباسط.

وبالجملة فلقد كان كله كمالات وأخلاق مع ظرف ولطف، وسجية حميدة وأخلاق سديدة، وإني نقلت بعض كمالاته وأحواله من كتاب تلميذه الشيخ عبد الحميد طهماز الذي ألفه في سيرته وسماه (المحامد)، ولكني غرفت من بحر، ولا تغني هذه الصفحات عن قراءة الكتاب الذي أجاد فيه مؤلفه وأفاد، وكلما قرأت فيه ازددت خشوعاً ورقة وحنيناً إلى أولئك الرجال العظام، و لم أتمالك دموعي من التسكاب، وعيوني من أن تذرف شوقاً وحنيناً إلى أولئكم الأحبة الكرام، الذين رباهم سيدنا أبو النصر فكانوا عنواناً للكمالات، واستمراراً للفضائل التي شهدوها منه قدس سره وعلا قدره، وكانوا في حياتهم صفحات

من سيرة شيخهم، بل نوراً من أنواره قدس سره.

وقد كتب عنه سيدي الوالد في ثبته: الشيخ محمد الحامد رحمه الله صهر شيخنا الشيخ أحمد سليم المراد، وقد كان من رفاقي في المدرسة الشرعية بحلب عندما كان الشيخ محمد السيادي (المراد) معي في صفي، إلا أن الشيخ الحامد كان أسبق بصف، وكان رحمه الله على جانب عظيم من لطف الأخلاق مع الرحمة البالغة، وأذكر نكتة لطيفة وقعت أثناء الدراسة في المدرسة الشرعية المذكورة، وهي أن أخي المرحوم الشيخ محمد سعيد المسعود مفتي الباب رحمه الله – عندما كان في المدرسة المذكورة – كان مجاوراً للشيخ محمد الحامد في تلك المدرسة، فاتفق أن الشيخ الحامد رحمه الله كان يؤوي إليه هرة يحسن إليها – كما ذكرنا – من وفور شفقته، فولدت تلك الهرة، فكتب له أخي رحمه الله بيتين يهنؤه فيها من باب المباسطة فقال:

يهنيك هرتك البيضاء قد ولدت ... خير الهريرات من خير الهوارين

عاشت برغد وعاشوا حامدين لكم ... لا زلت كنزاً وذخراً للمساكين

فأجابه شعراً:

وهبتك الهرة البيضا وما ولدت ... خلص فؤادي وقلبي من شياطيني

فكن لهم محسناً برّاً، وإن فعلوا ... ذنباً فدونك ذبحاً بالسكاكين

ثم قال الوالد رحمه الله: وكان رحمه الله ركناً قوياً ودعامة متينة للأخلاق والعزيمة، محتسباً لله، لا نهمة له إلا إقامة الأوامر الدينية والأخلاق الإسلامية). اهـ منه.

أقول: وقد سمعت هذه الحكاية من عمي الشيخ محمد سعيد رحمه الله مراراً، يستدل بها على شفقة ورحمة الشيخ الحامد، حيث قال: لما رأيت معطف الشيخ الحامد في الرواق في المدرسة، والأيام باردة، ظننت أنه قد أصابه نجاسة فغسله وعرّضه للشمس حتى يجف، فلما اقتربت منه وجدته قد عمله بشكل خيمة أو ظلّة على هرة ولدت ثلاث هريرات صغيرات، فأرسلت له ذلك الشعر، وأجابني بما أجابني، دلالة على فقهه رحمه الله تعالى

ورحمته بالحيوانات ورفقه بها.

قال عبد الله: وسأل عمي مداعباً ولده عن الهرة وأحفادها، فأجابه مازحاً: أن عندنا هرٌّ من الهوارين. فأرسل له رسالة شعرية ونثرية لا يتسع المقام لإثباتها، حفظاً للوداد.

آخر حياته ووفاته: وقد أصيب آخر حياته بمرض تشمع الكبد الذي ليس له علاج، وقرر الأطباء إجراء جراحة له في بيروت، وبعد بقائه شهرين في مستشفى المقاصد الإسلامية في بيروت وإجراء العملية الجراحية عاد إلى حماة مع مرافقيه، وذلك بتاريخ ١٦ صفر ١٣٨٩، الموافق ١٩٦٩/٥/٣، وبعد يومين لقي وجه ربه راضياً مرضياً فتوفي في حماة يوم الإثنين ١٨ صفر ١٣٨٩ ودفن فيها، وخرجت حماة عن بكرة أبيها تشيع ذلك الجثمان الطاهر، ونعته نشرات الأنباء إلى العالم الإسلامي، وأفردت له مجلة الحضارة بدمشق عدداً خاصاً لتتحدث عن مزاياه ومناقبه، رحمه الله تعالى وأعلى منـــزلته مع أشياخه في عليين.

عدد خاص:

وقد أفردت مجلة حضارة الإسلام الدمشقية الشهرية عدداً خاصاً بحياة الشيخ رحمه الله هو العدد الثالث من السنة العاشرة، جمادى الأولى ١٣٨٩، الموافق تموز وآب ١٩٦٩، صدَّره رئيس التحرير الأستاذ محمد أديب الصالح بافتتاحية بعنوان: (حين تعرف الأمة رجالها)، والأستاذ عبد الغني الحامد بمقالة (أخي كما عرفته)، والأستاذ عبد الحميد طهماز بدراسة معنونة بـــ (الخطوط الرئيسية للنهج العلمي عند شيخنا الحامد رحمه الله)، وقصيدة شعرية للأستاذ عبد القادر حداد (أشجان في رحلة الوداع الأخير)، ومقالة بعنوان (العالم العامل) للدكتور حسين هويدي. كما أعادت المجلة نشرها للمقابلة معه التي أجرتها في عددها الخامس من السنة السادسة ١٣٨٥-١٩٦٥ بعنوان (ضيف الحضارة)، وكتب الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي مقالة بعنوان (حماة وعالمها الراحل)، وخواطر شعرية (مصطفى الحدري)، وقصيدة شعرية للدكتور مأمون شقفة بعنوان (سيد العصر)، ومقالة للعالم المغربي الأستاذ محمد إبراهيم بخات بعنوان (محمد الحامد: العالم الفذ)، ومقالة (لن

ننقلب بعدك على الأعقاب) للأستاذ عبد الله الصباغ، وكلمة للأستاذ محمد حسن بريغش بعنوان (العلماء العاملون وأثرهم في الأمة)، كما أعد ولده الأستاذ عبد المعز الحامد (قطوفاً من شعره) ذكر فيها عدة قصائد ومقطوعات له من مختلف الأغراض، كما عمل الأستاذ عبد القادر الحداد (دراسة للجانب الأدبي في شخصية الراحل محمد الحامد)، ونقلت المجلة أيضاً شذرات مما كتبته مجلة الهدى الإسلامي الأردنية عنه، وكذلك ما كتبه الأستاذ محمد لطفي في مجلة الاعتصام القاهرية.

فرحمه الله، وأسكنه فسيح جناته وعوّض الأمة عنه وعن أمثاله خيراً، وجمعنا الله معه ومع شيخه وإخوانه من آبائنا وأحبابنا في عليين، والحمد لله رب العالمين.

الشيخ العصامي، والعالم المربي

الشيخ موسى بن حسين الحاج موسى الحلفاوي "الحموي"

(١٣٠٢-١٣٨٣هـ) (١٨٨٤-١٩٦٣م)

هو العالم التقي، والصوفي العصامي، والمعلم المربي، الشيخ موسى بن حسين الحاج موسى الحلفاوي الحموي. ولد هذا العَلَم النقي، والشيخ التقي، في قرية حلفايا التابعة لحماة وعاش بها، وذلك بعام ١٣٠٢هـ الموافق ١٨٨٤م.

نشأته: كان شبه أمي، يقرأ القرآن فقط ولا يعرف الكتابة، وكان أول أمره فلاحاً في قريته حلفايا، وبعدما تزوج ورزق بأولاد أحب العلم وسعى في طلبه.

تعلمه في حماة: فتوجه تلقاء حماة، وكان علاّمتها وعالمها آنذاك (الشيخ محمد علي المراد بن الشيخ محمد سليم بن الشيخ أحمد المراد)، وكان قد أخذ عنه الطريقة النقشبندية، وحصلت له فيها أحوال ومواجيد، وانتفع بتوجهات شيخه، فقصده مستأذناً السفر للأزهر لتعلم العلم هناك، فقال له شيخه: أنت فقير وذو عيال، ولا تستطيع السفر، لأنك لا تتحمل نفقات الدراسة والإقامة والسفر، ولكن خذ هذا الكتاب واحفظه ثم عُد إليَّ. وأعطاه (متن الأجرومية في النحو) فبدأ بحفظه، وصار ينـــزل كل يوم من قريته (حلفايا) إلى حماة سيراً على الأقدام ليسمع شيخه ما حفظه وليتلقى عن شيخه درساً جديداً ثم يعود، والمسافة بين حلفايا وحماة أربع ساعات سيراً على الأقدام.

وصار الشيخ يعلمه ويرقيه كل يوم درساً، وبقي مدة على هذه الحال من الدأب على العلم والدرس وتحمل مشاق السفر.

طرفة: وكان في قريتهم (حلفايا) إمام اسمه الشيخ علي النطاح، وكان أهل القرية يحسبونه - لبساطتهم - من أكابر العلماء، ولم يكن عالماً وإنما يحفظ شيئاً من القرآن تصح

بهم صلاتهم وصلاته، وكان أهل القرية يقولون عنه: (يمشّي الشعيرة على الحيط)، بواسطة السيماء والتخييلات كما يبدو، وذات يوم اجتمع أهل حلفايا في إحدى منتدياتهم وقالوا: من يا ترى الأعلم ؟ الشيخ النطاح أم الشيخ موسى. فقال بعضهم: الشيخ موسى. وقال آخرون: النطاح. فاجتمعوا لدى مختار القرية وعرضوا الأمر عليه، واتفقوا أن يجري امتحانهما لديه ليروا من هو الأعلم، فحضروا وبدأ الشيخ النطاح يوجه أسئلة للشيخ موسى قائلاً: يا شيخ موسى هات ما معك من علم البيان، ومن علم البديع، ومن علم العروض، ومن علم المنطق.

يقول محدثي، وهو ولده الشيخ حسين بن الشيخ موسى حفظه الله: قال والدي: فعدد لي أسماء علوم لم أسمع بها ولا هو يعرفها أيضاً، ثم قال لي: ابدأ أنت أولاً بالحديث عن هذه العلوم.

قال: قال الوالد: وكنت حفظت متن أبي شجاع في الفقه الشافعي غيباً، فبدأت أقرأ من أول باب المياه: المياه سبعة، ماء النهر، وماء البحر، وماء السماء، وماء العين... ثم تابعت بقية أبواب الطهارات، حتى وصلت إلى باب نواقض الوضوء، وأنا أقرأ المتن عن ظهر قلب دون توقف، ثم سكت هنيهة والناس يستمعون والشيخ النطاح قد بهت، فما كان منه إلا أن قال: والله إن الشيخ موسى متضلع في العلم، وأنا لم أصل إلى هنا. قال: وفهم الناس المجتمعون أن الشيخ موسى غلب الشيخ النطاح، وفي اليوم التالي توجهت إلى حماة إلى شيخي أبي سليم المراد وحكيت له ما جرى بالأمس، فضحك طويلاً وكاد أن ينقلب على قفاه من كثرة ما ضحك، وقال لي: (ارجعنا من خان طومان) !

ومن يومها كلف أهل القرية والدي بإمامة جامع حلفايا، ووافق استلامه الإمامة في جامع حلفايا وقت جدب وقحط وقلة أمطار، فكان أول صلاة أقامها بالناس بعد ما أذن على سطح المسجد - حيث لم تكن قد بنيت مئذنة للمسجد بعد - أن أفاض الله الخير والغيث والبركة على الناس، فتفاءل الناس به فألاً حسناً.

حادثة غريبة: يقول محدثي الشيخ حسين ابنه: وبعد عدة أيام كان يؤذن على سطح

المسجد لصلاة الصبح، فدخل طائر أخضر إلى المسجد لم يُر مثله، وحاول المصلون إمساكه فلم يفلحوا، ولم يستطيعوا إخراجه أيضاً حتى نزل الوالد من السطح، وصلى السنة، وقرأ الأوراد قبل صلاة الفرض، ثم نوى الإمامة ودخل في الصلاة، فوقف الطائر على رأسه وهو واقف في الصلاة يقرأ حتى ركع للأولى فخرج الطير من الباب ولم يعد، ولم يروه بعدها.

اشتغاله بالتعليم: وبعدما أتقن بعض المتون ومبادئ العلوم لدى شيخه (المراد) في حماة، مع إمامته لحلفايا وبقائه فيها عدة سنوات، انتقل إلى قرية (اللطامنة) وبقي فيها سنتان، ثم عاد فترة قصيرة إلى حلفايا، ثم استقر في (خان شيخون) وبقي فيها /٢٢/ عاماً، وهناك بدأ بتربية الطلاب وتعليمهم مبادئ العلوم الشرعية والعربية مع القرآن والتجويد، وتحفيظهم متون العلم، وصار يتخرج لديه الطلبة فوجاً بعد فوج، ومعظمهم يتابع العلم في المدارس الشرعية، أمثال الشيخ حسن رزوق الخطابي، ومنهم من يتابع في المدارس الرسمية كالأستاذ سليمان النسر، وغيرهم كالشيخ طاهر الصوراني، والشيخ قاسم التمنعاوي، والشيخ محمد صبحة، والشيخ صالح الرفاعي من خان شيخون، وأخي الشيخ محمد (أبو كلال).

وقد استفاد منه كثير من الطلاب في تعلمهم لديه، إذ كان حريصاً على تحفيظ المتون وسماعها من الطلاب في كل شهر، أمثال متن الأجرومية في النحو، وأبي شجاع في الفقه، والرحبية في الفرائض، والباجوري في العقيدة، قال: فكنا نجلس على ركبنا ونسمعه إياها عن ظهر قلب، حرفاً بحرف، وإذا أخطأنا بكلمة، فيجب الإعادة من الأول، حتى يكون حفظنا كالفاتحة.

وكان لا يأخذ على تعليمه أجراً، إنما يعلم لوجه الله، وكان يطعم الطلاب الفقراء لديه ويؤويهم، وتغسل الوالدة ثيابهم، لأنهم كانوا يقيمون عنده، حيث إن المواصلات كانت قليلة ومتعسرة. وكان يرسل المؤونة إلى بيوت بعضهم من ذوي الحاجة، وكان راتبه من أهل القرية بضع شنابل (أكياس) من القمح تسدد إليه بعد موسم الحصاد والدراسة، فكنا نستدين في الشتاء ونفي ديوننا في الصيف، حيث لم يكن عندنا أرض.

ولما عدنا إلى حلفايا، بعد الإقامة الطويلة في خان شيخون، عرض عليه أهل حلفايا أن

يعطوه أرضاً لزراعتها فلم يقبل، فقلت له، والكلام لولده الشيخ حسين: لماذا ؟ فقال:

– إن هذه الأرض سوف تؤخذ من عموم أهل القرية، وفيهم الأرملة وفيهم اليتيم والقاصر ومن لايسامح، فأنا لا أقبل أن أظلم أحداً، أو آخذ ممن يستحيي. وكان زهده وتعففه هذا فطرة فطره الله عليها، وكان متواضعاً، لا يحب الجاه ويكره الظهور.

وقد بقينا في حلفايا – بعد خان شيخون – أربع سنوات، انتقلنا بعدها إلى كفر زيتا المجاورة لها، ثم استقر بنا المقام في حلفايا حتى وفاة والدي عن عمر بلغ /٨٣/ سنة، وذلك في ١٤ صفر ١٣٨٣ هـ الموافق ٨ تموز ١٩٦٣.

وفاته وغسله و الصلاة عليه: وليلة وفاته كان يزوره الشيخان ظافر بن شيخه محمد علي المراد وابن عمه الشيخ بشير بن الشيخ أحمد المراد، وكأن القدر الإلهي أرسلهما لزيارته، لأنه كان يقول عصر ليلة وفاته: أنا مشتاق إلى الشيخ ظافر لأراه. فطُرِق الباب وإذا بالشيخ ظافر مع الشيخ بشير، والشيخ مصطفى الجاجة، ففرحنا بهم، وجلسوا معه يؤنسونه ويسرّ بهم، وتناولنا طعام العشاء سوية، وسهرنا سوية وبدأت علائم الموت على الشيخ، وأجلسته في حجري ففارق الحياة ليلة الرابع عشر من صفر، وبات الشيوخ ضيوفاً لدينا، وحضروا غسله والصلاة عليه، ومشوا في جنازته إلى مثواه الأخير في القرية، وغسله الشيخ ظافر، ومما يذكر أنه أوصى أن يغسله الشيخ ظافر، وكان قد أملى هذه الوصية عليّ وكتبتها بخط يدي، وبعد موته تذكرت الوصية وما فيها، فحمدت الله سبحانه أن نفذت وصيته بقدر الله دون عسر أو مشقة.

وكان رحمه الله يثني على الشيخ أحمد سليم ويقول: ما رأيت طالب علم أكثر أدباً واحتراماً لشيخه مثل الشيخ أحمد سليم مع أخيه وشيخه الشيخ محمد علي المراد.

شيوخه في العلم والطريق: وقد أجاز الشيخ أحمد سليم، أخاه الشيخ محمد علي، ووالدي الشيخ موسى، إجازة في العلم، وإجازة في الطريقة النقشبندية، وكان الشيخ أحمد تلقى الطريق وأجازه به الشيخ سليم خلف قدس سره، كما كان عنده إجازة من الشيخ **محمد أبي المواهب الأريحاوي** الذي كان بمستوى الشيخ بدر الدين الحسني في العلم، وكان

من فطاحل العلماء، وكان لا يخشى في الحق لومة لائم، صلباً في دينه، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، ذا هيبة وهيمنة. قال والدي: لما جلست بين يديه، فكأنيْ لا أعرف قراءة الفاتحة، من شدة هيبته.

يقول أخونا الشيخ حسين، الذي تفضل عليّ بترجمة والده في منـــزله العامر في حلفايا في نهاية محرم ١٤٢٣:

وكان والدي الشيخ موسى تلقى الطريق النقشبندي عن الشيخ أحمد سليم المراد، ثم بعد وفاته تلقاه عن الشيخ حسين الخطيب الطيباني.

أولاد الشيخ موسى الحلفاوي: ومما يذكر أن الشيخ موسى خَلَّفَ ولدين عالمين كبيرين من أهل الفضل والعلم والطريق، ولهما الشهرة الذائعة والسيرة الحسنة في ريف حماة، وبالأخص الريف الشمالي، وهما محدثي الشيخ **حسين الموسى** (أبو أنس)، علاّمة المنطقة وداعيتها، ومن أقام الله على يديه منار العلم والدعوة في حلفايا وما حولها، وقد وفقه الله سبحانه في السنوات الأخيرة لبناء أكبر جامع في القرية لا نظير له في أرياف البلاد السورية، ويتسع لعشرين ألف مصلٍ تقريباً، كما وفقه لبناء مستشفى ضخم على الهضبة المطلة على القرية ويتسع لعشرات الأسرّة.

وقد أجازه العلامة المرحوم الشيخ محمود الشقفة الحموي بالطريق الرفاعي، ويعتبر الآن مرجع الفتوى في المنطقة، حتى أن جيرانهم أهل محردة، لا يتحاكمون إلا عنده [1].

أما أخوه الأكبر الشيخ **محمد** (**أبو كلال**) فهو من أكابر أهل الفضل والعلم والطريق.

---

[1] توفي رحمه الله تعالى بعام ٢٠٠٥م، وقد حضرت جنازته رحمه الله أنا وأخي عبد الله، وصليت عليه وشيعته مع آلاف المشيعين من المحبين إلى مقبرة القرية، وطلب مني بعض أهل العلم الموجودين تلقينه، فامتثلت آملاً أن أكون من جملة الذين يغفر لهم في جنازة مغفور له.

العالم المتواضع

الشيخ محمد بن الشيخ موسى الحلفاوي "الحموي"

(١١٣٩-١٤٢٧هـ) (١٩٢٠-٢٠٠٦م)

هو العالم الفاضل، والهمام الكامل، المتحلي بثوب التواضع والانكسار، والذل والافتقار إلى العزيز الغفار، الشيخ محمد بن الشيخ موسى بن حسين الحاج موسى الحلفاوي الحموي.

ولد في قرية حلفايا القريبة من حماة، ونشأ في حجر والده الرجل الصالح، وتعلم القرآن الكريم ومبادىء العلوم الإسلامية لديه، وبخاصة بعد أن أنهى تعليمه لدى شيخه محمد علي بن الشيخ سليم المراد في حماة وانتقل إلى خان شيخون، وهناك أسس والده مدرسة علمية صغرى علَّم فيها طلاب المنطقة، وكانت هذه المدرسة هي بيته.

وشب الفتى (محمد) على العلم والعمل، والفضل والتقوى التي رضع لبانها من والده أولاً، ثم من مشايخ العلم والطريق في حماة وما حولها، وتلقى الطريق النقشبندي عن الشيخ حسين الخطيب (الطيباني) وتكمل لديه، وعن والده أخذ بقية الكمالات والفضائل.

وتنقل في المنطقة مع والده من قرية إلى أخرى داعياً ومعلماً، ومرشداً وموجهاً بقاله وحاله، وبأخلاقه الكريمة، وكان أول تعرفي عليه في مجلس ضم سيدي الوالد والشيخ محمد أديب حسون في منـــزل عمنا الشيخ عمر ملاحفجي في حلب، عندما كان بيته في الصاخور، وذلك أوائل عام ١٩٦٠م، وكان هذا المجلس مجلس علم وذكر وإنشاد، وحضره ضيفاً هو وأخوه الشيخ حسين على عمنا الشيخ عمر ملاحفجي، وقد ترك هذا المجلس في نفسي أثراً كبيراً لمحبة هذين العالمين الفاضلين، ثم استمرت الصلة بيننا وبينهما بعد ذلك، وكان الشيخ (أبو كلال) يواصلنا في حياة الوالد وبعده، وكنت أزورهما أيضاً في قريتهم حلفايا، وما انقطعنا عنهم.

وقد أنجب من الأولاد السادة: الشيخ محمد كلال، من أهل العلم الفضل وهو الآن إمام فاضل، وعالم كامل، في قرية حلفايا، وأخوه الدكتور موسى.

وقد ذكرت في ترجمة سيدي الشيخ عبد الباسط، دعوته له بعام ١٩٧٩م، والسرور العظيم الذي حصل بوجوده هناك مع الإخوان المحبين من العلماء والعامة، وكانت ليلة من ليالي أبي النصر.

وكان الشيخ رحمه الله يحب الحج والعمرة، فتراه يحرص على ألا يفوته الحج كل عام والعمرة كذلك، معلماً ومرشداً لقومه وإخوانه. وقد توفي الشيخ ثالث أيام عيد الفطر يوم الخميس ٣ شوال ١٤٢٧هـ الموافق ٢٦تشرين ٢٠٠٦م، وقد أخبرنا الأخ المحب أبو عروة الحموي بالنبأ، فهرعت أنا وأخي الشيخ محمود إلى حلفايا وصلينا عليه في الجامع الكبير في حلفايا، مع ثلة من أهل العلم والفضل، وألقيت الكلمات التي عددت مآثره وفضله، وقد قدمني محبه الشيخ أحمد فارس لألقي كلمة ذكرت فيها رزء الأمة بفقد علمائها العاملين وهداتها الكاملين، ولزوم التمسك بهديهم، والالتفاف حولهم. رحمه الله وأجزل مثوبته، وجعلنا من أهل الاهتداء والإتساء بهدي العاملين المخلصين.

وقد زودني محبهم الأخ عبد الرزاق قاقات الحموي "أبو عروة" بالترجمة التالية عن الشيخ أبي كلال رحمه الله تعالى، التي كتبها ولده الفاضل الشيخ كلال بناءً على طلبي:

مولده ﷺ: ولد ﷺ في قرية حلفايا في محافظة حماة عام ١٩٢٠م، من أبوين كانا علمين بالتقى والصلاح، فوالده سيدنا العارف بالله الشيخ موسى الموسى مربي السالكين وقبلة المتعلمين صاحب العلم اللدني – كما قاله عنه ولده سيدنا الشيخ محمد – الذي رأى الحبيب المصطفى ﷺ يقظة في أول جلسة للورد بعد سلوكه في الطريق النقشبندي العلي.

تلقى سيدي الشيخ محمد العلم الشرعي بأكمله عن والده سيدنا الشيخ موسى، الذي تلقى العلم بدوره عن سيدنا الشيخ أحمد سليم مراد عالم مدينة حماة في زمانه.

وسلك الطريقة النقشبندية العلية على سيدنا ومولانا الشيخ حسين الخطيب الطيباني، أحد خلفاء سيدنا الشيخ سليم خلف الجندي قدّس سره.

كان ﷺ صاحب وجد وحال، حيث كانت أنظار السادة الكرام عليه، فما لبث إلا فترة قليلة حتى أذن له شيخه بتلقين الذكر لطالبي طريق الهدى بصدق وإخلاص، فأصبح بيته محجاً لطلاب العلم الذين أقبلوا عليه من كل البلاد لينهلوا بعضاً من علومه.

وقد تميز ﷺ في كل العلوم الشرعية، وخاصة علمي الفقه والنحو والإعراب، حيث كان ذا باع طويل في هذا الميدان ولا يمكن لأحد أن يجاريه فيه، وقد برع بالنثر والشعر، فمدح الحبيب المصطفى ﷺ وساداتنا رجال الطريقة المكرمين بأناشيد؛ إن دلت على شيء فإنما تدل على صدقه.

وكان ﷺ متمسكاً بسنة الحبيب المصطفى ﷺ، زاهداً في الدنيا وزخرفها، مقبلاً بكليته على ربه، فكان يكثر من قيام الليل وتلاوة القرآن والاشتغال بالذكر حتى أصبح ورده يتجاوز الثمانين ألفاً، وكان ﷺ من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر والمبينين بحالهم وقالهم، فكل من رآه أحبه وهابه، ومن جالسه رأى في حاله حال أهل الله، فلا يذكر الدنيا في مجلسه؛ بل تراه دائماً مقبلاً على العلم والتعليم ممازحاً جلسائه بكلمة إعراب أو مسألة فقهية.

وقد تولع قلبه ﷺ ببيت الله الحرام وزيارة الحبيب المصطفى ﷺ، فحج أكثر من أربعين حجة، واعتمر أكثر من سبعين عمرة.

أفنى ﷺ عمره متنقلاً بين القرى ناشراً للعلم الشرعي ومعلماً لطالبي العلم، حتى تخرج على يديه أكثر من مائة وأربعين /١٤٠/ من طلاب العلم، وكان يقول لمن يدرس عنده: (أنتم حجتي عند الله عز وجل يوم القيامة)، وكان يكثر من ذكر حديث النبي ﷺ الذي معناه: (أتدرون من الأجود ؟ الله الأجود، وأنا أجود بني آدم، وأجود الناس من بعدي رجل أعطاه الله علماً فنشره بين الناس؛ يحشر يوم القيامة أمة وحده).

بعض كراماته ﷺ: كان الشيخ إماماً في قرية اللطامنة – قرية تقع إلى الشمال من حلفايا – وكان هنالك شخص مصاب بمرض الديسك وقد أعيى الأطباء، فذهب ﷺ لزيارته مع بعض الإخوان، فوضع يده المباركة على موضع المرض وقرأ عليه بعض الآيات القرآنية الشريفة، فأخذت المريض غيبوبة فبدأ يقول: يا سيدي، هذا رسول الله ﷺ، وهذا

سيدي الصديق ﷺ، وهذا سيدي أحمد الرفاعي ﷺ، وهذا سيدي عبد القادر الجيلاني ﷺ. فأجروا له عملية فبرىء بالحال.

وكان ﷺ في أحد الأيام نائماً في معرة النعمان مع شقيقه سيدنا الشيخ حسين رحمه الله تعالى وقدس سره عند بعض الأحباب، وكان في تلك العائلة امرأة مصابة بالشلل فرأت في نومها أن سيدنا أبا كلال قدس سره حامل رسول الله ﷺ. وعند الصباح قصت عليه الرؤيا فصاح وتواجد فقامت كأنها نشطت من عقال.

وحكى بعض المحبين أنه كان يركب جراراً مع أحد إخوانه في فصل الشتاء، وكان الطريق غير معبد فأتاهم مرتفع فلم يستطع الجرار إكمال الطريق، وبدأ بالرجوع إلى الخلف فنـــزل هذا المحب ليضع حجراً وراء عجلة الجرار، فرأى الشيخ قدس سره وقد أسند الجرار فأصبح يرجع بكل سهولة، ونزلوا سالمين بإذن الله تعالى.

وقد خصصه الله تعالى في السنوات الأخيرة من حياته لمن لم يرزقوا بالأولاد، أو رزقوا بإناث ولم يرزقوا ذكوراً؛ فما دخل عليه أحد بحاجة من هذه الحاجات إلا أعطاه الله تعالى إياها، وفي هذا المجال قصص كثيرة مشهورة يعلمها الناس.

وكانت كراماته ﷺ كثيرة وكثيرة لا يتسع المجال لذكرها، وكان لا يغتر بالكرامة ويقول دوماً: (الاستقامة على الطاعة هي الكرامة).

وفاته ﷺ: توفي ليلة الخميس ٣شوال ١٤٢٧هـــ الموافق ٢٠٠٦/١٠/١٦م، وكان قبل وفاته بسويعات يحضر مجلس ذكر، وكان فيه بغاية السعادة والسرور، وكانت آخر كلماته في الدنيا: لا إله إلا أنت يا حي يا قيوم. أخذ يرددها مراراً، ثم فاضت روحه إلى بارئها عن عمر يناهز ستة وثمانين عاماً أمضاها في طاعة الله ونشر العلم.

وشيع جثمانه الطاهر عشرات الألوف الذين حضروا من سائر البلاد، وعلى رأسهم العلماء الأفاضل، ثم ووريَ الثرى في مقبرة بلدته حلفايا بجانب والديه وشقيقه سيدنا الشيخ حسين. رحمهم الله جميعاً رحمة واسعة وحشرنا معهم في زمرة الحبيب المصطفى ﷺ.

العالم العامل، والمهاجر الفاضل

الشيخ حسن رزوق الخطابي "الحموي"

(١٣٣٧-١٤٢٢هـ) (١٩١٨-٢٠٠١م)

نشأته: العالم العامل والشيخ الفاضل، المهاجر بدينه في سبيل الله، والمتنقل من بلد إلى آخر داعياً إلى الله، والمتوفى غريباً عن أهله و أولاده؛ الشيخ حسن بن مصطفى الرزوق، المولود في قرية "خطاب" التابعة لمحافظة حماة بعام ١٣٣٧هـ، ١٩١٨ م.

نشأ وترعرع في قريته في كنف أهل مؤمنين صالحين، يحبون أهل العلم والفضل والدين، فدرس علوم الشريعة ومبادئها الأولية على يد شيخ من أهل الفضل والصلاح من قرية حلفايا القريبة منهم، هو الشيخ موسى بن حسين الموسى رحمه الله والد العالمين الفاضلين، والوليين الكاملين الشيخ محمد (أبو كلال) والشيخ حسين (أبو أنس) - أمد الله في عمرهما - وكان هذا الشيخ الصالح تلقى الطريق النقشبندي على آل المراد في حماة.

في الخسروية بحلب متعلماً: ولما صار الشيخ حسن أهلاً لدخول المدرسة الخسروية في حلب، انتظم في سلك طلابها ودرس العلوم الشرعية على يد أساتذتها الأفاضل، وكانت تضارع كبريات المدارس الإسلامية في العالم الإسلامي كالأزهر وغيره، وتخرج منها بعام ١٣٦١هـ - ١٩٤٢م.

في صوران خطيباً وإماماً: رجع بعد التخرج إلى قريته خطاب، فلم يُقِمْ فيها كثيراً حتى جاء به أحد أصدقاء والده إلى قرية صوران - القريبة من قريتهم - وقدمه إلى شيخ القرية وزعيمها المرحوم (عوض الشيخ أحمد) بصحبة خاله، فقال له: إن هذا الشاب من (خطاب) ويرغب أن يكون إماماً وخطيباً عندنا. فقال له: ما اسمك ؟ قال: حسن. فقال له: اسمك حسن، وشكلك حسن، وسَلَفُك حسن - وكان قبله إماماً وخطيباً الشيخ

حسن العثمان من قرية الغدفة، المعرة – ما يمشي حالك عندنا. فأجابه الشيخ حسن الرزوق رحمه الله قائلاً: يا عمي أبو الزاكي، نحن معنا بضاعة نعرضها عليكم، فإن أعجبتكم خذوها، وإلا فسوف نرحل. فقال له أبو الزاكي: هكذا يمشي حالك.

وبقي الشيخ حسن تسعة أعوام، كان خلالها من أفاضل العلماء وأكابر المربين والمرشدين، وكان له تأثير كبير في نفوس أهل القرية، وبفضل توجيهاته وتربيته وسلوكه المستقيم توجه أهل البلدة إلى التقوى والصلاح، وأثر فيهم تأثيراً واضحاً، وأحبه أهلها وأحبهم، وأثر فيهم بحلمه الواسع وهديه النبوي، وكان ذاكراً خاشعاً ذا صوت في الخطب والدروس يهز المشاعر والنفوس، وخلق فاضل يجذب إليه المصاحب والجليس، وكان آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر صداعاً بالحق، لا تأخذه في الله لومة لائم، جريئاً ذا هيبة لا يخشى في الله أحداً، ولو كان زعيماً أو صاحب نفوذ.

حال الشيخ العظيم: وأقام أحد المتنفذين في القرية مرة حفلة ساهرة – فيها راقصات ومغنيات من النَّوَر – وكان بيته قريباً من المسجد، وحضر الحفلة كبار أهل القرية وزعماؤها، وعلت الأصوات والمعازف، فلم يستطع الشيخ أن ينام ويترك لهؤلاء تجاوزهم على الدين وحرية الآخرين، ويدعهم هكذا دون زجر، وكانت ضربات الطبول تضرب على قلبه وأذنيه، وكانت كل دقة تحرك قلبه ليقول: الله الله، وصار معه حال عظيم من الذكر، ساقه إليهم، فدخل عليهم وهو يذكر الله بقلبه ولسانه، وألقى الله عليه الهيبة، فما شعر الحاضرون إلا وهم قائمون يذكرون الله عز وجل، وهربت الراقصات والمغنيات، وانقلب المجلس إلى حلقة ذكر بعد أن كان حلقة لهو وطرب، وانفض المجلس على ذكر الله وخشيته، وفي صباح اليوم التالي أراد صاحب البيت أن يعاتب الشيخ ويؤنبه على ما فعل، ولكنه ما إن وقف بين يديه، وسمع منه كلمات التذكير بالله والزجر عن المعاصي، حتى خَنَع وسكت ولم يَلْوِ على شيء [1].

---

[1] أقول: ذكرني هذا الحال بواقعة حصلت معي حيث كنت في مديرية ناحية الراعي على الحدود التركية موظفاً بعام ١٩٦٥م، وكنت أقوم مع هذا بالخطابة في المسجد وتدريس القرآن والعلوم الإسلامية حسبة لله، فأقام أهل القرية=

مع الشيخ أبي النصر: كانت أوائل صلته بالطريقة النقشبندية بواسطة شيخه الشيخ موسى، الذي كان سالكاً على يد الشيخ محمد علي المراد الحموي، وكان معظمْ أهل تلك المنطقة نقشبنديين، آباؤهم سالكون إما على يد الشيخ سليم خلف أو على يد خلفائه، أمثال الشيخ حسين الخطيب الطيباني الحموي والشيخ أبي النصر الحمصي، ولما طلب العلم في الخسروية حلب وثق صلته بالطريقة النقشبندية عندما التقى بشيخه أبي النصر أثناء زياراته لحلب، فكان هو ورفاقه الحمويين والحمصيين وغيرهم لا تفوتهم مجالس شيخهم وأنظاره وتوجهاته.

وكان استعداد الشيخ حسن لتلقي فيوضات شيخه أبي النصر وتوجهاته قوياً، فأمده سلوك الطريق النقشبندي والذكر الخفي، والعلم والفقه، وتربية الشيخ أبي النصر، حالاً وعلماً وسلوكاً وقوة على الحق، وثباتاً على مختلف عوامل الدهر، وهيبة ومنطقاً يحسه جليسه ويشعر به من يستمع كلامه.

العودة إلى خطّاب: ومضت أيام صوران، ولا يزال يذكرها ويتغنى بها الذين كانت تقرع آذانهم خطب الشيخ، وتسري إلى قلوبهم مواعظه كالغيث، وقد حدثني بمعظم ما ذكرته عن حال الشيخ في صوران أحد من تربى على يديه، وهو أخونا العالم الفاضل الأستاذ المدرس الشيخ **محمود حسّاني** "أبو عمار"، وشاءت إرادة الله سبحانه أن يغادر الشيخ صوران إلى قريته خطاب، تاركاً في قلوب أهلها لوعة على رحيله، والتزاماً بشريعة الله وهديه، وكان رحيله من صوران بعام ١٩٤٩ م.

وقضى الشيخ سنين عديدة في قريته خطاب يرشد أهلها ويدلهم إلى الله، ويربي ناشئتها على العلم والتقوى وكان قد تزوج ورزق أولاداً كانوا قرة عين له من زوجته الأولى وهم

تابع الحاشية في الصفحة السابقة

عرساً وفيه الطبل ويرقص عليه الشباب والفتيات ويستمر الطبل ثلاثة أيام، ومنذ الصباح، فخرجت بعد سماعي الطبل في الصباح ومررت على صديقي إمام القرية الشيخ مصطفى فاضل رحمه الله وأخذت منه (موسى) وذهبت، وتبعني من حيث لا أدري حتى وصلت إلى الطبل فبعجته بالسكين (الموسى) وأخذت من الزمَّار زمره وعدت إلى بيتي وأنا في حال لا أدري ما هو إلا الغيرة الإيمانية، ووقف الشيخ مصطفى يؤنب الحاضرين، رحمه الله ووفقنا لما فيه الخير.

مصطفى ومحمد منير وعبد الباسط، ولم تنقطع صلة الشيخ حسن بشيخه أبي النصر وأولاده من بعده، وبخاصة شيخنا عبد الباسط أبي النصر.

العودة إلى حلب خطيباً ومدرساً: وشاء الله سبحانه أن تكتسب مدرسته (الخسروية) التي تخرّج منها مِن تلاميذها مَن يرد الخير إليها، وبعام ١٩٥٨ تولى مديرية أوقاف حلب الأستاذ الوفي الفاضل (سليمان النسر)، وكان رفيقاً للشيخ عند معلمهم الشيخ موسى الحلفاوي، فأراد ردَّ الجميل لزميله الشيخ حسن الذي أنقذه من موت محقق – لما غرق في النهر – فجاء به من خطاب إلى حلب، وعيّنه موجهاً ومدرساً في الخسروية (الثانوية الشرعية بحلب)؛ وعرفت المدرسة فضله ونبله، وأخلاقه وسلوكه المستقيم، وأكرمنا الله سبحانه ولو بفترة قصيرة تمتعنا فيها بتوجيهه وأبوته علينا أيام كنا طلاباً في السنوات الأخيرة في الثانوية الشرعية، وكان موجهاً ليلياً ونهارياً، وأستاذاً مربياً، ومعلماً أديباً؛ ثم عين خطيباً في جامع الكلاسة وشهدت جنبات ذلك المسجد وأهله صوته يصدع بالحق. كما شهدت ليالي الجمعة في (أبي ذر) صوته الجميل يمدح الحبيب المصطفى ﷺ بألحانه العذبة، ويعظ بكلماته الرقيقة الحاضرين من الإخوة امتثالاً لتوجيه شيخنا (أبي نزار).

ثم لما فتحت الثانوية الشرعية للبنات بحلب، أكرم الله طالباتها بدروسه وأخلاقه، وجميل تربيته وتعليمه، وكم شهدت حلب ومناطقها كلماته العذبة إنشاداً وإرشاداً، أو إنشاداً في إرشاد بصحبة شيخنا عبد الباسط في جولاته على الأحباب في مدينة حلب وريفها ؟! وكم شهدت الليالي التي كان يقيمها بعض المحبين أسبوعياً لأبناء الطريقة النقشبندية صوت الشيخ حسن وإرشاده وتوجيهاته ؟! ثم قدّر الله سبحانه أن يتزوج زوجة ثانية من آل الياقدي بحلب، وينجب منها البنين والبنات، فكان لأولاده مصطفى وإخوته، أخوان جديدان؛ هما محمد معاذ و محمد ملاذ، جعلهما الله مع إخوتهم وأخواتهم قرة عين لآبائهم وإخوانهم وأحباب أبيهم.

الهجرة إلى المدينة المنورة: وفي عام ١٤٠٠ هـ–١٩٨٠م شاء الله سبحانه أن يكون لشيخنا (أبي مصطفى) نصيب في الجوار في مدينة الرسول الأعظم ﷺ، فبقي فيها سنتين

مع زوجته الجديدة وأولاده منها، وبعد أن أكرمه الله سبحانه بالحج والزيارة والمجاورة، قدر الله سبحانه له أن تكون بقية حياته في عمان، فارتحل إليها بعام ١٤٠٢ - ١٩٨٢.

الهجرة إلى عمّان: وفي عمَّان [1] حطت به الرحال إماماً وخطيباً ومدرساً في مسجد الحسين، وهناك شهدت تلك المنطقة وذلك الحي صوتاً إيمانياً وخلقاً محمدياً وسلوكاً رائعاً في الدعوة إلى الله، وجمع الناس على الله سبحانه، إلى أن وافاه الأجل في العاشر من رمضان ١٤٢٢ الموافق كانون أول ٢٠٠١، ودفن هناك بعد الصلاة عليه في مسجده، وودعه أهل عمان بالأسى والحزن والأسف، كما ودعه أهل خطاب وما حولها في مجلس العزاء الذي أقامه أولاده هناك، رحمه الله ونور ضريحه.

وقد رثاه ابنه محمد منير بقصيدة يوم وفاته نقتطف منها ما يلي، بعنوان (وداعاً يا أبي):

مالي أُكَتِّم أنفاسي فتحتدم ... وباتت النار في الأحشاء تضطرم

ويلاه كم هزت الأحزان باصرتي ... وأهلكت كبدي والقلب ينقسم

دَمٌ بدمعي ينوء الخدُّ من ثقلٍ ... تشكو الشؤون، لقد أهلكت يا ألم

يا عالماً متّ في عمان يا أبتي ... قد كنت للدين حصناً ليس ينهدم

تموت في غربةٍ عنا فلا أمل ... بأن نراك فجاء الهمُّ و السَّقم

❁ ❁ ❁

ملأت علماً بطاح الأرض قد شهدت ... خطّاب، صوران، والشهباء والحرم

مساجد كلها تزهو وشاهدة ... في طيبة وربا عمان فضلكم

فكم هديت بنور الله منحرفاً ... إذ ضل في اليم والأمواج تلتطم

فعاد بصحو من الأوهام واعتمرت ... في قلبه شعلة الإيمان تعتصم

تدعو الله إخلاصاً وتضحية ... ما رمت أجراً فأنت العالم العَلَمُ

---

[1] كان رحمه الله وصولاً وفياً، فكان يرسل إلي بالسلام مع أهل بلدتنا الذين كان بعضهم يعملون في عمان ويصلون عادة في المسجد الذي يؤم فيه، وكنت أرسل معهم رد السلام حتى قبيل وفاته رحمه الله.

وكم رأيت رسول الله في حلم ومن رأوه بحلم كلهم عظموا

❁ ❁ ❁

لكم بكيت إذا ما جاءني رجل يقول لي عظّم الرحمن أجركم

هوّن عليك فإن الخطب مشترك فليس وحدك تأسى إنما الأمم

❁ ❁ ❁

لك السلام وأرجو الله مغفرة ورحمة الله، منه الجود والكرم

ومن علماء حماة

الشيخ محمد توفيق الصباغ "الحموي"

المتوفى عام (١٣٨٥هـ) (١٩٦٥م)

وكان الشيخ من علماء حماة المعمّرين ورئيس جمعية العلماء فيها، وكان فقيهاً شافعياً، وكان له الفضل على البلدة، إذ أنه هو الذي أسس المدرسة الشرعية فيها، وكانت له اليد الطولى في تأسيسها، وعمر فوق (١٠٥) سنوات.

وتوفي حوالي عام (١٩٦٥م)، وكان إماماً وخطيباً لجامع الشيخ علوان بحماة، وكان من أشياخ وأساتذة الشيخ الحامد رحمه الله، والغالب أنه تلقى الطريق عن الشيخ سليم خلف.

العالم العامل، والتقي الصالح

الشيخ محمد منير لطفي "الحموي"

هو العالم العامل والفاضل الكامل الشيخ محمد منير لطفي، الذي ولد في حماة وعاش فيها، وتلقى علومه الشرعية على يد علمائها، وكانت له قدم راسخة في الطريق، وقد تلقاه من سيدنا الشيخ أبي النصر، وكان يزور شيخه أبا النصر في حمص كثيراً، كما حدثني الشيخ عبد الحميد طهماز، قال: وكنت أسمع من الشيخ محمد الحامد كثيراً عنه والثناء عليه، وكان الشيخ الحامد يحبه كثيراً ويقول: أتمنى أن أكون شعرة في لحيته. وقد سمعتها منه عدة مرات.

وكان إذا زار الشيخ أبا النصر وأراد الاستئذان للعودة إلى حماة يقول له الشيخ: انتظر. وبعد ذلك فجأة يقول له: اذهب. فيذهب إلى الكراج فيجد السيارة تنتظر راكباً ليسافر، فيسافر بها دون تأخير، وهذا كثيراً ما كان يحدث معه.

وكان للشيخ منير ولدان، أحدهما في حماة وآخر في قطر واسمه الشيخ أمين، وأخذ جنسية تلك الإمارة، وتوفي في حماة رحمه الله ونور ضريحه.

الشيخ العالم، والفقيه المفسر

الشيخ عبد الحميد طهماز "الحموي"

أمدَّ الله تعالى في عمره

ولد هذا العالم المحب والفقيه المدقق المفسر في حماة، وأتم دراسته الابتدائية في مدارسها ثم الثانوية، وعندما أسست كلية الشريعة بجامعة دمشق بعام /١٩٥٤/ التحق بها عام /١٩٥٥/، وكان من الدفعة الثانية الذين تخرجوا منها لعام /١٩٥٩/، وقد لزم قبل انتسابه لكلية الشريعة وبعدها شيخ حماة وفقيهها وداعيتها الشيخ محمد الحامد، وتلقى عنه وعن غيره علوم الدين، وأكثر ملازمته للشيخ الحامد وانتفع به كثيراً.

وعن شيخه الحامد تلقى الذكر والطريق النقشبندي، وكان الشيخ الحامد يغلب عليه العلم أكثر من الطريق، رغم أنه كان متمكناً في الطريق، وكان ينكر على الناس الذين اقتصروا على الطريق دون علم، وكان عندهم شطحات ومخالفات، وقال عنهم: ليتهم لم يتصوفوا. وكان يكثر القول المشهور: مَن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق. وقد حدثني حفظه الله – عندما زرته في بيته في مكة أوائل رمضان عام ١٤٢٣ هـ – عن شيخه الحامد، وكيف أثر فيه وأحب العلم والتدقيق في مسائل الفقه وتحقيقها بسبب سلوك شيخه العلمي وتدقيقه في مسائل الفقه وغيرها.

كما حدثني عن سبب صلة الشيخ محمد الحامد بالشهيد حسن البنا فقال: كان الشيخ الحامد يسكن في نفس العمارة التي فيها الشيخ البنا، وكان يصلي معهم التراويح، ويحضر حديث الثلاثاء معهم، وقد تأثر الشيخ الحامد بالشيخ البنا ومنهجه الدعوي، ولما قتل جماعته رئيس الوزراء النقراشي باشا، قال الشيخ الحامد لجماعته: لقد رشحتم الشيخ حسن للقتل. فقتلوه لأنهم لم يجدوا كفؤاً غيره، وتأثر الشيخ بمقتله كثيراً وزكّاه كثيراً.

وحدثني الشيخ عبد الحميد عن شيخه الحامد فقال: كان الشيخ الحامد رحمه الله قد جعل ميزان الاعتدال في حماة بين الحركة الفكرية والصوفية، وكذلك جعل الاعتدال ميزان اللقاء بينهم، وكان ظاهرة فريدة في هذا، ولم يجر في بلد آخر مثلها، إذ إن المدن الأخرى لم يكن فيها هذا الانسجام بين الشباب أهل الفكر والعلماء الصوفية وغيرهم، إلا أن الشيخ الحامد في حماة استطاع أن يوجد هذا الانسجام بين الشباب والعلماء، وقد فشل معظم الدعاة من أهل الفكر في إيجاد هذا الانسجام، والدليل على ذلك أنه لما قامت الانتخابات في دمشق زمن الداعية الدكتور مصطفى السباعي، لم يقف معظم مشايخ دمشق وعلمائها مع السباعي ووقفوا مع خصمه، لأنهم لم يحسنوا إيجاد الاعتدال والانسجام معهم.

ظل الشيخ عبد الحميد ملازماً لشيخه الحامد حتى وفاته، وعمل مدرساً في مدارس حماة، ثم انتقل إلى مكة المكرمة وأقام فيها منذ عام ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠ م، وحتى الآن.

ومن نتاجه العلمي:

١- كتابه (المحامد) الذي ترجم فيه لشيخه محمد الحامد، وقد نقلنا معظمه في ترجمة الشيخ الحامد.

٢- وقبلها كانت له رسالة: (إرشاد الناس إلى أحكام الحيض والنفاس).

٣- ثم أخرج (التفسير الموضوعي للقرآن) بشكل حلقات، ثم أتمه كله.

٤- ثم الفقه الحنفي في ثوبه الجديد، وهو صياغة قريبة من العصر، وقد طبع في خمسة مجلدات.

كما إنه أكمل تعليقات شيخه الحامد على (الهدية العلائية) أثناء تدريسها، وكملها حتى أنهاها، ولم تطبع بعد.

وكان يقوم مع شيخه الحامد بزيارة شيخنا عبد الباسط إلى حلب، ولا زال الشيخ مقيماً في مكة المكرمة، يشتغل بالعلم تأليفاً وتدقيقاً، جزاه الله خيراً ووفقه للمزيد.

تراجم علماء إدلب والمعرة وأريحا
من مريدي الشيخ أبي النصر الحمصي النقشبندي

١- الشيخ محمد بن سليم أفندي فخر الدين الإدلبي، المتوفى ١٣٦٨هـ - ١٩٤٨م

٢- الشيخ أحمد الحصري المعري، المتوفى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

٣- الشيخ نجيب سالم الأريحاوي، المتوفى ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م

٤- الشيخ أديب الياسين المارعي الإدلبي، المتوفى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

٥- وابنه خالد الياسين الإدلبي، المولود ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م

٦- الشيخ أديب يحيى الأرمنازي، المتوفى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

٧- الشيخ نعمان حبوش الأريحاوي الإدلبي، المتوفى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

الفاضل المحبّ، والكامل الصدوق

الشيخ محمد بن سليم أفندي فخر الدين "الإدلبي"

(١٢٩٤-١٣٦٨هـ) (١٨٧٧-١٩٤٨م)

هو الشيخ الفاضل، والرجل الكامل، محمد فخر الدين بن سليم بن عبد القادر بن محمد فخر الدين بن مصطفى الحمصي الخالدي، ولد في إدلب عام ١٢٩٤هـ - ١٨٧٧م، وتوفي في حلب بعام ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٨م، وقد تجاوز السبعين عاماً.

تلقى تعليمه في المدرسة الرشدية العسكرية بحلب، ثم لزم المدرسة العثمانية بحلب لتلقي العلم فيها، وحفظ القرآن غيباً على يد الشيخ محمود السنكري، وكان أبوه الحاج سليم أفندي ضابطاً في الجيش العثماني، وكان الشيخ محمد يعمل موظفاً في مالية الباب، ثم ترك المالية وعين عضواً في محكمة البداية، ومستنطقاً "قاضي تحقيق" لمدة سنتين، ثم ترك العمل مدة عشر سنوات، وافتتح محلاً تجارياً، ثم عاد إلى المالية إلى أن أحيل على التقاعد.

وأفادني والدي **الشيخ محمد علي المسعود** رحمه الله أنه من أهل إدلب أصلاً ومن أهل النسب الشريف، وكان يعمل متولياً للأوقاف في الباب قبل ضبطها وإدارتها من قبل الأوقاف الإسلامية.

وكان حافظاً لكتاب الله تعالى، مع عمله موظفاً للحكومة، حيث كان أميناً لصندوق مالية الباب ومن هناك كانت شهرته (الصندوق أميني)، بالإضافة إلى الإشراف على أوقاف الباب، كما كان إماماً للجامع الصغير فيها مدة قبل الجد الشيخ محمد المسعود، وقبل الشيخ أحمد أبو البقاء رحمهم الله.

وكان الشيخ أبو النصر رحمه الله كلفه بإدارة الختم الشريف في الجامع الصغير، بعد أن تلقى الطريق النقشبندي عنه، وانتسب إليه، ودخل في سلك محبيه ومريديه كما فعل معظم

طلاب العلم في الباب، وصلحاؤها وأتقياؤها، وقد حدثني بهذا سيدي الوالد رحمه الله.

وترك وصية قبل وفاته يبين فيها أنه على عقيدة أهل السنة والجماعة ومما جاء فيها:

وإني إن شاء الله تعالى سأبرح هذه الدنيا تائباً منيباً إليه تعالى، نادماً على ما فرطت متأسفاً على ما قصرت، مستغفراً من كل ذنب وزلة، آملاً منه سبحانه قبول توبتي، وإقالة عثرتي، راجياً عفوه وغفرانه وإرضاء خصومي يوم عرضي عليه.

وإني أوصي أهلي وأولادي وأرحامي وأقاربي وجيراني وأحبائي وجميع إخواني المسلمين، بأن يعبدوا الله تعالى في العابدين ويحمدوه في الحامدين، وأن ينصحوا لأئمة المسلمين وعامتهم، ويتقوا الله حق تقاته، وأن يعتصموا بحبل الله جميعاً ولا يتفرقوا، وأن يصلحوا ذات بينهم، ويطيعوا الله ورسوله وأولي الأمر منهم، وأوصيهم بما أوصى إبراهيم بنيه ويعقوب:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

وأوصيهم بأن يخافوا الله سراً وعلناً، وأن يكون عملهم خالصاً لله، وأن يتقوا الرياء والعجب والغرور، وأن لا يتقاطعوا ولا يتحاسدوا، ولا يقطعوا أرحامهم، ولا يظلم بعضهم بعضاً عرضاً ولا مالاً ولا بدناً، وليطع الصغير الكبير وليرحم الكبير الصغير، وليعفوا وليصفحوا، فإن هذا مما يكون سبباً للنجاة ونوال السعادة الأبدية.

توفي في حلب ١٣٦٨هـ - ١٩٤٨ م، ودفن فيها. رحمه الله وأجزل مثوبته [1].

---

[1] مختصرة من ترجمته في تاريخ الباب للمؤلف.

العالم الكامل، والرباني الفاضل

الشيخ أحمد الحصري "المعري"

(١٣٢٧-١٤٠٦هـ) (١٩٠٩-١٩٨٦م)

العالم العامل، والرباني الكامل، والشيخ الفاضل، الشيخ أحمد بن مصطفى الحصري المعري، ذلك البدر الساطع والكوكب اللامع، الذي أشرقت أنواره وفاضت أسراره المستمدة من شيخ عصره أبي النصر، فأضاءت لها أطراف حماة واستقرت في المعرة، لتنشر النور والعلم والطريق فيها وفيما حولها.

نشأته الأولى: (ولد هذا العالم الجليل في بلدة معرة النعمان ١٣٢٧ هجرية، الموافق لسنة ١٩٠٩ ميلادية، ونشأ في حجر والده مصطفى الحصري رحمه الله، محاطاً بالعناية، مشمولاً بالرعاية، مغموراً بالحنان والرحمة، فشب على العفة والصيانة، والطاعة والأمانة، مرضي الحال، محمود الأقوال والأفعال)، وكان الوالد (رجلاً تقياً صالحاً، صادق الإيمان قوي اليقين، فتأثر الابن الناشئ بادئ ذي بدء بهذه الصفات السامية، وهيأته للمزيد منها، والتقدم فيها حتى بلغ أوج الكمال) [1].

ولقد بدا على الشيخ رحمه الله حبُّه للدِّين ورغبته في العلم وميله إلى معالي الأمور منذ الصغر، فدرس في بلده فكان طالباً مجداً، ذكياً فطناً، وتابع دراسته من صف إلى صف، ومن نجاح إلى نجاح، حتى أنهى دراسة المرحلة الابتدائية سنة ١٩٢١ ميلادية تقريباً.

في المدرسة الخسروية بحلب: ثم استمر في التعلم حتى أنهى المرحلة الثانية من مراحل تعلمه في بلده، ثم انتقل بعد ذلك إلى حلب ليدرس العلوم الشرعية في المدرسة الخسروية الشرعية فيها، وذلك سنة ١٣٤٧هـ-١٩٢٨ تقريباً، وكانت هذه المدرسة تعتبر في ذلك

---

[1] الكوكب الدري في سيرة الحصري: ص ٢٧-٢٨.

الوقت من أرقى المدارس الشرعية في بلاد الشام، ذلك أن التدريس فيها منوط بنخبة عظيمة من العلماء الكبار، فضلاً عن المناهج الواسعة التي كانت تدرس فيها؛ وفي هذه المرحلة ظهرت شخصية الشيخ العلمية، ونبغ بين أقرانه - وحتى بين شيوخه - وخاصة بمادتي الفقه والأصول.

ولم يكن رحمه الله يكتفي بدروس المدرسة التي انتسب إليها، وإنما كان يحرص أشد الحرص على الدروس العلمية التي تلقى في مساجد حلب - من مشايخها وعلمائها الأعلام - فضلاً عن مطالعاته الكثيرة في الكتب، يدفعه إلى ذلك شغفه العلمي وحرصه على بناء شخصيته العلمية بناء كاملاً[1].

شيوخه في حلب: وكان شيوخ الخسروية أكابر علماء حلب، ومن الذين تلقى على أيديهم العلم والتقوى حسبما دوِّن في الإجازة الممنوحة له بعام ١٣٥١ الموافق ١٩٣٢، وهو عام تخرجه منها.

مبدأ صلته بالشيخ أبي النصر: كما سمعناها مراراً من أستاذنا الشيخ **عبد الباسط** بن الشيخ محمد أبي النصر رحمهم الله جميعاً وطيب ثراهم وقدس أسرارهم، أنهم كانوا من طلبة المدرسة الخسروية، وكان الشيخ الحصري والشيخ محمد الحامد صديقين متلازمين، وكان الشيخ عبد الباسط من طلبتها آنذاك، وكان **الشيخ أبو النصر** يتردد إلى حلب لتفقد الإخوان والاطلاع على سيرهم ومناصحتهم، (وكان الشيخ أبو النصر - رحمه الله - متربعاً فيها على عرش قلوب أكثر علمائها وجمهرة عامتها، وكان يتردد عليها كثيراً. وكان سيدي رحمه الله - الشيخ الحامد، والكلام للشيخ عبد الحميد طهماز - على معرفة بالشيخ وثيقة، وقد سبق أن تلقى الذكر منه، إلا أن أفكار خاله - الشيخ سعيد الجابي - كانت لا تزال متمكنة من قلبه، راسخة في وجدانه، وقد عرف بذلك بين أقرانه من طلاب المدرسة الشرعية، واشتهر بكثرة المناقشات التي كان يخوضها معهم.

---

[1] الكوكب الدري في سيرة الحصري: ص ٣٠.

وفي إحدى الليالي العامرة بالذكر، التي كانت تشهدها حلب حين مجيء الشيخ أبي النصر إليها، ذهب سيدي – الحامد – مع رفيق دراسته الشيخ أحمد الحصري حفظه الله تعالى – لم يكن قد توفي سنة طباعة الكتاب عام ١٩٧١ – وهو شيخ المعرة وعالمها الآن، ذهب معه لرؤية الشيخ أبي النصر والسلام عليه، لما عرف من وفاء سيدي وحفظه للمودة). وذكر القصة كاملة كما سردناها في ترجمة الشيخ محمد الحامد رحمه الله آنفاً.

ويتابع صاحب (الكوكب الدري في سيرة الحصري) بعد أن ذكر هذه القصة ص ٧٤ قوله: (ثم طلب الشيخ أبو النصر سيدي الحصري ووضع يده بيده أيضاً. قال الشيخ الحصري: فشعرت بنور ينساب في أوصالي كأنه سلك كهربائي وأنا أعي ذلك، حتى شعرت بأن النور قد وصل إلى القلب مني، عند ذلك لم أستطع أن أتماسك، بل جعلت أصيح وأرتجف، ثم أخذتني نشوة روحانية، فلما أفقت منها تلقاني الشيخ أبو النصر بهدوء وسرور، واحتضنني كما تحضن الأم طفلها، ثم تلقى الشيخ الحامد كذلك، وآخى بيننا أخوة ما زادها الأيام بعد ذلك إلا قوة وإخلاصاً وصفاء).

ولهذا فقد كان الشيخ الحامد يقول: الشيخ أحمد الحصري هو الإنسان الأول في حياتي وهو أخي الروحي. وكان الحصري يقول: كنت مع الشيخ محمد الحامد كغصني شجرة لا نفترق.

وقد ذكر مترجمه في (الكوكب الدري) صفحات عن التصوف والطريقة النقشبندية، وعن الشيخ أبي النصر، وترجمة موجزة له، كما ورد في كتاب (المحامد).

حادثة طريفة: وحدثني الأستاذ المحب والصديق الفاضل الشيخ خالد بن الشيخ أديب الياسين المارعي "الإدلبي"، في بيتنا يوم ٦ ربيع الثاني ١٤١٩ قال: زرنا الشيخ أحمد الحصري بصحبة والدي والأستاذ عبد القادر توتو من إدلب، فمتعنا بأحاديثه عن **شيخه أبي النصر ورفيقه الشيخ محمد الحامد**، ومما حكاه رحمه الله قال: بعد أخذنا الطريق على الشيخ أبي النصر أنا وزميلي الحامد، طلب مني الحامد أن نذهب سوية إلى حمص لزيارة الشيخ، وكان الوقت شتاء، فركبنا القطار من حلب إلى حمص – وكنا آنذاك في المدرسة

الخسروية بحلب – فوصلنا حمص ليلاً، ونزلنا في المحطة واحترنا أين نذهب في هذا الليل البارد، وتفرق الركاب ولم يبق أحد في المحطة، فخرجنا منها ولا نعلم إلىٰ أين نذهب ؟ وأي باب نطرق، وكانت المحطة بعيدة عن البلدة آنذاك، وأثر المطر يبلل الشوارع، وإذا بكلب يقترب منا ونحن نتوجس من الكلاب؛ خيفة من أذاها ونجاستها، وزاد اقتراب الكلب منا يبصبص بذنبه ويدور حولنا كأنه يتودد إلينا، فأنسنا به قليلاً، ثم تابع دورانه ومشيه أمامنا، فقال أخي الحامد: إن هذا الكلب يود أن يدلنا على الطريق. فصار الكلب يمشي ويلتفت إلينا حتى دخلنا حمص، وأوصلنا الجامع الكبير وقد أذن الفجر، فدخلنا إلى الجامع ورجع الكلب، فصلينا الفجر وحضرنا الختم النقشبندي هناك، ثم ذهبنا إلى بيت شيخنا رحمه الله وقدس روحه.

الحصري يبقى في المدرسة مع الحامد رغم تخرجه منها: كما حدثني العم الفاضل الحاج ابراهيم المراد "أبو إسماعيل" في بيته في حماة أواخر ذي القعدة ١٤٢٢هـ أول شباط ٢٠٠٢م، قال: بقي زوج أختي الشيخ أحمد الحصري في حماة آخر حياته مريضاً يتعالج هنا في حماة /٦٣/ يوماً، وقد بذلنا كل ما في وسعنا للعناية به، حيث إنه إن بقي في بلده المعرة فلن يتمكن من المداواة والمعالجة من كثرة زائريه من الأحباب، والمستفتين من عامة الناس، فلن يجد الراحة في بلده، وكان الشيخ أحمد الحصري والشيخ محمد الحامد أخوين ورفيقين في طلب العلم، ولما رسب الشيخ الحامد في صفه إحدى سني تحصيله في الخسروية استغرب أخوه الشيخ أحمد الحصري من ذلك وهو يعلمه الأول في صفه دائماً، فجاء من المعرة إلى حماة يسأله عن السبب، فقال له الشيخ الحامد: إن أحكام الطلاق والزواج التي يدرسنا إياها الشيخ الزرقا لم أستوعبها جيداً، وإني تعمدت الرسوب لأعيد السنة مرة ثانية وأسمعها من شيخنا الزرقا. وكان الحصري قد تخرج من الخسروية، فبقي ملازماً للمدرسة يحضر دروس الشيخ أحمد الزرقا في المدرسة والمسجد هو وأخوه الحامد حتى أتقن الحصري بهذا الفقه الحنفي، بالرغم من أنه كان يدرس الفقه الشافعي، وكان الشيخ الحصري مرجعاً لأهل المعرة ومن حولها في المشارعات ومرجعاً للقضاة أيضاً. وحصل خلاف حول مسألة

فقهية فأفتى الشيخ الحصري فيها وهو شافعي، فاستغربوا ذلك فقال لهم: ارجعوا إلى كتاب كذا في الفقه الحنفي. فوجدوها كما قال لهم. اهـ من الحاج إبراهيم المراد.

حياته في المدرسة الخسروية وصبره على التحصيل: ولقد أثرت هذه الصلة بالشيخ أبي النصر أثرها البالغ في نفسية الشيخ الحصري رحمه الله، وفي تكوينه العلمي والدعوي، وما أعظم بل وما أنجع العلم وأبلغ تأثيره إذا كان ينبع من قلب عامر بالله موصول به، يغذيه الذكر وتلحظه أعين المربين الربانيين العاملين الكاملين ؟!

وقوي الرباط الإيماني بين هذا القلب القابل للأنوار والفيوضات، قلب الحصري، وبين الشيخ المربي الكامل **والرباني العظيم أبي النصر**، ومرت عليه سنون عجاف قضاها في طلب العلم، يصارع فيها الفقر والحاجة، ويعينه عليها وعلى لأوائها ذلك المدد الإلهي، والذي يمد الصالحين من عباد الله بالصبر والتحمل للفاقة، وتلك الأنظار والعناية التي يلقاها من شيخه أبي النصر وتوجهاته له ولإخوانه كلما زارهم في حلب أو زاروه في حمص.

ويحدث الشيخ عن معاناته أيام الدراسة في الخسروية، ووالده الفقير في المعرة الذي يعمل حذّاءً متواضعاً يأكل من عمل يده ويقدم لولده كل ما يستطيع: (ولقد كنت أثناء دراستي الشرعية بحلب طالباً فقيراً بل معدماً. ثم ضرب مثالاً على فقره مزجه بنكتة، فقال: كنت أضع الطعام بين يدي وأتناول من الإدام اليسير اليسير، حتى إذا قاربت على الشبع جعلت في لقمتي الأخيرة قدراً لا بأس به من الإدام وذلك لأنهي طعامي بلذة طيبة) [1].

ولم تكن حاجته للّباس بأقل من حاجته للطعام، ولقد كانت هذه الحاجة والفقر أرضاً طيبة نبت فيها العلم والصبر على التحصيل، والدأب على البحث والتحقيق في مسائل العلم، مشبعاً بروح الورع و التقوى.

وأنهى دراسته العلمية بتحصيل مبارك طيب لأمهات العلوم والفضائل من أشياخ كانوا علماء عاملين وربانيين كاملين بعام ١٣٥١ هجرية، الموافق تموز ١٩٣٢، مع رعيل طيب

---

[1] الكوكب الدري: ص٣٤.

من أهل العلم والفضل من رفاقه، ربطته معهم رابطة التقوى والمعرفة والخشية من الله سبحانه، ولبث في بلده المعرة سنتين أو أقل ملازماً للعلم والعمل، ليتوجه بعدْ ذلك بإشارة من شيخه إلى نفع عباد الله ممن ينتظرون أمثاله: ﴿وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾.

في كفر زيتا (حماة) ١٧ عاماً: وفي تلك القرية الكبيرة من ريف حماة (كفر زيتا) بدأ نشاطه الدعوي في إرشاد الخلق إلى الله، وتغذيتهم بلبان العلم والتقوى والذكر الذي رضعه من أشياخه، وبقي فيها من عام ١٩٣٤حتى ١٩٥١، داعياً إلى الله بإذنه ومعلماً ومرشداً، فتسلم مهمة إمام وخطيب في هذه البلدة، وأدرك إذ ذاك عظم المسؤولية الملقاة على عاتقه، فقام يدعو إلى الله بكل ما أوتي من علم وحلم، وجد وإخلاص، فكان خطيباً واعظاً، ومرشداً ناصحاً، ومصلحاً كبيراً يخالط الناس ويجلس معهم، مواعظه تصل إلى قلوبهم، وألفاظه تتشربها عقولهم. كان منظره وفق مخبره، وعلانيته في وزن سريرته، لم يعرف بمقالة شنعاء، و لم يتهم بريبة أو فحشاء.

أما مواقفه ومشاهده في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بالكلام الفصل، واللفظ الجزل، والصدر الرحب، فحدث ولا حرج؛ كل ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة، عملاً بقوله سبحانه: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾.

لذلك أحبته القلوب فأسكنته سويداءها، فأصبح العالم المطاع، والداعي المخلص المحبوب، فلم يكن فظاً ولا غليظاً ولا منفراً، إنما كان سمحاً لطيفاً يظهر في أقواله وأفعاله سماحة الإسلام. كان فيها مثلاً يحتذى، وقدوة تتبع؛ ولذا فإن أهل هذه البلدة الطيبة لم ينسوا الشيخ ولن ينسوه أبداً [1].

العودة إلى المعرة وبداية جهاد جديد: وشاء الله أن يعود إلى بلده المعرة ليبدأ حياة جديدة في الدعوة إلى الله، والجهاد من أجل هداية عباد الله إلى طريق الله ورعايتهم، وكانت ساعة فراق حزينة لأهل بلدة كفر زيتا، ساعة وداع مؤثرة، إذ (خرجت البلدة

---

[1] الكوكب الدري: ص٣٧.

عن بكرة أبيها تودع الشيخ الجليل، والأب المشفق، والأخ الناصح، لقد ودعوه والدموع في العيون، والحسرة في النفوس، والحرقة في القلوب، وعادوا إلى بيوتهم كالثكلى التي فقدت أعز حبيب على قلبها، عادوا جميعاً ولسان حالهم يقول: ضن الزمان بأن يجود بمثله... إن الزمان بمثله لضنين) [1].

ولكن الشيخ كان وفياً لهم، لا يذكرهم إلا بخير، يكرم وفادتهم إذا وفدوا، ويحسن قراهم إذا ضافوه. وكانت المعرة آنذاك - حين عودته إليها بعام ١٣٧١ هـ/١٩٥١م - تتبع محافظة حلب، وكان فيها بعض أهل العلم، فعمل فيها بالتعليم في المدارس العامة مدة ليست قليلة، كان خلالها مثالاً للمعلم المربي، والقدوة النموذج.

كان رحمه الله شديداً في تعليمه، حازماً في أمره، همه أن يرفع سوية أبناء بلده علماً وخلقاً، وحالاً وسلوكاً، فتخرج على يديه عامة أهل البلدة من مثقفين وأساتذة ومعلمين وتجارٍ وغيرهم، يحملون الذكريات الطيبة عن هذا المعلم الذي لا يفتأ يزوّدهم بالعلم والمعرفة والسلوك الحميد.

كان يعلم التلاميذ في المدارس العامة ويعلم في الجامع الكبير خطيباً ومدرساً وإماماً بقية العامة الكوكب الدري ص ٣٩، وكان يغتنم الأيام التي يتجمع فيها الناس من الريف والمدينة للأسواق وغيرها، وخاصة يوم السبت، فكان يقف بعد صلاة الظهر من كل يوم سبت ويقول بصوت عال: أيها الإخوة: قال رسول الله ﷺ: (رحم الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها، فرُبَّ مبلَّغ أوعى من سامع)؛ أيها الإخوة: بعد سنة الظهر البعدية درس في الجامع [2].

وما ترك هذا الدرس إلا يوم أقعده المرض في فراشه سنوات عدة للعلاج والمداواة، ثم لما شفي من مرضه عاد للتعليم والوعظ والإرشاد حتى أقعده الموت.

تأسيس الجمعية الخيرية: ولمس الشيخ من خلال معاشرته للناس معلماً وموجِّهاً، وأباً

---

[1] الكوكب الدري: ص ٣٨.

[2] الكوكب الدري: ص ٧٦.

شفوقاً ناصحاً، أن كثيراً من البيوتات المستورة من أرامل وأيتام، ليس لديها ما يقوم بأودها وحاجتها، فتنادى هو وبعض الوجهاء الكرام من أهل المعرة إلى تأسيس جمعية خيرية لتقوم بسد حاجة المعوزين والفقراء من أرامل وأيتام، ومدَّ أهل البلدة يد العون وحملوا معهم عبء المسؤولية، ثم امتدَّ هذا النشاط إلى ريف المعرة المعطاء ليؤازروا الشيخ وجمعيته مؤازرة فعّالة.

ولقد حمله ورعه ودقته في دينه، وشدته في تطبيق أحكام الشريعة على البحث الدقيق عن أحوال المحتاجين، حتى تطمئن نفس الشيخ إلى شرعية المصرف وجِهَةِ الإنفاق.

هذا وله في هذا المجال قصص تتلى وحكايات تروى، يظهر من خلاله ورعه وإخلاصه، وكان يقصي أقاربه عن كل عطاء ولو كانوا محتاجين، وحدث مرة أن دوّن بعض أعضاء الجمعية اسم قريبة له في أسماء المحتاجين، فلما علم بذلك غضب وقال: ألا تعلمون أنَّا لا نعطي أقاربنا، خذوا لابنة خالتي طحيناً وسمناً من مالي الخاص [1].

وكانت جولاته في القرى نافعة مجدية، فلم يكن الشيخ رحمه الله أثناء تجواله في القرى جابياً فقط، بل كان داعياً إلى الله سبحانه ومرشداً ومعلماً واعظاً، فكان إذا نزل على قرية كأنه الغيث نزل إلى أرض عطشى ليروي ظمأها وليحييها بعد موتها، وهكذا القلوب إذا ما خلت من النور الرباني والعلم والذكر فإنها ولا شك تصبح ظمأى، ولكن ظمأ القلوب لا يرويه ماء أو شراب، إنما له ريّ خاص، ألا وهو نور العلم ونور الذكر، ونور المعرفة بالله سبحانه، ولهذا فقد أدرك الشيخ بفطنته وبعد نظره وثاقب فكره أن هذه القرى بأمسِّ الحاجة إلى من يعلمها أمور دينها وكتاب ربها وسنة رسولها ﷺ، لأن الجهل مطبق والكتاب مهجور، والسنة معطلة، والتقصير في الحقوق والواجبات لا حد له [2].

تأسيس معهد الإمام النووي الشرعي: ولذلك كله رأى الشيخ أن لا منقذ للناس من عمايات الجهالة إلا العلم، وأنّى لشخص واحد أن يسد حاجات منطقة بكاملها وريف

---

[1] الكوكب الدري: ص٤٠.

[2] الكوكب الدري: ص٤٣.

باتساعه ؟! (فرأى رحمه الله وصمم العزم على أن ينشئ معهداً شرعياً يعد فيه الشباب المسلم إعداداً شرعياً، يتخذ من خلاله الإسلام منهجاً والأخلاق سلوكاً والعلم وسيلة، في سبيل سعادة البشرية، وإخراجها من ظلمات الجهل إلى نور العلم؛ فأسس معهد الإمام النووي الشرعي بعام ١٣٨٢ هـ ١٩٦٢ م).

وحينما فكر الشيخ بإنشائه قيل له: يا شيخنا إن التبرعات التي نجبيها لا تكفي للفقراء، فكيف ومن أين لنا أن ننشئ معهداً شرعياً سيكون هو الآخر بحاجة إلى المال ؟ ولكن الشيخ قال بلسان اليقين ومنطق الحق المبين: لا يضيّعنا الله [1].

وسبب تسمية المعهد الشرعي باسم النووي رؤيا رآها الشيخ في منامه أنه يحفر قبراً بالجهة الغربية من جامع المعرة الكبير ولما سأل وقال: قبر من هذا ؟ قيل له: هذا قبر الإمام النووي، فلما استيقظ من نومه سمى المعهد الشرعي باسم الإمام النووي تفاؤلاً بعلم الإمام وصلاحه.

وقام المعهد في الجامع الكبير صغيراً في بدايته متواضعاً في أثاثه، قليلاً في نفقته، يتخذ من حرم الجامع الكبير مقراً لنشر العلم للطلبة، يتعهد التدريس فيه الشيخ الحصري بنفسه ويعاونه اثنان من خلّص أحباب الشيخ وأتباعه، الأول الشيخ الجليل (أديب الآمنة) رحمه الله الذي مات وله ٥٤ عاماً قضاها في ظل تعاليم القرآن والسنة النبوية المطهرة، أما الثاني فهو العالم الصوفي والمخلص الوفي الشيخ (صبحي العدولي) أمد الله في عمره [2].

ثم تابعهم وعاونهم مدرسون أفاضل وعلماء عاملون حملوا مع الشيخ رسالة العلم وقدسية الدعوة.

جهاد الشيخ في سبيل المعهد الشرعي، وصفحات من صبره وورعه: لقد تحمل الشيخ رحمه الله أعباء كثيرة تنوء لها الجبال بحملها، وذلك في سبيل الجباية للمعهد الشرعي الذي أنشأه، فكان يجوب القرى متنقلاً من قرية إلى أخرى ومن بلدة إلى بلدة، ممتطياً

---

[1] الكوكب الدري: ص٤٣-٥٤.

[2] الكوكب الدري: ص٥٠.

سيارة المعهد، التي قال عنها بعض أعضاء المعهد والجمعية الخيرية بأنها ما ركب بها أحد مرة إلا وقال لن أركبها بعد اليوم، غير أن واحداً كان لا يمل ولا يكل، مستمراً بالتجول بها ذاهباً وآياً، حالاً ومرتحلاً، من مكان إلى آخر، متحملاً وعثاء السفر ومصاعب الطريق وألم الجوع، وقسوة البرد، وحرارة الشمس، لقد كان هذا الرجل العظيم هو الشيخ أحمد الحصري رحمه الله.

كان يتحمل كل المشاق طيلة تلك السنوات التي خرج منها للجباية للمعهد، ولم يأخذ من مال التبرعات شيئاً أبداً، بل كان يأكل من ماله الخاص، وأكبر من هذا أنه رحمه الله عاش طيلة حياته ولم يتقاضَ مالاً على تعليمه في المعهد وإدارة شؤونه، وذكر جلساؤه من أعضاء لجنة جمعية المعهد أنه ما شرب كأساً من الشاي في كل الاجتماعات التي عقدوها طيلة حياته من مال الجمعية أو المعهد، بل كان يأتي معه بالسكر والشاي من بيته.

وكان إذا دخل بيتاً من البيوت في القرى أو المدينة أثناء قيامه على الجباية لا يرضى أن يقدم له صاحب البيت طعاماً خاصاً، بل كان يقول لصاحب البيت: إني لا آكل إلا من الموجود. وربما حلف على ذلك، ولقد قال أحد مرافقيه: والله ما رأيت قط أعف نفساً منه [1].

علمه وفقهه وعدله: أمين على ما استودع الله قلبه، فإن قال قولاً كان فيه مسدداً، وإذا كان الإسلام عبادة ونسكاً، وبذلاً وزهداً، وفطنة وورعاً، وتواضعاً ورحمة، وفضلاً واستقامة، وعلماً وبساطة، وتمكناً وفهماً، فقد كان الشيخ رحمه الله أحد النماذج الباهرة والنادرة لهذا الإسلام، فقد كان منارة وقدوة ومرجعاً أكيداً في سائر العلوم، ولله در القائل:

هو مرجع إن جئت تسأل رأيه فالرأي دوماً صائب وسديد

وإن كانت شخصيته العلمية قد ظهرت في شتى أنواع العلوم، إلا أنها ظهرت أكثر وأكثر في علمي الفقه والأصول؛ فكان في الفقه مرجعاً يعتمد عليه القاصي والداني، وموئلاً لكل معضلة تحل بالناس.

---

[1] الكوكب الدري: ص٥٣-٥٤ بتصرف بسيط.

لقد كان الصورة المشرفة للعالم الذي رباه القرآن، ففهم القرآن وعمل بالقرآن وعلّم القرآن... لقد كان يحكم بين الناس في الخصومات فكان الجميع عنده سواسيةً كأسنان المشط... أفتى بين الناس أكثر من مدّة نصف قرن لم يمل في حكمه وقضائه لهذا الخصم أو ذاك... كان الفقيه في دين الله والعالم بسنة رسول الله ﷺ، أفتى في المسجد، وفي الشارع، وفي البيت... لقد كانت فتاواه على ضوء الكتاب والسنة، لقد كان يتحرى الصواب، ليسير وِفْقَهُ سيرةً جديرة باستعداده وعظمة نفسه وقوة روحه.

أما دروسه، فإن قوة روحه، وسلاسة منطقه، وسلامة طبعه، وفصاحة لسانه، وعذوبة لفظه، كانت تزيد في جمال دروسه، وكانت ذاكرته القوية تمده بروائع الحكم ونوادر الأمثال، وقلبه العامر بذكر الله يزيد روحه بهيبة العالم، وجلال الذاكر، وخشوع العابد، وجمال المخلص، وطلاقة الوجه الحسن. ألا ما أحلى تلك الأوقات، وما أجمل هاتيك الجلسات التي ذهبت بذهابه، وانقضت بموته [1].

تواضعه ورحمته: ويحدث تلميذه الذي تخرج من معهده، الأستاذ عبد الرحمن الأحمد في رسالته (الكوكب الدري) التي كتبها عن شيخه الحصري رحمه الله فيقول: (لقد كان متواضعاً لله، وذلك بانقياده لأوامر الله، وكان متواضعاً لعباد الله، إذ لم يكن يرى لنفسه أي امتياز على أحد، حتى إنه كان يسعى جاهداً ليشعر تلاميذه أن لا فرق بينه وبينهم، ولا مزية له عليهم، – ولهذا – كان لا يرضى أن يمشي تلاميذه خلفه في الشارع أو في أي مكان آخر) ص٦١.

(لقد كان التواضع عند الشيخ تواضعاً من غير ذل، وترفعاً من غير كبر، لقد كانت حقيقة التواضع عنده أنه لا يرى الإنسان أياً كان لنفسه ميزة على الآخرين) ص٦٣.

وسأذكر للقارئ الكريم أمثلة على تواضعه؛ منها: أن تلاميذ له زاروه في بيته فقام ووضع لهم الطعام بنفسه، وبعد أن أكل الجميع وانتهوا من طعامهم، قام الشيخ وجمع

---

[1] الكوكب الدري: ص ٥٩.

الملاعق كلها وأمسكها بيده ثم جعل يلعقها واحدة واحدة وهو يقول: هكذا كان يفعل شيخنا (أبو النصر).

يقول العبد الفقير أبو يحيى: إنه أراد أن يعلمهم عملياً أن يلعق الإنسان ملعقته بعد الفراغ من الطعام عملاً بسنة لعق الإناء.

ومنها أنه دخل مرة دار الطلبة فعلم أن هناك دورة للمياه معطلة، فقام مسرعاً وخلع جبته وعمامته، وشمر عن ساعديه وبدأ يعمل في تعزيلها وإصلاحها.

كان ينـــزل إلى السوق ويشتري حاجات بيته بنفسه ويحملها بيديه، ولا يرضى أن يكلف أحداً بحملها.

أقول: وهكذا كان شيخه المربي أبو النصر قدس الله روحه.

لقد كان يزور تلاميذه في بيوتهم ويتفقد أحوالهم، ولا يرضى من أحد أن يمدحه، فإذا مُدح في مجلس رأيته وقد فاضت عيناه بالدمع، ويردد مقولة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه إذا مُدح: اللهم اجعلني خيراً مما يقولون، واغفر لي ما لا يعلمون [1].

أما رحمته وشفقته: فقد أتعبه قلبه الرحيم كثيراً، وحمله فوق ما يحمل عظماء الرجال، فتراه وكأن هموم المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها قد جمعت عليه، لذلك فقد كان يبذل كل جهده لتخفيف آلام المتألمين ومواساة المحزونين وتفقد اليتامى والأرامل والمحرومين، فكم شفى بيده الرحيمة وقلبه العطوف من أحقاد وأضغان بين الناس، وكم أزال من أكدار وأحزان عن قلوب المحزونين والمكروبين ؟! وقلَّ أن تجد بيتاً في المعرة وضواحيها إلا وللشيخ فيه أثر صالح، ولهذا قيل:

بكل بيت له أجـــر ومكرمة وكل جرح له رقيا وتضميد

كان قلبه الرحيم قلباً عامر الإحساس بكل آلام الإنسانية، فهو مع كل فقير وجائع، ومريض ضائع، وعار مجهود، ويتيم مكسور القلب، ومظلوم مقهور، ومع كل شيخ كبير

---

[1] الكوكب الدري: ص ٦٢.

وأرملة لا عائل لها، مع كل ذي عيال لا يجد قوت يومه، لقد كان كل هؤلاء يقبعون في ضميره، يجلجلون، ويجأرون بشكاواهم، وكأنه المسؤول الأوحد عنهم يوم القيامة، وكم بكى لرؤية يتيم لا ولي له، أو أرملة لا عائل لها، أو محتاج لا يجد حاجته ؟! لقد كان ملجأ ومأوى لكل هؤلاء رحمه الله وأجزل مثوبته [1].

نبذ من حياته: لقد ظل الشيخ رحمه الله عاملاً وداعياً، ومجاهداً في نشر العلم والحق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بيده ولسانه، لا تأخذه في الله لومة لائم في كل زمان ومكان، يعرف الحق ويلزمه، ويكره الباطل ويجتنبه، لين العريكة حلو الحديث، يؤنس جليسه، ويكرم ضيفه، ويتواضع لإخوانه، ويلتزم التمسك بالسنة في دقائق أمور حياته، في بيته وخارج بيته، في سفره وحضره.

أقول: ومما أذكره يوم جاء رحمه الله ليشارك في جنازة أستاذنا الشيخ أحمد البيانوني، وذلك بعام ١٩٧٤، فأكرمنا الله وضافنا في بيتنا في حلب، وآنسنا تلك الليلة أنا وأخي الشيخ عبد الله حفظه الله بأحاديثه الحلوة الممتعة وذكرياته عن شيخه **أبي النصر** قدس الله روحه وطيب ثراه، وعن ذكرياته مع الشيخ الحامد والشيخ محمد سعيد والوالد رحمهم الله وطيب ثراهم، ولما قام للوضوء قال لأخي عبد الله: ائتني بإبريق للوضوء. ولما أبطأ أخي عبد الله قال: ائتني بطاسة. فأحضرتها فكان يملأها من الصنبور ثم يفرغها على يديه ويتوضأ منها، حتى لا يكون مسرفاً، فرحم الله الشيخ ما أدق تمسكه بالسنة النبوية.

وفي مجلس في (منى) أثناء موسم الحج بعام ١٩٨٤، على ما أذكر في ثاني أيام العيد أو ثالثها، مع بعض العلماء الأفاضل، وكان أحدهم من الأردن فتكلم عن طريقته وأشياخه، فسأله الشيخ الحصري رحمه الله، لأنه يعلم أن لهم فروعاً عندهم مخالفات للشرع الشريف، فعسى أن يكون المسؤول ليس من فرعهم، فوارب ذلك الشيخ ولم يجب بصراحة، بل قال: أُمرنا ألا نغتاب الناس. فرد عليه الشيخ الحصري: إن أمر كشف المتسترين بالدين والطريق

---

[1] الكوكب الدري: ص ٦٨-٦٩ بتصرف قليل.

الصوفي والمخالفين للشرع واجب على العلماء، وهذا نُصرة للشرع، وكشفٌ للضالين، وليس من باب الغيبة. ولكن ذلك الشيخ أصرَّ على المواربة وعدم الجواب الصَحيح، وكان أستاذنا الشيخ محمد بلنكو رحمه الله حاضراً، فتدخل بلطف لكي ينهي الحديث، وخاصة أن غضب الشيخ الحصري لله قد أخذ مداه، وانصرفنا لنلتقي في اليوم التالي في مجمع ضم كثيراً من أفاضل العلماء من بلاد الشام ومصر والحجاز والأردن وغيرها، وطلب المضيف من شيخ الأمس الكلام فغمز من جانب الشيخ الحصري غمزات واضحة، وكان قليل الأدب، سيء الاستدلال، وعرفنا وعرف الشيخ الحصري رحمه الله أنه هو المقصود، لأن أكثر حاضري اليوم كانوا حضوراً بالأمس، فما كان من الشيخ الحضري رحمه الله – وهو الذي لا يسكت على باطل، ولا يوارب ولا يداري – إلا أن قام ليرد عليه ويبين وجه الحق، ولم تأخذه في الله لومة لائم، ولو كان في كلامه إغضاب الناس، فإن إرضاء رب الناس هدفه وغايته، وهذا لعمري من أعظم مواقف الشجاعة، فرحمه الله ما كان أجرأه وأشجعه في الحق، مع تواضعه الجم وورعه الكبير ؟!

ولقد زرناه رحمه الله في مرضه الذي طال سنوات ولزم فيه الفراش، فكان – رغم الآلام المبرحة – غير متبرم ولا شاك، لا يظهر ضجراً، ولا يبدو عليه القلق، وكأنه يعيش في خلوة كريمة مع ربه، حديثه الممتع، وبسمته اللطيفة، ومؤانسته لزائره لا تبدي لك أنه يعاني مرضاً، أو يحمل وصباً، ورغم ما عمل ونشط له في مجال الدعوة، والخير ونشر العلم، فإنه كان يحب الخفاء وعدم الظهور، ويكتسي بل يختفي بالتواضع ونكران الذات.

ولقد زاره أخي الفاضل الشيخ محمود المسعود في أواخر حياته مع بعض إخوانه من أهل العلم إلى المعرة، وأراد أن يسجل له حديثاً عن حياته وصلته بالمربي الكبير المرشد الشهير سيدنا الشيخ محمد أبي النصر، وأعد لذلك آلة تسجيل واستأذن الشيخ فيها، وتحدث الشيخ عن صلته بسيدي أبو النصر وحياته وكراماته وإمداداته وتوجهاته له ولإخوانه من طلبة العلم، ودام الحديث زهاء ساعة، ولما عادوا من الزيارة وأداروا شريط التسجيل لسماع ما فيه وإذا بالشريط لم ينبس ببنت شفة ولا كأن حديثاً سُجل فيه، وكان أمر الله قدراً مقدوراً.

أيامه الأخيرة ووفاته: لقد ظل الشيخ الحصري رحمه الله في محراب العلم والتعليم والإرشاد وتربية الشباب وتخريج العلماء والدعاة المخلصين طوال حياته، كل ذلك بهمة لا تعْرف الوهن ولا الكلال، وبعزيمة لا يعتريها ضعف ولا استكانة، ناطقاً بالحق، راسخاً بالعلم، وداعياً إلى الله تعالى، حتى ألمّ به المرض وذلك قبل وفاته بسنوات، وجلس في بيته سنوات عدة للعلاج، وقد بذل أطباء بلدته الكرام جهوداً كبيرة وسهراً متواصلاً على صحته الغالية، ومن ثم تداركته عناية الله بالشفاء، ولكن المرض عاد له ثانية، وكان مرض الموت، فجلس في بيته للعلاج والراحة ولسان حاله يقول:

أنـــا فـــــي الحيـــاة وديعـــة وغداً سأمضي عابراً في رحلـــتي

أنا ما مددت يدي لغيرك ســـائلاً فارحم بفضلك يا مهيمن وحدتي

وجعل المرض يشتد به يوماً فيوماً، والشيخ يواجه ذلك بالرضى بما قدَّر الله وقضى، فكان لسانه لا يفتر عن ذكر الله وحمده مازجاً مرارة الألم بحلاوة الإيمان، ومستبشراً برحمة من الله ورضوان، حتى إذا كان يوم ١٦ ذي الحجة ١٤٠٦، الموافق ١٩٨٦/٨/٢١، فاضت روحه الشريفة إلى بارئها برائحة عطرة زكية، وبنور يتلألأ من وجهه وكأنه البدر ليلة التمام، وفاض الدمع مدراراً سخياً وحاراً من مُقل مقروحة وأفئدة مجروحة على الفقيد الكبير، عليه من الله سحائب الرحمة والرضوان.

ثم غسل الجسد الطاهر وكفن وحمل على أعناق الرجال إلى الجامع الكبير في المعرة ليصلى عليه، ثم شيع بعد ذلك في موكب مهيب لا يُسمع فيه إلا ذكر الله والدعاء للفقيد بالرحمة والرضوان والحشر في زمرة ولد عدنان عليه الصلاة والسلام.

وأغلقت المعرة أبواب حوانيتها ومتاجرها، وترك الناس بيوتهم وخرجوا عن بكرة أبيهم رجالاً ونساءً، شباباً وشيباً، كباراً وصغاراً، ليودعوا الفقيد الراحل الوداع الأخير، وليمتعوا أبصارهم بنظرة أخيرة على الجثمان المبارك، كما خرج في تشييعه كل من علم بوفاته من أهل الريف الأوفياء الذين أحبوا الشيخ حباً جماً، والذين كان لهم الشيخ أباً وأخاً وناصحاً وأميناً.

ومضى موكب المشيعين في طريقه، تتقدمه ثلة من أكابر العلماء في بلده وأكابر العلماء الذين قدموا من المحافظات الأخرى، وإخوانه وأحبابه، وتلامذته اليتامى منْ بعده، ومضت الجموع الغفيرة تذرف الدموع الغزيرة على فقد العالم الكبير، حتى واروه في مثواه الأخير في المقبرة الجنوبية من بلده ومسقط رأسه معرة النعمان.

فيا رحمة الله حيي روحه أبداً عني وظلي وباتي حيثما قبرا

رحمك الله يا سيدي، وأسأله تعالى أن ينور قبرك كما نور قلبك، وأن ينفعنا بك بعد موتك كما نفعنا بك في حياتك، وأن يثبتنا على طريقك إنه سميع مجيب [1].

رثاؤه: نظمت وألقيت في رثاء الشيخ رحمه الله قصائد عديدة من إخوانه ومحبيه وتلامذته. ونقتطف هنا من هذه القصائد ما ذكره تلميذه الأستاذ عبد الرحمن الأحمد في رسالته (الكوكب الدري في سيرة الحصري):

١- قصيدة الأستاذ محمد الأحمد المحمد بعنوان (جسيم الخطب) منها:

جسيم الخطب حمّ به القضاء كذاك الله يفعل ما يشاء
وتلك معرة النعمان ثكلى وأهلوها يتامى أوفياء
يجللها الحداد على فقيد بكته الأرض حقاً و السماء
كأن مصيبة النعمان فيها وفاجعتي على حد سواء
يَراعي عاجزٌ عن نعت شيخ ولكن القصيد له رثاء
فأحمدُ عالمٌ ورعٌ تقيٌ له القدر المعظم والثناء
وحسب الشيخ أحمد من فخار تخرج عن يديه الأتقياء
وأنشأ معهداً للشرع يبقى على الزمان له انتماء
وقد كانت حياة الشيخ وقفاً لنشر العلم يحدوه الرجاء
وما فل المشيب لديه عزماً ولا أثناه عن جَلَد عناء

---

[1] الكوكب الدري: ص٧٦-٨٠.

ولم يبخل بعلمٍ قطُ يوماً ... وما أغراه أجر أو ثراء
وطيب العيش يقنعه كفافاً ... وعند الله يُدَّخر الهناء
ولما أن دعاه الله لبى ... محباً بعد أن طاب اللقاء
إلى روح وريحان وربٍّ ... كريم من مزاياه السخاء

رحم الله شيخنا الحصري وألحقنا به مع أشياخنا في عليين؛ وإن من آثار شيخنا رحمه الله تعالى - مع هذه المدرسة الشرعية وما خرَّجت من أجيال - أبناؤه الكرام الذين هم شموس هدى وعلم بعده، وعلى رأسهم زميلنا ورفيقنا في الطلب - في الخسروية - الأخ الكريم الدكتور محمد صالح الحصري، والذي يقيم الآن في جدة ويدرّس في جامعتها وله خطبة في أحد جوامعها، يرتادها الناس من مختلف أنحاء البلدة، متَّع الله به وبإخوته وبارك بهم، ورحم الله والدهم رحمة واسعة.

العالم العامل، والتقي الفاضل

الشيخ نجيب سالم "الأريحاوي"

(١٣٣٦-١٣٩٤هـ) (١٩١٧-١٩٧٤م)

هو العالم العامل، والتقي الفاضل، صاحب الأيادي البيضاء على العلم والعلماء، والإحسان للمساكين والفقراء، الشيخ نجيب بن أحمد بن سالم بن محمد بن الحاج أبي بكر البأس، الذي عرف بقوته وحزمه فسمي بالبأس، أمه (جميلة حاج موسى) عاشت ما يزيد على تسعين عاماً.

ولد عام ١٣٣٦ هـ- ١٩١٧م في منطقة أريحا التابعة لمحافظة إدلب في حي الجامع الكبير، وعائلة آل سالم عرفت بعراقتها بأريحا، ولها فروع في مدينة حماة والباب ودمشق وحلب، واشتهر فيها العالم الفاضل الشيخ بشير بن عبد الرحمن الحاج أبي بكر البأس، وكان الشيخ بشير إمام الجامع الكبير بأريحا وخطيبه.

كما وعرف فيها العالم الجليل الشيخ عبد الرحمن سالم بن مصطفى بن عبد الرحمن بن أبي بكر البأس، الذي كان مفتي مدينة جسر الشغور التي تقع بين أريحا واللاذقية.

صفته: كان ربعة مليء البدن تعلوه سمرة مع وقار، يعرف بالهدوء وحسن الخلق، قليل الكلام كثير الفعال، لا يفتر عن ذكر الله.

طلبه للعلم: مات أبوه أحمد في حوادث الحرب العالمية الأولى، وكان نجيب رضيعاً له من العمر أشهر يسيرة، فرباه عمه (إحسان) وكان إسكافياً، فكان نجيب يهرب من هذه الصنعة إلى الجامع ليسمع فيها دروس الشيخ (بشير سالم) ويحضر الكتب الدينية ليقرأ فيها.

وكان قد سافر إلى حلب في أيلول ١٩٣٢ وحضر فحص الدخول في المدرسة الخسروية، فنجح وانتسب إليها، وعرف عنه لدى زملائه وأساتذته الجد والمثابرة في الليل والنهار،

وكان ينجح في كل صف بالدرجة الأولى بين زملائه، وكان الطلاب يومئذ يتسابقون في المدرسة أيهم يستيقظ في الليل قبلاً لمتابعة قيام الليل ومدارسة العلم، فيجدون نجيباً قد سبقهم في كل ليلة، ولازم المدرسة في سنواتها الستة وحتى عام ١٩٣٨، حيث أكمل التحصيل وتخرَّج ونال شهادتها بتاريخ ١٩٣٨/٦/٢٣، ١٣٥٧هـ.

أساتذته: كان له أساتذة كبار هم خيرة أهل عصرهم، وقد ذكرناهم مع نبذ من تراجمهم أول هذا الجزء.

زملاؤه وأقرانه: وكان له زملاء وأقران من أفاضل العلماء، تخرجوا معه من الخسروية بعام ١٩٣٨، ذكرناهم أيضاً آنفاً.

سلوكه الطريقة النقشبندية: وفي أثناء طلبه للعلم سلك على يد العارف بالله الشيخ أبي النصر الحمصي المشهور صاحب الطريقة النقشبندية، (وذلك عندما كان الشيخ أبو النصر يتردد إلى حلب، وكان معظم طلاب العلم يلتفون حوله ويسلكون على يديه)، وبعد وفاته سلك على يد العارف بالله المحقق الشيخ محمد النبهان، ولازم حضور مجلسه مستفيداً من فيوضاته ومقتبساً من تحقيقاته إلى آخر عمره، (وصار يقوم بإدارة الختم النقشبندي في أريحا في جامعها الكبير، لما طلب منه ذلك الشيخ عبد الباسط أبو النصر خلف ابن شيخه أبي النصر)، وتعرف في شبابه على شيخ الأزهر اللوذعي الشيخ محمد الخضر حسين عندما زار مدينة حلب واجتمع بعلمائها.

من التقاهم من العلماء: كما ساقته يد القدر الإلهي لمعرفة فيلسوف الإسلام في زمانه، البحر في تحقيقاته، فضيلة الشيخ محمد أبي الخير زين العابدين، الذي كان يذهب للاصطياف كل عام بمدينة أريحا، فيجتمع بالشيخ نجيب الليالي الطويلة والأيام المديدة، إلى أن توفي الشيخ أبو الخير قبل الشيخ نجيب بأشهر.

وكان كثير التردد على مدينة دمشق للاجتماع بعلمائها، وكان قد التقى فيها بمشاهير أفذاذها، كالشيخ العارف محمد الهاشمي والشيخ إبراهيم الغلاييني.

نشر العلم: بعد تخرجه من المدرسة الشرعية (الخسروية) رجع إلى بلده وصار يعطي

فيها دروساً في التفسير والفقه واللغة العربية (النحو)، ثم أسس بعد ذلك في أريحا جمعية (النهضة الإسلامية)، وهي جمعية خيرية لمساعدة الفقراء والمحتاجين، مما أسعف الكثيرين منهم بالمساعدة الجيدة، ثم افتتح مدرسة شرعية لتدريس العلم لأهالي أريحا وقراها الكثيرة التي تعرف (بجبال الزاوية)؛ ونتيجة لتدريسه في المدرسة وفي الجوامع بأريحا - كجامع التكية والجامع الكبير - فقد خرَّج طلاب علم كثيرين برز منهم عدد في العلم، وكان لجميعهم الأثر الطيب لأنفسهم وأهليهم والناس أجمع، ويلاحظ أنه في شبابه - بعد تحصيله للعلم مع هذه الدروس - كان يعيش من كسب يده، فقد كان عنده متجر يعمل فيه عطاراً.

وقد رزقه الله خمسة أولاد كلهم طلاب علم، وكان لأمهم العالمة عائشة سالم مع أبيهم الأثر الواضح في توجيههم إلى طلب العلم، وهم السادة العلماء الأفاضل: الشيخ عبد الله "في الكويت"، والشيخ محمد نبيه المدرس في دار نهضة العلوم الشرعية "الكلتاوية" وإمام وخطيب جامع عمار بن ياسر في حلب، والشيخ عبد المنعم الذي يعمل موجهاً في دار نهضة العلوم الشرعية في حلب، والشيخ بدر الدين [1] الذي يعمل إماماً وخطيباً في حلب، والشيخ مصباح في الكويت أيضاً.

وقد وجد في دفتره الخاص بقلمه:

عقيدتي: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، والاتباع لكل ما عليه رسول الله ﷺ وسلف الأمة من المبادئ الحقة والعقائد السليمة، ومحبة الأولياء، والعزم على فعل كل خير وترك كل شر، والإخلاص لله تعالى في الحركات والسكنات، وأداء الحقوق والواجبات لله تعالى، والعبادة والاستغفار من الذنوب والآثام.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

توقيع: نجيب سالم

---

[1] توفي الشيخ بدر الدين ودفن في أريحا يوم الخميس ٢٧جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ الموافق ٢٢ تموز ٢٠٠٧، وقد ذهبت أنا وابني محمد سعيد إلى أريحا يوم الجمعة التالي للتعزية بوفاته، رحمه الله.

وفاته: توفي مساء يوم الخميس ليلة الجمعة بعام ١٣٩٤، الموافق ١٩٧٤/٣/٢٨م، وصلي عليه ضحوة يوم الجمعة في الجامع الكبير بأريحا، وشيعت جنازته بحشدٍ يرى أوله ولا يرى آخره، على طول الطريق من الجامع الكبير إلى مقبرة أريحا الكبيرة، التي تقع شمال البلد من جهة الشرق.

وقبره مشهور هناك يزار، ويلاحظ عليه أثر النور والبهاء، وذكره لا يزال على ألسنة الجميع بالطيب والدعاء له.

وقد شاهده كثيرون من أحبابه أنه عند حضرة النبي صلى الله عليه وسلم، فسألوه: ألم تدفن بأريحا، فما الذي جاء بك ؟ فقال: أنا من حين وضعي في القبر صارت روحي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ورآه بعضهم بأنه مسؤول عن دفن الموتى بالبقيع، ورآه بعضهم يخطب الجمعة في جوامع أريحا، إلى ما هنالك من مَراءٍ هي عاجل بشرى المؤمن. اهـ.

(هذه الترجمة هي ما كتبه لي ولده العالم الفاضل الشيخ نبيه سالم إمام جامع العمران في حلب، وذلك في صيف ١٤٢٢، مع بعض إضافات اقتضتها الترجمة).

المحب الصادق، والداعية الدؤوب لذكر الله تعالى

الشيخ محمد أديب الياسين "المارعي" الإدلبي

(١٣١٥-١٤١٦هـ) (١٨٩٧-١٩٩٦م)

نشأته وأوائل تعلمه: هو المحب الصادق، والداعية الدؤوب إلى الذكر والطريق، والمحب الصدوق للشيخ أبي النصر وأولاده، والذي قضى عمره في خدمة الطريقة النقشبندية وأهلها، والتفاني في محبة الشيخ أبي النصر وآله، الشيخ محمد أديب الياسين (أبو خالد) المارعي الإدلبي.

ولد هذا المحب الكريم في قرية مارع (منطقة إعزاز) ١٣١٥ هـ - ١٨٩٧م، وتلقى تعليمه الأولي في مارع في (الكتّاب)، ولما ناهز من العمر البلوغ أحب طلب العلم فاتجه إلى مدينة حلب وداوم في مدرسة (الدليواتي) بحي الفرافرة لفترة قصيرة، ثم عاد إلى مارع.

أول لقائه بالشيخ أبي النصر: ولما كان الشيخ عثمان العبيدو الشهير بالشيخ عثمان المارعي، مأذوناً من قبل الشيخ أبي النصر في تلقين الذكر، وكانت له أساليبه في اصطياد الشباب الذين عندهم قابلية، فالتقاه الشيخ عثمان ولقنه الذكر، وفي أول قدوم الشيخ أبي النصر إلى مارع عرّفه عليه، فتعلق أبو خالد به.

في إعزاز: وكان الشيخ عثمان صاحب حال وجذب، فتعلق به الشيخ أديب وبالإخوان أبناء الطريق، ولما قدم الشيخ أبو النصر إلى مارع ورأى حاله هكذا، أمره بالذهاب إلى مدينة إعزاز، والإقامة هناك، فعمل هناك أكثر من عمل (دنيوي)، فاشتغل وزاناً في طاحون، ثم فتح دكاناً للبقالة وغيرها فلم يفلح في أمر الدنيا، وبقي في إعزاز سنتين، وكان الشيخ أبو النصر عند قدومه في جولاته إلى تلك المنطقة يأتي إعزاز، ويلاحظ مريديه هناك، ولما رأى استعداده للّطائف لقّنه اللطائف الخمس، وحصل له الفناء الكامل في

الشيخ حسب قواعد الطريق، وكان من نتيجة هذا الحال أنه إذا جلس في مجلس يتأثر به كل من في المجلس، وصار معه صفاء ولطف، بحيث إذا حضر الختم الشريف لا بُد أن يرى أحد رجال السلسلة النقشبندية المباركة، وآلت حاله إلى الصفاء والرقة، وتم له الكشف بحيث يسمع تسبيح وذكر الجمادات، فكان يغلق دكانه لما يسمع ذكر الأشياء ويعود إلى البيت أو إلى المسجد، وبقي في إعزاز سنتين، وكان الشيخ أبو النصر يلاحظه باطنياً حتى قطع مراحل الطريق كلها وعاد من مرحلة الفناء إلى البقاء، وكان يذكر دون انقطاع.

إلى الشيخ عبد الرحمن البكري في منغ من أجل العلم: ثم طلب منه الشيخ أبو النصر الذهاب إلى منغ ليلازم الشيخ عبد الرحمن البكري هناك ويتلقى عنه العلم، فارتحل إلى منغ مع عائلته، وكان متزوجاً وعنده ابنتان، فتلقى مبادئ العلم عنده، فقرأ له في الفقه (الباجوري)، وفي النحو (الأجرومية) ومتن الكافية للحاجب، وشيئاً من علوم الحديث، ومضى له في ذلك سنتان (وكانت زوجته تعمل في الخياطة وتقوم بمصروف البيت).

وسمع مرة وهو نائم في (منغ) منادياً في منامه يقول: الشيخ أديب لا يسكن منغ ولا مارع ولا إعزاز، بل يسكن إدلب. يقول محدثي ولده الأستاذ خالد: وكانت والدتي بجانبه فسمعت هذا النداء، وظنت أنه نداء رجل من الشارع، فالتفتت إلى أبي وأيقظته وقالت له: أتسمع ما يقول المنادي ؟ فقال لها: سمعت. فقالت: ما هذا ؟ فقال: مثلما سمعت.

الأمر بالتوجه إلى إدلب: وبعد يومين توجه إلى حلب بصحبة الشيخ عبد الرحمن وثالث اسمه الشيخ مصطفى، وذهبوا إلى الشيخ عيسى البيانوني، واستأذنوه في الذهاب إلى المدينة المنورة من أجل المجاورة فيها، فأطرق الشيخ عيسى قليلاً ثم رفع رأسه وقال لهم:

– يا شيخ عبد الرحمن، مثلك في المدينة المنورة كثيرون، وقريتك بحاجة إلى علمك، فعد إليها وابق فيها.

– وأنت يا شيخ أديب عليك أن تذهب إلى إدلب.

أما الثالث (الشيخ مصطفى) فخيّره بالذهاب إلى المدينة أو البقاء في قريته.

ولما سمع الشيخ أديب: (أنت تذهب إلى إدلب) قال للشيخ عيسى: أنا لا أعرف أحداً

في إدلب، فقال الشيخ عيسى: أهل الطريق لا يحتاجون إلى معرفة ناس كثير، فيكفي معرفة واحد، اذهب إلى إدلب. فقال الشيخ أديب: مالي عمل هناك. فقال الشيخ عيسى: الرازق هو الله. فقال: أذهب إليها وأنا لا أعرف أحداً فيها ؟ فقال الشيخ عيسى: لا تجادل، الشيخ أبو النصر أمامك، اسأله إن شئت.

يقول الأستاذ خالد: علماً بأن الشيخ عيسى لم يعلم بما جرى مع والدي في الرؤيا.

وظاهر من مجادلته للشيخ عيسى أن أمر الذهاب إلى إدلب جاء صعباً على الشيخ أديب، فأشار عليه أحد العلماء الذين تعرف إليهم منذ زمن تلقيه العلم في مدرسة الدليواتي أن يعود إلى هذه المدرسة ويتابع العلم فيها، فقبل بمشورته و لم يلتفت إلى ما أشار به الشيخ عيسى البيانوني عليه، فلزم مدرسة الدليواتي في حلب أياماً محاولاً العودة إلى تلقي العلم مرة أخرى.

يقول: والله كنت أجلس في حلقة الدرس فلا أعي كلمة مما يقوله الأستاذ، وأفتح الكتاب فلا أستوعب شيئاً منه؛ ومرت ثلاثة أيام على هذه الحال، فالتفت أحد إخوان الشيخ أبي النصر القدامى إليَّ، فرآني مغتماً فقال لي: اسهر معنا هذه الليلة. يريد أن يفرّج عني ما بي من غم.

وحكى الشيخ أديب في السهرة لهذا الأخ ما جرى له مع الشيخ عيسى وما أشار به ذلك العالم في الدليواتي، فقال له هذا الأخ وقد ظهر عليه الاستغراب والدهشة: يا رجل، الشيخ البيانوني يشير عليك منذ ثلاثة أيام، وأنت متخلف هنا لا تنفذ أمره، ألا تخاف على حياتك ودينك ؟ قم إلى إدلب الآن هذه الليلة ونم هناك، اذهب فوراً، إياك ثم إياك والتخلف. فسمع الشيخ أديب نصح هذا الأخ واتجه إلى إدلب فوراً ونام تلك الليلة فيها.

الأيام الأولى في إدلب: يتابع محدثي الأستاذ خالد: وبقي الوالد في إدلب خمسة عشر يوماً، وهو في ضيق شديد وكرب، ويقول: ولا أحد يكلمني أو يلتفت إليّ، فعرفت أن هذه عقوبة تخلفي عن الأمر، فصرت أتضرع إلى الله وأتوب عن مخالفتي حتى فرج الله عني ما أنا فيه، فرأيت بعدها رؤيا سرتني وأذهبت ما بنفسي من هم وكرب.

وهذه الرؤيا: أنني في إدلب وفيها نهر جار يدخل المدينة بغزارة وبعض الناس يحاولون ردّ الماء عن البلد، يستعملون المعاول والرفوش ولكنهم يعجزون عن ذلك، قال: فاستيقظت مرتاحاً مطمئناً من هذه الرؤيا، فخرجت إلى السوق كعادتي، وصليت في مسجد هناك، فالتقيت بأحد العلماء (الشيخ محمد الفاخوري) أبو صالح، فناداني وتعرف عليّ وقال لي: هنا يوجد جامع بحاجة إلى إمام. ولما تعرف علي وعرف من أعرفه من المشايخ وما عندي من طلب العلم، عرض علي أن أكون إماماً لهذا الجامع واسمه (زاوية بالق)، ثم ذهب إلى مفتي البلدة الشيخ (طاهر الكيالي) رحمه الله، وكان عالم البلدة ومفتيها، فبعد أن سمع مني القرآن وسألني بعض الأسئلة في الفقه وافق على تعييني إماماً في ذلك المسجد، فاستلمته وعملت فيه إماماً ومؤذناً وخادماً، ثم استقدمت عائلتي من منغ إلى إدلب وسكنت هناك.

يقول محدثي: مضت الأيام الأولى الخمسة عشر وهو في ذلك الغم قبل أن يفرج الله عنه، وكان الوالد (الشيخ أديب) يأتي كل يوم بعد صلاة العصر إلى منطقة اسمها (المحراب) شرق البلدة أول طريق حلب، ويتوجه إلى حلب ويبكي ما شاء الله له حتى المغرب، ثم يعود، إلى أن فرج الله سبحانه عنه.

العمل من أجل الطريق في إدلب: وبعد أن استقر في إدلب وعمل إماماً في ذلك المسجد طلب منه الأهالي أن يفتح (كتّاباً) لتعليم الأولاد القرآن الكريم وتجويده، فوافق واستمر فيه وتحسنت حالته المادية، وبدأ الناس يلتفون حوله، وأذن له الشيخ أبو النصر بنشر الطريق وتلقين الذكر وقراءة الختم النقشبندي، وصار في إدلب جمهرة من أحباب الشيخ أبي النصر، وتعرفوا على الطريق وتحسنت أحوالهم وعباداتهم بفضل الله تعالى، وكما في الرؤيا، لا بد من المؤيدين والمعارضين، وبفضل الله سبحانه تم الثبات والاستقرار في إدلب، وانتشر فيها خير الطريق ونوره.

وبفضل توجهات الشيخ أصبحت علاقة الشيخ أديب بعلماء البلدة طيبة وحسنة، وكان يزورهم أسبوعياً، وكانوا يزورونه أحياناً، وكان في البلدة ثلة من أفاضل العلماء منهم العلامة الحسيب النسيب الشيخ طاهر الكيالي، والشيخ الفقيه عبد الغني حمادة،

والعالم المدقق الشيخ نافع شامية، والشيخ عبد الحميد النعمة، والشيخ شريف زيات، عليهم رحمة الله ورضوانه جميعاً.

وفي هذه الأثناء اغتنم فرصة وجوده بجوار هؤلاء العلماء فقرأ كتاب (إعانة الطالبين) في الفقه الشافعي على الشيخ عبد الغني حمادة، وقرأ جوهرة التوحيد على الشيخ محمد سيادي المراد (الحموي) عندما كان قاضياً في إدلب، وحضر معه ابنه خالد أيضاً، وقرأ (القطر) في النحو على الشيخ شريف زيات.

الدعوة إلى الله في قرى المنطقة: وبعد ثباته واستقراره في إدلب، طلب منه الشيخ أبو النصر أن يتجول في القرى للدعوة إلى الله ونشر الطريق، فذهب إلى منطقة (أريحا) والتقى هناك بعالمها الفاضل الشيخ نجيب سالم الذي كان من إخوان شيخه أبي النصر، فأعانه على مراده وتم فتح (ختم) فيها تولاه الشيخ نجيب حسب إشارة الشيخ عبد الباسط له في إحدى رسائله التي سنذكرها فيما بعد، كما تمت زيارة قرية (كفرلاته)، و (أورم الجوز)، و (منطف)، و (سرجة)؛ وأحدثت فيها الأختام أيضاً، وتمت إدارة ختم سرجة من الشيخ عبد القادر الحوراني الذي كان إماماً فيها؛ كما تم ذهابه أيضاً إلى قرى جسر الشغور فزار قرية (الشيخ سنديان)، و (بداما)، و (كفردبين)، و (كفر نجد) التي أصبح اسمها الآن الناجية، وتم فتح أختام فيها.

وكان الشيخ أبو النصر كلما حضر إلى إدلب يولي مريده الشيخ أديب مزيداً من العناية، ويدعو له بالثبات، ويأخذ الشيخ أديب حظه منه ويرى فيه العون والمدد الإلهي.

والطريف في الأمر أن شيخنا (أبا خالد) كان إذا التقى بالشيخ أبي النصر، يستأذنه بالعودة إلى حلب ويقول له: يا سيدي إن الجاني إذا حكم عليه بالسجن /١٥/ سنة وقضى مدة حكمه يفرج عنه، وأنا صار لي أكثر من خمسة عشر عاماً في إدلب فمتى يفرج عني ؟ فيجيبه الشيخ: مكانك تحمدي أو تستريحي.

أقول: وقد سمعت هذا منه رحمه الله مراراً، يحكي لنا عما كان يقوله للشيخ وعما يجيبه الشيخ به.

قصة عجيبة تبين أثر الذكر: يقول الأستاذ خالد: ذهبنا مرة إلى كفر نجد (الناجية) بصحبة الوالد، ومعنا الشيخ عبد الرحمن طلاّع من إدلب، والشيخ محمد من (كفر دبين)، لزيارة أحد مشايخها من إخواننا هناك، وصلينا العصر في مسجدها، ولما لم نجده أردنا العودة، فطلب أحد أهل القرية مبيتنا عندهم، فأبى الوالد ومن معه، فقال الرجل الداعي لنا بالبقاء: لا رجل في هذه القرية إلا الشيخ فلان ؟ وباقي أهل القرية نساء ؟ وألح بالبقاء، وكان مع الموجودين رجل أعمى مسن فقال للوالد: أين تذهب وتتركنا ؟ انظر إلى الجنوب الغربي، على الجبل، هناك صخرة عالية أرأيتها ؟ فقال الوالد: نعم. فقال الأعمى: كنت شاباً وكان عمري ١٦ سنة، فجاء إلى قريتنا رجل اسمه الشيخ عثمان فبات عندنا، وفي الصباح قال: أنا سأصعد إلى الصخرة؛ من يطلع معي ؟ فصعدنا معه مجموعة شباب، وأنا معهم، فاعتلى الشيخ عثمان الصخرة واتجه إلى الجنوب وصاح ثلاثة أصوات: يا شيخ أبو النصر أنا هنا، شوفني (انظر إلي). فلما صاح هذه الأصوات أخذ قلبي يطرق ويقول: الله، الله. ولا زال قلبي يذكر الله إلى اليوم، وعندما دخلتم المسجد شعرت كأنني أسمع أصوات الشيخ عثمان من جديد، وبدأ قلبي يخفق من جديد.

يقول الأستاذ خالد: كان الأعمى يحكي لنا هذا الكلام ولا يعرف صلة الوالد بالشيخ عثمان والشيخ أبي النصر قدس سره، فبقينا تلك الليلة، وسرّ الحاضرون بنا، وسررنا بهم، وبعد صلاة العشاء أراد الوالد أن نقرأ مولداً، وطلب من الشيخ عبد الرحمن طلاع قراءته، فاعتذر بأن صوته لا يساعده فقال له: إذن استفتح لنا بالقرآن الكريم، وبعدما قرأ القرآن عمل والدي حصة درس، وأثناءها دخل ثلاثة شبان المسجد وسلموا عليه، فأشار أحد الحاضرين بأنهم من ذوي الأصوات الجميلة، فقال: أسمعونا. فأنشدوا وأطربوا وحصلت حصة مباركة انجذب فيها الناس إلى الوالد. ثم أذن الوالد لأحد المسنين بعد تلقينه الذكر أن يدير الختم هناك، ثم أقرأهم السلام للشيخ (شيخ القرية) وعدنا والحمد لله على التوفيق.

هذا ما حدثني به الأستاذ خالد عن والده رحمه الله، في منـــزله العامر في إدلب، في شهر رجب المبارك عام ١٤٢٢، الموافق أيلول ٢٠٠١.

مع الشيخ عبد الباسط: أقول: وقد كان الشيخ أديب وفياً ثابتاً على نهج الشيخ أبي النصر وطريقته، عاملاً دؤوباً لنشر الطريق والذكر بين كل من يعرف ومن لا يعرف، واستمر ملازماً لآل الشيخ بعد وفاته، والتزم لخليفته من بعده شيخنا عبد الباسط أبي النصر، وظل يتردد إلى حلب حيث أقام شيخنا آخر حياته، يلازم مجالسه العامة والخاصة، ويرافقه في أسفاره أينما ذهب، ويلاحظ الإخوان بإشارة الشيخ ويلقنهم الذكر، ويتفقد أحوالهم ويزورهم، وكان عنده توجه كبير للجذب حتى ينال الإخوان بركة الطريق وسرعة الانصباغ.

أقول: وفي أحد أسفارنا أراد أن يتوجه إليّ بالجذب، فمنعه شيخنا عبد الباسط وقال له: هذا طالب علم يحتاج إلى الصحو فاتركه وكفّ عنه. فكفّ رحمه الله عني، ورضي الله عن شيخنا عبد الباسط ما أوسع نظره وما أشمل بركته.

وكان شيخنا يزوره في إدلب، وقد صحبناه عام ١٣٩٩- ١٩٧٩ بزيارة موفقة إلى إدلب، وبقينا هناك أياماً كانت من أيام التوفيق والسرور، وكان شيخنا أبو خالد مثال المريد الصادق الأديب مع شيخنا، وقد ملأ السرور والحبور والسعادة قلبه وهز جوانحه، وما كان يترك صحبة الشيخ أيضاً عندما كان يزور المعرة متفقداً للإخوان هناك، أو مناطق إعزاز وقراها ومنبج وقراها والباب وما حولها.

مع الشيخ إسماعيل: وبعد انتقال شيخنا عبد الباسط إلى رحمة الله ورضاه بعام ١٤٠٢، بقي الشيخ أديب وفياً ملازماً لولده أخينا وشيخنا الشيخ إسماعيل أبي النصر، وخاصة بعد وفاة زوجته أم خالد، فقد تفرغ للصحبة وأعطاها حقها، وظل يرافق الشيخ إسماعيل ويلازمه في مجالسه في حلب وغيرها من المناطق، التي يزورها الشيخ متفقداً للإخوان وراعياً لهم وموجهاً لسلوكهم وباعثاً فيهم روح الهمة والثبات على أخلاق الإسلام وآدابه، حتى لقي الله سبحانه وأسلم روحه لبارئه بعام ١٤١٦ هـ.

رسائله إلى الشيخ أبي النصر ورسائل الشيخ إليه: كانت رسائله إلى الشيخ أبي النصر ومن بعده لولده وخليفته الشيخ عبد الباسط تترى، وهي إما أن يستأذنه فيها لزيارته والإخوان

بحمص، أو يطلب منه دعوة، أو يسأله عن مشكلة، أو يشاوره في أمر، وكانت أجوبة الشيخ لا تنقطع عنه أيضاً، فمنها ما كان يحرره بيده المباركة، ومنها ما كان يكتبها الشيخ عبد الجليل المراد ويوقعها الشيخ بإمضائه، ومنها ما كان يحررها ولده الشيخ عبد الباسط.

وهذه بعض رسائل الشيخ إليه:

الأولى: (بدون تاريخ) وبخط أستاذنا الشيخ عبد الباسط وتوقيع الشيخ أبي النصر نثبتها بنصها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه آمين.

لحضرة الأخ في الله المحب الصادق الشيخ محمد أديب المارعي المحترم دام توفيقه آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد: وصل كتابكم مطمناً عن صحتكم وسلامتكم، وكل عام وأنتم والإخوان بخير، ولا مانع من أن يحضر الإخوان الذين يودون الحضور لحمص؛ فأهلاً وسهلاً، فإذا كان بسفركم إلى بعض القرى ينتج شيء من نشاط الطريق فلا مانع، فالمولى يسهل لكم، وسلّموا لنا على كافة الإخوان كلٌّ باسمه، خاصة الحاج مصطفى، والسيد محمد جبران، والأستاذ الجليل الشيخ طاهر أفندي الكيالي ونجله الأستاذ سامي أفندي وكافة أنجاله. ومن طرفنا الأولاد والإخوان بأتم الصحة والعافية ويسلمون عليكم كثير السلام، ودمتم سالمين.

الفقير إليه تعالى: محمد أبو النصر

الثانية: بتاريخ ٢٤ رمضان ١٣٥٧-١٩٣٧ وبتوقيع (عبد الباسط خلف)، يخبره فيها بتوجه سيدنا الشيخ إلى حلب ولعلكم ترونه هناك.

الثالثة: بتاريخ ١٨ محرم ١٣٥٨ هـ - ١٩٣٨ م، يوصي الشيخ بحامل كتابه السيد عزت القصير، وهو من (جيراننا وأعزائنا وأصحابنا، وقد توظف عندكم، فالرجاء منكم أن تلاحظوه بعنايتكم، وأن تفتشوا له عن بيت وتعينوه على بعض مصالحه، وسلموا لنا على كافة الإخوان).

وقد بلغت رسائل الشيخ محمد أبي النصر إليه إحدى عشرة رسالة وهذه آخرها.

الحادية عشرة: مؤرخة في ١٩٤٨/١/١٤، وهي رسالة جوابية قال فيها: (وإنا نوصيكم بتقوى الله في السر والعلانية، وبالمحافظة على الذكر والختم والمحبة فيما بينكم، وبالإخلاص لله تعالى في كل عمل من أعمالكم. لا مانع من زيارة الإخوان فأهلاً وسهلاً، وأما من جهة فتح الختم في الجامع المتوسط في البلدة عندكم، فإذا كان مناسباً وهو مجمع للإخوان فلا مانع من أن يديروا الختم فيه، وتتوحدوا في ختم واحد لأجل نشاطكم إذا كنتم مجتمعين، وأيضاً لا مانع من إقامة المولد فيه، وسلّموا لنا على كافة الإخوان كل واحد باسمه، وختاماً أرجو الله أن يمنّ على المسلمين بالخير والبركة، ودمتم).

رسائل الشيخ عبد الباسط إليه: ولدينا رسالتان، وهما مع رسائل الشيخ أبي النصر **دستور وقواعد للإخوان والمحبين فيما يجري من الحياة، من عمل في الدعوة أو صبر على الابتلاء:**

الأولى: مؤرخة ٣٠ رجب ١٣٦٩ الموافق ١٩٥٠/٥/١٧، قال فيها:

وبعد، أخذت كتابكم أولاً وثانياً، فأرجو الله الكريم أن يجعلكم واسطة خير، وأن يوفقنا وإياكم والمسلمين لما فيه خير الإسلام والمسلمين، لقد أعربتم في كتابكم أن الأخوين الفاضلين الشيخ نجيب سالم، والشيخ علي دمر الحموي يرغبان بفتح ختم، فلا مانع من ذلك، وهذا جل ما نبغيه ونقصده، حيث أنه يجب أن يكون مديرو الأختام من أهل العلم والفضل أمثال الأستاذين الكريمين، لأن الطريقة النقشبندية إنما قوامها وعمدتها بالعلم وأهله، ولذلك سميت طريقة العلماء، وإني لأرجو الأستاذين الفاضلين أن يتكرما بمعونتك ومساعدتك، وإنما عليك أن تسمع لما يبينان لك من أمور الدين ومقتضياته، وإن تفضل الأستاذان عند فراغهما أن يطوفا معك على الإخوان لإرشادهم ووعظهم وتفقيههم وتفهيمهم حقيقة الطريق والدين، يكون ذلك أجدى وأجود لمصلحة الطريق، ولبنائه بناءً قوياً متيناً، كما توفقنا والحمد لله في جهات مارع وتوابعها وجهات الجزيرة بين أولئك القبائل البعيدة عن مقاصد الدين والطريق، فقد طفت مع الأساتذة في جهات مارع، أمثال الشيخ محمد بلنكو والشيخ عبد الله الريحاوي وغيرهم من متخرجي الخسروية، وفي الجزيرة لم أدع فرصة تسنح لي لنشر العلم والطريق إلا اغتنمتها، ومن علامات التوفيق أن شيّد أهل الجزيرة بتلك الدورة الصغيرة خمسة جوامع

لإقامة الصلوات الخمس، وإحيائها بالختم والأذكار، فنحمد الله على ذلك... سلامي للأستاذين الفاضلين الشيخ نجيب والشيخ علي، وسلامي لكافة أهل إدلب ولا سيما العلماء منها، وخاصة فضيلة المفتي، وسلامي لكافة الإخوان جميعاً، وختاماً أرجو منكم الدعاء جميعاً بظهر الغيب، وأوصيكم بتقوى الله في السر والعلن، وبالإخلاص والصدق في الدعوة إلى التمسك بحقيقة الطريقة النقشبندية، والله ولي التوفيق.

الفقير إليه تعالى: عبد الباسط أبو النصر

الثانية: مؤرخة في ٧ رمضان ١٣٧٥ - ١٩٥٥، قال فيها:

لقد وصل كتابكم واطلعت على الرؤيا التي شرحتموها في الكتاب؛ ومن المعلوم أن المسلم المتمسك بدين الله القويم وسنة الرسول الأعظم وبما كان عليه أسياده ومرشدوه إلى الله، وقد قضى طيلة حياته أو أكثرها على الهدى، لا يمكن أن يرضخ إلا إلى الحق والشرع والدين، ونحن كما تعلم لا خصومة لنا مع أحد، إلا مع من يخالف شرع الله ويحيد عن حقيقة الإسلام، ولا نحيد عن ذلك أبداً، ولو قطعنا إرباً إرباً في سبيل الله، وما تلك الرؤيا إلا أثر من الحقيقة التي تقف أنت في موقفك الصلب، كما أقف موقفي المعلوم، وأما عدم ردي واعتراضي عند تحامله عليكم فهو دليل على حفظ كرامة الشيخ رحمه الله، وسعة صدرنا إكراماً لخاطره، ومن أجل عين ألف عين تكرم؛ ولكن يجب أن نقف موقف الحق عند انتهاك أي حرمة من حرمات هذا الدين الحنيف، فأسأل الله أن يوفقنا لطاعته ومرضاته، إنه سميع مجيب. سلامي للجميع، ودمتم بخير والسلام عليكم.

عبد الباسط

رسالة من الشيخ عثمان المارعي: وهذه الرسالة دون تاريخ يقول فيها:

مبسملاً محمدلاً مصلياً ومسلماً داعياً جناب حضرة الأخ في الله والرفيق في الجنة إن شاء الله، حضرة أخينا الشيخ محمد أديب، أدام المولى بقاءه، وحرسه وحماه، وجمع شملنا برؤياه، بجاه من قبّل البعير قدماه، وهو سيدنا محمد صلّى الله عليه وسلم... وذكر فيها:

وبعد إهداء السلام من أولاد شيخنا أبي النصر والأحباب، يخبره فيها أن الشيخ أبا

النصر أرسله مع بعض الإخوان إلى قرى حمص (بابا عمرو) و (كفر عابا) و (شنشار) وظلوا في كل قرية يوماً أو يومين ثم فتحوا فيها أختام، وصار فيها إخوان محبون، وسيرسلهم الشيخ إلى قرية أخرى، ويختمها بـــ الداعي لكم (عثمان عبد الله مارع).

وفاته: وهكذا وبعد أن قضى مائة عام أو تزيد، كلها في خدمة الدين القويم والشرع الشريف منطلقاً من منهج الطريقة النقشبندية، التي هي التخلق حالاً وسلوكاً بآداب هذا الإسلام، وبعد أن بذل جهده ووقته وماله وهاجر من وطنه رغم الحنين إليه، ملتزماً أوامر شيخه بالدعوة إلى الله في منطقة لم يعرفها، وأقوام لم يألفهم من قبل، فصاروا بحسب صبره وثباته وتوجيهات شيخه إخواناً أعزاء، وأحبّاء وأنسباء، وترك فيهم آثاراً لا تمحى، والتزاماً بالسلوك الإسلامي لا يخفى، ومن أعظم آثاره الذي سار على سيره ونرجو أن يفوق أباه، وهو ابنه الأستاذ خالد (أبو مهاب)، الذي قام على منهجه بعده وجمع الإخوان المحبين على الله سبحانه.

وفي يوم عيد الفطر من عام ١٤١٦ هـــ - ١٩٩٦م، أسلمت تلك الروح إلى بارئها، فأكرمنا الله سبحانه بشهود جنازته، وقد كنت كالعادة أحضر مع إخواننا المحبين في بلدة الباب إلى معايدة شيخنا في الزاوية بحلب، فكانت إشارة الشيخ إسماعيل حفظه الله أن نتوجه إلى إدلب للصلاة عليه، وتوجهنا مع إخواننا وشهدنا الصلاة عليه في مسجد الحسين في إدلب، ورثاه في الجموع المحتشدة في رحاب ذلك المسجد الفسيح العلماء والخطباء، وكان أولهم شيخنا الأستاذ إسماعيل أبو النصر، الذي عدد محاسنه ومواقفه الثابتة ونهجه المستقيم في الدعوة إلى هذه الطريقة على ضوء توجيهات شيوخه أبي النصر وعبد الباسط، وكذلك ملازمته للشيخ الحالي، لم يبدل ولم يغير، ثم تلاه الشيخ عدنان العظمة المدرس في كلية أصول الدين (دمشق)، والشيخ أحمد ناظم مدير أوقاف إدلب آنذاك، وكانت خاتمة الكلمات للشيخ محمد دلال خطيب جامع الفرقان في إدلب، ثم ووري ثراه في مقبرة إدلب الجديدة، رحمه الله ونور ضريحه.

الأخ الكريم ، والصديق القديم، الأستاذ

خالد بن الشيخ محمد أديب الياسين المارعي الإدلبي

(١٣٥٤ هـ) (١٩٣٥م) بارك الله في حياته

وتتميماً لترجمة ذلك الوالد المحب، والداعية المخلص، أحببت أن أدون سيرة هذا الأخ الكريم والصديق القديم، إذ إن في حياة كل أخ له صلة بالشيخ أبي النصر صورةً من سيرة الشيخ وكمالاته وكراماته، فطلبت منه – بعد أن أملى عليّ من سيرة والده الكريم ما ذكرناه آنفاً – أن يتكرم بإملاء شيء من سيرته التي لا بد من بيانها من فمه نفسه، فكانت هذه الترجمة:

نشأته ودراسته: هو محمد خالد بن محمد أديب الياسين، ولد عام ١٣٥٤هـ – ١٩٣٥م في إدلب بعد هجرة أبيه إليها، وتلقى تعليمه الأولي الابتدائي ثم الثانوي فيها، ثم أكمل تعليمه في دار المعلمين بحلب عام ١٩٥٦، وتخرج منها وعين معلماً في منطقة منبج، ثم في مدينة منبج ثم إدلب، وأحيل على التقاعد بعام ١٩٩١.

ولتعليمه في المدرسة الابتدائية قصة، ويعود الفضل فيها للشيخ أبي النصر نور الله ضريحه، وذلك كما حدثني في بيتنا في إحدى زياراته وذلك يوم ٦ ربيع الثاني ١٤١٩، ٣٠ تموز ١٩٩٨، قال: كان والدي يحفظني متن الأجرومية، والأربعين النووية – بناء على توصيات الشيخ أبي النصر بحفظ متون العلم في الصغر – وما كان والدي له رغبة في إدخالي المدرسة الرسمية، كانت والدتي متعلمة، وهي تركية، ولما رأت عدم رغبة والدي بإدخالي المدرسة الرسمية قالت لي: إذا جاء الشيخ أبو النصر فقل له ليسمح لك بدخول المدرسة. ولما حضر الشيخ إلينا، وكنت أخطط في فكري كيف سأطلب من الشيخ هذا، وإذا بالشيخ قدس سره يبتدر والدي بالسؤال ويقول له: ماذا علمت خالداً ؟ فقال

والدي: ختم القرآن والحمد لله، وقرأ هداية المستفيد في التجويد، وحفظ الأجرومية والأربعين النووية. ورأى معي كتاب الأربعين النووية فتناوله مني وقال لي: أسمعني الحديث السادس عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الحلال بيِّن... أكمل الحديث. ففرحت فرحاً شديداً، إذ كان والدي لا يسمع لي هكذا، بل يقول لي: الحديث رقم كذا، أكمل... فأكملته، فقال لي: أحسنت بارك الله فيك، الحديث الرابع عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أحدكم.. أكمل. فأكملت، وهكذا عدة أحاديث يبدأ لي بأولها ثم أكملها. فقال: بارك الله فيك. وطوى الكتاب، ثم التفت إلى والدي وقال: هل وضعته في المدرسة ؟ فقال: لا، حضرتكم قلتم: لا. فقال الشيخ: لا، لم أقل هذا. وغضب وقال بقوة: ضعه في المدرسة. ففرحت أشد الفرح. وبعد انصراف الشيخ قال والدي: ما الذي خطر ببال الشيخ ؟ فقلت: كنت ناوياً أن أطلب منه أن يكلمك من أجل إدخالي المدرسة، فقال: كأنك قلت.

الدراسة الشرعية: قال الأخ خالد أبو مهاب: ومع دراستي الرسمية في المدارس الحكومية كنت – كما أسلفت – درست مبادئ العلوم الإسلامية على الوالد، حيث حفظني المتون المذكورة، وتابعت شروحها عليه ثم على الشيخ عبد الغني حمادة في إدلب، والشيخ محمد سيادي المراد عندما كان قاضياً فيها، والشيخ أديب الكيلاني، قرأت عليه جوهرة التجويد، وكان قام بطبعها وشروحها مع زملاء له.

وكانت جلسات المذاكرة التربوية هي الأهم، مع الشيخ سيادي المراد، والشيخ محمد الموسى الحلفاوي (أبو كلال) الذي كان يحضر لزيارتنا، وكانت هذه المذاكرات بإشارة الوالد لهم، وما من مرة حضر إلينا (أبو كلال) إلا وذاكرني، كما كان لي جلسات مع شيخنا عبد الباسط، وغالباً ما يكون هذا بشرح بيتٍ من قصيدة أو لفتِ نظر لجملةٍ في كتاب، أو عبارةٍ لعارف، كما كان الوالد يذاكرني قليلاً، وقال لي مرة: أتعرف ما هو أصعب شيء على الولي ؟ قلت: ماذا ؟ قال: أن يرى في أهله خطأ – بالكشف الإلهي – ولا يستطيع أن يتكلم.

مبدأ صلته بالشيخ أبي النصر: قال: وكان أول لقاء لي بالشيخ أبي النصر نور الله ضريحه وقدس روحه، في جامع أبي ذر بعام ١٣٦٢-١٩٤٢، وكان عمري سبْع سنوات، فتعلقت به أشد التعلق، ثم لما صار عمري /١٠/ سنوات أذن لوالدي بتلقيني الذكر، وكنت كلما ذهب والدي لصحبة الشيخ في حلب أو منبج أو أي مكان أذهب معه، وأتعلق به، ولا زال التعلق القلبي به لا بغيره والحمد لله، مع الاحترام الخالص والود الكامل لأبنائه وأحفاده.

مع شيوخ الطريقة في مصر: قال: ومن الأشياء المميزة التي يحس بها ابن الطريق، أنه حصن للدين ما دام مواظباً على الأوراد، وهذا ما كنت أحس به ولله الحمد في شبابي، أيام عنفوانه وفي كل وقت، وشعرت بهذا في أحلك الأوقات التي تمر بالشباب، فقد قامت دار المعلمين بحلب برحلة إلى مصر بعام ١٩٥٦ وكنت فيها طالباً، فحفظني الله بهذه الرحلة مما وقع فيه كثير من الطلاب والشباب أثناء هذه الرحلة، فقد كنت إذا انتهى البرنامج اليومي للرحلة من زيارة الآثار والمشاهد في مصر، القاهرة والاسكندرية وغيرها، أتوجه فور انتهاء البرنامج إلى مسجد سيدنا الحسين في القاهرة، أو إلى مسجد الأزهر أبحث عن الشيخ نجم الدين الكردي - ابن الشيخ محمد أمين صاحب (تنوير القلوب) ومرشد النقشبندية في مصر - والشيخ سلامة العزامي خليفته، والتقيت بشيخ الأزهر آنذاك وسلمت عليه وسألته عن الشيخ سلامة فقال لي: تستطيع أن ترى الشيخ سلامة عند الحاج علي حجاب - صاحب مكتبة أمام رواق الشوام بالأزهر - أو تبقى ليوم الثلاثاء القادم حيث يجتمع الشيوخ هنا، ويجيبون على الرسائل الواردة من العالم الإسلامي، ويحضر معهم الشيخ سلامة.

ولكن أنّى لمثلي أن يصبر ليوم الثلاثاء القادم ؟! فذهبت إلى مكتبة الحاج علي حجاب فوجدته لديه، يجلس على كرسي بسيط من القش أمام المكتبة فسلّمت عليه وقبلت يديه، وعرفته بنفسي، وذهبت بصحبته إلى زاوية الشيخ نجم الدين في محلة شبرا (عين العروس)، وسلمت على الشيخ نجم الدين وحضرت الختم النقشبندي لديه بصحبة الشيخ سلامة، والحمد لله على ذلك كله.

وكان هذا نوع من الحصانة والحفظ الرباني لي، بسبب التزامي بمشايخي وأورادي، فلم أنزلق بما انزلق به الشباب من رفاقي وغيرهم في هذه الرحلة وسواها، وكنتُ عندما أعود آخر الليل إلى الفندق وأقص على زملائي أين كنت لا يصدقونني أنني كنت في جلسات إيمانية مع علماء أجلاّء وصالحين أتقياء، ولقد استفدت والحمد لله تقوية الرابطة الإيمانية، فصارت رابطة عملية في حياتي أسال الله دوامها والمزيد. اهـ منه.

كما أكرم الله أخانا الأستاذ خالد أنه لما أوفد ببعثة مع بعض زملائه المعلمين بحوالي ١٩٨٥ إلى كوريا الشمالية، كانت عناية الله ترعاه وملاحظة شيخنا عبد الباسط أبي نزار لا تنفك عنه، ولما قدم من هناك حكى لنا بعض مشاهداته في تلك البلاد، وكيف حفظه الله من مزالق وقع فيها غيره وعصمه الله منها.

في رحاب الدعوة إلى الله: وكان الأستاذ خالد (أبو مهاب) يصاحب شيخنا عبد الباسط في جولاته على المدن والقرى، ويتكلم بإذنه وإشارته بين يديه على الإخوان فيمتع السامعين، ويسر قلوب المؤمنين، بما يزيل من إشكالات في مصطلحات الصوفية، وبما يوضح من غامضات من أقوال العارفين، وبما يشرح معاني كلمات العلماء الربانيين، ولا زال في صحبة شيخنا الحالي (أبي عبد الباسط)، يصحبه في معظم جولاته ويتكلم بين يديه ويثني عليه، وله درس دوري في مجلس الشيخ في العثمانية، وفي الزاوية النقشبندية بحلب بتكليف من شيخنا الشيخ إسماعيل (أبو عبد الباسط)، كما إنه عُيّن خطيباً للجمعة في جامع الصديق في إدلب منذ عام ١٤١١ - ١٩٩١ وحتى الآن.

حكاية عن تواضع الشيخ أبي النصر وبساطة معيشته: ومما حدثنا بذلك الأخ الأستاذ خالد (أبو مهاب) قال: ذهبنا في أحد الأعياد مع الوالد لزيارة شيخنا أبي النصر في حمص، وبقينا لديه ثلاثة أيام بعد انصراف الإخوان وعودتهم إلى بلادهم، وكانت أمور المعيشة لدى الشيخ ليست على ما يرام آنذاك، فكان يقدم لنا أنا والوالد الخبز والبندورة طيلة هذه الأيام، فيأمرني بغسلها ويتناول هو طبق القش عليه الخبز من داخل الدار إلى الزاوية، ويخرج سكينه ويقسم لنا البندورة ونأكل، وكنت أتلذذ بهذه الأكلة وأشعر أنها من الأكلات المفضلة، ولما

عدنا إلى إدلب، قلت لوالدي: إنا أكلنا عند الشيخ أكلة، فلماذا لا تعملوها لنا ؟ فيسألني ما هي ؟ أقول: ما كان يطعمنا الشيخ. فيقول لي: هذه لا تعمل إلا في بيت الشيخ. وكان الشيخ رحمه الله ونور ضريحه يأخذ حبتي بندورة ويدخلها إلى أم كلال لتأكلها.

وكان الشيخ رحمه الله يوصي الإخوان باحترام النعمة وأكل دقائق الطعام، ويقول نظّفوا النوى (العجو) فإن النعمة إذا نفرت قلما تعود.

قال: وكنا مرة عند الشيخ أبي النصر في حمص، وكان يزوره أحد الإخوان من حلب ويعمل "مبيّضاً" في مدخل باب الحديد، وبقي أياماً هناك ثم قال له الشيخ: يا فلان، طلع إذنك – أي انتهت زيارتك – فاذهب لأهلك. فلما جاء ليودع الشيخ وقبّل يده، همس الشيخ في إذنه قائلاً: هل معك أجرة الطريق ؟ فسكت. فأعطاه الشيخ دراهم أجرة الطريق مع رغيفين من الخبز وما يؤدم به ثم ذهب. قال الأستاذ خالد: فسألت المبيض، هل كان معك أجرة الطريق وزوّادة ؟ فقال: لا. فرحم الله الشيخ ما كان أعطفه وأوسع نظره على الإخوان.

كرامة للشيخ أديب: وأختم الحديث عن الشيخ أديب وابنه بهذه الكرامة الواضحة، مما حدثنيه الأستاذ خالد قال: كان الأخ عمر الزين (أبو حافظ) من أحباب الشيخ الوالد في إدلب، وكان موظفاً في البلدية، وكان عنده دالية عنب ذات ثمر جيد، وكان لا يطعم منها أحداً قبل أن يأكل منها شيخه (أبو خالد)، وفي إحدى السنين وقد أينع ثمر الدالية طلب زملاؤه في الوظيفة وأولاده وعياله أن يطعمهم منها فقال: إن لم يأكل الشيخ أديب أولاً لا يمكن أن تأكلوا حبة. وسأل عن الشيخ فقالوا له: سافر إلى حلب، وسفره يطول. ولما أكثر عليه الأولاد والزملاء الموظفين وقف بعد الظهر ملتفتاً إلى جهة حلب وقال: وينك يا شيخ أديب، تعال بقى، خلّصني، أولادي من طرف ورفاقي من طرف والزنابيط (الدبابير) من طرف.

قال أبو حافظ: وصار العصر وإذا بالباب يطرق ويستأذن الشيخ أديب ويدخل فقال لي مبادراً: إشبك (ماذا تريد) صرعتني، جئت بي من حلب لهون (إلى هنا) يا شيخ أديب،

يا شيخ أديب إش بدك (ماذا تريد) هاي جينا.

قال أبو حافظ: فوقف شعر رأسي من هذا الكلام، فقلت: يا سيدي هلكونا.

ثم جلس تحت الدالية وقال لي: ما هو الكتاب الذي كنت تقرأ فيه ؟ هات اقرأ لنا. فقلت: يا سيدي هناك بعض العبارات لم أفهمها. فقال: والله هنا - وأشار إلى قلبه - سرٌ ولا أجد أحداً يستطيع تحمله، ولا صاحبك أبو مهاب (يعني ابنه الأستاذ خالد)، ولو حملته إياه لشق ثيابه وساح في الشوارع، اقرأ فهناك أعظم مما تقرأه.

رحم الله عمنا الشيخ أديب، وأعلى درجته مع أشياخه في عليين، وأمد في عمر أخينا الأستاذ خالد مع العافية وكمال التقوى، آمين.

المحب الصادق، والعالم الفاضل

الشيخ محمد أديب يحيى الأرمنازي

(١٣٣٧-١٤٠٦هـ) (١٩١٨-١٩٨٦م)

هو الشيخ الفاضل والعالم العامل والمحب الصادق، الشيخ محمد أديب يحيى بن محمد إسماعيل (الأرمنازي)، رحمه الله وطيب ثراه. ولد هذا المحب الصادق في بلدة أرمناز التابعة لمحافظة إدلب من البلاد السورية بعام ١٣٣٧هـ - ١٩١٨م بنهاية الحرب العامة الأولى.

تلقى تعليمه الابتدائي في بلدته (أرمناز) الشهيرة بمصانع الزجاج الذي ينسب إليها (البللور الأرمنازي)، وكان التعليم فيها كسائر البلدان والقرى الشامية يتولاه الشيوخ الذين يعلمون الأطفال أول ما يعلمونهم القرآن الكريم وتجويده، والكتابة والقراءة والإملاء ومبادئ العلوم الأخرى من الحساب وقواعد اللغة العربية، ولما كان الطفل يتيماً فقد أباه أثناء الحرب العامة، فقد ساقته أقداره ليكمل تعليمه الابتدائي في دار الأيتام بحلب، ويتخرج منها بعام ١٩٣٥ وقد جاوز عمره السابعة عشرة.

في الخسروية: وكان قريبه الشيخ عثمان يحيى سبقه إلى الانتساب للعلم الشرعي والاندراج في سلك طلاب الخسروية بحلب، فكان هذا مشجعاً له، ورائداً له في أن يسلك نفس السبيل، فاندرج في سلك طلاب الخسروية بعام ١٩٣٥ ولازم دروسها ودروس مشايخها، وكانوا من كبار علماء حلب بل كبار علماء الشام.

مع الشيخ أبي النصر: وكان معظم طلاب العلم في الخسروية بذلك الوقت إما من مريدي الشيخ المرشد الكامل الشيخ محمد أبي النصر، أو من محبيه، هم وأساتذتهم، وطبيعي أن يأخذوه معهم إلى مجالس الشيخ عندما كان يزور حلب في كل عام، وتحيا به ليالي حلب، وتعيش بتوجيهاته وأفكاره المباركة، فالتقى الشيخَ - قدس سره - وأخذ

الطريق النقشبندي عليه، والتزم أوراده مع طلب العلم، وأشعلت هذه الأوراد حب العلم والمنافسة فيه والسبق في الدراسة، فأكمل صفوف المدرسة الخسروية الستة، وتخرج منها بعام ١٣٦٠ هـ - ١٩٤١ م في شهر حزيران.

في التعليم الابتدائي: وكان بعض زملائه قد سبقه إلى سلك التعليم في المدارس الحكومية، فدخل هو امتحان أهلية التعليم الابتدائي ونجح فيه، وساقته أقداره إلى الجزيرة (محافظة الحسكة)، فعينته وزارة المعارف آنذاك "التربية" معلماً في قرية (الحلوة)، وهناك وجد أهلاً وأحبة من نفس المشرب والطريق النقشبندي، حيث كان يقطن العالم العارف الشيخ إبراهيم حقي رحمه الله، وهو من أكابر العلماء المرشدين في الطريق النقشبندي الخالدي في تلك المنطقة، فأنس بهم وأزالوا عنه وحشة الغربة والبعد عن الأهل، فكان الشيخ رحمه الله وأولاده - وبالأخص الشيخ عدنان حقي حفظه الله ورعاه - أهلاً له وقرابة، إذ إن قرابة الروح والطريق الرباني أقرب إلى القلب من سواها.

وبعد سنتين من الإقامة في (حلوة) معلماً في ابتدائيتها، ومتعلماً من مشايخها وعلمائها، انتقل إلى حلب معلماً في مدارسها ومقيماً فيها، وكان سيدي الشيخ أبو النصر قد انتقل إلى الرفيق الأعلى، وخلفه في تربية المريدين والطريق سيدي الشيخ عبد الباسط، فلازم أخونا الشيخ محمد أديب (أبو سليم) خليفة شيخه أستاذنا ومربينا الشيخ عبد الباسط، وأخلص له، والتزم منهجه وصحبته ومجالسه، وكان الشيخ عبد الباسط - أعلى الله درجته - يوكله في غيابه بإدارة الختم النقشبندي في جامعي أبي ذر والعثمانية، وحضور المجالس نيابة عنه.

وعندما أحيل إلى التقاعد من وظيفته كمعلم في مدارس التربية، وجهه أستاذنا الشيخ عبد الباسط إماماً ومدرساً في قرية حربل - منطقة إعزاز - التي كان أهلها لا يزال معظمهم من أحباب الشيخ ومريديه، وكان يصحب شيخنا عبد الباسط في جولاته إلى قرى منطقة إعزاز وبالأخص: مارع وحربل والشيخ عيسى ودابق وبارح وغيرها، قبل إقامته في حربل إماماً وأثناءها.

وكانت الليالي التي تقام في حربل تذكر بأيام الشيخ أبي النصر، وما أكثر تلك الليالي بصحبة شيخنا (أبي نزار) وأخينا الشيخ محمد أديب (أبي سليم).

ولقد كان رحمه الله محباً متواضعاً متفانياً في محبة الطريق وأهله، وبخاصة شيخنا عبد الباسط ومن بعده الشيخ اسماعيل، ملتزماً الأدب معهم، كما كان كريماً سخياً، ولقد أضافني لديه في حربل بعام ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م عندما أمرني سيدنا الشيخ عبد الباسط البقاء فيها أياماً، فكنت أنعم في ضيافة أخينا أبي سليم أياماً تعد من أصفى أيام العمر، وظل الشيخ أبو سليم ومن بعده ولده الأستاذ الشيخ **عبد الحفيظ** على نهج أبيهم في الالتزام منهجاً وسلوكاً في الطريق النقشبندي، ولازال الأخ الشيخ عبد الحفيظ ملتزماً بصحبة شيخنا الحالي الأستاذ الشيخ إسماعيل "عبد الخالق"، وبما يكلفه به من دروس ومواعظ في الزاوية النقشبندية وجامع العثمانية.

توفي الشيخ محمد أديب في حلب في أوائل شهر تموز ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، ودفن في مقبرة الشيخ يوسف القرلقي، وحضره شيخنا إسماعيل حفظه الله.

رحم الله أخانا أبا سليم، وأعلى درجته في علّيين.

العالم الخفي، والذاكر التقي

الشيخ نعمان حبوش الأريحاوي الإدلبي

(...-١٤١٨هـ) (...-١٩٩٨م)

نشأته: ولد هذا العالم الخفي، والذاكر التقي، والمحقق المدقق، والصوفي الذائق، والمحب الفاضل في مدينة أريحا ونشأ فيها، وكان والده مقيماً في إدلب يعمل مؤذناً في أحد جوامعها، فعاش في إدلب طفولته في حجر والده الصالح، وقرأ القرآن الكريم، وتعلم مبادئ القراءة والكتابة في إدلب، ثم التزم الشيخ العالم الفاضل مفتي إدلب سماحة الشيخ محمد طاهر آل الملا الكيالي الرفاعي، حيث كان يحضر أبوه معه إلى خدمة الشيخ والانتفاع به، فلازمه الشيخ نعمان، وأحبه وخدمه، وصار لا يفارقه، ويحضر له كتبه وحوائجه، وانتفع بصحبته كثيراً، ولما رأى الشيخ طاهر نبوغه وحبه للعلم وحرصه عليه، أرسله إلى حلب إلى المدرسة الخسروية لينتسب إليها، وكان مديرها آنذاك الشيخ راغب الطباخ، فلم يكتب له الانتساب إليها، ورجع إلى إدلب، وظل ملازماً للشيخ محمد طاهر حتى وفاته، ينهل من علومه ويقوم بخدمته.

دراسته للعلم: وتابع الشيخ نعمان حضوره على علماء إدلب، ولما انتقل إلى حلب، تفرغ للبحث والتدقيق في علوم الشريعة، وبالأخص منها الحديث الشريف، ولازم المجلس العلمي الذي كان يعقد في جامع النور بحلب والذي أسسه الأستاذ الفاضل **أحمد مهدي الخضر**، فداوم فيه على درس الموطأ بشرح الزرقاني.

ومع مدارسته للعلم، كان دأبه ونهمته البحث في بطون الكتب، وتحقيق المسائل العلمية، وتصنيف البحوث اللازمة والمهم منها، فألّف كتاباً جمع فيه **الأحاديث القدسية**، ولم يسبق إليه، ويحتوي على أكثر من ألف حديث قدسي، استخرجها من بطون الكتب

وأمهاتها وشرحها، وأرسل نسخة منه لمسند العصر الشيخ ياسين الفاداني، ونسخة للسيد محمد علوي المالكي (المكيّان) ولم يطبع بعد، وكان من همته العالية شراء الكتب واقتنائها، ولم يترك كتاباً في الحديث الشريف إلا قرأه ونَخَله وشرح غريبه وترجم رواته واعتنى به كثيراً.

وكان كلما ذهب إلى الحج - وكان شغوفاً به - يشتري من كتب الحديث كل جديد، وكان شاعراً مبدعاً، وله علم ومعرفة بأصول النغم، كما كان يحج كل عام ويلتقي بمشايخ الحرمين، فأجازوه بأَثباتهم، وعلى الأخص الشيخ ياسين الفاداني، والسيد علوي المالكي، والشيخ الغماري المغربي.

وقد أهداني رحمه الله جزءاً خرج فيه أحاديث (أنا مدينة العلم وعلي بابها) استخرج فيه كل الأحاديث الواردة في المسانيد والمعاجم والسنن وكتب الأحاديث، بروياته المختلفة حول هذا الموضوع فأجاد وأفاد، وجزءاً ضبط فيه أسماء أهل بدر الكرام، فاستقصى أسماءهم وعددهم وتحرى الدقة في جمعهم من أمهات الكتب الحديثية والتراجم، وله إسهامات أخرى في الحديث وفي الشعر وفي النغم.

صلته بالشيخ أبي النصر: لما كان المرشد الكبير الشيخ أبو النصر يزور إدلب متفقداً إخوانه وأحبابه، وكان والده من مريدي الشيخ، وكان يزورهم في بيتهم، وينـــزل عندهم أحياناً، فلذلك تعلق الولد نعمان بالشيخ منذ نعومة أظفاره، وأخذ عنه الورد النقشبندي وتلقن الطريق وبايعه، وواظب على حضور مجالسه حتى توفي.

وكان لا يفتأ يذكر الشيخ أبا النصر في مجالسه ولأحبابه ويذكر كراماته، ومما حدث به عن والده: أن الشيخ كان مرة في إدلب فأسَرَّ والده للشيخ أن يتغدى عنده، وكان قد هيأ قِدراً صغيرةً "طنجرة" فيها محشي، فأعلن الشيخ للجمع أن الغداء عند أبي نعمان، وكان الحاضرون بالمئات، ولما ارتبك أبو نعمان قال له الشيخ: أرني القِدر ولا ترفع عنه الغطاء، فقرأ الشيخ عليه وقال له: صبوا الطعام ولا ترفعوا الغطاء، فكفى الحاضرين وزاد.

ومما حكاه لي عنه الأخ الشيخ محمد عدنان الغشيم قال: كنا متلازمين، فسافرت معه

مرة إلى دمشق من أجل حضور معرض الكتب، فصلينا الصبح في المسجد الأموي، ثم ذهبنا إلى بيت الشيخ عمر الكيالي حفيد الشيخ طاهر، وذهب الشيخ عمر معنا إلى بيت الشيخ نايف العباس وهو من أهل العلم الأجلاء رحمه الله، فسأل الشيخ نايف الشيخ عمر لماذا جاؤوا من حلب فقال: من أجل شراء كتب من معرض الكتب، وبالأخص (دلائل النبوة) للبيهقي. فبكى الشيخ نايف وقال: أنتم أتيتم من حلب من أجل شراء كتاب ونحن هنا ولا نشتريه. ثم أمر ولده بشرائه لنا.

وفاته: قال الشيخ عدنان: خرجنا من درس جامع النور، وكانت في البلد موجة كريب "زكام"، فأصبت أنا وهو بها، لكنها ثقلت عليه فنقل إلى المستشفى، وأعطي حقن (إبر التهاب) أثرت على مناعته، فحركت عليه سرطان أمعائه، وكان قد عادني في البيت من مرضي، فشفيت وتوفي بعد عدة أيام، ودفن في حلب رحمه الله تعالى، وذلك بعام ١٤١٨هـ - ١٩٩٨ م.

كرامة للشيخ أبي النصر: وقد ذكرنا في بحث كرامات الشيخ أبي النصر، ما حدث به الشيخ نعمان من أن بعض أحباب الشيخ، ومعهم الشيخ نعمان، صلوا العشاء في إدلب وسمعوا بوجود الشيخ في سراقب وهي تبعد عن إدلب عشرين كيلاً - عشرين كيلو متراً - فذهبوا إليها سيراً على الأقدام، فوصلوها وقد خرج الشيخ من المسجد بعد قراءة الختم الشريف، فسألهم الشيخ أبو النصر قائلاً: متى خرجتم من إدلب يا نعمان ؟ فقال: صلينا العشاء وخرجنا. فبكى الشيخ أبو النصر رحمه الله تعالى.

قال الشيخ نعمان: ولم أدر وقتها لماذا يبكي، ثم فطنت بعد ذلك إلى أننا قد قطعنا مسافة ٢٠ كيلاً بزمن قراءة الشيخ الختم أو أقل، وهذا مما أكرمنا الله به بفضل شيخنا.

قلت: وهذه المدة، مدة قراءة الختم، لا تستغرق أكثر من نصف ساعة.

آثار الشيخ نعمان العلمية: وهذا الشيخ نعمان رحمه الله تعالى لم يعرف قدره في حياته لا أهله ولا معارفه؛ إلا القلة من الناس، وقد كان له إسهامات عظيمة في علم الحديث الشريف، وفهم ونهم في تحقيق مسائله، وقد ذكرت في أول ترجمته كما أخبرني

الأخ الشيخ عدنان الغشيم أنه جمع الأحاديث القدسية في كتاب، ولم يسبق إليه بهذا الكم، ويحتوي على ألف حديث قدسي، استخرجها وخرجها من بطون الكتب الحديثية وأمهاتها، واعتنى بها تخريجاً وتدقيقاً، وشرَح مفرداتها، ونرجو الله سبحانه أن ييسر طبعها بمعرفة أهل العلم المختصين.

وتعرف مدى دقته واطلاعه على الحديث وعلومه من خلال الجزئين الذين أهدانيهما، وقام بتصنيفهما وكتابتهما بخط يده وسأنقل بعض ما قاله ليعرف مدى علمه ودقته واطلاعه على الحديث الشريف وكتبه.

خاتمة: أقول: إن هذا العالم العصامي، والفاضل الشهم، الذي فاته التعلم في المدارس الرسمية، ولم يكتب له التفرغ للعلم بسبب انشغاله بكسب عيشه في وظيفة لا تليق بمقامه كعالم محقق، نهم إلى العلم، مفتش عن مظانه، جامع لكتبه، مطالع دارس فيه في حلقات المساجد، هذا العالم هو قدوة لمن أراد أن يتابع العلم ويشغل فيه وقته وينتج ويحقق وينفع نفسه وينفع الناس، وأرجو الله سبحانه أن يلهم أولاده الذين لم يسيروا على سيره، وإخوانه ومحبيه أن ينظروا في سيرة والدهم وما قدمه للعلم والأمة من نفع، وينظروا كيف يكون البحث والجد والدرس والتحصيل..

ومما يذكر أنه بتواضع العالم وأخلاق المؤمن كسب قلوب الأساتذة والإداريين والطلاب الذين كان معهم في المدرسة، يقوم على شؤونهم وخدمتهم، وتأمين راحتهم، وكان الأساتذة يكرمونه ويجلونه ويجلسون معه ويستمعون إلى أحاديثه، ويسألونه في معضلات المشكلات التي تحدث معهم، ويرون أنفسهم بجانبه تلاميذ له، رغم تباين وظيفته ووظيفتهم، فكسب قلوبهم، وفرض وجوده عليهم بعلمه وأخلاقه وتواضعه، رحمه الله وعوض الأمة عنه خيراً.

تراجم علماء الباب وتاذف

من مريدي الشيخ أبي النصر الحمصي النقشبندي

مع علماء الباب وتاذف

وها نحن نفتح صفحات تاريخ علماء فضلاء وأولياء صلحاء، من مدينتنا الباب وجارتها تاذف، كانوا أحباباً ومريدين وتلامذة ومحبين لمرشد العصر وفريد الدهر سيدي الشيخ محمد أبي النصر.

وقد حدثني أكثر من عالم وشافهني بترجمته أو ترجمة زميله، أن علماء الباب وتاذف إن لم يكونوا كلهم من مريدي الشيخ أبي النصر، فهم من محبيه وخلّص أصفيائه وأصدقائه، ولو كانوا من ملتزمي الطرق الأخرى، فإنهم ما كانت تفوتهم مجالس الشيخ إذا حضر، ولا يفوتهم السلام عليه والمثول بين يديه إذا فاتهم مجلس، أو غابوا عن محضر من محاضره ومجالسه.

وقد جهدت حسب الطاقة أن أجمع أخبارهم وأتتبع آثارهم، وقد رجعت إلى سجلات المدرسة الخسروية الذين تخرج معظمهم منها ونقلت أسماءهم، وسألت عنهم وعمن يعرفهم، ولابد أن يكون فاتني بعض منهم، وذلك نظراً لوفاة معظمهم منذ زمن غير قليل، فأستميح العذر من أهليهم ومحبيهم وذويهم إن قصرت، وآمل ممن يعرف عنهم شيئاً أن يوافيني مشافهة أو مراسلة حتى أستدرك ذلك فيما بعد.

كذلك إن كانت هناك بعض المعلومات التي جانبت الصواب – عن غير عمد مني – فأرجو ممن عنده الصواب أن يوافيني بما هو الحق والصواب لاستدراكه في طبعة لاحقة.

﴿أولاً: علماء الباب﴾

١- الشيخ محمد المسعود، المتوفى ١٣٨٢هـ -١٩٦٢م

٢- وابنه المفتي الشيخ محمد سعيد المسعود، المتوفى ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م

٣- وابنه الشيخ محمد علي المسعود، المتوفى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

٤- الشيخ مصطفى الحفني الدملخي، المتوفى ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م

٥- الشيخ مصطفى الغزال الحلبي البابي "أبو طاهر"، المتوفى ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م

٦- الشيخ محمد بدر الحسيني، المتوفى ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م

٧- الشيخ كامل بدر الحسيني، المتوفى ١٤٠٢هـ - ١٩٩٢م

٨- الشيخ محمد أديب العباس، المتوفى ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م

٩- الشيح حامد الشيخ موسى الحفني، المتوفى ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م

١٠- الشيخ عمر سعيد البوشي، المتوفى ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م

١١- الشيخ محمد رضا الأيوبي، المتوفى ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م

١٢- الشيخ بكري رجب، المتوفى ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

١٣- الشيخ أحمد حامد النعساني، المتوفى ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م

١٤- الشيخ حسن العاروني، المتوفى ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م

١٥- الشيخ عبود المصطاوي، المتوفى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م

١٦- الشيخ حسن الهاشم، المتوفى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

١٧- الشيخ حمام النعساني، المتوفى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

١٨- الشيخ عبد الوهاب سكر، المتوفى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

١٩- الشيخ مصطفى الزعيتر، المتوفى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

٢٠- الشيخ عبد الله زعيتر، المتوفى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

٢١- الشيخ عبد الله سليمان، المتوفى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م

٢٢- الشيخ عبد الله النعمة، المولود ١٣٣٧هـ - ١٩١٨م

الولي التقي، والمرشد الكامل، والصوفي الفاضل

الشيخ محمد المسعود "البابي الغزالي"

(١٢٨٦-١٣٨٢هـ) (١٨٦٩-١٩٦٢م)

نشأته ومحتده: هو العالم العلامة، الولي التقي، المرشد الكامل، والصوفي الفاضل، والعلم المشهور، المتمسك بالهدي النبوي والسمت المحمدي، من أجمع على فضله ونبله عارفوه ومعاصروه من الكبراء وأقرانه من العلماء، وأحبابه من الفضلاء، وكافة من عرفه من أهل بلده والغرباء، سليل الكرم والجود والفضل والمعروف: الشيخ محمد - المكنى بأبي السعود - ابن الشيخ مسعود بن محمد بن أحمد "أبي غرة"، البابي منشأً وموطناً - نسبة إلى بلدة الباب، محافظة حلب، سورية - الغزالي عشيرة وأرومة، النقشبندي مشرباً ومسلكاً "طريقة"، المنسوب إلى عشائر الحديدين في البلاد الشامية، المنتهي نسبه إلى سيدنا الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ، [1] فهو من خلّص عرب بلاد الشام.

---

[1] حقق هذا أخي الفاضل الشيخ محمود المسعود، وهو الآن يعد كتاباً يحقق فيه نسبنا إلى آل البيت الكرام رضي الله عنهم وشرفنا بهم. وهذا النسب كما يلي: الشيخ محمد بن مسعود بن محمد سرحان بن محمد أبي غرة بن غزال بن محمد الغنطوس بن حمد بن سيف بن عبد الله نجم الدين الدروبي بن السيد الإمام فاضل (دفين قرية الفاضلية في الموصل) بن السيد خير الدين فضل الله الحسيني بن السيد الشيخ محمد الحديدي (دفين وادي الثرثار) بن السيد علي رفيع الرتب بن السيد حسين بن السيد منصور بن السيد قاسم بن السيد أحمد بن السيد عبد الرحيم صميدع الأكبر بن السيد علي الأصغر (دفين بلدة سرمين في سورية) بن السيد الشيخ محمد شمس الدين عجان الحديد الحسيني (دفين بلدة حديثة في العراق) بن السيد حسين الأكبر بن السيد الشيخ ولي الله حديد (دفين بلدة الرمادي في العراق) بن السيد أحمد بن السيد صالح بن السيد محمد القطب الكبير بن السيد يحيى بن السيد محمد تاج العارفين أبو الوفاء الحسيني بن السيد أحمد بن السيد عبد الرحيم بن السيد نجم الدين الصالح بن السيد جعفر بن السيد حازم بن السيد كعب بن السيد صافح بن السيد يحيى المكي بن السيد المهدي المكي أبو رفاعة بن السيد محمد أبو القاسم بن السيد الحسن القاسم بن السيد أبي عبد الله الحسين المحدّث بن السيد أحمد الأكبر الصالح بن السيد موسى الثاني أبو سبحة بن السيد الإمام إبراهيم المرتضى ابن

شيوخه في الباب: ولد رحمه الله في منطقة الباب عام ١٢٨٦هـ، الموافق ١٨٦٩م، وتلقى علومه الأولى - بدءاً من تعلم القرآن الكريم - حضوراً مع والده وهو صغير على مجالس العلماء التي كان يقيمها علامة زمانه الشيخ محمد الطرابيشي، الحلبي أصلاً، البابي إقامة ووفاة، المترجَم له في الجزء السابع من أعلام النبلاء.

وكان والده الشيخ (مسعود الغزالي) من أهل الصلاح والتقوى وحب العلم والعلماء، لا يفارق مجالس الشيخ الطرابيشي، كما كان هذا الوالد (الشيخ مسعود) أحدوثة زمانه وأقرانه في الكرم والسخاء والصلاح والعبادة.

شيوخه في مصر: لازم الشيخ محمد دروس ومجالس العلم في مدينة الباب التي كان يقيمها - بعد الشيخ الطرابيشي - علاّمة زمانه الشيخ مصطفى أبو زلام، ثم توجه بعام ١٣١٥ هـ الموافق ١٨٩٧م إلى مصر وتلقى علومه في أزهرها الشريف.

وتخرج بعام ١٣١٨هـ والموافق ١٩٠٠ م على مشايخها ونال شهادة جامعتها الأزهرية، وكان من أبرز من تلقى عليهم علومها فيها: شيخ الأزهر الشيخ سليم البشري المالكي، والشيخ محمد بخيت المطيعي الحنفي مفتي الديار المصرية، والشيخ حسن السقا الشافعي خطيب الأزهر، والشيخ عبد الرحمن البحراوي الحنفي، والشيخ أحمد البسيوني الحنبلي الأزهري، والشيخ سليمان النجار المالكي، والشيخ محمد علي خلف الحسيني، وأقرانهم من علماء المذاهب الأربعة في الأزهر؛ وأجازه هؤلاء العلماء ووقعوا له بالإجازة في الشهادة الممنوحة من الجامع الأزهر، وعددهم ١٩ عالماً.

إجازته بالطريق النقشبندي: كما لازم خارج الجامع الأزهر مجالس ودروس العالم الرباني العارف المربي الشيخ محمد أمين الكردي الأربيلي النقشبندي - صاحب كتاب (تنوير القلوب) - وأجازه بالعلم والتدريس، وتربية الطلاب والسالكين عن طريق السادة

تابع الحاشية في الصفحة السابقة

= السيد الإمام موسى الكاظم بن السيد الإمام جعفر الصادق بن السيد الإمام محمد الباقر بن السيد الإمام علي زين العابدين بن السيد الإمام الحسين شهيد كربلاء بن السيد الإمام علي بن أبي طالب من السيدة فاطمة الزهراء، رضوان الله عليهم أجمعين.

الصوفية من مرشدي الطريقة النقشبندية.

وكان قبل ذهابه لمصر قد لازم دروس ومجالس العالم العارف والمرشد الكامل في الطريق النقشبندي الشيخ عبد القادر لبنية الحلبي أصلاً، الذي أقام في الباب سنتين بعد الشيخ الطرابيشي، ثم ارتحل إلى منبج وقضى آخر حياته فيها وتوفي هناك ودفن بجوار مقبرة الشيخ عقيل المنبجي رحمة الله عليه، وقد أخذ عنه الطريق النقشبندي قبل سفره إلى مصر.

مع الشيخ أبي النصر: ولما عاد الشيخ محمد المسعود إلى بلدة الباب، وقد حظي من العلوم والمعارف والكمالات بالحظ الوافر، ومن السلوك والتزكية بالنصيب الباهر، شرع في أداء حق العلم والعمل، بالتعليم والتزكية والتهذيب والتربية، حتى إذا وفد إلى المنطقة الشيخ المربي والمرشد الكامل الشيخ محمد أبو النصر خلف الحمصي النقشبندي، ابن المرشد الكامل الشيخ سليم خلف النقشبندي الحمصي، وأخذ بنشر العلم والتهذيب والتزكية والتربية في المنطقة على منهج السادة النقشبندية، والتقى بالشيخ محمد المسعود، فما كان من الأخير إلا أن سلم له زمام الإرشاد، وانضم تحت لوائه مريداً رشيداً، كما نص على ذلك السادة العارفون المربون من أهل الطريق، بأنه إذا تعاصر مرشدان بطريق واحد، فعلى أحدهما أن يسلم أمر الإرشاد للآخر، فكان المبادر بالتسليم الشيخ محمد المسعود، ودخل تحت ظل الشيخ أبي النصر، ودفن حظ نفسه في تربة الإخلاص محتسباً ذلك عند الله سبحانه راجياً القبول، فكان من أخلص الإخوان، وخُلّص العلماء الذين استعان بهم الشيخ أبو النصر في الدعوة إلى الله، ودلالة الخلق إلى الحق سبحانه.

ولقد كانت رسائله إلى الشيخ أبي النصر، ورسائل الشيخ أبي النصر إليه – والتي سنذكر بعضها بعد قليل – تترجم بجلاء ووضوح عمقَ الإخاء والمحبة والإخلاص بينهما.

مسلكه العلمي والتعليمي: وتابع الشيخ محمد المسعود منهجه في نشر العلم المحلّى بالعمل بواسطة الدروس التي كان يلقيها في مساجد البلدة، والمجالس الإيمانية التي كان يقيمها في المساجد والبيوت، وتشمل العلم والخلق والتربية الإيمانية والتزكية، كما كان يقيم حلقات العلم – في المدرسة المعبدية في الباب – لطلاب العلم الذين نهلوا من معينه، وكان من

أبرز العلماء الذين تخرجوا على مجالسه السادة: الشيخ عبد الله حماد التاذفي "الحلبي إقامة ووفاة"، والشيخ عبد الوهاب سكر " البابي- الحلبي إقامة ووفاة"، والشيخ بكري رجب "البابي- الحلبي إقامة ووفاة"، وكان هؤلاء من أساتذة المدرسة الخسروية والشعبانية بحلب، والشيخ سعيد درويش "البابي"، والشيخ محمد سعيد المسعود "مفتي الباب- ابنه"، والشيخ محمد علي المسعود "ابنه الثاني"، والشيخ حسن جسومة "البابي- المكي إقامة ووفاة"، والشيخ عبد الله زعيتر "البابي- الحلبي إقامة ووفاة"، وغيرهم ممن لازم الشيخ من أهالي الباب وتاذف وبزاعة ومنبج، وتخرجوا على مجالسه وتابعوا تحصيلهم أو اكتفوا بحضورهم على الشيخ.

كرمه وبعض شمائله: وكان بيته موئل الغرباء من المناطق المحيطة بالباب من القرى والمدن الأخرى، وداره دار ضيافة لكل طارق، واشتهر كأبيه بالكرم، فكان لا يأكل وحده، ولابد أن يكون الضيوف على مائدته التي يقدم فيها ما حضر، دون تكلف المفقود أو بخل بالموجود؛ فإن لم يجد ضيفاً خرج إلى الشارع ليدعو من يلقاه في الطريق، ممن يعرف أو لا يعرف؛ وبخاصة زمن الغلاء والحروب العالمية التي مرت على الناس.

واتخذ من أسباب الرزق تجارةَ أخشاب الحور التي تتخذ سقوفاً للبيوت،كما كانت عنده كروم العنب والتين والزيتون، التي كان يقصدها الفقراء لأخذ حاجاتهم منها دون مقابل.

وكان من **شأنه الغريب في بيع الأخشاب** أنه إذا أراد أحد أن يشتري منه إلى أجل كان يبيعه بأنقص مما يشتري بالنقد، رحمةً به، لأنه لا يجد القيمة، وكان من شأنه أيضاً إذا احتاج أحد لعشرين عمودٍ مثلاً وعرف الشيخ أن بيته يحتاج لخمس وعشرين فإنه كان يعطيه الخمسة مجاناً، هبةً لوجه الله.

وكان شديد التمسك بالسنة النبوية حريصاً على التخلق بها، جاداً في تتبع سيرة النبيِّ ﷺ والاقتداء به، حتى إنك ما تقرأ في شمائل المصطفى ﷺ خصلة من خصاله إلا وجدت عنده اتباعاً لها وتمسكاً بها.

وكان باراً بوالديه في حال حياتهما وبعد وفاتهما، فما يمر يوم دون أن يزور قبرهما ويترحم عليهما ويدعو لهما، كما كان يبر أصدقاءهما ويهدي لهم، وكان في عبادته وصلاته

لا يجارى، فما يمر يوم عليه دون قيام الليل والصلاة في الأسحار، ولا يبقى ساعة دون وضوء أو طهارة، ولو اضطره ذلك لأن يتوضأ عدة مرات في شدة البرد أو المرض.

وكانت حياته رحمه الله من أولها إلى آخرها كلها طاعة لله، ورحمة للخلق من عباد الله، وكان يتمثل فعلاً وقولاً بحديث رسول الله ﷺ: (الخلق عيال الله، وأحبهم لله أنفعهم لعياله)؛ لذا كان همه نفع عباد الله وإصلاح أمر دينهم، بدءاً من عياله الأدنين إلى بقية الأهل والجيران والأقرباء وأهل البلد ثم كافة الناس.

وكان يخلّق أولاده وأحفاده ومن في بيته وتحت رعايته بالخلق المحمدي، مع المتابعة الجادة في رعاية الولد والأهل في تحصيل الأدب والخلق.

كما كان يتفقد الجيران وأهل الحاجة والفقر، والأرامل والأيتام، ويوصل الطعام والمؤونة إلى بيوتهم بنفسه أو بواسطة أولاده وإخوانه.

وكان الناس يعتقدون أن في طعامه الشفاء من المرض، فكانوا يقصدونه للأكل من طعامه بهذه النية ويكرمهم الله سبحانه بالشفاء.

وكان **سمته وهيئته** سمت وقار وهيبة، وسلوكه بين الناس بخلق التواضع والبذل والإيثار، وما كان يقوم ويقعد إلا على ذكر الله أو طاعة أو عبادة، من صلاة وقراءة قرآن أو قراءة علم أو تعليم، مع المحافظة على صلوات النفل، وصيام التطوع، والصدقات السرية والعلنية، وقد رزق ولدان وبنتاً، أما الولدان فهما: الشيخ محمد سعيد المسعود مفتي الباب السابق، والشيخ محمد علي المسعود.

رسائله إلى الشيخ أبي النصر ورسائل الشيخ إليه: كان الشيخ محمد المسعود رحمه الله من كبار المحبين والصادقين مع شيخه أبي النصر، وقد كان هذا من أول قدم له في الطريق، وبخاصة بعد أن عاد من الأزهر الشريف، وكانت أنظار شيخه الشيخ محمد أمين الكردي عليه في مصر وبعد أن عاد إلى الباب، وكان أرسل إليه الإذن بالإرشاد والتوجه للإخوان على قواعد الطريقة النقشبندية، ولكنه لما التقى الشيخ أبا النصر مرشداً ومربياً داعياً إلى الله سبحانه في هذه البقاع؛ آثر أن يكون لديه مريداً وتلميذاً بدل أن يكون معه شيخاً مرشداً،

كيف وهما من نفس الطريق وذات المشرب "الخالدي النقشبندي" كما ذكرت آنفاً ؟!

وتبين رسائله صدق هذا الحال وكمال هذا الصدق، وكان سيدي الشيخ عبد الباسط ابن الشيخ أبي النصر قدس سره قد أعطاني هذه الرسائل – ما يتعلق بها بعمي الشيخ محمد سعيد وجدي الشيخ محمد المسعود – وبلغت هذه الرسائل حوالي عشرين رسالة.

والغرض من ذكرها وذكر مضمونها، بيان شدة تعلق هذا العالم العامل بشيخه، ومشاورته له في صغير أموره وكبيرها، وعرضه عليه جميع أحواله، حتى يكون تحت عنايته ورعايته، وبالتالي أن يكون من أهل النظر والتوجه من أهل الله وخاصته.

الأولى: مؤرخة في ٢٣ شوال ١٣٤٢هـ – ١٩٢٣م.

الثانية: مؤرخة في ٢ ذي القعدة ١٣٤٢/١٩٢٣م: وديباجتها "مقدمتها" هكذا: (سيدي وأستاذي وعمدتي وملاذي، غرة هذا العصر السيد الشيخ محمد أبو النصر، لا زال ملجأً لأمثالنا ومحفوفاً بعناية سيد أهل الفخر، آمين يا معين). ويحيي فيها الشيخ محمد أبي النصر، كما يرسل تحيات الشيخ عيسى البيانوني والشيخ عثمان المارعي.

الثالثة: مؤرخة ١٦ ذي القعدة ١٣٤٣ – ١٩٢٤م، ويتبين فيها منهج الشيخ محمد المسعود العلمي والعملي:

(مبسملاً محمدلاً، مصلياً ومسلماً، راجياً ومتأملاً دوام النوال في الدارين.

سيدي وأستاذي وقرة عيني، وملاذي من عِداي وحسادي، ويوم أسأل في معادي، مربي المريدين ومرشد السالكين، غرة الدهر وسراج هذا العصر، وسيدي ومولاي السيد الشيخ محمد أبو النصر، لا زال محفوفاً بعناية سيد أهل الفخر، آمين يا معين.

أما بعد: فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، سيدي نسل الأماجد الكرام، والسادة الفخام، إني عبيد متطفل على الأعتاب راجي القبول مع الثواب، بجي لحبيبكم وحبيبي عريض الجناب، غير أني وإن لم أكن أهلاً فسعادتكم أهل للمتطفلين، وملجأ للقاصدين، وإني واضع ثقل أحمالي على بابكم، ملتجئ بكليتي إلى رحابكم، أرجو القبول مع تقصيري وقصوري، فلا زلتم منهلاً للواردين وملجأ للقاصدين، بجاه سيد الأولين والآخرين، عليه

وعليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم، آمين يا معين، والحمد لله رب العالمين.

ثم إني بين المغرب والعشاء أطالع مع بعض الإخوان الأزهرية "في النحو"، وبعد العشاء حديثاً أو أكثر من الجامع الصغير، ونلحق الختم المبارك، وصباحاً بعده نطالع مراقي الفلاح في الفقه على مذهب سيدنا أبي حنيفة ﷺ، وبعد العصر الدرس العام، فلا زالت أنظاركم علينا، ولا زلنا مسعدين ببركات حبكم وحب أحبابكم، أدامها الله علينا وعلى أحبابنا وإخواننا جميع، بجاه الشفيع ﷺ، خصوصاً جناب الشيخ محمد أفندي نجل الحاج سليم أفندي مدير الختم، والحاج محمد أبو سليمان "قباط الشهابي"، والشيخ مصطفى أبو طاهر، والشيخ رشيد التاذفي، والشيخ جميل البزاعي، وجميع إخوانهم من الباب وأهل تاذف وأهل بزاعة، وكل محب ومشتاق تفصيلاً وإجمالاً، والله الهادي إلى سبيل الرشاد.

والسلام على مسك الختام، وآله وصحبه الكرام، ومن نحا نحوهم إلى يوم الزحام، آمين يا معين، والحمد لله رب العالمين.

مقبل الأعتاب خويدم نعالكم يرجو القبول مع نداكم والسعود: محمد الشيخ مسعود عفي عنه

وقد ذيل هذه الرسالة بحاشيتين، الأولى يذكر فيها سلام بعض الإخوان ممن لم يذكر أعلاه. والثانية يقول فيها: ومني ومنهم السلام لجميع أهل حمص الكبار والصغار، خصوصاً جناب الأخ العزيز أبو عبد الله الناشد، والحاج عبد الحميد، والشاب النجيب الحاج عبد الجليل، ومن يلوذ بهم، خصوصاً من يلوذ بجناب سعادة الأستاذ من الأنجال والأحباب، جزاهم الباري عنا خير الجزاء.

ثم يا ولدي الحاج عبد الجليل (المراد) إذا أمكن بعد تقبيل أيادي الأستاذ تسأله عن الأحاديث الواردة في فضائل حمص، وتشرفنا بها جزاه وجزاكم الباري عنا خير الجزاء، ونسأل الباري أن يتكرم علينا وعلى المحبين بخير الدارين، ويحمينا من جميع الآفات، بجاه سيد السادات عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأزكى التحيات.

الرابعة: مؤرخة ٧ ذي الحجة ١٣٤٤-١٩٢٥م.

الخامسة: مؤرخة ٢٩ ذي الحجة ١٣٤٥-١٩٢٦م.

السادسة: مؤرخة ٢٧ رجب ١٣٤٦-١٩٢٧م.

السابعة: مؤرخة ١٥ شعبان ١٣٤٦-١٩٢٧م.

الثامنة: مؤرخة ١٣٤٦/١٩٢٧م، بعد الديباجة المعهودة قال: (وقد تشرفنا بكتابكم المنبئ عن صحة وصولكم الأوطان بخير وسرور سالمين من الأكدار، فنسأل المولى أن يديم علينا نعمتكم ومحبتكم، ومن طرفنا جميع الأحباب يقبلون الأيادي، خصوصاً شيخنا مصطفى أفندي "أبو زلام"، والشيخ عبد القادر الطرابيشي، وأبو عبدو الزالق، والشيخ محمد أفندي "الصندوق أميني" مدير الختم"، والشيخ مصطفى أبو طاهر، والحاج محمد أبو سليمان، والشيخ سعيد الحاج محمود السعيد "درويش"، والحمد لله الآن يحث الناس على الطريق بحسب توجهاتكم، والشيخ صادق "الغزال"، ومحمد أديب "العباس"، وحسني الحاج عبد الله، والشيخ مرعي، وعبد الله السلال، ومخاديمكم محمد سعيد ومحمد علي المسعود أسعدهم الرب المعبود، يقبلون الأيادي والأقدام، ويرجون دوام ملاحظتكم، وأن تكون أنظاركم عليهم بسعادة الدارين.

مقبل الأيادي والأعتاب خويدمكم المقر بالعجز والتقصير: محمد الشيخ مسعود عفي عنه

التاسعة: ٢٦ شعبان ١٣٤٧-١٩٢٨م.

العاشرة: ٢٥ شوال ١٣٤٨-١٩٢٩م.

الحادية عشرة: ٢١ رجب ١٣٤٨-١٩٢٩م.

الثانية عشرة: ٢٩ رمضان ١٣٤٨-١٩٢٩م.

الثالثة عشرة: ١٣٤٩-١٩٣٠م. ويستشيره في زواج ابنه محمد سعيد (ولا يريد إلا من الجماعة أخوالنا فما تشيرون على الداعي ؟)، و (لعل المولى الكريم يسعدنا ويسعفنا بمشاهدتكم وقدومكم في الربيع مع الأحباب، ويكون التسهيل والتيسير في جميع الأمور).

الرابعة عشرة: ٢٢ رمضان ١٣٤٩-١٩٣٠م.

الخامسة عشرة: ٧ ربيع الثاني ١٣٤٩- ١٩٣٠م. من أجل ابنه (محمد علي وقد طلب مني أن يكون في المدرسة الخسروية وتكون أنظاركم عليه، مع التوصية به من حضرات المشايخ

وجناب المدير، على الخصوص أخانا الشيخ عيسى أفندي والشيخ أسعد أفندي "العبه جي" وجناب الشيخ مصطفى أفندي المدير...). **مقبل الأعتاب خادمكم: محمد الشيخ مسعود.**

السادسة عشرة: ٤ ذي الحجة ١٣٥١-١٩٣٢.

السابعة عشرة: ١١ ذي الحجة ١٣٥٣-١٩٣٤م. وهذه الرسالة كلها تحيات وسلامات من الشيخ وولديه محمد سعيد ومحمد علي، ومولودهم الجديد ابن محمد سعيد: محمد، ومباركة بالعيد السعيد.

الثامنة عشرة: ١٧ جمادى الأولى ١٣٥٦/١٩٣٧م. وهي تحيات وسلامات من أهل الباب وأهل شويحه جميعهم.

التاسعة عشرة: ٦ ذي الحجة ١٣٥٧-١٩٣٨م. يخبر الشيخ فيها بأنه يقرأ للإخوان، بعد الختم في مدرسة المعبدية، في ليالي الأسبوع ما عدا الجمعة حصةً من تنوير القلوب، وحصة من الإحياء، والذين يحضرون من الإخوان لا غير، وهم يقبلون أياديكم الكريمة ويرجون الدعوات، وهم: الحاج حسين الحاج قدور "الشهابي"، والشيخ محمد أديب العباس، والشيخ حسني "الحاج عبد الله"، والشيخ صبحي الرينة وأخوه إبراهيم، ومصطفى بن عبد الله الرينه، وحاج أحمد بن حاج محمود الفرواتي ووالده الحاج محمود، ويحيى بن محمد الحاج خليل العابو، وحسن العثمان، وعبد السلام بن سعيد الأبوشريف، والشيخ خلوف "الصباغ"؛ هؤلاء الأغلب لهم المواظبة، والباقي يجيئون إلى الدرس على التيسير، وخدامكم محمد سعيد ومحمد علي مواظبون على دروسهم حسب الاستطاعة، يقبلون الأيادي الكرام ويرجون الدعاء بالتوفيق والخير.

العشرون: دون تاريخ. يرجو قبول (هديتنا التي هي من بعض إحساناتكم علينا، ولكم الفضل سيدي)، ومختومة بالسلام كالمعتاد: **المحب الداعي خادمكم: محمد الشيخ مسعود.**

رسائل الشيخ أبي النصر إليه: ولم يتيسر لنا من هذه الرسائل الكثيرة، التي ترد من الشيخ رحمه الله ونور ضريحه إلى أخيه ومريده الشيخ محمد المسعود، إلا بعض رسائل بلغت أربعاً، وهي هذه نثبتها بنصها لما فيها من آداب ووصايا وتحيات مباركة إلى الشيخ

محمد المسعود وإخوانه رحمهم الله تعالى أجمعين:

الأولى: مؤرخة ٩ جمادى الأولى ١٣٤٠-١٩٢١: (مبسملاً محمدلاً مصلياً مسلماً، جناب الأخ المحترم الشيخ محمد المسعود أدام الباري توفيقه وجعل الإحسان رفيقه، آمين.

بعد السلام عليكم ورحمته تعالى وبركاته، لم تساعدنا الأقدار في الزيارة بسبب الشتاء، فالمرجو قبول المعذرة، وحيث إن طريقتنا يعتبر فيها القرب المعنوي القلبي فتباعد الأجسام غير مضر، وضميركم الطاهر أعرف بمكانتكم في قلوبنا.

بلغوا سلامنا إلى أنجالكم وأهليكم وكافة من يلوذ بكم، ثم إلى إخوتنا المحترمين الشيخ محمد أفندي أمين الصندوق، والشيخ أبو الفتوح، والشيخ محمد علي الزين، والشيخ بدر أفندي، وأحمد أفندي الطرابلسي الحسني، وإلى الأخ أبو سليمان وأبو طاهر، وإلى كافة المحبين كل على حسب اشتغاله بالذكر، مع طلب الدعاء من الجميع. كما من طرفنا أخوكم عيسى البيانوني والشيخ عثمان وكافة إخواننا الحلبية يهدونكم السلام، وكذلك رفقاؤنا أبو عبد الله الناشد وولدنا عبد الرحيم يقبلون أيديكم راجين الدعوات، وفي الختام لكم منا أكمل السلام.

حاشية: مضيفنا في السفيرة أخونا الحاج أحمد العلي صاحبنا إلى حلب أيضاً يسلم عليكم كثيراً. **الفقير إليه تعالى: محمد أبو النصر خلف**

الرسالة الثانية: مؤرخة ٢٢ رجب ١٣٤٥ / ١٩٢٦م. **وهي تظهر منهج الشيخ أبي النصر في الدعوة إلى الله، وتبين مبادىء الطريق النقشبندي.**

باسمه سبحانه وله الحمد جل شأنه

لجناب حضرة الأخ المحترم الحاج محمد المسعود أسعده مولاه برضاه آمين، بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. سيدي:

تلقينا كتابكم المشعر بدوام سلامتكم وسلامة عائلتكم والأحباب، فشكراً له تعالى على هذه النعمة التي نرجو الحق تعالى دوامها، وسررنا بوفاء ديونكم التي كانت فللّه الحمد والمنة على دوام نواله ووافر كرمه، وفهمت ما حواه وتضمنه من عزمكم على زيارتنا برفقة

عيالكم، وعزمكم على زواج المحروس محمد سعيد الذي أرجو له دوام التوفيق وتسهيل كل ما تحبون وتشتهون من أمر المهر وخلافه، وتيسير كل عسير، لأن هذه القضيّة ما يوجب مسراتنا، خصوصاً لما اتصفتْ به الزوجة من الخصال الحميدة حسبما ذكرتم.

أما تشريفكم لربوعنا، فيعلم الله أنه لا يسرنا شيء مثل رؤية الأحباب، خصوصاً منهم المخلصين أمثال جنابكم، حتى يوم حضور أبو طاهر ورفقائه حصل لنا تمام الأنس والمسرة، وفي غالب الأوقات كنا بذكركم، فقط يهمنا خسارتكم، ويعز علينا زحمتكم، وعلى ما في القلوب المعوّل، واجتماع القلوب دائم إن شاء الله تعالى.

وأما عزمكم مع العيال على الحجاز إذا تيسر لكم بدل؛ فأي قربة أحب من هذه، سيما إذا اقترنت بزيارة الحبيب الأعظم ﷺ، لكن بما أنكم ولله الحمد قضيتم فريضتكم، وبنيتكم المباشرة بزواج المحروس، فعسى أن يكون لكم بملاحظة أعمالكم بهذه البرهة من الأجر والثواب ما يعادل ذلك إن شاء الله تعالى، لما في الزواج من النتائج الميمونة والفوائد المحمودة والأعمال بالنيات، اللهم إلا إذا حصل باليد من البدل ما تؤمنون راحتكم وتصونون كرامتكم من الأسفار، ويساعدكم على مصروف عيالكم التي تذهب معكم، وبكل فالله سبحانه وتعالى يلهمكم ما فيه خير الدارين بمنه وكرمه، ويختار لكم ما فيه رضاه، ومسرتنا بما يسركم.

فهمنا ما يصدر من الشيخ (...) من الاعتراض، فالله سبحانه وتعالى يهدينا وإياه سواء السبيل، ولا يخفى حضرتكم أن الاعتراضات ما خلا منها وقت من الأوقات على السادة الصوفية، ولله في ذلك شؤون، ولهم برسول الله ﷺ أسوة حسنة، ولنا بهم تسلية وموعظة.

نعم، نحن الذين علينا الثبات على كل ما لا يخالف الكتاب والسنة من أعمال طريقتنا العلية، التي امتازت ولله الحمد عن غيرها من الطرق بموافقة جميع ما اشتملت عليه للكتاب والسنة، من أحدث فيها ما ينكره الشرع فهو مردود عليه، كما قال ﷺ: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)، ونخشى أن يكون - لا سمح الله - بطرفكم شيء من التفريط الذي بسببه ينفتح باب الاعتراض غالباً، فرجائي منكم ملاحظة ذلك، وعلينا

وإياكم بتقوى الله في السر والعلن، وعدم الركون لشُبه المعترضين وحججهم القاصرة، التي أقل ما فيها – لو تأمل ذلك المسكين بحقيقة كلامه – لرآه موجهاً لصاحب الشرع المطهر.

ألم يعلم أنه ﷺ استخدم أنساً ؟ فلو كان كما يقول كل من اجتمع بأمرد يؤول أمره إلى كذا، إذا كانت فيه الشهوة، ومعلوم أنه ﷺ استخدم أنساً واجتمع به، وفيه عليه الصلاة والسلام شهوة كما ذكر، فما تكون النتيجة ؟ وهذا شيء يطول شرحه.

فنسأله تعالى الثبات في أقوالنا وأفعالنا، وحفظنا من عثرات اللسان، على أننا لا نسيء الظن بمن نحن بصدده، ونتمنى له التوفيق والرجوع لأقوم الطريق، وألا يكون عرضة لغيرة الحق تعالى على أحبابه كما جرت عادته سبحانه، وأرغب ألا يرد عليه أحد، ولا يعارضه، واتركوا أمره إلى الله، فالله يكفيكم أذاه وحده.

سلامي للجميع، خصوصاً لأستاذنا الشيخ مصطفى أفندي "أبو زلام"، وللإخوان الأفاضل الشيخ محمد أفندي "أمين الصندوق"، والشيخ محمد علي أفندي "الزين"، والشيخ بدر أفندي، والإمام في المسجد الكبير "الشيخ محمد أبو الفتوح"، وأبو طاهر وأبو سليمان ومصطفى حسكير وعيالكم وأنجالكم فرداً فرداً، ومن طرفنا محبّكم عبد الجليل مراد يهديكم أزكى تحياته، ولمن ذكر أولاً، وكذلك أولادنا وأحبابنا كلهم يسلمون عليكم وأدام المولى لقاءكم، آمين. **كاتبه: محمد أبو النصر خلف**

الرسالة الثالثة: مؤرخة ٢ صفر الخير ١٣٥٠-١٩٣١م. وهي تحيات وسلامات للشيخ والإخوان.

الرسالة الرابعة: مؤرخة ٢٥ شوال ١٣٥٠-١٩٣١ وهي هذه، وفيها يجيب الشيخ على سؤاله عن ذهابه إلى الحج، ثم يرسل السلامات. قال:

وسلموا لنا على ولديك محمد سعيد وأخيه عاملهما الله بجوده وكرمه، وجعلهما الله سبحانه من أهل طاعته، وعلى والدهما وخالتهما وشقيقتهما ومن يسأل عنا من أهل الباب، خصوصاً الشيخ مصطفى "أبو زلام" ومحمد علي الزين، وأبو البقاء، ومحمد أفندي "الصندوق أميني"، وأبو سليمان، وأبو طاهر، وخلوف، والشيخ محمد ديب، والشيخ

مرعي، والشيخ عبد الوهاب سكر، وعلى الحاج محمد الخطيب وأخيه، وعلى حُسني، وكل من يسأل عنا بطرفكم، وعلى كل محب صادق، وعلى أهل شويحا خصوصاً عبد الوهاب وعبد الرزاق وأخيه، وعلى شيخو، وعلى الشيخ موسى، وعلى أهالي شدار خصوصاً محمد علي "الخراجي"، وعلى الشيخ حسن الحفني، وعلى أم عبد الرزاق، وعلى الشيخ مصطفى الحفني، وعلى هاجر وولدها "محمود" نسأل المولى أن يشفيه ويعافيه، وعلى زوجة محمد سعيد، وعلى من يسأل عنا بطرفكم.

ومن طرفنا خدامكم محمد كلال وعبد الرحيم وإخوته يقبلون أياديكم، ومن طرفنا الشيخ راغب، والشيخ عبد الجليل، والحاج محمد، وأبو حسن الناشد، والشيخ سعيد الجابي وباقي الإخوان يلتمسون صالح دعاكم ورضاكم، والصلاة والسلام على مسك الختام، والسلام ختام. **الفقير إليه تعالى: محمد أبو النصر خلف**

وفاته وما قيل فيه: ولما توفي الشيخ محمد المسعود تولى غسله ثلة من الصالحين من إخوانه، فانكشف المئزر الذي كان يغطي عورته، فحدث ذلك الأمر الغريب الخارق الذي تحدث به هؤلاء وتواتر عمن رآه، وهو أنه مد يده على المئزر وغطى فخذه، فكبر الناس وهللوا لهذه الحادثة الغريبة والإكرام الإلهي له بعد موته.

وقد سمعت هذه القصة من والدي كثيراً، حيث رواها له من قام بتغسيله، وهم من الأحباب الصادقين وفيهم الشيخ حسني العبد الله، والشيخ حسن الديب، وحاج مصطفى الحمدو الصالح.

وظل زواره يشمون من قبره رائحة مسكية كالتي توجد وتشم عند الكعبة المشرفة فترات طويلة، وأنا أحدهم.

توفي رحمه الله يوم الأحد الثاني عشر من جمادى الآخرة ١٣٨٢ هجرية، الموافق ٢ تموز ١٩٦٢، ودفن في الباب في المقبرة التي في سفح جبل عقيل.

وكان يوم وفاته يوماً مشهوداً، شهده أفاضل علماء وقته من حلب وحماة وحمص ومنبج وإعزاز وغيرها. وألقى فيه أفاضل العلماء كلمات التأبين في الجامع الكبير في الباب.

كما كتب الأستاذ الداعية حسن عبد الحميد، وكتب حفيده محمد زكريا المسعود عن سيرته في جريدة (آخر دقيقة) الحلبية - في عددها الصادر تاريخ ٧ أيلول ١٩٦٢م - كلمات عنه وعن حياته المباركة.

رحمه الله رحمة واسعة، وبارك في ذريته وأولاده ومحبيه.

وقد فصلت ترجمته رحمه الله في كتاب (الربانيون الثلاثة: الشيخ محمد علي المسعود وأبوه وأخوه)، كما ذكرت له ترجمة واسعة في كتاب تاريخ الباب أيضاً، ومنهما اقتبسنا هذه الترجمة له ولولديه العالمين الشيخ محمد سعيد والشيخ محمد علي، رحمهم الله جميعاً ونوّر ضرائحهم.

العالم المحبّ، والفقيه الأصولي

الشيخ محمد سعيد المسعود "مفتي الباب السابق"

(١٣٢٥-١٣٨٦هـ) (١٩٠٧-١٩٧٦م)

العالم العلامة، والفقيه الأصولي، والداعية إلى الله، الباذل علمه وجهده وجاهه وماله في سبيل الله، الرباني الحليم والعالم المتواضع، الشيخ محمد سعيد المسعود بن الشيخ محمد المسعود؛ مفتي مدينة الباب حتى تاريخ وفاته بنهاية ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م.

ولد رحمه الله وطيب ثراه بعام ١٩٠٧م الموافق ١٣٢٥هـ، في مدينة الباب في بيت علم وكرم، وحلم وصلاح، من والد كريم ينتهي نسبه إلى سيدنا الحسين ﷺ؛ وأم صالحة فاضلة [1].

تعليمه الأولي: تلقى مبادئ العلم من قراءة وكتابة - بعدما رضع فضائل الأخلاق والآداب من أبويه ودرج عليها - على يد زميل والده في الأزهر، الشيخ الفاضل أحمد أبي البقاء في المدرسة الشهابية في الباب؛ فأتقن تلاوة القرآن وتجويده، ثم دخل المدرسة الابتدائية الوحيدة في البلدة آنذاك، ودرس فيها علومها التي كانت تدرّس في تلك المدارس، كالقراءة والكتابة والحساب والعلوم الدينية والجغرافية واللغة الإفرنسية، وتخرج منها الأول على زملائه وكتب له فيها: (الترفيع: درجة عليّ الأعلى).

وكان من أساتذته فيها: مدير المدرسة الابتدائية الشيخ إسماعيل زهدي الخطيب "الحلبي"، ووقع له عليها من علماء الباب: الشيخ محمد حاج بكور، والشيخ محمد المسعود، والمفتي الشيخ أحمد النعساني، والقاضي عمر بهجت، كما وقعها رئيس المعارف في الباب قائم مقام الباب، وهذه الوظيفة هي وظيفة مدير المنطقة الآن.

---

[1] راجع سلسلة النسب في ترجمة والده آنفاً.

وكان هذا التخرج بـ ٢٢ محرم ١٣٤٢هـ، الموافق ١٩٢٣/٧/١٠م، وكان أثناء دراسته الابتدائية الرسمية يحضر حلقات العلم التي كانت البلدة عامرة بها في المساجد والمدارس الشرعية الموجودة في مدينة الباب، لأن نبوغه كان يسبق سنّه.

تعليمه الشرعي وشيوخه في الباب: وبدأ تعليمه الشرعي بعد الابتدائي على يد والده العالم الفاضل الشيخ محمد المسعود، حيث كان يدرّس الطلاب والعامة في المدرسة "المعبدية" وغيرها، وعلى يد العالم الفاضل الشيخ سعيد الغانم الذي كان يدرس فيها أيضاً.

واستفاد جيداً من دروس علاّمة زمانه، عالم الباب الشيخ مصطفى أبي زلام في المدرسة "الحسبية"، والشيخ محمد البكور "أبو الفتوح" رفيق والده في الأزهر.

وحصّل على مفتي البلدة الشيخ أحمد بهجت النعساني - علامة وقته وحبر زمانه - علوم الأصول والعقائد، ولازم في تاذف عالمها العلامة "قاضي اسكندرون" الشيخ محمد علي النجار المدراتي، فاستفاد منه.

في الخسروية بحلب: ولما أتقن مبادئ العلوم الإسلامية أصولاً وفقهاً وتفسيراً وعقائد ولغة وأدباً على يد هؤلاء الأساتذة، أهّله تحصيله لأن ينتسب إلى الصفوف العليا في المدرسة الخسروية، التي كانت أسست بحلب عام ١٣٤٠ الموافق ١٩٢١م، فانتسب إليها عام ١٣٤٧-١٩٢٨، ودرس فيها الصفين النهائيين الخامسِ والسادسِ وتخرج منها بعام ١٣٤٨-١٩٢٩، بدرجة ممتازة عالية وحصل على شهادتها وكتب له فيها: (الدرجة: أولى - العلامات: نابغ - الامتياز: واحد).

شيوخه فيها: وكان من شيوخه في الخسروية العلماء الذين ذكرناهم في أول الجزء، وزملاؤه الخريجون معه الذين ذكرناهم في القافلة الرابعة.

صلته بالشيخ أبي النصر: وفي الباب كانت قد تفتحت عيون الشيخ محمد سعيد وأخيه الشيخ محمد علي - في حجر والدهما - على محيّا العالم الفاضل والمرشد الكامل الشيخ محمد أبي النصر خلف الحمصي النقشبندي، الذي كان والدهما يقوم بين يديه محباً ومريداً، وأخاً شفوقاً ناصحاً؛ فلقنهما الشيخ أبو النصر الذكر وأجازهما بالطريق

النقشبندي، فتعلق "المترجَم له" وأخوه وأبوه بالشيخ المرشد أبي النصر، وأحبه الولدان مع أبيهما، وظل الجميع أوفياء له حتى وفاتهم، وأولادهم من بعدهم.

أول شعره في مدح شيخه أبي النصر: وكانت رسائل الوالد الشيخ محمد المسعود والابن محمد سعيد تفيض بينابيع الحب لذلك الشيخ الكبير، ولعل أول ما فاضت قريحة الشيخ محمد سعيد الشعرية بتشطير أبيات أهداها والده لشيخه، وذلك بتاريخ ٢٩ ذي الحجة ١٣٤٥-١٩٢٦، وكان عمره آنذاك ١٩ عاماً قال:

(تحيا بكم كل أرض تنزلون بها) لأن فيضكمو كالمزن درّار
فتنبتون بها روح الحياة لها (كأنكم في بقاع الأرض أمطار)
(وتشتهي العين فيكم منظراً حسناً) لأن فيكم تفوق الشهب أقطار
وجوهكم روضة حسنا ومبهجة (كأنكم في عيون الناس أزهار)
(ونوركم يهتدي الساري برؤيته) فلا يدانيه نبراس ولا نار
وظلمة القلب يجليها توجهكم (كأنكم في ظلام الليل أقمار)
(لا أوحش الله ربعاً من زيارتكم) و لا خلت منكمو يوماً لنا دار
بالله عطفاً على قلب فني بكم (يا من لهم في الحشا والقلب تذكار)

وهي أربعة أبيات أكملها تشطيراً حتى صارت ثمانية، وكان هذا قبل التحاقه بالمدرسة الخسروية.

العود إلى الباب معلماً: وبعد التخرج المشرّف من المدرسة الخسروية بحلب ونيل شهادتها بامتياز ونبوغ، عاد إلى بلده ليبث العلم وينشر الفضيلة والأخلاق المحمدية.

وصار يعلم من هو دونه في السن في مدارسها الشرعية، وكانت ثلاثاً آنذاك: "الحسبية، والمعبدية، والشهابية"؛ كما كان يتابع تلقي العلم على مشايخها الفضلاء، خصوصاً الشيخ مصطفى أبو زلام، والشيخ المفتي أحمد النعساني، والشيخ محمد علي مدراتي التاذفي، وكان قد درس على هؤلاء الأفاضل قبل التحاقه بالمدرسة الخسروية.

كما تعلم مهنة النجارة على يد معلمه الأستاذ الفاضل الشيخ أحمد الحامد النعساني هو وأخوه الشيخ محمد علي، وتلقى عليه أيضاً قبل الخسروية مبادئ العلوم الشرعية.

في المدرسة المعبدية: واتخذ المدرسة المعبدية مقراً له تفرغ فيها لنشر العلم وبذله للطالبين - وكان الشيخ أبو زلام يدرس في المدرسة الحسبية - كما صار إماماً في الجامع الصغير، واستفاد من دروسه المنتظمة في المعبدية الجمّ الغفير من الطلاب والواردين إلى حياضه لنهل العلم، والارتواء من موارد الشريعة الغراء، فمنهم من تابع التحصيل في مدارس حلب الشرعية والأزهر، ومنهم من اقتصر عليه إذا لم يتيسر له إكمال التعليم، فكانت مواظبتهم عنده خميرة طيبة وأساساً متيناً في المحافظة على مبادئ الدين وأسس الشريعة وآدابها في حياتهم.

برنامجه اليومي: وكان شغله الشاغل وهمه المتواصل العلم والتعليم ليلَه ونهارَه، في المدرسة والجامع والسوق والبيت والشارع، لأنه إذا رأى طالباً فسلم عليه وهو في الشارع سأله عن صفه ومقدار تحصيله، ثم ألقى عليه مسألة تتناسب وسنه وتعليمه، في النحو والإعراب أو الفقه والقرآن فأفاد الطالب، وصارت له تلك المسألة صلة توصله وتعلّقه بالشيخ للتردد عليه وحضور مجالسه العلمية، وفي البيت مع أولاده وأحفاده؛ هكذا كانت أحاديثه ومجالسه للسمر أو السرور، ومع أقربائه والأباعد، لا يدع الوقت يمضي دون الكلام عن مسألة علمية، أو طرفة أدبية، أو فكاهة مستملحة، أو مسألة مستطرفة.

وكان برنامجه اليومي من فجر يومه وحتى بعد العشاء علماً وتعليماً في بيته والمدرسة والجامع والشارع، يجيب على سؤال مستفت، أو يؤانس مسلماً عليه، أو يصغي إلى سائل.

إسناد الإفتاء إليه: وبعد وفاة مفتي البلدة الشيخ أحمد النعساني سنة ١٣٦١-١٩٤٢ تم انتخاب ثلاثة من علماء البلدة ليختار رئيس الجمهورية أحدهم مفتياً، حسب التعليمات آنذاك، وصدر المرسوم الجمهوري المؤرخ ٢٣ رجب ١٣٦١ الموافق ١٩٤٢م الذي أسند إليه مهمة إفتاء البلدة رسمياً بعد أن كان فيها مفتياً عملياً، إذ ما فتئ الناس يسألونه ويستفتونه في أمور دينهم ودنياهم منذ عاد من المدرسة الخسروية وباشر مهمة التعليم فيها.

وترك سجلات ضخمة من الفتاوى التي تمس حياة الناس، دوّنها خلال ٣٥ عاماً قضاها في هذا المنصب الخطير، وكان رحمه الله طاقة متّقدة من المواهب والنشاطات والعمل المستمر لخدمة الإسلام وإعلاء دين الله، وزاده منصب الإفتاء نشاطاً في التعليم، وبناء المساجد، وإكرام الضيوف، وتفقد الأيتام والأرامل والفقراء، وكان قاعدة له لتوسيع نشاطه الاجتماعي والإصلاحي في البلدة، والسعي الدؤوب لنشر الفضيلة والخير فيها، وإحياء المعالم والشعائر الإسلامية، والتعاون على البر والتقوى، وإصلاح ذات البين، ومشاركة الأمة مناسباتها الوطنية والدينية، وكان همه التعليم وإصلاح الجوامع القديمة وإنشاء الجديدة. وبخاصة أن مجلس أوقاف الباب كان يرأسه المفتي بصفة رسمية.

جهوده في إنشاء المدارس الشرعية والمساجد: وكان يسعى إلى تأسيس مدرسة شرعية في البلدة على غرار المدارس الشرعية في حلب، ومنطلقاً من المدرسة المعبدية التي كان يدرس فيها، وحاول عدة محاولات، وسافر إلى عدة مدن فيها مدارس شرعية ليتعرف على أنظمتها ودروسها، وسعى إلى تأسيس جمعيات خيرية ترعاها.

وفي عام ١٩٥٧-١٣٧٧هـ قام مع ثلة من أهل الخير والعلم بتأسيس مدرسة شرعية مقرها الجامع الكبير، تدرس مبادئ العلوم الشرعية ويكمل طلابها تعليمهم في حلب، واستمرت عدة سنوات حتى توقفت بسبب قلة المال.

وبنتيجة جهوده قامت جمعية النهضة الإسلامية في الباب، عام ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م، بتأسيس مدرسة شرعية استمرت حتى عام ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، وكان يقوم باعتباره رئيساً لمجلس الأوقاف المحلي بإصلاح وترميم المساجد القديمة، والسعي مع أهل الخير لبناء مساجد جديدة، كجوامع: النصر وعثمان والخيرات.

وفي النشاط من أجل فلسطين: انتدبته الكتلة الوطنية بحلب عام ١٩٣٦ من أجل التبرع لمنكوبي فلسطين، كما كان من أعضاء مؤتمر العلماء من أجل نصرة فلسطين الذي عقد في القدس عام ١٩٣٦.

من تلامذته: تخرج عليه جمع غفير منهم: الشيخ علاء الدين علايا، والشيخ رشيد

صالح النجار، الشيخ يحيى النعساني "مفتش التربية الإسلامية في اللاذقية رحمه الله"، الشيخ محمد الحمو الكردي، والحاج أحمد الحمدو العثمان، وغيرهم ممن لا يضبطهم سجل الآن.

وقد سافر في عام ١٩٤٩ للحج، ثم في عام ١٩٥٤ مع والده وأخيه، وآخرها ١٩٧٤، وكان من أبرز مؤيدي الجمعية الغراء بدمشق، وجمعية البر والأخلاق الإسلامية في حلب، ومن مؤسسي جمعية رفع المستوى الصحي في الباب، وجمعية النهضة الإسلامية.

مدائحه وأشعاره: له أشعار في المناسبات رائقة حلوة، ورسائل إلى أولاده ومحبيّه، تضمنت عيون الحكم والآداب والوصايا.

مدائحه وأشعاره في شيخه أبي النصر: ومن أشعاره ورسائله لشيخه أبي النصر نرى مدى الحب العميق، والصلة المتينة التي كانت بينه وبين شيخه وأولاده من بعده.

وقد أوردنا طرفاً من أشعاره في شيخه، وهي نموذج لشعره الرصين وأدبه الرفيع، نثبتها بعد ذكر رسائله لشيخه.

رسائله لشيخه أبي النصر: وهذه **أولى** رسائله لشيخه أبي النصر عندما كان طالباً في الخسروية بحلب، مؤرخة في ١٦ جمادى الثاني ١٣٤٧هـ -١٩٢٨م:

باسمه جلّ شأنه، والحمد لله على كل حال، والصلاة والسلام على أفضل رسله وأكرم خلقه.

لفضيلة سبيل الهدى ونهج السعادة، ونبراس المريدين في حالك ظلمات هذا العصر، ما يمنعني من التصريح باسمه جلالة قدره، وسمو فخره، وطيب نشره وذكره، كيف لا وهو العلم المشار إليه بالبنان، ذو العز الشامخ الغني عن البيان، أدامه الله لأمثالي سنداً وذخراً؛ آمين.

سيدي: لساني قاصر، ويراعي كلٌّ عن أن أعرب لحضرتكم عن جزيل اشتياقي لجنابكم، وحبي للمثول بأعتابكم، ليتشرف مسمعي بلذيذ خطابكم شفاء القلوب وبلسم جراحها، ونور البصائر وهاديها إلى سبيل النجاح وموجبات المغفرة والرضوان.

مولاي ومرشدي، مربي روحي ومثقف ذهني: لك في القلوب المقام الأرفع والمنـــزلة السامية والإجلال العظيم الذي لا يحاكى، فلكم جزيل الفضل إن جدتم على عُبيدكم

وخادم نعلكم بدعوات تنقشع عنه ببركاتها غيوم الآثام المتلبدة وأعبائها الثقيلة، ويوفق بها لما يرضي الربّ ويسر المحب، مع الفتوح التام وسلوك سبل الرشاد وسنن الهدى.

عمدتي وملاذي: ما كنت لأتجاسر على تسطير نميقة - رسالة - لحضرتكم لولا أمر والدي المطاع على لسان رسوله ﷺ أن أكتب لحضرتكم كتاباً بالنيابة عنه، أذكر حضرتكم فيه ما أنتم أعلم به مني، من حبه الصميم ووده الأكمل، مع طلب مقبول الدعوات من حضرتكم، علّه يمر طيفه بخلدكم أو يجري ذكره على لسانكم الشريف، فيكون قد نال الحظ الأوفى وقسطه الأوفر، مع طلب الدعاء من حضرتكم لإخوتي ووالدتي بالخير والتوفيق، وللجميع بالسعادة والهناء والصحة والرفاهية.

سلامي الجزيل الذي يشف عن حب صادق وود أكيد لحضرة نجلكم المحروس المحفوظ، الذي بسط الله عليه رواقاً من الفضائل والمكارم والخصال الحميدة والمزايا الزاهية الزاهرة، مع إيضاحي له أنني في شوق عظيم لحضرتكم وحضرته، وإعجاب شديد بخلاله وشيمه "الشيخ عبد الباسط"، ولحضرة سيدي وأخي الشيخ محمد كلال، والشيخ عبد الرحيم، وباقي إخوتهم الأعزاء ومحبيهم، أدام المولى الجميع في ظلالكم بالتوفيق والهناء.

جزيل سلامي، وجليل إعظامي واحترامي لحضرة صديقي الأوحد الشيخ "عبد الجليل" بلغه الله كل "مراد"، وإلى السادة الأكارم السيد الحاج محمود "السباعي"، والعم أبو حسن، وإلى جميع أهل حمص، الصلحاء منهم.

أخي الشيخ محمد الخليل التاذفي، وأصدقائي الشيخ بكري رجب، والشيخ حمام النعساني، والشيخ عبد الرحمن الحوت، والشيخ محمد بلنكو، والشيخ برهان الدين الداغستاني، والشيخ بديع الجندي، والشيخ حسن الهاشم يقبلون أياديكم ويرجون دعاكم. والحمد لله في البدء والنهاية.

٢٦ جمادى الثاني ١٣٤٧ "١٩٢٨".

خويدمكم: محمد سعيد المسعود

أما **الرسالة الثانية**، فها هي مقدمتها:

باسمه سبحانه والحمد لله والصلاة والسلام على نبيِّه.

وكـــم أتمنى أن أســـــير إليكم فيمنعني حظي وما تنفع الكتب ؟

درة هذا العصر؛ بل إنسان عينه، وقرة عين الدهر وفخر أهليه، مَن ملك أعنّة النهى، وتربع دست الفضل لجميل خصاله، وجاوز هام السها بعاطر سجاياه وجليل أعماله، لا زالت مضروبة لحضرته أعلام النصر، وكان لجبين هذا القرن واسطة عقد لقلادة فخر، متعنا المنّان بطول حياته، مفيضاً علينا من أفضاله وبركاته؛ آمين. مشمولين بأنظاره وتوجهاته؛ آمين.

سيدي: بعد أن يرفع الحقير سلامه لسامي مقامكم، وتحوز تحية الذليل التشرف بعز أعتابكم، أقول: إن حظي التعيس لذنوبي الكثيرة قد عوقني عن الشخوص لأبوابكم، والوقوف في أعتابكم بين خدامكم، فهل تسعفوني بنظرة ودعوة علني أتأهل لأن أناجيكم في ناديكم ؟... وبعد أن يعرض الموانع التي أعاقته عن القدوم إلى حمص يختمها بما يلي:

سلامي الجزيل المشفوع بالحب الصميم لسادتي المحترمين: كلال وعبد الرحيم والأخ الحبيب عبد الباسط، وإلى السيد مظهر والحاج عبد الجليل والحاج محمود، والسيد أبي حسن والسيد محمد خالد، وإلى كل من يمت بصلة لحضرتكم.

وفي الختام أقبل يديكم والأقدام على البعد، وأرجو الدعاء لي ولمن يخصني بخير الدارين، وصلى الله على سيدنا محمد والحمد لله رب العالمين.

٥ ربيع الأول ١٣٤٩هـ-١٩٣٠م.

الخويدم: محمد سعيد المسعود

وأرفق معها قصيدة لجناب الشيخ ذكرناها في فصل: (بحث ما قيل في سيدنا أبو النصر من أشعار)، مع قصائد أخرى نظمها ومدح بها شيخه أبي النصر.

أما **الرسالة الثالثة**: فهي مؤرخة في ٢٤ شوال ١٣٥٦هـ، الموافق ١٩٣٧م، يستشير فيها الشيخ ببعض القضايا ويختمها بالسلامات وطلب الدعوات.

لطيفة: قال أخي عبد الله: سمعت من عمي مراراً يقول: رحم الله الشيخ أبا النصر،

ربانا صغاراً وأعزّنا كباراً. ولما أسند إليَّ منصب الإفتاء، كنت إذا دخلت مجلس الشيخ يقوم من مجلسه مستقبلاً لي ويقوم معه كل من في المجلس، يكبّرني في أعين الناس.

باقات من شعره: كان أكثر شعره في المناسبات، فلم ينشغل بالشعر بل شغله العلم والفتوى والتدريس، ولذلك كان مقلاً في شعره، ولكنه كان عميقاً مؤدياً الغرض الذي يقال فيه، ونقتطف هنا بعض أشعاره مما يدل على الغرض:

- من ذلك أن الشيخ محمد النبهان رحمه الله قام مع ثلة من إخوانه بشراء ملهى "المونتانا" بحلب وحوّله إلى مسجد الفرقان، فقال ما يلي:

قصر فخيم شيد في شهبائنا ... ليكون موقع زمرة الشيطان
يمسي ويصبح والفضائح جمة ... بين الجوانح منه و الأرزان
زكمت أنوف القوم من ريح الخنا ... والخمر أم الخبث بـ (المونتان)
بل ضجّت الشرفات من أبهائه ... تدعو المهيمن من صميم جنان
أن يبدّل المولى بخير شره ... بالعلم بالتقوى وبالإحسان
حتى تداركه الإله بهمة ... عليا حباها شيخنا (النبهاني)
وبخيرة الشهباء سادات الندى ... فغدا بحمد (جامع الفرقان)
وغدت تهب على المدينة ريحه ... فتعطر الأرجاء بالإيمان
ربّاه توج بالسداد أمورنا ... وارفع منار الدين والقرآن
وارحم نويظمها لعل ذنوبه ... ستؤول في التاريخ (للغفران)

وقد كتبت هذه القصيدة على لوحة كبيرة ذات إطار وزجاج، وعلقت في صدر مسجد الفرقان، وكتب أسفلها: نظم القصيدة ١٢ ربيع الأول ١٣٩١هـ مفتي الباب السابق محمد سعيد المسعود، وأهداها للمسجد مفتي الباب اللاحق محمد زكريا المسعود ١٤٠٨-١٩٨٨.

ومن شعره نشتم رائحة الدعوة إلى الجماعة والوحدة والتآلف وجمع صفوف المسلمين

بمختلف اتجاهاتهم وأفكارهم، فقد قرأ ما قاله شاعر منبج الإسلامي محمد منلا غزيل بعنوان: (هوامش نقشبندية على أوراق وهابي)، وهي:

بـــبالغ فـــرحة الرفـــقة وخـــالص لوعـــة الـــحرقـــة
يـــبث غزيـــل شوقـــه إلـــى الـــتوحيد لا الـــفرقـــة
وينســـج مـــن هوامشـــه علـــى علاّتـــها (خـــرقـــه)
يطـــرّز نـــقشبنـــديـــاً عـــلـــى أفـــوافـــها ذوقـــه

فقال العم الشيخ محمد سعيد رحمه الله معارضاً بنفس الوزن والرَّويّ:

ويحبوهـــا (رفـــاعياً) صـــفاء الـــجو ذي الزرقـــة
ومـــن (جـــيلان) يعطيهـــا جـــمـــالاً زادهـــا رِقـــة
جـــهاد (الشاذلـــي) أتـــى ليـــسكب فـــوقـــها ودْقـــه
وبـــ (السلـــفية) المثلـــى أتـــتـــها روعـــة الـــدقـــة
تآخى الكـــل فـــي الإســـلا م كيـــلا تـــبعـــد الشـــقـــة
فلا تـــهنوا أيـــا أعـــلو ن ولتـــقضـــوا علـــى الفرقـــة
فـــكل مبـــادئ الأعـــدا ضـــلال فـــاغـــرٌ شـــدقـــه
ليـــبلع مـــجد أمتـــنا ويـــبنـــي صرحـــه فـــوقـــه
فـــإن لـــم نـــتحد ضـــعنا وضـــاعت فـــرصـــة حـــقه

ثم تابعها بقية قصيدة الشاعر غزيل وهي:

فبـــشرى للألـــى لمحـــوا ســـنا تـــبـــيـــانه بـــرقـــه
فشـــاموا البـــرق شـــامياً وعـــافـــوا غـــربه شـــرقه
مهـــاجرة مناصـــرة إلـــى الإســـلام يـــا رفقـــه
فـــزان جهـــادهم نصـــر عـــلـــى أفـــوافـــها ذوقـــه
تـــآخ زانـــه أدب ليـــبدي كـــلكم حـــذقـــه

وقد ذكرنا في فصل الأشعار التي قيلت مديحاً بسيدنا الشيخ أبي النصر بعضاً من قصائده، ونختمها هنا بقصيدة قالها بتاريخ ٧ ربيع الأول ١٣٩٤، الموافق ٣٠ آذار ١٩٧٤، وهي تخميسات يمدح فيها شيخنا عبد الباسط، فقال:

يا (**أبـــا نزار**) العالـــي الـــمقام ومن بـــسر الدين و الإرشاد قام
نظرة يـــا نسل سادات كـــرام وبها تـــمحى خطايا من قد جنوا

تلحق العاصي بقوم قد سموا

(**بأبـــي النصر**) الـــهمام المرتجى قـــائم الليل، إذا الـــليل ســـجى
ذخرنا المأمول كهف الالتجـــا وبه تـــمحى خطايا من جـــنوا

حينما يهوي بنار من هووا

و**بســـليم** القلب ذاك الأمثـــل ذي الكرامات وذي القدر العلي
وبه عنـــي كروبـــي تـــنجلي وأنـــال القرب من ربـــي ولـــو

أنا عاص، فبهم أنجو ولو

صلّ مولانا على طـــه الأمين وعلى الآل وصحب أجـــــمعين
وعلى سادات الطريق العارفين قُدّست أسرارهم حيث عـــــلوا

من بهم ننجو إذا الغير غووا

وفاته وما قيل فيه: توفي رحمه الله ونور ضريحه يوم الأربعاء ٨ محرم ١٣٨٦، الموافق ٣٠ كانون أول ١٩٧٦ عصراً، ودفن في اليوم التالي بعد أن حضر جنازته ثلة من خيار علماء حلب، يتقدمهم أستاذنا الشيخ عبد الباسط أبو النصر الذي كان وقع وفاته عليه أليماً جداً، وقد حزن حزناً شديداً على وفاته وأصاب جسمه الضعف والوهن، نظراً لما بينهما من صلة حميمة، كما حضرها الشيخ بكري رجب، والشيخ أديب حسون، والشيخ عبد الوهاب سكر، والشيخ جمعة أبو زلام مفتي منبج، وسيدي الوالد.

وألقيت كلمات الرثاء على ضريحه، ودفن بسفح جبل عقيل "مقبرة الصالحين" بجوار

والده الشيخ محمد المسعود.

وقد نشرت مجلة (حضارة الإسلام) الدمشقية مقالتين عنه بمناسبة وفاته، بعدما أقيم على ذكراه حفل في الجامع الكبير في الباب ٣٠ صفر ١٣٩٧، ١٨ شباط ١٩٧٧، حضرته وفود علماء حلب والباب ومنبج، وعلى رأسهم مفتي حلب الشيخ محمد الحكيم، والشيخ محمد الشامي، والشيخ محمد علي المراد من حماة، والشيخ كامل بدر من منبج، والشيخ بكري رجب من الباب، والشيخ حسن عبد الحميد من الباب، والشاعر محمد منلا غزيل من منبج.

وقد نشرت مجلة الحضارة مقالتي الأستاذين الأخيرين تحت عنوان (رجل فقدناه):

الأولى بعنوان: الشيخ محمد سعيد المسعود مفتي الباب، للأستاذ حسن عبد الحميد.

والثانية: لشاعر منبج محمد غزيل بعنوان: الوحدوية الإسلامية في حياة الشيخ محمد سعيد المسعود. وكان مما قاله فيه صديقه ورفيقه الشيخ بكري رجب هذه الأبيات التي نقشت على قبره وهي:

ذا ضريح إليه ضم سعيدا ... عاش أيامه هماماً رشيدا

دائم الذكر نقشبندي روح ... أورث النبل منذ كان وليدا

رائد الشرعة القويمة براً ... فرع آل المسعود نالوا المزيدا

ربنا فاجزهم عن الدين خيراً ... وأنلهم مقام صدق حميدا

لبني الباب أرخوا (خير مجد ... حيّ يا رب بالسلام سعيدا)

١٣٧٩

- ترجم له مختصراً الأستاذ عامر رشيد مبيض في كتابه الموسوعي: (مائة أوائل من حلب) في الجزء الأول ص ٣٦٣.

- وترجم له المؤلف مفصلاً في كتابه: (الربانيون الثلاثة: الشيخ محمد المسعود وولداه محمد سعيد ومحمد علي)، وقد تم طبعه بعام ١٤٢٩هـ الموافق ٢٠٠٨م والحمد لله.

- وترجم له المؤلف في كتاب (تاريخ الباب) قسم الأعلام، ويعد للطبع.

العالم الرباني، والفاضل الصالح

الشيخ محمد علي المسعود

(١٣٢٨-١٤١٨هـ) (١٩١٠-١٩٩٨م)

هو العالم الرباني، والفاضل الصالح، والمتواضع الكامل، المحب للخفاء، المتمسك بالسنة النبوية، والمتبع للآثار المحمدية، والوارث المحمدي، والزاهد في الدنيا المؤثر للآخرة، الذي شاع فضله ونبله، وأحبه كل من رآه وخالطه، وتعلق به كل من جالسه وصاحبه، الشيخ محمد علي ابن الشيخ محمد المسعود، البابي مولداً ونشأة - نسبة إلى بلدة الباب، محافظة حلب، سورية - الغزالي عشيرة وأرومة، النقشبندي مشرباً ومسلكاً "طريقةً"، المحمدي خلقاً وسلوكاً، المنتهي نسبه إلى آل البيت الكرام، إلى سيدنا الحسين ﷺ [1].

وقد تلقى الطريق النقشبندي وتلقن الذكر من الشيخ أبي النصر الحمصي في بيت والده في الباب، ولم يكن يتجاوز عمره الحادية عشرة، هو وأخوه محمد سعيد مفتي الباب السابق، كما بيَّنا في ترجمة والده وأخيه.

نشأته الأولى: ولد رحمه الله تعالى في مدينة الباب عام ١٣٢٨هـ الموافق ١٩١٠م، ونشأ فيها، وتلقى مبادئ تعليمه الأولى وهو دون سن العاشرة على يد أستاذه الشيخ أحمد الحداد التاذفي، الذي كان مفتتحاً في قرية "بزاعة" مكتباً أولياً - أهلياً - لتعليم مبادئ القراءة والكتابة، ثم أكمل تعليمه الابتدائي في المدرسة الابتدائية الوحيدة - آنذاك في الباب - وكانت تسمى (المكتب الابتدائي)، وتلقى علومه الأولية فيها على يد مديرها الأستاذ الفاضل الشيخ إسماعيل زهدي الخطيب الحلبي "دفين الباب"، مع ثلة من الأساتذة المحترمين، وأنهى مدة الدراسة فيها وهي خمسة سنوات بعام ١٣٤٢هـ-١٩٢٣م، وكانت

---

[1] راجع سلسلة النسب في ترجمة والده آنفاً.

تدرس فيها مبادئ العلوم والقراءة والكتابة، واللغة العربية والفرنسية، والجغرافية والحساب والتاريخ، بالإضافة إلى العلوم الدينية التي كانت كتبها من تأليف مدير المدْرسة الأستاذ إسماعيل زهدي.

شيوخه في الباب: لازم بعدها المدرسة الحسبية في الباب، حيث كانت أولى المدارس الشرعية الثلاث الموجودة فيها، والتي جدَّد بناءها ونشر العلم فيها علامة زمانه الشيخ مصطفى أبو زلام، الذي كان له الفضل الأكبر في استمرار إحياء النهضة الدينية، والنشاط العلمي في المدينة، بعد الشيخ الشهير العالم الرباني الشيخ محمد راغب الطرابيشي الحلبي، المتوفى في الباب عام ١٣٠٢ هجري.

كما لازم قبلها ومعها أيضاً دروس المدرسة المعبدية لدى والده الشيخ محمد المسعود، وتشرف بالانتساب إلى سلك الطريقة النقشبندية على يد مرشدها العالم الرباني، والوارث المحمدي، الشيخ محمد أبو النصر الحمصي، الذي كان يتعهد هذه المدينة وما حولها بالتربية والتزكية، وكان عمره آنذاك /١١/ سنة، وتابع تعلمه على شيوخ البلدة، كالشيخ أحمد أبي البقاء، والشيخ محمد البكور "أبو الفتوح"، رفيقَي والده في الأزهر، كما حضر لاحقاً على الشيخين اللذين عادا من الأزهر حديثاً، الشيخ محمد صادق غزال والشيخ عبد الوهاب سكر رحمهما الله تعالى.

محاولة للسفر إلى الأزهر والحضور على علماء دمشق: ثم أراد السفر للأزهر لطلب العلم عن طريق (دمشق- بيروت) فلم يتيسر له، ولما أقام في دمشق مدة بانتظار أمر السفر للقاهرة، حضر على أكابر علمائها دروسهم ومجالسهم، وعلى رأسهم علامة عصره، العالم الكبير المحدث الشيخ محمد بدر الحسيني، والشيخ توفيق الأيوبي، وأقرانهما.

ثم عاد إلى الباب، وكان قبل سفره قد سلك مسلك العلم والعمل، فعمل مع أخيه الشيخ محمد سعيد لدى الشيخ الفاضل أحمد الحامد النعساني في مهنة النجارة، فكان الشيخ النعساني يدربهم في النهار على النجارة، وفي الليل - وبخاصة عندما يسافر مع تلامذته للقرى من أجل عمل النجارة - يقرأ لهم دروس العلم من فقه وقرآن ونحو وغيرها.

في المدرسة الخسروية بحلب وشيوخه فيها: ثم بعام ١٣٥٢ الموافق ١٩٣٢ تم انتسابه إلى المدرسة الشرعية "الخسروية" بحلب، التي كانت بعلومها وأساتذتها تضاهي الأزهر بعلومه ومشايخه، وأدخل بعد فحص القبول في الصفوف النهائية في المدرسة، وكان أساتذته الذين تخرج بهم وأجازوه فيها من دوّنت أسماؤهم في شهادته الممنوحة من إدارة المدرسة، والموقع عليها من قبلهم، والذين ذكرناهم في أول الجزء.

كما لازم خارج المدرسة دروس العالم الفاضل، والولي الكامل، الوارث المحمدي، الشيخ نجيب سراج الدين، ثم بعدما تخرج على أساتذته، وأنهى دروسه في الخسروية منح الإجازة منهم كما هو مدون في شهادته لعام ١٣٥٤هـ الموافق ١٩٣٥م.

وكان من زملائه من تخرج معه في القافلة العاشرة الذين ذكرناهم أول هذا الجزء.

عمله ودعوته إلى الله تعالى بعد التخرج:

في منطقة إعزاز:

١- **في دابق:** وبإشارة من عمه - فيما بعد - العالم الفقيه، والفاضل الكامل، والأستاذ المربي الشيخ عبد الرحمن الحوت، توجّه وفد من أهالي قرية دابق في منطقة إعزاز، إلى الشيخ الجليل والمربي الكبير الشيخ محمد النبهان يطلبون منه إرسال طالب علم إلى قريتهم، ليعلمهم ويفقههم في أمور دينهم، فأرشدهم إلى الشيخ محمد علي الذي كان يتردد عليه ويزوره محباً في الله، ومجالساً له ومتعلقاً بكمالاته.

وأذن له والده العالم الفاضل الشيخ محمد المسعود بأن ينتفع به أهل تلك القرية وما حولها، وقال للوفد الذي جاء مستأذناً: (أنا لم أرسله إلى دابق فقط، وإنما أرسلته إلى المنطقة كافة). وتوجه الشيخ محمد علي بأوائل عام ١٣٥٥هـ- ١٩٣٦م إلى دابق، وعمل بوصية والده الذي أشار عليه بأنه للمنطقة كافة.

ورأت تلك القرى في دابق - وما حولها من قرى منطقة إعزاز - الكمالات والفضائل والأخلاق المحمدية، متمثلة حية في سلوك وأخلاق هذا العالم الشاب، رأوا فيه الزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة، والترفع عن أموال الناس، والصدق في الدعوة إلى الله، والإخلاص في

العمل، والإيثار لكل ما هو مرضي لله، والبعد عن كل خارج عن شريعة الله.

رأوا في سلوك وأخلاق الشيخ محمد علي وسيرته ترجمةً عملية لما كانوا يسْمعون عن سلوك السلف الصالح، وترفعهم عن الدنايا، ورقيهم في مدارج الكمال والفضل.

ونهض الشيخ ليحيي في نفوس أهالي تلك القرى حب العلم والفضيلة، وتطبيق تعاليم الإسلام، في رجالهم ونسائهم وشبابهم وكهولهم، وطاف عليهم في قراهم وشجعهم على التعليم، فأرسلوا أولادهم إلى المدارس العلمية في حلب، ليتخرجوا علماء عاملين، ثم لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم.

وازدهرت أحوال تلك المناطق علمياً وأخلاقياً، وأزال ما بينهم من إحن وبغضاء، وأصلح ما استطاع ذات بينهم، فصاروا مميزين على باقي المناطق، ولا تزال آثاره تلك ظاهرة في تلك المناطق حتى الآن، حباً للخير والفضيلة وسعياً إلى الأخلاق الحسنة، رغم انحدار المستوى الأخلاقي لدى الناس بعامة.

ب- **في تركمان بارح:** ثم انتقل بعد واحد وعشرين عاماً بعام ١٣٨٧هـ - ١٩٥٧م إلى القرية المجاورة "تركمان بارح"، ليقيم فيها ويتابع ذات النهج الذي كان عليه في دابق، لمدة عشرين عاماً أخرى، ويتابع أيضاً جولاته في تلك القرى مرشداً وداعياً إلى الله.

العودة إلى الباب: ولما توفي أخوه العالم العلامة مفتي الباب الشيخ محمد سعيد المسعود بنهاية عام ١٣٩٦هـ- ١٩٧٦، م عاد إلى الباب ليقيم فيها بقية حياته حتى أواخر عام ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م، وليكون امتداداً لمسيرة العلم والفضل والعطاء في هذه العائلة، وليكون أيضاً ملجأ لطلاب العلم في البلدة الذين التفوا حوله، واكتسبوا من معينه وفضله وسلوكه المحمدي.

نهجه العلمي والتعليمي وآثاره العلمية: كان لا يفتأ خلال حياته كلها دائباً على المطالعة والدرس، والتعلم والتعليم لكافة مستويات الناس مدارسة في الكتب، وتدريساً في المساجد، تعليماً للطلبة الذين يقدمون إليه من مختلف الجهات، وتخليقاً للعامة، بسلوكه وأخلاقه وتصرفاته، وقد اشتغل أواخر حياته، بشرح غريب ومفردات الكتاب الضخم

الموسوعة في الحديث (كنـــز العمال) والتعليق عليه، فقضى بذلك عامين، ثم أعاد مراجعته، وضبط كلماته ومفرداته على أصولها، لمدة عامين آخرين، وهذا الكتاب مؤلف من /١٦/ جزءاً ضخماً، فكان عمله هذا من أهم الأعمال العلمية المكتوبة التي خلفها، ولعل الله ييسر له من يقوم بطباعته مع تعليقات وشروح الشيخ عليه [١].

كما دون (ثبتاً) ترجم فيه أشياخه، وأقرانه، وذكر فيه من لقيه (من أهل العلم والفضل والصلاح). كما ترك مجموعة من رسائله إلى أولاده وأصدقائه، تعد بحق من عيون الوصايا والحكم ورسائل الأخلاق والحكمة والأدب.

كما شرح غريب (الزيادة في الجامع الكبير) للسيوطي، التي ضمها النبهاني إليه وسماها (الفتح الكبير) و لم يكملها.

رحلاته: وحج مراراً واعتمر، وسافر قبل وفاته بعشر سنوات إلى استانبول، لزيارة الآثار النبوية هناك في رحلة مع بعض أحبابه وإخوانه، وصحبه فيها ولده العالم الفاضل الشيخ محمود المسعود، خطيب الجامع الكبير في الباب ومدرس العلوم الشرعية في مدرستها الشرعية.

تزوج الشيخ رحمه الله كريمة العالم الفاضل الشيخ عبد الرحمن الحوت رحمه الله، وأنجب منها خمسة أولاد ذكور وبنتين، وأولاده الخمسة من أهل العلم والدعوة، تخرج أربعة منهم – بعد الدراسة الشرعية في خسروية حلب – من جامعات دمشق ومصر، وهم السادة:

الشيخ محمد زكريا: مفتي الباب ومدير أوقافها حالياً [٢].

والحاج أحمد: نزيل المدينة المنورة [٣]. والشيخ محمود المارّ ذكره آنفاً.

---

[١] عرضنا هذا الأمر على علامة مكة السيد الشريف هاشم محمد مهدي، فرغب جزاه الله خيراً في العمل على تسجيل هذه الشروح على الكتاب بواسطة الحاسوب (الكمبيوتر) ليسعى في إعادة طبعه، وقد قمنا بالعمل بما أشار به هذا السيد، ونرجو الله سبحانه تمام التيسير لإتمامه بعون الله وتوفيقه.

[٢] أثناء تحرير الكتاب، ولكنه تقاعد عن الوظيفة بعام ٢٠٠١م.

[٣] توفي رحمه الله تعالى ودفن في البقيع في المدينة المنورة يوم السبت ١٢ ربيع الثاني ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨/٤/١٩م.

والشيخ عبد الله: إمام وخطيب جامع الأنوار في حلب، والمدرس في الثانوية الشرعية في حلب.

والشيخ عبد الرزاق: خطيب جامع الدوشلي في الباب، ومعاون مدير أوقافها سابقاً.

صلته بالمرشد الكامل الشيخ أبي النصر: سألت سيدي الوالد رحمه الله ونفعنا به عن مبدأ صلته بالشيخ أبي النصر رحمه الله تعالى فقال:

أول مبدأ نزول الشيخ أبي النصر عندما قدم إلى الباب في دار الحاج محمد أبي سليمان قباط "الشهابي"، التي كانت بجوار الجامع الكبير، وكان أول لقائنا بالشيخ ونحن أطفال دون البلوغ أنا وأخي الشيخ محمد سعيد، وذلك في منـــزل الوالد "جدك"، وطلب الجد من سيدنا الشيخ تلقيننا الذكر وقال له: خفف عليهم الورد لأنهم طلاب علم يشتغلون بالعلم، فأعطانا الشيخ رحمه الله الذكر الخفي /٥٠٠/ مرة لكل واحد منا، (وهو ذكر لفظ الجلالة بالقلب)، وكانت مجالس الشيخ تعقد في الجامع الكبير حيث الإنشاد والدروس، وكان يحضر مع الشيخ العلماء والمنشدون، وكان العلماء الذين يصاحبون الشيخ من مختلف المدن من حمص وحماة وحلب، فمن حمص الشيخ عبد الجليل المراد، والشيخ محمود السباعي صهر الشيخ، ومن حماة الشيخ أحمد سليم المراد، أحياناً، والذي كان على سمت جَدِّك وهيئته، وهو ركن حماة في العلم والصلاح.

ومن حلب كان يحضر غالباً الشيخ عيسى البيانوني، والشيخ عثمان المارعي الذي يغلب عليه الجذب، ومن المنشدين: أبو عبد الله منشد الشيخ أبو الهدى الصيادي "سابقاً"، ثم بعد وفاته أبو حسن النداف، وباقي المنشدين من حلب.

وكان الشيخ أبو النصر يبقى في المنطقة ما بين حلب والباب وتاذف والجزيرة وقراها مدة طويلة يتفقد الإخوان، وقد تطول المدة ٣ أشهر، وكان غالب مجيئه آخر الصيف، ثم صار يأتي في الربيع، وكانت مجالس الشيخ أبي النصر (إنشاد ويتخلله الإرشاد)، ثم يكلف العلماء الحاضرين بالموعظة والتعليم، وكثيراً ما كان يردد، حسبما سمعت من ولده شيخنا عبد الباسط: نحن جئنا لنعلم الناس أمر دينهم.

ما كتبه في ثبته عن شيخه أبي النصر وأول صلته به: ونقلت من مجموع لسيدي الوالد، ذكر فيه من لقيهم من العلماء والمشايخ والصالحين والرفاق من طلاب العلم، كتب فيه بخطه تراجمهم، فذكر سيدنا الشيخ أبا النصر بقوله:

سيدي وقرة عيني ووالد روحي، محمد أبو النصر بن سيدي ومولاي محمد سليم آل خلف الحمصي النقشبندي، قدس سره وسرّ سلفه الجسمي والروحي، ثم باقي الأسلاف من مربّي الروح ومهذبي العقول، من سادتنا الأجلاء من رجال السلسلة النقشبندية العلية، ثم باقي رجال السلاسل المرتبطة بها من القادرية والكبروية والجشتية والسهروردية وباقي طرق أهل الله أجمعين، ولا أخلانا وإخواننا ومن يلوذ بنا من نفحاتهم ولحظاتهم إنه سميع مجيب.

كان الاتصال بالنسبة الشريفة إليه وأخذ الطريق من أيام الصبا أول حضوره إلى حلب ثم الباب، وكان ذلك في بيتنا، طلب منه سيدي الوالد أن يلقنني وأخي الذكر، ذكر الطريق النقشبندي، ((وكان الوالد قد تلقاها قديماً وتلقنها من الشيخ محمد أمين الكردي مؤلف كتاب تنوير القلوب، الكتاب الشهير المتداول في العقائد والعبادات والمعاملات الشاملة لمعاملات الأبدان – من بيع وغيره – ومعاملات القلوب وهو الطريق والتصوف، وله مؤلفات كثيرة غيره، هذا أشهرها، ثم بعد تلقيه عنه وتلقنه منه ورجوعه من مصر – التي درس فيها العلوم بالأزهر الشريف – أرسل الشيخ (محمد أمين) له إجازة بخطه، من جملتها: (وقد أجزتك بنصيحة الإخوان)، وعندما حضر سيدنا الشيخ المترجم وهو سيدي محمد أبو النصر إلى البلاد الحلبية كان (الوالد) أول المؤيدين له والمنقادين))، وكان سيدنا المترجَم قدست أسراره يتجول في البلاد السورية، وأكثر ذلك في حلب وما حولها وخاصة الجهة الشرقية منها، فإن آثار إرشاده فيها ونفعه لا زالت باقية، فإن الجزيرة التي كانت في حالة من الجهل غريبة، صارت ذات مساجد، وأختام وأذكار، ولعل المولى يتكرم بجمع ترجمة أوسع في المستقبل إن شاء المولى إنه سميع مجيب. اهـ.

ورأيت بخطه في مسودات هذا المجموع مثل ما ذكر أعلاه وفيه بعض الزيادات أثبتها هنا بنصها: وكانت له – لسيدنا أبو النصر – هذه الجولة سنوياً في أواخر الصيف، يبقى

الشهرين والثلاثة في الجولة، وفي آخر أمره كان يجعل مثلها في الربيع إلى أن لحق بالرفيق الأعلى، وأبقى الأثر من الأولاد والخلفاء وطلاب العلم الذين أدخلهم في المدارس ونفعوا الناس بعلمهم والأحباب، ولا زال مدده جارياً والحمد لله.

الشيخ أبو النصر يلقنه الورد واللطائف: ثم بعد ذلك تكرم المولى وتلقنتُ اللطائف منه بعد إكمال طلب العلم، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، ولعل المولى يمنّ بذكر ترجمة واسعة إن شاء المولى في مكان آخر. اهـ من ثبته.

تربية الشيخ أبي النصر والشيخ سليم: قال سيدي الوالد: لقد ألبس ربُّنا سبحانه الشيخ أبي النصر ثوب الجلال والكمال، فكان يرى الإخوان بأنظاره، وتوجهاته العامة والخاصة، وكان يلقن الورد بنفسه، وأحياناً يأذن للغير بتلقينه، وسمعته مرة يقول: إن تأثير الشيخ أبي النصر في الإخوان بواسطة المحبة (يحبهم ويحبونه)، وإن الأذكار والأناشيد كانت من طرق السير.

وقال لي بعد سؤالي عن زمن أبي النصر وزمن الشيخ سليم: كانت الجذبات والصيحات في زمن أبي النصر أكثر، ولم تكن كذلك في زمن الشيخ سليم، فقلت: ما هو السبب ؟ فقال: تجليات الحق مختلفة، كانت مجالس الشيخ سليم علمية، ولم يكن يخرج من حمص إلا نادراً. اهـ.

وأذكر في هذه المناسبة حول هذا الموضوع وأسباب الصيحات التي تنتاب بعض الذاكرين، ما ذكره لنا أستاذنا الشيخ عبد الباسط، أن بعض العلماء طلبوا من سيدي أبي النصر أن يمنع الإخوان من الصيحات والجذبات، فأمرهم الشيخ بهذا، فما كان من بعضهم عندما التزموا أمر الشيخ بعدم الصياح في مجلس الإنشاد والشيخ حاضر فيه، إلا أن نفر الدم من أنوفهم وأفواههم وعيونهم، فلما رأى المعترضون هذا، سلموا للشيخ بالإذن للإخوان بالصيحات.

وسألت سيدي الوالد عن المجلس الذي أسسه الشيخ أبو النصر (المولد الشريف) صباح كل يوم جمعة، في الجامع الصغير في الباب: متى أسس ؟ فقال: أنا لا أعيه إلا وهو منعقد.

قلت: وأقدر هذا منذ عام ١٩٢٠م تقريباً.

من آثار أبي النصر في منطقة إعزاز وقراها: وسألته عن جولات شيخنا أبي النصر في منطقة إعزاز وقراها، حيث كان الوالد هناك، فقال: إن سيدنا الشيخ أبا النصر كان يزور تلك القرى والمناطق، ويدعو إلى الله فيها، وكان أثره واضحاً في إصلاح أحوال أهلها، ودعوتهم إلى العلم وتشجيع طلبه، ووضع أبنائهم في مدارس العلم الشرعي.

أقول: وقد سلك الوالد هذا المسلك وسار على هذا النهج في حياة شيخه أبي النصر وبعده، فكان يتجول في قرى تلك المناطق ويدعو أهلها إلى الله، ويحضهم على الثبات على منهج الاستقامة، كما كان يشجعهم على تعليم أبنائهم العلم الشرعي، وقد أقام في قرية دابق مع أسرته ما يزيد على ٢٥ عاماً، وفي القرية المجاورة لها "تركمان بارح" عشرين عاماً، ثم عاد إلى مسقط رأسه ووطنه مدينة الباب بعام ١٩٧٧م، وظل يزور تلك القرى ويتعهد أهلها ويتخولهم بالموعظة والهدي المحمدي.

وظهر والحمد لله أثر الوالد جلياً واضحاً في تلك القرى، فإنه لا تخلو قرية من قراها من طلبة العلم الشرعي من أبنائها أو الوافدين إليها، وقد انتفع منه والحمد لله كثير ممن توجه للعلم الشرعي والطريق النقشبندي، ولا يزالون مواظبين على الأذكار والأوراد والصلة بأشياخ الطريق بعد سيدنا أبي النصر، خلفائه من بعده، شيخنا الشيخ عبد الباسط بن الشيخ محمد أبي النصر رحمه الله، والشيخ إسماعيل بن الشيخ عبد الباسط حفظه الله ورعاه.

توفي الشيخ الوالد رحمه الله في الباب يوم الأربعاء ١٥ رجب ١٤١٨هـ، الموافق ٤ تشرين الثاني ١٩٩٨، وكانت كلمات العلماء في أيام العزاء ترجمة فعلية لأثره في قلوب الناس، وحبهم وتعلقهم به.

كراماته: وكانت جنازته التي رفعت على الأكف، بل لم تطالها الأصابع أمراً عجيباً ومدهشاً لكل راءٍ وسائر فيها، فإن أطول الرجال ما كان ليدرك برؤوس أصابعه طرف النعش، فكانت محمولة من جنود ربك، وكان السعيد الذي يستطيع أن يطال بأصابعه طرفاً منها، ومن لمسها كان يشم الطيب من يده أياماً عديدة.

فكان هذا الإكرام الإلهي له في جنازته خاتمة كرامات حياته، التي خلفها في قلب كل محب ومجالس له، والذين يحدثونك عنه وما كاشفهم به من خواطر وحديث نفس، وما أزال لهم من إشكالات، وما شفي به على يديه من مرضى لا يعدون ولا يحصون، رحمه الله رحمة واسعة وألحقنا به على أحبّ عمل يرضاه مع العافية.

* ترجم له الأستاذ عامر رشيد مبيض في كتابه (مائة أوائل من حلب) الجزء الأول ص٣٧٣.

* وذكرنا ترجمته مفصلة مع أبيه وأخيه في كتابنا (الربانيون الثلاثة)، وقد تم طبعه بعام ١٤٢٩هـ والحمد لله.

* كما ذكرنا ترجمة له في كتابنا عن تاريخ الباب الشامل قسم الأعلام، المعد للطبع.

الأديب الشاعر، والمحب الصادق

الشيخ مصطفى الحفني الدملخي "شويحة"

(١٣١٨-١٣٧٨هـ) (١٩٠٠-١٩٥٨م)

هو الفاضل الأديب، والشاعر اللبيب، والشيخ الأريب، مصطفى بن حسن الحفني، المولود في قرية شويحة، والذي ينتسب إلى عشيرة الدمالخة، ويعرفون هناك باسم الشيوخ باعتبار اتصال نسبهم بآل بيت رسول الله ﷺ. كان من أهل الأدب والذوق الرفيع، وله أشعار رائقة حلوة، وتخميسات وتضمينات مليحة مستحسنة.

نشأ في قرية الشويحة وأخذ قسطاً من التعليم الأولي في كتاتيبها، وحفظ القرآن الكريم تلاوة، وصار له ولع بالصالحين وأيامهم ومناقبهم، وبخاصة بعد أن صار المرشد الكبير سيدي الشيخ محمد أبي النصر الحمصي النقشبندي يتردد على قريتهم داعياً إلى الله ومرشداً عباد الله، فصحبه ولزمه هو وعامة أهل القرية والقرى المجاورة، وانتفع به الناس هناك، وصلحت أحوالهم، واستقامت أمورهم على الشريعة رجالاً ونساءً، وتلقوا عن الشيخ أبي النصر الأذكار والأوراد، ولازموا العبادة والذكر والتقوى والصلاح.

وكان الشيخ مصطفى يتردد كثيراً على منـــزل الجد الشيخ محمد المسعود، وبخاصة بعد زواج الجد من أخته الحاجة زمزم، وكانت من ذوي الحجى والتقى والذكاء، وكان الثلاثة الجد والعم والمترجم يجلسون في بيت الجد في ليالي الصيف يتحدثون في أمور الدين والعلم والعبادة والتقوى، وكانت رحمها الله تصغي إليهم وتشاركهم الحديث.

وكان الشيخ مصطفى ذا حديث حلو وشيق، وذا منطق عذب، وكنت طفلاً يافعاً أيام الدراسة الابتدائية أصغي إلى حديثهم وأستعذبه، وكان يورد الشواهد والقصص الحلوة ومناسباتها، وحكايا الصالحين وفوائدها، وكان يتبادل مع العم الشيخ محمد سعيد الأشعار

الحلوة في المناسبات، وقد جمع ديواناً من الشعر، وكما أخبرني ابنه الشيخ عبود، وطلبته منه، فتوفي ولم أحصل عليه. ومن تخميساته الشعرية - كما حدثني الأخ الشيخ محمد حمدو السليمان رحمه الله تعالى - قوله:

لقد كوت العذال قلبي بمنجل وقد شنعوا بالقول في كـــل محفـــل
هنيئاً لمن قد كان عنهم بمعزل (يلومونني أن بعت بالرخص منـــزلي
ولم يعلموا جاراً هناك ينغص)

سقوني بكاسات السلامة علقماً ومن كثرة التعنيف جسمي تألمـــا
فوا حزناً لم يبق في الناس مسلماً ؟ (فقلت لهم كفوا الملامـــة إنمـــا
بجيرانها تغلو الديار وترخص)

وضاقت الأيام به في الخمسينيات من القرن الماضي فرحل إلى الجزيرة مع عياله للعمل في زراعة القطن بعام ١٩٥٢م، فأرسل إلى صديقه عمي الشيخ محمد سعيد المسعود رسالة شعرية قال فيها:

سلامي على من يقرؤن كتابنـــا ثم على من يســـمعون خطابنـــا
فأرجوكموا لا تكثـــروا عتابنـــا غدا عيشنا مراً كـــذاك شـــرابنا
عسى رحمة من جانب الله تنفع

أنخنا مطايانـــا بشـــط الجزيـــرة وأجريت في تلك الجزيرة عـــبرتي
مساءً دخلناها أيا طول حســـرتي بها البق والبرغوث شيئاً بكثـــرةِ
وذبَّانها كالزنبران يلسع

بشط الجزيرة قد أنخت ركـــائبي وأصبحت كالمجنون والعقل ذاهب
ولما رأيت الماء من كل جانـــب محيط بنا ضاقت علـــي مـــذاهبي
وصرت إلى الخلاق أبكي وأضرع

لقد شاب رأسي قبلما شاب قطننا لكثرة ما قاسيت من شدة العنـــا
ألا فخذوا عني حديـــثاً معنعـــنا هلكنا، عدمنا، أدركونا فإننـــا
غدا حالنا حال العبيد وأبشع

وله في مدح شيخه الشيخ محمد أبي النصر:

بقلبي لكم يـــا آل حمـــص منـــازل مقـــيمين فيهـــا والهمـــوم رواحـــل
فما مقصـــدي ريَّـــاً وميَّـــا وعلـــوة وما مقصدي بنت الكـــرام الأفاضـــل
بل السيد الحمصي قصـــدي ومنـــيتي **أبو النصر** من حاز العـــلا والفضـــائل

وضمّن شعره آيات التوحيد، فقال وهو يناجي فؤاده ليتلفظ بها:

يا فؤادي قل هو الله أحـــد معلنـــاً بالصـــدق الله الصـــمد
لم يلد ربي ولم يولد ولم يكن لـــه في العـــالمين كفـــواً أحـــد

وله في وصف أحوال الناس ممن حوله:

حولي من الناس أموات ومـــا برحـــوا يمشون في الحـــي مـــن دار إلى دار
أبكي عليهم بأشـــعاري فتضـــحكهم مهما تجيش من الأشـــجان أشـــعاري
قوم يبيعـــون للشاريـــن عزتهـــم العِرض والدين والدنيـــا؛ بدينـــار
لا يفـــرقـــون إذا كـــللـــهـــم تاج من الغـــار أم تاج من العـــار

وقد قام بتربيع هذا البيت – وله من ذاك تربيعات وتخميسات مرَّ معنا منها – والبيت هو:

من رام كيداً بالصـــلاة مقيمهـــا فتاركها عمداً إلى الله أقـــرب

فقال:

من رام كيداً بالصلاة مقيمها (خداعاً ومكراً فهو للنار يذهب
خصوصاً إذا كانت رياءً وسمعة فتاركها عمداً إلى الله أقـــرب

ومن تشاؤمه:

بليـــت بقـــوم لا أطيـــق ودادهـــم ويكرههم قلبي على القـــرب والبعـــد
وقد شـــاء ربي أن أعـــيش بقـــربهم ولا بد للصياد من رفقـــةْ الكلـــب

ولا بد للشعراء من غزليات ومعارضات، فكان مع الشيخ محمد سعيد المسعود مرة فقال الشيخ محمد سعيد:

فتـــاة دارهـــا قـــرب الســـرايا ولون خـــدودها شـــبه المرايـــا

فأجابه الشيخ مصطفى:

ســـألت الله يوصـــلني إليهـــا بجاه المصـــطفى خـــير البرايـــا

وألغز في الساعة:

عزيزة من طعـــام مـــا تمنـــت قليلة نوم مكحولة مـــا تمنـــت
تقيم الليل بعبـــادة مـــا تمنـــت عليها حساب من صوم وصـــلاة

وأخبرني الأستاذ محمد صادق بن الشيخ أحمد بن الشيخ عبود المصطاوي، نقلاً عن أبيه عن جده زميل الشيخ مصطفى في العلم والطريق: أن الشيخ مصطفى تلقى مبادىء العلوم الأولية على يد والده الشيخ حسن الحفني الذي كان في قرية "بيش جرن" المجاورة للشويحة، وكان الشيخ مصطفى قوي الحفظ سريع البديهة، حاد الذكاء، فساعدته هذه الصفات على تنمية معارفه وسعة اطلاعه.

وأحب الفقه الشافعي الذي طالع فيه كثيراً وتمكن منه، وكانت بينه وبين الشيخ محمد سعيد المسعود مراسلات حول مسائل الفقه الشافعي.

كما كان لديه اطلاع واسع على منازل القمر ومعرفة التاريخ، وضبط أوائل الأشهر القمرية، ولذا كان له رأي سديد في تحديد أول رمضان والعيدين.

وكان كثير الصمت، شديد الهيبة، فإذا تكلم نطق بالدرر، وعلم أولاده مبادىء العلم، وفتح المدارس الأولية في القرى "الكتاتيب" يعلم فيها القرآن والكتابة والحساب والقراءة، منها قريته "شويحة"، وحاج كوسا، والسكرية، كما علم طلابه علم التجويد وأحكام

العبادات وبعض لطائف الآداب. وكتب لي أيضاً الأستاذ محمد صادق المصطاوي بعضاً من أشعاره المحفوظة، ومنها:

إن حبل الود في النـــاس وهـــى واستبد الظلم في كل الجهـــات
عظموا الدنيا وقد هـــاموا بهـــا واكتفوا بالبســـمات المظلمـــات
ذهبت أخلاق أربـــاب النـــهى ليت شعري أين تلك المكرمـــات
فســـد العـــالم والأمـــر انتـــهى حبذا يا صاح سكنى الخلـــوات

وقد بحثت كثيراً عن أشعاره، فعثرت عند بعض أقاربه على دفاتر له كتب له بعضها عمي الشيخ محمد سعيد المسعود، وفيها بعض من لطائف الأشعار، والمحسنات البديعية، وبعض من الحكم، وكتب هو فيها أيضاً بعض الأشعار والفوائد والتواريخ المهمة.

ورزق أولاداً عديدين كان من أصغرهم (عمر)، أرسله في طلب العلم إلى المدرسة الخسروية بحلب، وكان زميلنا فيها، إلا أن الله سبحانه اختاره لجواره وهو شاب لم يتجاوز الثلاثين، وتوفي إثر وفاة أبيه.

قضى الشيخ مصطفى آخر حياته في قرية شويحة، وكان يعرف بالشيخ الأسود، لشدة سمرته، وتوفي فيها بعام ١٩٦٠هـ، رحمه الله رحمة واسعة.

صاحب الحال العظيم، والمحب الصادق

الشيخ مصطفى غزال الحلبي البابي النقشبندي "أبو طاهر"

(...-١٣٧٩هـ) (...-١٩٥٩م)

أول لقائه بالشيخ أبي النصر: كان هذا المحب الصادق والموله العاشق لرسول الله ﷺ ولأحباب الله من الرجال الأفذاذ، ويعد من "قبضايات حلب"، إذ إنه ولد في حلب حي الألمه جي، وبها نشأ وترعرع، وتعرف عائلته بـ (بيت ست مريم).

وكان أول لقائه بالشيخ أبي النصر بحلب في جامع العثمانية، كما حدثنا عمنا الشيخ عمر ملاحفجي عنه قال:

قال أبو طاهر: دخلت حرم المسجد "القبلية" فوجدت الشيخ أبا النصر جالساً قد ملأ المجلس، وكان يدير الختم الشريف النقشبندي، وكان يعتم بالعمة الحمصية - لفة صفراء على طربوش - ذو لحية شقراء في مقتبل عمره، وكان القارئ الذي يقرأ القرآن في الختم الشيخ عبد اللطيف الخزندار، فلما رأيت الشيخ بهذه الحال وقد ملأ المسجد ذُهلَ عقلي وغلب عليَّ حال الاندهاش من منظر الشيخ، فقلت للقارئ: اقرأ قراءتك، وانظر في شغلك. ثم جلست إلى جانب الشيخ أبي النصر وقلت له: يا شبّ، أنا حبيتك. وسلمت عليه فأجلسني بجانبه. ومن يومها جذبته أنظار الشيخ أبي النصر و لم يتركه.

سكناه في الباب: وتابع محدثي - الشيخ عمر ملاحفجي - قائلاً: ولا أدري سبب مجيئه للباب، ولكنه كان قبل التقائه بالشيخ أبي النصر قد صاحب الشيخ إبراهيم الرهاوي، حيث كان الأخير مقيماً في قرية "تلعرش" بجانب قرية أبي قلقل جنوب مدينة منبج، وكان الشيخ إبراهيم من أكابر الأولياء، وكان قد صاحبه في السياحة في البرية، مشياً مع الغزلان، ثم لما قاربا الصحو، وهدأت شدة الأحوال الغالبة لهما، دخلا إلى مدينة الباب،

وكان الوقت شتاء، فقصدا مضافة شخص حلبي كان يقيم في الباب بجانب جامع البدوي، واسمه (الشيخ أحمد ناصر آغا) وكان يملك بعض القرى في منطقة الجبول، ولما طرقا عليه باب الدار ليلاً، والشيخ أحمد بداخل الدار وهي عميقة البعد إلى الداخل، فلم يسمعهما ولم يجب، فقال الشيخ إبراهيم لأبي طاهر: ابتعد قليلاً عن الباب. ثم أعطى صوتاً أمام الباب، وأشار بيده. يقول أحمد ناصر: فسمعت صوتاً كأنه صوت قنبلة تنفجر في فراشي، فقمت فوراً وفتحت لهما وأنزلتهما في المضافة.

كان هذا قبل لقاء الشيخ أبي النصر والتعرف عليه ومصاحبته، وبعد لقائه بالشيخ أبي النصر أصبح أبو طاهر كظل الشيخ لا يفارقه إذا قدم إلى حلب في جولاته السنوية المعتادة.

يقول عمنا الشيخ عمر: ولما أقام في الباب، بعد صحبته للشيخ أبي النصر، كنا نزوره أنا ووالدك، لأن جدك الشيخ محمد المسعود كان يوصينا بزيارته ويقول: مروا على عمكم أبي طاهر وأكرموه، وكان يسكن إذ ذاك في دار للوقف بجانب الدكتور بكري القباقيبـــي، طبيب المنطقة – حيث لم يكن غيره بذلك الوقت طبيب فيها – وكان من المعتقدين بالشيخ أبي طاهر، ويكرمه ويكرم أضيافه وزواره ومحبيه.

كما كنت أقوم بزيارته مع شيخنا الشيخ عبد الله سلطان حيث يأتي من حلب خصيصاً لزيارته والسلام عليه، كما كان الشيخ أبو طاهر يبقى الأيام الكثيرة في زاوية الشيخ سلطان في حي الفرافرة بحلب بجانب مدرسة الإسماعيلية – بجوار القلعة – وكان الشيخ عبد الله يعتقده، ويكرمه، ولا يخرج عن مشورته، رغم جلالة قدر الشيخ عبد الله في العلم والطريق، إذ كان ممن أخذ الطريق عن الشيخ أبي النصر أيضاً، مع تلقيه الطريق القادري قبل ذلك.

من كرامات أبي طاهر: يقول عمنا الشيخ عمر: أردنا أنا والشيخ عبد الله سلطان الذهاب إلى العراق لزيارة سيدنا عبد القادر الجيلاني قدس سره في بغداد وزيارة الإمام الأعظم أبي حنيفة وبقية الصالحين وآل البيت، وكان الشيخ أبو طاهر عند الشيخ عبد الله،

فاستأذنه الشيخ في السفر، فقال أبو طاهر: فيضانات، مياه، القيامة قايمة – وهو تعبير عن خطورة الأمر – مافي إذن. فرجوناه مرة ثانية ليأذن لنا، وكنت أنا المُلحّ في الرجاء، وكانت أحوال الجذب تغلب عليَّ – والحديث لعمنا الشيخ عمر – فأذِن أخيراً ولكنه قال: دير بالك على الشيخ عبد الله. وأوصاني به لكي لا أتهاون في خدمته. وكانت الواسطة الوحيدة للانتقال من دمشق إلى بغداد براً هي سيارات شركة "نرن"، ولما توجهنا إلى بغداد وصلنا قبيل الرمادي في العراق وإذا بسيول جارفة ومياه كالبحيرات تقطع الطريق، ولا يمكن لأي واسطة نقل اجتيازها، وتوقف السير لكافة الوسائط البرية وبقينا في الطريق ستة عشرة ساعة، ولم نستطع المغادرة إلا في اليوم التالي، وكانت هذه من كرامات الشيخ أبي طاهر التي شهدناها بأعيننا.

والحديث عن كراماته يجرنا للحديث عن كرامة أخرى له، فقد كان أبو طاهر في قرية عران، وكان (لطاهر القدسي) أراض هناك بجانب نهر الذهب، وكان أول من استقدم محركاً يعمل على المازوت في تلك المنطقة لاستخراج المياه من البئر وسقاية المزروعات، وصادف مرور الشيخ أبي طاهر بجانب أرضه فقال للشيخ: ادع الله لنا أن ينجح عملنا في هذا المحرك ويتمم لنا الخير لسقاية المزروعات، وكأن القدر خبأ للقدسي شيئاً آخر، ولم يرد الشيخ أبو طاهر أن يفصح عنه، إلا أنه لم يتم بعض كلمات من الدعاء حتى انفجر المحرك – بسبب عطل فيه – فقال الشيخ أبو طاهر على الفور، وكأنه ينتظر هذا الحادث: رُوحْ عَيَّنَّاكَ باشا في حلب – أي محافظاً – وكان الشيخ تغلب عليه المصطلحات العثمانية التي كانت سائدة آنذاك. وبين غضب الباشا وكلمات أبي طاهر، وركض الفلاحين مبتعدين عن المحرك، غادر أبو طاهر المكان عائداً إلى الباب، ولم تمض أيام قليلة وإذا بالمرسوم يصدر بتعيينه والياً لمدينة حلب، فكان يعرف لأبي طاهر هذه المكرمة، ويكرمه إذا سمع به قادماً إلى حلب أو زائراً له في دار الحكومة ويحبه ويعرف قدره.

ومن كراماته أيضاً ما حدثني به الأخ الشيخ عدنان بن الشيخ أديب العباس رحمهما الله تعالى، وهو ثقة صدوق، قال: إن والده الشيخ محمد أديب العباس كان يعمل مزارعاً في

بستان الزرقا – وهذا البستان يقع جنوبي الباب غربي تاذف ومعروف محله ومشهور – وكان هذا بعام ١٩٥٧م، وكان محدثي يعمل في البستان مع والده، وكان الوقت بعد العصر من أيام صيف ذلك العام، قال: وإذا بالباب يطرق ففتحت الباب، وإذا الطارق الشيخ أبو طاهر رحمه الله تعالى ومعه شخص آخر لا أعرفه، فأدخلتهما البستان وبسطت لهما شرقي المنـــزل على دكة مرتفعة في ظلة، ولم يكن ثمة في البستان غيري، ثم ذهبت لأتتبع الماء الذي كان يجري في السواقي لسقاية أشجار رمان البستان، وعدت سريعاً إليهما لأهيئ لهما الضيافة، فقال رفيق الشيخ: إن هذا المجلس يحتاج إلى مداح الرسول ﷺ الحاج مصطفى المرطو. – كان المرطو من أعاظم مداحي الرسول ﷺ بذلك الوقت ومن الأتقياء الصالحين المحبين للرسول ﷺ والمحبين للعلماء والأولياء، توفي في الباب بعام ١٤٠١هـــ-١٩٨١م وكان ذا صوت شجي رائع رحمه الله تعالى – فقال الشيخ أبو طاهر مجيباً لطلب رفيقه: نخبره. وكان الشيخ يلبس ثوباً أبيض مفتوحاً من الأمام – يلف من الجانب إلى الجانب وفوقه محزم، كعادة الناس آنذاك – وتحت الثوب سروال أبيض طويل له تكة بيضاء أيضاً، فأخذ الشيخ بطرف التكة فوضعه على أذنه والطرف الآخر على فمه – كهيئة من يتكلم بالتلفون – وقال: يا حاج مصطفى تعال، نحن نريدك هنا في البستان.

قال محدثي: ومضت مدة تقدر بحوالي نصف ساعة تقريباً، وهي الزمن الذي يقطعه الماشي من الباب إلى البستان، وإذا بالحاج مصطفى يطرق الباب، قال: ففتحت له، وأدخلته وجلس بجوار الشيخ أبي طاهر، فقال له: ما الذي جاء بك ؟

قال الحاج مصطفى: كنت في دكاني فشعرت بضيق شديد، فأغلقت الدكان رغم حركة البيع والشراء التي تنشط آنذاك – نظراً لكون الدكان تقع على الطريق الذاهب إلى منبج والقادم من السوق إلى الحي الشمالي، وكانت الدكان في منطقة سميت الآن باسمه رحمه الله "ساحة مرطو" – وتوجّهت إلى البستان لعلّي أجد ما يفرّج عني، وجلس إلى شيخنا أبي طاهر ورفيقه، ثم حضر والدي – الشيخ أديب – فصار الحاج مصطفى ينشد لهما ويمدح الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام. اهـــ.

أقول: وقد اشتهر تكليم الشيخ أحمد الحارون الدمشقي بتكة سرواله وسماع من يكلمه له بالهاتف، أما شيخنا أبو طاهر فيظهر أن تكليمه كان من طرف واحد والإجابة تكون فعلية من الطرف الآخر، كما في قصتنا آنفاً رحمهم الله تعالى.

وكان أبو طاهر نديماً للشيخ أبي النصر وصاحب دلالة عليه وإدلال، وبخاصة إذا غضب الشيخ لأمر، فإنه لا يكلمه أحد هيبةً له، ولا يجرؤ على ذلك إلا أبو طاهر، وكان الشيخ يعرف ذلك له، ويكرمه ويقبل منه، وخصوصاً إذا كان الأمر يتعلق بالصفح عن زلات الإخوان وتقصيرهم، أو تفريطهم بأدب من آداب الصحبة.

قضى أبو طاهر بقية حياته في مدينة الباب، يزوره الصالحون والعلماء، ويتمتعون بأحاديثه عن شيخه أبي النصر، ويجدون فيه أثراً من آثار الشيخ أبي النصر، وبقية السلف الصالح، وكان رحمه الله يقيم في دار هو وزوجته أم حميد ولم يرزقا بأولاد، ولكنه رزق السمعة الحسنة والصيت الطيب، ولا يزال يذكر إذا ذكر الشيخ أبو النصر.

توفي هذا الرجل الصالح في مدينة الباب بتاريخ ١٧ شعبان ١٣٧٩هـ - ١٩٥٩م، ودفن في مقبرة جبل عقيل مع العلماء والصالحين المدفونين فيها، وكتب على الشاهدة الشرقية من قبره هذه الأبيات، وهو من نظم عمي الشيخ محمد سعيد المسعود، رحمهم الله جميعاً:

أبا طاهر من فقدنا بلحـــده ... سجلاً من التقوى مناراً من الذكر
لقد كنت فينا قدوة ثم رحمة ... محباً لطه حاضر القلب والفكـــر

وعلى الحجرة التي تلي رأسه ما يلي: هذا قبر المرحوم المبرور المحبوب لأهل الله، المتوكل على الله، الشيخ مصطفى غزال الشهير بـ (أبي طاهر) البابي منـــزلاً، الحلبي أصلاً، النعيمي نسباً. توفي ١٧ شعبان ١٣٧٩هـ الأحد.

وأظن أن هذه الكتابة من إعداد محبه في الله عمنا الشيخ عمر ملاحفجي النعيمي.

الولي التقي، والعالم الرباني

الشيخ محمد بدر الحسيني "البابي"

(١٢٩٩-١٣٨٨هـ) (١٨٨١-١٩٦٨م)

هو العالم الفاضل، والولي التقي الكامل، الشيخ محمد بدر بن عبد الرزاق الحسيني، من أفذاذ علماء بلدة الباب، وأكابر صالحيها، ومن أهل الحال القوي مع الله سبحانه.

نسبه: وقد تفضل حفيده الدكتور محمود أبو الهدى بن الشيخ كامل بدر الحسيني حفظه الله وأعطاني نسبه الذي ذكره في ترجمة والده فقال: هو السيد محمد بدر بن السيد عبد الرزاق بن السيد مصطفى بن السيد عبد الرزاق بن السيد محمد بن السيد علي بن السيد عبد الستار بن السيد فاضل بن السيد هاشم بن السيد حاتم بن السيد إلياس بن السيد أحمد بن السيد إسماعيل بن السيد محمود بن السيد محمد السيفكاري بن السيد خليل ابن السيد أحمد البطائحي بن السيد الحسين بن السيد حيدر بن السيد أحمد الكبير بن أبي الحسن الرفاعي الحسيني بن السيد محمد بن السيد يحيى بن السيد حازم بن السيد علي بن السيد الحسن بن السيد المهدي بن السيد محمد بن الحسين الأصغر بن سيدنا يحيى بن سيدنا إبراهيم بن سيدنا الإمام موسى الكاظم بن سيدنا الإمام جعفر الصادق بن سيدنا الإمام محمد الباقر بن سيدنا الإمام زين العابدين بن سيدنا الإمام السبط الحسين عليه السلام بن الإمام أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه وفاطمة الزهراء عليها السلام ورضي الله تعالى عنها بنت سيد الكائنات الأعظم شمس الوجود سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً [1].

نشأته وتعليمه: ولد هذا التقي الفاضل في بلدة الباب بعام ١٢٩٩هـ-١٨٨١م من

---

[1] انتهى من السيد الدكتور محمود أبو الهدى الحسيني.

أبوين فاضلين صالحين، ونشأ في حجر والده، وتعلم مبادئ القراءة والكتابة في الكتاتيب الموجودة آنذاك، ولما صار عمره /١٢/ عاماً توفي والده وتركه وحيداً مع أمه وست بنات، وكان قد ابتدأ في طلب العلم وذاق حلاوة مجالسة العلماء ولذة طلب العلم.

ومرت على الناس آنذاك سنة عجفاء وقلت فيها المؤن والحبوب في البلدة، وضاقت أمور الدنيا على أهلها، وبالأخص الأيتام.

حادثة عجيبة: وأصابت ذلك البيت عصّة القوت وطلبه، وحارت والدته ماذا تفعل لتأمين الخبز لبناتها، ولما نفد آخر ما يدخرونه من قمح في بيتهم - وكان يوضع في الكوايز، جمع كوارة، وهي مستودع يبنى من الطين يوضع في البيوت وتحفظ فيه المؤن من الحبوب والبرغل وغيرها - قالت الأم لولدها طالب العلم: قم وابحث عن عمل يجلب لك ولأخواتك الخبز، ماذا تفيدنا كتبك ؟ فقال الولد الحليم لأمه: طولي بالك، اصبري علي، ولن أقصر. ولما ذهبت أمه عنه، بكى بخشية لله، وتذلل إلى الله، وقال: يا رب، كيف أترك طلب العلم ؟

وكان أثناءها يلازم في الطلب مدرسة الشيخ مصطفى أبي زلام في المدرسة الحسبية في الباب، ويحضر عليه مبادئ العلوم الأولية التي يتلقاها المبتدئون من نحو وفقه وحديث، فما اكتفت والدته بذلك فجاءت تشكوه إلى الشيخ مصطفى، فأمده الشيخ مصطفى ببعض ما تيسر لديه من تموين وحوائج البيت، ولما أشرف الخبز في البيت على الانتهاء، شكت والدته أمرها إلى جارتها العجوز التي كانت تتردد عليها وتبث كل منهما أشجانها وأحزانها إلى الأخرى، وذكرت لها مصيبتها في هذا الولد العاطل عن العمل، ودخلت الأم على ابنها تنهره وقالت بشدة: لا تزال جالساً هنا، والطحين انتهى ؟ وأثناءها دخلت إلى البيت إحدى الجارات تطلب جمرة من نار، تشعل بها موقدها - حيث لم يكن كبريت ولا قداح - وفوجئت الجارة عند دخولها بمرأى (الكوارة) ينهمر منها القمح، وكانت أمه كنستها من قبل فصار يسيل من فم الكوارة السفلي ويملأ أرض البيت، فقالت لها: أنت دائماً تشكين قلة الطحين، وهذا القمح يملأ البيت ؟! فأسرعت الوالدة لترى ما رأته الجارة، فقالت لها:

لعله من الكوارة الأخرى التي لم أكنسها -لم أنظفها - وأعطتها جمرة النار وصرفتها، ثم جاءت إلى ابنها تقول له: قم يا بني وانظر، لقد فرج الله علينا. فلما رأى القمح يتدفق من (الكوارة) صاح بخشوع: (هو) ومدّها، وأصاب أمه أيضاً الخشوع والخشية وعلمت أن هذا معونة إلهية، وإكرام رباني لهذا الولد الذي اختار طلب العلم، وسلوك طريق العلماء، فأكرمه الله لصدقه، وكفاه ما أهم والدته وأهمه، فكفّت عن لومه وتأنيبه، ورضيت له طلب العلم.

متابعته العلم في حلب: وبعد أن حصل مبادئ العلوم الأولية لدى الشيخ مصطفى أبي زلام، انتقل إلى حلب ليتابع التحصيل فيها، ولم تكن المدرسة الخسروية قد انتظم أمر الدراسة فيها بعد، إذ كان هذا حوالي عام ١٣١٩هـ-١٩٠١ م، فالتزم دروس الشيخ المرشد عبد القادر اللبنية في جامع البكرجي في حلب، فأخذ عنه العلم والطريق النقشبندي، حيث كان مأذوناً به عن طريق الشيخ عيسى الشوزي الكردي بدمشق، وبقي لديه سنتين يحضر دروسه، فيبقى طيلة أيام الأسبوع في حلب، ويأتي ليلة الجمعة إلى الباب لتزوده أمه ما يكفيه من مؤونة لأيام الأسبوع الستة، ثم يعود إلى حلب سيراً على الأقدام مثلما أتى.

وحضر أثناء إقامته في حلب دروس ومجالس علامة حلب الشيخ نجيب سراج الدين، كما حضر دروس المدرسة الرضائية "العثمانية"، ودروس الشيخ أحمد الحجي الكردي فيها، والذي أصبح مفتياً لحلب بعد الشيخ عبد الحميد الكيالي.

وبعد حضور الشيخ اللبنية للباب تابع دروسه لديه، كما أكمل علومه لدى الشيخ مصطفى أبي زلام.

مدرس ديني للباب: وظل ملازماً للشيخ مصطفى متعلماً ودارساً إلى أن أسندت إليه رسمياً وظيفة مدرس ديني لمدينة الباب، وذلك بواسطة صديقه قاضي الباب آنذاك (أحمد عويدان) الذي كان يحضر دروسه في البيت ودرسه العام في المسجد، فأحبه القاضي واستعذب حديثه وخشوعه، فسعى لدى والي حلب (نبيه المارتيني) فعيّنه مدرساً دينياً، وذلك بعام ١٣٣٩هـ -١٩٢٠م تقريباً. فانتقل درسه إلى الجامع الكبير، مع إمامة الأوقات الخمسة في جامع (حاج خليل) في الباب.

مدرساً لمنبج: ولما توفي شيخه الأستاذ عبد القادر اللبنية في منبج بعام ١٣٤٠هـ - ١٩٢١م كلف شيخنا (محمد بدر) بالإفتاء في منبج، فاعتذر عنه، فنقل مدْرساً إلى منبج نظراً لعدم وجود مدرِّس ومُفْت فيها فقبل، وانتقل إلى منبج بعام ١٣٤١هـ- ١٩٢٢م وظل في منبج مدرساً رسمياً، ومفتياً عملياً وإن لم يقبلها رسمياً، لأنه لم يكن عالم غيره فيها حتى نقل إلى الباب بعام ١٣٥٢هـ -١٩٣٢م، ونقل شيخه الشيخ مصطفى أبو زلام إلى منبج مدرساً بدلاً عنه، وذلك إثر إهانة قائم مقام الباب من قبل الأهالي بسبب اعتدائه على امرأة من أهل الباب، وقد ظنت الحكومة أن هذا بتحريض من الشيخ مصطفى أبو زلام، فنقلته إلى منبج، وقيل: إنه بسبب تصدي الشيخ مصطفى أبو زلام وكاتب المحكمة الشيخ محمد نعناع الحريتاني لقاضي الباب الذي أساء بكلامه للسيدة مريم العذراء فنال عقوبته من الشيخين.

وكلا الحادثتين حدثتا، والله أعلم بسبب أيتهما كان النقل، لكن القائم مقام والقاضي قد نالا جزاءهما من أهل الباب الذين ثأروا لدينهم وعرضهم.

مع الشيخ أبي النصر: ومنذ أن قدم الشيخ محمد أبو النصر إلى الباب لأول مرة مرشداً للطريق النقشبندي ومتفقداً للإخوان والمحبين، كان شيخنا (محمد بدر) مهيئاً روحاً وعقلاً للقائه والأخذ عنه، وبخاصة أنه كان قد تلقى الطريق عن شيخه (اللبنية) فالتقاه وصحبه، وأخذ عنه الطريق مجدَّداً بيعته فيه لشيخ الوقت سيدي أبي النصر.

قصة طريفة: ولتلقينه الذكر من الشيخ أبي النصر قصة طريفة، فقد كان الشيخ عثمان المارعي يصحب شيخه أبا النصر غالباً، وكان الشيخ يكلف الشيخ عثمان بتلقين الذكر للمبتدئين، وكان يتم هذا غالباً في كل مجلس، ولما أمر شيخنا أبو النصر الشيخ عثمان بتلقين من طلب الذكر وأخذ العهد على الشيخ، فجلس معهم الشيخ محمد بدر من تواضعه وأدبه ليتلقاه عن الشيخ عثمان، وكانوا في طرف المجلس، فلمحه شيخنا أبو النصر من بعيد، والشيخ محمد بدر جالس متأدب بين يدي الشيخ عثمان، فناداه الشيخ أبو النصر قائلاً: يا شيخ عثمان ! شو بدك تساوي ؟ - يعني ماذا تريد أن تفعل - هذا شيخنا

– الشيخ محمد بدر –، وناداه وأجلسه بجانبه، وعرّف الناس الحاضرين وبخاصة الغرباء مقداره ومنـــزلته.

والتزم شيخنا (محمد بدر) شيخنا أبو النصر ومجالسه وخدمته من أول ما التقاه، التزاماً كاملاً هو وأولاده وعياله رحمهم الله جميعاً، وكان يخرج مع الشيخ أبي النصر في كل جولاته في المنطقة، وصار من أخص مريديه وأحبابه هو وأولاده جنباً إلى جنب مع باقي العلماء، أمثال الشيخ محمد المسعود والشيخ محمد سعيد المسعود وغيرهم.

دروسه ووعظه: كان لدروسه ووعظه أثر بالغ في النفوس، ووقع عميق في قلوب من يحضره ويستمع إليه، لأنه كان الغاية في صفاء السريرة، وقوة الحال، والخشية لله، وإخلاص النية له، في أقواله وأفعاله وكافة أحواله، وفي تركه ما لا يعنيه، واشتغاله بالذكر والمراقبة، وكانت ملامح الهيبة والتقوى ظاهرة عليه، دالة على أن قلبه عامر بالإيمان وخشية الرحمن، مع خضوع وخشوع، وانكسار لله وذلة له، منذ صغره، وقد قدمنا أن العناية الإلهية والإكرام الرباني كان يحوطه، منذ أن أكرم الله والدته وأخواته – بسببه – بالقوت وأمدهم بالطعام، يوم عز القوت وفقد الطعام، وكانت تلك المعونة إشارة واضحة إلى أن هذا الولد اليتيم محوط بعناية الله، وموجه لنفع عباد الله.

ولقد كان سيدي الوالد الشيخ محمد علي المسعود يحرص على حضور مجالسه ودروسه عندما يحضر إلى الباب مسلماً على والديه وزائراً لهما، وكان يصحبني ويصحب إخوتي الحاضرين معه إلى دروسه ومجالسه.

ولا يزال العامة من أهل البلد يذكرون كلماته ومواعظه متأسفين مترحمين، خاشعين معتبرين، داعين إلى الله سبحانه أن يجعله مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً.

عائلته وأولاده: تزوج شيخنا (محمد بدر) من أخت الشيخ مصطفى أبو زلام وأنجب منها البنين والبنات الصالحين والصالحات، وكان الأولاد ثلاثة:

أكبرهم الحاج عبد الرزاق: لم يطلب العلم ولكنه حصّل ثمرة العلم، وهو الخلق والتقوى

والاستقامة والتدين، والصلاح، والناسوت الصالح، كما وصفه سيدي الوالد، وذلك ببركة ملازمته وخدمته للشيخ أبي النصر، وقد أفردنا للشيخ عبد الرزاق ترجمةً في بحث أثر الشيخ أبي النصر في عامة المحبين.

والثاني: العالم الفاضل، والوارث العامل (الشيخ محمد كامل)، فقد درس في الخسروية وتخرج منها وعين مدرساً لمدينة منبج بعد والده، وسكن حلب آخر حياته، وسنفرد له ترجمة خاصة.

وثالثهم: (عارف) الذي سكن حلب، رحمهم الله جميعاً.

وقد سمعت سيدي الوالد مراراً عندما يذكر الشيخ محمد بدر يقول عنه: (كان يمتاز بالصلاح ودروسه الوعظية المؤثرة، وكان من أهل الخشوع والخشية لله)، لذلك كان له في قلبه منـــزلة خاصة ومحبة ظاهرة.

فقهه وفتاواه: كان رحمه الله فقيهاً معتبراً، وكان الناس يستفتونه كسائر شيوخ البلدة في أمور المعاملات والطلاق وغيرها، وكان يجيبهم ويحرر لهم الفتاوى، ويستوثق منها ويراسل الشيوخ المعتبرين أهل العلم والتدقيق في حلب، وأطلعنا على مراسلة له في قضية طلاق سأل فيها أكابر علماء حلب، وهم السادة الشيخ محمد الزرقا والد الشيخ أحمد الزرقا وجد الشيخ مصطفى الزرقا، والشيخ نجيب سراج الدين، والشيخ محمد سعيد الإدلبي، وأجاب كل واحد منهم عن هذه المسألة.

كراماته: وأعظم كرامة للمؤمن هي الاستقامة على أمر الشرع، والتخلق بآدابه، والثبات على ذلك، كما قرره علماؤنا مع التمسك بالهدي النبوي، ولقد كان حظ شيخنا محمد بدر من هذا وافراً وافياً، وعالياً سامياً، فمنذ طفولته -كما رأينا - حفته العناية الإلهية بالإكرام، ورزقهم الله الطعام عند عزة القوت، وكذلك ما حدثنا به أخونا (الحاج محمد علي زعيتر - أبو بشير) نقلاً عن الشيخ (محمد بدر) نفسه، أنه لما كان في أول طلبه للعلم وطلب من والدته الغداء، فأحضرت له كتبه وقالت له: كُل من هذه. فحزن، وانكسر إلى الله، ولم تمض فترة قصيرة حتى سمعت والدته صوت القمح ينهال من

الكوارة، ويملأ البيت. (ولعل هذه الحادثة رواية أخرى لتلك التي ذكرناها سابقاً).

وجاءه مرة ضيف فلم يجد ما يقدمه له، فخرج إلى الحارة فوجد قشور جبس (بطيخ) ملقاة في الشارع فأخذها وغسلها، وقال لأمه: اطبخيها مسقعة. (وهي في عرف بلادنا: ما يطبخ من الخضروات مع البندورة باللحم أو السمن أو الزيت)، فطبختها وقدمتها لضيفه الذي تضلّع منها وأكثر واستلذها، ولما سأله عن اسم هذه الأكلة الطيبة امتنع عن الجواب، فألح عليه فأخبره، فأراد الضيف أن يعمل مثلها فلم يفلح.

والصلاح والتقوى لم يكن من نصيب والدته فقط، بل من نصيب زوجته الفاضلة التقية، فقد زاره بعض الإخوان ومعهم الشيخ محمد سعيد المسعود مفتي الباب، فقدم لهم القهوة، ولما خرجوا من عندهم أدركهم ابنه الحاج عبد الرزاق معتذراً آسفاً، فلما سألوه عن السبب، قال إن الوالدة أخطأت فبدل أن تضع البن، وضعت الفلفل (البهار) بدلاً منه، فقالوا: نحن لم نشرب إلا قهوة البن !

خاتمة: وبالجملة، فقد كان هذا الشيخ مجموعة كمالات وأخلاق، وحب ونصح للمؤمنين، وظل ملازماً مجالس النقشبندية وبالأخص مجلس الجامع الصغير صباح الجمعة حتى وفاته، وقد انتقل إلى رحمة الله تعالى في مدينة الباب ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م، ودفن بجانب الجد الشيخ محمد المسعود رحمه الله ونور ضريحه.

وقد كتب على الشاهدة الغربية من قبره هذه الأبيات، وهي من نظم ولده الشيخ محمد كامل: هذا قبر العالم العارف بالله الشيخ محمد بدر الحسيني:

إن عمراً أفنيت في الله سِفر ... للهداة الأعلام باهٍ سطوراً

ومحال وقد تأرَّخ يطوى ... حل بدر في الخالدين منيراً

وكتب على قبالتها:

حيٍّ قبراً فيه البدر استقر ... يستمد النور من هادي البشر

دمت يا بدر بروْض وندٍّ ... في مقام الصدق عند المقتدر

وعلى الشاهدة الشرقية:

روضة البـــدر ضـــمت نضـــيراً عاش دنياه للهدايـــــة نـــــوراً

صارع الجهل والضـــلالة قرنـــاً ومضى في جهـــاده مشكـــــوراً

أيها البدر بـــين أقمـــــار تمٍّ في مجـــال الشـــهود زدت حبـــوراً

* أخذت معظم هذه الترجمة عن ولده الحاج عبد الرزاق رحمه الله، وحفيده الدكتور محمود أبو الهدى، ومما عايشناه في حياة الشيخ رحمه الله تعالى.

العالم الفاضل، والصوفي الكامل

الشيخ محمد كامل بن الشيخ محمد بدر الحسيني

(١٣٣٢-١٤٠٢هـ) (١٩١٣-١٩٩٢م)

ولادته: ولد هذا الشهم الهمام والعالم الفاضل الشيخ (محمد كامل) في مدينة الباب، ونشأ في حجر والد صالح من أهل الولاية والتقوى هو الشيخ محمد بدر، المتقدمة ترجمته، وعاش في حجر والدين صالحين، وتلقى تعليمه الأولي في مدينة الباب - في مدرستها الابتدائية الوحيدة - آنذاك.

وأشربه والده العالم الفاضل والولي الكامل الشيخ محمد بدر حب العلم والعلماء، والولاية والأولياء، حيث كان أبوه من أخص المقربين للشيخ المرشد محمد أبي النصر، وكان يحضر مجالس والده وهو صبي فتى، ومجالس علماء بلده كالشيخ مصطفى أبو زلام والشيخ محمد المسعود.

في الخسروية: ولما صار أهلاً لدخول المدرسة الشرعية (الخسروية) بحلب يمم شطرها، وسجل في عداد تلاميذها بعام ١٩٣١.

شيوخه: وتلقى العلم على شيوخها الأفاضل الذين ذكرناهم أول هذا الجزء وتخرج مع ثلة صالحة من زملائه بعام ١٣٥٥هـ-١٩٣٦م، ذكرنا أسماءهم في القافلة الحادية عشرة.

لقاؤه بالشيخ محمد أبي النصر: ومن الطبيعي أن يلتزم طريق مرشد العصر الشيخ محمد أبي النصر، فإن والده الشيخ محمد بدر كان من أخص مريديه، كما إن معظم طلاب الخسروية كانوا من إخوانه، فالتقى الشيخ أبا النصر مراراً في بيت والده في الباب وفي مجالسه العامرة بحلب، وأخذ عنه الطريق ولازم مجالسه في حلب والباب ومنبج، وصحبه في معظم رحلاته في ريف الباب وانتفع به جداً، ومدحه بشعره، ورثاه عندما توفي، وقد

أثبتنا قصيدته في بحث (ما قيل في الشيخ من أشعار).

بعد الخسروية: رجع إلى مدينة منبج وتزوج ابنة العلامة الأزهري الشيخ عبد القادر اللبنية (الذي هو زوج خالته).

عمل تاجراً في منبج، وجمع بين التجارة ونشر العلم، فكان مرموقاً بين الأعيان وكانت له مواقف اجتماعية وسياسية، فقد شارك في دفع الفرنسيين، وحارب التوجه العلماني بحدَّة، وكان عُمرياً في الحق لا يخاف في الله لومة لائم، شجاعاً عند الملمات والمهمات، لا يأبه في الحق بأحد مهما كان كبيراً، وكان مع ذلك صوفي الذوق نقشبندي الطريقة، وكان بكَّاءً شديد الخشية لله تعالى.

توفيت زوجته الشابة بعد زواجه منها بسنتين، فتزوج ابنة أخت زوجته الأولى، وسافر إلى الحج عام ١٩٤٢م.

انتقل إلى مدينة الباب عام ١٩٤٩ وعين مأموراً للأوقاف فيها، ثم انتقل إلى مدينة إعزاز وعين مأموراً للأوقاف فيها.

عاد إلى مدينة الباب عام ١٩٥٤ ونقل من ملاك الأوقاف إلى الفتوى والتدريس الديني، فعُيِّن ثانية مدرساً دينياً في مدينة إعزاز في العام نفسه ١٩٥٤، عاد بعدها إلى منبج وعين فيها إماماً وخطيباً، إضافة إلى تدريسه الديني، ثم انتقل في السبعينات إلى مدينة حلب مدرساً دينياً وبقي فيها ما يزيد على عشر سنين ينشر العلم فيها.

وحبب إليه في السنوات الأخيرة من عمره السفر إلى البلاد الحجازية، فتنقل بين مكة المكرمة والمدينة المنورة وأقام مدة في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم.

الشيخ الشاعر: كان شاعراً مجيداً له باع طويل في الشعر وفنونه، وأغراض شعره: الشعر الاجتماعي، الشعر السياسي، شعر المديح النبوي، شعر المناجاة الإلهية، والرثاء، وممن رثاهم رفيقه في العلم الشيخ (محمد الحامد) الحموي، وأستاذه (أبو النصر الحمصي).

شعر المناسبات الأسرية: لم تكن تمر مناسبة من المناسبات الوطنية والاجتماعية إلا ويكون له منها في شعره وخطابته نصيب، كان له قصائد في مناهضة الاحتلال الصهيوني لفلسطين

١٩٤٨م، وقصائد تستثير الشعور والهمم عام النكسة ١٩٦٧م، وشعر في أحداث أيلول الأسود في الأردن عام ١٩٧٠.

من شعره:

إلهـــي أفـــض إنعـــام بـــرك دائمـــاً ... علينا وزدنـــا منـــك هـــدياً وأنعمـــا
وأســـعد رجانـــا بالمحبـــة والتقـــى ... وجد بالرضى والقرب واغفر تكرمـــا
إلهي قرعنـــا بـــاب عـــزك خُشَّـــعاً ... بـــذل عَبيـــد يســـتغيثون أكرمـــا
أتينا ذنوبـــاً أنـــت تعلـــم وصـــفها ... و (لا تقنطوا) كانت أجـــل وأرحمـــا

إلى قوله:

إلهـــي أنلنـــا توبـــة تنمحـــي بهـــا ... مفاسد صرح الطهـــر منـــها تهـــدما
شباب أضاعوا العمر واستمرؤوا الخنا ... فصاروا بوصـــف الغانيـــات تناعمـــا
تراهم وقد زججن خـــداً وحاجبـــاً ... وصففن أشـــعاراً وحلـــين معصـــما
نســـاءً وإن سمـــوا ذكـــوراً تجـــوزاً ... لقد خنثـــوا لبـــاً وقشـــراً ومنجمـــا
وأما نساء الجيـــل حاشـــا صـــوالحاً ... فياللخزي شـــئن الغوايـــة والعمـــى
نبـــذن شـــعار القانتـــات تشـــبثاً ... بنهج اللواتي رمـــن كفـــراً جهنمـــا
أبحـــن لأحـــداق الغـــواة مفاتنـــاً ... فهاموا بهـــا عهـــراً وهمـــن تأومـــا
وقلـــن وقـــالوا هـــذه مدنيـــة ... وإن جانبت دينـــاً وشـــرعا مكرمـــا
إليك رســـول الله نشـــكو عقوقنـــا ... وإعراضنا عن منـــهج جـــاء محكمـــا
لنا شـــاءه الخـــلاق دينـــاً وشـــرعة ... أقمنـــا بـــه عـــدلاً وســـدنا عوالمـــا
بنـــاتي أحيبـــابي شـــباب محمـــد ... ألا جددوا الإيمـــان وانفـــوا المآثمـــا
بأنفســـكم ثم انفـــروا في ســـبيله ... تعـــالى يؤيـــدكم بنصـــر تحتمـــا
جنود أبي الزهرا لقـــد عـــاد عتبـــة ... وحل أبو جهـــل وعســـكر بـــالحمى

فإن أنتم نـازلتم كفـرهم ضـحىً ... ببـدر مُـدِدتم بالملائـك سُـوَّما
ويافتيـات المصـطفى ياكرائمـاً ... ألا احملن صفاً كل آن علٰـى الـدمى
وجـددن بالإرشـاد فـيهن زينبـاً ... وخولة والخنساء وابنـة مـن سمـا

وله مناجاة عند الكعبة المشرفة:

لمـا بـدت في ثوبهـا المقصـب ... كعبـة ربي زال كـل نصـبي
أنوارهـا تسـطع فـوق الشـهب ... ما عميـت إلا علـى ذي غيهـب
لم يأتهـا مُعَظِّـمٌ يرجـو رضـا ... مـولاه إلا نـال أعلـى الرتـب
مـولاي إني حولهـا منكسـر ... أطـوف لا يعـزب عنـك مطلـبي
فـردني إلى بـلادي غانمـاً ... مـزوداً بعطـف طـه العـربي
واغفـر لآلي ورفـاقي وأحبـائي ... وعنـا ارفـع ظـلام الحجـب
وفي غـد أنـل جميعنـا الرضـا ... ومقعـد الصـدق بقـرب الطيـب
وصـل يـا رب عليـه سـرمداً ... وآلـه مـع الصـحاب النجـب
مـا قامـت الأشـياء بـك ربنـا ... قبـل وبعـد ودعـا ذو أرب

وقد قال هذه الأبيات: قبل وفاته بعشرين عاماً لتكتب على قبره سنة ١٣٩٩هـ، وأعطاها لولده الدكتور محمود أبو الهدى لما رأى شاعريته الظاهرة، وقال له: أرِّخها عند وفاتي. فأرَّخها بالبيت الأخير:

رحلت عن الدنيا ومـالي بضاعـة ... سوى عشق طـه وانتسـابي بعترتـه
وجئتك يا مولاي مستشـفعاً بـه ... لغفران أوزاري وحشـري بزمرتـه
فأسعد رجائي وارضَ عـني ورضـني ... ببشرى فأغـدوا كـاملاً بشـفاعته
وصُن ختم تـاريخي (إلهـي بحبـه ... فقد فاز عبـد صنتـه بمحبتـه)

١٤١٢هـ-١٩٩٢م

وفاته: وكان رحمه الله في آخر عمره يزور سيدي الوالد وبصحبته ولده الدكتور

الشيخ محمود [1]، وكانت مجالس إيمانية طيبة تستعاد فيها سيرة الشيخ المرشد أبي النصر، وتجري مذاكرة أحوال المسلمين وشؤونهم.

توفي رحمه الله في مدينة حلب بعام١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، ودفن في مقبرة الصالحين، وقد ترك ثروة كبرى من العلم والتقى متمثلة بأولاده النابهين الدعاة:

الأستاذ محمد إياد الداعية الفاضل الذي صار له زمن في جدة معلماً.

والدكتور محمود أبو الهدى، الذي لزم الدعوة إلى الله بطريق السادة الشاذلية، مع القيام بمهنة الطب، وله أشعار رائقة، ومشاركة طيبة في الشعر والنثر، وفقهم الله مع باقي أولاد الشيخ لما يحبه ويرضاه.

اهـ. مما كتبه لي ولده الشيخ محمود أبو الهدى الحسيني، وراجع ترجمته في كتابنا: (تاريخ الباب الشامل) المعدّ للطبع.

---

[1] قال عبد الله: كان يقول عن السيد الوالد: يُحَجُّ إليه. كناية عن التوقير والاحترام.

المحب الصادق، والصوفي الذائق

الشيخ محمد أديب العباس "البابي"

(١٣٢٥-١٣٩٦هـ) (١٩٠٧-١٩٧٦م)

المحب الصادق، والصوفي الذائق، ذو العبارات الأنيقة والأذواق الرقيقة، خفيف الظل، قوي النفس، الصابر على اللأواء والصاحب الوفي للأخلاء، الشيخ محمد أديب بن حاج محمد بن حاج رحيّم العباس، وقد كتب إلي بترجمته بناء على طلبي ولده الكريم الشيخ محمد عدنان رحمه الله.

أسرته ونشأته: ولد في مدينة الباب بعام ١٣٢٥هـ-١٩٠٧م من أبوين صالحين، وعاش وحيداً لوالديه مع ثلاث أخوات أكبر منه، وتوفوا جميعاً في حياته، ولما بلغ من العمر /٢٣/ عاماً وذلك بعام ١٣٤٨هـ-١٩٣٠م تزوج من الأسرة الشهابية في الباب، فرزق بثلاثة أولاد هم محمد وعبد الباسط - وسماه باسم الشيخ عبد الباسط حباً بشيخه وابن شيخه - وعدنان، وبنتان، وجميع أولاده طلبوا العلم أو استمعوا إليه، وغلب على أسرته طابع الصلاح، والتوسط في المعاش، ونشأ رحمه الله في أسرة متواضعة تعمل في الزراعة، واستمر في مهنته بعد وفاة والديه إلى أن شب أبناؤه وكفوه مهمة العيش، حيث ترك العمل الزراعي بعام ١٣٧٨هـ-١٩٥٨م ليتفرغ بعدها للعلم والعبادة.

وعانى في الأربعينيات من فقر شديد اضطره إلى مغادرة بلده إلى مناطق الفرات وجرابلس ومنبج ليعمل في زراعة القطن، عاد بعدها في منتصف الخمسينات ليستقر في الباب ويعمل في بستان حديث لأبناء الشيخ أحمد الزرقا رحمه الله تعالى - غربي تاذف قبلي الباب، معروف ببستان الزرقا - حيث أصبح البستان قبلة أصحابه وإخوانه من أهل العلم، وإخوان الطريقة النقشبندية التي كان ينتسب إليها.

شخصيته وبعض ملامحه: عرف عنه الزهد والقناعة مع المهارة في الصيد والزراعة، وكان رحمه الله تعالى طويل القامة، مليء الجسم، أسمر اللون صبيح الوجه، كث اللحية، يعتم بعمامة بيضاء ومتواضعة غير مصففة، يرتدي الزي العربي الذي كان سائداً آنذاك في الباب، بسيط العيش، سليم الفطرة، سريع البديهة، لطيف النكتة، يُقصد مجلسه، ولا يمله مُجالسه، خفيف الظل، محبوباً من الناس (آلفاً مألوفاً)، لم يعرف الخصام أبداً، ندي الصوت إذا قرأ القرآن، يحب السماع ويتغنى بالمديح لبعض أحبائه.

علمه وسلوكه: نشأ رحمه الله منذ صغره بين أهل العلم وأبناء الطريقة النقشبندية، وابتدأ تعليمه بالقرآن الكريم ومبادئ العلوم في الكتّاب، ثم لازم مجالس علماء الباب أمثال الشيخ محمد المسعود، والشيخ محمد بدر الحسيني، والشيخ مصطفى أبو زلام، والشيخ محمد الملاح في حلب، حيث قرأ عليه الفقه الحنفي.

صلته بالشيخ أبي النصر: التقى بالشيخ أبي النصر وتعرف عليه أثناء جولات الشيخ في بلدة الباب، وذلك في حوالي ١٣٤٨هـ-١٩٣٠م (فأخذ عنه الطريق النقشبندي، والإذن بالذكر) وصحبه ولازمه، ورحل معه إلى العديد من القرى والمدن التي كان الشيخ يتفقدها، في شرق البلاد ووسطها، فأحب الشيخ أبا النصر، وأحبه الشيخ وقرّبه، واستأذنه بقراءة وشرح كتب الصوفية، أمثال الفتوحات المكية لابن عربي، وشرح الحكم العطائية لابن عجيبة، والإبريز للشيخ عبد العزيز الدباغ، وشرح القصيدة العينية للشيخ عبد الكريم الجيلي وأمثالها، إذ كان له ذوق خاص، وفهم دقيق لاصطلاحات ومعارف أهل الطريق.

في المدرسة الشهابية والمعبدية: واتخذ من المدرستين (الشهابية والمعبدية) مقراً لمجالسه يحضرها صفوة إخوانه من محبي الشيخ أبي النصر، حيث كان يجلس لهم فجر كل يوم بعد قراءة الختم النقشبندي، ويقرأ لهم في الفقه والتوحيد والأخلاق، وكتب القوم، وكان من أبرز جلسائه إخوان شيخه أبي النصر الحاج عبد الرزاق بدر الحسيني ابن الشيخ محمد بدر، والحاج حسين القدور الشهابي، والحاج حسين قره حسين الشهابي، وكان المنشد المداح المحب الحاج مصطفى المرطو يزين المجالس بمدائحه وصوته العذب، وآخرون من المحبين

والإخوان رحمهم الله جميعاً [1].

بعض شمائله: أقول: وكان له ود خاص ومحبة لآل المسعود بدءاً من الشيخ الكبير الشيخ محمد المسعود رحمه الله، والشيخ محمد سعيد حيث قرأ عليهما بعض العلوم الشرعية في المعبدية، أما الشيخ محمد علي فكان له إخاء خاص معه، وتواصل روحاني وحب متبادل بينهما رغم بعد الدار، كما كان حبه للشيخ عبد الباسط بعد أبيه حباً خاصاً، مما جعله يسمي أوسط أولاده باسمه.

وقد شهدت جنبات بستان الزرقا عندما كان فيه بعض مجالس الأنس، وساعات الصفاء، وخاصة عندما كانت تقام فيه مجالس الإنشاد بمدح الحبيب المصطفى ﷺ يشدو بها مداح الحبيب الحاج مصطفى المرطو وإخوانه المنشدون، ويتوسط عقدها محب الشيخ أبي النصر (أبو طاهر)، الذي كان يكسب تلك المجالس طعماً ومذاقاً خاصاً من الأنس والصفاء والحب.

وكان قد وضع ابنه **عدنان** في طلب العلم في المدرسة الخسروية بحلب، وكان زميلنا، إلا أنه أكمل تعليمه في المدرسة الزراعية في المسلمية، ثم عمل في ميدان العلوم الزراعية، ولكنه لم ينقطع عن العلم، فأصهر إليه أستاذنا الشيخ أحمد القلاش ابنته، ولازم الشيخ القلاش واستفاد منه، ثم عمل إماماً وخطيباً في أحد مساجد حلب، وكان له نشاط جيد في حقل الدعوة إلى الله تعالى، واعتنى بتعليم أولاده وبناته تعليماً وتربية شرعية، والتزم خط والده في السلوك الشرعي، والتربية الإيمانية، ومحبة كافة العلماء، مع مواصلته لود أبيه وبخاصة زياراته المتكررة لسيدي الوالد مع ثلة من إخوانه وأصدقائه، وقد وافاه الأجل بأواخر صيف عام ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م رحمه الله تعالى.

أما ابنه **عبد الباسط**، فقد كانت أنظار شيخنا عبد الباسط عليه عندما كان يحضر أسبوعياً إلى الباب لحضور المولد الذي يقام في الجامع الكبير منذ عام ١٣٩١هـ-١٩٧١م

---

[1] اهـ. مما كتبه ابنه عدنان مترجماً والده.

وكان يقول مشيراً إليه: لو اشتغل هذا بالورد النقشبندي وواظب عليه لانتفع كل من حوله ومَن معه من الإخوان. ولكن المنية عاجلته فتوفي بعام ١٣٩٤هـ-١٩٧٤، وجاء شيخنا عبد الباسط معزياً أباه، حزيناً على هذا الشاب المهذب الذي كان يأمل فيه الخير والنفع الكثير لشباب الدعوة الإسلامية.

ونرجو الله سبحانه أن يمد في عمر ابنه الكبير **محمد** [1] الذي أخذ من والده الأذواق الإيمانية، وصفاء الفطرة، وسلامة القلب، والزهد في الدنيا، والوقوف عند حدود الشرع، وحب آل البيت النبوي وخدمة العلماء ومحبتهم، والعناية بإخوانه وجلسائه مع التواضع والألفة، والصفاء وعدم الكلفة، والنصح لكافة المؤمنين.

عودٌ إلى كلام الشيخ **عدنان** رحمه الله عن والده:

مرضه ووفاته: بعد وفاة ابنه عبد الباسط، أصاب الشيخ أديب رحمه الله المرض الذي أقعده في الفراش وذلك بعام ١٣٩٦هـ- =١٩٧٦م، إذ إنه حزن عليه حزناً واضحاً ورق لأسرته التي تركها بعده، وأولاده كزغب القطا.

وبالرغم من مرضه، لم ينقطع عن الصلة بأصحابه، وقراءة كتب القوم، فكان يقوم بالدرس في بيته لهم.

أقول: (وقد صحبت شيخنا الشيخ عبد الباسط عدة مرات عندما زاره في بيته، عائداً ومواسياً ومؤنساً، وقد كان سرور الشيخ أديب عظيماً، وهمته عالية بزيارات الشيخ ومؤانساته).

وفي رمضان من عام ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م، وقبل وفاته بأسبوع قال لولده الكبير (محمد): أنا ضيف عندكم، وبقي لي من حياتي أسبوع. وقد توفي فعلاً بنهاية ذلك الأسبوع وهو فجر السبت السادس عشر من رمضان لذلك العام ١٣٩٦هـ.

ومما كتب الأخ عدنان في نهاية الترجمة قال: أنه كان مقيماً في حلب، وكان يزور

---

[1] توفي هذا الرجل الشهم، والمحب الفِهم في أوائل عام ٢٠٠٥ ودفن في الباب رحمه الله تعالى.

والده في يوم الجمعة من كل أسبوع، وفي اليوم الذي سبق الوفاة زاره كعادته، وبعد طعام الإفطار استأذن والده في العودة إلى بيته بحلب فقال رحمه الله: بل ابق عندنا هذه الليلة حتى نتودع من بعضنا. فبقيت، وعند أذان فجر اليوم التالي - السبت - والمؤذن ينادي للصلاة لفظ أنفاسه الأخيرة، وكان رأسه في حجر ولده عدنان الذي أجلسه لتوه وسمعه يقول: الله يرضى عليك يا عدنان، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. وكانت هذه الكلمات آخر ما تكلم بها.

وصلي عليه في الجامع الكبير في الباب بجموع من المحبين والإخوان المشيعين، ووري مثواه الأخير في مقبرة جبل عقيل. رحمه الله وأعلى مقامه في عليين مع أشياخه وأحبابه وإخوانه أجمعين [1].

---

[1] مختصرة من تاريخ الباب وعلمائها للمؤلف.

الشيخ التقي، والحفي النقي

الشيخ حامد بن الشيخ موسى الحفني

(١٣٣٣-١٣٩٧هـ) (١٩١٤-١٩٧٧م)

ولد هذا العالم الفاضل، والفرد الكامل الشيخ حامد بن الشيخ موسى بن الشيخ حسن الحفني الدملخي عام ١٣٣٣ هـ ١٩١-م، في قرية شويحة القريبة من الباب، من أب صالح فاضل، تقي نقي، مُعتقد في المنطقة بصلاحه وتقواه، حيث أن هذه العائلة من الدمالخة (آل الحفني) يُقال لهم الشيوخ، ويُقصدون للتبرك بهم، والرقى للمرضى والمصابين بالمس، وهم ممن ينتهي نسبهم - كما هو مشهور لدينا - إلى بيت رسول الله ﷺ.

وكان والده وأعمامه - الشيخ مصطفى والشيخ علي - ذوي شهرة وتقوى وإليهم يلجأ الناس للتبرك والقراءة، وشب ونشأ وسط تقوى وصلاح، بعدما تعلم القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة في قريته، وبتوجيه سيدي أبي النصر الذي كان يزور قريتهم كل عام أَحَبَّ أن يطلب العلم، فقصد مدينة الباب ولازم المدرسة المعبدية لدى العم الشيخ محمد سعيد المسعود، حيث كانت عامرة بالطلاب القاصدين من مختلف جهات المنطقة، ولزم المدرسة وجَدَّ في الطلب والتحصيل، وبقي لمدة سنوات فيها، وحضر دروس مشايخ البلدة الآخرين، كالجد الشيخ محمد المسعود والشيخ مصطفى أبي زلام والشيخ أحمد أبي البقاء وغيرهم، ولم يكمل كما أكمل زملاؤه في المدرسة الخسروية بحلب نظراً لمرضه، فوجهه أشياخه إلى نشر ما تعلم وبث ما حصل إلى أهل القرى المجاورة، الذين يحتاجون إلى التعليم والتوجيه وإقراء القرآن، فكان خير معلم وإمام وخطيب، في تلك القرى المجاورة للباب أمثال: السفلانية، البرازية، البوغاز، البويهج، الباروزة، وغيرها، وعلم أبناءهم القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة، حيث لم تكن مدارس حكومية آنذاك، كما علمهم الفضيلة والخلق قالاً وحالاً،

وسلوكاً وتخليقاً، فكان قدوتهم المحبب في العلم والكمال.

وأثناء طلبه العلم وتحصيله له في الباب، كان على استعداد لتلقيْ الذكر والطريق النقشبندي، حيث إن الحال مهيأ لذلك، فالشيخ المرشد سيدي أبو النصر كان لا ينقطع عن زيارة المنطقة وما حولها، وبالأخص قرية (شويحة) التي كان له فيها مريدون وأحباب، وإخوان وطلاب، فتلقى الطريق عنه والذكر، ولزم مجالسه إذا حضر، والتزم ورده والذكر الخفي حتى آخر حياته رحمه الله، وكان الجد والعم قد عرَّفاه على الشيخ أبي النصر قدس الله سره، إذ كانا يصحبان الشيخ إلى قرى (شويحة وبتاجك وشدار) وما حولها.

ولزم الذكر والختم طيلة حياته، ولم ينقطع عن ورده الخفي،وقد تزوج من عمتي السيدة عائشة (أم طه) بنت الشيخ محمد المسعود رحمه الله، وحفظها الله، وأعطاه الجد داراً بجانب دار والدي الحالية الواقعة في مدينة الباب قرب جامع الشهداء، وبقيت العمة في مدينة الباب بينما كان هو يلازم الدعوة إلى الله وتعليم القرآن ومبادىء القراءة والكتابة، بالإضافة إلى كونه إماماً وخطيباً في القرى التابعة للباب، والتي ذكرناها آنفاً.

وكان الناس يقصدونه للرقى، وكتابة (الحجب)، ويجدون على يديه الشفاء والحمد لله، كما كان يعالج المرضى المصابين باليرقان (أبو صفار)، ويقطع لهم عرقاً أسفل الشفة العليا، ثم يوصيهم بحمية معينة عن بعض أنواع الأطعمة، ويبرؤون بإذن الله.

كما كان خلوقاً متواضعاً آلفاً مألوفاً، وقد أحب له العم أن يسكن البلدة – الباب – ويمتهن التجارة، ولكنه لم يدم على هذا الحال أكثر من عام، حيث لم يكن شركاؤه بالمستوى المطلوب من التاجر الناجح، فأغلق الدكان وعاد سيرته الأولى، ويشهد أهل القرى الذين تعلموا عنده بأخلاقه وحسن تعليمه، وصبره على المتعلم.

كراماته: كما إنهم يذكرون بعض الكرامات التي ظهرت على يديه دون قصد منه ودون التفات إليها، ومنها:

١- جاء إلى القرية التي كان فيها إماماً ومعلماً بعض من يتزيا بزي (شيوخ الطريق) ويلبسون عمائم خضر، ولكن حقيقتهم (شحاذين) ولما جلسوا في مضافة مختار القرية،

بدأوا بطلب (الامتحان) متحدِّين الناس بأنهم شيوخ وأنهم، وأنهم ؟

فقال لهم أهل القرية: عندنا شيخ فاضل وهو الذي (يماحنكم)، فلما حضر الشيخ حامد قال هؤلاء (المتزيون بزي الشيوخ): نريد مماحنتك. (أي اختبار وفحص مشيختك)، فقال لهم: لا نريد امتحاناً، أنا معلم. فأصروا على الامتحان وبشيء من الزهو والاستكبار، فرضخ لهم وقال: هذه الكأس أتروها ؟! وهي فارغة، أنا آمرها فتنـــزل إلى البئر، وأنتم تنادونها لتحضر أمامنا ملأى من الماء، أو بالعكس، أنتم تأمرونها فتنـــزل إلى البئر وأنا أناديها فتأتيني ملأى ؟! فرفضوا وقالوا: هل تستطيع مسك أفعى ؟! فقال: نعم. وإذا أردتم فهناك خارج القرية رجم (كومة) حجار بجانب الطريق، فاذهبوا إليه وستجدون أعلاه حجرة كبيرة وتحتها أفعى، فتمسكوا بها وتحضروها. فذهبوا إليها ولما اقتربوا منها نفخت فيهم مرتين أو ثلاث، فانهزموا، فجاء إليها وصاح بها، فخضعت ووضع عليها عصاه، ثم قال لهم: احملوها. فامتنعوا فأخذها وناولهم إياها فولوا منهزمين.

٢- وكان إماماً في قرية أخرى، وكان يقوم بالأذان أيضاً، فانزعج أهل القرية من رفعه الأذان فجراً، وبعد صلاة العشاء وضعوا قفلاً آخر على غرفة الأذان حتى إذا جاء فجراً ليؤذن فلا يستطيع الأذان بواسطة جهاز الإذاعة، فيؤذن بدونه، فلا ينـــزعجوا، ولما وصل فجراً إلى المسجد ورأى قفلاً آخر، سمى الله وفتح القفل وأذن بواسطة جهاز الإذاعة، فجاء الجماعة الذين وضعوا القفل مستغربين متعجبين، ولما رأوا القفل مفتوحاً دون خلع أو كسر أذعنوا وسلموا له.

٣- ومرض ابنه (طه) وكان يؤدي الخدمة الإلزامية - العسكرية - وتمنى لو ينقل إلى قطعة طبية فتكون الخدمة عليه أهون، ويكون أيسر لمعالجته وحصوله على الدواء، وتضايق كثيراً من وضعه، وفي الليل غادر خيمته إلى الخلاء، ونادى والده مستغيثاً به كي يدعو له في تيسير أمر نقله، وفي الصباح جاءه ضابط كان يؤدي الخدمة في قطعة مجاورة - وهو قريب له - ليزوره، فلما علم بوضعه وبحالته، حكى للضابط الذي كان يرأسه فنقله إلى (السرية الطبية) في قطعته وارتاح بعدها.

وفي أول إجازة غادر القطعة فيها إلى بلده قال له والده: ماذا صار معك يوم كذا ليلة كذا ؟ – ليلة ناداه –، فقال: لا شيء. فذكّره فتذكر وقال له: لا بل صار معك كذا وكذا وناديت ؟! ثم قال له: لا تخف أنت في حفظ الله وعنايته.

ولما قرب أجله، مرض ولازم الفراش مدة غير قليلة صابراً ذاكراً محافظاً على أوقاته وتلاوته للقرآن وحمده لله، حتى لقي ربه، وتوفي في الباب في منتصف نيسان من عام ١٣٩٧هـ–١٩٧٧م، ودفن في مقبرة الباب (شيخ عقيل)، بجوار العلماء والصالحين أمثال الشيخ محمد المسعود، والشيخ محمد بدر الحسيني، والشيخ محمد سعيد المسعود، رحمه الله ونور ضريحه.

قال أخي عبد الله: سمعته وهو في سكرات الموت، وكأن الله كشف له الحجاب، فأخذ يتكلم عن الجنة، ومما سمعته يقول: جآذر اللؤلؤ... إلى غيرها من الكلمات التي قرأتها بعد في وصف الجنة، أنالنا الله بمنّه إياها معه ومع والدينا ومشايخنا وأهلينا، إنه نعم المولى ونعم النصير.

وبالجملة فقد كان طيب القلب صافي السريرة، كريم المحتد، منوّر الشيبة في دعابة حلوة، أكسبه عراقة أصله، وصلته بشيوخه والذكر الذي يواظب عليه حالاً قوياً مؤثراً في الآخرين، كما سبق بيانه.

العالم التقي، والفاضل الخفي

الشيخ عمر بن سعيد البوشي "البابي"

(١٣٣٥-١٣٩٨هـ) (١٩١٦-١٩٧٨م)

هو الفاضل العامل والعالم الصالح الشيخ عمر بن محمد سعيد البوشي، الذي كان من أهل التواضع والخفاء، والبعد عن مظاهر الحياة وصخبها.

ولد رحمه الله في مدينة الباب بعام ١٣٣٥هـ الموافق لعام ١٩١٦م، ونشأ فيها كما ينشأ الأطفال من أترابه في بيوت آبائهم على كمالات العادات وفضائل الأخلاق، ولما صار سنه قابلاً للتعليم وقراءة القرآن اندرج مع أقرانه في مكتب شيخه الأستاذ الشيخ أحمد الحداد التاذفي، وتلقى لديه مختلف العلوم الأولية من قراءة وكتابة وحساب فضلاً عن تلاوة القرآن وتجويده، وتعلم في كتّاب أستاذه التاذفي الذي نمّى ونشّط لديه متابعة العلم، إلا أن والده كان بحاجة إليه ليعمل معه في بستانه، فكيف يوفق الفتى الناشئ بين رغبته في العلم ورغبة والده في العمل ؟ فقسم الوقت نصفين بينه وبين والده، فكان في النهار يسوق إلى البستان المواشي والدواب، وفي الليل يعكف على العلم والكتاب، الذي كان يهيؤه له مشايخ الباب: الشيخ مصطفى أبو زلام في المدرسة الحسبية، والشيخ محمد المسعود في المدرسة المعبدية، فلازمهما وتلقى مبادئ العلوم لديهما من فقه ونحو وتفسير وحديث، حتى إذا آنس منه أساتذته في الباب رشداً علمياً أرشدوه إلى سلوكه في الخسروية بحلب.

في الخسروية بحلب: وبعام ١٣٥١هـ-١٩٣٢م التحق بالمدرسة الخسروية وأمضى فيها سنواته الست، ليتخرج منها بعام ١٣٥٧هـ-١٩٣٨م مع ثلة طيبة من زملاء صالحين وعلماء عاملين، ذكرنا أسماءهم في القافلة الثالثة عشرة من خريجي الخسروية.

وكان شيوخه في الخسروية أكابر أهل العلم آنذاك، الذين صدرنا أسماءهم في أول هذا الجزء، وكان تخرجه مشرّفاً مما دعا مديرية المدرسة لأن تكتب له على شهادته: إنه كان

مدة التحصيل في المدرسة مثال الجد والاجتهاد، وحاز درجة عالية جداً.

مع الشيخ أبي النصر: وبعد التخرج سعى الشيخ الشاب لأن يضع العلم موضع العمل، والدعوة إلى الله، وكان من توجيهات شيخه أبي النصر (الزاد والرديف) لأن يكون كذلك، فبعد أن التقى به مع زملائه في الخسروية، إذ كان معظمهم ممن تشرفوا بالاندراج في سلكه وكان هو كذلك، فقد تلقى عنه الطريق وأذن له بالورد، وزادت اللقاء قوة مجالسه الإيمانية التي كان يحياها أهل الباب ويسعدون بها.

ولم يبق طويلاً في الباب، إذ إن توجيهات شيخه أبي النصر تقضي بأن ينتشر طلاب العلم في الآفاق يدلون الناس على الله ويدعونهم بدعوة رسول الله ﷺ.

فساقته الأقدار إلى غوطة دمشق بعد تخرجه من الخسروية بعام واحد ١٣٥٨-١٩٣٩، وبقي في قرية "مسرابا" في الغوطة إماماً وخطيباً وداعياً معلماً سبع سنوات، عاد بعدها إلى وطنه ليتزوج، ويتزود بنظرات شيخه ودعوات والده ووالدته، وكانت المحطة الثانية في جبل الأربعين "قرية التلاتة" فكان هذا بعام ١٣٦٧هـ-١٩٤٧م، وبعد سنتين فيها كان لـ "أخترين" حظ منه ونصيب لمدة سنتين، ثم "الباروزة" بقربها سنة أخرى حتى عام ١٩٥١م.

مدرساً لجرابلس: ولما شغرت وظيفة مدرس ديني في جرابلس كانت من نصيبه، فقضى فيها واحداً وعشرين عاماً نشأ فيها الأولاد ودرجوا، وكان مفتيها صديقه الشيخ محمد النعناع الحريتاني فيها نعم الجار والمؤنس، وكان شيخنا (عمر) خطيبها أيضاً.

أقول: وكنت أزور جرابلس بين أعوام ١٩٦٤-١٩٦٧ وأنعم بحديثهما وطيب مجالستهما، فكان الشيخ عمر رحمه الله يكلفني بخطابة الجمعة فيها، ولما كبر الأولاد وكبر الهم وثقل الجسم طلب الشيخ عمر الانتقال إلى حلب، فانتقل إليها بعام ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م، مدرساً دينياً يلتقي فيها إخوانه أهل العلم ومشايخه فيها، واتخذ من مسجد الصاخور التحتاني مركزاً لدروسه ومجالسه حتى وافاه الأجل يوم ١٧ رمضان ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م وهو في الركعة الثانية من صلاة المغرب رحمه الله تعالى؛ ودفن في مقبرة الشيخ سعود بحلب، طيب الله ثراه. مختصرة من تاريخ الباب الشامل للمؤلف.

العالم الشاعر، والإداري الفاضل

الشيخ محمد رضا بن رمضان الأيوبي البابي الحلبي

(١٣٠٥-١٣٩٨هـ) (١٨٨٧-١٩٧٨م)

هو العالم الفاضل والأديب الشاعر، والفقيه الإداري الحاكم، الشيخ محمد رضا بن محمد رمضان بدر أفندي الأيوبي، كريم الأصول زكي الفروع ينتمي إلى أكراد الموصل.

تعليمه الأولي: ولد هذا العَلَمُ العالِم في مدينة الباب بعام ١٣٠٥هـ / ١٨٨٧م ونشأ فيها وتلقى مبادئ العلوم الأولية في مدرسة "أنموذج الباب"، وكان مديرها آنذاك الشيخ عطا الصابوني الحلبي، ثم تابع مبادئ العلوم الشرعية الأولية في المدرسة الحسبية لدى الشيخ مصطفى أبي زلام رحمه الله، فأخذ عنه ما كان يدرس آنذاك من مبادئ الفقه والنحو والأصول والحديث وغيرها.

إلى الأزهر الشريف: وكانت نفسه وروحه توّاقة إلى مزيد من علوم الشرع الشريف فيمم تلقاء مصر، حيث لم تكن المدرسة الخسروية قد افتتحت بعد، واندرج في سلك طلاب الأزهر الشريف بعام ١٣٢٩هـ-١٩١٠م، وزامله في الطلب هناك الشيخ عبد الله حماد التاذفي، وبعد ثلاث سنوات من التحصيل في الأزهر أجازه شيوخه فيه بعام ١٣٣٢هـ - ١٩١٣م بالتدريس والفتيا، وكان ممن تلقى عنهم العلم فيه الشيخ محمد بخيت مفتي مصر "الحنفي"، والشيخ سليمان العبد مفتي الشافعية، والشيخ أحمد الشريف المالكي، والشيخ محمد علي السرّاد، والشيخ عبد المعطي السقا الشافعي، والشيخ محمد أبو راشد المالكي، والشيخ محمد حسن النجار، والشيخ محمد كمال الدين القاوقجي، وكلهم وقّع على إجازته وذيلها بـ: أجزناه بما تلقاه عنا إفتاء وتدريساً.

العودة إلى الباب والتدرج في وظائف الحكومة: بعد العودة من مصر حاصلاً على

شهادتها الأزهرية متحلياً بأخلاق العلماء، بدأ حياته العلمية مدرساً في مدرسة "أنموذج الباب"، وكان هذا بعام ١٣٣٣-١٩١٤، ثم عمل في سلك الوظائف الإدارية من وظيفة "كاتب نفوس" في الباب، إلى وظيفة مدير ناحية في "جوبان بك - الراعي"، وتنقل في أنحاء البلاد السورية، ثم ترقى إلى وظيفة قائم مقام أي مدير منطقة في المالكية ثم إعزاز وعفرين ثم النبك، ولما نقل إلى النبك استقال من الوظيفة بعام ١٣٧٤هـ-١٩٥٤م وترك الوظائف الحكومية.

مع الشيخ أبي النصر: ولما كان المرشد الكبير الشيخ أبو النصر يقدم إلى الباب في جولاته السنوية ومعه كوكبة من أهل العلم والتقوى والصلاح والفضيلة، جذبه مغناطيسه فالتقاه هناك وتلقى الطريق النقشبندي عنه، واندرج في سلك طلابه ومريديه، وظل يلزم مجالسه طيلة إقامته في الباب، فلما بعدت به الدار وشط به المزار وتنقل في الأسفار بين مدن القطر السوري موظفاً إدارياً ومسؤولاً حكومياً، لم تتح له الفرصة باللقاء المستمر إلا أن أشعاره كانت تترجم أشواقه.

أشعاره: ولا تزال هذه الأشعار مما ينشده منشدو المجالس النقشبندية، ومنها ما قاله يبث لوعته وأشواقه لشيخه:

تضيق بنا الدنيا إذا غبتموا عنا ... وتذهب بالأشواق أرواحنا منا
بعادكم قرب، وقربكم مني ... وإن غبتم عنا ولو نفساً متنا
نموت إذا غبتم ونحيا بقربكم ... وإن جاءنا منكم بشير اللقا عشنا
نعيش بذكراكم إذا لم نراكمو ... ألا إن تذكار المحبة ينعشنا
يحركنا ذكر الأحاديث عنكمو ... ولولا هواكم في الحشا ما تحركنا
ولولا مغانيكم تراها قلوبنا إذا ... نحن أيقاظ وفي النوم إن نمنا

وله شعر رقيق خمس فيه بعض الأبيات منه:

لم أذق في الحب طعماً للهنا ... وسقاني الهجر أنواع الضنا

ويح قلبي صـــار نهبـــاً للعـــــنا (يا ندامى بـــرح الـــوجد بـــنا

فاعطفوا يوماً على مأسوركم)

لن تلاقوا في الهوى مثلـــي أنـــا يرتجي مـــنكم أطايـــب المـــنى

زادني البعـــــد شـــــقاء بيّنـــــا (ظلمة الـــهجران حالت بيننـــا

فانظرونا نقتبس من نوركم)

تخميس آخر:

ما عنّ لي الحب يوماً ولا خطـــرا إلا تبينت فيـــه الـــذل و الخطـــرا

قد قلت لما خيال منك قد خطـــرا (مالي أرى النوم من عيني قد نفـــرا

أأنت علمت طرفي بعدك السهرا)

جودي بوصلك يوماً أو به فعدي فلن تَرَي في الوفاء مثلي ولن تجدي

طال النوى ذاب من طول النوى جسدي (فما لذكرك يصلي النار في كبدي

أهكذا كلَّ صَبٍ إلـــفه ذكرا)

إن الصبابة ما ألقاه مـــن شـــجن في حبكم والهوى صعب وذو محن

أبكي إذا غنت الورقا علـــى فَـــنَنٍ (أشتاقكم شوق مشتاق إلى وطـــن

هاجت بلابله ريح الصبا سحرا)

عزّ اللقاء وقلـــبي طـــار طـــائره والليل طال و لم تـــدرك أواخـــره

والحـــب أولـــه مـــر وآخـــره (يشكوكم البين صبٌّ قلَّ ناصـــره

وللفراق خطوب تصدع الحجرا)

وله أشعار أخرى وطنية وفي المناسبات.

وقد سكن حلب آخر حياته، وساهم في بناء جامع (عمار بن ياسر) في شارع النيل، وكانت له فيه مجالس ودروس، وكان كثيراً ما يتردد إلى زميله في الأزهر الشيخ عبد الله

حماد التاذفي، ويقضي بعض أوقاته في المكتبة الوقفية لدى مديرها الشيخ محمد علي الكحال، صاحب مجلة الجامعة الإسلامية التي كانت تصدر في حلب.

توفي رحمه الله بحلب عام ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م ودفن فيها، طيب الله ثراه.

وقد خلف ثلاثة أولاد ذكوراً أكبرهم أسعد ثم أكرم، ودخل في سلك الجيش ووصل إلى رتبة لواء، ثم صلاح ووصل إلى رتبة عقيد، وكلهم توفوا رحمهم الله، وتميزوا بخدمة الناس وخاصة الفقراء.

وترك الشيخ محمد رضا رحمه الله مكتبة واسعة، بعثرها أولاد ابنه إعارة وبيعاً.

وحدثني ابن ابنته الأستاذ المهندس عبد الناصر النهار أنه كان حنوناً عطوفاً على الناس وبالأخص أرحامه، قال: وكنا نحترمه ونحرص على التأدب معه وعدم إزعاجه، رغم ملاطفته لنا، وكانت حياته منظمة ينام الساعة الثامنة مساءً ويستيقظ قبل الفجر للتهجد والذكر.

قال الأستاذ عبد الناصر: وكان يعطيني نفقتي الشهرية وأنا طفل، وإذا لم أحضر يرسلها إليَّ، رحمه الله ونور ضريحه. مختصرة من تاريخ الباب الشامل للمؤلف.

وقد التقيته في قريته "الأيوبية" أيام كنت موظفاً في ناحية الراعي، دعانا إليها مع مدير الناحية، وسعدت بحلاوة حديثه وكرم ضيافته ولطف أخلاقه.

قال عبد الله: وأنا سعدت بلقائه مع السيد الوالد أياماً في المنطقة الشمالية، فكان مثال الأخلاق والتواضع والودِّ مع السيد الوالد، وكان الوالد يكرمه ويجلُّه.

وقال لي الوالد: لا تنظر إلى تواضعه؛ هو من أقران وزملاء جدك.

العالم العامل، والأديب الشاعر، والمحب الصادق

الشيخ بكري رجب البابي الحلبي

(١٣٢٨-١٣٩٩هـ) (١٩١٢-١٩٧٩م)

هو العالم الفاضل، والمحب الصادق الكامل، الأديب الأريب، والشاعر اللبيب، الفقيه الداعية إلى الله سبحانه، الشيخ بكري بن الحاج عبده رجب، المولود في مدينة الباب بعام ١٣٢٨هـ-١٩١٢م من أبوين صالحين، ونشأ في أسرة كريمة من أسر الباب العريقة (آل رجب)، ودرج فيها وتلقى علومه الأولى في مدرستها الابتدائية، ثم مبادئ العلوم الشرعية على يد شيوخها أمثال الجد الشيخ محمد المسعود، والشيخ مصطفى أبي زلام، والشيخ محمد أبي الفتوح، والشيخ أحمد أبي البقاء، رحمهم الله تعالى جميعاً.

طلب العلم في الخسروية: وكانت المدرسة الخسروية بحلب مقصد طلاب العلم في البلاد الشامية، فانتسب إليها واندرج في سلك طلابها ونهل العلم من عبابها وتخرج على يد أساتذتها الأعلام، وكان هذا بعام ١٣٥٠هـ-١٩٣١م.

ولم يلبث بعد تخرجه إلا قليلاً في مدينة الباب، ثم سكن حلب وتزوج منها وأقام فيها، واشتغل بالعلم والتدريس في مدارسها الشرعية هو وزميله في الطلب وأخوه في المحبة والسلوك لدى الشيخ أبي النصر: الشيخ أحمد القلاش، الذي كان قد تخرج من الخسروية قبله بعام ١٣٤٨هـ-١٩٢٩م، وقد طلبت منه حفظه الله أن يترجمه لي فكتب بخطه:

ما كتبه عنه زميله الشيخ القلاش:

١- خط جميل، وخلق واسع، وشاعر مطبوع، ومحب نبوي، ذو مَراءٍ (ج رؤيا) نبوية كثيرة، وحجّات وحجات، كان يجمع المال لفقراء أهل المدينة، وكلما حج نظم قصيدة في مدح ساكن المدينة ﷺ.

٢- له ديوان شعر أكثره في المديح النبوي، وله كتاب (الشافية في العروض والقافية). عشت معه أكثر من أربعين عاماً، لم أجده غضب فيها من أحد، أو عاب أحداً، كان حسن الظن، حسن العشرة، كثير الاحتمال، غضيض الصوت طويل الأناة.

٣- اشتركت معه في كتّابه الذي كان في سوق أقيول - بمدينة حلب - قبل توسعة طريقها، ثم افتتحنا مدرسة ابتدائية في محلة العريان بحلب عام ١٣٥٦هـ-١٩٣٧م، وسميناها (المدرسة الرضائية) باسم مفتي آلاي أيام العثمانيين (الشيخ رضا الزعيم)، والد حسني الزعيم الذي صار رئيساً للجمهورية السورية بعام ١٩٥٠ م، وكانت هذه المدرسة مرخصة وتتقاضى من وزارة المعارف - التربية - إذ ذاك معونة سنوية.

٤- ثم عُينت أنا وهو مدرسين للعلوم الشرعية في المدرسة الشعبانية، وكانت الأوقاف تشرف عليها وترعاها مدة /١١/ عاماً.

٥- ثم لما صارت الوحدة بين سورية ومصر عام ١٣٨١هـ-١٩٥٨م ضُمت الشعبانية إلى الخسروية (الثانوية الشرعية بحلب) فترك الدراسة كثير من الطلاب، وكذا استغني عن أكثر أساتذتها، والتحقنا أنا وهو مدرسين في الثانوية الشرعية.

٦- ثم أعيدت الشعبانية بعد عام باسم (جمعية التعليم الشرعي) ومديرها فضيلة الشيخ عبد الله سراج الدين، فعُيِّنا مدرِّسَين فيها مدة لا تقل عن عشرين عاماً، ثم توفي الشيخ بكري رحمه الله بعام ١٣٩٩هـ-١٩٧٩ م وكنت وقتها في العمرة. اهـ ما كتبه شيخنا القلاش.

صلته بالشيخ أبي النصر: كان هذا اللقاء أول حياته، وإبان طلبه للعلم في الخسروية، إذ كان معظم طلابها مريدين للشيخ أبي النصر، فالتقاه في حلب وفي الباب، وكان لصحبتهما هو وزميله القلاش للشيخ عيسى البيانوني - أستاذهما - أثر طيب في تعريفهما بالشيخ أبو النصر، والتزامهما له، وقد ذكر لي شيخنا القلاش - حفظه الله - أنهما التزما الشيخ عيسى البيانوني آخر حياته، ولمدة أربع سنوات، قرأ لهما أكثر كتاب (شرح الحكم العطائية) لابن عباد، و (بوارق الحقائق) لمحمد مهدي الرواس.

ويتابع شيخنا القلاش قائلاً: وقد أملى عليّ الشيخ عيسى تاريخ حياته، وكان يصحبنا

أنا وأخي الشيخ بكري إلى زاوية بيت خير الله في حارة الباشا بحلب، ويقرأ لنا كتاب الشيخ أحمد الصياد، وكان أخي الشيخ بكري يحضر معي عندما أكتب له ما يملي عليّ، وكان الشيخ عيسى يطعمني التمر أحياناً، فإذا لم يكن أخي الشيخ بكري حاضراً يقول لي: عدّ نوى التمر الذي أكلته وخذ بعددها لأخيك بكري؛ وفاءً منه رحمه الله تعالى.

ولازم الشيخ بكري مجالس شيخنا أبي النصر في حلب، وكان يذهب معه في جولاته أيضاً في ريفها، ويقوم بين يديه مدرساً إذا أشار عليه، وكانت رحاب مسجد أبي ذر تشهد له دروسه ليلة الجمعة بحضرة شيخه أبي النصر، ثم بعد ذلك بحضرة الشيخ عبد الباسط، رحمهم الله جميعاً.

آثاره العلمية: وقد سجَّل في ديوانه المطبوع كثيراً من المناسبات والأحداث التي مرت عليه وعلى الأمة، ولما توفي الشيخ أبو النصر رثاه بقصيدة عصماء، أثبتناها في البحث الثالث (ما قيل في الشيخ من أشعار)، كما رثى شيخه الشيخ عيسى البيانوني.

ومن آثاره أيضاً كتاب في (مناسك الحج)، وكتاب في حب المصطفى أسماه (المثل العليا في الحب للجناب المحمدي)، وذكر فيها رؤية أحد أصدقائه للشيخ عيسى بعد وفاته لم تأكل الأرض جسده، وقد ذكرنا الرؤيا في ترجمة الشيخ عيسى.

كما إن له شرحاً على جوهرة التوحيد مختصراً، صنفه يوم كلَّفته إدارة معهد العلوم الشرعية بتدريسه على طلابها، وبالإضافة إلى تدريسه في المدرسة الشعبانية والخسروية، فقد كان له درس في جامع بانقوسا خلَف فيه شيخه الشيخ عيسى البيانوني، كما خلفه في الجمع لفقراء أهل المدينة والحج كل عام.

أقول: وقد أكرمني الله سبحانه بالتدريس مكانه بعد وفاته في جامع بانقوسا، إلى أن انتقلت إلى التدريس في المدارس الرسمية وعينت أولاً في اللاذقية ثم في الباب، فتركت تدريس جامع بانقوسا.

بعض ترجمته لنفسه: وقد ذكر في مقدمة ديوانه (المدائح النبوية والأشعار الحكمية) المطبوع بحلب ١٣٩١هـ-١٩٧١م بعض ترجمة ذاتية له فقال: فالشعر العربي كلامٌ

حسنُه حسنٌ وقبيحه قبيح، ويزداد حسنه إذا كان مشتملاً على المواعظ والحكم ونظم المتون العلمية النافعة، أو في مدح الرسول ﷺ ومدح صحابته والصالحين، أو في التشويق لحج بيت الله وزيارة رسول الله ﷺ أو حض على العمل الصالح. ومتى كان الشعر على هذا الحال ارتقى وعلت مرتبة الشاعر، وخص بالإكرام من الملك العلام، كما أكرم الشيخ عيسى البيانوني رحمه الله بحفظ جسده من الفناء بسبب مدحه وحبه للنبي ﷺ.

وإنني والحمد لله قد نهجت هذا النهج منذ بدايتي في طلب العلم، فقد كان لي ميل إلى حب الأدب والشعر علاوة على العلوم الشرعية، ومما زادني شغفاً به حضوري على مفتي الباب السابق **الشيخ أحمد النعساني**، فقد كان ولوعاً بالشعر العربي وبقوله، وخصوصاً لما ارتبطت بمربي المريدين، وشيخ السالكين في الديار الشامية، سيدي ومولاي **الشيخ محمد أبي النصر الحمصي النقشبندي**، وسلكت على يديه، وعكف قلبي على محبته، وكنت أنظم القطع الشعرية والقصائد في مدحه والثناء عليه.

ثم جذبتني العناية الإلهية بواسطته إلى حج بيت الله الحرام وزيارة الرسول عليه الصلاة والسلام، فحججت مرات كثيرة مع الزيارة والحمد لله، وهناك انفتق لساني بالشعر، فكنت في أكثر السنين أنظم قصيدة في ذكرى الحج والزيارة، ثم توالت القصائد النبوية لأرفّه عن نفسي ما أجده من الحبِّ، على حد قول القائل:

إذا فـــاتني قـــرب الأحبـــة واللقـــا ففي ذكرهم أنس لوحشة خـــاطري

فـــإن أحاديـــث الأحبـــة مـــرهم لقلبي من الـــداء العضـــال المخـــامر

وهكذا كنت أنظم في المناسبات، فتارة أنظم في الترحيب بقدوم فاضل، وأحياناً في رثاء عالم أو صالح، وطوراً في الرد على مخرف في الدّين وخارج على سنة سيد المرسلين ﷺ، وحيناً في استنهاض الهمم والعزائم للعمل بدين الله، حتى اجتمع لدي قصائد كثيرة، فاقترح عليّ كثير من الإخوان أن أجمع هذه القصائد والنشائد في ديوان يجمع متفرقها ويضم شتاتها خوفاً من الضياع، ولتنتعش الروح في تلك الذكريات، فلبيت هذا الاقتراح.

بعض أشعاره: قال: وقلت هذه القصيدة ذكرى زيارتي رسول الله ﷺ، وهي أول زيارة لي وذلك في عام ١٣٥٧هـ-١٩٣٨م بعد أن أديت مناسك الحج، وكان مجيئي إليها ركوباً على الإبل، وهي من البحر الطويل:

سرينا بليل والنجوم طوالع ... وبدر السما في الأفق يسطع نوره
وسارت مطايانا نحو طيبة ... تجدّ السرى والقلب يعلو زفيره
إلى أن وصلنا ربع طيبة زاهياً ... وفاح علينا ندّه و عبيره
ولما تراءى للعيون نخيلها ... ولاح لنا في الرقمتين نضيره
وشِمنا رياض المسجد الأنور الذي ... تشرّف بالهادي وعزّ نظيره
سكبنا شآبيب الدموع على الثرى ... وسحّ من الجفن القريح مطيره

ثم قال:

ألا يا رسول الله يا سيد الورى ... ويا بحر فضل فاض فينا غديره
ويا من أسرى به الإله إلى العلى ... وجبريل في ذاك المسير سميره
وأدناه رب العرش حضرة قدسه ... فأعطي من الفضل الكبير كبيره
ويا من زلال الماء فاض بكفه ... وجاء له ظبي الفلا يستجيره
أجر عبد ذلٍ يرتجي منك نظرة ... فأنت له في كل حال مجيره
وكن لي شفيعاً يوم تبعث شافعاً ... إذا اشتد في يوم الزحام سعيره
وأدرك حمى الإسلام منك بنصرة ... فقد ساء عقباه وعزّ نصيره

قال: وقلت هذه القصيدة في عام ١٣٦٧هـ-١٩٤٨م حينما ازدادت أطماع اليهود في فلسطين، وتكررت الغارات منهم على حرماتها المقدسة، مستصرخاً أمجاد العرب والمسلمين للذود عن حياضها والدفاع عنها:

فلسطين قد أودى بساحاتها العسف ... وحل بها الذعر المروع والخسف
تناوشها قوم طغاة أبالس ... وشذّاذ آفاق، فكل لها يهفو

فهذا (أمين الله) [1] للقدس شـــاخص بطـــرف حزين والدموع لها وَكَـــفُ
ويستصرخ الأمـــجاد من آل يعـــرب فتهـــوي له الأرواح ليس لها خلـــف

ثم قال:

فيـــا آل مـــصر والعـــراق و مكـــة وسوريا بـــل والنازحين ومن يقـــفو
أترضون أرض القدس ينتابها الـــردى ويبدو على أبنائها الذل و الضـــعف
ويصبح بـــيت الله فيـــها مـــروّعاً ويعبث في أركانـــها ذلك الـــجلف

وقال:

فيـــا معشر العرب الكرام ومن لهـــم سيوف مواض في الحروب لها حـــذف
من العار أن تبقى فلسطين موطـــناً لأبناء صهـــيون و ينتابـــها العســـف
فجودوا بأمـــوال لديكم وأنـــفس أمن غيركم يا قـــوم يلتمس العطف ؟

وقال راداً على من دعا إلى سفور المرأة وادّعى أن الشريعة ظلمت المرأة بحجابها:

يا من دعا العذراء نـــحو ســـفورها ويهـــيب في إضلالـــها بـــتهجم
ويرى الـــحجاب برأيه ظلمـــاً لهـــا يا ويلـــه عن منهج الـــحق عمـــي
مزّقـــت أثواب الـــحياء لهـــا وكـــم ضرّجـــت أردان العفـــاف بعـــندم
رُمت السفور لـــها لتنظـــر وجههـــا وتـــمتع الألـــحاظ في ذا المبســـم
وشنـــنت نحو العرض غارتـــك الـــتي تُردي، فـــويلك نـــحوه لا تقـــدم
وهـــتكت ستر الغانيات بـــمقول سلط ولـــم تعبـــأ بـــحرمة مســـلم
يا هاتـــكاً حرم الرجـــال وقـــاطعاً سبل الـــمودة عشت غيـــر مكـــرم
وجعلت مشروع الحجاب معارضـــاً سنن الـــحياة برأيـــك المتســـمم
ما أنت إلا (ريشة) قـــد حُركـــت بـــهوى الـــخلاعة والتهتك فـــافهم

---

[1] إشارة لمفتي فلسطين الشيخ أمين الحسيني رحمه الله، الذي كان من أكبر المدافعين عن القضية الفلسطينية.

فارجع وعــضّ على بنانــك نادمــاً فلــتــندمن غــداً إذا لــــم تنــدم

وهي طويلة فارجع إليها من الديوان.

وفاته: توفي رحمه الله تعالى يوم الخميس أوائل جمادى الأولى من عام ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ودفن في حلب "مقبرة قاضي عسكر"، وقد خلّف ولدين طلبا العلم:

الأول: رفيقنا في الطلب الأستاذ عبد الله الذي تخرج معنا في الخسروية وتابع دراسة الحقوق، وكان رئيس شعبة في مديرية السجل العقاري بحلب، وتوفي بعام ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، في أوائل جمادى الأولى.

والثاني: الأستاذ الدكتور عبد الباسط الذي تخرج من الشعبانية وتابع دراسته في الأزهر، ويعمل الآن في الإمارات العربية حفظه الله ورعاه، وقد زارني ولده الأستاذ عبد الباسط صيف هذا العام ١٤٢٧-٢٠٠٦، وعلمت منه أنه قد حصل على الدكتوراه في العلوم الشرعية، ولا زال يعمل في الإمارات.

ما كتبته مجلة الحضارة عنه:

ونشرت مجلة حضارة الإسلام تحت عنوان (رجل فقدناه) مقالاً للأستاذ الشيخ عبد الله علوان يقول فيه: اليوم تفقد حلب الشهباء عالماً فاضلاً من علمائها، وداعية مخلصاً من دعاتها، هو فضيلة الشيخ بكري رجب رحمه الله، الذي توفاه الله سبحانه ضحى يوم الخميس ١ جمادى الأولى، الموافق ٢٩ آذار ١٩٧٩م.

وإذا كان لابدَّ من كلمة رثاء أسطرها في يوم وفاته، فلتكن الكلمة في تبيان فضائله، وتعداد مآثره، إن أردنا أن نكون أوفياء لهذا الفقيد الغالي، وأن نكون مخلصين في محبته، مقدرين لفضله.

يمتاز فقيدنا رحمه الله بثلاث مزايا رئيسية: يمتاز بكونه عالماً، ويمتاز بكونه متواضعاً، ويمتاز بكونه مرشداً.

أما كونه عالماً: فقد قضى رحمه الله حياته كلها في العلم والتصنيف، والشعر والمطالعة والتدريس، ويشهد لعلمه وتآليفه، وأدبه وشعره، تلامذتُه الذين تخرجوا على يديه، وقد

درسوا عليه العلوم الشرعية واللغة العربية وعلم العروض؛ وتشهد لعلمه وتدريسه "الشعبانية" وعلماؤها، والخسروية القديمة والحديثة وأساتذتها، ويشهد لعلمه من عرفه مْن إخوانه من أهل العلم والمعرفة، ومن حضر عليه من الخاصة والعامة.

أما كونه متواضعاً: فالقريب والبعيد يعرف عنه هذا الخلق الأصيل، وهذه الصفة المميزة، وتواضعه هذا كان شاملاً لجميع مظاهر حياته؛ شاملاً لملبسه، فإذا لبس لا يرى عليه آثار التكلف والتنمق، ومظهر الزهو والخيلاء؛ وشاملاً لمطعمه، فإذا أكل يأكل ما حضر، وما عرف عنه رحمه الله أنه تفنن في أنواع المآكل وأطايب الطعام؛ وشاملاً لمشيته، فإذا مشَى مشى على الأرض هوناً، وسار بين الناس في تواضع وخفض جناح؛ وشاملاً لمن يلقاه من الناس أو من يلتقي بهم، فإذا اجتمع بأحد أو التقى به سلَّم عليه، واستنار وجهه ببشاشة حلوة، وإذا سمع أن إنساناً مرض عاده، أو مات شيَّعه، وإذا دعاه إنسان إلى بيته أجابه، أو قصده في حاجة نفَّس كربته، وإذا جاءه فقير يطلب شيئاً أعانه، وإذا جاءه إنسان يستفتيه في مسألة أفتاه وعلمه، وإذا أراد أحد تلامذته أو محبيه أن يحمل عنه متاعه فيمتنع ويقول له: صاحب الحاجة أحق بحملها !

وهكذا كان التواضع خُلقاً أصيلاً من أخلاقه، وصفة بارزة من صفاته رحمه الله.

أما كونه مرشداً: فالإرشاد في الحقيقة كان ميزة ظاهرة من مزاياه.

كان رحمه الله لا يفتر ولا يكل في تبليغ الدعوة الإسلامية، وإرشاد أمة الإسلام إلى الحق والخير أينما كان وحيثما ارتحل. هذه الظاهرة في تبليغه وإرشاده يعرفها عنه إخوانه العلماء، وتلامذته النجباء، والخاصة والعامة من الناس.

فمن ملامح إرشاده وتبليغه أنه كان يخصص له يوماً من كل أسبوع يخرج فيه مع زمرة من العلماء الأفاضل إلى القرى القريبة أو النائية، وكان يقوم بالتدريس الوعظي والإرشادي في مساجد حلب بشكل دائم، وأوقات مخصصة، وكان يقوم أيضاً بجولات مستمرة على البيوت في مناسبات الموالد والأفراح والمآتم وعودة الحجيج من الأراضي المقدسة، ليؤدي في هذا كله رسالة التبليغ والتوجيه، ومهمة التعليم والدعوة !

وقد أوتي رحمه الله ثقافة عجيبة في الوعظ، وقدرة فائقة في التأثير، ففي جلسة وعظه وإرشاده يروي لمحدثيه من القصص والشواهد وروائع الشعر والأمثلة التاريخية ما يلفت النظر ويثير الإنتباه؛ ففي كثير من الأحيان يبلغ التحزن والتخشع في الحاضرين أقصى مداه، وما ذاك إلا لقوة تأثيره، وجاذبية حديثه، وصدق قاله وحاله؛ وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على إخلاصه الصادق، وذكائه النادر، وذاكرته الفريدة، وموهبته العجيبة، وأسلوبه المؤثر البليغ.

رحم الله شيخنا الجليل، وأغدق عليه من سحائب رحمته ورضوانه، ورفع مقامه في الآخرة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسُن أولئك رفيقاً.

سلام عليك يا أبا عبد الله إلى يوم نلقاك عندما يقوم الناس لرب العالمين، وألهم أهلك وأولادك وإخوانك العلماء وتلامذتك جميعاً الصبر والسلوان والرضى، وعوض الله المسلمين من يقوم مقامك في الدعوة إلى الله، وتبليغ الناس رسالة الإسلام، إنه بالإجابة جدير.

وفي الختام لا يسعنا إلا أن نقول:

إن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمًّى فلنصبر جميعاً ولنحتسب. إنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله [1] اهـ.

---

[1] مجلة حضارة الإسلام: العدد الرابع، السنة العشرون، أيار ١٩٧٩م، ص٥٦-٥٨.

الفاضل العصامي، والورع الصالح

الشيخ أحمد بن الشيخ حامد النعساني

(١٣١٣-١٤٠٠هـ) (١٨٩٣-١٩٨٠م)

هو الفاضل العصامي، والورع الصالح، والتقي الخفي، الشيخ أحمد بن الشيخ حامد بن محمود النعساني، المولود في الباب ١٨٩٣هـ والمتوفى فيها، المنسوب لآل النعساني - الأسرة الشهيرة في الباب - والمشهور أن نسبهم يعود لآل البيت الكرام.

نشأته الأولى: نشأ وترعرع في حجر والده الشيخ الفاضل حامد الذي كان معلماً للقرآن في البلدة، وكان (أحمد) وحيد والديه، مدللاً عند أهله، وكان والده يضعه مع التلاميذ لحفظ القرآن وتلاوته، وكان التلاميذ يخفون على شيخهم عدم حفظ ولده، وعندما تقدم التلاميذ بنهاية السنة للامتحان وتقدم معهم تبين أنه لم يتعلم شيئاً، فنال حظه الوافر من العقوبة القاسية من أبيه، فكره على إثرها القراءة؛ حتى النظر في المصحف، ولم تمض فترة حتى أصيب والده بالشلل، ولم يناهز ولده الوحيد أحمد البلوغ فقال له والده الشيخ: يا أحمد لم أستطع أن أعلمك القرآن وحسبنا الله ونعم الوكيل، فهلمّ إلى الخدمة. ولم يكن لدى الشيخ حامد من يخدمه سوى ولده أحمد، فاندفع إلى خدمة والده برغبة قوية وهمة عالية، فخدمه قرابة خمس سنين، ورأى فيها فرجاً عن دعوته للقراءة.

صلاح والده: ولما حضرت والده الوفاة أمره أن يحضر حطباً من بيت أخواله لإيقاد النار ففعل، وأمره أن يشتري من السوق كفناً ففعل، وأن يحضر من الجيران قِدراً كبيراً كانوا وقفوه لغسل الموتى، ففعل، وأمره بإحضار مستلزمات الغسل من الليف والصابون ففعل، ثم أمره بإيقاد النار ووضع الماء في القدر ففعل، وأمره بأن يحضر شيئاً من الماء ليلمس حرارته ففعل، ورضي الوالد عن حرارته، آنذاك، قال له: اذهب الآن فأحضر

إخواتك، ثم ودعه قائلاً: (خاطرك)، أي: (أستودعك الله)، وفارق الحياة.

الأمي يقرأ: وجُهِّزَ الوالد المتوفى وغسل ودفن في سفح جبل عقيل، وحضر الناس للتعزية، ومن العادة أن يقرأ الناس في التعازي القرآن في (الرَّبعة) وهي أجزاء متفرقة، فتناول أحمد جزءاً فقرأ، وعجب من نفسه وهو الذي لا يحسن القراءة، كيف استطاع أن يقرأ، وطلب من أحد جيرانهم أن يسمع له قراءته، فسمع له، فقال له: قراءتك مقبولة، ولا بد لك من المراجعة.

بدء التعلم: فرأى أن يجوِّدَ قراءته ويحسنها، فلزم الشيخ محمد بن سليم فخر الدين الإدلبي [1]، فصار يراجع القراءة عليه حتى أتقنها، ثم حبب إليه الشيخ محمد سليم طلب العلم، فلزم المدرسة الحسبية لدى الشيخ مصطفى أبو زلام فحضر دروسه وواظب عليها، فقرأ لديه الفقه والتفسير والحديث والنحو، ولما وصل الطلب إلى (ألفية ابن مالك) والمطلوب حفظها، خيّره شيخه بين حفظها (وهي ألف بيت من الشعر في قواعد النحو) وبين حفظ القرآن فاختار حفظ القرآن، فحفظه في مدة قصيرة، وقد عزا هذا التيسير في حفظ القرآن إلى بركة خدمته لوالده.

أشياخه: كان أول شيخ له، من حيث لا يدري، والده الرجل الصالح الشيخ حامد، الذي انفرد بخدمته، فكانت تربية وتزكية وسلوكاً، وتشرب من خلالها الزهد والتقوى، والصلاح والورع.

وكان الثاني الشيخ محمد بن سليم أفندي فخر الدين الإدلبي الذي كان أميناً لصندوق مالية الباب، وكان من أهل العلم والقرآن والتقوى، ومتولياً لشؤون كثير من المساجد قبل ضبطها بإدارة موحدة للأوقاف، وكان أيضاً مديراً للختم النقشبندي الشريف، وكّله عليه المرشد الشيخ أبو النصر قدس سره، فأشرب الشيخ الإدلبي في قلب تلميذه أحمد حب القرآن والذكر والطريق النقشبندي.

---

[1] انظر ترجمته في قسم علماء إدلب من هذا الكتاب.

أول صلته بالشيخ أبي النصر: ولما حضر الشيخ أبو النصر إلى الباب كعادته في جولاته على الإخوان، تلقن منه الذكر القلبي، وسلك في الطريق النقشبندي لديه، فكان الشيخ أبو النصر شيخ الروح والقلب، أما الشيخ أبو زلام فكان شيخ العلم والدرس.

ثم لازم تلميذه (سابقاً) وشيخه (لاحقاً) الشيخ محمد علي المسعود، عندما حضر إلى الباب وأقام فيها، وكان قبل يقصده بالزيارة، وكون الشيخ محمد علي تلميذه، فقد كان هو وأخوه الشيخ محمد سعيد تعلما لديه مهنة النجارة بأمر والدهما، وكانا يخرجان معه إلى القرى للعمل، فكان يعمل في النهار وفي الليل يراجع معهما دروس العلم والفقه، وكان قصد والدهما الشيخ محمد المسعود من هذا توجيه أنظار شيخهما إليهما بالأخلاق والتربية والسلوك مع تعلم المهنة.

كما أحب ولازم الشيخ الصالح والرجل الفاضل الشيخ حسين المجدمي، وكانت لا تفوته مجالس الشيخ أبي النصر عندما يحضر إلى الباب، كما كان مواظباً على مجالس النقشبندية وحضور الأختام طيلة حياته.

مهاراته وأعماله: وكان هذا الأستاذ آية من آيات الله في حذق الصناعة والمهارة فيها، فقد كان معلم نجار قبل أن ينتقل إلى الصناعة، ولما ظهرت في أوائل القرن الماضي "العشرين" مضخات الماء التي تعمل على الهواء بواسطة دولاب هوائي، وانتشرت في حلب وعجب الناس من أمرها، ذهب إلى حلب ونظر إلى واحد منها، واخترع مثله في الباب وركب له أولاً قاعدة خشبية ثم قاعدة حديدية، وجعل ريش الدولاب أولاً من القماش الصلب ثم من التوتياء، وكان يعمل هذا كله بأدوات بسيطة، ونجح في استخراج الماء في التجربة الأولى، ثم صنع أكثر من خمسة وعشرين دولاباً هوائياً انتشرت في الباب قبل أن يصل إليها المحرك الانفجاري (الموتور)، ولم تكن الصنعة تشغله عن العلم والتعليم، وكان يهوى كتب العارف ابن عربي رحمه الله.

أخلاقه وشمائله: كان مستقيماً على الشرع الشريف، ذاكراً الله، مراقباً له، كثير التصدق، والتذكر للفقراء، محباً للعلم والتعليم وتلاوة القرآن، مواظباً على مجالس العلماء

والطريق، وكان يكثر من المطالعة في كتب القوم، ولزم مطالعة تفسير روح البيان لإسماعيل حقي آخر عمره.

وأحبَّ العزلة، والانشغال بالذكر والقرآن آخر حياته، إلا من زيارة الصالحين كالشيخ محمد علي المسعود وبخاصة بعد انتقاله إلى الباب، والشيخ حسين المجدمي.

وكان يشكو آخر حياته من معدته، ولزم الحمية على الكعك وشراب البابونج، إلا أنه كان يأكل من بيت الشيخ حسين ما يقدم له من دون شكوى أو ألم.

وكان إذا اشتهى طعاماً أرسل إلى بيت الشيخ حسين فيجلب له فيأكل، دون تأثر أو ألم.

ولما توفي وجد مكتوباً فوق رأسه على الجدار في منـــزله:

قلت: يـــا رســـول الله صـــلني ... فإنـــــي أصـــبحت ميـــــتا

قـــــال: ومـــــن تعنـــــي ؟ ... قلـــت: يـــا رســـول الله أنتـــا

قال: بـــــي، وبـــالحق يفـــتى ... لـــن تـــــنالوا البـــــر حـــتى

وكانت آخر حياته حياة صفاء ورقة، حتى صار يعرف من هو طارق الباب قبل أن يدخل، ثم أوصى بقيمة بستانه أن ينفق بعد موته على الفقراء.

لطيفة: قال أخي عبد الله المسعود: كانت رابطته قوية مع سيدنا الشيخ محمد أبي النصر قدّس الله روحه، وكان من أهل المهارة والحذق في الصناعات وهو نجار، ذهب مرة إلى إحدى القرى ونسي أن يأخذ معه "الألمازة" التي يقص بها النجارون الزجاج من أجل تركيب النوافذ، وألح عليه أهل المنـــزل أن يركّب الزجاج في النافذة، ودون جدوى لم يفلح في إقناعهم أنَّ الزجاج لا يقص إلا بالألمازة، فما كان منه إلا أن توجه بقلبه إلى الشيخ أبي النصر قدس سره وقرأ له الفاتحة وأخذ الزجاج بيده فقطعه حسب المطلوب وركّبه في محله لهم. هكذا حدثني رحمه الله، وكانت بيني وبينه مودة خاصة.

أسلم روحه إلى بارئها يوم ١٥ ربيع الأول ١٤٠٠هـــ، الموافق ١٢ شباط ١٩٨٠ م، ودفن في مقبرة سفح جبل عقيل، بجانب الجد الشيخ محمد المسعود، رحمه الله رحمة واسعة.

العالم العامل، والداعي إلى الله الفاضل

الشيخ حسن بن محمد العاروني التاذفي البزاعي

(١٣٣٣-١٤٠٠هـ) (١٩١٤-١٩٨٠م)

ولد هذا الأستاذ العالم في بلدة تاذف بعام ١٣٣٣هـ - ١٩١٤م، ونشأ فيها ويفع وشب على مكارم الأخلاق وصالح العادات، وتربى في حجر والده بين خمسة إخوة، كان متميزاً عليهم بفطرته الصالحة وميله إلى التدين منذ صغره أكثر من غيره، وكان والده يلحظ هذا فيه فيطلب منه أن يؤذن في البيت ليقيموا الصلاة في الأهل وكان أصغر إخوته، فدرس الابتدائية في مدرسة تاذف الوحيدة آنذاك، وتلقى علومه الأولية فيها على يد مديرها الحازم وأستاذها الصارم خليل أفندي، الذي كان يلحظ خبث التلاميذ اليهود من المقيمين في تاذف، ويوصي تلامذته بمكارم الأخلاق، ويتابع فيهم التربية على أمهات الفضائل.

العلوم الشرعية في الباب: ولما صار الفتى (حسن) أهلاً لتلقي مبادئ العلوم الشرعية، ونفسه المحبة للعلم تهوى ذلك، لازم المدرسة الحسبية في الباب لدى شيخها العلامة مصطفى أبي زلام الذي كان مع طليعة علماء ذلك القرن موئلاً لطلاب العلم والقائمين على تدريس العلوم في تلك المدينة، وهم الشيخ محمد المسعود، والشيخ محمد أبو الفتوح، والشيخ أحمد أبو البقاء، وكانت الباب بفضل علمهم وعملهم تدعى (الأزهر الصغير).

في الخسروية بحلب: ولما أخذ ما لدى مشايخ الباب من علوم ما يؤهله لدخول أزهر حلب (الخسروية) يمم تلقاء حلب واندرج في سلك طلاب الخسروية وتلقى العلم على يد شيوخها الأجلاء ونهل من حياضهم. وتم تخرجه من الخسروية مع ثلة من زملائه من أهل الفضل والعلم بعام ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م، في القافلة العاشرة.

مع الشيخ أبي النصر: وكان معظم طلاب الخسروية ممن نهل من علوم أساتذتها من فقه الظاهر، ومن معين الشيخ أبي النصر من فقه الباطن (الإحسان) ، ومع زملائه كان يحضر الشيخ حسن مجالس الشيخ أبي النصر عندما يقدم حلب، ويتابع معه تلك المحاضر والمجالس الإيمانية أثناء تجواله في ريفها وقراها، فتلقى الذكر عنه واندرج في سلك المبايعين له، وصار يُعدّ من مريديه المحسوبين عليه.

وكان أول ما تخرج أن حطت به الأقدام بتوجيه شيخه أبي النصر في (أخترين) ثم إلى (حزوان) في منطقة الباب، ولكن بدل أن يستقر في بلدة (تاذف) كان القدر يهيء له مقاماً جديداً في (بزاعة) التي هي أحوج إليه من تاذف، حيث إن تاذف زاخرة بالعلماء وطلاب العلم، بينما بزاعة فقيرة من هؤلاء، فاستوطنها وعاش فيها حتى آخر حياته، وكانت بزاعة والباب وتاذف حقولاً خصبة لأبناء الطريق النقشبندي، يلتقي فيها أبناء الطريق مع شيخهم أبي النصر إذا قدم إليهم متنقلاً بين الباب وتاذف وبزاعة ومنبج والجزيرة والشامية، وكانت الليالي العامرة التي يذكر الله فيها مميزة، وكان شيخنا حسن نجماً من نجوم العلم والطريق ومعلماً من معالم الهداية فيها، يزداد نوره كلما سطع بدر شيخه هناك.

وظل الشيخ في بزاعة ينشر العلم والفضيلة (مبتدئاً بتأسيس المدرسة الابتدائية الرسمية معلماً فيها وإماماً وخطيباً في مسجدها) وتزوج من ابنة الشيخ الصالح الحاج عبدو عجان الحديد التاذفي ورزق منها الأولاد الذين سلكوا طريق التعليم، وبقي شيخنا في بزاعة حتى وافاه الأجل، فتوفي فيها يوم ١٠ شعبان ١٤٠٠ هـ - ١٤ حزيران ١٩٨٠م، رحمه الله وطيب ثراه. (مختصر من تاريخ الباب الشامل للمؤلف)

الأديب المحبّ

الشيخ عبود المصطاوي

(١٣٠٤-١٤٠١هـ) (١٨٨٧-١٩٨١م)

نشأته: ولد الشيخ عبود المصطاوي في قرية شويحة ضمن عائلة معروفة بالدين والصلاح إبان زمنٍ سيطر فيه ظلام الجهل والأمية، فاستطاع الشيخ أن يتعلم القراءة والكتابة – رغم قلة المعلمين والمتعلمين – على يد عالمٍ تنكَّر بغير اسمه كان قد هاجر من الأناضول زمن الحركة الطورانية.

أشياخه: تعرف الشيخ عبود منذ شبابه على الشيخ محمد المسعود الذي كان يتردد على قرية شويحة، فأفاد منه إفادةً حسنةً حتى أصبح الشيخ عبود خطيباً لقرية شويحة، ثم قويت الرابطة بينهما حتى اشتركا على تربية خلايا نحل في منطقة الساجور، ثم قام الشيخ عبود بالتعرف على **الشيخ أبي النصر** شيخ الطريقة النقشبندية الذي كان يزور القرى والأرياف للدعوة إلى الله فهام في حب شيخه، وكان يترقب قدومه من العام إلى العام، وتعلم منه السلوك وأخذ عنه الطريقة النقشبندية.

منهجه في الدعوة إلى الله تعالى: كان للشيخ عبود منهج خاص في الدعوة إلى الله متلائم مع المناخ الذي كان يعيش فيه، إذ كان الجهل يسيطر في تلك المنطقة والأمية سائدة والمدارس معدومة، فقام الشيخ عبود رحمه الله بحركة رائدة في تنوير المجتمع ورفع مستواه الديني والتعليمي، فافتتح المدارس الأهلية لتعليم القرآن الكريم ومبادئ الإسلام والقراءة والكتابة على طريقة الكتاتيب، وفي جهد دؤوب قلما يصبر عليه أفذاذ العلماء استطاع في أكثر من أربعين عاماً من الزمن أن يخرج مئات المتعلمين والمتعلمات، وأن يزيح شبح الأمية من طريق الرجال والنساء في قريته وفي القرى المجاورة "في منطقة الباب الشمالية".

وحرص على تعليم أولاده على طريقته، فمارسوا الخطابة وهما (محمد الكبير وأحمد)، وظل أحمد خطيباً في قرية شدار حتى عام ١٩٦٠م، أما (محمد الصغير) فنال الإجازة الجامعية من الأزهر بعد الكلتاوية، ونال اثنان من أولاد ابنه أحمد الإجازات الجامعية في الشريعة وهما صادق وحامد.

شعره: للشيخ عبود ديوان شعر مخطوط يزيد على عشرين قصيدة ينمُّ عن قريحة شعرية حسنة سخرها في مدح رسول الله ﷺ ومدح شيخه الشيخ أبو النصر قدس الله سره.

ومن هذا الشعر – الذي هو أشبه بالمواليا والشعر العامي – قصيدة بدأها بقوله:

الألف: ألف الصلاة على النبي كامل الصفات صرحت به الآيات
لعلى خلق عظيم

الباء: بحر للعلوم صفوة الحي القيوم كان عوناً للمظلوم
دائماً يكرم اليتيم

وعدَّدَ حروف الهجاء ثم تابع:

الزاي: زكي الجدودِ كن شفيعاً لعبودِ يوم الحشر والورودِ
على الصراط المستقيم

السين: سنة طه أحمد **أبو النصر** لها جدد بأنوار من محمد
رب زده يا كريم

الشين: شيخنا **أبو النصرِ** قد سقانا خمر البكري أظل أمدح طول عمري
بحب مولانا **سليم**

الصاد: صديق النبي صاحب السر الوفي دائم الذكر الخفي
ذكر مولانا الكريم

الضاد: ضلَّ لائِمونا لما عنكم أعذلونا يا سادتي ساعدونا
يا أبا النصر يا سليم

الطاء: **طوزقلي** سباني بنار الهوى قد كواني الشهير التركماني
نقشبندي مستقيم

الظاء: ظلام الليالي يشهدَنْ **لأبي كلالٍ** ساجداً قائم قرآن تالياً
داعٍ للباري الرحيم

العين: عيني تبكي دائم لفرقاكم يا أكارم بحب طه أبي القاسم
داوِ قلبي السقيم

الغين: غنانا رضاكم عيد علينا لقاكم اشملونا بهداكم
يا أبا النصر يا سليم

الفاء: فارغب يا مريدي أنت في الأخرى سعيدِ يوم الحشر أمد إيدي
واخلصك من الجحيم

القاف: قلبي ما سلاك يا حمصي ما أحلاك أكن خادم لنعلاك
يا أبا عبد الرحيم

الكاف: كف اللوم عني حب شيخي قد فتني فيكم حسنت ظني
داوِ قلبيَ السقيم

اللام: لذنا في حماكم سادتي نرجو رضاكم أدخلونا في حماكم
يا أبا النصر يا سليم

الميم: مني الدمع جاري على خدي كالبهارِ سادتي أنت درارِي
سركم سرٌ عظيم

النون: نور العين أنتم تستمد الروح منكم ارضوا عنا يرضى عنكم
ربنا البر الرحيم

الواو: وجهوا إلينا نظركم دائم علينا في قلوب العاشقينا
حبكم دائم مقيم

الهاء: همنا في هواكم سادتي نرجو رضاكم اشملونا بهداكم

يا أبا النصر يا سليم

الياء: يا ربنا صل على النبي الأجل والآل والصحبْ الكل
الساكنين الحطيم

ومنها:

أفق من رقدة السكر وداوِ القلب بالذكر
فهذا العمر قد ولّى وأتت ظلمة القبر
فنُشِّئنا ولم نعلم وشيبنا ولم ندرِ
فوقت الموت قد آنا وهذا آخر العمر
ونرجو العفو يا ربي بوقت نُنزل بالقبر
بجاه أحمد الهادي وجاهٍ لأبي بكر

ومنها:

إذا شئت أن تحيا حياة حلوة المحيا
فلا تؤذِ لمخلوق وعن فرضِك فلا تعيا
ولا تغضب ولا تحسد ولا تأسف على الدنيا
ولا تركن إلى الظالم ولا تسعى لها سعيا
ولا تظلم بسلطانك فعنك الله لم يعيا
تجنب هذه جمعاً لتبلغ لذة المحيا

وكلا هاتين المقطوعتين من مجزوء الوافر.

وله في مدح شيخه أبي النصر هذه المقطوعة:

زاد شوقي واشتياقي وانبرى جسمي بالفراق
جد وأكرم بالتلاقي نور عيني والأماقي
زاد شوقي مع هيامي بحبكم سُرْج الظلام

أهـــل حمـــص يـــا كـــرام بـــــادروني بـــــالتلاقي
بُعـــدكم أضـــنى فـــؤادي مـــــدحكم مـــــائي وزادي
آل ســـليم يـــا عمـــادي فـــــيكم زاد اشـــــتياقي
أدركـــــوني يـــــا كـــــرام واطفئـــــوا نـــــار الغـــــرام
أنـــــتم ســـــرج الظـــــلام فيكمـــــوا زاد اشـــــتياقي
أوصـــــلوني وارحمـــــوني في حمـــــاكم أدخلـــــوني
أبـــو النصـــر يـــا عيـــوني جـــد وأكـــرم بـــالتلاقي
وصـــلاتي مـــع ســـلامي علـــى المظلـــل بالغمـــام
أحمـــد الهـــادي التـــهامي مـــن عـــلا ظهـــر الـــبراق
والآل والصـــحب كلـــهم ومـــن بـــالحق اتـــبعهم
يـــا رب احشـــرنا معهـــم غـــداً في يـــوم التلاقـــي

* * *

قلت: (هذه الترجمة كتبها لي حفيده الأستاذ صادق المصطاوي، المدرس في الثانوية الشرعية بتركمان بارح).

العالم الفاضل، والمحبّ المتواضع

الشيخ حسن بن يوسف الهاشم البابي

(١٣٣١-١٤٠٤هـ) (١٩١٢-١٩٨٥م)

هو العالم الفاضل الشيخ حسن بن يوسف الهاشم المولود في الباب ١٣٣١هـ - ١٩١٢م، وينتمي إلى أسرة آل الدرويش العريقة في الباب، ونشأ في هذه البلدة ثم تلقى تعليمه الأولي في مدرستها الابتدائية الوحيدة، ثم أخذ مبادئ العلوم الشرعية كأقرانه من علماء البلدة الذين كانوا يبثون علومهم في مساجدها ومدارسها، أمثال الشيخ مصطفى أبي زلام، والشيخ محمد المسعود، والشيخ محمد البكور، والشيخ أحمد أبي البقاء، ولما صارت عنده الأهلية للانتساب إلى المدرسة الخسروية بحلب، اندرج في سلكها وصار من طلابها، وكان رفاقه فيها خيرة من أهل العلم الذين تخرجوا في القافلة الثالثة عشرة عام ١٩٣٧م.

وتخرج منها بعام ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م، وكان شيوخه في المدرسة الخسروية كبار علماء حلب، وحفلت إجازته العلمية المؤرخة ٢٠ حزيران ١٩٣٧م بتواقيع السادة العلماء: أحمد الكردي وعمر المارتيني ومحمد صالح الملاح، الذين وقعوا عليها باعتبارهم أعضاء اللجنة التعليمية العليا، وكذلك تواقيع مدير الأوقاف، وقاضي حلب، ومفتيها الشيخ عبد الحميد الكيالي، وكان الأساتذة الذين وقعوا الإجازة بالإضافة إلى المذكورين أعلاه أساتذة المدرسة الخسروية المذكورين أول هذا الجزء.

لقاؤه بالشيخ أبي النصر: ومن الطبيعي أن يلتقي الشباب المؤمن آنذاك بالشيخ أبي النصر فضلاً عن طلاب العلم، إذ إن شمس الشيخ كانت مضيئة آنذاك ومشرقة على مدن شمال سورية، وكانت جولاته في حلب وريفها، كالباب وبزاعة وتاذف ومنبج لا تنقطع، وكان اللقاء الأول للشيخ حسن مع الشيخ أبي النصر مع رفقائه في الطلب الشيخ محمد

علي المسعود والشيخ أديب العباس ومن سبقه أيضاً كالشيخ محمد سعيد المسعود.

وكان اللقاء مع المرشد الكبير في الباب، ولقنه شيخه أبو النصر الذكر، وأخذ عنه الطريق، واستمرت هذه اللقاءات بعد الانتساب للمدرسة الخسروية، حيث كان معظم طلابها من مريدي الشيخ ولا يتركون مجالسه إذا قدم إلى حلب.

وبعد التخرج من المدرسة الخسروية، وتكميل دينه بالزواج من بيت النعساني، صار إماماً لجامع الأردبيلي في الباب وخطيباً في مساجدها، كما كان صديقاً حميماً للشيخ محمد علي المسعود، وابن شيخه الشيخ عبد الباسط أبي النصر، والشيخ أديب حسون.

ومما ذكره الوالد رحمه الله أنهما كانا - هو والشيخ حسن - في زيارة أحد الصالحين المقيمين في غرفة في أحد خانات حلب، وكانت الحالة رثة فأصاب الغبار جبة الشيخ حسن، وكان أنيقاً في لباسه، فقال له: يا ابني يا حسن، الرفاهية إيش جابت لنا ؟ بلهجته المصرية. فقال له: وأنت ماذا رأيت من الرفاهية ؟ فقال الرجل الصالح، واسمه الشيخ عبد الله المصري: أنا كنت في مصر كل يوم أغيّر بدلة.

وبحكم صداقته وأخوته لسيدي الوالد، فقد كانت الصلات والزيارات بينهما مستمرة.

وألجأت ظروف المعيشة الضيقة في الباب شيخنا أن ينتقل إلى حلب ويقيم فيها، ولقي المساعدة الكبيرة من زميله في الطريق لدى الشيخ أبي النصر الشيخ أديب حسون، وسعى له بتأمين منـــزل مناسب، وكان يتردد عليه كثيراً، ولم يكن ينقطع عن زيارة الباب حتى وافاه الأجل المحتوم بحلب، وصلينا عليه في جامع أقيول بعام ١٤٠٤هـــ؛ صلى عليه شيخنا محمد أديب حسون وخرج في جنازته، وكنت معه، ودفن في مقبرة (السفيري).

وكانت علاقاته الدينية لم تنته من أوقاف الباب وكنت مديرها، وكانت تأتيني التوصيات من أستاذنا الشيخ عبد الباسط به كثيراً، كتابة وشفهياً (باعتباره من أحباب الشيخ أبي النصر)، كما في إحدى توصيات سيدي أبي نزار نور الله ضريحه وقدس روحه.

رحم الله شيخنا أبا يوسف وأسكنه فسيح جنانه. (من تاريخ الباب للمؤلف)

الفاضل الهمام، والعالم العامل

الشيخ محمد حمام النعساني

(١٣٢٠-١٤٠٥هـ) (١٩٠٢-١٩٨٥م)

هو النبيه الفاضل، والشهم العامل، والعالم الكامل الشيخ محمد حمام بن الشيخ أحمد بن الشيخ حمام النعساني، فهو من هذه الأسرة العريقة في النسب والمشهور في البلدة اتصال نسبها بآل بيت رسول الله ﷺ.

ولد هذا الفاضل الهمام في مدينة الباب بعام ١٣٢٠هـ - ١٩٠٢م من أبوين فاضلين صالحين، وكان والده من أهل الفضل والصلاح ومحبة أهل العلم، ويعمل مزارعاً في أرضه في البلدة، وقد غرس في ولده محبة العلم والعلماء منذ صغره ووضعه في المدرسة الابتدائية لما افتتحت في الباب، وبعد أن حصل على الابتدائية منها، كانت حلب قبلة أنظار طلاب العلم فانتسب إلى المدرسة الخسروية بعام (١٩٢٢م) بعد عام من افتتاحها، وتابع فيها سنوات سبعة درس فيها على مشايخها - الذين هم أفاضل علماء حلب - التفسير والحديث والأصول والفقه والعقائد والتجويد وعلوم العربية والفرائض والمصطلح، وغيرها من العلوم التي كانت تدرس آنذاك، وكان من أساتذته الذين وقعوا على شهادة تخرجه منها السادة المشايخ: الشيخ حسن رضا، محمد أسعد العبجي، أحمد الشماع، عمر المرتيني، محمد راغب الطباخ، الشيخ عيسى البيانوني، فيض الله الأيوبي، محمد الناشد، عبد الله عبد المعطي، كامل الغزي، وكان يديرها الشيخ مصطفى باقو رحمهم الله جميعاً، وكان هذا التخرج بعام (١٩٢٩م).

زملاؤه: وتخرج معه في ذلك العام ثلة من أفاضل العلماء الذين ذكرنا أسماءهم في القافلة الرابعة من خريجي المدرسة الخسروية.

بعد التخرج: وبعد التخرج والعودة إلى الباب عام (١٩٢٩م) صار إماماً لجامع الحاج خليل في الباب، وذلك لبضع سنوات، ثم لما ضبطت الأوقاف في سورية بعام (١٩٥٠م)، عين مأموراً لأوقاف كفر تخاريم وأرمناز وبقي هناك سنتين، ثم عاد بعدها مأموراً لأوقاف الباب سنتين (١٩٥٣-١٩٥٤)، ثم إلى كفر تخاريم وأرمناز ثانية (١٩٥٥-١٩٥٦م)، ثم إلى الباب عام (١٩٥٧ م).

إلى الكويت: وبعام ١٩٦٢ توجه إلى الكويت وعين إماماً فيها حتى عام ١٩٦٨ ثم عاد إلى حلب واستوطنها حتى توفي فيها بعام ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

مع الشيخ أبي النصر: كما ذكرنا في أكثر من ترجمة، أن طلاب العلم في الباب وتاذف - بل وفي حلب - إن لم يكونوا من مريدي الشيخ أبي النصر فهم من أحبابه وأصحابه وخيرة محبيه، وقد تلقى شيخنا (أبو أحمد) الطريق عن الشيخ أبي النصر عندما كان يقدم إلى الباب وتحيا مجالسها ومساجدها وبيوتها به وبأصحابه الكرام، وأخذ عنه الورد والطريق، وكانت سلاماته ترسل إلى الشيخ برسائل زملائه ويصله سلام الشيخ مع الرسائل الواردة أيضاً.

وكان الشيخ رحمه الله من أهل الاستقامة والفضل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقول الحق والصدع به، لا تأخذه في الله لومة لائم، وظل فقيراً طول حياته لم يعرف المداهنة ولا المجاملة حتى لقي ربه، وخلف ولدين فاضلين هما الأستاذ: أحمد جمال الدين اشتغل في سلك التعليم مدة ثم تقاعد، ومحي الدين وهو عسكري متقاعد أيضاً.

قال عبد الله مسعود: كان الشيخ صديقاً وزميلاً لجدي الشيخ عبد الرحمن حوت وله معه ذكريات أيام طلب العلم، وقدم إلى الثانوية الشرعية زائراًحينما كنت مديراً لها قبل وفاته فرأيت فيه سمتاً صالحاً، وشيخاً وقوراً، فأحببت أن أسأله عن اسمه، فقال لي: محمد حمام النعساني، فرحبت به وجلس قليلاً ثم انصرف، يتذكر مرابع ومراتع شبابه، وأساتذته وزملاءه في هذا الصرح العامر المبارك.

وكان شيخنا رحمه الله أنيسه في خلواته القرآن الكريم الذي كان يحفظه عن ظهر

قلب، وجليسه محبة الصالحين وذكرهم وذكر أخبارهم.

توفي رحمه الله في حلب في الثلاثين من تموز عام ١٩٨٥م - ١٤٠٥هـ، ودفن فيها رحمه الله تعالى ونور ضريحه. (مختصرة من تاريخ الباب للمؤلف)

الوارث الكامل، والرباني العالم، والداعية الفاضل

الشيخ عبد الوهاب سكر البابي - الحلبي

(١٣١٨-١٤٠٦هـ) (١٩٠٠-١٩٨٦م)

هو العالم الصالح، والفاضل الكامل، والتقي الورع، الأستاذ الشيخ عبد الوهاب بن سعيد السكر، البابي مولداً ونشأة، الحلبي إقامة ووفاة، النقشبندي مشرباً ومسلكاً.

ولد هذا العالم الرباني في مدينة الباب بحوالي عام ١٣١٨هـ - ١٩٠٠م، من أسرة آل السكر الشهيرة في الباب التي تنتمي لقبيلة طيء العربية.

نشأته: نشأ الشيخ يتيماً فقيراً، إذ إن والده توفي وعمره أربع سنوات، تاركاً رعاية الأسرة لأخيه الأكبر (محمد) الذي كان ثالث الإخوة مع أخيهم الأوسط (عبد اللطيف).

وبدأ تعليمه الأولي بقراءة القرآن الكريم تلاوة وتجويداً لدى امرأة في حيِّهم تعرف بـ (الخوجة) تركت تعليم الأطفال بناء على طلب زوجها، إلا أنها علمت شيخنا (عبد الوهاب) وحده لمدة ستة أشهر أتقن فيها تلاوة القرآن.

التعليم الأولي: ثم تابع تعليمه الأولي هو وأخوه (محمد) في مكتب الشيخ علي الحمدان الشهابي الذي افتتحه في المدرسة (المعبدية) في الباب، فأتقنا القراءة والكتابة، وبعد شهور افتتحت الدولة العثمانية المدرسة الابتدائية الرسمية، وكان هذا حوالي عام ١٣٢٣هـ - ١٩٠٥م في دار (أبو قرون) شارع خللو، قبل أن تنتقل إلى مكانها الحالي (مدرسة قتيبة الباهلي)، وكان المعلمون فيها أستاذهم الأولي الشيخ علي الحمدان الشهابي، والشيخ أحمد الحداد التاذفي، والشيخ أحمد الشيخ قدور النعساني، والتحق معهم في الابتدائية الرسمية أخوهم (عبد اللطيف)، وكانت الدراسة فيها ثلاث سنوات، من أنها ينتقل إلى المدرسة الرشدية وهي تعادل الإعدادي الآن، ولم يتابع شيخنا (عبد الوهاب) الرشدية واكتفى

بالابتدائية، حيث افتتح له أخوه الأكبر دكان (قصاب)، لكنه لم يستمر فيها بل كان يغلقها ويلجأ إلى مدرسة (الحسبية) التي كان الشيخ مصطفى أبو زلام أحْياها بالعلم والتعليم، فكان أخوه الأكبر محمد يغضب منه لإغلاق الدكان ولزوم المدرسة، وهم أيتام لا مورد لهم ولا عائل، وكان الشيخ مصطفى يقف بجانب تلميذه عبد الوهاب حتى أتقن مبادئ العلوم الشرعية التي تؤهله لدخول الخسروية، مما اضطر معه أخوه الأكبر أن يسلم لرغبة الشيخ ورغبة أخيه الأصغر.

في الخسروية بحلب: وتابع أستاذنا الشيخ عبد الوهاب تعليمه في الخسروية لعدة سنوات لم يكمل فيها التعليم، بل كان يطمح إلى الدراسة في الأزهر، لما يسمع من زملائه الذين سبقوه عن الأزهر وشهاداته، وشيوخه وعلمائه، وكان انتسابه للخسروية بتاريخ ٢٥ شباط ١٩٢٢م، وغادرها بتاريخ الأول من أيلول ١٩٢٤م، وذلك بسبب سفره للأزهر لإكمال التحصيل كما ذُكر في قيود المدرسة الخسروية، وأعطي وثيقة علامات تُشعر بأنه من أفراد الصف الرابع.

ونزولاً عند رغبة هذا الشاب في السفر إلى الأزهر اضطر أخوه محمد – العائل للأسرة – أن يرسله إلى مصر مع تجار أغنام في باخرة تقلهم إلى الإسكندرية ثم القاهرة، وأوصاهم أن يوصلوه إلى الشيخ عيسى البابي الحلبي في القاهرة، ونزل شيخنا عبد الوهاب في غرفته في الأزهر مجاناً، وكان عمره /٢٤/ عاماً، وكان هذا حوالي عام ١٣٤٣هـ – ١٩٢٤م.

في الأزهر الشريف: واستقر به المقام هناك، وأنس في الأزهر بزملاء له سبقوه إليه من بلدته، الشيخ صادق الغزال والشيخ سعيد المحمود الدرويش، وانقطع أستاذنا الشيخ (عبد الوهاب) للعلم والدراسة، ولم يكن لديه ما يشغله عنها، وبعد خمس سنوات حصّل إجازة الجامع الأزهر في الشريعة، وتابع الدراسة فيها في كلية الحقوق، إلا أن النفقة التي كان يرسلها له أخوه (ليرتان ذهبيتان) كل شهر لم تعد تكفي، وقنع بما لديه وأراد متابعة الدراسة إلا أن زميله الشيخ سعيد أقرضه ما يكفيه لنفقة العودة وشراء الكتب، وعاد إلى الباب ليجد أخاه الكبير لائماً له على عدم إكماله دراسة الحقوق، ولم يستطع العودة

للإتمام لعدم توفر النفقة اللازمة.

في الباب بعد التعلم: ولزم شيخنا بعد عودته إلى بلده مدرسة شيخه أبي زلام (الحسبية) معلماً ومتعلماً، كما لزم مسجد البدوي في حيهم منقطعاً ومنـــزوياً للمطالعة والعلم والبحث والدرس، والخلوة فيه مع ربه سبحانه وتعالى، وافتتح له أخوه الكبير محمد دكان عطار بمال استقرضه، ليدرّ عليه النفقة والمال اللازم، ولكنه بعد سنتين ترك الدكان والتزم مسجد البدوي معلماً ومتعلماً، ودامت حاله وإقامته في المسجد حوالي /١٤/ عاماً منذ قدومه من مصر بعام ١٣٤٨هـــ - ١٩٢٩م، حتى ١٣٦٣هـــ - ١٩٤٣م.

مع الشيخ أبي النصر: وحدثني سيدي الوالد الشيخ محمد علي المسعود رحمه الله ونور ضريحه، أن شيخنا عبد الوهاب كان من أوائل من انتفع بتوجيهات وتربية المرشد الكامل سيدي الشيخ محمد أبي النصر، فقد كانت جولات الشيخ على هذه المنطقة تستقطب العلماء والصالحين، ومحبي العلم وأهله، وكانت مجالسه الإيمانية في الباب وتاذف ذات طابع روحاني عال لم يكن يفوّتها أحباب الشيخ وتلامذته.

يقول سيدي الوالد: وكان الشيخ عبد الوهاب ممن قرأنا عليه دروس العلم قبل ذهابنا للخسروية، وكان تعلقنا المعنوي به أكثر من غيره من أساتذتنا الذين تلقينا عنهم العلم في الباب، لأنه كان ذا حال عال، حيث انتفع كسائر المشايخ من شيخنا أبي النصر.

أقول: وقد كنا نرى هذا الأثر واضحاً فيه نحن تلامذته فيما بعد في الثانوية الشرعية بحلب (الخسروية)، وكنا ننجذب إليه أكثر من غيره، وكان درسه يستقطبنا أكثر من دروس غيره من أساتذتنا، رغم أنه كان هادئاً، خافض الصوت، متّزن الكلمات، يتابع حديثه بروية وهدوء حتى أنك تعد كلماته عداً، يستطيع من يستمع إليه كتابة كلماته دون استعادتها.

التقدم لإفتاء الباب: ولما شغر منصب إفتاء الباب بوفاة المفتي الشيخ أحمد بهجت النعساني رحمه الله تعالى في عام ١٣٦١هـــ - ١٩٤٢م، تم انتخاب ثلاثة من علماء الباب ليختار رئيس الجمهورية السورية واحداً منهم وهم: (الشيخ سعيد درويش، الشيخ محمد سعيد المسعود، والشيخ محمد علي الزين)، ولما لم يكن الشيخ عبد الوهاب من المنتخبين،

سعى له أخوه الكبير محمد وكان آنذاك نائباً عن مدينة الباب (عضو مجلس الشعب) سعى لدى الحكومة في دمشق لتعيينه مفتياً، إلا أن القوانين لم تساعده، لعدم ورود اسمه في قائمة (المنتخبين الثلاثة)، وكانت من نصيب العم الشيخ محمد سعيد المسعود رحمهم الله جميعاً.

في مجلس الشعب: ولم يمض عام حتى صار موعد انتخاب أعضاء البرلمان السوري (مجلس الشعب)، ففاز الشيخ عبد الوهاب بعضويته عن مدينة الباب وذلك للفترة من عام ١٣٦٢هـ - ١٩٤٣م وحتى ١٣٦٧هـ - ١٩٤٧م، ثم انتخب مرة ثانية أيضاً عن الباب وذلك بعام ١٣٦٩هـ - ١٩٤٩م، وكانت له مواقف رائعة وقوية، في أول عهد الاستقلال الذي شرع فيه المجلس بإعداد دستور البلاد لسورية المستقلة، وكان يصر مع بعض إخوانه القلائل على وضع مادة (دين الدولة الإسلام) ولكنه كان يجد معارضة قوية من النواب المسلمين وغيرهم، وصار يلقى الضغوط من مختلف الهيئات والجهات ليغير رأيه فلم يقبل، وتشهد محاضر جلسات المجلس النيابي (مجلس الشعب) في تلك الفترة مواقف أستاذنا الشيخ عبد الوهاب الصلبة والمتزنة في الدفاع عن قضايا الأمة ودينها وأخلاقها، ومن يراجع محاضر جلسات المجلس المنشورة في الجريدة الرسمية في تلك الأوقات يجدها مفصلة واضحة.

مدرس ديني في حلب: وأثناءها تم تعيينه مدرساً دينياً في مدينة حلب، وتنازل له زميله الدكتور معروف الدواليبي عن دروسه في جامع العثمانية، ثم تابع بعد انحلال مجلس الشعب (بعام ١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م على يد أديب الشيشكلي) التدريس في مدارس حلب الشرعية في المدرسة الشعبانية والمدرسة الخسروية، فكان يدرس الفقه والأخلاق والسيرة النبوية وغيرها.

مديراً للشعبانية: ثم كلف بإدارة المدرسة الشعبانية بعد الشيخ عطا الصابوني وذلك بعام ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م، ثم بعام ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م تم دمج المدرستين الشعبانية والخسروية بمدرسة واحدة صار اسمها (الثانوية الشرعية) فانتقل إليها مدرساً، ولما أحدثت الثانوية الشرعية للبنات آنذاك كلف شيخنا بإدارتها والتدريس فيها مع ثلة من أفاضل صالحي علماء حلب.

وكان طلب منه مفتي حلب الشيخ أحمد الحجي الكردي رحمه الله بعد وفاة أمين الفتوى بعام ١٣٦٩هـ - ١٩٤٩م أن يحل محل أمين الفتوى، لكن قوانين مجلس الشعب لم تكن تسمح آنذاك، كما عُرِضَ عليه أن يكون وزيراً للمعارف (التربية) في الحكومة التي تم تشكيلها من مجلس الشعب، فلما علم أنها غير دائمة رفض أن يكون وزيراً.

آثاره العلمية: وظل شيخنا الذي تعلو الهيبة والملاحة والجمال محياه، مدرساً في المدارس الشرعية يستقي الطلاب من علومه وروحه وإفاضاته، ويتزودون بإرشاداته وتوصياته، لا يمل جليسه من سماع حديثه، وكذلك كان مدرساً في مساجد حلب، وبالأخص الكلاسة، ينتظر أحبابه ومريدوه دروسه انتظار الظمآن للماء.

وقد ترك من خلال تدريسه آثاراً لا تمحى في قلوب تلامذته ومحبيه، ورسم في عيونهم سمت العالم الجليل، والوارث المحمدي الوقور، كما ألف بعض الكتب والرسائل التي درّست في المعاهد الشرعية، منها: (سلسلة أعلام الإسلام) تحدث فيها عن بعض الشخصيات الإسلامية من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم من العلماء، و (التهذيب في الفقه الحنفي)، وكتاب (التذكار في سيرة المختار) وغيرها.

وفاته: وظل الشيخ رحمه الله ينفع الناس ويقوم بدور العالم المربي، والوارث المحمدي حتى توفاه الله في حلب في صيف عام ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، حيث كان يوماً مشهوداً حضره علماء حلب وصالحوها ومحبوه وتلامذته، ودفن في مقبرة السفيري بحلب. رحمه الله وطيب ثراه، وأعلى مقامه في عليين.

* (معظم هذه الترجمة مما أملاه عليَّ أخوه الكبير محمد سعيد السكر، ومن سجلات الخسروية، واللقاءات الشخصية مع الشيخ رحمه الله).

* وردت ترجمة شيخنا عبد الوهاب سكر في كتاب (مائة أوائل من حلب) جزء أول ص٣٣٢.

* كما إننا اختصرنا الترجمة أعلاه من كتابنا الشامل عن تاريخ الباب قسم (أعلام القرن الرابع عشر).

العالم الفاضل، والمعلم الناصح

الشيخ مصطفى بن أحمد الزعيتر "البابي"

(١٣٣٤-١٤٠٩هـ) (١٩١٥-١٩٨٩م)

هو العالم الفاضل، والمعلم الناصح، الأستاذ الشيخ مصطفى بن أحمد زعيتر، المولود في الباب ١٣٣٤هـ - ١٩١٥م من أسرة كريمة نشأت على حب العلم والعلماء وأهل الدين الفضلاء.

قرأ القرآن الكريم على شيوخ البلدة في كتاتيبها، وحبب إليه علماؤها وصلحاؤها العلم والتعليم، وبعد أن أخذ حظه الوافر وقسطه الكامل من علوم علمائها وفضل فضلائها توجه شطر مدينة حلب بإشارة من شيوخه لإكمال التحصيل فيها، كما كانت عادتهم، ألا وهي المدرسة الخسروية، وشجعه على ذلك كون ابن عمه الشيخ عبد الله الزعيتر كان قد سبقه إليها بعام ١٩٣٠م.

وسجل الشيخ مصطفى في عداد طلابها بعد اجتيازه امتحان القبول الذي يجري للمتقدمين إليها وذلك بتاريخ ١ تشرين الأول ١٩٣٢م-١٣٥١هـ، ولزم دروسها وتلقى من علمائها الأفاضل الذين كانوا خيرة علماء زمانهم وهم السادة الذين ذكرناهم بأول هذا الجزء.

وقد ذيل الشهادة مدير المدرسة الشيخ راغب الطباخ مؤرخ حلب بعبارة: إن صاحب هذه الشهادة الشيخ مصطفى بن السيد أحمد الزعيتر ممن انتظم في سلك المدرسة الخسروية وقد حاز في نهاية دراسته في الفحص العام (درجة عالية جداً)، وإن إدارة المدرسة ممتنة من حسن سلوكه واستقامته. ٢٧ربيع الثاني ١٣٥٧هـ، ٢٥حزيران ١٩٣٨م.

وبعد التخرج والعودة إلى بلده الباب وبقائه فيها ما يزيد عن عام، وقد كانت تعج

بالعلم والعلماء، وجد شيخنا الشاب أن مجال البلد التعليمي يضيق عن أهلها ولابد للبحث عن مجال أوسع للعلم والتعليم، ولطلب الرزق، فيمَّمَ وجهه شطر لبنان وقيَّضَ الله له العمل معلماً في بلدة (عبيَّة) في المدرسة الداودية الابتدائية، وذلك بتاريخ ١٩ شعبان ١٣٥٨هـ ١٩٣٩م فدرس فيها القرآن الكريم والعلوم الإسلامية والتاريخ والجغرافية، وقد كانت إدارة المدرسة شاكرة له منهجه وأسلوبه التعليمي وحسن خلقه وتعامله مع المدرسين والتلاميذ.

وقدر الله له العودة إلى بلده مرة ثانية بعد تدريسه في لبنان، وبقي فيها عدة سنوات، ولكن هاجس التعليم والعلم يراود عقله وفكره فعاود إلى التعليم في المدارس الابتدائية معلماً وكيلاً في مدارس دير الزور منذ عام ١٩٤٦وحتى عام ١٩٤٨، ثم انتقل إلى مدارس حلب وعلم في مدارسها في عدة مدارس منها (الإخاء العربي) و(الأندلس)، واستمر معلماً وكيلاً ثم لما عملت وزارة التربية دورات تدريبية للمعلمين الوكلاء بعام ١٩٦٨-١٩٦٩-١٩٧٠ لمدة ستة أشهر اشترك فيها وبنهايتها منح وثيقة النجاح معلماً أصيلاً بتاريخ ١٩٧٠/١١/١١م.

ولم يتغير أسلوبه وعطاؤه قبل التأصيل وبعده، فقد ظل هاجسه التعليم والإفادة للمتعلمين، يعينه على هذا ذكاء متقد، وسرعة بديهة، وأسلوب مرح ذكي، مع خفة الدم، والنكتة الأدبية، بحيث كان يتعلق به تلامذته ويحبه زملاؤه، وكان مرجعاً لهم أيضاً في علوم العربية والدينية، وكان يدخل المعلومة إلى ذهن الطالب بكل الأساليب الممكنة، ويدخلها إلى فكره ومحفوظته بشكل لا ينسى ولو في قالب الفاكهة.

ولم تكن تمنعه مشقة التعليم وتصحيح الوظائف للتلاميذ، وإرهاق الامتحانات والاختبارات عن مراجعة كتب العلم والدراسة والبحث، وقد أثر منهجه التعليمي في أولاده حتى تخرج كل أولاده بنين وبنات من معاهد العلم والجامعات، فقد زرع فيهم -كما في طلابه - حب العلم وريادته، والسبق فيه، فتخرجوا من المعاهد والجامعات وأفادوا ونفعوا.

ورزق من الأولاد ثمانية، أربعة ذكور وأربعة إناث، ولم يتخلف عن التعليم والحصول على الشهادات العالية أو الثانوية منهم أحد.

ولما بلغ السن القانونية بنهاية عام ١٩٧٤م وبلغ الستين من العمر، وأنهى العمل

الوظيفي الرسمي براتب تقاعدي بسيط، وكان أستاذه وصديقه وزميله في الطريق النقشبندي الشيخ محمد بلنكو رحمه الله قد أسس مع ثلة من أهل الخير في هذا البلد مستشفى المقاصد الخيرية في حلب – طريق إعزاز – فجعله مديراً إدارياً للمستشفى، فظل فيه حتى انتقل المستشفى اسماً وفعلاً إلى إدارة الدولة وذلك بعام ١٩٨٠، وترك العمل فيه ولزم بيته.

وكان رحمه الله قد يسر الله له الحج لأداء الفريضة بعام ١٩٧٩، فزار البلاد المقدسة وأدى مناسك الحج وزار الرسول المصطفى ﷺ في مدينته وعاد إلى وطنه.

صلته بالشيخ أبي النصر: ومما يجب أن يذكر أن معظم طلاب المدرسة الخسروية كانوا ممن انتفعوا بتوجيهات المرشد المربي الكبير الشيخ محمد أبي النصر الحمصي النقشبندي، فلزمه الشيخ مصطفى (أبو أسامة) وسلك على يديه، وكان يلازمه حال مجيئه إلى حلب والباب ويحضر مجالسه، ويخصه الشيخ محمد بلنكو زميله لدى الشيخ بمزيد من العناية والصحبة.

وقد كان رحمه الله باراً بأهله وجيرانه وأصدقائه وأقربائه، حلو الحديث، كريم المعشر، لطيف الأخلاق، وكان لا يفتأ يزور مدينته (الباب) رغم أنه أقام في حلب منذ انتقاله من دير الزور، ولكنه ظل وفياً لبلدته، مواصلاً لقرابته، محباً لأصدقائه وإخوانه، وكان يزور سيدي الوالد كلما جاء إلى الباب.

ولا بد لرحلة الحياة من نهاية فأدركته المنية في مدينة حلب، وتوفي بها بعام ١٤٠٩هـ في ٢٠ أيلول ١٩٨٩م ودفن في الباب، وبعد أن صلينا عليه في جامع سيدنا عمر بن الخطاب في الباب، ذكرتُ للمصلين مآثره وشمائله، ودأبه في العلم والتعليم، ودفن في مقبرة البلدة الجديدة شمال مدينة الباب رحمه الله وأكرم مثواه.

(أفادني بهذه المعلومات ابنته الكبرى في بيتي صيف عام ٢٠٠٥، وانظر ترجمته في تاريخ الباب الشامل، مدينة وأعلام للمؤلف).

العالم المعلم، والمربي الفاضل

الشيخ عبد الله الزعيتر

(١٣٣٢-١٤١٥هـ) (١٩١٣-١٩٩٤م)

الشيخ عبد الله بن أحمد الزعيتر البابي مولداً ونشأة، الحلبي إقامة ووفاة، الدملخي عشيرة.

ولد في مدينة الباب بعام ١٩١٣ م، ودرس في مدرستها الإبتدائية - الوحيدة آنذاك - وكان مديرها الشيخ الصالح إسماعيل زهدي الخطيب لمدة ثلاث سنوات.

ثم تلقى مبادىء العلوم الشرعية لدى مشايخ البلدة بذلك الوقت، وهم الشيخ محمد المسعود، والشيخ مصطفى أبو زلام، ثم الشيخ عبد الوهاب سكر، والشيخ محمد سعيد المسعود، وكان الأخير يدرس في المدرسة المعبدية.

ولما أتم مبادىء العلوم الشرعية في الباب، وكانت هذه الدراسة تخول الطالبين الانتساب إلى المدرسة الخسروية بحلب، انتسب إليها بتاريخ ١٩٣١/٩/١٥م وكان عمره يقارب ١٨ عاماً، فلزم المدرسة وأساتذتها حتى تخرج منها بـ ١٩٣٦/٦/١٥م، مكملاً صفوفها الستة، (كما في سجلات المدرسة).

أما مشايخه في الخسروية: فكانوا السادة الذين ذكرناهم في أول هذا الجزء.

زملاؤه: وكان من رفاقه في المدرسة الذين تخرجوا معه السادة المذكورون في القافلة الحادية عشرة.

صلته بالشيخ أبي النصر: ومن الطبيعي ورفيقاه الحميمان الشيخ كامل بدر، والشيخ أديب العباس - مريدا الشيخ أبي النصر - أن يصلاه بالمرشد الشيخ محمد أبي النصر الذي كانت جنبات الباب تشهد سيره وخطواته زائراً ومعلماً ومربياً ومزكياً لمعظم طالبي الخير

والصلاح من أهل العلم والعامة.

أقول: من الطبيعي أن يكون في عداد طلبة العلم الذين تلقوا الطريق والذكر عن الشيخ المرشد الشيخ أبي النصر، فأخذ الذكر والطريق عنه، واستمر مع إخوانه طلبة العلم بالحضور لديه والتزكي بإرشاده، ولما انتقل إلى حلب ظل مواظباً على مجالس النقشبندية، وقد شهدته - وكان إماماً في جامع قسطل الحرمي بحلب وجاراً له - مواظباً على مجلس الذكر والختم لما انتقلت إليها ليلة (الجمعة) أثناء إصلاح جامع أبي ذر، ملازماً لشيخنا عبد الباسط رحمه الله تعالى.

وأفادني ولده الأستاذ رضوان زعيتر أنه ظل يلهج بذكر شيخه أبي النصر، ويذكر كراماته، ويتذكر عهده وحياته حتى آخر أنفاسه رحمه الله.

وبعد تخرجه من المدرسة الخسروية تزوج في حلب، وعاد إلى الباب حيث لزم دكان أخيه المرحوم الحاج جمعة الزعيتر في السوق، وكان يعلم التلاميذ في عطلة الصيف (مدرسة صيفية) القراءة والكتابة التي تقويهم في مدارسهم، ثم عمل معلماً ابتدائياً (وكيلاً) في مدارس الحكومة في الباب وتاذف وقباسين.

ثم كلف بساعات التربية الإسلامية في مدرسة ثانوية بنات الباب الرسمية منذ عام ١٩٥٧ وحتى عام ١٩٦١م، وكذلك في ثانوية البحتري الرسمية (للذكور) منذ عام ١٩٥٧ إلى عام ١٩٦٠، وكان بنفس الوقت يلتزم تعليم الطلاب صيفاً في منـــزله، وكنت ممن تعلم في صيف ١٩٥٠ لديه.

كما أسندت إليه إمامة الأوقات السرية في جامع الشهابية في الباب وبقي فيها حتى عام ١٩٦١م.

ولما كبرت العائلة وكثرت الاحتياجات وشعر أنه مضيق عليه في الرزق غادر الباب عام ١٩٦١م إلى حلب، حيث سكن في حي قسطل الحرمي، وكان كلف من قبل مديرية التربية بتدريس اللغة العربية في ثانوية السفيرة ثم ثانوية سيف الدولة بحلب، ثم كلف من أوقاف حلب بإمامة جامع قسطل الحرمي بحلب المجاور لبيته، فلزم إمامته وإفادة الطالبين

فيه بقدر ما تسعفه صحته، حيث ترك التدريس في المدارس الرسميةالحكومية [1].

وفاته: ثم أقعده المرض حتى عن الإمامة فلزم بيته، وقام أهله وأولاده بخدمته حتى لقي الله سبحانه وتعالى بعد معاناة المرض مقعداً في فراشه وذلك يوم الإثنين ٢٥ جمادى الأولى ١٤١٥هـ الموافق ٢٨ تشرين الثاني ١٩٩٤م، وصلينا عليه في الجامع الكبير في الباب ودفن في المقبرة الجديدة شمالي البلدة.

ووقفتُ على قبره بعد الدفن أودع ذلك العالم الصابر، والأستاذ الفاضل، بكلمات كانت دون حقه ولم تف بفضله وهمته، حيث قضى حياته آخر عمره بعيداً عن أهله ووطنه، رحمه الله وغفر له. (من تاريخ الباب الشامل للمؤلف).

---

[1] ملاحظة: هذه المعلومات أخذتها عنه رحمه الله مشافهة في بيته بحلب شتاء عام ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

العالم المتواضع

الشيخ عبد الله بن الشيخ سليمان الحسن الحسيني

(...-١٤١٨هـ) (...-١٩٩٨م)

ولد هذا الرجل المتواضع والعالم العامل في مدينة الباب ونشأ فيها في كنف والد صالح من أهل التوكل والتقوى. يقول عنه ولده الشيخ عبد الله فيما كتبه لي: إن والده (الرجل الصالح الشيخ سليمان ولد في قرية صوران "إعزاز" بعام ١٢٧١ هـ ١٨٥٤م)، وينتهي نسبه إلى قبيلة (قيس بني محمد) وبعد أن قضى فترة شبابه على الطهر والتقوى في القرية هاجر إلى مدينة الباب، وتزوج هناك زوجتان توفيت الأولى، وتزوج بعدها والدتهم.

وكان يكتسب رزقه من عمله (بائع متجول) في قرى الباب ليطعم أولاده الرزق الحلال، وكان كما تقول والدته: ذا خلق كريم، لا يفتر لسانه عن ذكر الله في السفر والحضر، ويجمع أولاده في غالب الليالي على ذكر الله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ، وكان لا يفوته (ورد البكري) في السحر في الجامع الكبير مع ثلة من صالحي البلدة.

وكان يلازم زاوية الشيخ علي الحمدان الشهابي في المدرسة (الشهابية) في الباب، التي كان يحضرها ثلة من صالحي البلدة وأفاضلها من العلماء والصلحاء، أمثال الشيخ محمد بدر الحسيني، والشيخ أبو طاهر، وكان يفد إليهم من حلب الشيخ محمد الطائي حفيد سيدنا محيي الدين الطائي (الشهير بابن عربي)، كما كان يحضر إليها الشيخ محمد مكرم صافي يتفقد مريديه في الطريقة القادرية، والشيخ عساف من قرى الباب، وكان والده الشيخ سليمان سالكاً في الطريقة القادرية، حتى توفي وهو ملازم لأهل العلم والصلاح بعام (١٩٣٤ م) ودفن بجوار الرجل الصالح الشيخ حماد الدباس.

ونشأ الأولاد: (محمد، وأحمد، وحسين، وعبد الله) في ظل والدهم في حي اليماني في الباب بجوار مسجد الشيخ المبارك علي اليماني وخَلَّقَهم والدهم على حب الصالحين وأهل العلم.

شيوخه: يقول الشيخ عبد الله فيما كتبه لي: وغنمت أيام شبابي كي لا تفوتني، ومن توفيق الله سلكت طريق العلم مسترشداً بالحديث: (اطلبو العلم من المهد إلى اللحد) وحديث (خيركم من تعلم وعلم)، وكان في تلك الأيام الماضية ثلة مباركة من العلماء في منطقة الباب، وأحدثكم عما استوعبته من زوايا حياة كل واحد منهم:

١- الشيخ مصطفى أبو زلام: وكان صاحب علم غزير يستفيد من علومه العام والخاص، وكان طلاب العلم في الباب يستفيدون منه علم اللغة العربية (النحو)، وكان رحمه الله كريماً بلا حدود، إذا لم يوجد عنده طعام للضيوف يرسل إلى السوق بعض ثيابه ليبيعها فيردها إليه من يعرفه ويدفع الثمن.

٢- الشيخ محمد المسعود: كان عالماً فاضلاً متواضعاً، وله درس بعد صلاة العصر في الجامع الصغير، وكان جواداً كريماً إلى حد أنه لا يأكل وحده، ويخرج إلى الشارع ليجد من يراه من المارة فيدعوه إلى بيته بحجة تعاونه معه (لتحميل الطحنة) فيأكل معه، وكان يوجد عنده ما يلزم للناس من مواعين الإعارة.

٣- الشيخ محمد بدر: وكان عالماً ورعاً خاشعاً، كان له درس في الجامع الكبير بعد صلاة العصر أيام الإثنين والخميس والجمعة.

ثم عدد (الشيخ عبد الله) علماء البلدة: الشيخ كامل بدر، والشيخ محمد البكور، والشيخ أحمد عبد الباقي (أبو البقاء)، والشيخ حسين النعيمي، والشيخ سعيد الحاج محمود (الدرويش)، والشيخ حمدان الصالح الحمدان، والشيخ صادق الغزال، والشيخ عبد الله الزعيتر، والشيخ مصطفى الزعيتر، والشيخ محمد علي المسعود، والشيخ محمد سعيد المسعود.

وقد ذكر الشيخ عبد الله كيف تلقى العلم لدى الشيخ محمد سعيد المسعود في مدرسة المعبدية في الباب.

طلبه للعلم: يقول عنه (عن الشيخ محمد سعيد المسعود): (سبق له الإفتاء في منطقة الباب، وله دور كبير في التعليم، تخرج من طلابه عدد من العلماء في المدرسة الشرعية (الخسروية)، وكان مشهوراً بغزارة علمه بين علماء حلب ودمشق، وكان مقره لتعليم العلم (المدرسة المعبدية) له فيها غرف كبيرة تتجه نحو الجنوب (خربت الآن بعد توسيع الشارع)، وفي المدرسة عدد من الغرف يقطنها الطلاب الذين يتلقون عنه العلم من منطقة الباب ومن تادف، ومن القرى الأخرى، وكنت واحداً منهم، والغرفة التي أقطنها بجانب غرفة الشيخ (محمد سعيد)، وفي ليلة من الليالي المباركة أكرمني الله فيها برؤية حبيبه المصطفى ﷺ، إذ كنت في تلك الليلة أصلي على المصطفى ﷺ بصيغة اخترتها وكتبتها على اللوح وهي: (اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آل محمد عدد كل حرف كتب ويكتب إلى يوم الدين)، فرأيت وما أجمل ما رأيت، رأيت الحبيب المصطفى ﷺ فاقتربت منه وأخذت يمينه المباركة، وقبلتها ثلاث مرات، ثم استيقظت وقصصت الرؤيا على أستاذي الشيخ محمد سعيد المسعود، فخشع وقبلني من جبيني والحمد لله رب العالمين.

وكنت ألازم في المدرسة المعبدية الدروس التي يقرؤها لنا (النحو والفقه والتجويد) وغيرها مما يلزمني ليؤهلنا لدخول المدرسة الشرعية (الخسروية) بحلب، وكنت أحضر درساً خاصاً عليه (قواعد مجلة الأحكام).

ثم يقول: وقد تقدمت لدخول فحص المسابقة التي تجريها المدرسة الشرعية (الخسروية) للمتقدمين، ثم حضرت سنة واحدة في المدرسة الخسروية.

ولظروف خاصة لم يستطع الإكمال وكان هذا بعام (١٩٤٤ م)، ثم عدلت مناهج المدرسة وسميت (الكلية الشرعية) بعام (١٩٤٥م) وأدخلت فيها بعض العلوم العصرية، فترك كثير من طلاب العلم فيها المتابعة فيها وتوجهوا إلى مدرسة (الجمعية الغراء) بدمشق التي يشرف عليها علاَّمة دمشق الشيخ علي الدقر رحمه الله، وكان هو من جملة من تقدم ونجح في فحص القبول، وهناك تأمن له كل شيء مما يلزم لإقامة طالب العلم، إلا أن والدته لم تستطع تحمل ألم فراقه، فجمعت أقرباءه وطلبت منهم أن يقرؤوا سورة يس بنية

عودته إليها، وأحس الشيخ عبد الله بالإختناق ليلتها فعاد إلى الباب لتسر والدته، ولينقطع عن التعلم، وليتابع بعدها المطالعة على شيوخ البلدة، ويكمل بنفسه ما تعلمه لدى الشيخ محمد سعيد المسعود في المعبدية.

في جامع اليماني: وكان جامع اليماني في الباب شبه مهجور، فتفرغ الشيخ عبد الله وإخوته لتجديد عمارته وتوسعته، وصار إماماً فيه وأخوه الحاج محمد خادماً، وصار للمسجد نشاط وحيوية بفضل نشاط الشيخ عبد الله، وصار يدعو العلماء والفضلاء لإقامة حلقات العلم فيه، وكان خطيباً له أيضاً، وصار المسجد بفضله خلية علم وتقوى وعبادة. ثم هاجر إلى حلب مدة من الزمن، عاد بعدها حوالي سنة (١٩٨٠) إلى المسجد إماماً وخطيباً وعاد للمسجد نشاطه بعد ما خبا النشاط لسفره، كما كان له في تلك الفترة نشاط اجتماعي آخر، إذ كان عضواً في جمعية رفع المستوى الصحي في الباب قبل انحلالها.

صلته بالشيخ أبي النصر: وقد كتب لي أيضاً عن هذه الصلة فقال: (لمحة مباركة عن العالم المرشد الكبير الشيخ محمد أبي النصر مرشد الطريقة النقشبندية، كان في الثلاثينيات من هذا القرن يزور مدينة الباب الشيخ محمد أبو النصر، ويجتمع حوله العلماء والصلحاء، والمحبون من مدينة الباب وغيرها، من العلماء مثل الشيخ مصطفى أبو زلام، والشيخ محمد المسعود، والشيخ بدر، والشيخ محمد سعيد المسعود، والشيخ محمد علي المسعود، والشيخ مصطفى زعيتر وغيرهم من الصلحاء والمحبين.

وكانوا يجتمعون حوله ويستمعون لتوجيهاته وإرشاداته المباركة، ولهم اجتماعات في بعض المساجد مثل الجامع الصغير يديرون فيها الختم الشريف على الطريقة النقشبندية، كما كان لهم أوراد خاصة يذكرون الله الذكر الخفي حسب هذه الطريقة، ولهم مجالس في بيوت بعض المحبين يذكرون الله فيها وينشدون الأناشيد، وبخاصة حين ينشدهم الشيخ عثمان المارعي رحمه الله بلهجته الخاصة، وقصيدته التي يقول فيها:

عـــيني لغـــير جمـــالكم لا تنظـــر وســـواكم في خـــاطري لا يخطـــر
فإذا نطقت ففي حـــديث جمـــالكم وإذا ســـكت ففـــيكم أتفكـــر

حـــبي لكـــم طبـــع بغـــير تكلـــف والطبـــــع في الإنســـــان لا يـــــتغير
صـــبّرت قلـــبي عـــنكم فأجـــابني لا صـــــبر لي لا صـــــبر لي لا أصـــــبر
لا صبر لي حـــتى يـــراكم نـــاظري وعلـــى محبـــتكم أمـــوت وأحشـــر

فتطرب لقصائده القلوب، وتهتز الأبدان، وتذرف العيون، وتتجلى نفحات الرحمن.

ثم خلفه من بعده ولده الفاضل الشيخ عبد الباسط على طريقته المستقيمة، وأخلاقه المرضية، فانجذبت له القلوب، واشتاقت لرؤيته العيون، وما كان ينسى أحباب أبيه يجتمع بهم فيحبهم ويحبونه.

جزاه الله ووالده عنا الخير، وكما نفعنا الله بهم في الدنيا نرجو أن يحشرنا معهم في الآخرة، مع الأنبياء والصديقين، آمين.

وفاته: توفي رحمه الله في مدينة الباب بعد مرض ألم به، وكان انتقل إلى دار بجانب جامع الشيخ دباس، حيث سعى في بنائه بعد أن كان مزاراً، وصار إماماً فيه، ثم انتقل إلى رحمته تعالى يوم السبت ١٨ رجب ١٤١٨ هـ الموافق تشرين الثاني ١٩٩٨ م، ودفن في مقبرة الباب. رحمه الله تعالى وأجزل مثوبته.

الشيخ الصالح، والفقيه الواعظ

الشيخ عبد الله بن أحمد النعمة البابي

(١٣٣٧ هـ -...) (١٩١٨ م -...) أمدّ الله في عمره مع العافية

هو الشيخ الفاضل، والعالم العامل، بقية شيوخ الباب في هذا الوقت، وبركة طلبة العلم في هذه البلدة، الواعظ الفقيه، والصالح النبيه الشيخ عبد الله بن أحمد النعمة، المولود في الباب عام ١٩١٨م.

نشأ هذا الفاضل وترعرع في بلدة الباب، وتربى لدى والد صالح محب للصالحين وأهل العلم لكنه كان فقيراً، وتعلق ابنه عبد الله بالعلم وأهله، وكان الشيخ محمد سعيد المسعود يشجع الطلاب على العلم، وبخاصة من يجد لديه الرغبة ولا تمكنه ظروفه من المتابعة، فالتزم شيخنا (عبد الله) الحضور لديه في المدرسة المعبدية في الباب، وكان عمره وقتها /١٥/ عاماً، فدرس لديه الفقه الشافعي، فقرأ لهم كتب الشرقاوي والباجوري وتنوير القلوب، وفي النحو قرأ لهم شرح الدحلان والشيخ خالد على الأجرومية، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، كما قرأ لهم العروض والتجويد وأقرأهم القرآن الكريم، ثم قرأ لهم مجلة الأحكام العدلية التي لا تزال تعتبر أهم وآخر مرجع في فقه المعاملات في الفقه الحنفي.

في الخسروية: وأهلته دراسته لدى الشيخ محمد سعيد المسعود أن يكون من عداد الطلاب المقبولين في المدرسة الخسروية، فيمم شطرها وقد بلغ من العمر /١٩/ عاماً،وكان هذا بعام (١٣٥٩هـ - ١٩٣٥م) تقريباً، فدرس في الصفوف الثلاثة الأُوَل مستمعاً دون راتب، ولما لم يستطع والده تأدية نفقات إقامته هناك وتأدية قيمة الكتب اللازمة، أخرجه من المدرسة دون أن يتابع فيها، وعاد إلى الباب.

العودة إلى الباب: وفي البلدة كانت المدرسة (الحسبية) يقوم عليها شيخ علماء وقته الشيخ مصطفى أبو زلام، فدرس لديه لمدة سنتين الفقه الحنفي، فقرأ لهم (حاشية ابن عابدين).

ولما صار سنه قابلاً للزواج، تزوج، والأسرة تحتاج إلى نفقة، فصار يعمل (بالزريقة) وهو طلاء الجدران بالإسمنت، ليكسب عيشه، في النهار، ويعود إلى كتبه في الليل، ولما ترك المرحوم الشيخ علي الحمزة إمامة جامع الشيخ فارس لعام (١٩٥٠) وجهت إليه إدارة الأوقاف إمامة هذا الجامع، ولا زال فيه إماماً وخطيباً ومدرساً وواعظاً، لا يترك المسجد ولا يترك فرصة الوعظ والتذكير، وصار له قبول عند مستمعيه من الرجال والنساء، والحمد لله.

ووضع أولاده كلهم في طلب العلم، ولم يستمر إلا ثلاثة: هم السادة الشيخ محمد، والشيخ محمد سعيد، والشيخ محمد علي؛ حفظهم الله وحفظ والدهم.

مع الشيخ أبي النصر: يقول شيخنا: ولم يكن في الباب طالب علم غير ملتزم للشيخ أبي النصر، فمن لم يكن أخذ عليه العهد بالورد والذكر فإنه من المحبين والملازمين لمجالسه إذا حضر، والحامدين له المثنين عليه بالخير في غيابه، وبتوجيهات الشيخ محمد سعيد المسعود تَمَّ أ خذ الورد من شيخنا أبي النصر وتلقي الذكر الخفي منه، بواسطة الشيخ حسن جسومة الذي أمره الشيخ أبي النصر بتلقينه الذكر، وحضور مجالسه وحضور الختم النقشبندي الشريف، وحكى لي حفظه الله، أنه صار له تعلق عظيم بالشيخ ومحبة له، قال: وكنت مرة في عمل أهلي – دراسة القمح بالبيدر – فاشتعلت الأشواق في قلبي فتوجهت إلى حلب ماشياً ثم إلى حمص راكباً من حلب إليها، وبقيت لدى الشيخ ثلاثة أيام أنعم برؤية الشيخ ومجالسته وتوجه أنظاره وألطافه إلي، ثم عدت مزوداً بتوجيهاته وألحاظه، ومرة سمعت أن الشيخ في حلب فذهبت مع بعض الإخوان إلى حلب ماشين – حيث لم نكن نملك أجرة الركوب إلى حلب (١٥) قرشاً سورياً فذهبنا ماشين – وقبل حلب أدركتنا سيارة فركبنا إلى حلب بأجرة (٥) قروش، ثم لما وصلناها أُخبِرنا أن الشيخ في

(دويرينة) فتوجهنا إليها سيراً على الأقدام، وأدركنا السهرة، وقدم لنا الطعام ولم أذق أطيب منه في حياتي، لقد كان مأدوماً ببركات الشيخ - كما قال شيخنا عبد الله - ولما حان وقت النوم وانتهت السهرة قبيل الفجر بساعات قليلة، فقلنا: كيف نستيقظ لصلاة الصبح، ونحن أضياف هناك ؟ فبمجرد أن وقف الشيخ بين النائمين وإذا بالكل يستيقظون نشيطين ويقومون لصلاة الصبح، رحم الله الشيخ ما كان أعظمه وأفضله.

خاتمة: لا زال شيخنا الشيخ عبد الله قائماً على الشعائر في مسجده (الشيخ فارس) بعدما جدد كلياً وأضيف إليه بعض العقارات الوقفية المجاورة وأصبح عامراً بفضل الله بحسن البناء وبحسن الإعمار بالدروس والصلوات، ومواعظ الشيخ وتذكيره، وذلك بهمته ومساعدة إدارة أوقاف الباب، وذلك عام (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م)، والحمد لله رب العالمين. (من تاريخ الباب للمؤلف)

﴿ثانياً: علماء تاذف﴾

١- الشيخ محمد بن الشيخ أحمد الخليلو التاذفي، المتوفى ١٣٦٧هـ - ١٩٤٧م

٢- الشيخ عيسى الحداد التاذفي، المتوفى ١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م

٣- الشيخ محمد خلوف المامو، المتوفى ١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م

٤- الشيخ مصطفى الشيخ صالح التاذفي، المتوفى ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م

٥- الشيخ محمد بن مصطفى حماد التاذفي، المتوفى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

٦- الشيخ مصطفى المامو التاذفي، المتوفى ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

٧- الشيخ رشيد الراشد، المتوفى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

٨- محمد بن حسن البكار التاذفي، المتوفى ١٤١٢هـ -١٩٩٢ م

٩- الشيخ رشيد بن صالح النجار، المتوفى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

١٠- الشيخ رشيد العلو النجار، المولود ١٣٢٨هـ - ١٩١٩م

الشهم الفاضل، والعالم العامل

الشيخ محمد بن الشيخ أحمد الخليلو التاذفي

(١٣٣٣-١٣٦٧هـ) (١٩١٣-١٩٤٧م)

نشأته: ولد هذا العالم الفاضل، والشهم العامل، والعالم الكامل في مدينة تاذف بعام ١٣٣٣هـ - ١٩١٣م، وتربى في حجر والده الرجل الصالح الحاج أحمد الخليلو، وقرأ القرآن الكريم وتلقى مبادئ العلم في بلدة تاذف على يد علمائها الأفاضل، ومن أشهرهم الشيخ محمد علي المدراتي.

وأحب العلم والتدين منذ صغره بفضل توجيه والده الذي كان من أهل الصلاح والتقوى، وكان ممن يلازم مجالس الشيخ أبي النصر عندما يقدم إلى تاذف، وكان دأب الشيخ أبي النصر أن يحبب أهل كل بلدة أو قرية يفد إليها بالعلم ودراسته، فتعلق شيخنا - المترجَم - بالعلم وقرأ المتون التي يبدأ بها طلبة العلم أول تعلمهم لدى مشايخ تاذف ثم لدى علماء الباب.

في الخسروية بحلب: ولما صار أهلاً للانتساب إلى أزهر البلاد السورية (الخسروية) تقدم إليها مع رفاقه الذين تقدموا إليها من الباب وتاذف وانتظم في سلك طلابها وسجل في الصف الثالث مباشرة، وكان ابتداء انتسابه إليها بتاريخ ١٥ أيلول ١٩٢٤م، وكان من عادة إدارة المدرسة أن تختبر المتقدمين لأول مرة إليها وتصنفهم في الصف المناسب، وكان تحصيل الشيخ مناسباً للصف الثالث، فابتدأ فيه.

زملاؤه: وكان له زملاء أفاضل درسوا معه، وزاملوه في الدراسة والتحصيل وتخرجوا معه، وقد ذكرناهم في القافلة الرابعة، وكان التخرج في الأول من تموز عام ١٩٢٩م، (١٣٤٨ هـ) حسب قيود المدرسة الخسروية.

أساتذته: وقد تلقى العلم على أساتذتها الفخام، من العلماء الأعلام الذين ذكرناهم أول هذا الجزء.

لقاؤه بالشيخ أبي النصر: وكانت الخسروية طلاباً وأساتذة معظمهم ممن نهلوا من معين الشيخ أبي النصر، وتتلمذوا على يديه، وكانت مجالسه العامرة عندما يقدم إلى حلب تجتذب قلوب الطلاب والأساتذة، وكان شيخنا الخليلو ممن تشرف بلقاء الشيخ المرشد الحمصي منذ أن كان يزور تادف ويتفقد إخوانه هناك، وكان مع والده من أوائل من تلقى الطريق النقشبندي عليه، بل كان يحض إخوانه وزملاءه على الاندراج في سلك الشيخ أبي النصر وتلقي الطريق عنه.

وقد حدثني أستاذنا الفاضل الشيخ أحمد القلاش في أواخر شعبان من عام (١٤٢٣هـ) في المسجد النبوي، أن شيخنا الخليلو كان رفيقاً له أربع سنوات في الخسروية، وكان حريصاً على العلم والذكر، وكان كريماً، شهماً جواداً، يحب مواساة إخوانه ومعونتهم، لذلك اتخذ كيساً كان يضع فيه دراهم لإقراض إخوانه من الطلبة.

قال شيخنا القلاش: كان هذا الكيس فيه (أربعون قرشاً) مخصصة لإقراض رفاقه المحتاجين، فمن أدَّى ووفاه بعد الاستقراض أعاده إلى الكيس، ومن لم يوفِّ سامحه ووضع قروشاً بدلاً عما سامحه في الكيس، حتى يبقى مال القرض متوفراً دائماً.

أقول: وهذه شهامة وفضل وكرم أخلاق ونبل.

قال شيخنا القلاش: دعاني بعد التخرج من الخسروية مرات إلى تادف، وكان يدرس في مدرسة الإخلاص، وكنت أنزل فيها، وكان هو سبب إدخالي في الطريق النقشبندي، ولما دعاني لتلقي الذكر والطريق عن الشيخ أبي النصر، قلت له: إني سأشتغل في العلم ولست متفرغاً للطريق، فقال: خذ الطريق ومتى فرغت اعمل به. فأخذت الورد من الشيخ أبي النصر، وكان هو سبب محبتي للشيخ وتعلقي به.

وكان من أطيب الناس وأجودهم، ذا أخلاق عالية قلَّ نظيرها، وكان له حرص غريب على الدراسة، والعلم والطريق، وكان يصحبني دائماً ولا يتركني، وكنت أبادله الحب

والمودة رحمه الله وأكرم مثوبته. (اهـ. عن شيخنا القلاش).

أقول: وكان عمي الشيخ محمد سعيد المسعود من ألصق الناس به طيلة وجوده في المدرسة الخسروية، وبعدها، وكانا كثيرا التزاور والتواصل، وبخاصة أيام مجيء الشيخ أبي النصر إلى منطقة حلب وريفها، وكان العم كثيراً ما يحدثنا عنه وعن أخلاقه، وإذا ذكر رفاقه وزملاءه من أهل العلم فمن غير الممكن ألا يذكر الشيخ محمد الخليلو، وكثيراً ما كان يسافر إلى السفيرة راكباً فرس أبيه زائراً لصديقه الخليلو.

إلى السفيرة معلماً وداعياً: وبعد أن قضى في بلده تاذف مدة من الزمن، توجه بإشارة من شيخه أبي النصر إلى مدينة السفيرة إماماً وخطيباً ومعلماً ومرشداً، وخاصة وأن إخوان الشيخ أبي النصر هناك كثيرون ولا زالوا، فمكث في تلك البلدة موجهاً ومعلماً وإماماً واعظاً ومربياً، وكانت عناية شيخه أبي النصر تلحظه حال وجوده وغيابه.

ولا يزال المعمرون من أهل السفيرة يذكرون الشيخ محمد الخليلو وأياديه البيضاء في تعليمهم وتربيتهم ودلالتهم على الكمالات والفضائل..

وحدثني الأخ خليل قاسم الخليلو ابن أخيه حفظه الله قال: ذكر لي جدي وأعمامي أن الشيخ رحمه الله لما عاد إلى تاذف وأقام فيها كان يجمع أقرباءنا في أرض الدار الواسعة أيام الصيف، يجمع الرجال، ثم يجمع النساء، كل على حدة، ويعظهم ويفقههم في أمور دينهم ويقول لهم: أنا اليوم موجود، وغداً سأرحل (أي إلى الدار الآخرة) فاغتنموا وجودي. وكان يقول لهم: اسألوني عن أمور دينكم. وكان لا يفتأ يدعوهم ليلاً ونهاراً إلى مجالس العلم والفقه رحمه الله.

وفاته: وبعد أن أقام في السفيرة مدة تسعة عشر عاماً، عاد إلى بلده تاذف ولم تمض عليه شهور حتى وافته المنية وتوفي فيها ودفن هناك بعام (١٩٤٧ م)، رحمه الله تعالى وأجزل مثوبته.

(هذه المعلومات من سجلات المدرسة الخسروية، ومن شيخنا القلاش ومما سمعناه من زميله عمي الشيخ محمد سعيد المسعود).

الفاضل العالم، والتقي الصالح

الشيخ عيسى الحداد التاذفي

(١٣٣٦-١٣٧٠هـ) (١٩١٧-١٩٥٠م)

نشأته: الشيخ عيسى بن سلمو الحداد المولود في تادف بعام (١٣٣٦هـ-١٩١٧م)، نشأ فيها وتلقى مبادئ العلوم الأولية فيها، وكان جو البلدة وحياة أبنائها حياة الفطرة والتقوى والصلاح ومحبة أهل العلم والصالحين.

وكانت جولات الشيخ المرشد سيدي محمد أبي النصر تنشر أريج العلم والفضيلة، وتبعث في نفوس أهلها مزيداً من التنافس في التقوى والعمل الصالح، وكانت توجيهات الشيخ واضحة نحو العلم والتحصيل ولزوم طاعة رب العالمين، فكان الشيخ عيسى ممن بادر إلى المدرسة الخسروية فتلقى العلم فيها واندرج في سلك طلابها.

في الخسروية بحلب: وبعام (١٣٥٣هـ-١٩٣٤م) اندرج في سلك طلاب المدرسة الخسروية بحلب ولازم التلقي عن شيوخها وأساتذتها الأجلاء.

زملاؤه: وكان زملاؤه في المدرسة معظمهم ممن تلقى الطريق عن الشيخ أبي النصر، سواء أكانوا من الباب أم تادف أم من حلب، وهم المذكورون في القافلة الخامسة عشرة.

إلى تاذف: وبعد تخرجه من الخسروية بعام ١٣٥٩هـ-١٩٤٠م عاد إلى تاذف ورد بعض ما تلقاه من العلم إلى أهل بلدته، فعمل إماماً ومدرساً في جامع الشيخ إبراهيم في تادف، وما كانت تفوته مجالس **شيخه أبي النصر** قبل طلبه للعلم، وأثناء ملازمته للطلب في الخسروية، وبعد عودته إلى بلده تاذف ظل محافظاً على أوراده التي تلقاها من شيخه أبي النصر حتى وافاه أجله في مدينة تاذف، فتوفي فيها ودفن فيها بعام (١٣٧٠هـ-١٩٥٠م). رحمه الله ونور ضريحه. (المعلومات من سجلات الخسروية، والحاج جمعة المامو التاذفي)

الشيخ الفاضل، والعالم العامل

الشيخ محمد خلوف المامو التادفي

(١٣٠٦-١٣٧٧هـ) (١٨٨٨-١٩٥٧م)

نشأته: هو الشيخ الفاضل والتقي الصالح، والعالم العامل الشيخ محمد بن خلوف المامو التادفي، المولود في تادف (١٣٠٦ هـ-١٨٨٨م).

كان هذا الشيخ من الرعيل الأول الذين نشروا العلم في تادف، وأحيا فيها الفضيلة والتقوى، بعدما كادت تندرس، وجاء هذا الفاضل ليكمل ما بناه من علم وفضيلة سلفه الشيخ محمد علي مدراتي.

فقد نشأ هذا العالم الهمام في تادف وتلقى مبادىء الكتابة والقرآن الكريم عمن كان يعلمها في الكتاتيب آنذاك، ولما شب ويفع توجه تلقاء حلب لإكمال تعليمه.

في الخسروية بحلب: ولما افتتحت الخسروية بحلب بعام (١٣٤٠ هـ-١٩٢١م) كان من أوائل المندرجين في سلكها، فانتسب إليها بعام (١٩٢٢م)، هو وزميله الشيخ محمد غازي، ثم لازم العثمانية عام (١٩٢٣) أيضاً ونهل من علوم أساتذتها وأكمل التحصيل، وتخرج في الدفعة الثانية في (١٩٢٧/٩/١٥م).

زملاؤه: وكان معه ثلة من الأفاضل ذكرناهم في القافلة الثانية.

وكان شيوخه فيها: أفاضل علماء حلب الذين ذكرناهم في أول الجزء.

العودة إلى تادف: ولما تخرج وعاد إلى تادف بعام (١٩٢٧م) عاد ليبث العلم والفضيلة والصلاح والتقوى وليعلم العلم في مساجد تادف، ويؤم الناس في محراب جامع الشيخ إبراهيم، ولينتفع الناس به في بلده.

لقاؤه بالشيخ أبي النصر: وفي تلك السنين كان المرشد الكبير الشيخ محمد أبو النصر

قد بدأ جولاته في تلك المنطقة داعياً إلى الله ومرشداً الخلق إلى الحق، فالتقاه الشيخ محمد خلوف وأخذ عنه الورد النقشبندي وتلقن الطريق، ولازم الأذكار والأوراد ومجالس الشيخ إذا حضر إلى تادف أو كان في حلب.

ثم تابع تحصيله في الأزهر الشريف وبعد عودته منه بقي في تادف بضع سنين إماماً في جامع السوق في تادف، ثم عاد إلى حلب وتوظف في المحكمة الشرعية، وأمضى معظم حياته في حلب، ثم عاد إلى تادف وبقي فيها خمس سنوات قبل أن يدركه الأجل ويلقى ربه، فتوفي بعام (١٩٥٧م)، في تادف ودفن فيها. رحمه الله ونور ضريحه.

(هذه المعلومات عن قريبه الحاج جمعة المامو التاذفي، وعن سجلات المدرسة الشرعية الخسروية).

التقي الصالح، والصوفي الفاضل

الشيخ مصطفى الشيخ صالح التاذفي

(١٣٢٨-١٣٩٠هـ) (١٩١٠-١٩٧٠م)

ومن أهل الصلاح الذين نبتوا في تادف وعاشوا فيها الشيخ مصطفى بن حسين الشيخ صالح.

نشأته: ولد هذا الفاضل في تادف عام (١٣٢٨ هـ-١٩١٠م) ونشأ فيها، وأحب العلم والعلماء، والتقوى والصلحاء، وعاش في محيطها، واشتم عبقها وأريجها، مما كانت تزخر به تلك البلدة من أهل العلم والفضيلة والصلاح والتقوى، وكانت جولات الشيخ أبي النصر في تلك المنطقة ومجالسه التي يحييها في بيوت الله، وبيوت أهلها، ونشاط علمائها وأهل الفضل فيها، قد جعلت لهذه البلدة لوناً خاصاً عرفت به وتميزت به، بالإضافة إلى سائر القرى والمدن التي كانت تطؤها أرجل العارفين، وظهر فيها التنافس في الخير والتسابق إلى العلم.

في الخسروية: ولذلك سارع أبناؤها إلى حضور مجالس العلم والتلقي عن العلماء، ثم الاندراج في سلك طلاب العلم في المدارس المخصصة لذلك، فسارع الشيخ مصطفى بعد أن شب ويفع إلى الخسروية يتلقى عن مشايخها العلم والفضيلة، بعد أن تلقى الذكر والطريق عن المرشد الكامل الشيخ محمد أبي النصر الذي شجع أمثاله من الشباب إلى طلب العلم والنهل من معين الشريعة، فلازم في المدرسة الخسروية عدة سنوات (مستمعاً) غير نظامي - كما أفادني زميله الشيخ رشيد الصالح النجار حفظه الله - وكان ذلك ما بين عامي (١٩٣٤هـ-١٩٤٠ م).

ثم لما قضى من العلم حظه، ولم يكن همه الشهادة التي تعطى للخريجين بقدر التحصيل

الذي ناله من ملازمة علمائها المعروفين آنذاك، أمثال الشيخ محمد سعيد الإدلبي، والشيخ عيسى البيانوني، والشيخ إبراهيم السلقيني، والشيخ راغب الطباخ، والشيخ أحمد الكردي وغيرهم. (كما هو مذكور في تراجم زملائه).

عاد بعد أن أمضى عدة سنوات في التحصيل إلى بلده (تادف) فوقف في محراب جامع الشيخ محمد الأنصاري إماماً ومعلماً لبني بلده أحكام الدين وشرائع الإسلام، عدة سنوات.

مع الشيخ أبي النصر: ولازم مجالس شيخه أبي النصر في حلب وتاذف، وبعد أن أمضى في تادف /١٥/ عاماً، هاجر حوالي عام (١٩٥٥م) إلى حلب مع كثير ممن هاجروا من البلدة بعد شح المياه ونضوب نهر الذهب وجفاف المزروعات، وقضى بقية حياته في حلب، حتى لقي ربه بعام (١٣٩٠ هـ-١٩٧٠م) وتوفي ودفن فيها. رحمه الله ونور ضريحه. (هذه المعلومات من الشيخ رشيد الصالح زميله، والحاج جمعة المامو. وكلاهما من تاذف).

الشهم الفاضل، والعالم العامل

الشيخ محمد بن مصطفى حماد التاذفي

(١٣٣٩-١٤٠٣هـ) (١٩٢٠-١٩٨٣م)

نشأته وتعليمه: ولد هذا الشهم الفاضل، والعالم العامل الشيخ محمد بن مصطفى حماد في مدينة تادف بعام (١٣٢٧هـ-١٩١٨م)، ونشأ وترعرع فيها بين أهل صالحين، محبين للعلم والتقوى، وكانت تادف تزخر بأهل الصلاح والذكر والتقوى، حيث فيها العلماء العاملون والأتقياء الصالحون، وكان المرشد الكبير **الشيخ محمد أبو النصر** يتخولها بالزيارة كل عام وتقام فيها مجالس العلم والذكر، والتقوى والصلاح، وكانت معلومة لدى أهلها محبة الشيخ للعلم والعلماء وتوجيهاته لهم بتدريس أولادهم للعلم الشرعي.

فتلقى (الشيخ محمد) تعليمه الأولي في تادف، ولاحظته عناية من العالم الفاضل الشيخ عبد الله حماد، فوجهه للخسروية بعد أن تلقى مبادىء العلوم الشرعية في تادف، وبالخصوص ممن كان من أعلامها الشيخ محمد علي المدراتي.

إلى الخسروية بحلب: واندرج في سلك طلاب الخسروية في أوائل العام الدراسي بعد اجتياز مسابقة القبول التي تجري فيها كل عام للمتقدمين إليها، فيقبل من المتقدمين الأعلى علامات والمتفوق في فحص الاختبار، ويلاحظ أيضاً البلد الذي جاء منها، وبتاريخ ١٩٣٧/١٠/١ انتسب إلى المدرسة الخسروية وأكمل الدراسة في صفوفها على مشايخها العلماء الأعلام، وتخرج منها في عام (١٣٥٩هـ-١٩٣٩/٦/١٥م) في القافلة الرابعة عشرة.

وبعد التخرج: عاد إلى تادف ولم يحط فيها الترحال إلا قليلاً، حتى رجع إلى حلب وسكن فيها، واشتغل فيها إماماً وخطيباً ومدرساً بمدارسها الشرعية، فدرَّس في المدرسة

الشعبانية والخسروية الفقهَ والحديث، مدةً تزيد عن خمسة عشر عاماً من عام ١٩٦٠ إلى عام ١٩٧٥م، كما ألقى دروسه الوعظية والتعليمية في مساجد حلب، كجامع بانقوسا، والمصلى في الكلاسة، وجامع البيدر أيضاً في الكلاسة، متطوعاً لا يبتغي أجراً إلا من الله.

كما كان خطيباً في جامع (البياضة)، ثم سيف الدولة (الحريري)، ولازم مجالس الشيخ عبد الله سراج الدين بعد مجالس أبيه الشيخ نجيب رحمه الله تعالى، ولما سكن في حي المعادي بحلب منذ عام ١٩٦٥ حتى عام ١٩٨٣ عمل إماماً في جامع عثمان بن عفان إلى أن لقي الله سبحانه وتعالى.

صلته بالشيخ أبي النصر: منذ فتح عينيه على الدنيا في تادف، وشب ويفع فيها، كانت الأحاديثُ عن الشيخ وعلمه وكراماته وإرشاده حديث الناس، ولما وعى الحياة فتىً متعلماً حضر مجالسه، ومتع ناظره بطلعته، ولما صار شاباً أهلاً لتلقي الورد النقشبندي والذكر الخفي لقنه الشيخ الذكرَ بواسطة أحد مرافقيه، والتزم الشيخ (محمد) الورد والذكر مع محبة الشيخ، وتولع به وذهب مرةً ماشياً من حلب إلى حمص لزيارة الشيخ، ولما أراد العودة بعد أيام قضاها في زاوية شيخه في حمص استأذن شيخه فأذن له، وعزم على العود ماشياً لكنه وجد في جيبه (الخرجية) من النقود التي وضعها شيخه في جيبه فعاد إلى حلب راكباً، وظل ملازماً لذكره وطريقه حتى وافاه الأجل بحلب في آب ١٩٨٣، ودفن في مقبرة الشيخ سعود في قاضي عسكر. رحمه الله ونور ضريحه.

(المعلومات عن سجلات الخسروية وعن ابنه الدكتور إبراهيم حماد وابن عمه الشيخ محمد علي حماد حفظهما الله تعالى).

الفاضل العالم، والتقي الصالح

الشيخ مصطفى المامو التادفي

(١٣٣٨-١٤٠٥هـ) (١٩١٩-١٩٨٥م)

هو الفاضل العالم، والتقي الصالح الشيخ مصطفى بن حسن العمر المامو، المولود بعام (١٣٣٨هـ-١٩١٩م). ولد هذا العالم العامل في تادف ونشأ فيها وتلقى مبادئ العلم الأولي في مدرستها الوحيدة آنذاك، وكانت من صفين فقط، وأكمل تعليمه على مشايخ تادف، وبالأخص الشيخ محمد علي المداراتي.

وكانت توجيهات **مرشد العصر الشيخ محمد أبي النصر** تحض على طلب العلم، وكان مريدو الشيخ يتسابقون إلى تنفيذ توجيهاته، فأرسله والده حسن العمر المامو إلى حلب لكي يتم تحصيله العلمي، وينهل من موارد الشريعة ما ينهض بالإنسان المؤمن ليوصله إلى مقام الرضى والحب لله تعالى، وكان لازم مجالس الشيخ مع والده في تادف وتلقى عنه الورد والطريق النقشبندي، وتابع ملازمة مجالسه في حلب عندما اندرج في سلك طلاب الخسروية، هو وزملاؤه الذين سبقوه أو رافقوه في الصف أو جاؤوا بعده.

في الخسروية بحلب: ولازم فيها بتاريخ افتتاح العام الدراسي في الأول من تشرين الأول عام (١٩٣٤م)، ودرس على أيدي علمائها التفسير والحديث والفقه والأصول والعقائد وعلوم اللغة العربية وسائر العلوم التي كانت تدرس آنذاك، وكان مدرسوها خيرة علماء حلب.

زملاؤه: وكان ممن زامله في المدرسة وتخرج معه السادة الذين ذكرناهم في القافلة السادسة عشرة بعام ١٣٦٠هـ-١٩٤١م.

العودة إلى تادف: ولابدَّ لطالب العلم أن يؤدي زكاة علمه، تعليماً وتوجيهاً لقومه

وأهل بلده إذا رجع إليهم، فآواه محراب جامع (السوق) في تادف عامين بعد التخرج، إماماً وواعظاً وموجهاً بخلقه، وكماله وأدبه وسلوكه الرفيع، ولكن ظروف المعيشة وضيق البلد يدفع بأهلها إلى الضرب في بلاد الله الواسعة، فارتحل الشيخ إلى حريتان (القريبة من حلب) وعمل إماماً فيها مدةً تقارب عشر سنوات، ونشر فيها العلم والفضيلة والتقوى والصلاح الذي كان خلقاً له وسمتاً.

إلى حلب: وحوالي عام (١٣٨٥هـ-١٩٥٥م) عاد إلى حلب واستوطن فيها واتخذ سبباً دنيوياً (فندق الرشيد) في باب النصر يأوي إليه الغرباء عن حلب ويقوم الشيخ بإدارته هو وأبناؤه.

وتابع مسيرته العلمية خطيباً في جامع (الدرج) في حارة الباشا في حلب، وإماماً في جامع الترمانيني في جادة الخندق، ولم ينقطع بعد وفاة شيخه أبي النصر عن مجالس الذكر التي تقام تحت رعاية شيخ الطريقة سيدي عبد الباسط أبي النصر، كما حافظ على حضور الختم النقشبندي بعد صلاة الجمعة الذي يقيمه الشيخ عبد الباسط في جامع العثمانية أيضاً... حتى وافاه أجله وتوفي في حلب ودفن فيها بعام (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م). رحمه الله وأجزل مثوبته. (المعلومات عن سجلات الخسروية وقريبه حاج جمعة المامو من تادف)

العالم العصامي، والداعي إلى الله

الشيخ رشيد بن مصطفى الراشد التاذفي

(...-١٤٠٩هـ) (...-١٩٨٩م)

العالم العامل، والتقي الفاضل، الدؤوب على العلم والعمل، والدعوة إلى الله وتذكير الناس بالله، بلا كلل ولا ملل، والذي أمضى عمره في طاعة الله وتقواه، وحض الناس على الذكر والتقوى، والعمل للآخرة، الشيخ رشيد بن مصطفى بن راشد التاذفي ولادة ونشأة، الحلبي إقامة ووفاة.

ولد في تاذف ونشأ ودرج فيها يعمل في حقل والده مزارعاً، وأحب العلم والعلماء منذ طفولته، فأراد أن يبدأ حياته بطلب العلم، ولكن والده أراده فلاحاً لأرضه وعاملاً فيها، فصار يعمل في حقل والده حتى بلغ /١٦/ عاماً. فحضر إلى تاذف المربي الكبير المرشد الكامل الشيخ محمد أبو النصر الحمصي النقشبندي - وكانت له جولات في المنطقة: الباب وتاذف وما حولها - فلزم الشيخ رشيد مجلس أبي النصر الذي كان يصحبه فيه خيرة علماء حمص وحماة وحلب وتاذف والباب، فأخذ عنه الطريق النقشبندي، ولما رأى الشيخ أبو النصر توجه هذا الفتى للعلم ومحبته للعلماء حبَّب إليه طلب العلم، ودراسته، ورغّبه فيه، فلاقى هذا التوجيه قبولاً وحباً لدى الفتى، فلازم علماء تاذف يتعلم منهم، وكان على رأسهم علامة زمانه الشيخ محمد علي المدراتي في تاذف والشيخ مصطفى أبو زلام في الباب.

و لم تلق هذه الملازمة من الفتى للعلم والانقطاع عن الحقل والزراعة قبولاً ولا رغبة من والده، فصار الوالد يلح على الولد بترك العلم ولزوم العمل في الحقل، من أجل لقمة العيش، وصار الفتى الذي ذاق لذة العلم يجمع بين العمل في حقل والده، والتعلّم لدى

أساتذته، وحتى لا يكون عاقاً لوالده، فصار يمسك المحراث بيد فلاحاً وباليد الأخرى الكتاب، وكان أستاذه (المدراتي) يقول لوالده: اتركه وشأنه يتعلم، فإن له شأناً.

كما كان لتوجيهات ودعوات وتشجيع شيخه أبي النصر أكبر الأثر في استمراره وثباته في العلم، فاستفاد من شيخه أبي النصر العلم والطريق وتشبعت روحه من مجالس الشيخ أبي النصر العظيمة التي كانت تتلألأ منها مدينتي تاذف والباب، وترتفع بالمحبين إلى آفاق عالية من المعرفة والسمو الروحي.

ولازم الشيخ رشيد العلم والطريق بإخلاص وصار يدعو الناس للعلم والطريق، وصار عنده دأب على العلم والتحصيل والمطالعة، وكان لا يدع مجلساً من المجالس إلا ويذكّر الناس بالله ويعلمهم أحكام دينهم، وأذن له شيخه أبو النصر بتلقين الذكر للمريدين والتائبين، فصار يلقنهم الأذكار على منهج السادة النقشبندية.

وأسس فيما بعد في تاذف مجلساً للتذكير بالله في (الزاوية النقشبندية) التي ضُمَّت بعد رحيل الشيخ إلى حلب إلى مسجد السوق في تاذف وصارت جزءاً من المسجد.

وكان له في كل ليلة جمعة مجلس في الزاوية النقشبندية والمسجد، يجتمع فيه الإخوان المحبون والذاكرون على الأناشيد الدينية، ثم يلقي عليهم موعظة يعلمهم فيها ويذكرهم، وتختم بالصلوات على رسول الله ﷺ، كما كان يقيم حفل المولد في ذكرى الولادة الشريفة في ربيع الأول كل عام في مترله في تاذف، يدعو إليه كافة إخوانه من المحبين من الباب وتاذف وحلب وغيرها.

ثم بعام ١٩٥٢م-١٣٧٢هـ على أثر جفاف المياه في المنطقة ارتحل الشيخ مع أفراد أسرته إلى حلب، واتخذ لأسباب الرزق نزلاً (فندق) سمي بفندق الجلاء، عمل فيه أولاده، بينما تفرغ هو للعلم والتعليم والتأليف، وبدأ يدرّس في المسجد الأموي الكبير بحلب بعد رؤيا رأى فيها نبي الله زكريا عليه السلام يقول: عيّناك مدرساً في الجامع الكبير في حلب. فدرّس فيه حسبة لوجه الله حتى غادر حلب إلى مكة بأوائل عام ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م، ومع هذا لم يكن يترك قيام الليل والتهجد والذكر، يقول أحد محبيه الذي لازمه وعاصره

طويلاً (الحاج جمعة المامو): (لقد لازمته وعاصرته طويلاً فلم أره يقطع التهجد، وكان يحضر إلى المسجد قبل الفجر بساعة أو ساعتين أو ثلاث ويجلس فيه ذاكراً أو مصلياً متهجداً، ولازمته صيفاً وشتاءً فلم يكن يترك الأذكار والتهجد).

نشاطه العلمي ومصنفاته: وتفرغ بعد انتقاله إلى حلب للتأليف والتصنيف، فبدأ بتأليف رسالة في مناسك الحج بعد أن حج عام ١٣٨٤ هـ ورأى جهل كثير من الحجاج في أحكام الحج، فصنف رسالة سماها (بلوغ المرام إلى حجاج بيت الله الحرام)، طبعت أول مرة بعام ١٣٨٥هـ، وتقع في ١٨٠ صفحة من القطع الصغير وطبعت بعدها عدة مرات.

كما صنف في أحكام الصيام رسالة (روضة الإخوان في صيام رمضان)، طبعت ١٣٨٠هـ، وطبعت بعدها مرات. و (ورد الصبح وخواصه)، وطبعت ١٣٩٢هـ. (والدرر الحسان بتحريم غيبة اللسان)، طبعت عام ١٣٩٣هـ. و (الجواهر المنثورة في الأدعية المأثورة)، طبعت عام ١٣٩٤هـ. و (شفاء الصدور في زيارة القبور)، طبعت عام ١٣٩٣هـ. كما جمع القصائد والنشائد التي كانت تنشد في مجالس الذكر النقشبندية والموالد بمجموع أصدر منه ثلاثة أعداد. وفي موضوع الصلاة صنف رسالة اسماها (مفتاح النجاة في فضل الخشوع في الصلاة). وصنف (تنوير المسلمين في جواز التوسل بالأنبياء والصالحين). و (العقد المفرد في كيفية السلام عند زيارة سيدنا محمد). و (إعلام العقلاء بإثبات كرامات الأولياء). و (إعلام المؤمنين في وجوب تعظيم العلماء والصالحين). و (كشف اللثام عن فضائل بلاد الشام). و (الدر المنظم في وجوب محبة السيد الأعظم)، بحدود ٥٠٠ صفحة طبع في ليبيا. ورسائل كثيرة فيما تستجد الحاجة إلى بيانه في أمور دينهم.

ولعل أكبر كتاب ألفه هو (السيرة المرضية في حياة خير البرية)، وهو مجلدان ركز فيهما على الجانب الروحي في حياة الرسول الكريم ﷺ وقد طبعت مراراً.

وقد زادت رسائله التي ألفها على ٧٠ مؤلفاً، طبع منها أربعين رسالة كان يشرف على طباعتها بنفسه، ويوزع معظمها مجاناً للإخوان والمحبين.

وعن أيام حياته الأخيرة وخاصة التي عاشها في مكة، يحدث أحد تلامذته وعارفي فضله الذي كان يتردد عليه فيها، الدكتور الشيخ إبراهيم العنـــزاوي فيقول: (كان الشيخ رشيد مجاوراً في مكة، ويسكن في ملحق على السطح بجوار الحرم المكي في محلة الشامية، وكان في التسعينات من عمره، وعدد الدرجات التي كان يصعدها وينـــزلها في كل صلاة لحضور صلاة الجماعة في المسجد الحرام بدءاً من درجات صحن الطواف إلى نهاية درجات منـــزله /٩٢/ درجة !!

ومن عبادته وفي الصلاة بخاصة، محافظته على السنن القبلية والبعدية، مهما كانت الظروف، وكان عنده حد أدنى في الصلاة لم ينـــزل عنه طوال حياته وهو /٧٢/ ركعة يومياً بما فيها السنن والفرائض، أما في الأيام العادية فيزيد ما شاء الله أن يزيد، ويقول: هذا وردي في الصلاة منذ أن وعيت على الدنيا.

وكان له وردان ما تركهما أبداً منذ أن وعى الحياة، ولم ينـــزل عنه أبداً: (الصلاة المذكورة سابقاً /٧٢/ ركعة، والاستغفار والصلاة على النبي ﷺ كل يوم قبل الفجر /٢٠/ عشرين ألف مرة.

أما في مجال الدعوة إلى الله فقد كان محتسباً، يطوف على حمارة بيضاء يتجول في القرى المحيطة بتاذف بدءاً من (عران) إلى شاطئ الفرات شرقاً، على عادة العلماء الذين كانوا يتجولون في البلاد داعين إلى الله، لا يعرفون المرتبات الشهرية أو الساعات الإضافية أخلصوا دينهم لله.

ويذكر الأستاذ العنـــزاوي أن من كراماته رحمه الله (بعد وفاته) كما حدث ابنه مصطفى، أن أخاه أحمد بن الشيخ رشيد وكان مسؤولاً كبيراً في دمشق رأى والده في المنام يقول له: ساعدوا الشيخ حامد. واتصل هاتفياً في الصباح بأخيه مصطفى بحلب لينفذ وصية والده، فذهب مصطفى إلى الرقة قرية (كسرة فرج) ليجد هناك الشيخ حامد من تلاميذ أبيه يريد الذهاب إلى الحج هو وزوجته ولا تساعده أموره المالية، فدفع مصطفى له المال اللازم لأداء الفريضة.

قال سيدي الشيخ إسماعيل أبو النصر: أذكر أنه قبل أسبوع من وفاته حضر ختم الجمعة في جامع العثمانية، وكان كثير الأدب في جلسته وتعامله معي، حتى إنه حاول أن يقبل يدي على جلالة قدره وكبر سنه، مما ينفي فكرة الانقطاع القلبي عن الشيخ أبي النصر والطريق، والله أعلم.

توفي رحمه الله في حلب بعام ١٣٠٩هـ الموافق أيار ١٩٨٩م، ودفن في مدفن جامع العثمانية. رحمه الله وأكرم مثواه.

مختصر من كتاب (تاريخ مدينة الباب وتاذف)، قيد الإعداد، وله ترجمة في كتاب مائة أوائل من حلب ج١ ص٢٨٩.

العالم الفاضل، والداعية الكامل

الشيخ محمد بن حسن البكار التاذفي

(١٣٣٥-١٤١٢هـ) (١٩١٦-١٩٩٢م)

هو العالم الفاضل، والداعية الكامل الشيخ محمد بن حسن البكار التاذفي ولادة ونشأة والحلبي إقامة ووفاة.

ولد في تاذف بعام ١٣٣٥هـ-١٩١٦م، ونشأ في كنف والده مزارعاً، وتلقى تعليمه الأولي في تاذف.

تعليمه الشرعي: وكان سبب تلقيه العلم الشرعي أن والده نذر إن أربح الله تجارته أن يضع أحد ولديه (أحمد أو محمد) في طلب العلم، ووقع الاختيار على محمد لوفاء النذر، فبدأ يتعلم مبادئ العلوم الشرعية لدى ابن عمه الشيخ محمد الحاج حسين البكار، وذلك بعام ١٣٥٤هـ-١٩٣٥م، ثم يمم تلقاء الباب والتحق بمدرسة المعابدة حيث كان قائماً على أمور التدريس فيها الشيخ محمد سعيد المسعود، كما لازم دروس الشيخ عبد الوهاب سكر في جامع البدوي و(الحسبية)، ودروس العلامة الشيخ محمد بدر، وأهلته دراسته في الباب لمدة سنة أن يتولاه في حلب الشيخ محمد الجبريني رحمه الله، فسهل له الإقامة هناك في مدرسة الدليواتي (محلة الفرافرة) وبدأ التحصيل على مشايخ حلب كالشيخ الجبريني، والشيخ عبد الله حماد التاذفي، والشيخ محمد سعيد الإدلبي في العثمانية، وحيث يلقي دروسه في الجامع الكبير أيضاً، وتهيأ للقبول في الخسروية بعد المسابقة السنوية التي تجريها إدارتها، وكان من الذين تقدموا إليها معه الشيخ رشيد العلو النجار والشيخ علاء الدين علايا من تاذف، وهؤلاء أيضاً درسوا معه في الباب لدى الشيخ محمد سعيد المسعود، فقبلوا في المدرسة الخسروية وأعطوا غرفة فيها.

مع الشيخ أبي النصر في حلب: وكان الشيخ الجبريني رؤوفاً عطوفاً على طلاب العلم وخاصة الغرباء منهم، فبالإضافة إلى العناية المادية بهم والتعليمية، كان يأخذهم إلى الشيخ أبي النصر عند قدومه إلى حلب ليلقنهم الطريق النقشبندي، وهكذا فعل مع الشيخ محمد البكار وزملائه، فتلقى شيخنا الطريق عنه، ولازم مجالسه والأوراد والأذكار في المدرسة الشرعية (الخسروية) وبعدها.

في المدرسة الخسروية: وبعد دراسة في الخسروية تحت إشراف ثلاثة مدراء شهدهم فيها: الشيخ وحيد حمزة والشيخ مصطفى باقو والشيخ راغب الطباخ، والحصول على شهادة المدرسة تخرج منها بعام ١٣٦٢هـ-١٩٤٢م، وكان من رفاق الطلب معه الأساتذة الشيوخ الذين تخرجوا في القافلة السابعة عشرة، وذكرناهم آنفاً، وأساتذته هم علماء حلب الذين كانوا يدرسون في الخسروية.

ما بعد المدرسة: حمل الشيخ معه بعد التخرج العلم والطريق، وعاد إلى بلده تاذف حيث أمَّ في جامع الشيخ إبراهيم، وكان هو وزميله الشيخ رشيد العلو يخلوان في غرفة الجامع الكبير يشتغلان بوردهما (الذكر الخفي) ويجدّان في مراقبة النفس وتتبع هفواتها، وكم زارهما شيخهما أبو النصر في خلوتهما عندما كان يقدم إلى تاذف، كما أخبرني بذلك الشيخ رشيد، حفظه الله وأمد بعمره.

وطلب أهل قرية (قبتان) التابعة لناحية أختيرين إماماً، فذهب إليها، لينتقل بعدها إلى (بارح)، وبعد ستة أعوام بين تاذف وقبتان وبارح حط عصا الترحال في السفيرة إماماً وخطيباً وداعياً إلى الله سبحانه، وليشهر عصا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليشنّ الحرب على جماعة (اليشرطية) الذين خرجوا على قواعد الشريعة ومارسوا المنكرات والفواحش في المعتقدات والأفعال باسم التصوف، فأمضى مدة غير قليلة في حربهم ومجابهتهم والرد عليهم وكشف خفاياهم.

العودة إلى حلب: ومنذ عام ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م عاد إلى حلب ليتابع مسيرته الدعوية، فعمل إماماً في جامع (الإخلاص) في حي الشعار وظل فيه /٢٧/ عاماً، كما

كان خطيباً له، لم يتخل فيه عن وصف الداعية الملتزم بالشريعة المنوّر بأخلاق الطريق، وافتتح دكاناً هناك (مكتبة) في دوار قهوة الشعار، وظل فيها مع العمل المسجدي حتى قبل وفاته بسنوات، حيث استقال من الإمامة والخطابة بعد /٢٧/ عاماً لم تتلق دائرة الأوقاف عنه شكاية أو وشاية، وأعطى الدكان لأولاده كي يتفرغ للعبادة ومناجاة ربه بالأسحار حتى لقي ربه.

كان رحمه الله تعالى آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، رحيماً بالمؤمنين، كريماً، لا يداهن ولا يجاري، دائم المطالعة والنظر في كتب العلم، ترك مكتبة كبيرة وعامرة جعلها أولاده صدقة جارية عن روح والدهم، يذهب إليها طلاب وطالبات العلم في كلية الشريعة وغيرها ليستخرجوا من بطون الكتب بحوث العلم والمعرفة، لحلقات البحث التي تطلب منهم أثناء الدراسة.

كما ترك أولاداً من خيرة الأولاد الصالحين الذين ترى فيهم سيما التربية والتعليم الإسلامي والالتزام بالشريعة خلقاً وسلوكاً، وعلى رأسهم أخوهم الكبير الشيخ محمد أبو الخير. حفظهم الله وبارك فيهم.

حج واعتمر مرتان، وأخرج وصيته مراراً حتى لقي ربه يوم ٢٣ رجب ١٤١٢هـ - ١٩٩٢/١/١٧م، ودفن في حلب بمقبرة الشيخ يوسف رحمه الله ونور ضريحه.

(مختصرة من ترجمته في كتاب تاريخ الباب الشامل للمؤلف).

العالم الطبيب، والفاضل الأريب

الشيخ رشيد بن صالح النجار

(١٣٣٧-١٤٢٥هـ) (١٩١٨-٢٠٠٤م)

النشأة الأولى: هو الأستاذ الفاضل وطبيب الأسنان الحاذق، والعالم العامل، الشيخ رشيد بن صالح النجار، المولود في تادف (١٣٣٧هـ-١٩١٨م)، ولد بعد وفاة أبيه في الحرب الكونية الأولى (سفر برلك)، ودرس في المدرسة الابتدائية في تادف وكانت سنتان فقط، ولما توسم فيه الشيخ رشيد الراشد التادفي أهلية طلب العلم وجهه لطلب العلم وحضه عليه، وقرأ له بعض مبادئ العلوم والمتون في تادف، ثم وجهه إلى الباب حيث تابع تعليمه لدى الشيخ محمد سعيد المسعود في المدرسة المعبدية، وكانت الدراسة لديه تؤهل لدخول المدرسة الخسروية بحلب، كما لازم دروس علامة زمانه الشيخ مصطفى أبو زلام في الباب في المدرسة الحسبية. وقرأ عند الشيخ عبد الوهاب سكر في جامع البدوي (في الباب)، وحضر لدى الشيخ محمد حمام النعساني رحمهم الله تعالى.

في الخسروية بحلب: وبتشجيع وعناية الشيخ محمد سعيد المسعود قُبِلَ في سِلك طلاب المدرسة الخسروية بعام ١٣٥٣هـ-١٩٣٤م بعداختبار القبول فيها، وكان شيوخه فيها شيوخ حلب الذين يفيضون من علومهم وأخلاقهم على تلاميذهم. وتم التخرج بعام ١٣٥٩هـ-١٩٤٠م وكان من رفاقه الخريجون في القافلة الخامسة عشرة المذكورون سابقاً.

بعد التخرج: وشاء الله أن يكون بعد التخرج إماماً وخطيباً في بلدة (راحمدان) منذ تخرجه بعام ١٣٥٩ وحتى عام ١٣٦٧- ١٩٤٨م، ولما أعلنت وزارة المعارف (التربية) عن مسابقة لانتقاء معلمي ابتدائي، تقدم للمسابقة ونجح فيها وعُيِّن معلماً في نفس القرية، وظل فيها حتى عام ١٣٧١-١٩٥١ حيث نقل إلى جرابلس لمدة عام ثم إلى بلدة الباب

معلماً حتى سن التقاعد بعام ١٣٩٧/١٩٧٧ وبقي فيها. وكانت نفسه طموحة لنيل الشهادات العلمية فتقدم لنيل شهادة الإعدادية، وكانت تسمى المتوسطة، فنجح فيها بعام ١٣٧٨-١٩٥٧م، ثم أهلية التعليم الابتدائي ١٩٧٩هـ-١٩٥٨م، ثم البكالوريا (الثانوية العامة) ١٣٨٠هـ-١٩٥٩، ونال البكالوريا هو وابنه صالح بعام واحد.

مع مهنة طب الأسنان: وقد تعلم مهنة طب الأسنان من صديق له في كفر تخاريم فأتقنها ومارسها منذ عام ١٩٤٠ م وحتى عام ١٩٩٢م، حيث تقاعد من هذه المهنة ونزح إلى حلب وأقام فيها.

مع الشيخ أبي النصر النقشبندي: قال لي حفظه الله، وهو الذي أملى عليّ هذه المعلومات: كان المرشد الكبير سيدنا الشيخ محمد أبو النصر يزور بلدتنا تادف والباب، وكان غالب طلبة العلم - إن لم يكن كلهم - من أحبابه وأصحابه، فمن لم يأخذ عنه الطريق كان يحبه ويحضر مجالسه؛ وكان من توفيق الله لي أن لازمت مجالسه، وأخذت عنه الذكر الخفي والورد النقشبندي وأذن لي بالطريق قبل دخول المدرسة الخسروية، وذلك بعام ١٣٤٩هـ-١٩٣٠م، وكنت أنا وزملائي لا نترك مجالسه في الباب وتادف وفي حلب أثناء الدراسة وبعدها، وهذا مما أكرمنا الله به سبحانه، ونرجو الله أن يديم علينا بركته وأنظاره حياً وميتاً، رحمه الله وقدس سره.

وفاته: وقد توفي رحمه الله بعد إعداد هذه الترجمة يوم الخميس ليلة الجمعة ٢٠ محرم ١٤٢٥هـ الموافق ١٣ آذار ٢٠٠٤م، وأعلنت الباب وتادف النبأ المحزن بانتقال علم من أعلام الدعوة والعلم والتعليم إلى ربه، وأكرمني الله بالصلاة عليه مع حشد كبير من جموع المشيعين في الجامع الكبير في تادف بعد صلاة المغرب ليلة الجمعة، ووقفت على قبره في مقبرة تادف (المجاورة لمقبرة الشيخ عبدو عجان الحديد)، وذكرت للحضور بعضاً من مآثر هذا العالم الخفي والداعي إلى الله بعلمه وعمله وحاله؛ رحمه الله وأجزل مثوبته وعوضنا بأنجاله الكرام (صالحاً وطريفاً وخالداً) خيراً إن شاء الله تعالى.

الشيخ الوقور، والناسك الصبور

الشيخ رشيد العلو النجار التاذفي

(١٣٢٨ هـ-) (١٩١٩م-) أمدَّ الله في عمره مع العافية

هو الأستاذ الفاضل والعالم العامل، والشيخ الوقور والناسك الصبور، الشيخ رشيد ابن علو النجار التاذفي، ولد في مدينة تاذف - قرب الباب - بعام ١٣٢٨هـ-١٩١٩م، ونشأ فيها في حجر والده الرجل الصالح الذي كان من تلاميذ ومريدي الشيخ أبي النصر، وكانت توجهات الشيخ المربي (سيدي أبي النصر) للآباء بوضع أبنائهم في طلب العلم، وبخاصة إذا رأى في الولد نجابة ونباهة، فدرس الشيخ رشيد دراسته الأولية والتعليم الابتدائي في مدرسة تاذف، ثم انتقلت الأسرة إلى الباب بسبب العمل التجاري، فحضر على مشايخ الباب مبادئ العلوم الأولية كالفقه والنحو والحديث والتفسير، فالتزم مدرسة المعبدية لدى الشيخ محمد سعيد المسعود، ومن زملائه في الطلب في المدرسة المعبدية المشايخ السادة: الشيخ علاء الدين علايا، وعيسى الحداد، ومصطفى المامو، وكلهم من تاذف، كما التزم دروس الشيخ عبد الوهاب سكر بعد عودته من الأزهر، ولزومه مسجد البدوي في الباب مدة طويلة.

في الخسروية بحلب: وأهلته دراسته لدى علماء الباب لأن يقبل في الصف الثالث من المدرسة الخسروية بحلب، وذلك بعام ١٣٦٠هـ-١٩٣٩م، ولكنه لم يتمكن سنتها من الدخول إليها، فالتزم مدرسة الدليواتي بحلب ورعاه فيها الشيخ محمد الجبريني وأنزله في غرفته ثم وضع معه رفيقاً آخر له، وبعد إقامته في الدليواتي بقية سنته، التزم الخسروية ونهل من علوم أساتذتها وانتفع بهم. وكان من زملائه الذين تخرجوا معه بعام ١٣٦١هـ-١٩٤١م ثلة من الفضلاء والنبلاء الذين ذكرناهم في القافلة السادسة عشرة.

ويذكر الشيخ حفظه الله (وهذه المعلومات تلقيتها منه في منـــزله العامر بحلب بعام ١٤٢٠هـــ و ١٤٢٣هـــ) أن من أوائل من تلقى العلم عنهم في تاذف الشيخ محمد غازي التاذفي، وقد تلقى عليه مبادئ علم الفرائض قبل انتسابه للمدرسة الخسروية بحلب، وقد عمل الشيخ رشيد بعد تخرجه من الخسروية في الباب، ثم بحلب خطيباً وإماماً، وقد قضى فترة خطيباً في جامع السبيل بعد وفاة الشيخ أبي الخير زين العابدين، ثم الآن في جامع الحيات قرب القلعة.

أول لقاء بالشيخ أبي النصر: قال حفظه الله: كان والدي من أحباب الشيخ أبي النصر ومن خاصة إخوانه، وكان الشيخ يزورنا في تاذف وكذلك كان الشيخ عثمان المارعي، وكان الشيخ عثمان يحب تلقين الذكر وإعطاء الطريق للشباب، فلقنني الذكر والطريق، وما كانت لي رغبة به، بل كنت متوجهاً للعلم، ورغم الإذن بالذكر، بقيت مدة لا أشتغل بالذكر، وكان أخي الحاج جمعة رحمه الله متولعاً بالشيخ وبحبه، فكان يذهب كثيراً إلى حمص لزيارة الشيخ، وكان الشيخ يسأله عني ويقول له مكاشفاً: لماذا لا يسحب رشيد ورده (لماذا لا يشتغل بالذكر) ؟ وسبب ذلك أنني كنت قد أخذت الورد القادري عن الشيخ محمد مكرم الصافي، الذي كان يزور المنطقة أيضاً وكنت أحبه، ومضت فترة على هذه الحال، الشيخ يسأل عني وأنا لا أذهب إليه، حتى حضر أحد الأيام إلى الباب ونزل لدى جدك الشيخ محمد المسعود، وأرسل إليّ مع صديقي الشيخ محمد أديب العباس رحمه الله، فحضرت إليه وسلمت عليه، فلاطفني وأجلسني بجانبه، لم يسألني عما إذا كنت أشتغل بالورد، و لم يذكر لي شيئاً عن تقصيري فيه. وذات يوم حضر الشيخ إلينا فقلت له: أنا أحب أن أشتغل بالطريق القادري. فقال لي: إن الشيخ محمد الصافي يحضر معنا الختم النقشبندي، وأنا نفسي لا أعرف أن الشيخ أبا النصر عنده غير الطريق النقشبندي، ثم قال لي: نحن أسبق منه في إعطائك الطريق، وسلسلة مشايخنا لهم الفضل على سيدنا عبد القادر الجيلاني، فقد وصل الشيخ الجيلاني إلى الله بفضل توجهات الشيخ يوسف الهمداني (أحد رجال السلسلة النقشبندية).

فقلت: يا سيدي أنا أشتغل بالطريقتين. فقال لي: هل يحفر الإنسان بئرين ليحصل على الماء ؟ أم يحفر بئراً واحدة ؟ وبعدها صرت أشتغل بأوراد الطريق النقشبندي، والحمد لله فإني رأيت كل خير على يده، رحمه الله ونور ضريحه.

وقد كان الشيخ يكاشفنا ويخبرنا عما يجري بيننا – نحن الإخوة – من خلاف بعد وفاة أبينا (حول الميراث).

حديث الذكريات عن الشيخ أبي النصر: وكان الحديث عن شيخه أبي النصر يثير شؤونه وشجونه، فقد كان رغم شيخوخته ينبعث فيه النشاط وتزداد همته إذا روى ذكرياته ولقاءاته مع الشيخ المربي سيدي أبي النصر، قال حفظه الله (يحدثنا أنا وابن أخته الشيخ محمد علي حماد): مهما كتب الكتاب والعلماء عن الشيخ أبي النصر فإنه ضئيل جداً بحق الشيخ فإنه عظيم، عظيم.

من الذي أثر على الشيخ محمد الحامد – هذا العالم الجليل – غير الشيخ أبي النصر ؟ وقد كان الحامد من المنكرين للطريق وأهله ؟

لقد كان الشيخ أبو النصر يربي بأنظاره، كان كلامه كالدرّ، وله معان عظيمة.

لقد كانت سيرته على سيرة مشايخ الطريق النقشبندي (رجال السلسلة) كما هو وارد في الحدائق الوردية، طبق الأصل.

إن منـــزلة الشيخ أبي النصر عالية، والشيخ عيسى بلغ من الاجتهاد في الطريق منـــزلة عالية وكان مريده وممن رباه، وسمعت من الإخوان أن الشيخ عيسى رأى في منامه سيدنا رسول الله ﷺ ومعه الخلفاء الأربعة، وقال له: يا عيسى قد أجزناك بالإرشاد. فظن الشيخ عيسى أنه قد وصل إلى الدرجة التي وصل إليها الشيخ أبو النصر، ورؤيا الرسول حق، فأرسل إلى شيخه أبي النصر يعلمه بهذه الرؤيا، فكتب إليه الشيخ مجيباً: رؤياك حق ولكن اجتهد حتى ترى رسول الله ﷺ يقظة على مجمع من الرسل. وهذا يعني أنك لم تصل إلى المرتبة الكاملة.

لقد سمعت هذه الحكاية من الإخوان ونقلوها عن الشيخين وهي مشهورة، وأنا

باعتقادي أن الشيخ أبا النصر وصل لمنـــزلة الشيخ سليم.

وفي خميس المشايخ بحمص كان يجتمع كافة المشايخ في حمص وما حولها وينـــزل الكثير منهم في ضيافة الشيخ أبي النصر، ولقد كان الشيخ عبد الباسط في سفر لدمشق، وكثر الضيوف عند والده، واستبطأ عودته، فقال له المشايخ: لقد كنت مسافراً وناداك الشيخ سليم، فنادِ أنتَ الشيخ عبد الباسط، فناداه (وأنا سمعته) [1].

وحكى لنا الحاج يوسف حموية (صهر الشيخ أبي النصر على ابنته أميرة) لما تزوج قال: رأيت أن المدد يسري إليَّ من الشيخ أبي النصر كما يجري الماء في الخرطوم.

وسمعت أن الشيخ أبا النصر قال: أحبابي كالقلادة في رقبتي أجوز بهم على الصراط يوم القيامة [2].

وحكى لي مؤذن جامع الحيات، وكان من أحباب الشيخ قال: كان الشيخ أبو النصر يمشي في أحد أسفاره في إحدى القرى، وقد انقطع الطريق بقطيع من البقر، فقلت في نفسي: سيقطع هذا القطيع طريق الشيخ، فأشار الشيخ بيده (كمن يعطي إشارة الوقوف) فوقفت الحيوانات كلها في أرضها حتى مرَّ الشيخ، ثم تابعت سيرها.

وحكى لي الحاج مصطفى مستت رحمه الله قال: قلت في نفسي: إن رزقني الله سيارة سأضعها في خدمة الشيخ أبي النصر وأنا معها، لماذا نستأجر السيارات ؟ قال: ومضت مدة ورزقني الله سيارة، فقال لي الشيخ: أتذكر ما قلت، إن رزقني الله سيارة فسأضعها في خدمة الشيخ ؟ [3].

ولقد حججت مع الشيخ أبي النصر بعام ١٣٦٣هـ-١٩٤٤م وكان في الحج الشيخ محمد صافي، والشيخ عبد الله زين العابدين، وكان الشيخ أبو النصر يقيم مجالس الذكر للإخوان عند المطوف.

---

[1] انظر هذه الواقعة في بحث كرامات الشيخ أبي النصر، مفصّلة.

[2] انظر هذه الواقعة مفصلة في بحث أبي النصر مع عامة الإخوان، بعنوان: بشارة عظيمة للإخوان.

[3] انظر هذه الكرامة مفصلة في بحث كرامات الشيخ أبي النصر.

ورأيت إجازة للشيخ أبي النصر من السيد بدر الدين الحسيني، إجازة عامة بالعلوم، وكذلك للشيخ عبد الباسط أيضاً.

لقد كان كافة مشايخ حلب يحبون الشيخ أبا النصر، الشيخ أسعد العبه جي، الشيخ نجيب سراج الدين، وكانوا يزورونه إذا قدم إلى حلب.

وكان الشيخ أبو النصر في السفيرة ومعه الشيخ جميل العقاد، فقال الشيخ أبو النصر للشيخ جميل: درّس على الخمر، فقال الشيخ جميل في دروسه: إن الله سبحانه رزق الإنسان العقل، وليس أجمل من العقل، فهو كالجوهرة فإذا كان مع الإنسان جوهرة فهل يضعها في النجاسة ؟ هل يوسّخها ويقذّرها ؟ فقال له الشيخ أبو النصر: أعدها. وكان في المجلس (المسجد) أحد الحاضرين ممن يشرب الخمر، فكان طلب الشيخ أبي النصر من الشيخ جميل أن يدرس عن الخمر، وطلب منه إعادة الكلمة، مكاشفة للشيخ لمن في المجلس.

لقد أطلع الله الشيخ على أحوال مريديه وإخوانه ومن حضر معه، ومن يقوم بورده ومن لا يقوم، أعطاه الله الكشف وهو من قبيل فراسة المؤمن، (حديث عثمان رضي الله عنه: ما بال أحدكم يدخل علينا وفي عينيه آثار الزنا ؟).

كانت فراسة الشيخ فراسة متواصلة، وكانت لا تغيب عنه أحوالنا وأمورنا.

كان الشيخ رشيد يذكر هذه الحكايات والذكريات عن الشيخ ويبكي ويقول:

– لقد أكرمني الله بصحبتهم وأنا أحبهم، وقد مضى هذا العمر، وأرجو من الله أن أنال شفاعتهم، أرجو الله أن يقبلنا في أحبابهم.

– وأنا لم أسمع حتى الآن، وقد مضى على وفاة الشيخ (٥١) عاماً، مرشداً مربياً وعالماً كالشيخ أبي النصر. إني أسمع بوجود مشايخ ومربين، ولكن شتّان بين الشيخ أبي النصر وهؤلاء. وقد كان الشيخ عبد الباسط من أعاظم العلماء، وتجلى الله عليه بالتواضع والأخلاق العظيمة، ولكن لم يكن كأبيه، ولم أجد ولم أسمع فيما اطلعت عليه وسمعته مثل الشيخ أبي النصر.

كان الشيخ يلاطفنا، ويزورنا، كنت أنا وأخي الشيخ محمد الحسن البكار مثل رفيقين نشتغل في الطريق، وكنا نجلس في غرفة المئذنة في الجامع الكبير، فكان الشيخ يأتي إلينا إلى الغرفة ويجلس معنا ويؤانسنا.

وأنا عندي خاتم الشيخ أبي النصر لا زال معي.

- لقد كان الشيخ ذا هيبة عظيمة، يقلب حال الإنسان إلى التقوى والصلاح.

- لقد كانت كراماته لا تعد، كثيرة، لا تحصى.

- وفي إحدى قدماته إلى بيت والدي قال لي: أنا مأذون من /٣٣/ طريقة، ثم أذن لي باللطائف الخمس، وأشار لي بكيفيتها وأعطاني إياها.

ومن كراماته معي: أنه وضع كفه على ظهري فبقيت أياماً أحسّ حركة الذكر فيها. ووضع إصبعه على كتفي فصرت أحسّ بحركة الذكر في الكتف.

يقول أبو يحيى: إنك عندما تجالس أحد هؤلاء الفضلاء الذين أكرمهم الله بصحبة الشيخ أبي النصر تحسّ بأنك عشت معهم ذكرياتهم وحكاياتهم التي يروونها عن الشيخ، ليس غيباً وإنما شهوداً كأنك كنت معهم، من شدة تأثرهم ومحبتهم لهذا المرشد العظيم والمربي الكامل، نفعنا الله به وحشرنا معه في زمرة أحبابه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. (من كتاب تاريخ الباب للمؤلف)

تراجم علماء مدينة إعزاز وريفها

من مريدي الشيخ أبي النصر الحمصي النقشبندي

١- الشيخ عثمان عبيدو المارعي، المتوفى ١٣٦٣هـ - ١٩٤٤م

٢- الشيخ عيسى علي الزيادي، المتوفى ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م

٣- الشيخ محمد يونس عبد الغني المارعي، المتوفى ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م

٤- الشيخ يوسف المنصور الدابقي، المتوفى ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م

٥- الشيخ مصطفى بن عبد الله الحمو المارعي، المتوفى ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م

٦- الشيخ بكري صدقي النجار المارعي، المتوفى ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م

٧- الشيخ عبد السلام الدابقي "الشهير بالشيخ عبد"، المتوفى ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م

٨- الشيخ مصطفى ياسرجي الإعزازي، المتوفى ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

٩- الشيخ عبد الرحمن البكري "المنغي"، المتوفى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

١٠- الشيخ إسماعيل الحمدو البارحي، المتوفى ١٤١١هـ - ١٩٩١م

١١- الشيخ مصطفى خليل النجار المارعي، المتوفى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

١٢- عيسى بن أحمد الخطيب "الإعزازي"، المتوفى ١٤٠٤هـ - ١٩٩٤م

١٣- الشيخ محمد خير أحمد الصالح المارعي، المتوفى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

١٤- الشيخ عبد السلام طبشو الحربلي، المتوفى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

١٥- الشيخ موسى عبد الكريم الزيادي، المتوفى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

الشيخ الفاضل، والداعي إلى الله بإذنه، التقي النقي

الشيخ عثمان عبيدو المارعي

(١٣٠٠-١٣٦٣هـ) (١٨٧٩- ١٩٤٤م)

هو الفاضل التقي، والشيخ الصالح النقي، الذي وهب حياته لله، وتجرد عن كل ما سوى الله، والتزم عمره مريداً طائعاً متفرغاً للدعوة إلى الله بأمر شيخه ومرشده الشيخ محمد أبي النصر قدس الله روحهما بالرحمة؛ الشيخ عثمان بن عبد الله عبيدو المارعي.

ولد هذا الرجل الفاضل والداعية العامل في بلدة مارع، ونشأ في تلك البلدة الصغيرة التي هي أشبه ما تكون بقرية كبيرة آنذاك، وكان والده الحاج عبد الله عبيدو من صلحاء القرية، ويعرف بيتهم ببيت عبيدو الحاج علي النعيمي، إذ ينتمون إلى عشيرة النعيم المعروفة في المنطقة بالانتساب لآل البيت الأطهار.

ولما قدم الشيخ أبو النصر إلى مارع في جولاته السنوية إلى ريف حلب متفقداً إخوانه، وداعياً إلى الله بإذنه، ومبشراً عباده بالعز والسيادة للمتقين وناشراً شريعة خير المرسلين، التقى الشيخ عثمان بالشيخ أبي النصر، وانجذب إليه انجذاب الحديد للمغناطيس، والتزمه من أول يوم وسلك الطريق النقشبندي عليه، وتلقى الورد والذكر الخفي منه، ثم درّجه باللطائف، حسب منهاج السادة النقشبندية، وأذن له بتلقين الذكر للإخوان، وقوي معه وارد الذكر، فقويت لديه الأحوال وصار للجذب أقرب وأعطاه الله الهيمنة على من يلتقيه، فكان يرافق الشيخ أبا النصر في جولاته على القرى والمدن وزياراته للإخوان، ويضع نفسه في خدمة الطريق وأهله، فإذا انقلب الشيخ إلى أهله في حمص مسروراً، كان الشيخ عثمان يقوم بجولاته على الإخوان حسب تعليمات الشيخ، يصطحب معه كتاب (شرح ابن قاسم) لأمر الشيخ له بالتعلم، ولكن حال الجذب كان أقوى، فبدلاً من القراءة

في الكتاب، كان يخرج المقص من جيبه – وكان معه دائماً – ليتناول ناصية من يجد شعره طويلاً، وغرته متهدلة على جبينه، أو شاربه فيه زيادة عن اللزوم.

وكان الناس الذين يرونه ويلتقونه يخضعون له، مهما كانت منـــزلتهم، ومهما كانت رياستهم الدنيوية، وقد أعطاه الله هذه المزية فكان يخضع له أكبر رأس، ويذل بين يديه أكبر شارب، ويعمل مقصه في الشوارب والرؤوس؛ والحكايات عنه في هذا الباب كثيرة، وذكروا لنا أنه كان مرة في السفيرة فرأى أحد زعمائها ذا غُرَّةٍ في رأسه تتهدل على جبينه – كعادة كبراء ذلك العصر – وشارب طويل، فمد يده إلى غرته فقصها وإلى شاربه فشذّبه، والرجل بين يديه لا يتحرك كنعجة مسالمة.

ومما حكي عنه أنه كان ذا حال قوي، وهمة عالية، وكان يدرب مريديه في مارع تدريباً عسكرياً، فجاءه أناس يريدون تكتيفه وربطه بالحبال، فلما تقدموا نحوه رآهم فصاح: (هو) ومدّها، فذهلوا وصاروا يفتلون في أمكنتهم (يدورون) حتى وقعوا على الأرض من شدة التعب من الدوران.

وحكى لنا شيخنا عبد الباسط – قدس الله روحه – أن أهل مارع اشتكوه إلى الشيخ أبي النصر فأرسل إليه الشيخ بشير الدحدوح، فلما جاء الشيخ بشير رآه يدرب الناس تدريباً عسكرياً على أرض البيدر، فلما رأى الشيخ عثمان الشيخ بشيراً مقبلاً قال للناس الذين يدربهم: حيوا الشيخ بشير. فجلسوا أرضاً ورفعوا أرجلهم في الهواء، فلما رأى الشيخ بشير هذا المنظر رجع قافلاً إلى حلب.

وبالجملة فلقد كان هذا الشيخ المبارك ذا حال قوي، وجذب واضح، وقد وضع حياته وعمره في خدمة الشيخ والطريق النقشبندي، ولا يذكر الشيخ أبو النصر إلا ويذكر معه الشيخ عثمان، وأنت ترى من رسائل الشيخ ورسائل الإخوان إليه ذكره ماثلاً، وروحه حاضرة، وكان همه الطريقَ ونشره، والذكر وإنشاءه، والأختام الشريفة والمواظبة عليها.

وها أنا ذا أثبت رسالة منه إلى أخيه الشيخ أديب المارعي كتبها له من حمص، ومنها تظهر همة الشيخ عثمان وهدفه والتزامه أمر الشيخ أبي النصر والطريقة النقشبندية، وها هي

بنصها بخطه:

مبسملاً محمدلاً مصلياً ومسلماً داعياً

جناب حضرة الأخ في الله، والرفيق في الجنة إن شاء الله، حضرة أخينا الشيخ محمد أديب أدام المولى بقاه وحرسه وحماه وجمع شملنا وإياه بجاه من قبل البعير (قدماه). وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

من بعد السلام عليكم ورحمته تعالى ومني السلام على الشيخ محيـــي وأولاده، وسيدنا أبو النصر (يهدوكم) السلام بالأخص على الشيخ محيي الدين وعلى عموم الإخوان لهم مني كثير السلام، وأهدي سلامي إلى الشيخ جميل والآغا وعلى الإخوان جميع، وعلى ولدنا مصطفى الشعيب وعلى والدته، وعلى أخيه وعلى أولاد عمه وأهل بيتهم، لهم مني ألف سلام، وأهدي سلامي على أهل بيتكم وعبد الفتاح وإخوته.

والذي يسأل عني من طرفكم، كمان من أولاد سيدنا، والحاج عبد الرحمن الحلبي موجود معي عند سيدنا الشيخ (يهدوكم) السلام.

وسيدنا كان أرسلنا إلى القرى الثلاثة، بابا عمر، وكفر عايا، وشنشار، وكل ضيعة بقينا فيها نهار واثنين، الحمد لله وفق الله على الطريق وفتحنا لهم (ختومة) - يقصد أختام - وكل ضيعة صار فيها عدد ٣٠ والحمد لله صاروا محبين، هذا من فضل ربي.

ونهار السبت بده (يريد) يرسلنا إلى ريَّان، وإذا الله وفق غيرها، نسير إليها إن شاء الله. وأخبرنا عن الإخوان إن شاء الله يكون همتهم قوية ؟ وهذا ما لزم عرفناكم، وأنتم ما لزم عرفونا وربنا يحفظكم آمين.

والمكتوب الذي في قلب مكتوبكم أرسله إلى جسر الشغور إلى الشيخ ناجي حلي، وهذا مرجو منكم ودمتم سالمين. وأهدي سلامي إلى حاج مصطفى أكوار وحج صادق.

الداعي لكم: عثمان عبد الله مارع

وقد كان شبه أمي ورغم أمر الشيخ أبي النصر له بطلب العلم، كما أمر الشيخ أديب المارعي به، فإنه كان يصطحب الكتاب في صدره، امتثالاً، ولكن حال الجذب لا يتفق مع

الكتاب، بل كان المقص الذي يجاور الكتاب هو صاحب الوجود أكثر من الكتاب، وعلى كل حال، فإن أمره كان عجيباً وشأنه غريباً، وما هذا السر الذي ألان له الرؤوس وأخضع له النفوس إلا من إمداد الشيخ له، واستعداده هو للتلقي، فالمدد كما يقول الشيخ موجود، والقابلية موجودة والله الفعال لما يريد.

توفي هذا الرجل المبارك، والشيخ النقي، والذاكر الهمام في مارع بعام (١٣٦٣هـ-١٩٤٤م) ودفن فيها، رحمه الله وأعلى درجاته في عليين.

وقد ترك أولاداً صالحين اشتغلوا بالطريق ومنهم من أخذ حظاً من العلم، وهم عبد الله وعبد الباسط رحمهما الله، ومصطفى لا زال على قيد الحياة أمد الله بعمره، وهو يلازم شيخنا الحالي الشيخ إسماعيل حفظه الله. وقد رثاه الشعراء والخطباء والعلماء، وممن رثاه الشيخ عيسى الخطيب (الإعزازي) وها هي قصيدته:

جزاك ربك يا شيخ التقى بدلاً ... عن أهل مارع بالإحسان إحسانا

أتيتها بعدما حل العزاء بها ... فزال عن أرضها حزن بها كانا

كأن روحك يا شيخي تقول معي ... غداة ألبس فيها الشيخ أكفانا

يا أهل مارع صبراً عن فقيدكم ... صبراً، وإن جلّ فقد الشيخ عثمانا

ما مات من عاش في دنياه مجتهداً ... يقطع الليل تسبيحاً وقرآنا

بل بات في جنة الفردوس مغتبطاً ... يلقى من الله إكراماً ورضوانا

إني لأذكره حيناً فأرحمه ... إيهاً، وارحم عثمان بن عفانا

وقد أقول لمن سروا بميتته ... الموت يشمل أولانا وإخرانا

ويا بنيه، وأصحاباً له فقدوا ... فأظهروا من صميم القلب أحزانا

لا تجزعوا واذكروا فقد النبي إذا ... ذكرتموه عليكم فقده هانا

ثم الصلاة على خير الأنام ومن ... بساطعات المثاني رحمة، جانا

محمد المصطفى ماحي الضلال ومن ... بنور سنته الغراء أحيانا

الشيخ العالم، والفقيه العامل، والصوفي الكامل

الشيخ عيسى بن علي الزيادي

(١٣٢٣-١٣٦٥هـ) (١٩٠٧- ١٩٤٦م)

هو العالم الفقيه والفاضل النبيه، والصوفي المحقق والعالم المدقق، فخر علماء منطقة إعزاز، الشيخ عيسى بن علي - الشهير بـ علوش - الزيادي.

ولد هذا الفاضل الكبير والعالم النحرير في قرية "الزيادية" التابعة لناحية أخترين من منطقة إعزاز حوالي عام ١٣٢٣هـ-١٩٠٧م، ونشأ فيها وقرأ القرآن على يد شيخها وإمامها الشيخ حسن الخطيب الزيادي؛ ولما أتقن القرآن تلاوة وتجويداً توجه تلقاء مدينة الباب فدرس مبادئ الفقه والعلوم والنحو والحديث على يد شيخها وعالمها آنذاك الشيخ مصطفى أبي زلام، والشيخ محمد المسعود، ولما وجد فيه شيخه النباهة والدقة في ضبط وقته والحرص على التحصيل قال فيه: هذا الرجل لا يضيّع وقته أبداً، ثم توجه تلقاء حلب، بعد أن نهل من معين شيوخ الباب، فالتزم المدرسة الخسروية وتلقى عن شيوخها الأفاضل أمثال الشيخ أحمد الكردي، والشيخ محمد الناشد، والشيخ عيسى البيانوني، والشيخ سعيد الإدلبي، والشيخ أحمد الشماع، والشيخ راغب الطباخ، والشيخ فيض الله الأيوبي، والشيخ مصطفى باقو، وغيرهم.

وكان التحاقه بالمدرسة الخسروية بتاريخ ١٩٣١/٩/١٥م [1]، ونظراً لتحصيله العلمي الجيد في الباب فقد سُجل في عداد طلاب الصف الرابع، وكانت له عناية برفاقه في طلب العلم: يوجههم ويحضهم على الطلب والاستزادة من العلم، ويوجههم نحو الطريق النقشبندي،

---

[1] حسبما هو مذكور في سجلات المدرسة الخسروية، ونظراً لوروده من الباب فإن قيده في السجلات هكذا (عيسى علي الزيادي بن علي المحمد البابي) وذكر تولده عام ١٣٢٣هـ-١٩٠٧.

بعد أن تلقاه عن شمس شيوخ عصره سيدي الشيخ أبي النصر الذي كان معظم طلبة المدرسة الخسروية وشيوخها من تلامذته وأحبابه، فالتزم الطريق النقشبندي ودعا إخوانه إليه، وكانت له عناية خاصة وصحبة صادقة معهم أمثال سيدي الوالد الشيخ محمد علي المسعود، والشيخ أديب حسون، والشيخ عثمان يحيى، والشيخ نجيب سالم، والشيخ عمر عنداني وغيرهم،كما كان من زملائه في الطلب الشيخ محمد علي المراد الحموي والشيخ محمد خير المارعي والشيخ محمد بشير التاذفي.

وقد كانت زيارة سيدي الوالد له في قريته لا تنقطع، ولا ينقطع هو عن سيدي، في الباب وفي حلب وفي القرية، واجتهد في طلب العلم وفي الطريق حتى صار من أكابر الفقهاء والعلماء.

وكان يلازم مجالس شيخه أبي النصر كلما حضر إلى حلب وريفها، وكان هو والشيخ الجبريني يدلاّن ويوجهان طلاب الخسروية إلى التزام طريق الشيخ أبي النصر، والأخذ عنه، وكان لهما نشاط في الطريق واضح، وحضّ لإخوانهم من طلبة العلم على الذكر والتزام الطريق، والمواظبة على العلم.

وقد توفي رحمه الله شاباً ولما يتجاوز عمره /٣٩/ عاماً، وحزن شيخه أبو النصر على وفاته كثيراً وقال: لو مات نصف أهل قضاء إعزاز أهون من موته. هكذا سمعت هذا الكلام من عمنا الشيخ موسى الزيادي ابن عمه عنه.

يقول الفقير إلى الله تعالى أبو يحيى: ومنذ أربعين عاماً بحوالي عام ١٩٦٠ رأيت رؤيا لا أزال أذكرها، وهي أن نوراً قوياً ينبعث من تل (قرية الزيادية) حيث مقبرة القرية، وسألت سيدي الوالد عن سر هذا النور، في ذلك التل، فقال لي رحمه الله: هناك قبر الشيخ عيسى الزيادي الذي كان من أهل العلم والولاية.

وكان الوالد يذكره دائماً بخير، ويترحم عليه ويذكر مناقبه وبخاصة إذا كان في قرية الزيادية أو يذكر أهلها.

وسمعت أيضاً في مجالس متعددة مع سيدي الوالد من الحاج مصطفى الحسو (من قرية

تلعار بجانب الزيادية) أنه كان الذي تكفل بالإنفاق على الشيخ عيسى الزيادي لطلب العلم، وكان يزوره في حلب في المدرسة الخسروية، ويذهب إليه مرات يأخذ له النفقة والزاد حتى توفي رحمه الله شاباً، وكان الحاج مصطفى يزوره في غرفته في جامع المستدامية بحلب.

توفي رحمه الله شاباً بعام ١٣٦٥-١٩٤٦م تقريباً، ودفن في قريته هناك. رحمه الله ونور ضريحه.

العالم الفاضل، الصدّاع بالحق

الشيخ يونس عبد الغني المارعي

(١٣٢١-١٣٨٦هـ) (١٩٠٣- ١٩٦٦م)

هو الشيخ الفاضل والعالم العامل، التقي الورع الشيخ يونس بن عبد الله عبد الغني المارعي، ولد في قرية مارع من منطقة إعزاز التابعة لمحافظة حلب بعام ١٣٢١هـ- ١٩٠٣م، وفيها نشأ وترعرع، وتلقى فيها أول ما تلقى القرآن الكريم في كتّاب القرية كعادة أبناء جيله الذين تتفتح آذانهم وعقولهم على سماع القرآن، وأول ما تنطق بعد استطاعة الكلام بآيات الفرقان، ولقد حبب الله تعالى إليه العلم وزينه في قلبه، فبالإضافة إلى الفطرة الصافية والقوة في الحق، الذي كان يتميز به أبناء جيل آبائه آنذاك في تلك القرية المؤمنة الوادعة من ريف إعزاز، والتي اختصت به تلك القرية، فقد نشأ شيخنا (أبو عبد الله) على تلك الفطرة وزيادة، ولعل ما اكتسبه أهل القرية من حبهم للعلم كان راجعاً لحبهم وملازمتهم للشيخ محمد الحداد التاذفي رحمه الله الذي كان يتردد على قريتهم، ويبث في صفوف أبنائها حب العلم وتعشق الفضيلة.

طلبه للعلم في حلب: وكان لابد من ارتياد مناهل العلم في حلب لمن أراد النهل منه، فتوجه شيخنا أبو عبد الله إلى حلب وانتظم في سلك الدارسين في مدارسها الكثيرة آنذاك، بدءاً من الدليواتية والشعبانية والعثمانية ثم الخسروية، وأخذ من أشياخها حظه من العلم والمعرفة التي كانوا ينشرونها في تلك المدارس وسواها في المساجد، وحتى في بيوتهم وفي دكاكينهم، كالشيخ محمد خير عقيل الذي كان الطلبة أمثال شيخنا يجلسون أمام دكانه في سوق الزهر بحلب ليقرؤوا عليه الدرس قبل أن تختلف أرجل الناس إلى السوق تبتغي حاجاتها منه، وكان له ولزملائه الحظ في مجالس علامة حلب الكبير الشيخ نجيب سراج

الدين، الذي كانت تشهدها مساجد حلب، كالجامع الكبير، والحموي، وجامع سليمان وغيرها.

فأخذ حظه العلمي من هذين الشيخين ومن أشياخ المدارس المذكورة الآخرين أمثال الشيخ أحمد الحجي الكردي الفقيه الأصولي، والشيخ عيسى البيانوني العالم الورع الصوفي المحب لرسول الله ﷺ، والشيخ المتواضع الزاهد الشيخ أحمد شهيد السرمداوي، والشيخ الفقيه المتواضع الشيخ محمد سعيد الإدلبي، وأمثالهم. وبعد أن تلقى العلم لديهم ونهل من حياضهم، وتزود من زادهم، وارتوى من معينهم عاد إلى بلده مارع وقد أصبح شاباً في نشاطه، رجلاً في كماله، عالماً في تلقيه، وكان هذا بعام ١٣٤٩هـ-١٩٣٠م.

العودة إلى بلدته لنشر العلم: وعاد الشيخ إلى قومه منذراً معلماً، ومبشراً ميسراً، ينشر فيها العلم الذي تعلمه، والفضيلة التي تخلق بها، والأخلاق التي نشأ وشب عليها، فأخذ يعلم أبناء قريته أفضل العلوم مبتدئاً بالقرآن الكريم، مستنداً بقوله ﷺ: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)، واتخذ من الجامع الغربي في القرية مرتكزاً له، فبعد أن أشرف على بنائه، وأمّ في محرابه علّم فيه علوم القرآن من تجويد وتفسير، وفقه وحديث، لا يبتغي بذلك عرضاً من الدنيا سوى رضا الله سبحانه عليه.

ووجد أن أحوج ما يحتاجه الناس هو الفقه في دين الله، لمعرفة الحلال والحرام، عملاً بقوله ﷺ: (إن من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين) فولج غوامض أبحاثه، ونشر مطويات أحكامه، مما يلزم أبناء قومه وجيرانه، حتى شهد له أقرانه وأساتذته بأنه (الشافعي الصغير).

الرحلة في الدعوة إلى الله: وكانت (مارع) في وقته أم القرى لما حولها، ومقصد مرتادي المدنية، منها ينطلقون إلى حلب عن طريقها المعبّد الموصول بها، فكان بيت الشيخ مضافة لهم، وصدره رحب لنـــزولهم، وبشاشته ودعابته أنس في مجالستهم، فتعرف إليه أكثر أهل المنطقة، ممن يمرون على مارع بالليل والنهار، يرتادونه في الأسفار وبخاصة في الشتاء، إذا انقطعت السبل عن حلب الشهباء، وكان للعلماء الذين في قرى تلك المنطقة صلة قوية به ومحبة خالصة له، يحبهم ويحبونه، ويزورهم ويزورونه، أمثال سيدي الوالد

الشيخ محمد علي المسعود حيث كان في دابق، والشيخ عبد السلام الحربلي حيث كان في أخترين، والشيخ موسى عبد الكريم الزيادي في صوران، فكانت تشهد تلك القرى وما حولها لقاءاتهم المتواصلة ومجالسهم الإيمانية.

فكان (عمنا الشيخ يونس أبو عبد الله) يجوب تلك القرى معهم أو بمفرده داعياً إلى الله سبحانه ومفقهاً في الدين لأهلها ومن حولهم.

مع الشيخ أبي النصر: وكان شيخ العلماء الدعاة في ذلك الوقت سيدي الشيخ محمد أبي النصر خلف الحمصي النقشبندي، من عادته أن يجوب تلك المناطق والقرى داعياً إلى الله ومرشداً عباد الله، بصحبة العلماء العاملين، والمحبين من المريدين، وأهل الإيمان من عامة المؤمنين، فكانت مارع وما حولها من ريف إعزاز تشهد وقع أقدامهم، وكان فضاؤها الرحب تنطلق فيه أصوات الدعاة المصاحبين للشيخ مرشدين بتوجههم، ونغمات المنشدين المرافقين له تصدح بمدح رسول الله ﷺ، فتتعلق الأرواح بكمالاته، وتسمو النفوس إلى معارج التقوى من إرشاداته وإشاراته.

وكان شيخنا أبو عبد الله من الذين اندرج في سلك إرشاده، وتلقى الذكر والطريق النقشبندي عنه، مع زملائه من طلبة العلم في مارع وما حولها من ريف تلك المنطقة، بعد أن بث ابن بلده (الشيخ عثمان المارعي) فضائل الطريق وكمالاته مأذوناً منه، ومأموراً به من مرشد العصر أبي النصر.

والتقى العلم والفقه في ذات الشيخ يونس مع الطريق والذكر، فكان القوة الرائعة التي أمدت الشيخ ووجهت طاقته وكمالاته للدعوة إلى الله، والتعاون مع إخوانه من أهل العلم في المنطقة لبثّ الدعوة على نهج السلف الصالح بتوجيه الشيخ أبي النصر وإرشاده، فكانوا يصحبون الشيخ إذا جاء إلى مارع وينتقلون معه إذا توجه إلى دابق أو صوران أو ارشاف أو بارح أو إعزاز أو الباب وغيرها من القرى والمناطق.

ولقد شهدت بنفسي والحمد لله قسماً من تلك المجالس والمشاهد التي كانت عامرة بالعلم والإيمان بعد انتقال الشيخ إلى الرفيق الأعلى، والتي كان يقيمها ورّاثه وتلامذته مع

سيدي الوالد، وإخوانه من أهل العلم كشيخنا أبي عبد الله في تلك القرى، فكنت ترى فيها نماذج عن مجالس السلف الصالح العبقة بالخلق الفاضل، والشيم الحميدة، والسلوك المحمدي الرائع.

كما شهدت بنفسي مجالس الشيخ في بيته، وكم آوانا بيته ونحن طلاب علم في المدرسة الخسروية بحلب أنا وإخوتي، منصرفين في العطل إلى أهلينا في (دابق) فكان بيت الشيخ وقلبه الكبير يغرينا بالمقام عنده لولا قصر المدة، ووعورة الطريق.

وكان أنجاله الكرام وعلى رأسهم ابنه (عبد الله) صورة صادقة عن أبيهم في كرمه وخلقه، وابنه الشيخ عبد الغني لوحة مضيئة من علم أبيه وتقواه، رحمهما الله، والشيخ محمد أمين نموذجاً عن أبيه لقول الحق والجهر به، حفظه الله ورعاه.

ولنترك القلم قليلاً، لنقتبس من مقال يصف فيه أحد تلامذته من رفاق ولده الشيخ عبد الغني في طلب العلم بعض ملامح شخصية ذلك العالم التقي والورع الذكي، نشرته مجلة حضارة الإسلام الدمشقية تحت عنوان: (رجل فقدناه، الشيخ يونس عبد الغني)، نشرته في عددها الأول والثاني من السنة الثامنة الصادر بتاريخ ربيع الأول ١٣٨٧- تموز ١٩٦٧ ص١٠٨-١١٠ جاء فيه ما يلي:

ما قيل في الشيخ بعد وفاته:

١- **في مجلة حضارة الإسلام:** (ملامح شخصيته المميزة: لقد كانت شخصية الشيخ تقوم على عنصر الإيمان الذي تفرعت عنه كبرياء وجرأة في الحق، وحساسية لم يكن الناس ليعهدوها في غير قلة قليلة من ناس دنيانا، ولعل أول ما يخطر على البال تلك الجرأة الجريئة التي تعيد إلى الأذهان ذكريات حبيبة عن السلف الصالح، وما كانوا عليه من صدع بالحق، وثبات على المبدأ، رَفَعَ من قيمتهم في الحياة الدنيا، ونالوا به حسن ثواب الآخرة، فلقد كان يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر في كل مقام، لا تهمه شخصية من يأمره وينهاه، سواء لديه الحاكم والمحكوم، سريّ القوم وضعيفهم، كل ذلك في حكمة الشيخ وروّية الفاهم لكتاب الله ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم، إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك

كان عنه مسؤولاً﴾ ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾، ولا يزال الناس يتندّرون بطرائف تنمّ عن رجولة فذة، وإيمان عميق، من مثل أخذه بتلابيب شرطي اعتدى على (مسحّر) ضعيف، ومن حمل هراوته في وجه فئة ضالة حاولت إشاعة البغي والفساد والإلحاد في قريته.

وكنت تراه مكباً على العلم، دائباً على تحصيل ما ينفعه في دينه، ويقربه من ربه، ليجلس بعد ذلك إلى بنيه الذين نشّأهم تنشئة إسلامية خالصة، وإلى زواره الكثر، معترفي فضله وعلمه، ليفقههم في دينهم، ويناقشهم بعض المشكلات الحياتية التي تعترض طريقهم، غير أن اهتمامه الأكبر كان منصباً على الشبان، يثقفهم الثقافة الإسلامية الصحيحة، لا يألو جهداً في حل كل مشكل يشكل عليهم، ولربما ناقشه بعضهم فصبر على نقاشه وكأنه ندٌّ له يضارعه علماً.

• ولقد كان للفقه الشافعي والنحو والقرآن الكريم خاصة نصيب وأمر من حياته، يوصي بحسن ترتيله وحفظه والعمل به، وفي مرض وفاته كان يكثر من تلاوته، ويطلب من عواده أن يقرأوه عليه، ولربما تعمد الغلط بعضهم ليرى مدى انتباه الشيخ ووعيه، فيشير إليه بيده – لا يستطيع الكلام لأنه يعاني من سكرات الموت – أن صحح غلطك.

ولئن كنا لا نستطيع إيفاء الرجل حقه في مجال الدعوة إلى الله، فإنه لا يليق بنا أن نغفل إسهامه في بناء المساجد في كل مكان حلّ فيه، ولقد دعي قبل الوفاة بتسعة أيام للمساهمة في بناء مسجد صغير يقام في طرف بعيد من أطراف قريته الكبيرة، وليحث الناس على البذل فهرع إلى مكان البناء متحاملاً على عصاه، وأسهم بمئة ليرة – جهد المقل – زيدت فيما بعد إلى مئتين، ثم حث الناس على البذل، بدأ بنفسه ثم دعا غيره، ثم رغب الشيخ في صلاة ركعتين قبل أن يتم البناء، صلاهما في المحراب وكأنه كان يخشى ألا يطول أجله، فيفوت على نفسه الأجر ﴿فإنها من تقوى القلوب﴾.

كما كان الشيخ إلى جانب هذا وذاك بمنـــزلة الضمير من قريته إذا حزبهم أمر عجلوا إليه، ليستخدم ثقة الناس في فض المنازعات في ريفنا – وما أكثرها وما أقبحها – كان بيته

مثابة للناس، يأتونه ليجدوا الطعام الشهي والزاد الفكري والنادرة الحلوة، والبديهة المعجبة، والدماثة المحببة، والمرح الوقور، والمواعظ المنداة بالدموع.

ولقد أوصى بنيه عندما حضرته الوفاة فجمعهم وأوصاهم بتقوى الله ولزوم طاعته ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (١٣٢: سورة البقرة). ا.هـ من مجلة حضارة الإسلام.

ولقد أخبرني ابنه الشيخ محمد أمين حفظه الله، والذي كتب إليّ ببعض ترجمته، أن هذه الآية كانت آخر كلامه من الدنيا، وقد جعلها أبناؤه لوحة مخطوطة بخط زميلنا العالم الفاضل (محمد بشير ابن الشيخ العالم أحمد بن الشيخ العالم العامل الشيخ محمد سعيد الإدلبي)، رحمهما الله تعالى، وأمد بعمر أخينا محمد بشير مع العافية.

٢- رثاء الشيخ عيسى الخطيب الإعزازي له:

على الشيخ يونس مني السلام ... ورحمة ربي على قبره
فقد كان شيخاً جليل المقام ... منيباً إلى الله في سره
عزيزاً عفيفاً قليل الكلام ... شكوراً صبوراً على ضرّه
فلم يهوَ يوماً لجمع الحطام ... وزهرة دنياه لم تغره
قضى مدة في اكتساب العلوم ... زمان الشبيبة من عمره
وقد خاض فيها بذوق سليم ... وشارك فيها بني عصره
وأعجبه الفقه منذ القديم ... وأجهده الغوص في بحره
فكان له منه حظ عظيم ... وفاز بما نال من درّه
وعاد إلى مارع رابحاً ... بما أودع الله في صدره
أقام فيها غادياً رائحاً ... يجد ويعمل في نشره

ثم قال:

وقد كان في الله بادي الهيام ... ومات وما غاب عن ذكره

فـأوصى بـتقواه عـند الـختام بنيـه وحـثّ عـلى ذكـره
فأكرمـه الله في الصـالحين بنيـل الـمثوبـة مـن أجـره
وألـهـم أبـناءه الـعـامـليـن سلـواً وسيـراً علـى إثـره
وعـوّض أصـحابـه النـاصحـين وإخـوانـه الـخير مـن أجـره
وأمـطر مـثواه فـي كـل حيـن غـيـوث الـمراحـم مـن بـره

٣- وقال الشاعر المارعي محمد صالح الحلبي:

وفيـت عـهدك بـالعلوم مـحدثاً عن أحـمد وبـمقتضى الآيـات
وسلـكت فـي سبل الشريعة داعياً لله تـصحب أخلـص النـيّـات
حسـد النجـوم ثـراك حين نزلته وكأنـك الـمصباح فـي المشكاة
لـك منـزل فـي الخلد تاريخا زها رقـياً ورمسـك مهـبط الرحمـات

٤- **وفاته:** وآن لهذا الجسد المضنى بعد طول الترحال، وهذا القلب المنعم بذكر الله، وتلك الروح المشرقة بمحبة الله، أن تحل في دار كرامة الله إن شاء الله، فلقي هذا العالم العامل والورع الكامل ربه في أواخر شهر شعبان ١٣٨٦هـ، الموافق كانون الأول ١٩٦٦م، ودفن في بلدته مارع. رحمه الله وأجزل ثوابه.

العالم التقي، والعامل الخفي

الشيخ يوسف بن الحاج محمد المنصور الدابقي المارعي

(١٣٣٤-١٣٨٦هـ) (١٩١٨- ١٩٦٦م)

هو الصالح الفاضل، والتقي العامل، والمحب الباذل من جاهه وماله للخير والإصلاح بين الناس الشيخ يوسف ابن الرجل الصالح الحاج محمد منصور، المولود في قرية دابق بعام ١٣٣٤ هـ-١٩١٨م، الذي ينتسب إلى قبيلة (النعيم) المشتهر بين الناس نسبتها إلى آل البيت الكرام.

ولد هذا الفاضل في قرية دابق (منطقة إعزاز) الشهيرة بإقامة سيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فيها، ولما شب فيها ونشأ، تعلم القرآن الكريم في كتّاب القرية الذي كان يتولاه الرجل الصالح الشيخ حسين الخطيب رحمه الله.

ولما حضر سيدي الوالد إلى تلك القرية بعام (١٩٣٦م) معلماً ومدرساً وواعظاً افتتح مكتباً ابتدائياً لتعليم أبناء القرية القراءة والكتابة ومبادىء العلوم الشرعية، فكان الشيخ يوسف من أوائل من درسوا لديه، وبرزوا عنده، هو وثلة من شباب القرية من أترابه، ولما صار لديه الاستعداد لأن يلتحق بالمدرسة الخسروية بحلب، توجه إليها، وواظب في صفوفها (بشكل غير نظامي) لمدة ثلاث سنوات، تلقى العلم خلالها على أساتذتها الكرام ودرس الفقه والنحو والتفسير والحديث، وذلك مابين عام (١٩٣٩-١٩٤٢).

وكان من أعلام المدرسين فيها الشيخ عيسى البيانوني، والشيخ سعيد الإدلبي، والشيخ إبراهيم السلقيني، والشيخ أحمد الكردي، والشيخ عبد الله حماد، والشيخ أحمد الشماع، والشيخ أحمد الزرقا، والشيخ فيض الله الأيوبي وأقرانهم.

وتابع التحصيل والدراسة في هذه السنوات الثلاث بجد ونشاط، إلا أن شيخوخة والده

الرجل الفاضل الكريم الحاج محمد منصور الذي كان وجيه قريته و (مختارها) أعاقته عن تحمل أعباء ومسؤوليات رئاسة القرية، وكان أكبر إخوته، فطلبه ليتولى مهامه ومسؤولياته بدلاً عنه، فقطع تحصيله ودراسته تلبية لرغبة والده، وعاد إلى القرية، ولكنه تابع الدراسة لدى شيخه الأول الشيخ محمد علي المسعود، وكانت لهما جلسات يطالعان فيها كتب العلم، وتوجهت عناية شيخه إليه أكثر بعد عودته من الخسروية، وخاصة بعد تعيينه مختاراً بدل والده، حيث قام بهذه المسؤولية بحس العالم الواعي، والمسؤول عن قومه وقريته، الذي يرتاد لهم الخير ويتعاون معهم على البر والتقوى.

صلته بالشيخ أبي النصر: ولما قدم مولانا الشيخ محمد أبو النصر المنطقة وأضافه أهل دابق، وكان سيدي الوالد فيها، عرّفه شيخه (أبو زكريا) بالشيخ أبي النصر، وأخذ عنه الطريق النقشبندي ولقنه الورد (الذكر الخفي). ثم لما توجه الشيخ المرشد أبو النصر إلى تركمان بارح صحبه سيدي الوالد ومعه الشيخ يوسف، وكانت مجالس الشيخ المربي سيدي أبي النصر عامرة بالعلماء والمحبين، الذين كانوا يغتنمون مجالس الشيخ في تنقلاته وزياراته الإرشادية.

يقول الشيخ يوسف رحمه الله: وطلب الشيخ المرشد من سيدي (أبي زكريا) أن يتكلم على الإخوان الحاضرين - كعادة الشيخ في تكليفه أحد طلاب العلم المصاحبين له للوعظ والدرس - قال: فوضع والدك يده على وجهه وصار يتكلم بكلام مفيد، من عيون المعرفة والذوق، لم نسمعه منه من قبل، وكان معنا أحد محبي الوالد (من دابق) ومن وجهائها، الحاج مصطو الحمود رحمه الله، قال لوالدك بعد العودة، خشيت - يا سيدي - ألا تستطيع الكلام في مجلس الشيخ، لما يعرفونه من حياء الوالد واحترامه البالغ لشيخه أبي النصر، فأجابهم سيدي الوالد: إذا تم إيصال تيار الكهرباء، فإن الآلة تشتغل.

وظل الشيخ يوسف رحمه الله ملازماً لسيدي الوالد، محباً ومتعلماً ومدارساً معه كتب العلم، كما كان يلتقي لديه علماء المنطقة مع سيدي الوالد أمثال الشيخ يونس المارعي، والشيخ محمد خير المارعي، والشيخ محمد ويس (الحيدري) الملقب بـ (الهمل)، والشيخ

موسى الزيادي، والشيخ عبد السلام الحربلي، والشيخ عبد الدابقي، وغيرهم.

ولقد شهدت بعض هذه اللقاءات الإيمانية في بيته وبيوت المحبين من إخوانه في دابق وغيرها.

ولقد اقتنى الشيخ كتب العلم وحوى مكتبة تضم أمهات كتب العلم، وظل طيلة حياته رغم انشغاله بأمور القرية ومسؤولياتها، والسعي لمصالحها لدى الحكام، ظل مواظباً وملازماً لسيدي الوالد، ولقد شهدنا نحن أولاد الشيخ محمد علي من نصحه وعنايته، ورعايته لنا ولبيتنا الشيء الكثير الذي لا يقوم به إلا المحب المتفاني.

ولتعلق الشيخ بالعلم وأهله، فقد وجه أولاده الأربعة لطلب العلم ودرسوا في المدارس الشرعية، إلا أنه لم يتابع منهم التحصيل سوى اثنين (مصطفى وإبراهيم)، وتابعا بعد الدراسة في (دار النهضة للعلوم الشرعية) – الكلتاوية – في الأزهر الشريف، وعُيّن الأول (الشيخ مصطفى) مدرساً في مدارس التربية، وهو الآن المدرس الأول في منطقة إعزاز، (والشيخ إبراهيم) في (الدمام) مدرساً وواعظاً وخطيباً منذ خمسة وعشرين عاماً، ولا يزال إلى الآن، استقطب قلوب الناس وعقولهم وجمعهم على العلم والتقوى، حفظهم الله جميعاً وبارك في الآخرين (محمد خير ومحمد معصوم)، اللذان لزما درب والدهما في الانتساب لسلك الطريقة النقشبندية ولازما شيخنا الحالي الشيخ اسماعيل أبي النصر حفظه الله.

وفاته: حج الشيخ يوسف بعام (١٣٨٦هـ-١٩٦٦م) وبعد عودته من الحج، أصابه مرض ألزمه الفراش توفي بعامه ودفن في دابق، وحضر سيدي الوالد وفاته، ووقف على قبره وكان يبدو على وجهه الاهتمام والحزن، وبعد أن سري عنه همس في أذن صديقه الحاج عبد الرحمن الجنيد قائلاً: أحسست بأن روح سيدي رسول الله حاضرة.

رحم الله عمنا وشيخنا (أبا محمد خير) وأعلى درجاته في عليين.

العالم الفاضل، والداعية العامل، والأديب الشاعر

الشيخ مصطفى بن عبد الله الحمو المارعي

(١٣٢٤-١٣٩٦هـ) (١٩٠٦- ١٩٧٦م)

العالم الفاضل، ذائع الصيت، والفاضل الكامل والأديب الرقيق المشاعر، والشيخ التقي الشاعر، من اشتهر اسمه كما اشتهر نظمه، الشيخ مصطفى بن عبد الله الحمو المارعي ولادة وإقامة ووفاة، النقشبندي مشرباً وطريقة.

النشأة الأولى: ولد هذا العالم الكامل والحبر الفاضل في مدينة مارع بعام ١٣٢٤هـ- ١٩٠٦م، وبها نشأ وترعرع، وشب ويفع، من والد فاضل أريب، تميز بالذكاء الوقاد، والذوق الرفيع، ودماثة الخلق، وروح الدعابة، ووالدة فاضلة تقية، تميزت بسلامة الطوية وحسن النية، والتقوى والمواظبة على العبادة مع أصالة الطبع، ونبل الخلق، أصلها من تركية ممن نزحوا منها إلى سورية، ووالدها من المعتقدات الصالحات واسمها (سلطانة) بني على ضريحها قبة؛ فهي معتَقدة تزار في تركية.

طلبه العلم: شب الفتى (مصطفى) ودرج في ظل والدين كريمين رعياه وربياه على الخلق والدين، وعلّماه مبادئ العلم الأولى حيث يتعلم أقرانه في كتاتيب القرى، وتميز هذا الفتى مع زملائه بالذكاء وقوة الحفظ وسرعة البديهة، مما لفت إليه أنظار ذلك الشيخ الفاضل، والمربي التقي الشيخ عثمان العبيدو الشهير بالشيخ عثمان المارعي المريد الصادق لدى شيخ وقته المرشد الكامل أبي النصر، فوجّه أنظاره إليه واعتنى به وطلب من والده إدخاله المدرسة الخسروية بحلب، فينتفع وينفع، ولاقى هذا العرض قبولاً لدى الولد والوالد، فاندرج (مصطفى) في سلك طلاب الخسروية بعام ١٣٤١هـ- ١٩٢٢م، وتلقى العلم على شيوخها الأفاضل الذين كانوا جبالاً في العلم والخلق، والتقوى والفضيلة.

وتخرج من هذه المدرسة العلمية الجامعة بعام ١٣٤٨هـ-١٩٢٩م. وكان رفاقه فيها المتخرجون ذلك العام في القافلة الرابعة.

العودة إلى مارع: ومن الطبيعي أن يرجع الغريب إلى بلده فرجع الشيخ مصطفى بعد التخرج إلى بلده لينذر قومه، وكانت العناية التي رعته في الأول لا تزال ترعاه في الآخر، وكانت أنظار الشيخ عثمان تراقبه وتحوطه وتستمد من مدد شيخه أبي النصر، وكانت جولات الشيخ تترى إلى مناطق حلب وريفها.

الانتماء إلى سلك أبي النصر: وفي لقاء مبارك مع الشيخ أبي النصر التزم الشيخ مصطفى الطريق النقشبندي وأخذ الورد عن شيخه، وبإشارته عهدت إليه إمامة وخطابة الجامع الكبير في بلدة مارع، والمسجد منطلق الدعوة إلى الله، ونشر رسالة الإسلام منذ أن أسس رسول الله ﷺ مسجده الأول الذي بني على التقوى من أول يوم.

والتزم الشيخ مصطفى منهج شيخه أبي النصر في الدعوة إلى الله التي تخاطب القلب، وتجذبه إلى محبة الله ورسوله، حتى تنضبط الأركان بتعاليم الإسلام. ولازم أيضاً مجالس الشيخ، وصار كظله حيثما ذهب وتوجه في ريف حلب، وما أكثر ظلال الشيخ أبي النصر، وما أعظم تلك الشخصية الفريدة.

سلوكه الدعوي: واكتسب الشيخ مصطفى وباقي إخوانه من طلبة العلم من شيخهم طريقة الدعوة إلى الله، وحث الناس على الطاعة والتزام السنة وهجر العادات والبدع التي كانت تلازم أهل القرى. وكان وجد في (إحياء علوم الدين) منهجاً كاملاً لدعوة شيخه أبي النصر، فالتزم المنهج النظري في (الإحياء) والعملي في سيرة شيخه، وصار مع إخوانه من أهل العلم في مارع وفي ريف إعزاز يزورون تلك القرى ويتعاونون مع إخوانهم العلماء المقيمين فيها في الدعوة إلى الله ونشر تعاليم الدين الحنيف، وإشاعة الخلق الفاضل منهجاً وسلوكاً.

جهاده الوطني: والعالم يعيش آلام وطنه وأمته، ولا ينفك عنها، وكانت البلاد السورية تعيش تحت وطأة الاحتلال الفرنسي استعماراً عسكرياً وخلقياً وفكرياً، وفلسطين

تعاني من شر الاستعمار الانكليزي والاستيطان اليهودي، فكان هذا الاحتلال شاغلاً جديداً وهماً إضافياً لشيخنا (مصطفى) في بلدته، فعمل على جمع التبرعات لشراء الأسلحة وتسليمها للمجاهدين في الأربعينيات من القرن الفائت (العشرين)، كما إنه أفرد لهذه القضايا والأحداث الموجعة للأمة وقادتها بعضاً من قصائده وأشعاره.

شعره ونشائده: ولم يغفل عما يعانيه الشباب من مشاكل وأزمات تصرفه عن دينه، وعن الاستقامة من جراء الغزو الفكري الكثيف الذي يوجه إليه، فعالج بعض قضايا الشباب في خطبه ودروسه وأشعاره وقصائده.

والحديث عن قصائده وشعره يسوقنا إلى الحديث عما كان يهدف إليه من وراء نظمه ونثره، وشعره وقصائده، فقد كان يرى ويسمع ما تطفح به أصوات الميوعة والفن الرخيص من كلمات وأغان، وأهازيج وألحان، تزيد المائع ميوعة، وتصرف الجاد إلى رخيص القول و الشعر، والغناء الماجن، فتصدى لذلك كله، وصار يُعارض تلك الأغاني الهابطة التافهة بأناشيد راقية هادفة، من نفس الوزن والروي، والنغم واللحن، ونادراً ما كانت تنطلق أغنية ماجنة إلا وأتبعها الشيخ بأنشودة هادفة تبعث الحب والشوق لرسول الله ﷺ ومدينته المنورة، وأخلاقه الكريمة وشمائله الشريفة، وسرعان ما كان المنشدون يتناقلونها، وينشدونها نظراً لأنها لا تحتاج إلى تلحين أو تنغيم فهي – كما قلنا – من نفس الوزن واللحن والروي. خذ مثلاً أنشودة: (نور طه قد بدا/ جدد المشاهدا/ خير الورى أحمدا/ منه نروم الندا/ يا حي)، وأنشودة: (يا قبة الخضرا مالك/ فتنتينا بجمالك/ قالت جمالي بمحمد/ نوَّر جميع الممالك)، وأنشودة (أنا داخل ع العتاب/ وع القبة الخضرا/ نجدة نجدة يا سيدي/ كرمال علي والزهرا)، وأنشودة: (بين الصفا والمروة/ ما أحيلى مسعانا/ داير على من أهوى/ والسائق بي هوايا)، وغيرها وغيرها.

وكان ينشد مع المنشدين بصوته الرخيم، وألحانه العذبة، كما كان يقول القصائد في مدح الرسول الأعظم ﷺ وأشياخه، في حضرة الشيخ أبي النصر وبعده الشيخ عبد الباسط، ولقد كانت ليالي مسجد (أبي ذر) تشهد ذلك الصوت الشجي الرخيم يغرد بتلك المدائح

سواء من نظمه أو نظم غيره من العارفين والمداح الكاملين، وقد ترك من الشعر والنشيد ما ينوف عن مئة قطعة بين قصيدة وأنشودة وأرجوزة، وقد وعد زميلي وصديقي ورفيقي في الدراسة الشرعية ابنه الأستاذ (عبد الرحمن) الذي كتب إليَّ بترجمته أن يقوم بإصدار ديوانه بعد دراسة وافية له، وفقه الله لذلك وأعانه على الإتمام [1].

أخلاقه وشمائله: لقد كان رحمه الله – كما عرفناه وعرفه كل من خالطه – هادئاً متزناً، وديعاً متواضعاً، حصيف الرأي ثاقب الفكر، نحيل الجسم، دمث الخلق، دائب العمل في الدعوة والعلم، يعيش هموم أمته ومجتمعه، يتنقل في سبيل الدعوة من قرية إلى أخرى، ومن حي إلى آخر، يسعى لإزالة الشحناء والبغضاء التي كانت تسود مجتمع القرى، يتعاون مع إخوانه أهل العلم في سبيل النهوض بهذه الأمة، وحل مشاكلها، وإصلاح ذات البين بين المتخاصمين، تعرفه منتديات القرى (مضافاتها) وبيوتها داعياً ومصلحاً، وواعظاً ومحدثاً، حتى وافاه الأجل وهو في هذا النهج وهذه السيرة.

بعض أحواله وكراماته: ومما كتب إلي ولده الأستاذ عبد الرحمن أيضاً ببعض وقائع حدثت مع والده، وهي من باب الكرامات الإلهية التي يمنّ الله بها على عباده الصالحين، فأكرمه الله سبحانه بأن جعل هداية بعض أهل زمانه على يديه، فكان ذلك خيراً له من حمر النعم، وقد جرت له بعض الوقائع ما حدث به نفسه: "بينما كنت أسحب وردي في بيتي في مارع، إذ رأيت بجانبي رجلاً معمماً يقول لي: (استشرت جميع المشايخ لصحبة رجل ينفعني وينتفع مني، وكلهم دلوني عليك – وكنت في السابعة والعشرين من عمري – فما تقول ؟ فقلت له: استشير شيخي. ولما لم أجبه، وليتني أجبته، ذهب ولم يعد إلي".

يقول ولده عبد الرحمن: وإن هذا من طوائف الجن الذين كانوا يستمعون إلى صوت الشيخ الرخيم عندما يرتل القرآن.

ويقول الشيخ مصطفى: وكان إذا تأخر نزول المطر ويئس الناس وقنطوا، يكلفني أهل

---

[1] صدر ديوان الشيخ بعناية ابنه الأستاذ عبد الرحمن.

قريتي بدعاء الاستسقاء، فأخرج بهم، بذل وانكسار، وخشية وهيبة، فأدعو الكريم فلا يخيب أملي ورجائي، ولا ينظر إلى تقصيري، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

يقول ولده عبد الرحمن: وهذا أمر مشهود أدركته أنا في ثلاث وقائع استسقاء، حيث حبسنا المطر بعد صلاة استسقاء بعد صلاة الجمعة إلى صلاة عصر ذلك اليوم، وقد هرب الناس بعد الاستسقاء من شدة هطول المطر من حواكير القرية إلى بيوتهم، كما تهرب العصافير من الصياد.

قال: وقال لي بعض الإخوان، وقد زرت ضريح الشيخ بلال، في الحي الشرقي من مارع، بعدما أمرته بالذكر، أنه خرج من قلبي نور صعد إلى السماء، وأنا مضطجع في غرفتي ثم عاد إليّ، والحمد لله.

يقول الشيخ: وقع لي أني كنت أسحب وردي في الجامع الكبير في مارع، أن امتدت يد فيها كأس فيه ما يشبه الحليب فشربته فوقع في روعي أنها يد نبينا محمد ﷺ.

ويقول: وقع لي أني كنت أسحب وردي في بيت (مربع) الشيخ عبد الرزاق الحوري، وإذا بنور يخرج من قلبي وحلّق في السماء، ثم رجع إلى قلبي فسررت كثيراً، وشممت رائحة طيبة زكية.

ويقول: وقع لي أني كنت أسحب وردي في مكتبي في مارع فأحسست بالدورة الدموية في جسمي تدور وتقول (الله) وبدويّ عظيم، ورأيت أوراق الشجر تتدلى علي وتقول (الله) وكلما ذكرت عادت إلى الذكر.

ويقول: وقع لي أني بدأت بقراءة سورة (ق) عند أخي عبد السلام المحتضر، وكنت متأثراً خاشعاً، حتى إذا وصلت إلى قوله تعالى: ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾ وبصوت متجرد من علائق الدنيا، وإذ بكأس أمامي ينفجر حتى صارت كل جزئية منه كحبة السمسم، ولفظ أخي أنفاسه ومات في تلك اللحظة.

أقول: قال تعالى: ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرايته خاشعاً متصدعاً من خشية الله﴾.

يقول: واعترض عليّ أحد الناس من مارع لقراءتي ورد المسبعات بعد صلاة الجمعة، وكنت أتلوها، وقد تضايق من طولها فقلت له: هذا ليس من عندي إنما هو حديث رسول الله ﷺ، فأغلظ عليّ في القول وتهجم علي فتركته، وإذا به في فجر اليوم التالي يدخل علي ويضع يده في زناري ويقول: دخيلك يا شيخ مصطفى، دخيل مشايخك، سامحني ما بقيت أعترض عليك، أنا إيش عملت، وأنت تجلدني طول الليل، أنت والشيخ عبد السلام عبيدو. وأراني آثار الضرب، يقول عبد الرحمن: الشيخ عبد السلام عبيدو، شقيق الشيخ عثمان عبيدو الشهير بالشيخ عثمان المارعي، وكان ضخم الجثة مهيباً.

قال عبد الرحمن: إنني قلت كلاماً ما كنت أعرفه أبداً من قبل وذلك قبيل وفاته، أطيب خاطره ليسمح عن بعض الناس الذين أساؤوا إليه، ويدعو لهم، فنمت يوماً وذلك قبل وفاته بأسبوع، وكان في المستشفى فأراني الله سبحانه في نومي ما سيحدث إلى يوم وفاته، وذلك من يوم الإثنين إلى يوم الجمعة، حتى لا يرتاع فؤادي ولا أرتاع وهذه كرامة له.

وفي ذلك اليوم الإثنين قلت له: يا والدي، ما رأيت من الدنيا شيئاً مما يراه الناس من متاعها، فشخص ببصره ثم قال: رأيت مقامي والله أرضاني.

ومن شعره اخترنا هذه القصيدة التي ألقيت في الجامع الكبير بحلب بمناسبة الإسراء والمعراج رجب ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م، وهي هذه:

يـــا من سرى وسما في الحالك العتم ... ليـــلاً إلـــى المسجد الأقصى من الحرم
تـــحيّة الله والأمـــلاك مـــن قـــدم ... تُهـــدى إليك، أجل يا صاحب العلم
يا صاحب الـــتاج والمعراج يا أملي ... يـــا صاحب الحوض والإسراء والذمم
ركبت متـــن بـــراق الأنبـــياء إلى ... مقام قوسيـــن لـــم يدرك ولـــم يرم
دعاك مـــولاك تـــشريفاً وتكرمـــة ... لحضرة القـــدس والأمـــلاك في خدم
حتى دنوت من الباري و قد رُفعت ... حُجبُ الـــجلال فرأيت الله ذا الكرم
إليك نشكو ضياع المسلمين ومـــا ... قد حلّ في المسجد الأقصى من الرمم

قد حرّقوه وعـــاثوا يـــا لخســـتهم أراقم الغرب أهـــل البـــغي والنـــقم
ولوّثـــوا الصخرة الـــمثلى بأرجلهم يا غارة الله ردّي البـــغي وانـــتقمي
يا سيد الرسل يـــا سيف الإله ويـــا منشي العـــدالة يـــا جاراً لـــمنعـــدم
ردّ الصهاينة الأنـــذال عـــن حـــرم صـــليت فيه إمـــاماً غيـــر متهـــم
صلى عليك إلـــه العرش ما بزغت شمس الهدى وأضاء النـــور في إضـــم
وآلك الغرّ والأصحاب ما سجعت حمائم الأيـــك بيـــن البـــان والعلـــم

وفاته: وفي يوم الخميس بعد صلاة العشاء قال: وضؤوني. فوضأناه، ثم نوى الصلاة وقال: اخرجوا، فإن عشت هذه الليلة فأنا من الأحياء. فخرجنا جميعاً، وكأن سهوة قد حدثت لنا، فعدت مسرعاً إليه فقلت له: بشّر. فابتسم وقال: رأيت ملك الموت. وأشار إلى أنه شاب من أجمل ما رأيت من الشباب.

وفي فجر يوم الجمعة التاسع من رمضان ١٣٩٧هـ-١٩٧٦م قال: وضؤوني. فوضأناه، وصلى، ثم فاضت روحه إلى بارئها.

ونقلناه من المستشفى إلى القرية، وصلينا عليه في الجامع الكبير في مارع، ودفن في بستان له على طريق يعرف باسم (جب الحمامي). رحمه الله وأسكنه فسيح جنته.

العالم العامل، والأستاذ الفاضل

الشيخ بكري صدقي النجار المارعي النقشبندي

(...-١٤٠٠هـ) (...- ١٩٨٠م)

هو الأستاذ الفاضل، والعالم العامل، الشيخ بكري صدقي المارعي النقشبندي.

النشأة الأولى: ولد هذا الأستاذ العالم في مارع يتيماً من أب لم يره، حيث ذهب جندياً إلى الحرب العالمية الأولى (سفر برلك) واستشهد فيها ولم يعد، وحضنته أمه التي لم يتمتع بحنانها سوى ثماني سنوات، حيث لقيت ربها بعد ذلك، فبقي يتيماً من الأب والأم، وله في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، وقدوة طيبة.

وهيأ له القدر الرحيم عماً وخالاً عوضاه عن حنان الأم وعطف الأب، فقد كان عمه الحاج عمر الأحمد وزوجته خالة (اليتيم) الحاجة صفية لم يرزقا بأولاد، فصار هذا الولد اليتيم ابناً لهما وقرة عين عندهما، وكان الزوجان الكريمان الحاج عمر والحاجة صفية من مريدي وأحباب شيخنا الكبير الشيخ محمد أبي النصر قدس سره، وكان الشيخ إذا قدم مارع يجد في بيتهما راحة، ولديهما مقيلاً ومستقراً، وكان الزوجان في خدمة شيخهما يقتفيان إثر سيدنا أبي أيوب الأنصاري وزوجته في خدمة سيدنا رسول الله ﷺ، حتى أن الشيخ عيسى البيانوني لقب الحاجة صفية بـــ (خادمة) الشيخ أبي النصر، ويعتزّ أبناؤها برسالة من الشيخ عيسى عندهم فيها ذكر الحاجة صفية بأنها خادمة أبي النصر، وحق لهم أن يعتزوا، فمحب القوم معهم، ولهم بأبي أيوب وزوجته وأنس بن مالك وأمه أسوة حسنة.

تحت أنظار الشيخ أبي النصر: ودرج الولد اليتيم (بكري) في بيت عمه الذي أنساه مع زوجته مرارة اليتم، وأبدلاها بحلاوة الأنس والمحبة والعطف، ووقعت عليه أنظار الشيخ

أبي النصر في زيارة قدمها إلى مارع وارتاح فيها في بيت الوالدين الجديدين، (الحاج عمر والحاجة صفية) ويعرف أنهما لا ولد لهما، فسأل عنه فأخبراه بخبره، وكان قد صار فتى يافعاً تبدو عليه أمارات الفطنة والذكاء، فأشار عليهما بأن يضعاه في طلب العلم، والعلم عزّ في الدنيا وسعادة في الآخرة، وكذلك كان شأن المرشد أبي النصر قدس سره العزيز، يوجه دائماً من يتوسم فيهم الخير إلى طلب العلم، وأوكل مهمة انتسابه إلى المدرسة العلمية بحلب (الخسروية) إلى الشيخ عيسى البيانوني، مريد الشيخ أبي النصر الأول، وأحد أفاضل أساتذتها.

إلى المدرسة الخسروية: وتم درج الطالب (بكري المارعي) في سلك طلاب المدرسة الخسروية بعام ١٣٤٩هـ-١٩٣٠م، وتم تحصيله مختلف العلوم التي تدرس فيها على أساتذتها الفضلاء النبلاء، الذين كانوا شموس عصرهم علماً وتقوى، وهداية ومعرفة.

وكان من رفاقه الذين درسوا معه وتخرجوا في قافلته الحادية عشرة بعام ١٩٣٦م علماء أعلام انتقلوا إلى رحمة الله تعالى.

بعد التخرج: وبعد التخرج ونيل شهادة الخسروية، انطلق اليتيم داعياً ومعلماً وخطيباً وإماماً في قرية (قبتان الجبل) من قرى سمعان، ثم انتقل إلى حريتان، ثم إلى تفتناز.

وصارت فرصة له أن يعمل في حقل المدارس الرسمية التابعة لوزارة المعارف (التربية)، فانتقل إلى سلك التعليم في المدارس الرسمية وجاب آفاق البلاد السورية معلماً اللغة العربية والديانة (التربية الإسلامية)، فانتقل من القامشلي إلى جسر الشغور ثم استقر به المقام في مدارس حلب: اليرموك في الكلاسة، وغرناطة في الأنصاري، وأبو أيوب الأنصاري؛ واستقر قليلاً في حلب، حيث كلف بخطابة الجمعة من مديرية أوقاف حلب في عدة جوامع منها جامع البيدر في الكلاسة، وفي باب النيرب وغيرها.

مع أشياخ الطريقة: ورغم تنقلاته في أنحاء القطر، معلماً وداعياً وخطيباً وإماماً، لم يكن ينقطع عن شيخه أبي النصر عندما يزور مارع أو الذهاب إليه في حمص، وكان يحرص أن يكون بجانبه كباقي إخوانه من طلبة العلم، وكان الشيخ الكبير أبو النصر - قدس سره -

يكلفه كعادته بتكليف طلبة العلم، بالخطابة والموعظة في مجالسه التي يحل فيها، وكان الشيخ بكري من عداد الخطباء المفوّهين، إذ كان خطيباً منطيقاً، قوي الشخصية، عالي الهمة شاعراً إذا اقتضت المناسبة لقول الشعر، قوي الحجة، حتى إن الشيخ أبا النصر سماه (محامي النقشبندية)، وكان من بركة أنظار شيخه عليه أن أي قضية يدخل فيها لإصلاح ذات البين، أو صلح بين متخاصمين، أو تقريب وجهتي نظرين متباعدتين، تُحل بإذن الله وتوفيقه، لا يبتغي من ذلك جزاءاً ولا شكوراً إلا مرضاة الله سبحانه ولو اقتضى الأمر أن يكون هو دافع المال، فإن ذلك يسير ورخيص عليه.

ولما انتقل الشيخ الكبير أبو النصر إلى رحمة الله وغفرانه، لزم الشيخ بكري الطريق ولم يتخل عنه، ولازم مجالس خليفته الشيخ عبد الباسط في مارع وغيرها، ولقد رأيناه والحمد لله ملتزماً نهج الشيخ في حياة شيخنا عبد الباسط محباً له، متواضعاً بين يديه، وكانت أنظار الشيخ عبد الباسط وملاطفاته له ظاهرة وبينة، كما كان يفعل مع أحباب والده وإخوانه.

وقد كان الشيخ بكري يقول داعياً في خلواته ومع إخوانه: يا رب يا رب ليس مرتبتي أن أكون مع الأنبياء والصديقين في الآخرة، فاجمعني مع شيخي أبي النصر.

وكان يردد هذه الأبيات التي قالها أمام شيخه:

إذا ســـكن الغـــدير علـــى صـــفاء ... وباعـــد أن يحركهـــا النســـيم

رأيت الشـــمس فيهـــا دون امتـــراء ... كـــذلك يُـــرى البـــدر والنجـــوم

وكـــذا قلـــوب أربـــاب التجلـــي ... يـــرى في ســـرها الـــرب العظـــيم

مارع، حمص الصغرى: وهكذا كان هذا العالم الفاضل، وهذا بعض ما كانت عليه بلدته (مارع) في حياة الشيخ أبي النصر، إذ كان يقول الشيخ أبو النصر عن مارع: أنا شيخ مارع كبيرها وصغيرها، ذكرها وأنثاها، مارع حمص الصغرى.

وقد كتب إلي بمضمون هذه الترجمة التي ذكرتها أعلاه ولده السيد محمد، وعقب على هذا بقوله: (لقد زرع في قلوب آبائنا وأجدادنا المحبة الصادقة في الله، ولقد استقبل أهالي

مارع بعد وفاته خليفته ولده الشيخ عبد الباسط رحمه الله. والآن فإنهم يحبون - جميعهم - بصدق وحق شيخنا وابن شيخنا الشيخ عبد الخالق وكل آل أبي النصر، وكل من يحب (أبا النصر)، ولا تزال عندي مسبحة الشيخ محمد أبي النصر رحمه الله، وبعض الأثر من والده الشيخ سليم الذي انتقل إلينا بعد إهدائه لخادمته الحاجة صفية رحمها الله تعالى).

حكاية غريبة ورؤيا عجيبة: وقد كان لاندراجه في سلك الطريقة وأخذه الورد عن الشيخ أبي النصر أثناء ما كان طالباً في المدرسة الخسروية حكاية غريبة ورؤيا عجيبة، قصها الشيخ بكري على إخوانه وأولاده وذكرها مراراً، وهي مما كتبه إليّ ولده السيد محمد مع هذه الترجمة قال: عندما كان طالباً في المدرسة رأى رؤيا أنه في أرض واسعة منبسطة فيها عدد كبير وكثير من المشايخ، يلتف حول كل واحد منهم مريدوه، فصار يبحث عن شيخه أبي النصر بينهم حتى التقاه وحوله عدد من الرجال، فقبّل يده ووقف معهم، فنظر إليه الشيخ وقال له: يا بكري، هل رأيت نبي الله موسى عليه السلام ؟ فقال له: لا. فأشار الشيخ أبو النصر إلى مجموعة قريبة، وقال له: ذاك سيدنا موسى، اذهب وسلم عليه. قال: فلما وصلت إليه وقفت أمامه فقال سيدنا موسى: لقد مات هذا الشاب. فغسلوني وكفنوني ووضعوني في القبر، فلما انصرفوا عني قلت: لقد أصبحت ميتاً لا محالة، وصرت أتذكر ماذا أجيب ملكي السؤال (منكر ونكير) ؟ إذا جاءا ليسألاني، وفي هذه الأثناء، فتح أمامي سرداب طويل مظلم ظهر منه شخصان يلبسان الثياب البيضاء، فقلت في نفسي: هذان والله هما منكر ونكير، يا رب أعني على حسن الإجابة. فلما اقتربا مني جلست القرفصاء، وقلت لهما قبل أن يسألاني وبصوت واضح: الله ربي، محمد نبيي، الإسلام ديني، الكعبة قبلتي، والمسلمون إخوتي، وختمتها بقولي: الشيخ محمد أبو النصر شيخي.

وما إن أنهيت كلامي حتى رأيت يدين اثنتين أمسكتاني، فنظرت من يكون صاحب هاتين اليدين، فإذا بشيخي أبي النصر يقول لهما: ليس لكما عليه سؤال، نم يا بني. فاستيقظت من نومي ورفعت اللحاف عن جسمي وأنا أصيح بصوت عال أوقظ رفاقي في

المدرسة الذين هرعوا إليّ ليسقوني الماء، ويستفسروا عما أزعجني وجعلني أرفع صوتي مذعوراً خائفاً، فقصصت عليهم ما رأيت، ولم أستطع أن أنم تلك الليلة حتى الصباح، فذهبت للصلاة، وكان شيخي أبو النصر في حلب، فتوجهت إليه وسلمت عليه، فلما رآني قال لي مباشرة: شاهدت سيدنا موسى يا بكري ؟ رأيت منكر ونكير يا بكري ؟ فارتميت على يديه أقبلهما وأقول: نعم يا سيدي. وعلمت أنه شيخي ظاهراً وباطناً، سراً وعلناً. وهذا مما زاد حبي لشيخي علاوة عما كان، ومن يومها تلقنت عنه الورد، واندرجت في سلك الطريقة النقشبندية.

الشيخ بكري خطيب السيف: ومما كتبه لي ولده محمد في ترجمة والده الشيخ بكري، أن والده شاهد كرامات كثيرة من الشيخ أبي النصر، وكان والده يحدثهم عنها، فمما قاله حكاية القلم الذي أهداه إياه التركي عندما كان راكباً في القطار قادماً من القامشلي مروراً بتركية، وقد ذكرتها في بحث (كرامات الشيخ مما حدثنا عنه الشيخ أديب المارعي).

وهذه الحكاية التي عنونها بـــ (خطيب السيف) قال: كان الشيخ أبو النصر – قدس سره – في قرية منغ (منطقة إعزاز)، فذهب والدي للسلام عليه، وكان بضيافة عالمها الشيخ عبد الرحمن البكري، وجلس بعد السلام بجوار الشيخ، والمكان غاصّ بالإخوان والمحبين والدار ملأى بالناس، وبعد وقت ليس بالطويل، التفت الشيخ أبو النصر إلى الشيخ عبد الرحمن وقال له: يا شيخ عبد الرحمن، هات السيف.

فقال له: يا شيخي، أي سيف ؟ فقال الشيخ: سيفك الذي تسنه كل يوم بعد صلاة الصبح وبعد صلاة العشاء، ووضعته في مكان كذا. (وكان الشيخ عبد الرحمن قد رأى رؤيا أنه من جنود المهدي، فاشترى سيفاً، وصار يسنّه كل يوم بعد الصبح والعشاء ويحفظه في مكان لا يعلمه أحد سوى زوجته)، فذهب الشيخ عبد الرحمن وأحضر السيف، ووضعه أمام الشيخ وقبل يده وجلس. وبعد أن انتهت حصة الإنشاد، قال الشيخ أبو النصر: أريد شيخاً يخطب وبيده هذا السيف. وكان المجلس يحوي كثيراً من العلماء الذين هم برتبة الأساتذة ومنهم برتبة زملاء (الشيخ بكري) فلم يقم أحد، فالتفت الشيخ

أبو النصر إلى الشيخ بكري وقال له: يا بكري. قلت: نعم يا شيخي. قال: قم فاخطب بهذا السيف، قال: فقمت وقبلت يده وأخذت السيف، وجردته من قرابه وأنا لا أعرف ماذا سأقول. وبدأت الكلام بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسول الله، وتكلمت و لم أدر ماذا أتكلم، ومضى على خطبتي نصف ساعة أو أكثر، التفت فيها إلى الشيخ وإذا بي أرى عيونه كأنها أنوار سيارة ساطعة (برجكتور) من النور الباهر متوجهٌ إلي، فأغمدت السيف في قرابه، ووضعته أمامه، وقبلت يده وجلست، ونظرت في وجوه الحاضرين، وإذا بهم غائبون عن الوعي بين باكٍ وشاخص، ومستلق على الأرض، وغائب عن حسه وشعوره. ولما انتهى المجلس، وانصرفنا سألت رفاقي وإخواني: ماذا قلت ؟ قالوا: لقد قلت وأبلغت في القول فجزاك الله خيراً. وأنا والله لا أعلم ماذا تكلمت وماذا قلت، وفي أي موضوع خضت، ولا أتذكر من هذه الخطبة كلمة واحدة، ومن يومها صار الإخوان يقولون: هذا خطيب السيف أمام الشيخ أبي النصر.

وفاته: وبعد عمر مديد، وعيش سعيد، وصحبة صالحة قضاها مع الشيخ أبي النصر، ومع خليفته من بعده الشيخ عبد الباسط، انتقل إلى رحمة الله ومغفرته في ربيع عام ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م في شهر آذار ودفن في بلدته مارع، وكان شيخنا عبد الباسط من أوائل من عزّى بوفاته وترحّم عليه. رحمه الله وأجزل مثوبته.

الصوفي الصادق، والشيخ المحب

الشيخ عبد السلام الدابقي "الشهير بالشيخ عبد"

(١٣٣٦-١٤٠٠هـ) (١٩١٧-١٩٨٠م)

هو المحب الصادق والصوفي الذائق، من عاش حياته للطريق النقشبندي داعياً وذاكراً، وناصحاً ومصلحاً، عمنا الكريم، وصديقنا القديم الشيخ عبد المجعان بن أحمد المجعان، الفرهودي عشيرة والعربي نشأة ومحتداً، والدابقي سكناً ووفاة، والنقشبندي مشرباً ومسلكاً وطريقة، المولود بحوالي ١٩١٧م ١٣٣٦هـ تقريباً.

النشأة الأولى: ولد في منطقة إعزاز (قرية راعل) ونشأ وحيداً لأبويه مع شقيقة له فقط، فأكرمهما أبواهما غاية الإكرام، وبحكم أن القرية التي ولد فيها ونشأ مقاربة للحدود التركية السورية فقد تعلم اللغة التركية من لداته هناك، وأتقن لغتها، ثم انتقل والده بأسرته إلى قرية دابق، وفيها توفي والداه وعاش شبه يتيم، فقيراً لا مال لديه.

تعليمه وتربيته: وكان لا بد من عمل يعمله ليرتزق منه، وكان أهل القرية لديهم كروم عنب كثيرة، ويخشون عليها من رعاة العرب الرحل الذين يفدون إلى القرية - وباقي قرى المنطقة - للرعي بعد الحصاد، ونظراً لذلك ولاستقامته ونشوئه نشأة التقوى في كنف والديه وثق منه أهل القرية وجعلوه حارساً على كرومهم بأجر موسمي، وكان شاباً في أول شبابه لا يتجاوز عمره العشرين عاماً أو أقل، وأثناءها وبعام ١٩٣٦ تقريباً كان سيدي الوالد - الشيخ محمد علي المسعود - قد وفد إلى القرية معلماً ومدرساً بعد تخرجه من الخسروية، وقد افتتح في القرية مكتباً أولياً لتعليم القراءة والكتابة ومبادئ العلوم الأولية، فكان لفضيلة الشيخ عبد الحظ الأوفر في التعليم والتربية، ولمس الوالد لديه النباهة، وحب العلم فزاده منه حظاً وقرأ له متون الكتب الشرعية والعربية، وتابعا معاً العلم

والقراءة في كتب القوم، وبخاصة بعد سلوكه الطريق على يد مرشدنا الكامل الشيخ أبي النصر رحمه الله تعالى وقدس روحه، ثم افتتح فيما بعد هو مكتباً لتعليم أبناء القرية مبادئ القراءة والكتابة قبل افتتاح المدارس الرسمية فيها.

وقد أدركت منذ أوائل فتوتي والوالد – كان في دابق – شيخنا المفضال ملازماً لسيدي الوالد في القرية وما جاورها من ريف إعزاز، داعيين إلى الله مع بقية إخوانهما من أهل العلم، ينتقلان من قرية إلى أخرى ويغيبان عن ذويهما وأهلهما الليالي والأيام الطويلة، لا يريدان إلا رضا الله سبحانه ومثوبته في دعوة الخلق إلى الحق وتزكيتهم وتربيتهم، ونظراً لمعرفة الشيخ عبد باللغة التركية فقد كان له القبول في القرى التي يتكلم أهلها هذه اللغة، وكانت الاستجابة والتعلق بالطريق النقشبندي ظاهراً وملحوظاً، وتحسّن أحوالهم وتخلقهم بالأخلاق الشرعية محسوساً وملموساً، كما كانت له مع الوالد وبمفرده زيارات متتابعة إلى مدينة إعزاز ومنغ وإبين وما حولها، يتفقد الإخوان من مريدي سيدنا أبي النصر وينشطهم على الذكر، ويقوي ارتباطهم به وبآداب الإسلام.

أول لقاء مع الشيخ أبي النصر: ونظراً لطول ملازمة الأخ المفضال (الشيخ عبد الرحمن بن ريحاوي البكور الدابقي) للشيخ عبد – بحكم كونه من ذات القرية (دابق)، وكان له الفضل عليه بالعناية بتعليمه، وتوجيهه نحو طلب العلم الشرعي – فقد طلبت منه ومن ابن الشيخ عبد؛ الأستاذ الفاضل الشيخ أحمد ترجمة لشيخنا الكريم، فتفضل الأخ الشيخ عبد الرحمن وكتب إلي مفصل ترجمته، وذكر فيها أول التقاء له بسيدي أبي النصر فقال:

(حدثني مراراً رحمه الله أنه كان مرة نائماً في الكروم، لما كان حارساً لكروم العنب في القرية، وكان يسمع عن الشيخ أبي النصر وخاصة مما يذكره له شيخنا الشيخ محمد علي المسعود، قال: فبينما أنا نائم في الخيمة – في الكرم – إذ حضر عليّ مناماً الشيخ أبو النصر، وأخبرني عن اسمه فطلبت منه أن يلقنني الطريق، ففعل، وكأنها في اليقظة، وفي اليوم التالي أُخبرنا أن الشيخ أبا النصر قدم إلى مارع، وهي مجاورة لدابق بينهما ١٠ كم تقريباً، وطلب مني الشيخ محمد علي أن نذهب إلى لقائه، فذهبت معه، وبعد أن سلمنا عليه

وجلسنا عرض شيخنا محمد علي على سيدنا أبي النصر أن يلقنني الطريق، فتبسم الشيخ وقال: هو ملقّن الطريق. مشيراً إلى الرؤيا التي رأيتها ليلتها في المنام، ثم قصصتها على أستاذنا الشيخ محمد علي فسرّ الشيخ بها كثيراً.

وصار الشيخ عبد يشتغل بالطريق ذاكراً متبتلاً، وخاشعاً عابداً، فعرضت له أحوال ومبشرات من الرؤى، وكان يقصها على شيخنا (أبي زكريا) ويبشره ويطمئنه على صحة السير، واستقامة الطريق.

ثم أذن له الشيخ أبو النصر بتلقين الذكر للإخوان وإدارة الختم (الخواجكان) النقشبندي، فقام بذلك بهمة ونشاط واهتمام بالغ، وصار يتنقل في القرى والمدن في ريف حلب وخاصة ريف إعزاز، وفي غالب الأحيان يكون بصحبة شيخنا محمد علي المسعود. يقول الشيخ عبد الرحمن: وكم صحبته في أسفاره، وخصوصاً إلى حلب وحمص وإعزاز، وقرى إعزاز: منغ وأناب وباقي قرى إعزاز.

وكان مجلسه تذكير بآداب الإسلام، وحضّ على التزام آداب الطريق النقشبندي الذي هو التخلق بآداب الشرع، وتنشيطهم على الذكر، وعدم ترك أولادهم، وكثيراً ما كان يحدثهم عن كرامات شيخنا أبي النصر، ويذكر كلامه وأحواله لهم في التربية والسلوك، وأحوال صاحبه الشيخ عيسى البيانوني، والشيخ عثمان المارعي رحمهم الله جميعاً.

زواجه: ولما استقرت أموره، وأحس أنه لا بد للرجل من امرأة تصلح أحواله وتقوم بأمر بيته، تزوج من نفس القرية من ابنة الرجل الكريم الحاج أحمد الخليل الصوراني، ولزواجه منها حكاية حدثنا عنها - والكلام للشيخ عبد الرحمن - بأنه رأى رؤيا بأنه سيزوج من هذه الفتاة واسمها (صالحة) وهي صالحة فعلاً، حفظها الله وأمدّ في عمرها مع العافية، وجاءه بعدها أحد أهل القرية يخبره بأن زواجاً سيتم بطريق البدايل (الشغار) بين ثلاثة من أهل القرية، وإحدى الزوجات هي صالحة (التي رأى في منامه أنها زوجته) فقال له: هذا الأمر لا يتم. فقال الرجل: كيف وقد دفعوا المهر واتفقوا على تجهيز النساء إلى أزواجهن ؟ فسكت الشيخ ولم يجب، لأنه واثق من رؤياه الصادقة، وفعلاً فقد فسخت

خطبة زوجته بعد خلاف، وقدر الله أن تكون أماً لأولاده، السادة: الشيخ أحمد، والأستاذ عبد الباسط، والشيخ ناصر، وعلي حفظهم الله مع أخواتهم الثلاث.

بعض أحواله ورؤاه: قال: سمعته كثيراً يحدثنا أنه غاب عن بيته مدة طويلة، ولما رجع وجد ابنه أحمد مريضاً، وقد بلغ به المرض منتهاه، وشكت له أم أحمد بأنها عرض لها خوف في أحد الليالي على ولدها من شدة مرضه، قال الشيخ: فنمت في تلك الليلة مهموماً أدعو الله تعالى متضرعاً أن يشفي هذا الولد، ولما استيقظت في الصباح، قام الولد من فراشه، ولم يبق به علة كأنما نشط من عقال، فحمدت الله سبحانه على فضله ولطفه، وخرجت إلى الزيارة (وهي غرفة واسعة على تل دابق فيها قبر الصحابي عبد الله بن مُسافع، وبجواره قبر سليمان بن عبد الملك أحد خلفاء بني أمية). قال الشيخ فاعترضني في طريق ذهابي إلى الزيارة جارنا إسماعيل البكور - عمي، أي عم الشيخ عبد الرحمن - وقال لي: يا شيخي، خوفتني هذه الليلة، قلت: كيف ؟ قال: رأيتك في النوم تمشي وراء شيخ ذي هيبة ووقار، فجئت لأسلم عليك فصرخت بي صوتاً أرعبني وقلت لي: تترك الشيخ أبو النصر وتأتي لتسلم علي ؟ قال إسماعيل البكور: فأسرعت وسلمت على الشيخ أبي النصر وقبلت يده فقال لي: يا ابني، يا إسماعيل، أنا جئت من أجل (أحمد ابن الشيخ عبد السلام) لأنه مريض، وقد كان أبوه مشغولاً بأمر الطريق وأمر الإخوان، جزاه الله خيراً. فقال الشيخ عبد له: صدقت يا أبا بكور، لقد شفي أحمد ولله الحمد، ولكن بقيت به آثار المرض (آثار الجدري).

قال الشيخ عبد الرحمن: وحدثني مراراً رحمه الله أنه أول مرة ذهب فيها إلى مدينة إعزاز من أجل تفقد الإخوان في الطريق، كان معه أحد إخوان شيخنا أبي النصر المحبين الذاكرين واسمه (أبو إسماعيل الخطيب)، من مارع، قال: ولما وصلنا إعزاز توجهنا إلى المسجد الكبير من أجل إقامة الختم النقشبندي بعد صلاة العصر، وقد بلغ بنا التعب مبلغه من جراء السفر، وبعد صلاة العصر قام الشيخ يحيى الفاخوري (مفتي المنطقة) رحمه الله يقرأ درسه، فالتفت إليَّ الأخ أبو إسماعيل، وقال لي: قم يا شيخي حتى نذهب إلى بيت

أخينا (حاج سليم حياني) المنشد ونستريح هناك، فمتى ينتهي الدرس ونقرأ الختم ؟ فقلت له (والكلام للشيخ عبد) : اصبر قليلاً. (وقد تمثل أمامي بوقتها شيخنا أبو النصر، وقال: اجلس فسوف نقرأ الختم) وجلست فعلاً، فلما رآني الشيخ يحيى، وكان عالماً فاضلاً، متواضعاً، محباً لأهل الطريق، قال: يا إخوان، هذا أخونا الشيخ عبد السلام يريد أن يقرأ الختم، فهيا نقرأه معه، والآن نؤجل الدرس. فقرأنا الختم النقشبندي، واتبعناه بحصة إنشاد في مدح النبي ﷺ، وجرت للحاضرين أحوال صادقة، وخيّم الخشوع والهيبة على المجلس، وفاضت أعين الحاضرين بالبكاء وعلت أصوات نشيجهم، وخيمت على المجلس روحانية إيمانية شعر بها الجميع، ولما انفض المجلس قلت لأخينا أبي إسماعيل: لقد كان شيخنا أبو النصر حاضراً معنا (أي بروحانيته) فقال لي: يا شيخي ما يدريني بذلك ؟!

حضّه وحثه على العلم: وصار رحمه الله بعد تعلمه وانشغاله بالطريق، له ولع بالعلم والذكر وحضّ أبناء الإخوان على الذكر والعلم، والاندراج في مدارس العلم الشرعية، يقول (الشيخ عبد الرحمن): فكان الشيخ رحمه الله هو الذي سعى لي في الدخول إلى المدرسة الشعبانية، ثم تابعت بفضل تشجيعه ورعايته الدراسة في الأزهر الشريف أنا وولده أحمد، وكنا نقيم في حلب في المدرسة الهاشمية، وكثيراً ما كان يزورنا ويتفقدنا ويصحبنا معه إلى مجالس شيخنا عبد الباسط أبي النصر في جامع أبي ذر بحلب ليلة الجمعة والختم في جامع العثمانية بعد صلاة الجمعة، وهو الذي لقنني الطريق، وكنت أصحب شيخنا عبد السلام في جولاته مع شيخنا عبد الباسط على الإخوان في حلب وريفها، وكان يطلب مني الإنشاد ويطرب لذلك كثيراً، وإني أذكر أول ليلة ذهبت فيها إلى مسجد أبي ذر وأنشدت قصيدة الشيخ عيسى البيانوني التي مطلعها (حبيب الله للكون ابتداء..) فضج المسجد بالبكاء وعلت أصوات النحيب، وتجلت حالة من الخشوع والخضوع، وظهرت الأحوال الإيمانية المباركة وكان سرور شيخنا عبد الباسط كبيراً.

نبذة من أخلاقه وسيرته: قال الشيخ عبد الرحمن: وأخيراً أقول: كان شيخنا عبد السلام رحمه الله ذاكراً (الذكر الخفي – النقشي) عاملاً بالطريق وآدابه، دائباً في مطالعة كتب

القوم وبخاصة آداب الطريق، وتراجم الصوفية، مواصلاً في مجالس الذكر، محباً لرسول الله ﷺ، مادحاً له، بإنشاده مما يحفظ من أشعار وقصائد، بَكَّاءاً، له تأثر عجيب بمدح سيدنا رسول الله ﷺ، وما كان يسمع مدح الحبيب المصطفى إلا وتأخذه العبرة وتعتريه الأحوال والمواجيد وتنهل دموعه، وتأخذه الصيحات بلفظ (الله، أو هـــو) محباً للخير والمعروف، دالاً عليهما، لا يهتم بالناس، ولا بزيد ولا عمرو، وربما سمع كلام الناس فيه، فيضرب عنه صفحاً، ويعرض عنه، ولا يغتاب أحداً، ولا ينتقصه، وكم سمعته يقول: قالوا للشيخ عيسى البيانوني رحمه الله: يا شيخي، الناس يتكلمون عليك. فيقول لهم: حُط بالتنكة ! فيقال له: أما امتلأت التنكة ؟ فيجيب: مخروقة أي ليس لها أرضية.

وكان رحمه الله، يصلح بين المتخاصمين أفراداً وجماعات، وكم بذل من وقته واهتم في إصلاح ما يقع من خصومات بين أهل قريته (دابق) وكذلك ما جاورها من القرى، متمثلاً قوله تعالى: ﴿وأصلحوا بين أخويكم﴾، وقوله: ﴿والصلح خير﴾. لذلك كان كثيراً ما يدأب على الإصلاح وحل الخلافات، وإنهاء النـــزاعات وجمع الكلمة مستنيراً بذلك بآداب الشرع وأحكامه.

حججه وأسفاره: كما كان دؤوباً على الحج إلى بيت الله الحرام، وزيارة النبي ﷺ، مواصلاً للحج والاعتمار، فكان يذهب أحياناً إلى مكة أو المدينة من رمضان ويبقى حتى وقت الحج ثم يعود، وقد اكتسب بهذا كثيراً من الإخوان والأصدقاء الذين كانوا يواصلونه ويحبونه، وكانت أكثر إقامته في رباط الأخ النقشبندي (الحاج محمود القوزانلي) في المدينة المنورة، وقد حج ما يقارب ثلاثين حجة أو أكثر.

وقد سمعته مراراً يحدث قائلاً: كنت مرة نائماً في مسجد الهبراوي في الكلاسة وإذا بقائل يقول لي (مناماً): هذا كرسي الإمام علي رضي الله عنه، قم فاجلس عليه، وإنك ستحج في كل عام. فاستيقظت، وإذا بهذا الكلام رؤيا منام، ومنذ ذلك الحين لم أنقطع عن الحج.

وكنت أتمنى الذهاب معه إلى الحج (أثناء دراستي) حتى هممت بعام ١٣٩٠هـــ-

١٩٧٠م أن أترك الذهاب إلى فحوص الأزهر وأذهب معه إلى الحج فلم يسمح لي بترك الدراسة، بل حضّني عليها وأمرني بمتابعة الدراسة الأزهرية، قائلاً: الدراسة أولى، وسييسر الله سبحانه لك الحج بعد ذلك. وهذا من فضل الله سبحانه وحسن رعاية الشيخ، فقد أكملت دراستي الأزهرية، ورزقني الله سبحانه الحج مرات ومرات، أسأل الله القبول.

رحم الله الشيخ رحمة واسعة، حيث له الفضل عليّ بالتربية والتوجيه للعلم وتفضله عليّ بأن أصحبه في جولاته على الإخوان ومع شيخنا الشيخ محمد علي المسعود، وهو الذي عرفني على مشايخنا النقشية، وبالأخص شيخنا عبد الباسط، وعرفني على الإخوان، وكنت ملازماً له في أسفاره وفي حضره، وكنت أجلس معه في (الزيارة على تل دابق) نتذاكر العلم وآداب الطريق، والقراءة في كتب التصوف، وأذكر مما قرأناه كتاب شرح الأجرومية في الطريقة الصوفية لابن عجيبة، ولما لم أجد نسخة منه في المكاتب نسخته بخط يدي.

يقول محرر هذه الكلمات (أبو يحيى) رحم الله الشيخ، فقد كان يشجعني أيضاً – مع ملاحظة والدي – على الخطب والدروس أيام كنت طالباً في الخسروية، وكانت إقامة والدي مع الأسرة في دابق، كان يشجعني على ارتقاء المنبر، ومما كان يقوله: إذا صعدت المنبر فلا تخش من أحد، واعتبر أن الحاضرين (شتلات بندورة). كيلا أتوجس خيفة من المواجهة، وهذا أثناء الطلب في المرحلة الإعدادية في الخسروية (الثانوية الشرعية).

يقول الشيخ عبد الرحمن: من أقوال الشيخ عبد: تفكرت في أبناء الطريق، فقلت لو أن نقشبندياً يلتزم أحكام الشرع ويعمل بها، وكان آخر رفاعياً لا يلتزم آداب الشرع، فإن سيدنا أحمد الرفاعي رضي الله عنه يحب هذا النقشبندي أكثر من ذاك الرفاعي، ولو كان العكس، رفاعي يعمل بآداب الشرع ويلتزم بها، وآخر نقشبندي لا يلتزمها ولا يعمل بها فإن سيدنا أبا النصر يحب ذلك الرفاعي أكثر من النقشبندي.

ويقول الشيخ عبد الرحمن: فعرضت هذا الكلام على أستاذنا الشيخ محمد علي المسعود رحمه الله فقال: نعم، الذي يعمل بآداب الشرع ويلتزم الطريق، فكل أهل الطرق عشيرته، وشيوخه.

وفاته: بعد حجه عام ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م أصيب بمرض ألزمه العلاج،في مستشفى الكندي بحلب، ولكنه ما لبث أن توفي وذلك في عام ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، فتوفي في قرية دابق ودفن في تل البركات في دابق شرقي بناء الزيارة. رحمه الله ونور ضريحه.

يقول أبو يحيى: وقد كنت بصحبة شيخنا (أبي نزار) الشيخ عبد الباسط ثاني يوم من وفاته معزين أولاده وإخوانه بوفاته.

وكان حزن شيخنا عليه كبيراً، ورغم أنه كان قد شفي حديثاً من الحادث الذي وقع له ولزم لأجله المستشفى، فإنه تحامل على نفسه، وذهب ليواسي أولاده حفظهم الله وإخوانه ومحبيه، من محبي شيخنا عبد الباسط، رحمهم الله ونور قبورهم، وحشرنا معهم في زمرة الشهداء والصالحين وحسُن أولئك رفيقاً.

الشيخ العالم الفاضل، والعصامي العامل

الشيخ مصطفى عزو ياسرجي الإعزازي

(١٣٢٥-١٤٠٢هـ) (١٩٠٧- ١٩٨٢م)

ولد هذا العالم الفاضل، والعصامي الكامل الشيخ مصطفى بن حاج عزو بن محمد ياسرجي في مدينة إعزاز التابعة لمحافظة حلب بعام ١٣٢٥هـ-١٩٠٧م في كنف والدين صالحين، وتعلم القرآن الكريم تلاوة وتجويداً في سن السابعة، كشأن أقرانه آنذاك أول ما يعلمهم آباؤهم كتاب الله، وتعلم مع التجويد الكتابة فأتقنها، ومن خطه في ثبت له يسجل فيه بعض ما جرى له نقلت منه ما يلي [1]:

حياته وأوائل نشأته: (كان وجودي في هذه الدار - دار الفناء - وولادتي بعام ١٩٠٧ تقريباً. وفي عام ١٩١١ أو ١٩١٥ ختمت القرآن الكريم، وبعده أخذت أتعلم التجويد والكتابة، فأتقنت التجويد والكتابة،وكنت ضعيف الخط، وكان ذلك في سن العاشرة تقريباً.

ثم توفيت والدتي (أسوم بنت حج مصطفى غزل) وأنا في هذه السن تقريباً، وكان والدي الحاج عزو على قيد الحياة، وتعلمت المهن، صنعة الإسكاف، ثم صنعة والدي بستاني، واشتغلت مع والدي حتى تعلمت صنعته (البستاني) وكنت في سن الخامسة عشرة من العمر، ثم تعلمت البيع والشراء، وافتتحت حانوتاً للسمانة والعطارة، وجمعت جزءاً من المال، وكنت أميل للعلم، وأحب أن أكون طالب علم، لأنني منذ صغري كنت مصلياً وأحب الأتقياء، فقد تربيت على يد أهل الطريق، وكان مرشدي الشيخ أبو النصر عليه الرحمة والرضوان).

---

[1] أقول: أعارني هذا الدفتر ولده الحاج عبد العزيز لأنقل منه ماذكرت، شكر الله له.

طلبه للعلم: ومن خلال حبه للعلم وبترغيب شيخه أبي النصر للشباب في طلب العلم بعدما أخذ الطريق على يديه، قويت همة الشاب (الشيخ مصطفى) للتوجه إلى طلب العلم، وكانت حلب محجة طلاب العلم، فقصد حلب وكان قد جاوز عمره العشرين عاماً، فالتزم مجالس العلم في مدارسها المتعددة آنذاك، كالشعبانية والدليواتية والعثمانية، وكان هذا بعام ١٣٥١هـ-١٩٣٢م ودرس على أيدي مشايخها مبادئ العلوم التي أهّلته للانتساب للمدرسة الخسروية، وبعد سنتين - أي بعام ١٩٣٤ - قُبِلَ في المدرسة الخسروية في الصف الثالث، لأن تحصيله أهله لذلك. وبعامها تزوج من زوجته (السيدة صالحة بنت كاظم) من مدينة كلس التركية المجاورة لمدينة إعزاز.

وكان **شيوخه** في الخسروية أفاضل علماء حلب آنذاك.

بعد الخسروية: وتم التخرج من المدرسة الخسروية والحصول على شهادتها بعام ١٣٥٧هـ-١٩٣٨م وكان من رفاقه في الطلب الذين تخرجوا معه العلماء الأفاضل الذين ذكرناهم في القافلة الثالثة عشرة.

وكان أول عمله في نشر العلم في بلدة حريتان القريبة من حلب، والتي هي على طريق حلب-إعزاز، فكان هناك إماماً وخطيباً ومدرساً ومعلماً لأطفالها الكتابة والقراءة والقرآن الكريم، وسعى في إعمار مئذنة لجامعها لا تزال إلى اليوم.

إلى العراق، مجاهداً وثائراً: وفي عام ١٣٦٠هـ-١٩٤١م لما قامت ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق، ضد الإنكليز، ذهب برئاسة وفد من المجاهدين لنصرة أهل العراق، والجهاد ضد الإنكليز، ولما وصل أرض العراق لم يتمكن هو وإخوانه من الدخول إليها والمشاركة في الجهاد فعادوا.. وأقام في بلده إعزاز بذلك العام وافتتح مكتباً لتعليم الطلاب.

وفي عام ١٣٦١هـ-١٩٤٢م طلبه أهل قرية قبتان الجبل غربي حلب، وكانوا قد تعرفوا عليه في حريتان، فانتقل إليها معلماً وإماماً وخطيباً واستمر في تعليم الأطفال في مكتب ابتدائي أهلي لمدة ثلاث سنوات.

والحنين إلى الوطن ينهي الغربة مهما طالت، فعاد إلى إعزاز بعام ١٣٦٤ هـ-١٩٤٥م حيث صار إماماً وخطيباً للجامع الكبير فيها، وافتتح أيضاً مكتباً لتعليم الطلاب مبادئ العلوم مع القرآن الكريم، وظل هكذا حتى عام ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م خمسة عشر عاماً انتفع منه خلق كثير صاروا فيما بعد علماء ومدرسين وقادةً، وكثر الأولاد وكبرت العائلة، ولا بد للأولاد من مجال للعلم والعمل أكبر من تلك المدينة الصغيرة، والمدن الكبرى تستهوي طالبي العلم والعمل، فانتقل مع أسرته إلى حلب وهناك عين إماماً في جامع الكلاسة الذي أسموه باسم (عبد الناصر) وظل خطيباً في جامع إعزاز الكبير، وبعد إقامة عام بحلب ١٣٨٠هـ-١٩٦١م بدأت حياة الاستقرار فيها، فباع أملاكه في إعزاز واشترى داراً للسكن بحلب، والتفت أولاده إلى مهنهم وصناعاتهم ويسر الله لهم الرزق الحلال. ثم نُقلت إمامته من جامع الكلاسة إلى جامع القصر ثم إلى جامع المصلّى، وفي عام ١٣٨٦هـ- ١٩٦٦م نقل خطبته من جامع إعزاز الكبير إلى جامع الكريمية بحلب.

سياحاته وأسفاره: وكان رحمه الله مولعاً بالحج والسفر وخاصة زيارة شيخه ومرشده أبي النصر، فكان يزوره في حمص ويبقى لديه الأيام الطويلة، ومما حدثني به ولده الحاج عبد العزيز حفظه الله ورعاه أنه كان يذهب معه إلى حمص، وفي حلب إلى زيارة الشيخ عبد الباسط رحمه الله وقدس روحه، قال: وذهب والدي مرة إلى حمص وبقي فيها حوالي عشرين يوماً، وكلما أراد العودة واستأذن شيخه يقول له: ابق. وفي آخر مرة استأذنه في العودة فقال الشيخ: هل معك أجرة الطريق ؟ فأجابه بالإيجاب، وهو لا يملك درهماً، فأعطاه الشيخ ثلاث ليرات أجرة العودة، وكاشفه في أنه لا يملك شيئاً، وإن كان استحى من شيخه أن يقول له: لا أملك شيئاً.

وكانت أول حجة له بعام ١٣٧٦هـ-١٩٥٦م حيث توجه إلى الحجاز الشريف بطريق البر، وفي العام التالي ١٣٧٧هـ- ١٩٥٧م يسر الله له زيارة بيت المقدس مع زملاء ورفاق، وكان في خدمته ولده عبد العزيز، وفي هذه الرحلة زار بيت لحم وعمان وإربد ونابلس وجرش ونهر الأردن مروراً بدرعا.

ثم بعام ١٣٨١هـ - ١٩٦٠م ذهب بسياحة إلى تركيا فزار كلّس ونزب وعنتاب وأدنه وطرسوس ومرسين، وفوزي باشا، وبصحبته السيد محمود الجمل أبو أحمد كما ذكر في ثبته وقال: (وكانت سفرة رابحة حساً ومعنى، وخصوصاً عندما جلست على شاطئ البحر في بلدة مرسين، زاد إيماني وكثر يقيني، ولم تسمح نفسي بفراق شاطئ البحر لما وجدت من لذة وإيمان).

وكانت خدمة ولده عبد العزيز تشجعه على متابعة الرحلات والأسفار، فسافر إلى البلدان السورية: دمشق، حمص، حماة، المعرة، النبك، ودير الزور، والبوكمال، والرقة، والفرات، وجرابلس، والباب، ومنبج، وتاذف، وزعرايا (حيث زيارة الشيخ أبو بكر الهوار) ثم تابع رحلات الحج براً وبحراً حيث كانت رحلات الحج في البر قبل تيسير الطرق المعبّدة تأخذ طريق الصحراء، وكان الحجاج يلقون المشقات والطرق الصحراوية، والانتظار عند الحدود، حتى يؤذن لهم بالعبور، وكان في رحلاته يعلّم الحجاج المناسك وآداب العبادات وأحكامها كما ذكر في ثبته، وبلغت حججه ثلاثة عشرة حجة كلها براً إلا رحلتين: إحداهما بعام ١٩٦٤م بطريق البحر، والثانية ١٩٧٣م بطريق الجو.

وظل الشيخ في حلب حتى كانت آخر حجة له بعام ١٩٧٧م.

وفاته: وبعدها بتاريخ ١٩٨٢/٣/٢٠ انتقل إلى رحمة الله ورضوانه ودفن في مقبرة الصالحين بجانب شيخه عبد الباسط أبي النصر، وكان بين وفاتيهما أياماً معدودة. رحمه الله وأجزل مثوبته.

العالم الزاهد، التقي الحفي، والصوفي الحقيقي

الشيخ عبد الرحمن البكري المنغي "الإعزازي"

(١٣١٧-١٤١٠هـ) (١٨٩٩- ١٩٩٠م)

هو العالم الورع، والفقيه الزاهد، والصوفي المحب الشيخ عبد الرحمن بن بكري بن حميدو بن أحمد بن محمد علي بن حسن بن حسين بن الملا حسن الصوفي، وينتهي نسبه إلى الشيخ عز الدين أبي حمرة شيخ عشيرة (النعيم)، المنسوب إلى سيدنا الحسين بن سيدنا علي رضي الله عنهم أجمعين [1].

مولده ونشأته الأولى: ولد رحمه الله في قرية (منق) ويلفظها الناس (منغ) القريبة من مدينة إعزاز التابعة لها في محافظة حلب بعام ١٣١٧هـ / ١٨٩٩م من والدين صالحين تقيين، إذ إن والده ممن خدموا في جيش السلطان عبد المجيد العثماني وولده عبد الحميد، وما لبثت أن توفيت الوالدة فعاش يتيماً فقيراً في قرية متواضعة، فأرسله والده بعد بلوغه إلى قرية مارع ليعيش في كنف أخته الكبرى المتزوجة هناك، وتأثر بالرجل الصالح حاج عباس الذي عرّفه بالشيخ عثمان المارعي خليفة الشيخ أبي النصر وتلميذه الأول، وأخيه الشيخ عبد السلام، فكان هذا التعرف مبدأ سعادته، ولقائه بالشيخ المرشد أبي النصر الحمصي رحمه الله ونور ضريحه، حينما يقدم إلى المنطقة.

طلبه للعلم: كان من أثر توجيه الشيخ عثمان المارعي أن حبّب للشيخ عبد الرحمن طلب العلم، وهكذا كانت توجيهات المرشد الكبير أبي النصر، فتوجه الشاب عبد الرحمن إلى حلب قبلة أهل العلم، فبدأ التحصيل في المدرسة العثمانية على يد شيوخها الكثر، ثم (البهائية) وأخيراً الخسروية مع الحضور على بقية العلماء في المساجد.

---

[1] أفادني بترجمة الشيخ مكتوبة ابنه الأستاذ خالد، وأنا أخذت منها ما دونته هنا.

أساتذته: كان العالم المتواضع والولي الشهير الشيخ أحمد شهيد رحمه الله ونور مثواه من أوائل شيوخه، وكان يلزم مدرسة الإسماعيلية بجانب القلعة، فدرس عليه اللغة العربية، والفقه والتفسير، وعلوم القرآن والفرائض، والعقائد. كما درس لدى الشيخ أسعد العبه جي علم التجويد والأصول، ودرس باقي العلوم من حديث وتفسير ومصطلح وأخلاق وتصوف عند المشايخ السادة: أحمد الكردي مفتي حلب، عمر المارتيني، ومحمد سعيد الإدلبي، وأحمد الشماع، وعيسى البيانوني، وعبد الله حماد، حتى تخرج على أيديهم جميعاً.

وكأنه لم يتابع في الخسروية (لعدم ورود اسمه في قائمة الخريجين)، وكان من أقرانه وزملائه المشايخ السادة: مصطفى مزراب، أحمد المعوّد، بكري رجب، محمد الغشيم، محمد عثمان بلال (مفتي حلب)، مصطفى الحمو، محمد علي المسعود، وغيرهم رحمهم الله جميعاً.

شيوخ التربية: أما شيوخ التربية، فقد كان الشيخ عثمان المارعي أولاً الذي عرّفه على المرشد الكبير والعلم الخطير سيدي أبي النصر، ثم لما التقى الشيخ أبا النصر وتلقن عنه الورد والذكر واللطائف أصبح الشيخ له بمنـــزلة الروح من الجسد، وصار من أوائل أحباب الشيخ وإخوانه المقربين، فكان يقول عنه: (توجهت روحي إلى الشيخ أبي النصر قبل جسمي، وعقلي قبل بدني، فكان الشيخ مني بمنـــزلة النور في العين، والسمع في الأذن، والروح من الجسد، بل بمنـــزلة الحياة من القلب، فهو روح روحي ونور عيني، أفديه بروحي ودمي).

فكان كما كتب إليَّ ولده الأستاذ خالد: (يصدر في كل أقواله وأفعاله وتصرفاته من خلال الشيخ أبي النصر، حتى أصبح خليفته في تلك المنطقة كلها، وأصبح يذكر إذا ذكر الشيخ أبو النصر، فكان يقوم بتوجيهات الشيخ في نشر الطريقة النقشبندية ويعمل الختم الشريف عقب صلاة الصبح وعقب صلاة العشاء، وعقب صلاة العصر، في المسجد العام في القرية، ويقوم بالأذكار والأوراد والموالد، على ذكر الله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ تحت مظلة الشيخ أبي النصر.

وقد حصلت للشيخ أحوال وتطورات وصلت به إلى حد الجذب، ووصل إلى حالة من الحب للشيخ أبي النصر، أن يذهب لزيارته في حمص ماشياً على الأقدام،من قريته منغ، ثم صرف الله عنه الأحوال وثبّته على الاتزان في المحبة والتصرفات التي تنشأ عنها) [1].

حياته العملية في الدعوة إلى الله: بعد تخرجه على أيدي أساتذته من علماء حلب، توجه إلى الدعوة إلى الله وإرشاد الخلق إلى الحق، فأقام في قرية (حريتان) سنة أو تزيد، ثم مثلها في قرى (دير جمال) و (كفر ناصح) وغيرها، ثم حط عصا الترحال في قريته منغ إلى أن وافاه الأجل فيها، ولزمها مقيماً فيها داعياً إلى الله، معلماً ومرشداً ومربياً ومتحملاً في سبيل الله كل أذى وشظف عيش، عملاً بوصية شيخه بعدم مغادرة القرية. إلا أن ذلك لم يمنعه من التجوال في القرى المجاورة لمنغ لتبليغ أمانة الدعوة إلى الله سبحانه، أو لقاء الإخوان من محبي شيخه أبي النصر، أو لقاء العلماء المنتسبين إليه أو المحبين له.

وقد أراد منه بعض أولاده أن يترك القرية والعيش في المدينة، وخاصة أن الله سبحانه قد منحه من العلم والمعرفة والعمل والورع ما يحتاجه أهل المدن، ولكان له المكانة اللائقة فيها ولصارت الفائدة أعظم، خاصة وأن أهل المدن يقدرون قيمة العالم أكثر، فكان يقول: (والله لن أبرح هذه القرية ما دمت حياً، تنفيذاً لوصية شيخي ونور عيني أبي النصر، فقد أوصاني أن لا أترك هذه القرية ما دمت حياً. وعلل شيخه هذا "بأن رجلاً من أهل العلم غيرك لا يصبر عليهم، فهم أولى بك وأنت أولى بهم، فإنهم أهلك وأنت ولدهم". وكذلك أوصاني شيوخي بذلك ومنهم الشيخ عثمان المارعي رحمه الله.

ثم قال رحمه الله: بصراحة، أنا عبد مأمور، وشخص منفذ لا غير، وأنا لا أريد ما تريدونه، أنا لا أريد الدنيا، ولكني أريد الآخرة فقط، والله أسأل أن يعيننا على الوصول إلى الدار الآخرة من غير فتنة مضلة ولا محنة مذلة).

---

[1] قال أخي عبد الله: سمعت الشيخ عبد الرحمن يقول: صحبت شيخنا أبي النصر من قرية تل رفعت إلى قريتنا، فمررنا في الطريق على سكة القطار، فقلت في نفسي: كيف يكون السير على الصراط ؟ فأخذت أجرب السير على سكة القطار ثم لحقت بالشيخ، فقال لي: هل تعلمت السير على الصراط يا شيخ عبد الرحمن ؟

وهكذا بقي في القرية وصبر على أهلها، وعلى جفاء أهل القرى بعامة، ونفع الله به، وأنقذ الكثير بفضل دعوته وتعليمه من ضلالات الجهل، وأخذ بأيديهم إلى ساحات العلم والهداية، والذكر والمعرفة، وسلوك الطريق المستقيم، وصحبة أهل العلم من المربين المرشدين، والعلماء العاملين. رحمه الله وأجزل مثوبته.

حرصه على العلم والتعليم: كانت حياته كلها تعليماً وتعلماً عملاً وقولاً، سلوكاً وحالاً، إذ كان العلم لديه ممزوجاً بالعمل والكتاب يقرأ للتطبيق لا للمتعة، وما يقال فيه إنما يوضع موضع السلوك النافع، أمراً ونهياً، ولذلك لم يكن الكتاب يفارقه، وكثيراً ما نام والكتاب على صدره، فتأخذ زوجته الكتاب، لتجده مستيقظاً قبل الفجر ممسكاً به مرة أخرى.

وكان يقول لأولاده ومن حوله: كنا نتعلم العلم للعمل به لا من أجل لقلقة اللسان. وكان يتمثل هذه الأبيات:

وكلُّ مَنْ بغير علم يعمل ... أعماله مردودة لا تقبل
وعالم بعلمه لم يعملن ... معذّب من قبل عبّاد الوثن
ولو كان للعلم من دون التقى شرف ... لكان أشرف خلق الله إبليس

معيشته وأحواله: كانت تغمره البركة والخير متمثلة بقول النبي ﷺ: (طالب العلم تكفل الله له بالعيش الهنيّ)، وقد كان عيشه فعلاً هنياً رغم ضآلة المرتب الذي كان يأخذه لقاء إمامته وخطبته في الجامع، فكان الراتب الذي لم يتجاوز سنوياً /٦٠٠/ ل.س في الخمسينات يبارك الله له فيه، ويعتبر محسوداً عليه، وأثر ذلك ظاهر، فإنك قلما تجده يوماً دون ضيفان، يقدم لهم الطعام والشراب، وقد وضع الله فيه البركة والسرور، فما من إنسان أكل عنده إلا وكان يقول: لأول مرة نأكل مثل هذا الطعام الطيب. وهذا شأن طعام الكرماء الأتقياء، الذين يتحرّون الحلال في معيشتهم، كشيخنا وعامة من انتسب إلى أهل المعرفة من المرشدين الكاملين. وكان يدعم راتبه هذا شجرات من الزيتون قد تثمر سنتها أو لا، مع قطعة أرض بعلية صغيرة وضع الله فيها البركة والكفاية والخير العميم.

ورعه وتقواه وخوفه من الله: وطيب اللقمة (كونها حلالاً) ناتج عن ورع صاحبها وتحريه لمصادر الحلال، ولقد كان الشيخ عبد الرحمن في هذا لا يجارى ولا يبارى، فقد كان رحمه الله تعالى ورعاً تقياً، غزير الدمعة، رقيق القلب، ما تعهده يوماً يمسك بكتاب يقرأ فيه إلا وترى دموعه تنهلّ خشية الله، وكان يقول: يا بني أكل الحرام يجعل القلب قاسياً والدمع عاصياً، وأكل الحلال يجعل القلب رحيماً والدمع غزيراً، وإن من أكل الحرام عصى الله شاء أم أبى، ومن أكل الحلال أطاع الله شاء أم أبى.

وكان مع هذا يحاسب نفسه على كل كبيرة وصغيرة، وكان يحسب الأوقات التي ينقطع فيها عن الصلاة مع الجماعة في المسجد لعذر من الأعذار، وكم تعادل من الراتب فيردها لمتولي الجامع (الناظر على الوقف). قال له مرة، بعدما أعطاه راتبه: خذ هذا المبلغ فإني لا أستحقه. فقال له: ولم ؟ جزاك الله خيراً. قال الشيخ: لأنني قد غبت عن صلاة الظهر يوم كذا وصلاة العصر يوم كذا في شهر كذا. فأحصى أوقات الغياب ثم دفع المبلغ إليه، فقال له المتولي: نحن نسامحك. فقال: أنا لا أسامح نفسي.

حادثة طريفة: وقد سأله أحد أولاده عن قصة شاعت أنه وجد في داره كنـــزاً فقال:

يعلم الله يا أولادي كم تحملنا من الفقر والجوع والعري وصبرنا، صبرت وصبرت أمكم معي على ما لم يصبر عليه غيرها، فلقد استيقظت ذات ليلة لأصلي ما قدر لي قبل الفجر وفتحت باب الغرفة وإذا بساحة الدار تتلامع فقلت: سبحان الله، ما هذا ؟ ثم ذهبت وتوضأت، وتحسست هذا الشيء الذي يلمع فإذا هي نقود (مجيديات مدققة وأجزاءها، وهي عملة عثمانية) فأيقظت أمكم وقلت لها: قومي إلى طاعة الله وانظري ماذا ترين في أرض الدار ؟ فقامت ونظرت ورجعت وهي لا تصدق فقالت: سنشتري كذا وكذا. فقلت لها: لو أخذت درهماً واحداً لقطعت يدك، هذا مال قد يكون له صاحب، فلا بد من الإعلام عنه مدة سنتين.

قال: ثم جمعناه فملأ ما يعادل ثلاثة أرباع تنكة الزيت، وأجرى عليه حكم اللقطة، وعرّف عليه مدة سنتين، وهم خلالها يعانون من الفاقة والتقشف وشظف العيش الشيء

الكثير، ثم أفتاه أحد شيوخه بعد ذلك بحلّ أكلها والتصرف فيها مع بقاء ضمانها إذا ظهر مالكها.

وكان مسلكه رحمه الله في الدعوة إلى الله: الحزم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكان لا تأخذه في الله لومة لائم، وكان يقلق باله ما يسمع من أحوال المسلمين وأهل القرى، خاصة من بُعد عن تعاليم الشريعة، وتزعجه أيضاً أخبار الكيد والتآمر على المسلمين، ويتجلى ذلك في الحادثتين التاليتين التي حدّث بهما رحمه الله تعالى:

الأولى: قال: بلغني عن قرية أن عامة أهلها يرسلون نساءهم إلى بيوتات أغنياء حلب للخدمة فيها، ومنها بيوت النصارى، فذهبت إلى تلك القرية وصليت بهم العصر، وبعد السلام قمت معرفاً بنفسي، وقلت: إن جيبـــي مملوء بالمال والحمد لله، ولا أبتغي منكم مالاً، وليس لي غاية إلا تقديم النصيحة لوجه الله تعالى، ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (٨٨: هود)، ثم تكلمت بما يطلبه الشرع الشريف وينهى عنه من الخلوة بالمرأة الأجنبية، وعن ضرر غياب النساء عن بيوتهن، واختلاطهن بالأجانب وخلوتهن معهم، وما يدريك أيها المسلم ما الذي يحصل في هذه الغيبة من المنكرات، وكشفت الأمر على حقيقته. وإذا برجل من آخر المسجد يقول: يا شيخ إن أم أحمد تأتينا كل يوم مساء بطعام (ومجيدين)، فهل تعطينا أنت هذا ولا نبعثها إلى المدينة ؟ فقلت: خيراً، أنا لا أفعل ذلك، ولكن أنت من واجبك أن تعمل بدلاً منها وتأتي لأم أحمد بالمجيدين والطعام، وما على الرسول إلا البلاغ. ولكنهم أغلظوا بالقول ولم يَرُق لهم هذا الكلام فتركتهم.

والثانية: أنه في زمن الاستعمار الفرنسي طبع رجل كافر في حلب المصحف الشريف طبعة حرّف فيها بعض حروف القرآن الكريم، ولم ينتبه لذلك إلا القلائل من أهل العلم، وكان هو منهم، فتكلم مع كثير من الغيورين على دين الله حول هذا الأمر الخطير، وطلب منهم أن يفعلوا شيئاً، فلم يجد الحماس الذي كان هو فيه، فقال لنفسه: عليّ أن أقوم بشيء، وماذا عليّ ؟ ولتكن ضربة في سبيل الله ترجو خيرها وتقطع عن المسلمين

شرها، قال: فأحكمت الخطة لاغتيال ذلك المجرم صاحب المطبعة، وفي ساعة التنفيذ جاءني رجل عرف ما في نفسي، فقال لي: أنا أكفيك شر هذه المسألة، وكانت النتيجة إحراق تلك المطبعة بما فيها من أدوات ومصاحف مزورة.

وتقواه وخشيته لله وورعه: عن محارم الله كان هذا طبعاً له لا يتكلفه، بل جبله الله سبحانه على التقوى والخشية والوقوف عند حدود الله، كما أكسبته صحبته وحبه لشيخه أبي النصر رقة ورحمة جعلته يزداد نصحاً وحباً لعباد الله، وإيصال الخير لهم، ولكنه كان مع نفسه شديد الوقوف عند أوامر الله والتمسك بالعزائم والبعد عن الرخص ولو كان فيها متاع النفس بشيء من المباح.

وقد أجريت له عملية جراحية لعينه وأوصاه الطبيب ألا يطأطئ رأسه إلى الأسفل مهما كانت الأسباب ولو كان هذا للصلاة، ولما حانت الصلاة قال لولده: أعطني ماء الوضوء، فتوضأ ثم وقف فصلى راكعاً ساجداً فقال له ولده: ألم يمنعك الطبيب من الانحناء ؟ فقال له: والله لو أخبرني أنني سأموت بعد سجودي لما توقفت عن السجود، وإذا لم يكن شفاؤنا في السجود لله فأين يكون الشفاء ؟ قاتل الله الكافرين الذين لم يتذوقوا طعم الإيمان.

بعض شمائله وأخلاقه وكراماته: كان مجلسه رحمه الله مجلس علم وأدب وخلق وبركة، كان لا يتسامح مع أحد في مجلسه في الغيبة والنميمة، وكان لا يخلو مجلسه من فائدة، تحدث أم لم يتحدث، وكان يقول: حال رجل صالح في ألف رجل، خير من قال ألف رجل في رجل. وكثيراً ما كان ينشد:

يقول الـــمرء فائدتـــي ومالـــي وتـــقوى الله خيـــر ما استـــفادا

وكما كان حريصاً على العلم والمطالعة كان حرصه أشد على العبادة، والمواظبة على السنن والنوافل، بله الواجبات. قال خالد: (شكوت إليه عدم استيقاظي للفجر إلا عند طلوع الشمس أو بعدها، فقال: عجباً لكم كيف تستطيعون النوم إلى هذا الوقت ؟ والله إني لا أذكر منذ وعيت على الحياة أنني بقيت نائماً حتى الفجر، وكيف يسع المسلم النوم

عن ربه، وربه يناجيه ويدعوه إليه، وقد تجلى عليه بالرحمة والمغفرة التي يصبو إليها ويسعى إليها، وقد فتح له باب الكرم الفياض، ليطلب ما يشاء وهو القادر على كل شيء).

وقد كانت صلاته (في النفل) صلاة المطمئنين الخاشعين يطيلها حتى يمل منها الشباب، ويطيل الركوع والسجود ويكثر فيه من التسبيح، حتى تسري إلى قلب السامع فتزيده خشية وخضوعاً.

ولا تسل عن تلاوته للقرآن الذي كان يختمه كل ثلاثة أيام، وكذلك أوراده وأذكاره، وما كان ليترك ورده النقشبندي ليلاً أو نهاراً سفراً أو حضراً، وكان يحض الشباب على أخذ الورد من أهله المأذونين به ويقول: (من لم يكن له ورد فهو قرد)، ومن لم يكن له ورد فليس له وارد، الورد قوام الروح كما الطعام والشراب قوام البدن.

أما أوصافه: فكان مربوع القامة، أسمر اللون، نحيف الجسم معتدل الصحة، سليم الأعضاء، إذا مشى أسرع، سَبْط الشعر، لحيته بيضاء تزين وجهه وصدره، تعلوه هيبة ووقار أهل العلم الذاكرين، يعتم بعمامة بيضاء، يكورها على رأسه دون ترتيب أو تصفيف، ويلبس السراويل البيضاء وفوقها القميص الأبيض (جلابية)، أو ثوباً سابغاً (فتح) وفوقها جبة سوداء، وينتعل النعل الأحمر عادة الفلاحين، يكره التكلف والتأنق في لباسه وتصرفاته، وكان يجلس مع الناس يشعرهم بأنه واحد منهم، متواضع، يمقت التعظيم والتعاظم، وربما خلع جبته وجلس عليها، وربما نام بجبته وعمامته على الأرض أو في الحقل أو في أرض البيدر، وما عهد عنه أنه رتب ثيابه أو هندمها، بل يضعها بجانبه بعد أن يطويها بيده متبعاً في ذلك السنة الشريفة، يخيط ثيابه لدى أهل القرية، كسائر الناس، وكان يرقع ثيابه ويخصف نعله بيده كما في الشمائل النبوية.

كان يتحرى الحلال في مطعمه ومشربه وملبسه وكافة شؤون حياته. وكان يغلب عليه الحزن، ولا يفرح إن أقبلت الدنيا ولا يحزن إن أدبرت، يأكل ما حضر وتيسر في داره، ولا يعيب طعاماً، وكثيراً ما كان يأتي بالخبز والماء والملح ليأكله، تأسياً بالسلف الصالح، ثم يحمد الله على ذلك حمد من أكل لحماً مشوياً، وإذا حضر الخبز على المائدة يمد يده إليه

باسم الله ويقول: من الجفاء ألا تأكل الخبز إلا بإدام، وربما كرر على أسماع أهل بيته الحمد قائلاً: احمدوا الله واشكروه وسلوه العافية، فإن ما قلّ وكفى خير مما كثر وألهى.. المصيبة العظمى أن تشتغل بالنعمة عن المنعم، وبالعطية عن المعطي، يكره عادات الأجانب وطعامهم ولبسهم وزيهم، ويحب عادات العرب والمسلمين ويسعى لنشرها.

كان يخدم نفسه بنفسه، ولا يكلف أحداً شيئاً، سخياً كريماً، لا يأكل وحده، وإذا لم يوجد عنده ضيف أمر أحد أولاده ليدعو له من جيرانه أو أصدقائه من يأكل معه، يهتم بأمر المسلمين، ويساعدهم على حوائجهم فإن لم يستطع يدعو لهم. يرعى شؤون الأيتام والأرامل والفقراء، ويقدمهم على نفسه دون أن يذكر هذا، ويخدم المسجد بنفسه، كان شهماً كريماً متسامحاً يعفو ويصفح ولا يحمل حقداً على أحد، شجاع، يمقت الكفر والكافرين، والفسق والفاسقين.

كان شأنه مع ربه التسليم والتفويض لأقدار الله سبحانه، ويقول: خيرة الله للعبد خير من خيرته لنفسه، والوقوف في باب الرضا عن الله دائماً يدخلك في زمرة المرضيين الناجين الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، فأرضاهم رضاءً لا سخط من بعده.

كان يناصح أولاده، ويذكرهم بالله ويطلب منهم أحياناً أن يكتبوا ما يقوله لهم، ومن ذلك: (إن المحنة لأهل الإيمان منحة، ورب منع خير من عطاء، ويتلو قوله تعالى: ﴿...وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (٢١٦: البقرة). وبالجملة، فقد كانت أحواله في قيامه وقعوده وعبادته وذكره ومعاملاته، أحوال السلف الصالح، كما قال عنه فضيلة الشيخ محمد علي المسعود: إنه بقية السلف الصالح. وفعلاً كان كذلك.

ومن كراماته: وأهمها استقامته المستمرة الثابتة على شرع الله، وأخذه نفسه بعزائم الأمور في كافة أحواله ولزومه الهدي النبوي، وسيرة السلف الصالح حتى آخر حياته،

وقد قدّمنا من سيرته ما يدلّ على هذا، ومع ذلك فقد كان - رحمه الله - كثيراً ما يتكلم عن أمور ماضية غير معلومة، أو مستقبلية فتكون كما أخبر، وكأنه عاينها.

يقول ولده خالد: أكون غائباً عنه وآتيه مسلماً، فأحياناً يرحب بي ويهش لي وأخرى بعكسها، وقد تكرر ذلك منه و لم أدرِ لماذا، بل أحياناً ينهرني، فقلت في نفسي: لا بد أن إعراضه بسبب ذنوب ارتكبتها فلأجرب لأعرف السبب، وأكتشفَ الحقيقة، فجئته مرة وقد نظرت نظرة محرمة ولكن استغفرت الله منها، فسلمت عليه، فلم يرد السلام إلا وهو مغضب و لم يرحب بي، ولا التفت إلي، فعرفت سر الذنب، وبعدها صرت ما آتيه و أسلم عليه إلا وأنا في تمام الاستعداد، تائباً مستغفراً منكسراً إلى الله سبحانه مصلياً على حبيبه المصطفى ﷺ، فكنت ألقى منه البشر والسرور والترحاب والتكريم. وهذا يحدث أيضاً مع غيري كما حدثوني به.

وفاته: وبعد عمر طويل قضاه في طاعة الله سبحانه والدعوة إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة، اختاره الله سبحانه إلى رحمته فتوفي صبيحة الجمعة عام ١٤١٠هـ الموافق ١٩٨٩م، ودفن في قرية منغ. رحمه الله رحمة واسعة.

أقول: وقد كنت أنا والإخوة من الذين حضروا عزاءه في قريته. تغمده الله برحمته وأسكنه بحبوحة جنته.

الشيخ الزاهد، والعالم العامل

الشيخ إسماعيل الحمدو "البارحي"

(١٣٣٤-١٤١١هـ) (١٩١٥- ١٩٩١م)

هو العالم الفاضل، والشيخ الزاهد، والمحب الصادق، الشيخ إسماعيل بن حمدو بن مستو العيسى، المولود في قرية تركمان بارح بعام ١٣٣٤هـ-١٩١٥ م؛ حسب سجلات النفوس.

نشأ هذا الشيخ الفاضل في قريته التي ولد فيها بين أهل يعملون في الزراعة تغلب عليهم أخلاق الفطرة، من الكرم والصدق وحب الصالحين، ولم تكن هذه القرية وأمثالها من ريف إعزاز قد وجدت فيها المدارس، إلا ما كان من معلمي القرآن الكريم الذين كانوا يعلمونه للناشئة، ولم تكن الكتاتيب منتشرة في القرى إلا في بعضها.

النشأة الأولى: ونظراً للفطرة الطيبة وحب الصالحين كان أهل تلك القرى يذهبون إلى علماء المدن ويطلبون منهم أن يرسلوا لهم من يعلمهم أمور دينهم ويكون لهم القدوة والإمام، فأكرم الله أهل تلك القرية (تركمان بارح) بسيدي جدي لأمي (الشيخ عبد الرحمن الحوت) وأقام في تلك القرية معلماً ومربياً، ومزكياً ومهذباً، وإماماً وخطيباً، ونشر العلم والفقه والتقوى والصلاح في نفوس مستعدة له، وعندها قابليات الخير، وعلم بعض الشباب الذين كانت تسمح لهم ظروف العمل بالعلم.

والتصق الشاب (إسماعيل) بعالم القرية الشيخ عبد الرحمن الحوت، ونَمّى العالم الجديد في نفس الشابِّ الطُّلَعَةِ حُبَّ العلم وطلبه، وكان الجد الشيخ عبد الرحمن ممن تلقوا الذكر والطريق النقشبندي عن شيخه مرشد العصر سيدي أبي النصر قدس سره العزيز، فأحب أهل تلك القرية العلم والذكر، وزار الشيخ أبو النصر قريتهم وعالمهم، وكان من منهج

الشيخ المرشد، أن يوجه أهل كل بلدة وقرية يصل إليها إلى العلم والمعرفة، والتقوى والفضيلة.

وكانت القابلية والاستعداد الموجود في قلب (الشيخ إسماعيل) قد ازدادت استعداداً واشتعالاً، ووقع في قلبه حب العلم وطلبه، وإن كانت السن قد تقدمت، وأمثاله لا تقبلهم الخسروية، فإن في غيرها من المدارس كالشعبانية والدليواتي والعثمانية، مجالاً واسعاً.

طلبه للعلم في حلب في مدرسة الدليواتية: ورحل إلى حلب، وبإرشاد شيخه (الشيخ عبد الرحمن) وتوجيهه تم انتسابه لمدرسة الدليواتية لدى رفيق الطريق العالم الشيخ محمد الجبريني الذي كان قائماً على (الدليواتي) آنذاك، وقد جاوز شيخنا (إسماعيل) الخامسة والعشرين من عمره وقارب الثلاثين.

لازم الدليواتية وأخذ عن شيوخها (الجبريني، والمكتبي، والشيخ أحمد شهيد، والشيخ إبراهيم السلقيني، والشيخ محمد سعيد الإدلبي، والشيخ عيسى البيانوني، والشيخ أسعد العبجي، والشيخ محمد راغب الطباخ)، كما لازم دروس الشيخ نجيب سراج الدين في المساجد، وغيرهم ممن كانوا يدرسون في الدليواتي.

وأثناء دراسته تزوج في صيف إحدى تلك السنوات، وتابع العلم بعدها، إلا أن الظروف لم تسمح له بإكمال الطلب في الدليواتية، ولا التقدم إلى الخسروية كما كان يفعل معظم الطلبة، فعاد إلى قريته، وقد تزود من العلم ومبادئه، والفقه وأصوله والحديث الشريف، وعلوم الآلة، ما يكفي لنفع أهل قريته ومن جاورهم. وكانت مدة إقامته في حلب ست سنوات.

إمام قرية في بارح والزيادية: ولزم إمامة جامع الحي الشرقي في القرية – الذي بناه بمساعدة إخوانه – مدة من الزمن، قبل أن ينتقل إلى قرية الزيادية المجاورة لقريته إماماً وخطيباً مدة (١١) عاماً، ثم عاد إلى قريته (بارح) بعد ذلك، واختار بعدها الإقامة في قرية أولاد أخيه وأبناء عمه في مزرعة قريبة تسمى (الغيلانية) قضى فيها حياته حتى آخر عمره.

مع المرشد الشيخ أبي النصر: لم تكن أخبار هذا المرشد بعيدة عن أهل تلك المنطقة من

الريف، بل كانوا يعيشونها بأنفسهم ويحيونها معه عندما كان يزورهم في جولاته السنوية متفقداً، وداعياً إلى الله، ومرشداً ومعلماً، فقد كانت روح شيخنا (إسماعيل) مشبعة بحب شيخه أبي النصر قبل أن يراه مما كان يذكره لهم أستاذه الشيخ عبد الرحمن الحوت، وتلميذ الشيخ أبي النصر الشيخ عثمان المارعي الذي كانت له جولات دعوية في المنطقة، تسبق جولات شيخه وتصاحبها إذا حضر، فكان الشيخ عثمان المارعي يهيىء نفوس الشباب والرجال الذين تتوقد لديهم فطرة الإيمان حباً للصالحين، وتعطشاً لمجالستهم ومصاحبتهم، وكان الشيخ اسماعيل ممن وقعت عليه أنظار الشيخ عثمان فلقنه الورد والذكر بعد أن رأى فيه الاستعداد والحب للشيخ أبي النصر قبل أن يراه، ولما حضر الشيخ (أبو النصر) إلى (بارح) في إحدى جولاته، قام الفتى إسماعيل ليصب على يدي شيخه الماء مسابقاً الشباب الآخرين فشكر له الشيخ المرشد صنيعه وسأله عمن لقنه الذكر ؟ فأجاب بأنه الشيخ عثمان المارعي [1]، ومن يومها ازداد الشاب (إسماعيل) تعلقاً بالشيخ، وحباً للذكر والطريق والعلم الشريف.

لازم شيخنا (إسماعيل) أهل العلم ممن كانوا يفدون إلى تلك القرى وحضر معهم تلك المجالس التي تحيا بها القلوب وتنتعش بها الأرواح، وبالأخص مجالس الشيخ أبي النصر عندما كان يفد إلى تلك المنطقة، ثم بعده خليفته ولده الشيخ عبد الباسط، وظل وفياً وملازماً مجالس الشيخ الحالي الشيخ إسماعيل أبي النصر عندما كان يزور قرية (الغيلانية) سنوياً مجدداً عهد إخوان الشيخ وأبيه، ومحيياً تراث الطريق، واصلاً سيرة الخلف بالسلف، وكانت آخر إقامة الشيخ إسماعيل الحمدو - كما قلنا - في قرية الغيلانية، وكان بيته مركزاً ومحطاً لأهل العلم والمحبين للعلم والطريق في تلك المنطقة، وعلى الأخص الشيخ محمد علي المسعود، وكان له برنامج يومي معه.

---

[1] قال أخي عبد الله المسعود: سمعت الشيخ إسماعيل يقول: لما حضر الشيخ أبو النصر إلى بارح قمت أصب الماء على يديه، ووقفت بين يديه بكل أدب واحترام، فسألني عمن لقنني الذكر الشريف، فأجبته أنه الشيخ عثمان المارعي، فقال لي: نِعْمَ ما ربى الشيخ عثمان ! وكررها مراراً.

مدارسة العلم مع الشيخ محمد علي المسعود: فقد اختار الشيخ محمد علي المسعود قدس سره من بين طلبة العلم الموجودين في تلك المنطقة الشيخ إسماعيل ليكون رفيق القراءة والدراسة في كتب العلم، حيث كان الشيخ محمد علي مقيماً في (بارح) والشيخ إسماعيل في (الغيلانية) فكيف يكون اللقاء وكيف يتم الدرس ؟

كان سيدي الوالد الشيخ محمد علي يأتي يومياً إلى الغيلانية، صيفاً وشتاءً، إن تيسر له واسطة ركوب ركب وإلا جاء سيراً على الأقدام، و لم تكن الطرق معبدة ولا ممهدة، فتارة على جرار زراعي وأخرى على دابة وثالثة على عربة تجرها دابة، وإلا سيراً على الأرجل، وهكذا خمسة عشر عاماً أو تزيد.

قرأ الشيخان خلالها أمهات كتب التفسير والحديث والفقه والعقيدة، قراءة بحث وتدقيق، ومطالعة وتحقيق، فقرأا (حاشية الصاوي على تفسير الجلالين بمجلداته الأربع، وحاشية الجمل على الجلالين أيضاً، وتفسير النسفي، ومن كتب الحديث، شرح رياض الصالحين لابن علان المسمى دليل الفالحين، بأجزائه الأربعة، وشرح الأذكار النووية لابن علان أيضاً بأجزاءه الأربعة، وشرح جوهرة التوحيد، وشرح البردة كلاهما للباجوري).

ولما انتقل سيدي الوالد للباب في عام (١٣٩٧هـ-١٩٧٧م) لم يتمكن من قراءة الدرس اليومي، ولكنه كان يواصل الشيخ عندما كان يفد إلى المنطقة كل أسبوع أو أكثر حسبما يتيسر له.

وظل الشيخ إسماعيل محافظاً على منهجه ومسلكه في العلم والدعوة، إماماً ومعلماً في القرية التي أقام فيها مؤخراً، وكان بيته - كما قلنا - مركزاً لاجتماع الصالحين من أهل العلم والطريق، وداره دار ضيافة لكل قاصد للخير ومعتاف للفضيلة.

وكان رحمه الله يجمع بين العلم والطريق محافظاً على أوراده وأذكاره، يقيم الختم النقشبندي في المسجد، فإن لم يتيسر له لمرض أو عذر الذهاب إلى المسجد كان يقرؤه مع عياله، لم يتركه و لم يترك ورده حتى لقي الله، وكان يعتبر كشيوخ هذه الطريقة (العلم أميراً على التصوف)، لذلك كان آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، داعياً إلى الله بحاله

وبقاله، أوتي السمت الحسن والهيئة المحببة، لا تأخذه في الله لومة لائم، صداعاً بالحق آلفاً مألوفاً، يخفض جناحه للمؤمنين، ويهابه أهل المعصية الجاهلين، لا يطوي بشره عن أحد، ولا يذكر أحد بسوء في مجلسه، ولا يغتاب.

وفاته: وفي ضحوة يوم الاثنين ٢٤ جمادى الآخرة ١٤١١هـ الموافق العاشر من كانون الثاني ١٩٩١م طويت صفحة من الكمالات والفضائل والعلم والتقوى بوفاة شيخنا الجليل الذي أكرمنا ونحن أطفال صغار [1]، واحترمنا ونحن شباب ورجال، وأحبنا وأحببناه من خلال صحبته لوالدنا وصحبتنا وزياراتنا له، وقد توفي في قرية (الغيلانية) ودفن فيها. رحمه الله ونور ضريحه.

(أفادني بالمعلومات الأساسية عن هذا العالم ابن أخيه صديقنا الأستاذ الشيخ إسماعيل موسى الحمدو مكتوبة بتاريخ آخر ذي القعدة ١٤٢٣هـ - كانون الثاني ٢٠٠٣).

---

[1] قال عبد الله: كنت أنا وأخي محمود في رعايته مع ابن شقيقه الشيخ اسماعيل الموسى في بارح، والأهل في دابق، حباً منه لسيدنا الوالد، فجزاه الله عنا خير الجزاء.

الشيخ الفاضل، والعالم المتواضع

الشيخ مصطفى بن خليل النجار المارعي

(١٣٢٩- ١٤١٣هـ) (١٩١١- ١٩٩٣م)

هو العالم الفاضل، والشيخ الكامل، والتقي المتواضع، المندرج بثوب التواضع والخفاء، الشيخ مصطفى بن الحاج خليل بن محمد خليل النجار المارعي.

ولد في بلدة مارع بعام ١٣٢٩هـ-١٩١١م، ونشأ وترعرع فيها في بيئة صالحة، ومن أرومة طيبة، فوالده الحاج خليل كان من أهل التقوى والفضل، ومن مريدي الشيخ المرشد الكامل سيدي أبي النصر، وكان إماماً في جامع النور في الحي الشرقي لبلدة مارع، بعد أن بنى هذا المسجد جده الحاج محمد خليل النجار، وفتح الولد (مصطفى) عيونه على رجال صالحين يرعونه، ملتزمين للعلم والتقوى والمساجد، فعهد به والده إلى العلم منذ نشأته الأولى، حيث أمضى دراسته الابتدائية في مدرسة مارع الوحيدة آنذاك، ولما أنهاها بتفوق وجِدّ، ونفس الولد طلعة للعلم، وأبوه من محبي العلم والدين، فقرر أن يتابع سلوكه وحياته في تعلم العلم وطلبه، وكانت الخسروية بحلب ملاذ طلبة العلم، ومورد من أراد أن ينهل منه، فاندرج في سلك طلابها ولزم دروسها وعلماءها بعام ١٣٥٠هـ-١٩٣١م، وتابع التحصيل في سنواتها الست حتى تخرج منها بعام ١٣٥٦هـ-١٩٣٧م، مع القافلة الثانية عشرة.

شيوخه في العلم: وكان من شيوخه فيها ثلة صالحة من علماء حلب الأفذاذ الذين طار صيتهم في البلدان، وعلا ذكرهم على كافة العلماء من أقرانهم، وقد ذكرنا أسماءهم فيما قدمناه أول هذا الجزء.

وكان من رفاقه في التحصيل في الخسروية من تخرج معه في دفعته، وكانت القافلة الثانية

عشرة منذ افتتاح ذلك الصرح العلمي الكبير بعام ١٩٢١م.

اتصاله بالشيخ أبي النصر: كان الاتصال بالشيخ الكبير أبي النصر منذ أن تفتحت عيونه على الدنيا ورأى النور، فوالده الحاج خليل من أحباب الشيخ ومريديه الكثر المتواجدين في مارع، وكان **الشيخ أبو النصر** يبقى أياماً وليالي في مارع، يرعى أبناء الطريق النقشبندي فيها، فلا عجب ولا غرابة أن ينشأ الطفل من أبناء هذه البلدة على محبة العلماء، وبالأخص منهم الأولياء، لذلك لما تشرف والده الحاج خليل بدعوة الشيخ المرشد إلى بيته في مارع، وكانت ليلة عامرة من ليالي (أبي النصر)، استأذن الوالد شيخه بأن يلقي ولده مصطفى الطالب في السنة الأولى من الخسروية كلمة بمناسبة المولد وقدوم الشيخ، وألقى الطالب المجد النابغ المحب للعلم وأهله والمندرج في سلكهم كلمته الأولى أمام الشيخ المرشد الذي لاحظه بأنظاره وتوجهاته، فأجاد وأفاد، وأجلسه الشيخ الكبير بعدها أمامه، ليلقنه الذكر، ويشرفه بالانتماء إلى طريق السادة النقشية، وكانت من أسعد ساعات حياته وحياة والده.

واستمر الطالب الصغير على طريقه وطريقته، متعلماً ثم متخرجاً ثم داعياً إلى الله بإذنه، وعمل إماماً وخطيباً في حلب وما حولها، وكانت أطول مدة قضاها إماماً في جامع بيس "عبيس" بحلب.

ولزم مجالس الشيخ في حلب ومارع، وبعد انتقال المرشد الكامل أبي النصر إلى جوار ربه، بقي الشيخ مصطفى ملتزماً مجالس النقشبندية تحت ظل خليفته الشيخ عبد الباسط، وكانت مجالس الذكر ليلة الجمعة في (أبي ذر) والعثمانية تشهد من بين العلماء الملتزمين للطريقة، ذلك العالم المتواضع، والزاهد الخاشع الشيخ مصطفى خليل النجار.

وكان الشيخ مصطفى يزور الشيخ عبد الباسط أثناء مرضه، فأعطاه الشيخ طاقية كانت على رأسه وقال لمن حوله: إن الشيخ مصطفى من الأولياء.

وبعد انتقال الشيخ عبد الباسط إلى جوار ربه سبحانه وتعالى، ظل الشيخ مصطفى ملتزماً منهج الطريقة وشيخها الحالي الشيخ إسماعيل حفظه الله مواظباً على مجالسها،

وأذكارها واجتماعاتها، لا يعد نفسه إلا واحداً من الناس رغم فضله وعلمه، وسنه وتقواه، مهدراً حق نفسه ومقامه، لا يعرف نفسه إلا أنه واحد من عامة الناس، يرجو الله سبحانه قبوله في عداد المحبين للشيخ والطريق، زاهداً في حطام الدنيا متواضعاً كريماً سخياً، لا يبخل بمال ولا جاه ولا متاع، وكذلك يعرفه كل من خالطه ورآه وعاشره، وجلس معه، وهكذا عرفناه رحمه الله، وهكذا بقي حتى آخر حياته، كذلك كان مع إخوان الشيخ متأدباً متواضعاً مع الشيخ أديب المارعي وغيره من الإخوان [1].

آخر أيام حياته: ولما قاربت شمس حياته على الأفول والتف حوله أبناؤه، وذكره أحدهم بذكر الله والشهادة، التفت إليه وهو يعاني من سكرات الموت قائلاً: "والله يا ولدي لم يغب ذكر الله عن قلبي طوال مرضي".

وفي يوم وفاته التفت إلى ولده (محمد وحيد) وقال له: إن أغلى ما أملك من متاع الدنيا (طاقية) الشيخ عبد الباسط - وكانت بين يديه - وسأهديها اليوم لك.

وعاده الطبيب مساء ليلة وفاته، واستمع إلى نبض قلبه وقاس ضغطه، وبعد خروجه من عنده قال لأولاده: رأيت عجباً، إن نبضه وضغطه (صفر) وهو بكامل وعيه، ولا يزال على قيد الحياة.

وبعد صلاة العشاء كان كالمودع، فالتفت إلى من حوله من أهل بيته يوصيهم بتقوى الله سبحانه والتزام محبة الله ومحبة رسوله ﷺ، والتزام شيوخ الطريقة النقشبندية، والتزام نهجها وأصولها، ويذكر لهم فضل التزام الطريق النقشبندي طول حياته، ثم طلب منهم تلاوة سورة (يس وتبارك والواقعة والرحمن)، وبعد تلاوتها قال: الحمد لله على دين الإسلام وكفى بها نعمة، ثم تلا قوله تعالى: ﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. وكانت آخر كلامه،

---

[1] قال عبد الله: كان الشيخ إماماً في جامع الجديدة بحلب ويقيم الختم النقشبندي ويزوره هناك الإخوة النقشبنديون، وكان يتردد عليه هناك الشيخ أديب المارعي، وولده الأستاذ خالد وغيره، وقال لأهله عند وفاتي: ستبكي عليَّ السماء، فنزل عندوفاته المطر.

وفاضت روحه الطاهرة إلى بارئها الساعة الحادية عشرة ليلاً، وصلّيَ عليه في الجامع الكبير في مارع في اليوم التالي ودفن في مقابرها، رحمه الله وأوسع له في جناته، وحشره مع أشياخه في مقعد صدق عند ملك مقتدر.

(هذه الترجمة مقتبسة مما كتبه لي ولده السيد محمد وحيد النجار بواسطة أخينا الشيخ صالح بشير في شهر شباط ٢٠٠٢ - شوال ١٤٢٢هـ).

العالم الأديب، والشاعر الأريب

الشيخ عيسى بن أحمد الخطيب "الإعزازي"

(١٣٤١-١٤٠٤هـ) (١٩٢٢- ١٩٩٤م)

ولد هذا العالم الأديب، والشاعر الأريب في قرية (صوران) التابعة لمنطقة إعزاز محافظة حلب، في بيت والده العالم الفاضل الشيخ أحمد بن عيسى الخطيب في ٢ جمادى الأولى ١٣٤١هـ الموافق ١٩٢٢م، وكان والده معروفاً بالعلم والفضل، وينتهي نسبه إلى سيدنا علي كرّم الله وجه.

تعليمه الأولي: تعلم القرآن الكريم ومبادئ التجويد في كتّاب القرية وهو في سن السادسة من عمره لدى والده، وكان مجدّاً منذ صغره، حيث عرف فيه والده هذا الجد والاجتهاد، فلقنه بعض المتون العلمية فحفظها، كالأجرومية في النحو، والغاية والتقريب في الفقه الشافعي، وجوهرة التوحيد في العقائد، ولما قارب عمره الثامنة عشرة لاحظ والده حبه للعلم وتوجهه إليه، فأرسله إلى حلب ليتابع تحصيله في مدارسها الشرعية، فلزم لمدرسة (الدليواتي) في حي الفرافرة التي كان قائماً عليها الشيخان الفاضلان الشيخ محمد الجبريني، والشيخ محمد سعيد الإدلبي. ولما تهيأ لدخول المدرسة الخسروية، انتسب إليها، وقبل في سلك طلابها، وذلك في عام ١٣٥٣هـ-١٩٣٤م.

وكان شيوخه في الخسروية أفذاذ علماء حلب الذين ذكرناهم أول هذا الجزء، وتخرج منها مع القافلة الخامسة عشرة بعام ١٣٥٩هـ- ١٩٤٠م، ونال شهادتها وأجازه مشايخها بعد دراسته عليهم.

صلته بالشيخ أبي النصر: وكان والده الشيخ أحمد من الذين تشرفوا بالانتماء إلى سلك الشيخ أبي النصر، ومن الطبيعي أن ينشأ الولد على حب الشيخ، ويربيه أبوه على هذا، فينمو

حب شيخه في قلبه ويتلقن عنه الذكر، ويواظب على أوراده منذ نعومة أظفاره، لدى أبيه متعلماً مبادئ العلوم ومتلقناً مبادئ التزكية وآداب الطريق، وفي الخسروية أيضاً مع معظم زملائه الذين كانوا ملتزمين الطريق النقشبندي لدى شيخهم أبي النصر، وقد تفتحت قريحة الشعر لديه وحب الأدب مبكرة؛ فنظم القصائد في مدح شيخه، وكان من أولى قصائده في مدح الشيخ أبي النصر لما قدم إلى حلب، وكان المترجَم طالباً في خسرويتها، والتقى شيخه في إحدى مجالسه العامرة آنذاك فقال قصيدته التي أولها:

أديرا عليّ الراح من مطلع الفجر ... فروحي في راحي وصحوتي في سكري
ولا تصرفا عني كؤوس رحيقها ... ولا تحرماني من شذا طيبها العطري
فشوقي على طول القطيعة والمدى ... إلى رشفها شوق الرضيع إلى الدَّر
إذا ما سقانيها النديم وساقها ... إليّ مصفّاة بكأس **أبي النصر**
غدوت على حكم الهوى متواجداً ... تواجد أهل الذكر في حِلق الذكر

وقد أثبتناها بتمامها في فصل ما قيل في الشيخ من أشعار، فارجع إليها هناك.

حياته العملية: وبعد تخرجه من الخسروية عمل مساعداً لقاضي محكمة إعزاز الشرعية عدة شهور، ثم عرض عليه أهل قرية جبرين (إعزاز) إمامة وخطابة مسجدهم، فانتقل إليها ليقوم بأعباء الدعوة في مجاله الطبيعي، وسعى أثناء وجوده هناك إلى تأسيس مدرسة ابتدائية وعلّم فيها.

ومن جبرين بثّ شيخه أبا النصر أشواقه في قصائده، عندما كان يأتي الشيخ إلى مارع وتأتيه وفود المحبين من قرى تلك المنطقة؛ فقال، وكان هذا بعام ١٣٦٢هـ - ١٩٤٣م:

لقد ساقنا رغماً، إليك اشتياقنا ... وأنك من حمص لمارع قادم
وذلك أمر في الحقيقة واجب ... على كل مشغوف بحبك، لازم
أتيناك من (جبرين) نمشي وكلنا ... لمرآك مشتاق وعقباك هائم
فلا زلت يا بدر الطريقة طالعاً ... وطير الهنا والسعد فوقك حائم

ولا زال أهل الفضل حولك خشّـعاً وأنت عليـهم بالـهداية قـائـم

وفي عام ١٩٤٧م- ١٣٦٧هـ أجريت مسابقة لانتقاء معلمين للمدارس الابتدائية، فتقدم إليها ونجح فيها، وعين معلماً في قرى محافظة الحسكة ثم نقل إلى حلب، ثم طلبته الجمعية الخيرية لميتم إعزاز ليصبح مديراً لمدرستها الابتدائية (الميتم)، وظل معلماً حتى أحيل على التقاعد بعام ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، ومع انشغاله بالتعليم إلا أنه كان لا يفارق البحث والمطالعة في كتب العلم، والفقه منها بخاصة، حيث كان في بلدة إعزاز مع علمائها الأفاضل مرجعاً للناس في أمور دينهم وحل مشاكلهم.

وبالإضافة إلى ذلك كله كان خطيباً مفوهاً، وأديباً شاعراً، لا تمر مناسبة إلا وله فيها قصيدة أو خطبة، فجمع ديواناً كاملاً من الشعر فيها قصائده منذ عام ١٣٥٨هـ-١٩٣٩م وحتى عام ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، وبذلك العام /١٤٠٠/ أصيب بمرض خطير إثر خثرة دماغية أدت إلى شلل نصفي، ثم عوفي منه ولله الحمد، وتابع الإمامة والخطابة في مساجد إعزاز بعد إبلاله من مرضه.

ولقد كانت فترة حياة الشيخ أبي النصر مدداً لكل أحبابه وإخوانه، وجامعة لهم على اللقاء والتواصل، وكذلك كانت حياة تلميذه الأول الشيخ عثمان المارعي، الذي كان له الباع الطويل في مواصلة إخوان شيخه أبي النصر، ولما توفي في مارع بعام ١٣٦٣-١٩٤٤ وحضر الشيخ الكبير أبو النصر إلى مارع ليقوم بتعزية أهله وإخوانه، فقال الشيخ عيسى قصيدته مادحاً الشيخ أبي النصر ومعزياً بوفاة الشيخ عثمان:

جزاك ربـك يا شيـخ التقى بـدلاً عن أهل مـارع بالإحسان إحسـانا

أتـيـتها بعدمـا حل الـعزاء بهـا فزال عن أرضـها حزن بـها كانـا

كأن روحك يا شيخي تقول معـي غـداة ألـبس فيها الشيخ أكفانـا

يا أهل مارع صبراً عـن فقـيدكم صبراً، وإن جلّ فقد الشـيخ عثمانـا

ما مات مـن عاش في دنياه مجتهـداً يقطـع الـليل تسبـيحاً وقـرآنا

بل بات في جـــنة الفردوس مغتبطـــاً يلقى مـــن الله إكـــــراماً ورضـــوانا
إنـــي لأذكـــره حيـــناً فأرحـــــمه إيـــهاً، وارحـــم عثمان بـــن عفانـــا
وقد أقول لـــمن سروا بـــميتـــــته الموت يشمـــل أولانـــا وأخـــــرانا
ويـــا بنـــيه، وأصحابـــاً له فقـــدوا فأظهروا من صمـــيم القلب أحزانـــا
لا تـــجزعوا واذكروا فقد الـــنبي إذا ذكرتـــموه عليكم فقـــــده هـــــانا
ثـــم الصلاة على خير الأنـــام ومـــن بساطعـــات الـــمثاني رحـــمةً جانا
محمد المصطفى ماحي الضلال ومـــن بنـــور سنـــته الغـــرَّاء أحيـــانـــا

وفاته: واستمر الشيخ عيسى رحمه الله على البذل والعطاء، علماً وتعليماً، وتدريساً وخطابة، حتى عام ١٤٠٤هـ حيث أجريت له عملية جراحية (للبروستات) لم يكتب لها النجاح، فلقي ربه مغفوراً له إن شاء الله، وذلك في عام ١٤٠٤هـ الموافق ٢٢ نيسان ١٩٩٤. رحمه الله وأجزل مثوبته وغفر الله وأعلا مقامه.

الشيخ المحبّ، والعالم المتواضع

الشيخ محمد خير أحمد الصالح الحجي "المارعي"

(١٣٣٤-١٤٢٢هـ) (١٩١٥- ٢٠٠١م)

العالم المحب لأهل الله، والمتواضع قلباً وقالباً، والذاكر الخاشع، والمحافظ على السُّنة، والآمر بالمعروف الناهي عن المنكر، الشيخ محمد خير بن أحمد الصالح الحجي.

ولد في مارع عام ١٣٣٤هـ-١٩١٥م من أبوين كريمين محبّين لأهل العلم، وتلقى علومه الأولية في مارع في الكتّاب بعد وفاة والده وله من العمر أربع سنوات، حيث قرأ القرآن وتعلم مبادئ القراءة والكتابة، ثم التزم في المدرسة الخسروية في حلب بعدما صار له من العمر ستة عشر عاماً، وكانت مقصد طلاب العلم من مختلف أنحاء البلاد السورية، فانتظم في سلك طلابها، وحصّل على مشايخها مختلف العلوم، وكان يدرّس فيها آنذاك أكابر علماء حلب، كالشيخ العالم العارف محمد سعيد الإدلبي، والشيخ أحمد الشماع، والشيخ محمد الناشد، والشيخ عيسى البيانوني، والشيخ فيض الله الأيوبي، والشيخ راغب الطباخ، وغيرهم كما هو مدون في شهادته، وتخرج منها بعام ١٣٥٦هـ-١٩٣٧م.

صلته بالشيخ أبي النصر: طلبت من أخينا الشيخ صالح بشير - قريبه، وهو من أهل الفضل والعلم في مارع - أن يدون لي ترجمة الشيخ محمد خير يرحمه الله، وخاصة ما يتعلق بصلته بالشيخ أبي النصر قدس سره، فكتب لي ما أملاه عليه الشيخ رحمه الله تعالى، وكان هذا قبل وفاته بعدة أعوام.

قال: عرفت الشيخ أبا النصر رضي الله عنه حيث كان يأتي إلى مارع كثيراً، فأحببته من صغري، وأخذت الطريق النقشبندية من وكيله الشيخ عثمان المارعي رحمه الله بالإذن من الشيخ أبي النصر، حيث كان أذن له بهذا.

وكان الشيخ محمد خير رحمه الله يتحدث عن صلته بالشيخ أبي النصر عن طريق الشيخ عثمان يقول: كنت ألعب مع الأطفال في صغري، وكان الشيخ عثمان عبيدو (المارعي) رحمه الله مرّ بي وأنا ألعب، ناداني وأخذني معه إلى مجالس الذكر والعلم، وأنا لم أتجاوز الثانية عشرة من عمري، وتكرر ذلك من الشيخ عثمان كلما رآني أخذني، فلما أكثر من ذلك معي ذهبت إلى أمي وقلت لها: ألبسيني ثياباً نظيفة، فإنني سأصاحب الشيخ عثمان وأترك اللعب. ففعلت، ومنذ ذلك اليوم صحبت الشيخ عثمان وتركت اللعب.

وكان الشيخ عثمان قد اشتهر أمره، وذاع صيته بعد صحبته للشيخ أبي النصر وتلقيه الذكر عنه، وبعد أن أذن له الشيخ في تلقين الذكر، وانتفع أهل مارع به كثيراً، آنذاك عرفني بالشيخ أبي النصر، وأمره الشيخ بتلقيني الذكر.

وكان الشيخ محمد خير كثيراً ما يذكر فضل الشيخ عثمان ويقول: أنا رباني الشيخ عثمان، وهو لقنني الذكر، وعرفني بأبي النصر.

قال: ومن يومها تعلقت بالشيخ أبي النصر، ولم أحب أحداً في حياتي مثله، وكنت قبل هذه السن (حيث الآن عمره ما يقارب ٨٥ سنة) لو أردت أن أكتب مجلدات عن الشيخ أبي النصر لكتبت، أما الآن فإني نسيت الكثير، ولكني أذكر بعض كراماته ﷺ.

من كرامات الشيخ أبي النصر: كنت إذا أردت أن أسأله سؤالاً يجيبني عليه قبل أن أسأله، حدث هذا معي كثيراً، لا مرة ولا مرتين ولا ثلاث مرات، بل أكثر من ذلك بكثير، ومن ذلك:

١- فعلت مرة عملاً غير لائق، فلما حضرت مجلسه، أدناني منه ثم سارّني بما عملت فقلت: أتوب إلى الله تعالى. فقال: لا ينبغي أن تفعل مثل ذلك بعد الآن.

٢- جلست مرة لآخذ الورد النقشبندي (بالسبحة) ولما أخذت رابطته، رأيت أن الجدار أمامي قد شُق ودخل عليّ واعتنقني ثم وضع جبهته على جبهتي فدخل نور من قلبه على قلبي، واستمر هذا الحال لمدة دقيقة أو أكثر ثم شُق الجدار وخرج فأتبعته بصري، وقد بقي طرف جبته داخل الغرفة فسحبه بيده.

أقول: وقد حدثني عن هذه مشافهة عندما زرته آخر مرة بعام ٢٠٠٠.

٣- كان الشيخ بقرية دابق فذهبت لزيارته، وخطر في نفسي لو أن الشيخ يأمرني (بالفتلة) إذ كانت رجلي تؤلمني وقتها فلعلها تبرأ من علتها، فلما وصلت وسلمت عليه، وأردت الجلوس قال لي: قم وافتل. ففعلت، فلما تعبت خطر ببالي لو أن الشيخ يأمرني بالجلوس، فقال لي حالاً: اجلس. فجلست.

٤- كان في بلدتنا مارع رجل يبيع الصور (التماثيل) من الجبس فأنكرت عليه ذلك، فادعى أن الشيخ أبا النصر قد سمح له ببيعها، فقلت له: سأذهب إلى الشيخ وأسأله. فلما قابلت الشيخ وعرضت عليه الأمر قال: إن كنت قد سمحت له فأنا غلطان. فرجعت إلى الرجل وأخبرته بما قال الشيخ، فترك بيع تلك الصور وتاب إلى الله وأناب.

٥- قام أحد المشايخ يتكلم (بعظة أو درس) في مجلس الشيخ وكان غير ممدوح السيرة فتمنيت أن يسكت، وكنت بجانب الشيخ فالتفت إلي وقال: لا يغرنك من خطيب خطبة حتى يكون مع الكلام أصيلاً.

بين الشيخ أبي النصر والشيخ النبهان: شاع بين إخوان الشيخ أنه حصلت مقاطعة بين شيخنا أبي النصر والشيخ النبهان رضي الله عنهما، وسمعت بذلك، وظننت كما ظن الإخوان، فقدم حلب ونزل بدار صهره الحاج يوسف حموية في الجبيلة، فجئت لزيارته في بيت الحموية، فلما وصلت باب الدار وإذا بالشيخ يخرج، وأشار إلي أن أتبعه، فتبعته، وإذا هو ذاهب إلى جامع الكلتاوية حيث الشيخ محمد النبهان، فلما وصل استأذن فخرج الشيخ النبهان من غرفته فتعانقا، ثم طلبا مني أن أحضر لهما غداء من السوق، فذهبت وأحضرت الغداء فتغدينا جميعاً وشربنا الشاي، ثم ودع الشيخ النبهان شيخه أبا النصر، وعاد، فعلمت من يومها أنه لا خلاف بينهما.

وبالمناسبة كنت أجلس مع السيد النبهان رضي الله عنه بعد وفاة الشيخ أبي النصر رضي الله عنه فكان يقول لي: أنا أحب كل ما يتصل بالشيخ أبي النصر، حتى إني أحب

كلاب بيت أبي النصر.

آثار الشيخ أبي النصر بعد وفاته: وكان الشيخ أبو النصر رحمه الله يلاحظنا وحتى بعد وفاته، فما فكرت في أمر إلا ورأيته مناماً فيخبرني عن ذلك الأمر، ومن ذلك:

١- أني أحببت مرة شاباً كان يتردد إلي، فقمت في بعض الليالي أصلي وأدعو الله أن يجعله من الصالحين، واستمر دعائي وصلاتي أكثر من ساعتين، ثم نمت فإذا بالشيخ أبي النصر يحاضرني في الرؤيا ويقول لي: يا ولدي، المدد موجود (ويشير إلى صدره) ولا يوجد قابلية، ويشير إلى ذلك الشاب، فقمت من نومي، وقد انصرف حب ذلك الشاب من نفسي تماماً.

٢- أحببت منشداً حباً شديداً، فأتعبني حبه فقمت في بعض الليالي أصلي وأدعو الله أن يصرف حبه عني، وصليت طويلاً ثم نمت فحضر علي الشيخ، فشكوت له ذلك الرجل، وأن حبه أتعبني، وقلت له راجياً أن ينصرف حبه عني فقال لي: اصبر عليه، اصبر. فصبرت عليه وكان في ذلك خير كثير.

٣- ذهبت لزيارة الشيخ عبد السلام المجعان في دابق (المشهور بالشيخ عبد) فحصل منه ما جعلني أغضب منه، وأحمل عليه في نفسي، فنمت تلك الليلة، وإذا بالشيخ يحضر علي ويطلب مني ألا أغضب منه، فانتبهت من نومي وقد ذهب ما كان في نفسي عليه [1].

٤- زرت الشيخ النبهان مرة بعد وفاة شيخنا أبي النصر، فسررت في مجلسه، وأردت أن آخذ العهد عليه كمريد، فرأيت الشيخ أبي النصر في المنام فقلت له: إني أريد أن آخذ الورد على الشيخ النبهان، فقال: لماذا ؟ فقلت: لأنني سررت عنده، وقد قالوا أنه على المريد أن يبحث بعد وفاة شيخه عن مرشد، فقال لي: وما أدراك من أين جاءك السرور ؟

---

[1] قال عبد الله: كانت أحوال الشيخ عبد رحمه الله في تلك الفترة غالبة، وكان الشيخ محمد خير يريد أن يحاسبه على مقاييس الشريعة والعلم، ويقول: هذا يريد أن يصبح شيخاً علينا، فطيب السيد الوالد خاطره، وقال له: انظر إلى النقلة النوعية التي أصبح فيها، قبل أن يكون مهتدياً وسالكاً في الطريق والعلم، والصبر عليه فيه الخير الكثير، هكذا سمعت من الشيخ محمد خير رحمه الله وقال لي: ما أحببت أحداً بعد حبي للشيخ أبي النصر كحبي لوالدك.

فعرفت أن سروري جاءني عن طريق ارتباطي بالشيخ أبي النصر.

أقول: (ولا يفوتني أن أذكر أنه كان رحمه الله ملتزماً بمشايخ الطريق بعد أبي النصر، فكان لا يترك مجالس شيخنا عبد الباسط وخاصة إذا جاء مارع، وكذلك خليفته بعده الشيخ إسماعيل حفظه الله).

الشيخ يجبر خاطر الفقراء والضعفاء: كان الشيخ أبو النصر رضي الله عنه يأتي إلى مارع، وكان حالي المادي ضعيفاً جداً، وكنت أتمنى لو كان عندي مال لأدعو الشيخ إلى منـــزلي، وذات مرة تغدى عند ابن عمي حاج محمد هادي، ثم ناداني وقال لي: اذهب إلى بيتك، وحضّر لنا الشاي، فذهبت مسروراً وحضرّت الشاي، فجاء مع بعض الإخوان وشربوا الشاي لديّ، فقال لي (جبراً لخاطري): شايك طيب يا شيخ محمد خير.

ويكتب لي الأخ الشيخ صالح بشير آخر هذه الكلمات: هذا بعض ما حصل مع الشيخ محمد خير بصحبته للشيخ رضي الله عنه، وقد كبرت سنه ولا يذكر إلا القليل.

أقول: وقد دونته أعلاه بحروفه مع تصرف أو إضافة بسيطة لبعض الكلمات، وقد حدثنا بمعظم هذا الكلام الشيخ محمد خير مشافهة في مجالس متعددة، عندما كنا نجتمع به مع سيدي الوالد رحمه الله تعالى أو عندما كان يزورنا في بيت الوالد، وكثيراً ما كان اللقاء الطيب معه ومع سيدي الوالد والشيخ إسماعيل والإخوة المحبين، لدى الأخ الكريم والصادق المحب حاج حمدي الويسي في منـــزله العامر في سيفات (شمالي حلب)، وما كان يفتأ يحدثنا عن شيخه أبي النصر وكراماته.

وأذكر أنني كتبت عنه بعض هذا في آخر زيارة له في غرفته في المسجد في بلدة مارع يوم ١٢ جمادى الأولى ١٤٢٠هـــ-٢٠٠٠م وقال لي: إنني آخذ الورد النقشبندي مذ كان عمري /١٤/ عاماً.

بعض أحواله وأخلاقه: كان رحمه الله وقافاً عند حدود الله، ملتزماً لأوامر الشرع، داعياً إليه، ظل طوال حياته وبعد أن عاد من طلب العلم إماماً وخطيباً في مسجده في مارع، وإذا كان في زيارة لأخ ما في بلده أو في بلدة أو قرية أخرى، فإنه كان محافظاً على

صلاة الجماعة في وقتها في المسجد إن أمكن، ملتزماً في عبادته فقه الإمام الشافعي رضي الله عنه، ومن طريف ما أذكر عنه، أنّا كنا مرة لدى الحاج حمدي الويسي في سيفات بحضرة سيدي الوالد، وكان الشيخ محمد خير يحبه أشد الحب، ويحدثنا عن كرامات سيدي الوالد، وكان متعلقاً به منذ أن كان الوالد في دابق، فحان وقت صلاة العصر، والمجلس حافل، وبعض الإخوة لم يتهيؤوا للصلاة بعد، وكان خلقه كما قلت الصلاة في وقتها، فقلت له: يا سيدي، إن وقت العصر عند الإمام الشافعي: إذا صار ظل كل شيء مثله عدا فيء الزوال، وعند الإمام أبي حنيفة إذا صار ظل كل شيء مثليه عدا فيء الزوال، إلا أن الإمام أبا يوسف كان يستحب أن يكون بين وقت المثل والمثلين وقت مهمل (كالضحى)، فكان يستحب نهاية وقت الظهر عند صيرورة ظل كل شيء مثله، وبداية وقت العصر عند صيرورة ظل كل شيء مثليه، فلو صبرنا قليلاً كان خيراً. فقال بحزم وقوة: أنا شافعي، أذّن يا فلان. وضحكنا وسررنا من قوة تمسكه رحمه الله تعالى.

ورغم أنه في آخر حياته لم يستطع الإمامة، لبطء قراءته وحركاته، فقد وكَّلَ بها غيره، وصار هو يصلي مقتدياً، كيلا تفوته الجماعة، حتى لقي ربه سبحانه راضياً مرضياً في آخر شهر رجب من عام ١٤٢٢هـ، أيلول ٢٠٠١م، حيث توفي في مارع، وصلي عليه في مسجده، ووري مثواه الأخير في مقبرة مارع. رحمه الله ورضي عنه، وأعلى مقامه في عليّين.

العالم العامل، الفقيه الصدّاع بالحق

الشيخ عبد السلام طبشو الحربلي

(١٣٣٢-١٤٢٥هـ) (١٩١٢- ٢٠٠٤م)

هو العالم المدقق، والفقيه المحقق، الصداع بالحق، الحازم الجازم الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر، الصوفي الحقيقي، الثابت على السنة والملازم للطريق والذكر، الشيخ عبد السلام بن حاج إبراهيم طبشو (الحربلي) ولادة، الحلبي إقامة.

ولادته ونشأته: ولد هذا العلم الفرد في حربل (منطقة إعزاز) بعام ١٣٣٢هـ- ١٩١٢م، وتعلم أول ما تعلم فيها القرآن الكريم على يد شيخه الشيخ جنيد التاجر، وكان صوته حسناً، وقال: بعد أن تعلمت في الخسروية ورجعت إلى قريتي لم يقرأ شيخي أمامي (حياء).

قال: وحبّب إلي العلم ولم يكن عندي مال، وكان والدي فقيراً، وتجاوز سني العشرين عاماً، والعلم في حلب فماذا أعمل ؟ ووالدي يمتنع عن إرسالي إلى حلب لأتعلم في مدارسها لأنه لا يملك النفقة اللازمة لذلك، ولما رأت أختي الكبرى - رحمها الله - حرصي على العلم، وكانت متزوجة، ولديها ذهب (إملاكها) وكان نساء المنطقة يتزيّن به في رؤوسهن بشكل ليرات ذهبية توضع تحت غطاء الرأس، ويسمى في عرف قرى إعزاز (صف ذهب)، فقالت لأمي أنا أعطيه (صفّي) لينفق على نفسه. واتفقت مع أمي على ذلك ووافق أبي. (وتابع شيخنا الحربلي حديثه إليّ):

طلبه للعلم في الخسروية بحلب: ولما علم شيخي (جنيد التاجر) بعزمي على طلب العلم في حلب، وكان هو قد سكن مدينة إعزاز، قال لوالدي: أرسله إلي غداً لآخذ له تزكية من مفتي إعزاز وقاضيها ليقبلوه في طلب العلم. فأخذت التزكية منهما وأعطيتها لمدير المدرسة

أستاذنا الشيخ راغب الطباخ فقبلني فيها. ولزمت المدرسة الخسروية وكان سني /٢٣/ سنة وكان هذا حوالي عام ١٣٥٤هـ- ١٩٣٥ م وقبلوني فيها دون فحص ودون راتب، مستمعاً فقط، وبقيت فيها أربع سنوات ونصف، وكان الشيخ عبد الله خير الله - رحمه الله - أعطاني غرفته في جامع العثمانية، فأقمت فيها سنة من دراستي رحمه الله وأجزل ثوابه.

وكان من أساتذتنا فيها المدير الشيخ راغب يدرسنا السيرة والتاريخ والمصطلح، والأستاذ الشيخ أسعد عبه جي، والشيخ محمد سعيد الإدلبي، والشيخ أحمد الشماع، والشيخ عيسى البيانوني، والشيخ عمر المارتيني وسواهم.

وقبل أن أنهي دراستي فيها بسنة تقريباً لأتخرج بعدها متمماً دراستها حاصلاً على شهادتها جاءني والدي (وكان شديداً صارماً حازماً) وقال لي: إن مشايخك قالوا لي إن عبد السلام صار عالماً، وأريد أن آخذك إلى القرية وأراك فيها قبل أن أموت وتراك أمي أيضاً. ومن أجل بره ورضاه انقطعت عن المدرسة وأنا متعلق بها. ثم تزوجت بعد ذلك من ابنة الحاج محمد الجبريني (الرجل الصالح) بعد موت زوجتي الأولى بأربع سنين، وكان خطبها لي العالمان الفاضلان الشيخ عبد الرحمن البكري المنغي، والشيخ عيسى الخطيب الإعزازي رحمهما الله تعالى.

أول صلتي بالشيخ أبي النصر: كان شيخنا أبو النصر من أعظم العباد المقربين إلى الله، وكان أول تعرفي عليه في مارع عندما كان يزورها (وحربل متاخمة لمارع)، وكنت وقتها في حربل بعد عودتي من الخسروية، فدعيت إلى مارع إلى مولد هناك يرعاه شيخنا أبو النصر، وكان معه الشيخ عيسى البيانوني، فطلب بعض الحاضرين أن يسمع صوتي بقصيدة، فلما سمع الشيخ عيسى رحمه الله صوتي، طرب له، وصار يصرخ ويصيح في كل بيت أقوله، واشتد وجده وهيامه، ولما أنهيت قصيدتي قال الشيخ عيسى: من هذا ؟ قالوا له: هذا تلميذك عبد السلام الحربلي. قال: مِنْ بَيتِ مَنْ في حربل ؟ قالوا له: من بيت طبشو، فقال: يرحم طبشو وما خلّف. وآنذاك أخذت العهد من الشيخ أبي النصر، ولقنني الذكر بذاته الكريمة.

في قرى إعزاز داعياً ومعلماً: لم أبق في حربل بعد خروجي من الخسروية سوى سنة تزوجت فيها، ثم توجهت إلى ارشاف (منطقة إعزاز) إماماً هناك، ثم عدت إلى حربل عاماً آخر ثم إلى ارشاف، وبعدها حطينا الرحال في (أختيرين).

وسبب ذهابي إلى أختيرين أني أرسلت والدي للحج وكان رفيقه من أختيرين، فلما عادا من الحج طلب من والدي أن أكون إماماً ومدرساً وخطيباً في أختيرين، فوجهني والدي إليها إكراماً لصاحبه. وبقيت في أختيرين /١٣/ عاماً.

يقول الفقير (أبو يحيى) محرر هذه الكلمات: وما أجمل تلك الأيام المباركة الطيبة التي كان يشع نور الشيخ أبي النصر فيها على تلك المنطقة (منطقة ريف إعزاز) حيث كان الوالد في دابق، والشيخ عبد السلام في أختيرين، والشيخ موسى عبد الكريم الزيادي في صوران، (وشيوخ مارع) الشيخ يونس عبد الغني، والشيخ محمد خير، والشيخ مصطفى الحمو، والشيخ بكري النجار المارعيون، والشيخ عبد في دابق، وثلة من أفاضل العلماء والصلحاء فيها، وكانت الليالي المباركة تحيا بهم، وتحيا كل أرض ينـــزلون بها، وتشع أنوار هؤلاء الأفاضل المستمدة من شيخهم، وبخاصة إذا كان حاضراً، حيث كان الشيخ الكبير والمرشد العظيم أبو النصر يتجول فيها متنقلاً بين مارع ودابق وبارح، وكانت القلوب عامرة بذكر الله والمدد الفياض يتواصل عليها.

ولقد شهدت في طفولتي بعض هذه المجالس المباركة حيث يلتقي هؤلاء العلماء الأفاضل مع بعضهم في تلك القرى، ويحيون فيها مجالس الإيمان والذكر والطاعة، والناس من حولهم سامعون مطيعون، متأدبون خاشعون، ذاكرون عابدون.

يقول شيخنا الحربلي: وعندما كنت في أختيرين صار عرس هناك، وكانت الأعراس على غير طاعة الله، فلم أستطع منعه فتوجهت إلى حمص سيراً على الأقدام إلى شيخي أبي النصر، وبقيت عنده ثلاث ليالي.

أدب الشيخ أبي النصر مع العلم: ومن طريف ما حدث معي أنني قرأت أمامه آخر سورة التوبة قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ

عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٢٨: التوبة)، وبسملت في أول قراءتي، فنبهني الشيخ رحمه الله إلى عدم قراءة البسملة لأن الآية من براءة (التوبة)، فقلت: يا سيدي لقد ذكر في (إعانة الطالبين) الجزء الثالث، أمر الرسول ﷺ بها. فسرّ الشيخ رضي الله عنه مني وأذعن لكلامي. وهذا شأن الشيخ العالم الكامل قبول الحق ولو من تلامذته.

الشيخ يلاحظني مناماً: بعد وفاة والدي طلب مني أحد أولاد أخي قراءة مولد لهم في القرية، وكان الطقس بارداً، وأنا متعب، فقلت له: أنا تعبان عايف حالي. ونمت ليلتها، فحضر علي والدي مناماً ونادى بأعلى صوته كأنه حي: تعال ولاك (وهي كلمة توبيخ)، وجاء مناماً أيضاً في اليوم الثاني، وفي اليوم الثالث وإذا بي أرى الشيخ أبا النصر مناماً، راكباً وأركبني خلفه، فسار بي مثل البرق، ثم أتى بي إلى دار أولاد أخي، ثم وجهني لقبر أبي لأزوره، فكأن الشيخ رحمه الله كان معنا واطّلع على ما دار بيني وبين والدي في منامي، ورفضي لإجابة طلب أولاد أخي، فكان هذا منه قدس سره لفت نظر، من أجل برّ أبي وصلة أولاد أخي. وفي اليقظة صباحاً ذهبت إلى بيت أخي، فقال أخي: يا خيّو (يا أخي) إش جابك (ما الذي أتى بك) ؟ فقلت له: هكذا جرى معي، جابني (أتى بي) الشيخ أبو النصر غصباً عني.

من ذكريات الأيام السالفة: وصار الشيخ حفظه الله يحدثنا - أنا وأخي عبد الله - عن تلك الأيام المباركة التي قضاها في أخترين، وكان يلتقي في قرى المنطقة مع أفاضل علمائها، أمثال الوالد والشيخ محمد خير وغيرهم ممن ذكرنا، ومن جملة ما قاله: لقد كان الشيخ عثمان المارعي تلميذاً مهماً للشيخ أبي النصر، لقد كان تلميذاً مهماً.

- وكان والدك عظيم الود والمحبة، وبتّ ليلة عنده في دابق، ولم يكن عنده سوى غرفة (وكانت والدتك فقط، ولم يكن ولد له بعد)، وتأخرت السهرة فلم يتركني آتي إلى أخترين، وأصر على المبيت عنده، لقد كان عظيم الود والمحبة.

- كان بيننا تزاور، كنت أزوره في دابق، وألتقي معه في قرى غيرها، وكان يدعوني إلى دابق، فألبيه وادعوه إلى أخترين فلا يلبي دعوتي، فاقتصرت بعد ذلك عن دعوته إليها،

فقلت: يا سيدي، يظهر أن أختين تحتاج إلى أولي العزم أمثال جنابكم.

- وسألته: هل زار الشيخ أبو النصر أختين لما كان يتجول في قرى المنطقة، قال: لا.

وتابع حديث الذكريات قائلاً: كنا نذهب إلى الباب لزيارة جدك، وكان يرحب بنا، ويفرح بنا ويكرر التأهيل مرات ومرات قائلاً: أهلين وسهلين، ابن أخوي، وطلبت منه زيارة أصحابي في الباب فقال لي: هم يزورونك، فدعاهم إلى مولد وعشاء، وكان عمك معهم، وقلت في المولد قصيدة، بكى عمك كثيراً أثناءها وقال لي: كان الشيخ عبد السلام يبكينا مع الشيخ أبي النصر، والآن يبكينا.

أخلاقه العمرية: وكان المجذوب الشيخ توفيق لا يألفني ولا آلفه، فإذا دخل ورآني يرجع ويقول (مالي خبر، عمر ابن الخطاب هنا) ويعنيني بذلك.

أقول: وسبب ذلك أن مشرب الشيخ عبد السلام حفظه الله - كما يقولون - عمريّ، ويحب أمور الشريعة أن تكون سائدة ظاهراً وباطناً، ولذلك كان لا يفتأ عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولزوم أوامر الشرع مهما كان في ذلك إغضاب زيد أو إرضاء عمرو. بل كان صارماً في أمره ونهيه لا يعرف المهادنة ولا المداراة.

وبات ليلة في قرية من قرى المنطقة و لم يسمع فيها صوت أذان الفجر، وجاء المسجد فوجده مقفلاً، فتضايق، وغضب، وقال: قرية لا يُصلى فيها الصبح في المسجد يجب ألا أبقى فيها، فغادرها و لم يبق فيها.

انتقاله إلى حلب: وبعد أختين انتقل الشيخ حفظه الله إلى حلب، فعمل إماماً في جامع الإخلاص، ثم جامع طلحة، ثم أويس القرني، واستقر بعد ذلك في جامع السكري (محلة السكري بحلب) بوظيفة مدرس محافظة ودروسه يلقيها في ذلك المسجد، وظل الشيخ عبد السلام بعد انتقاله لحلب مواظباً على مواصلة آل شيخه أبي النصر، يحضر مجالس الشيخ عبد الباسط في جامع أبي ذر وغيره وكم كانت تطربنا - ولا تزال - قصائده التي تنطلق من صوته الرخيم الممزوج بحبه العظيم، وصدقه في القول والعمل، وكم كانت كلماته وتعابيره تهز قلوب الإخوان المحبين فيزداد حبهم وهيامهم.

نشاطاته العلمية: يقول الشيخ عبد السلام: حفظت القرآن غيباً في كبري، ثم تفلّت الآن مني، وأنا أختم كل يومين ختمة والحمد لله.

قال: لما جئت من أخترين إلى حلب، وباشرت التدريس في المسجد كان يجلس بجانبي رجل مسن يحضر الدرس، وكان ذلك بعام ١٣٧٨هـ-١٩٥٨م، وصار سوء جوار بيننا وبين تركية، وكان بجانب داره - وهي بأطراف البلدة - مدافع ومواقع للجيش وظهر عليه الخوف، فقال لي: لو كان الشيخ عيسى البيانوني حياً لعلمني آية تحفظني من ضرب مدافع العدو، إنني أخاف أن تأتيني قذيفة خاطئة فتخرب بيتي، فرأى ليلتها الشيخ عيسى مناماً وقال له: أنا الآن في الحج، لا آتي، وعندك الشيخ عبد السلام، فلما قصّ علي رؤياه قلت له: أكثر من قوله تعالى: ﴿.. فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٦٤: يوسف)، فقال فوراً: تذكرت، لقد قال لي الشيخ عيسى هذه الآية.

قال: وكنت جالساً عند المفتي الشيخ (محمد عثمان بلال) رحمه الله فسأله الشيخ محمود فحام رحمه الله: لماذا كُسرت الهمزة في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ (١ سورة المنافقون)، فأجبته: لأنها في خبر إن. وكأنه لم يقنع، فجاء أحد العلماء فسأله الشيخ محمود فلم يعرف، فقلت للفحام: هذا الجواب واسمع ما قاله ابن مالك في الألفية: (وكسروا من بعد فعلٍ علقا / باللام كاعلم إنه لذو تقى). قال وكنت أحفظ من ألفية ابن مالك /٦٠٠/ بيتاً نسيتها الآن.

ومر معنا، حفظه مسألة البسملة وإقرار الشيخ أبي النصر له.

رحلاته: لم تكن له رحلات سوى إلى بيت الله الحرام، فهو يكثر من الحج، وقد حج بيت الله عدة مرات. وعرج في إحدى حججه (بعد مجيئه من أخترين) إلى بيت المقدس فزار المسجد الأقصى، ومدينة الخليل عليه السلام. قال: هي بلدة مهمة فيها قبور سيدنا الخليل إبراهيم وأولاده إسحق ويعقوب ويوسف وسارة وزوجتي إسحق ويعقوب، ثم زرت قبر سيدنا لوط في بني نعيم، وبتّ في القرية هناك وأضافني مختارها، ثم عدت للقدس

وصليت الجمعة فيها، ورأيت النساء يصلين أمام الرجال، ويكثرن من اللغو رغم أن لهن محلاً خاصاً بهن، فألقيت درساً هناك في النهي عن مخالطة النساء للرجال في الصلاة، والحمد لله على ذلك.

(أخذت هذه المعلومات من شيخنا مباشرة في بيته العامر في السكري بحلب، بعد أن صلينا معه العشاء في المسجد وحضرنا معه الختم أنا وأخي عبد الله المسعود، وذلك يوم ١٣ شعبان ليلة ١٤ عام ١٤١٩هـ، أمد الله في عمره مع العافية).

أقول: أمد الله بعمر شيخنا وأعانه على التقوى، وعافاه، فإنه لا يزال محافظاً على ود آل بيت شيخه أبي النصر وكلما سنحت له فرصة وجد فيها عافية وقوة فإنه يزور الزاوية النقشبندية التي يقوم عليها شيخنا الشيخ إسماعيل حفظه الله وأمده بمدد آبائه وأشياخه).

وقد توفي رحمه الله في حلب ودفن في حربل بتاريخ ١٩ شعبان ١٤٢٥هـ الموافق ٢/١٠/٢٠٠٤، وقمنا بأداء واجب العزاء لآله أنا وإخواني. رحمه الله ونور ضريحه.

العالم الفاضل، والشيخ العامل

الشيخ موسى عبد الكريم الزيادي

(١٣٢٩-١٤٢٨هـ) (١٩٢٠- ٢٠٠٧م)

هو العالم الكريم الفاضل، والشيخ الوقور العامل، موسى بن عبد الكريم الزيادي، الإعزازي الحلبي، ولد بعام ١٣٢٩هـ-١٩٢٠م في قرية (الزيادية) التابعة لناحية أخترين منطقة إعزاز، ونشأ بها نشأة كريمة، وقرأ القرآن منذ طفولته ولما يتجاوز عمره العاشرة لدى مؤدب القرية وإمامها الشيخ حسن الخطيب، والد أخينا العالم الفاضل غازي شكيب الخطيب، وأتقن القرآن لديه، وأوتي صوتاً حسناً بالقرآن.

وكان الشيخ عثمان المارعي (مريد الشيخ أبي النصر) يتردد على قرى منطقة إعزاز بأمر شيخه داعياً إلى الله، وموجهاً للطريق، وملقناً للذكر، وكان الشيخ عثمان إذا حضر إلى قرية الزيادية يقيم الختم النقشبندي للنساء بأمر الشيخ. قال الشيخ موسى: فكان الشيخ عثمان يدعوني لحضور ختم النساء وأنا طفل لكي أقرأ القرآن فيه، وكانت قراءتي جيدة، وكنت أمتنع عن الحضور خوفاً من مقص الشيخ عثمان الذي كان يقص شعور الشباب المتدلية على وجوههم كعادة شباب ذلك الجيل (الغرة)، وكان يكثر من دعوتي فأرفض، وأخيراً دعاني فاستجبت، فكنت أقرأ القرآن في الختم، ثم لقنني الطريق وكان عمري ١٢ عاماً.

طلبي للعلم: قال: وكان ابن عمي الشيخ عيسى علوش الزيادي [1] من الذين سبقوا إلى طلب العلم في المدرسة الخسروية، وذلك بتوجيهات شيخنا أبي النصر، وكان الشيخ عيسى زميل والدك الشيخ محمد علي المسعود في طلب العلم في الخسروية، وكان من أهل

[1] انظر ترجمته في فصل علماء إعزاز هذا.

التقى والصلاح والعلم والعمل، فوجهني لطلب العلم وحضني عليه، فحضرت إلى حلب والتزمت المدرسة الخسروية وكان عمري /١٦/ سنة، وتخرجت منها بعام ١٣٦١هـ-١٩٤٢م، مع زملائي الذين تخرجوا في القافلة السابعة عشرة.

مشايخه: وكان شيوخه من أكابر علماء حلب الذين ذكرناهم في أول هذا الجزء، رحمهم الله وأكرم منـــزلهم.

وبعد التخرج من المدرسة توجهت إلى قرية (تركمان بارح) إماماً وخطيباً، ثم بعدها انتقلت إلى الباب لمدة سنة، وشاركت الأخ المحب الحاج محمود العطار من إخوان شيخنا أبي النصر في دكانه لمدة سنة، ثم إلى صوران إماماً وخطيباً حتى عام ١٣٧٠هـ-١٩٥٠م، وبعدها انتقلت إلى حلب ولا أزال فيها.

أول لقاء بالشيخ أبي النصر: يتابع الشيخ موسى حديثه: (وقد كان مريضاً ولما تذكر تلك الأيام الخوالي مع الشيخ أبي النصر رحمه الله، عادت إليه الروح، وتنشط وتابع يحدثني في بيته الكريم بحلب يوم ٢١ محرم ١٤٢٣) قال:

كان أول لقاء لي بالمرشد الكبير شيخنا أبي النصر بعام ١٣٥٥هـ- ١٩٣٥م تقريباً حيث قدمت إلى حلب لطلب العلم، وكان والدك (الشيخ محمد علي) يدرس في الخسروية، وكان يقيم في غرفة في مسجد الأرمنازي (بحارة الباشا بحلب)، وكان تعرفي عليه بواسطة ابن عمي الشيخ عيسى الزيادي، وكان يأتينا إلى الزيادية مع الشيخ عيسى الزيادي، إذ كان صاحبه وصديقه ورفيقه في العلم في الخسروية ورفيقه في الطريق عند الشيخ أبي النصر، كان عمري /١٦/ عاماً عندما قدمت إلى حلب، وتوجهت إلى غرفة والدك، وكان الشيخ عيسى عنده والوقت مساء بعد العشاء، فقال الشيخ عيسى: إن الشيخ أبا النصر اليوم سيسهر في محلة الشرعسوس لدى (بيت حنطاية) فاذهب معنا إلى هناك لتكسب السهرة مع الشيخ. فذهبت معهم، (وكنت أرتدي زي أهل القرى و لم أرتد بعد زي طلبة العلم)، ودخلنا الدار الواسعة التي تتسع لـــ ٥٠٠ شخص تقريباً، وإذا بالشيخ أبي النصر رحمه الله تعالى ونور ضريحه يتصدر المجلس، وأنا لا أعرفه، ولأول مرة

في حياتي أراه، والدار مملوءة بالناس، وقبل أن أجلس في مؤخرة الناس نادانى من بين الداخلين وقال لي لما وقفت أمامه وسلمت عليه: استرح هنا يا موسى (وسماني باسمي) وجلست أمامه، وكان حوله وأمامه وعن يمينه وشماله العلماء والمشايخ وطلاب العلم وهو يتوسطهم، وكان وراءه الشيخ محمد أديب حسون (الياقدي) فأشار إليّ بعد جلوسي، أن قم، فقمت لأعود إلى الخلف، فأجلسني الشيخ أبو النصر، ثم أشار الشيخ أديب إليّ مرة أخرى فقمت، فأجلسني الشيخ أبو النصر، ثم التفت إلى الشيخ أديب وأمره أن يكفّ عني.

(أقول: كان قصد أستاذنا الشيخ أديب وهو الأكبر سناً، تعليمه الأدب مع الشيخ أبي النصر، والجلوس في الخلف، وبخاصة أن شيخنا الشيخ موسى لم يكن بزي طلبة العلم، الذي كان الشيخ أبو النصر يقدمهم في المجلس، وما علم بإشارة الشيخ أبي النصر له بالجلوس، كما هي كرامة - بنفس الوقت - للشيخ أبي النصر بأنه سيصبح من طلاب العلم).

ذكريات مع الشيخ أبي النصر: والحديث عن الشيخ أبي النصر لمن عاصره وعاشره، وأخذ من معينه، وشرب من ورده، حديث يبعث الحياة في القلوب، وينعش الأرواح كما الماء على الأرض العطشى، وتابع عمنا (أبو نزيه) يحدثنا عن ذكرياته وصحبته لشيخه أبي النصر، قال: كنا نزور الشيخ في حمص ونبقى الأيام الكثيرة، وكنا نصحبه في أسفاره، وننعم بطيب مجالسته، ونحيا الحياة الطيبة في ظل أنظاره، زرنا حمص مرة أنا وبعض رفاقي من طلبة العلم وأذكر منهم: الشيخ حسن رزوق الخطابي (رحمه الله)، والشيخ محمد الحجار (دفين المدينة المنورة رحمه الله)، ودعي الشيخ إلى حماة، دعاه آل المراد، وركبنا السيارة مع الشيخ متوجهين إلى حماة، وفي الطريق مد الشيخ الحجار رأسه من النافذة فأخذ الهواء عمامته من رأسه، ومن أدب الشيخ الحجار لم يتكلم، حتى إذا وصلنا سأله الشيخ أبو النصر عن عمامته، فأخبره بأن الهواء قذفها من رأسه فقال له: لماذا لم تخبرنا ؟ كنا وقفنا. فسكت الشيخ الحجار حياءاً وأدباً.

وكانت الدعوة لدى الشيخ أحمد سليم المراد أمين الفتوى في حماة، وكان ذلك بعام

١٣٥٧هـ-١٩٣٨م أثناء دراستنا في الخسروية، وكنت وقتها في حالة جذب وشبه ذهول، وكان الشيخ أبو النصر يقول لي: اكتب (ما يتكلم به) فكتبت عنه كثيراً، وكان في مجلس الشيخ آنذاك أكثر من عشرين عالماً، وكان المنشد يقول قصيدة ومرّ على بيت فيها (مختل الوزن الشعري) فقلت: إن البيت هذا (مكسور). وعارضني بعض الحاضرين، ولما سألوا شاعر حماة الأستاذ بدر الدين الحامد قال: نعم إنه مكسور. وأنا قلت مكسور ولا أدري لماذا.

ثم دعي الشيخ أبو النصر إلى الزاوية الهدائية في حماة، دعاه علامة حماة الشيخ محمود الشقفة رحمه الله، وذهب مع الشيخ كثير من العلماء، وكانت دعوة فطور، وجلسنا على مقاعد الطلاب، وكان في الحضور الشيخ محمد الحامد وأخوه الأستاذ الشاعر بدر الدين الحامد، واستأذن الشاعر أن يقوم خطيباً فقام وقرأ رسالة أخيه محمد له يطلب منه فيها تزويجه عندما كان في مصر، فكان الشاعر يقرأ والشيخ أبو النصر والحاضرون يضحكون، والشيخ محمد يقول لأخيه بدر: تأدب يا بدر بحضرة الشيخ، وكان قصد الأستاذ بدر الدين سرور الشيخ أبي النصر وإدخال البهجة على المجلس برسالة أخيه.

ودامت زيارة الشيخ لحماة ثلاثة أيام، دعاه فيها أيضاً الشيخ فريز الكيلاني إلى زاويتهم الواسعة الكبيرة المشرفة على العاصي، وقام الشيخ فريز خطيباً مرحباً بالشيخ أبي النصر وصحبه وضيوفه، وأخطأ في إيراد آية وحديث، فرددت عليه من بين الحاضرين وقلت: هذا خطأ، فارتبك الشيخ فريز وقطع خطبته، وبعدها صحوت إلى نفسي وقلت: كيف أتكلم في مجلس الشيخ أبي النصر، إن هذا تعدٍ وسوء أدب، لقد صحوت إلى نفسي - كنت في حالة جذب كما قلت لك - فأردت الهروب، وعندما انفضّ المجلس، نزلت الدرج المفضي إلى الباب هارباً فوجدت الشيخ أبا النصر عن يميني، فانحرفت إلى اليسار فوجدته على يساري، فتأخرت إلى الخلف فوجدته ورائي، فعلمت أنه لا مجال للهرب.

ولما سألته عما كتبه من كلام الشيخ قال لي: مزقته. قلت: ولم ؟ قال: ألم أقل لك لقد كنت في حالة جذب وذهول.

وتابع عمنا الشيخ موسى (أبو نزيه) حديث الذكريات عن الشيخ أبي النصر قائلاً:

لقد كان أكابر علماء البلد من تلامذة الشيخ أبي النصر الذين تربوا على يديه وانتفعوا به، وعدّ منهم: الشيخ محمد الجبريني، الشيخ محمد النبهان، الشيخ محمد بلنكو، الشيخ ناجي أبو صالح، الشيخ بشير الدحدوح، كان الشيخ بشير من أكابر النقشبندية بحلب أخذ الطريق عن الشيخ سليم، ثم أدرك زمان أبي النصر، وكذلك ولده الشيخ سعيد نقشبندي أخذ عن أبي النصر، وذكر أيضاً الشيخ عبد الله الريحاوي والشيخ عيسى الزيادي، وقال: لقد كنت أتردد على الشيخ النبهان بعد وفاة الشيخ أبي النصر، وكان الشيخ يعمل في الزراعة وشرينا (محركات) موتورات لسقاية المزروعات وكنا أربعة، أذكر منهم الشيخ النبهان وأنا، ولما جئت لاستلام محركي قيل لي: إن وكيل الشيخ النبهان بدّله، وهذا فيه عطل، فأعطاني الشيخ النبهان (خمسمائة ليرة لإصلاحه) وطيّب خاطري لقد كان كريماً وعظيماً، وكنت أحبه، فأصلحت العطل ببضع ليرات ورددت عليه باقي المال.

وقال: رأى رجل ثقة صادق رؤيا، رأى الشيخين (أبا النصر والنبهان) فأراد أن يعرف أيهما أعلى مترلة، فأُمر الشيخ النبهان بالتوجه إلى الحاضرين، فلم يتحرك أحد، وأُمر الشيخ أبو النصر، فتحرك الناس حتى الحجر بإشارته وتوجهه، فقلت: من الرائي ؟ قال ثقة صادق، فألححت عليه فقال: هب أنه أنا ؟

(أقول، لا تعني هذه الرؤيا إلا مزيد محبة الشيخ موسى لشيخه أبي النصر، رغم مترلة الشيخ النبهان عنده ومحبته له، والله تعالى أعلم).

مع الشيخ عبد الباسط: ولما توفي شيخنا أبو النصر، اجتمعنا بالشيخ عبد الباسط، فقلت له: يلزم أن نجدد عهد الطريق عليك، فقال: أنت أقرب مني للشيخ أبي النصر، فألححت عليه، فقال: وأنا أهبك كل ما أعطاني ووهبني إياه والدي.

فقلت (أنا الفقير أبو يحيى): والشيخ إسماعيل ؟ قال: هو من خيرة العلماء والشباب الدعاة في هذا الوقت، ولا كلام عليه، والحمد لله أنه يقوم بأمر الطريق وجمع شمل الإخوان.

– تجاوز عمنا الشيخ موسى الثمانين هذه الأيام، أمد الله بعمره مع العافية، وقد كان فترة طويلة إماماً لجامع (الحدادين) بحلب في محلة باب الحديد، وكان سيدي الوالد ينـــزل عنده إذا نزل حلب، وكان بينهما إخاء وصداقة، وقد كانت تجمعهما في دابق مع طلاب العلم في المنطقة ليالي الإيمان التي يحيونها مع إخوان الطريق المحبين في الذكر والعلم، وكانت مجالس لا تنسى، شهدتها ربوع تلك القرى: (دابق، صوران، بارح، أخترين، مارع، دويبق، وغيرها). وكانت مجالس دعوية إيمانية يلتقي فيها سيدي الوالد مع إخوانه من طلاب العلم، أمثال الشيخ موسى، والشيخ عبد السلام الحربلي، والشيخ يونس عبد الغني، والشيخ محمد خير المارعيان، والشيخ إسماعيل حمدو البارحي، والشيخ حسن العاروني وغيرهم، وكلهم ممن تربوا على مائدة الشيخ أبي النصر، رحمهم الله تعالى وأعلى درجاتهم في عليين، وأمد في عمر الباقين بحفظه ورعايته.

وقد علمت بعد وفاته أنه توفي بحلب في أوائل ذي القعدة ١٤٢٨هـــ الموافق العاشر من تشرين الثاني ٢٠٠٧، ودفن في مقبرة الصالحين. رحمه الله ونور ضريحه.

قال عبد الله: توفي الشيخ موسى عبد الكريم الزيادي رحمه الله تعالى يوم الثلاثاء الواقع ١١ شوال ١٤٢٨هـــ الموافق ٢٣ تشرين الأول ٢٠٠٧م، وصليت عليه إماماً في الجامع الأموي الكبير في مدينة حلب ودفن فيها. رحمه الله.

والفقير إليه تعالى، جامع هذه التراجم المباركة

محمد زكريا المسعود

محمد زكريا بن الشيخ محمد علي بن الشيخ محمد المسعود (الغزالي) البابي مولداً ونشأة وإقامة، وينتهي نسبنا إلى سيدنا الحسين ﷺ كما حقق ذلك أخي الشيخ محمود في رسالة يعدها لهذا الموضوع.

ولدت في مدينة الباب قبل شهر رجب ١٣٥٩هـ الموافق ١٩٤٠م (كما في رسالة من جدي لوالدي تدل على تاريخ الميلاد).

ونشأت في حجر جدي الشيخ محمد المسعود (حيث كان والدي معلماً ومدرساً ومربياً) في منطقة إعزاز (دابق).

ومع تعليمي في المدرسة الابتدائية في الباب كانت نشأتي لدى جدي، وتربيتي البيتية عنده، حيث كان يسهر على تربيتنا وتعليمنا أنا وإخوتي الذين يدركون سن المدرسة، يرسلنا الوالد من دابق إلى رعايته رحمه الله وقدس سره وجزاه عنا خير الجزاء.

وتفتحت عيناي على رؤية سيدي الشيخ محمد أبي النصر قدس سره في بيته، إذا كان ينـزل - كعادته - لديه أثناء جولاته التربوية على الإخوان والمريدين، فقبلت يد الشيخ أبي النصر المباركة أكثر من مرة، وحظيت بطلعته الشريفة في منـزل الجد ومنـزل العم، ووضع يده المباركة على رأسي، ودعا لي ولإخوتي.

شيوخي: ثم تابعت تعليمي الشرعي في حلب في المدرسة الخسروية (الثانوية الشرعية فيما بعد) منذ عام ١٣٨٢-١٩٥٢ وحتى عام ١٣٨٨-١٩٥٩م.

وكان من شيوخي فيها: الشيخ محمد نجيب خياطة المقرىء الجامع للمواريث والقرآن الكريم، والشيخ محمد بلنكو مدرساً للأخلاق والفقه، والشيخ محمد السلقيني مدرساً للفقه

والأصول، والشيخ محمد الملاح مدرساً للفقه، والشيخ أحمد البيانوني، والشيخ عبد الفتاح أبو غدة، والشيخ محمد الحكيم، والشيخ فوزي فيض الله، والشيخ طاهر خير الله، والشيخ ناجي أبو صالح، والشيخ عبد الوهاب سكر، والشيخ محمد أبو الخير زين العابدين، والشيخ عبد الله حماد، والشيخ عبد الجواد عطار، وغيرهم.

زملائي: وكان من زملائي فيها الشيخ الدكتور محمد أبو الفتح البيانوني ابن الشيخ أحمد، والشيخ الدكتور عبد الغني بن عبد الله حماد، والأستاذ محمد صلاح بن الشيخ محمد نجيب خياطة رحمه الله، والأستاذ محمد نعيم عطار، والأستاذ حسن حموش، والأستاذ أدهم قاسم آغا، والأستاذ عبد الوهاب بن الشيخ عبد السلام طويلة، والأستاذ عبد الغني بن الشيخ محمد بلنكو، والأستاذ الدكتور أحمد حجي الكردي (حفيد مفتي حلب الشيخ أحمد الكردي).

وبعد التخرج: عملت معلماً ابتدائياً في مدارس حلب والريف منذ عام ١٩٥٩ وحتى عام ١٩٦٢، ثم عملت موظفاً في دائرة الأحوال المدنية في ريف حلب والمدينة من عام ١٩٦٢ حتى عام ١٩٧٧، حيث انتقلت إلى سلك التعليم في وزارة التربية مدرساً للتربية الإسلامية في دار المعلمين في اللاذقية، ثم مدارس حلب (الباب)، ثم ندبت إلى وزارة الأوقاف ١٩٨٠ مفتياً لمدينة الباب، ثم أسندت إليَّ إدارة أوقاف الباب عام ١٩٨١ وحتى تاريخه (١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م)، حيث طلبت إنهاء عملي الإداري، وتفرغت للعلم والتعليم.

وكنت انتسبت إلى كلية الشريعة بجامعة دمشق بعام ١٩٦١ وتخرجت منها بعام ١٩٦٧ أنا وزوجتي السيدة فاطمة الزهراء بنت عمي الشيخ محمد سعيد المسعود رحمه الله حيث عينتْ مدرسة في ثانويات حلب أيضاً.

وأكرمني الله أثناء إقامتي في دمشق للخدمة العسكرية بصحبة وملازمة ثلة فاضلة من علماء دمشق وعلى رأسهم شيخنا عبد الكريم الرفاعي، والشيخ حسن حبنكة، والشيخ لطفي الفيومي، وأولاد وأحباب شيخنا عبد الكريم الرفاعي.

وأثناء إقامتي في حلب منذ الدراسة الشرعية وما بعد الخدمة العسكرية جددت صلتي بالشيخ عبد الباسط رحمه الله وقدس روحه، والتزمت بعد الإقامة في حلب منذ عام ١٩٧١ حضور مجالسه، وصحبته.

وأكرمني الله بأن تعطف علي أنا وأخي عبد الله حيث كنا مقيمين في حلب، وكنا نصاحبه في أسفاره إلى ريف المنطقة وما حولها، وإلى حماة وإدلب، ومعظم أسفاره.

وقد كلفني بإدارة الختم الشريف عندما انتقلت إلى الباب وملازمة مجلس السادة النقشبندية صباح الجمعة الذي أسسه شيخنا أبو النصر قدس سره منذ عام ١٩٢٠م.

ثم أكرمنا الله سبحانه بقراءة بعض صحيح البخاري والرسالة القشيرية عليه، في بيته في الأنصاري، حتى تم انتقالي إلى الباب بعام ١٩٨٠م، وبعد وفاته بعام ١٩٨٢ أكرم الله الطريقة النقشبندية بالشيخ اسماعيل ولده وخليفته فالتزمناه والحمد لله، رغم الانتقال إلى الباب، وبعام ١٩٨٥ تم افتتاح جامع الشهداء في الباب وإقامة مجلس إخواننا النقشبنديين مساء كل إثنين، وذلك برعاية شيخنا الأستاذ إسماعيل أبي النصر، ولازال المجلس الأول (صباح الجمعة) والمجلس الثاني (الإثنين) مستمرين والحمد لله.

وقد تفضل الله سبحانه عليَّ في مدينة الباب بالنهضة بأوقافها وجوامعها ومدارسها الشرعية بالإضافة إلى عمل الإفتاء.

منه ترميم معظم مساجدها وإعادة بناء قسم كبير منها، كما تم إنشاء ما يزيد على خمسة وعشرين جامعاً ومسجداً منذ عام ١٩٨٠ وحتى تاريخه، وذلك فضل الله وتوفيقه.

وقد أسندت إليّ مديرية أوقاف حلب تأسيس المدرسة الشرعية في الباب بعام ١٩٩٠ والحمد لله، ثم دَرَّست فيها ولا أزال.

وقد يسر الله لي إعداد: (السيرة النبوية الميسرة للأطفال والفتيان) بـ /٦٠/ جزءاً في /٦/ مجموعات، بأسلوب جذاب وقصصي، وتم طبعها بعام ٢٠٠١م.

كما تم طبع كتاب (وقفات مع الدعوة والدعاة)، و(هادي الأبرار إلى الحج والاعتمار)، وطبع (دليل الأخيار إلى أحكام الزيارة والاعتمار)، كما إن سيرة الربانيين

الثلاثة (الجد والعم والوالد) تم طبعها بعام ٢٠٠٨ بعنوان (الربانيون الثلاثة)، مع بعض الكتب الأخرى وأهمها (تاريخ الباب الشامل)، وهذا الكتاب المبارك (من أعلام النقشبندية في بلاد الشام المباركة)، الذي قضيت في جمعه وإعداده خمسة وعشرين عاماً يسَّر الله إخراجه والنفع به.

بالإضافة إلى خطبة الجمعة في جامع عمر بن الخطاب منذ /٢٥/ عاماً والتدريس في مساجد البلدة، أسأل الله سبحانه بدوام التوفيق والقبول لي ولأولادي وإخواني إنه سميع مجيب. والحمد لله رب العالمين.

خاتمة أسأل اللهَ تعالى حُسنَها

وبعد:

فقد يسَّر الله سبحانه بفضله وتوفيقه جمع ما أراد أستاذنا الشيخ عبد الباسط أبو النصر رحمه الله وقدس روحه حال حياته جمعه من تراجم رجال هذه السلسلة، لتأتي كذيل للحدائق الوردية في تراجم رجال النقشبندية، وما تابع عليه شيخنا الحالي ولده الشيخ اسماعيل (عبد الخالق) من هذا الجمع المبارك.

وكان البدء بجمع هذه القطوف المباركة من رياض هؤلاء الربانيين حال حياة سيدنا الشيخ عبد الباسط بعام ١٣٩٩هـ-١٩٧٩ م، كما أشرنا إلى ذلك في المقدمات، وكان الانتهاء من الجمع بعام ١٤٢٥هـ في شهر ربيع الأول.

ويعلم الله كم عانينا من المشقات والصعوبات والسفر إلى بلدان المترجم لهم، والطلب من أقربائهم ومعارفهم ما يعلمونه عن حياتهم وسيرتهم من أخبار وحكايات، وسيرة ومناقب، حتى تم لنا هذا السفر المبارك بحمد الله تعالى وحسن توفيقه،

وأسأل الله سبحانه أن يلحقني وأولادي وذريتي برأس هذه السلسلة المباركة سيدنا رسول الله ﷺ، وأن يجمعني بهم تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، وأسأل الله سبحانه أن يعطف عليّ وعلى أولادي وذريتي وأحبابي قلوبهم الشريفة، وأن يجعلني في قلب من يحبه منهم، أنا ومن يلوذ بي.

كما أرجوه سبحانه أن يجزي خير الجزاء أم أولادي السيدة فاطمة الزهراء بنت عمي الشيخ محمد سعيد المسعود (أم يحيى) المعلمة والمربية النقشبندية أيضاً، التي كانت لمعونتها وسهرها وسفرها معي إلى المدن التي ذهبت إليها من أجل تراجم هؤلاء الرجال في سورية

وبلاد الحجاز، كان لمعونتها وعنايتها الفضل الكبير في الوصول إلى هذه الغاية، والتي تذكرني كلما طال الأمد بزيارة سادتنا سليم وأبي النصر في حمص، وكنا نجد اليسر والتوفيق بعد كل زيارة إلى روضتهما في حمص، حرسها الله وحفظها وسائر بلاد المسلمين من كل مكروه [1].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الذي أنعم علينا بسيدنا محمد

صلَّى الله عليه وعلى آله

وصحبه وسلَّم

وبارك.

[1] قال عبد الله: أتممت قراءة هذا السفر المبارك يوم السبت ١٨ جمادى الآخرة ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨/٦/٢١م، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة مصادر الكتاب ومراجعه

أولاً: القرآن الكريم.

ثانياً: كتب الحديث الشريف: صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن ابن ماجة، وسنن أبي داود، وسنن النسائي، وسنن الدارمي، وسنن البيهقي، ومعجم الطبراني، ومسند الإمام أحمد، ومسند البزار، والمستدرك للحاكم النيسابوري.

ثالثاً: المقابلات الشخصية، للأعلام المدونين كما هو مذكور في تراجم حياتهم.

رابعاً: الكتابات الحاصلة من أبنائهم وأصدقائهم بعد وفاتهم.

خامساً سجلات المدرسة الخسروية بحلب.

سادساً: الكتب والرسائل والوثائق الأخرى:

١) أحكام القرآن: أبو بكر بن العربي الأندلسي. ط عيسى البابي الحلبي مصر ١٣٨٧هـ ١٩٦٧م.

٢) أحمد عز الدين البيانوني الداعية المربي: عبد المجيد البيانوني، ط١ دار القلم دمشق ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٣) الأربعون البلدانية: المحدث الشيخ ياسين الفاداني المكي، ط٢ دار البشائر بيروت ١٤٠٧هـ.

٤) الأسر القرشية.. أعيان مكة المحمية: عبد الله بن صديق.

٥) أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء: محمد راغب الطباخ، ط٢ دار القلم العربي حلب ١٤٠٨هـ.

٦) أعلام ومبدعون: عبد الغني العطري. دمشق.

٧) الأعلام: خير الدين الزركلي. ط بيروت ١٩٧٩م.

٨) أفضل الصلوات على سيد السادات: يوسف النبهاني. ط دار الحياة للنشر بيروت دون تاريخ.

٩) آلاء الرحمن على العارف الشيخ محمد النبهان: محمد أديب حسون. ط١ دبي دون تاريخ.

١٠) أوائل المهندسين الذين عرفتهم حمص في ظل الخلافة العثمانية: محمد غازي حسين آغا. ط١ حمص ٢٠٠٦م.

١١) إيضاح المكنون: إسماعيل البغدادي. ط بيروت ١٩٨٢م.

١٢) البرهان المؤيد: السيد أحمد الرفاعي ، تحقيق عبد الله المسعود. ط١ دار الأنصاري حلب ١٤١٤هـ.

١٣) بستان العارفين: الإمام النووي، بتحقيق الشيخ محمد الحجار. ط حلب.

١٤) بغية الواجد من مكتوبات مولانا خالد: محمد أسعد صاحب الخالدي. ط١ ١٣٣٥هـ.

١٥) البهجة السنية في آداب الطريقة النقشبندية: محمد عبد الله الخاني. ط١ الميمنية مصر ١٣١٩هـ.

١٦) تاريخ الإفتاء في حلب الشهباء: محمد عدنان كاتبي. دار التراث بحلب ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٣م.
١٧) تاريخ الباب ووادي بطنان. محمد زكريا المسعود. معد للطبع.
١٨) الترغيب والترهيب: الحافظ المنذري، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. ط القاهرة ١٩٦٠م.
١٩) التعريف بأوهام من قسم السنن إلى صحيح وضعيف: محمود سعيد ممدوح.
٢٠) تفسير ابن كثير: ط دار المفيد بيروت ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.
٢١) تفسير الجامع لأحكام القرآن: القرطبي. دار الكاتب العربي القاهرة ١٣٨٧هـ ١٩١٧م.
٢٢) تفسير المنح الفاخرة في معالم الآخرة: شاكر الحمصي. ط دمشق ١٤١٢هـ.
٢٣) تنوير القلوب: محمد أمين الكردي. طبع محمد علي إدلبي حلب ١٩٩٣م.
٢٤) الحدائق الوردية في حقائق أجلاء النقشبندية: عبد المجيد الخاني. ط ١٣٠٦هـ.
٢٥) الحديقة الندية في آداب النقشبندية: محمد سليمان. ط١ القاهرة ١٣١٣هـ.
٢٦) الحكم: للإمام أحمد الرفاعي. ط دار الكتاب النفيس حلب ١٤٠٨هـ.
٢٧) حلب في مائة عام: الدكتورة نجوى عثمان بالاشتراك مع فؤاد عنتابي. ط جامعة حلب ١٩٩٣م.
٢٨) حلية الأولياء: أبو نعيم الأصفهاني. طبعة بيروت.
٢٩) حلية البشر في تراجم علماء القرن الثالث عشر: للشيخ عبد الرزاق البيطار. ط دمشق.
٣٠) حياة الشيخ عبد القادر القصاب الديرعطاني: محمد وفا القصاب. طبع دمشق ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م.
٣١) الدر اللطيف في فضائل الختم الشريف: حسين الطيباني. طبع بحماه بحياة المؤلف.
٣٢) دراسة عن التصوف والطريقة النقشبندية: أعدها شريف الصواف. معد للطبع.
٣٣) دراسة وثائقية عن حمص: أعدها نعيم الزهراوي ومحمود السباعي. طبع حمص.
٣٤) ديوان الحدائق الندية في النسمات الروحية: عبد الرحمن الشاغوري. طبع حلب ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.
٣٥) ربانية لا رهبانية: أبو الحسن الندوي. طبع بيروت ١٩٨٣م.
٣٦) الربانيون الثلاثة الشيخ محمد علي المسعود وأبوه وأخوه: محمد زكريا المسعود، حلب ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.
٣٧) رجال من مكة المكرمة ج٢: زهير جميل كتبي. ط١ جدة ١٤١١هـ.
٣٨) الرسالة القشيرية: شرح الشيخ زكريا الأنصاري. طبع القاهرة ١٩٥٩م.
٣٩) رسالة المسجد في سورية: عبد المجيد بن أسعد البيانوني.
٤٠) رسالة في ترجمة الشيخ عبد السلام الياسين الشهير بسمار: محمد حسين غازي آغا. طبع حمص.
٤١) رشحات عين الحياة: علي بن حسين الهروي. المكتبة الإسلامية ديار بكر تركية، مصورة عن الأصل بلا تاريخ.

٤٢) الرياض القدسية في مدح خير البرية: شاكر الحمصي.
٤٣) الرياض النضرة في تفسير سورة الفاتحة والبقرة: الشيخ عبد الغفار عيون السود. ط١ جدة ١٤٢٨هـ.
٤٤) السيد النبهان سيرته، دعوته إلى الله وآثاره: هشام الألوسي العراقي.
٤٥) شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ابن العماد الحنبلي. طبع دار إحياء التراث العربي بيروت.
٤٦) الشيخ محمد النبهان شخصيته، فكره، آثاره: د. محمد فاروق النبهان. طبع دار التراث بحلب.
٤٧) صفحات مشرقة من حياة الإمام السيد علوي المالكي: جمع ولده عباس المالكي ط الرياض ١٤٢٤هـ.
٤٨) الطالع السعيد المنتخب من المسلسلات والأسانيد للسيد علوي المالكي: بعناية ولده محمد. طبع جدة.
٤٩) طبقات الصوفية: للسلمي.
٥٠) الطريقة النقشبندية الخالدية الداغستانية تاريخاً وسلوكاً: محمد علي الداغستاني. طبع حلب.
٥١) الطريقة النقشبندية وأعلامها: محمد درنيقة. ط طرابلس ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
٥٢) عالم الأمة وزاهد العصر الشيخ محمد بدر الدين الحسني: محمد رياض المالح. ط دمشق.
٥٣) عالم وأعلام: أحمد قدامة. ط دمشق.
٥٤) العروة الوثقى: مصطفى الجابي الحموي.
٥٥) علماء وأعلام حمص في ظل الخلافة العثمانية: تأليف محمد حسين غازي آغا. معد للطبع.
٥٦) غاية المطلوب في رؤيا المحب للمحبوب: عيسى البيانوني. ط دار طوق النجاة بيروت ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.
٥٧) الفتاوى الحلبية "أحمد الحجي الكردي الجد": اختارها حفيده الدكتور أحمد الحجي الكردي. ط دار البشائر ١٤٢٣هـ.
٥٨) فتاوى مصطفى الزرقا: المقدمة بقلم مجد مكي.
٥٩) فتح المجيب في مدح الحبيب: ديوان الشيخ عيسى البيانوني.
٦٠) القول الفصل في حكم أعلام الحفاظ والمحدثين بارتقاء حديث سيدنا علي رضي الله عنه لدرجة الحسن ودرجة الصحة: نعمان حبوش. مخطوط.
٦١) كتاب تاريخ دمشق: محمد مطيع الحافظ ونزار أباظة.
٦٢) كتاب تخريج أحاديث الإحياء.
٦٣) كشف الأستار عما بعد الموت من أسرار: شاكر الحمصي.
٦٤) كفاية المريد من أحكام التجويد: محمد نجيب خياطة، مع مقدمة ولده محمد صلاح خياطة.
٦٥) الكواكب الدرية فيمن شهد غزوة بدر ممن صحب خير البرية ﷺ: نعمان حبوش. مخطوط.

٦٦) الكوكب الدري في سيرة الحصري: عبد الرحمن الأحمد.
٦٧) مائة أوائل من حلب: عامر رشيد المبيض. ط دار القلم العربي حلب ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
٦٨) المثل العليا في الحب للجناب المحمدي: بكري رجب. ط مطبعة الأصيل بحلب ١٣٨٣هـ.
٦٩) مجلة (الجامعة الإسلامية): محمد علي الكحال.
٧٠) مجلة الفيصل.
٧١) مجلة حضارة الإسلام.
٧٢) مجموعة فتاوى ورسائل السيد علوي المالكي: عناية ابنه محمد علوي المالكي. ط المدينة المنورة١٤١٣هـ.
٧٣) المحامد في سيرة الشيخ محمد الحامد: عبد الحميد طهماز.
٧٤) المدائح النبوية والأشعار الحكمية: بكري الرجب. ط حلب ١٩٦٧م.
٧٥) المسلك الجلي في أسانيد محمد علي حسين المالكي: محمد ياسين الفاداني ط دار البشائر ١٤٠٨هـ.
٧٦) مصباح الطالب، شرح منظومة القول الصائب في الأربعة المذاهب: قاسم التلمنسي. ط حلب ١٣٥٨هـ.
٧٧) مكتوبات الإمام الرباني: أحمد السرهندي. ط دار الكتب العلمية بيروت طبعة مصورة عن الأصل.
٧٨) منتخبات التواريخ لدمشق: محمد أديب آل تقي الدين الحصني. طبع دمشق.
٧٩) موسوعة أعلام سورية.
٨٠) مولد "المَوْرِد المورود، مولد محمد المحمود"، ومولد "الاقتباس، من أنوار أرحم الناس"، ومولد "البيان المقتبس من القرآن": كلها للشيخ عيسى البيانوني.
٨١) نخبة أعلام حلب الشهباء: عبد الرحمن الويسي.
٨٢) نور النبراس في التعريف بأسانيد ومرويات الجد عباس: محمد علوي المالكي.
٨٣) وسيلة العارفين: أبو الهدى الصيادي. طبع آخراً بعناية الشيخ محمود الدرة.

فهرس الجزء الثاني من الكتاب

مقدمة ٥

المبحث الأول: تراجم العلماء الكرام من أهل الحرمين الشريفين والمجاورين فيهما، من مريدي الشيخ أبي النصر

(١٠٦) * السيد علوي بن عباس بن عبد العزيز المالكي الحسني المكي ٧

نسبه الشريف ٧

شيوخه ٨

آثاره ومؤلفاته ٩

وظائفه العلمية ونشاطه الاجتماعي ١٠

(١٠٧) الدكتور الشيخ محمد بن علوي بن عباس المالكي الحسني المكي ١٣

مؤلفاته وآثاره ١٤

شيوخه ١٥

صلته بالطريقة النقشبندية ١٧

(١٠٨) الشيخ حسن بن أحمد جسومة البابي "المكي" ١٩

نشأته وطلبه للعلم ١٩

ملازمته للشيخ أبي النصر ٢٠

مجاورته في مكة المكرمة ٢٠

ما كتبه عنه سيدي الوالد ٢٢

(١٠٩) الشيخ محمد علي الحلبي "دفين المدينة المنورة" ٢٥

* يشير هذا الرقم الموضوع بين قوسين إلى الرقم المتسلسل للترجمة ضمن المجموع الكلي لعدد الترجمات المفصّلة التي حواها الكتاب، والتي بلغت (٢٣٩) ترجمة، منها (١٠٥) ترجمات في المجلد الأول.

مع الشيخ أبي النصر ٢٥
شيوخه في المدينة المنورة ٢٥
ما كتبه عنه سيدي الوالد ٢٦
(١١٠) الشيخ أحمد القلاش "الحلبي" ٢٩
النشأة الأولى ٢٩
طلبه للعلم في العثمانية والشعبانية ٢٩
في الخسروية ٣٠
عمله بعد التخرج ٣٠
الآثار العلمية ٣٣
في رحاب المرشد الكبير سيدي أبي النصر ٣٤
(١١١) الشيخ محمد بن محمود الحفسرجاوي "الشهير بالحجار" ٣٩
في جامع الزكي ٣٩
مع الشيخ أبي النصر ٤٠
نشاطه العلمي ٤١
مجاورته في المدينة ٤١
تواضع الشيخ أبي النصر وزهده ٤١
صورة موجزة عن حياة المرشد الكامل الشيخ محمد أبي النصر، بقلم الشيخ الحجار ٤٢
(١١٢) الدكتور الشيخ معروف الدواليبي "الحلبي الحجازي" ٤٧
نشأته ٤٧
لقاؤه بالشيخ أبي النصر وصلته به ٤٧
نشاطه العلمي ٤٨
وفاته ٤٩
من أبرز مؤلفاته ٥٠
(١١٣) الشيخ عمر ملاحفجي "الشهير بأبي قبقابة" ٥١

المبحث الثاني: تراجم العلماء الحلبيين من مريدي الشيخ أبي النصر

– القسم الأول: أكابر علماء حلب ومدرّسوها في القرن الماضي ٥٧
المدرسة الخسروية ٥٧
(١١٤) ١– الشيخ عبد الحميد الكيالي (الطيار) ٦٠
(١١٥) ٢– الشيخ محمد يحيى الكيالي ٦١
(١١٦) ٣– الشيخ مصطفى باقو ٦٢
(١١٧) ٤– الشيخ أحمد المكتبي الكبير ٦٢
(١١٨) ٥– الشيخ محمد أسعد العبه جي ٦٢
(١١٩) ٦– الشيخ محمد الحنيفي ٦٤
(١٢٠) ٧– الشيخ أحمد بن الشيخ محمد الزرقا ٦٥
(١٢١) ٨– الشيخ محمد راغب الطباخ ٦٥
(١٢٢) ٩– الشيخ أحمد حجي الكردي ٦٧
(١٢٣) ١٠– الشيخ ابراهيم السلقيني الكبير ٦٨
(١٢٤) ١١– الشيخ محمد بن إبراهيم السلقيني ٦٩
(١٢٥) ١٢– الشيخ الدكتور ابراهيم السلقيني ٧٠
(١٢٦) ١٣– الشيخ عبد الله عبد المعطي ٧٠
(١٢٧) ١٤– الشيخ محمد الناشد ٧١
(١٢٨) ١٥– الشيخ علي الكيالي العالم ٧١
(١٢٩) ١٦– الشيخ عبد الرحمن زين العابدين ٧٢
(١٣٠) ١٧– الشيخ أحمد الشماع ٧٢
( ) ١٨– الشيخ عيسى البيانوني ٧٣
(١٣١) ١٩– الشيخ كامل الغزي ٧٣

• لم يدخل هذا الاسم – في هذا الموضع – ضمن العدد المتسلسل، لورود ترجمة مفصلة له في موضع آخر من هذا الكتاب.

(١٣٢) ٢٠- الشيخ عبد الله حماد ٧٣
(١٣٣) ٢١- الشيخ محمد الحكيم ٧٤
( )* ٢٢- الشيخ محمد نجيب خياطة ٧٤
( )* ٢٣- الشيخ ناجي أبو صالح ٧٤
(١٣٤) ٢٤- الشيخ محمد نعمان السخيطة ٧٥
( )* ٢٥- الشيخ محمد الجبريني ٧٥
( )* ٢٦- الشيخ محمد بلنكو ٧٥
(١٣٥) ٢٧- الشيخ محمد سعيد الإدلبي ابن الشيخ أحمد الإدلبي الرفاعي ٧٥
(١٣٦) ٢٨- الشيخ أمين الله عيروض ٧٦
( )* ٢٩- الشيخ أحمد البيانوني ٧٦
(١٣٧) ٣٠- طاهر خير الله ابن الشيخ بشير خير الله الحسيني ٧٦
(١٣٨) ٣١- الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ٧٧
(١٣٩) ٣٢- الشيخ عبد الله سراج الدين ابن الشيخ محمد نجيب سراج الدين ٧٨
(١٤٠) ٣٣- أدهم زهدي بن عبد الله ٧٨
(١٤١) ٣٤- الشيخ محمد الملاح ٧٨
(١٤٢) ٣٥- الشيخ محمد أبو الخير زين العابدين ٧٩
( )* ٣٦- الشيخ عبد الوهاب سكر ٨٠
(١٤٣) ٣٧- الشيخ حسن المكتبي بن عبد الكريم ٨٠
(١٤٤) ٣٨- الشيخ محمد مراد حيلاني بن يوسف ٨٠
(١٤٥) ٣٩- الأستاذ بكري شيخ أمين ٨٠
( )* ٤٠- الشيخ محمد فوزي فيض الله ٨١
( )* ٤١- الشيخ حسن رزوق ٨١
(١٤٦) ٤٢- عبد السلام طويلة ٨١

* لم تدخل هذا الأسماء - في هذه المواضع - ضمن العدد المتسلسل، نظراً لورود ترجمة مفصلة لكل واحد منها في مواضع أخرى من هذا الكتاب.

(١٤٧) ٤٣- الشيخ عاكف حبال ٨١
( ) ٤٤- الشيخ محمد أديب حسون ٨٢
( ) ٤٥- الشيخ أحمد القلاش ٨٢
( ) ٤٦- الشيخ بكري الرجب ٨٢
خريجو المدرسة الشرعية "الخسروية" ٨٣
- القسم الثاني: مريدو الشيخ أبي النصر الحمصي النقشبندي من علماء حلب ٨٩
(١٤٨) الشيخ عيسى بن حسن البيانوني الحلبي ٩١
تمهيد: ٩١
لقاؤه الأول بالشيخ أبي النصر وسلوكه على يديه ٩٢
نشاط الشيخ عيسى في نشر الطريق ومحبة النبي ﷺ ٩٥
علو مقام الشيخ عيسى في مدارج السالكين ٩٥
مدى محبة الشيخ عيسى لشيخه أبي النصر ٩٧
آثاره العلمية ٩٧
جمعية عشاق المصطفى ﷺ ٩٩
قصة طريفة ١٠١
أستاذنا القلاش يتحدث عن الشيخ عيسى ١٠٤
وفاته ١٠٦
رؤاه المنامية الصادقة ١١٢
ما قيل في رثائه ١١٣
أ- كلمة الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة ١١٣
ب - من كلمة الأستاذ عمر بهاء الأميري ١١٥
ما كتب عنه ١١٧
رؤياه لسيدنا صالح بن عبيد الثمودي عليه السلام ١١٨

* لم تدخل هذا الأسماء - في هذه المواضع - ضمن العدد المتسلسل، نظراً لورود ترجمة مفصلة لكل واحد منها في مواضع أخرى من هذا الكتاب.

(١٤٩) الشيخ أحمد عزّ الدين البيانوني الحلبي ١١٩
أسرته ونشأته ١١٩
نشاطاته الدعوية ١٢٠
شخصيته ١٢٠
أخلاقه وصفاته ١٢٢
آثاره ومؤلفاته ١٢٢
وفاته ١٢٣
صلته بالشيخ أبو النصر ١٢٥
إخاؤه مع سيدي الوالد الشيخ محمد علي المسعود ١٢٥
نشاطه العلمي والدعوي ١٢٧
(١٥٠) الشيخ محمد الجبريني الحلبي ١٢٩
(١٥١) الشيخ محمد بشير الدحدوح الحلبي النقشبندي ١٣٢
ما كتب عنه في مجلة الجامعة الإسلامية ١٣٤
(١٥٢) الشيخ محمد سعيد الدحدوح الحلبي النقشبندي ١٣٥
(١٥٣) الشيخ محمود بن الشيخ بكري العلبي ١٣٧
(١٥٤) الشيخ زكي بن الشيخ بكري العلبي ١٣٩
(١٥٥) الشيخ محمد نجيب خياطة ١٤١
اسمه ومولده ١٤١
حبه للعلم وأساتذته ١٤٢
نشره للعلم ١٤٣
أخذه لعلم القراءات ١٤٣
اشتغاله بالطرق الصوفية ١٤٤
أخلاقه وحياته مع طلابه والناس ١٤٥
مؤلفاته ١٤٥

ما حققه ونشره ١٤٦
وفاته ١٤٦
(١٥٦) الشيخ عبد الله بن الشيخ محمود الريحاوي ١٤٩
(١٥٧) الشيخ عبد القادر ولي الإنطاكي ١٥٣
(١٥٨) الشيخ محمد الغشيم ١٥٧
النشأة الأولى ١٥٧
طلبه للعلم ١٥٨
مع الشيخ أبي النصر ١٥٨
نشاطه العلمي ١٥٨
أخلاقه وكمالاته ١٦٠
(١٥٩) الشيخ محمد بن أحمد النبهان الحلبي ١٦١
تمهيد ١٦١
نسبه ونشأته ١٦٤
خَلْقُه وخُلُقه ومعالم شخصيته ١٦٥
طلبه للعلم الشرعي ١٦٦
سلوكه في الطريق النقشبندي ١٦٨
تجرده وعزلته بعد سلوكه الطريق ١٦٩
ختم باب الأحمر المتميز ١٧٠
سيره وسيرته مع شيخه أبي النصر ١٧١
زهده في الدنيا ١٧٢
رحلاته ١٧٣
جامع الفرقان ١٧٤
كراماته ١٧٤
وفاته ١٧٧
ما كتب عنه ١٧٧

(١٦٠) الشيخ سلمو النبهان النيربي ١٧٩
(١٦١) الشيخ محمد بن محمد سليم المصري الحلبي ١٨١
(١٦٢) الشيخ أحمد مصري ١٨٤
(١٦٣) الشيخ بكري بن الشيخ محمد ملاحفجي "أبو قبقابة" ١٨٦
(١٦٤) الشيخ مصطفى بن بكري العزيزي "الحلبي" ١٨٨
(١٦٥) الشيخ محمد بن عمر بلانكو الحلبي ١٩١
النشأة الأولى ١٩١
في المدرسة الخسروية ١٩١
إلى الأزهر ١٩٢
مع الشيخ أبي النصر والطريقة النقشية ١٩٣
ما بعد الأزهر ١٩٣
تنظيم المكتبة الوقفية ١٩٤
أعماله ونشاطاته ١٩٤
مفتي حلب ١٩٥
نشاطه العلمي والاجتماعي ١٩٥
رحلاته ١٩٦
خلاصة ١٩٨
وفاته ١٩٨
وصيته ١٩٨
(١٦٦) الشيخ محمد ناجي بن محمود أبو صالح الحلبي ١٩٩
تعليمه وشيوخه ١٩٩
ملازمته للشيخ أبي النصر ٢٠٠
حياته العلمية وبعض مناقبه ٢٠١
آخر حياته ووفاته ٢٠٣

(١٦٧) الشيخ عبد الرحمن الحوت الحلبي ٢٠٥
النشأة الأولى وطلبه للعم في الخسروية ٢٠٥
العمل في الحقل الدعوي في ريف حلب ٢٠٦
صلته بأبي النصر ٢٠٧
العمل في الزراعة ٢٠٨
إلى العمل في حقل الدعوة والعلم مرة أخرى ٢٠٩
مديراً ومؤسساً لدار نهضة العلوم (الكلتاوية) ٢١٠
آخر أيامه ٢١١
شذرات من أخلاقه وشمائله ٢١١
(١٦٨) الشيخ محمد بن درويش الخطيب ٢١٤
(١٦٩) الشيخ محمد أديب حسون "الياقدي" الحلبي ٢١٧
في الخسروية ٢١٧
شيوخه في العلم ٢١٨
مع المرشد الكبير الشيخ أبي النصر ٢١٩
إجازاته بالطريق ٢٢٦
آثاره العلمية ٢٣٢
وفاته ٢٣٣
(١٧٠) الشيخ محمد فوزي فيض الله الحلبي ٢٣٤
آثاره العلمية ٢٣٦

المبحث الثالث: تراجم العلماء الحمويين

من مريدي الشيخ أبي النصر الحمصي النقشبندي

مقدمة وتمهيد عن عائلة آل المراد ٢٤١

(١٧١) الشيخ محمد سليم المراد الأول ٢٤٥
(١٧٢) الشيخ محمد علي المراد الكبير بن الشيخ محمد سليم ٢٤٧
(١٧٣) الشيخ أحمد بن الشيخ سليم المراد الحموي..... ٢٥٣
إجازته بالطريق..... ٢٥٤
علمه وفضله وشيوخه ٢٥٤
(١٧٤) الشيخ عبد العزيز بن الشيخ أحمد سليم المراد الحموي..... ٢٦٠
(١٧٥) الشيخ محمد سيادي بن الشيخ أحمد سليم المراد الحموي..... ٢٦٢
مع الشيخ أبي النصر..... ٢٦٢
في شرعية حماة، ثم في الخسروية بحلب ٢٦٣
إلى دمشق وبيروت وزيارة العلماء والصالحين ٢٦٥
إلى رحاب الأزهر الشريف..... ٢٦٥
تخرجه من الأزهر وشغله بالقضاء..... ٢٦٧
(١٧٦) محمد بشير بن الشيخ أحمد سليم المراد الحموي..... ٢٦٩
(١٧٧) الشيخ محمد علي بن محمد سليم المراد..... ٢٧٢
التعليم الأولي ٢٧٣
في المدرسة الشرعية بحماة ٢٧٤
في الخسروية بحلب..... ٢٧٥
مع الشيخ أبي النصر بحلب ٢٧٥
شيوخه في الخسروية ٢٧٨
إلى الأزهر الشريف..... ٢٧٩
التدريس في مدارس الحكومة في حلب ٢٨٠
الهجرة إلى المدينة المنورة..... ٢٨٢
إجازاته في العلم و الطريق ٢٨٣
(١٧٨) الشيخ محمد بن محمود الحامد ٢٨٩

ولادته ونشأته الأولى ٢٨٩
في المدرسة الشرعية بحماة، وشيوخه في حماة ٢٩١
في المدرسة الخسروية بحلب ٢٩١
شيوخه في حلب ٢٩٢
التحول الكبير في حياة الشيخ ٢٩٢
العودة إلى حماة بعد التخرج من الخسروية ٢٩٤
المواجهة مع السلفية في حماة ٢٩٥
بدء النشاط الدعوي والعلمي في حماة ٢٩٥
الرحلة إلى مصر لطلب العلم ٢٩٦
من شيوخه في مصر ٢٩٨
العودة إلى حماة والاستقرار فيها ٢٩٩
صور من نشاطه وجهاده ودعوته ٢٩٩
فصول من أنشطته في مختلف مجالات الحياة الوطنية والاجتماعية والتعليمية ٣٠٠
حياته العلمية وسلوكه الصوفي ٣٠٤
أولاً: حياته العلمية ٣٠٤
أما آثاره العلمية وإنتاجه العلمي ٣٠٧
ثانياً: سلوكه الصوفي ٣٠٨
كرامات الشيخ ٣١١
في رحاب الطريق النقشبندي ورحاب المرشد المربّي الشيخ أبي النصر ٣١٢
أ- الشيخ أبو النصر بريء من كل ما يخالف الشريعة ٣١٣
ب- طريقتنا النقشبندية خالية من البدع السيئة ٣١٣
ج- التعلق العظيم بالمرشد العظيم ٣١٣
د- نفائس شعره أهداها إلى شيخه ٣١٤
أخلاقه وكمالاته ٣١٥
آخر حياته ووفاته ٣١٨

(١٧٩) الشيخ موسى بن حسين الحاج موسى الحلفاوي "الحموي" ٣٢٠
(١٨٠) الشيخ محمد بن الشيخ موسى الحلفاوي "الحموي" ٣٢٥
(١٨١) الشيخ حسن رزوق الخطابي "الحموي" ٣٢٩
نشأته ٣٢٩
في الخسروية بحلب متعلماً ٣٢٩
في صوران خطيباً وإماماً ٣٢٩
حال الشيخ العظيم ٣٣٠
مع الشيخ أبي النصر، والعودة إلى خطّاب ٣٣١
العودة إلى حلب خطيباً ومدرساً ٣٣٢
الهجرة إلى المدينة المنورة ٣٣٢
الهجرة إلى عمّان ٣٣٣
(١٨٢) الشيخ محمد توفيق الصباغ "الحموي" ٣٣٥
(١٨٣) الشيخ محمد منير لطفي "الحموي" ٣٣٦
(١٨٤) الشيخ عبد الحميد طهماز "الحموي" ٣٣٧
من نتاجه العلمي: ٣٣٨

المبحث الرابع: تراجم علماء إدلب والمعرة وأريحا من مريدي الشيخ أبي النصر الحمصي النقشبندي

(١٨٥) الشيخ محمد بن سليم أفندي فخر الدين "الإدلبي" ٣٤١
(١٨٦) الشيخ أحمد الحصري "المعري" ٣٤٣
نشأته الأولى ٣٤٣
في المدرسة الخسروية بحلب ٣٤٣

مبدأ صلته بالشيخ أبي النصر ٣٤٤
حياته في المدرسة الخسروية وصبره على التحصيل ٣٤٧
في كفر زيتا (حماة) ٣٤٨
العودة إلى المعرة وبداية جهاد جديد ٣٤٨
تأسيس الجمعية الخيرية ٣٤٩
تأسيس معهد الإمام النووي الشرعي ٣٥٠
جهاد الشيخ في سبيل المعهد الشرعي، وصفحات من صبره وورعه ٣٥١
علمه وفقهه وعدله ٣٥٢
تواضعه ورحمته ٣٥٣
أيامه الأخيرة ووفاته ٣٥٧
رثاؤه ٣٥٨
(١٨٧) الشيخ نجيب سالم "الأريحاوي" ٣٦٠
طلبه للعلم ٣٦٠
سلوكه الطريقة النقشبندية ٣٦١
(١٨٨) الشيخ محمد أديب الياسين "المارعي" الإدلبي ٣٦٤
نشأته وأوائل تعلمه ٣٦٤
أول لقائه بالشيخ أبي النصر ٣٦٤
الأمر بالتوجه إلى إدلب ٣٦٥
الدعوة إلى الله في قرى المنطقة ٣٦٨
مع الشيخ عبد الباسط ٣٧٠
مع الشيخ إسماعيل ٣٧٠
رسائله إلى الشيخ أبي النصر ورسائل الشيخ إليه ٣٧٠
وفاته ٣٧٤
(١٨٩) خالد بن الشيخ محمد أديب الياسين المارعي الإدلبي ٣٧٥
(١٩٠) الشيخ محمد أديب يحيى الأرمنازي ٣٨١

(١٩١) الشيخ نعمان حبوش الأريحاوي الإدلبي ٣٨٤
دراسته للعلم..... ٣٨٤
صلته بالشيخ أبي النصر..... ٣٨٥
آثار الشيخ نعمان العلمية..... ٣٨٦

المبحث الخامس: تراجم علماء الباب وتاذف

من مريدي الشيخ أبي النصر الحمصي النقشبندي

- مع علماء الباب وتاذف ٣٩٠
- أولاً: علماء الباب..... ٣٩١
(١٩٢) الشيخ محمد المسعود "البابي الغزالي" ٣٩٣
نشأته ومحتده..... ٣٩٣
شيوخه في الباب..... ٣٩٤
شيوخه في مصر ٣٩٤
إجازته بالطريق النقشبندي..... ٣٩٤
مع الشيخ أبي النصر..... ٣٩٥
مسلكه العلمي والتعليمي ٣٩٥
كرمه وبعض شمائله..... ٣٩٦
رسائله إلى الشيخ أبي النصر ورسائل الشيخ إليه..... ٣٩٧
وفاته وما قيل فيه..... ٤٠٥
(١٩٣) الشيخ محمد سعيد المسعود "مفتي الباب السابق" ٤٠٧
تعليمه الأولي..... ٤٠٧
تعليمه الشرعي وشيوخه في الباب..... ٤٠٨
في الخسروية بحلب..... ٤٠٨

صلته بالشيخ أبي النصر ٤٠٨
أول شعره في مدح شيخه أبي النصر ٤٠٩
العود إلى الباب معلماً ٤٠٩
في المدرسة المعبدية ٤١٠
برنامجه اليومي ٤١٠
إسناد الإفتاء إليه ٤١٠
جهوده في إنشاء المدارس الشرعية والمساجد ٤١١
وفي النشاط من أجل فلسطين ٤١١
من تلامذته ٤١١
مدائحه وأشعاره ٤١٢
رسائله لشيخه أبي النصر ٤١٢
باقات من شعره ٤١٥
وفاته وما قيل فيه ٤١٧
(١٩٤) الشيخ محمد علي المسعود ٤١٩
نشأته الأولى ٤١٩
شيوخه في الباب ٤٢٠
محاولة للسفر إلى الأزهر والحضور على علماء دمشق ٤٢٠
في المدرسة الخسروية بحلب وشيوخه فيها ٤٢١
عمله ودعوته إلى الله تعالى بعد التخرج ٤٢١
نهجه العلمي والتعليمي وآثاره العلمية ٤٢٢
رحلاته ٤٢٣
صلته بالمرشد الكامل الشيخ أبي النصر ٤٢٤
ما كتبه في ثبته عن شيخه أبي النصر وأول صلته به ٤٢٥
تربية الشيخ أبي النصر والشيخ سليم ٤٢٦
من آثار أبي النصر في منطقة إعزاز وقراها ٤٢٧

كراماته ٤٢٧
(١٩٥) الشيخ مصطفى الحفني الدملخي "شويحة" ٤٢٩
(١٩٦) الشيخ مصطفى غزال الحلبي البابي ٤٣٤
(١٩٧) الشيخ محمد بدر الحسيني "البابي" ٤٣٩
نسبه ٤٣٩
نشأته وتعليمه ٤٣٩
مع الشيخ أبي النصر ٤٤٢
فقهه وفتاواه ٤٤٤
(١٩٨) الشيخ محمد كامل بن الشيخ محمد بدر الحسيني ٤٤٧
في الخسروية ٤٤٧
لقاؤه بالشيخ محمد أبي النصر ٤٤٧
الشيخ الشاعر ٤٤٨
(١٩٩) الشيخ محمد أديب العباس "البابي" ٤٥٢
أسرته ونشأته ٤٥٢
صلته بالشيخ أبي النصر ٤٥٣
(٢٠٠) الشيخ حامد بن الشيخ موسى الحفني ٤٥٧
(٢٠١) الشيخ عمر بن سعيد البوشي "البابي" ٤٦١
(٢٠٢) الشيخ محمد رضا بن رمضان الأيوبي البابي الحلبي ٤٦٣
تعليمه الأولي ٤٦٣
مع الشيخ أبي النصر ٤٦٤
أشعاره ٤٦٤
(٢٠٣) الشيخ بكري رجب البابي الحلبي ٤٦٧
طلب العلم في الخسروية ٤٦٧
ما كتبه عنه زميله الشيخ القلاش ٤٦٧

صلته بالشيخ أبي النصر ٤٦٨
آثاره العلمية ٤٦٩
بعض ترجمته لنفسه ٤٦٩
بعض أشعاره ٤٧١
ما كتبته مجلة الحضارة عنه ٤٧٣
(٢٠٤) الشيخ أحمد بن الشيخ حامد النعساني ٤٧٦
أشياخه ٤٧٧
أول صلته بالشيخ أبي النصر ٤٧٨
(٢٠٥) الشيخ حسن بن محمد العاروني التاذفي البزاعي ٤٨٠
(٢٠٦) الشيخ عبود المصطاوي ٤٨٢
منهجه في الدعوة إلى الله تعالى ٤٨٢
شعره ٤٨٣
(٢٠٧) الشيخ حسن بن يوسف الهاشم البابي ٤٨٧
(٢٠٨) الشيخ محمد حمام النعساني ٤٨٩
(٢٠٩) الشيخ عبد الوهاب سكر البابي الحلبي ٤٩٢
نشأته ٤٩٢
في الخسروية بحلب، وفي الأزهر الشريف ٤٩٣
مع الشيخ أبي النصر ٤٩٤
في مجلس الشعب ٤٩٥
مديراً للشعبانية ٤٩٥
آثاره العلمية ٤٩٦
(٢١٠) الشيخ مصطفى بن أحمد الزعيتر "البابي" ٤٩٧
(٢١١) الشيخ عبد الله الزعيتر ٥٠٠
(٢١٢) الشيخ عبد الله بن الشيخ سليمان الحسن الحسيني ٥٠٣

(٢١٣) الشيخ عبد الله بن أحمد النعمة البابي ٥٠٨

– ثانياً: علماء تاذف ٥١١
(٢١٤) الشيخ محمد بن الشيخ أحمد الخليلو التاذفي ٥١٣
(٢١٥) الشيخ عيسى الحداد التاذفي ٥١٦
(٢١٦) الشيخ محمد خلوف المامو التاذفي ٥١٧
(٢١٧) الشيخ مصطفى الشيخ صالح التاذفي ٥١٩
(٢١٨) الشيخ محمد بن مصطفى حماد التاذفي ٥٢١
(٢١٩) الشيخ مصطفى المامو التاذفي ٥٢٣
(٢٢٠) الشيخ رشيد بن مصطفى الراشد التاذفي ٥٢٥
نشاطه العلمي ومصنفاته ٥٢٧
(٢٢١) الشيخ محمد بن حسن البكار التاذفي ٥٣٠
(٢٢٢) الشيخ رشيد بن صالح النجار ٥٣٣
(٢٢٣) الشيخ رشيد العلو النجار التاذفي ٥٣٥

المبحث السادس: تراجم علماء مدينة إعزاز وريفها من مريدي الشيخ أبي النصر الحمصي النقشبندي

(٢٢٤) الشيخ عثمان عبيدو المارعي ٥٤٣
(٢٢٥) الشيخ عيسى بن علي الزيادي ٥٤٧
(٢٢٦) الشيخ يونس عبد الغني المارعي ٥٥٠
طلبه للعلم في حلب ٥٥٠
الرحلة في الدعوة إلى الله ٥٥١

مع الشيخ أبي النصر ٥٥٢
ما قيل في الشيخ بعد وفاته ٥٥٣
(٢٢٧) الشيخ يوسف بن الحاج محمد المنصور الدابقي المارعي ٥٥٧
(٢٢٨) الشيخ مصطفى بن عبد الله الحمو المارعي ٥٦٠
طلبه العلم ٥٦٠
الانتماء إلى سلك أبي النصر ٥٦١
سلوكه الدعوي ٥٦١
جهاده الوطني ٥٦١
شعره ونشائده ٥٦٢
أخلاقه وشمائله ٥٦٣
(٢٢٩) الشيخ بكري صدقي النجار المارعي النقشبندي ٥٦٧
(٢٣٠) الشيخ عبد السلام الدابقي "الشهير بالشيخ عبد" ٥٧٣
(٢٣١) الشيخ مصطفى عزو ياسرجي الإعزازي ٥٨١
حياته وأوائل نشأته ٥٨١
طلبه للعلم ٥٨٢
سياحاته وأسفاره ٥٨٣
(٢٣٢) الشيخ عبد الرحمن البكري المنغي "الإعزازي" ٥٨٥
طلبه للعلم ٥٨٥
شيوخ التربية ٥٨٦
حياته العملية في الدعوة إلى الله ٥٨٧
(٢٣٣) الشيخ إسماعيل الحمدو "البارحي" ٥٩٥
مع المرشد الشيخ أبي النصر ٥٩٦
مدارسة العلم مع الشيخ محمد علي المسعود ٥٩٨
(٢٣٤) الشيخ مصطفى بن خليل النجار المارعي ٦٠٠

(٢٣٥) الشيخ عيسى بن أحمد الخطيب "الإعزازي" ٦٠٤
صلته بالشيخ أبي النصر ٦٠٤
حياته العملية ٦٠٥
(٢٣٦) الشيخ محمد خير أحمد الصالح الحجي "المارعي" ٦٠٨
بين الشيخ أبي النصر والشيخ النبهان ٦١٠
آثار الشيخ أبي النصر بعد وفاته ٦١١
(٢٣٧) الشيخ عبد السلام طبشو الحربلي ٦١٤
طلبه للعلم في الخسروية بحلب ٦١٤
أول صلتي بالشيخ أبي النصر ٦١٥
في قرى إعزاز داعياً ومعلماً ٦١٦
أدب الشيخ أبي النصر مع العلم ٦١٦
نشاطاته العلمية ٦١٩
(٢٣٨) الشيخ موسى عبد الكريم الزيادي ٦٢١
ذكريات مع الشيخ أبي النصر ٦٢٣
مع الشيخ عبد الباسط ٦٢٥
(٢٣٩) والفقير إليه تعالى، جامع هذه التراجم المباركة محمد زكريا المسعود ٦٢٧
شيوخي ٦٢٧
زملائي ٦٢٨
وبعد التخرج ٦٢٨
خاتمة اسأل الله تعالى حسنها ٦٣١
قائمة مصادر الكتاب ومراجعه ٦٣٣

